حوليات يمانية

اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي

حققه واستخرجه من مسودة المصنف

عبدالله محمد الحبشي

دار الحكمة اليمانية
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان





حوليات يمانية

أو

اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي





من سنة ١٢٢٤هـ إلى سنة ١٣١٦هـ

أو

اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي

حققه واستخرجه من مسودة المصنف

عبدالله محمد الحبشي



دار الحكمة اليمانية

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م





دار الحكمة اليمانية
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

ج . ي . - صنعاء - شارع القصر الجمهوري - ص.ب (١١٠٤١) - برقياً : (حكمة)
ص . ب ٧٦٩٦ هاتف ٢٧٢٤٧٤ ، ٧٢٥٨٤ - تلكس HEKMA 2943 YE

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، يظل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) المنطلق الحقيقي لتكوين اليمن الحديث في صورته المعاصرة فقد دخل اليمن عالماً جديداً لم يكن له عهد به من قبل حيث فرض واقع العصر ـ عصر سيادات الدول القوية ـ منطقه على سائر البلاد العربية. وكان اليمن آخر البلاد العربية تأثراً، وأقلها تأثراً بذلك أيضاً ومع ذلك فقد ترك آثاره على المجتمع ونفسيته ولا أدل على ذلك من تلك الدهشة التي صورها لنا مؤلف هذا الكتاب.

ففي هذا العصر أصيب المجتمع اليمني بادواء الحضارة الأوربية المعاصرة ولعل أسوأ ما فيها هذا الاستعمار البغيض الذي حاول أن يكرس جهوده ليس في امتصاص خيرات البلاد واخضاعها له فقط بل وأيضاً على تغيير القيم والأخلاق والموروثات المميزة للشعوب المستعبدة.

ومع ذلك فإن اليمن أقل الأقطار المستعَمرة تأثراً به كما قلنا بل لم يستطع أن يطوق قبضته على البلاد إلاّ على رقعة صغيرة مطلة على البحر الأحمر هي عدن وما عدا هذه البلدة فإن اليمن يموج بالبطولات الثائرة المتأججة التي لم يستطع الاستعمار اخضاعها حتى بالتفكير باحتلالها.

وفي التاريخ اليمني ـ في كل عصوره ـ صفحات نادرة من البطولات التي قد لا توجد إلا في الأساطير ولولا أن كتابة التاريخ هي في ذاتها أمانة علمية عند كل من كتبه لقلنا أنهم يصوغون قصصاً لا تمت إلى الحقيقة بشيء.

فأي بطولة تعادل تلك التي صورها مؤلف كتابنا هذا وهي أن يأتي الأتراك بأهبة

كاملة من الأسلحة الفتاكة فيتصدى لهم أهل اليمن العزل من أي سلاح سوى الجنابي - الخناجر - والمفارس (الفؤوس) ويجلون الأتـراك عن آخرهم من مدينة صنعاء بعد ثلاثة أيام من وصولهم.

وحدث عن ذلك الأقدام والشجاعة ولا حرج وقد أثبت الشعب اليمني بأفراده العاديين أنهم حماة الوطن الحقيقيين.

* * *

والمتتبع للتاريخ اليمني إنما هو متتبع لتلك البطولات المتكررة والمتلاحقة في كل وقت وحين فما عسى أن تكون قدرة المؤرخ - ولو أوتي ما أوتي - في إحصاء ذلك الحشد الهائل من المعارك الطاحنة التي خاضها أهل اليمن في الدفاع عن وطنهم بل بلغ الأمر بامرأة واحدة أن تصد كتيبة من الأتراك وتقضي على إثني عشر شخصاً منهم (كما روى هذه الحادثة المؤرخ حسين بن أحمد العرشي في كتابه بهجة السرور).

ومع ذلك فإن أقرب حلقات التاريخ اليمني صلة بعصرنا الحاضر هي فترة القرن الثالث عشر الهجري وهو عصر الإنصهار والتكوين كما أسلفنا سابقاً. ومع أهميته فإن الكتابات القديمة والحديثة لم توفه حقه من البحث والدراسة وهو يتسم بنضوب مراجعه فلم يقم بالكتابة عنه كتاب محترفون كما هو الحال عند مؤرخي القرنين الحادي عشر والثاني عشر حيث قدر لهما كتاب من الدرجة الأولى من حيث المقدرة والثقافة العالية كالمؤرخ الجرموزي ويحيى بن الحسين وأبو طالب ولطف الله جحاف وغيرهم.

أما في قرننا هذا - القرن الثالث عشر - فهي بضعة كتابات مختصرة لا تخدم سوى السلطة أكثر من خدمتها للشعب ككتابات المؤرخ اليمني الحسن بن أحمد عاكش الضمدي المتوفي سنة ١٢٨٩ الذي حصر كتاباته في أخبار القسم الشمالي المعروف قديماً بالمخلاف السليماني وهي كتابات تعنى في الدرجة الأولى بالناحية الثقافية كتراجم العلماء والأعيان وما عدا ذلك فهي نتف يسيرة لا تفي بالغرض ثم تلاه بعد ذلك المؤرخ اليمني القدير العلامة محمد بن إسماعيل الكبسي المتوفي سنة ١٣٠٨ هـ الذي جاءت كتبه ساردة للتاريخ اليمني منذ أول عصوره الإسلامية حتى لا نكاد نظفر فيها بتاريخ الفترة التي نحن بصددها إلاّ في صفحات قليلة لا تسمن ولا تغني من جوع. كما نرى ذلك في كتابه اللطايف السنية بل أن كتابه الثاني المسمى (العناية التامة) الذي أرخ فيه لليمن من سنة ١١٢٧ - ١٢٩٥ عبارة عن تراجم مقتضبة للحكام الذين تولوا في هذه الفترة ومع ذلك ففيه فائدة كبيرة لو أن المؤرخين لهذه الفترة في عصرنا الحاضر استفادوا منه ومن غيره ولكنهم

تجاهلوها تماماً حتى أنك تقف على دراسة علمية يزعم صاحبها أنها كذلك فلا تجده يرجع إلى شيء من تلك المراجع وتلك حسرة تحز في نفس المؤرخ المدقق بل أنه هو وغيره يتجاهلون مرجعاً مطبوعاً للمؤرخ زبارة عن فترة الثلث الأخير من القرن التاسع عشر سنة ١٨٩٠ - ١٩٠٤.

وقد أرخ لنفس هذه الفترة المؤرخ اليمني الكبير علي بن عبد الله الأرياني المتوفى سنة ١٣٢٣ في كتابه (الدر المنثور) ثم تلاه المؤلاخ الأديب الحسين بن أحمد العرشي المتوفي سنة ١٣٢٩ في كتابه (بهجة السرور) وبعده المؤرخ سعد بن محمد الشرقي المتوفي سنة ١٣٣٥ هـ وغيرهم.

وكان انتشال مراجع فترة القرن الثالث عشر ضرورة تاريخية هامة حيث ساهم في الكتابة فيها بجانب تلك الكتابات الرسمية مراجع شعبية معاصرة للأحداث وقد رأينا ذلك في تلك الصفحات التي حققها الأستاذ حسين بن أحمد السياغي وسنرى ذلك أيضاً في هذه الصفحات التي عثرنا عليها. وربما أسفرت لنا الأيام المقبلة عن مراجع أخرى من هذا الجنس.

* * *

المخطوطة التي بين أيدينا جزء كبير منها مدرج بتاريخ العلامة محسن بن أحمد الحرازي المتوفي سنة ١٢٨٨ هـ المسمى روض الرياحين وهذا الكتاب كما رأيته في فهرس مخطوطات المتحف البريطاني أنه يوجد بين مخطوطات تلك المكتبة وقد أشرت إليه في كتابي مصادر الفكر الإسلامي. ومنه أخرى بمكتبة العلامة أحمد بن محمد زبارة مفتي الجمهورية العربية اليمنية ومنه حققنا القسم المدرج بتاريخ الحرازي إلى أواخر سنة ١٢٧٤ والبقية أوراق ليست في مجلدة الحرازي.

والمتأمل لتاريخ العلامة الحرازي يجد القسم الأول منه اشتمل على سيرة الرسول ثم تاريخ الإسلام ثم تعرض فيه لتاريخ اليمن من أول الإسلام وهو في هذا التاريخ عبارة عن ملخص لبعض كتب التاريخ وربما أتى تاريخ قرن بأكمله في بضع صفحات.

ثم تتسلسل الأحداث حتى تلتحم مع الفترة التي جاءت في كتابنا هذا المحقق وهي سنة ١٢٢٤ وقد جعلناها بداية لتاريخنا هذا وهي السنة التي انتهى فيها تاريخ المؤرخ لطف الله جحاف درر نحور الحور العين وهو شامل كامل في تاريخ المدة التي أرخ لها فأغناها عن ما كتبه الحرازي حيث ورد تاريخ اليمن من القرن العاشر إلى سنة ١٢٢٤ في خمس ورقات فقط.

من هو مؤلف الكتاب الحقيقي

ويبدو والله أعلم أن عمل الحرازي في تاريخه هذا ليس كله له أو على الأقل أن المخطوطة التي عثرنا عليها قد عدلت عن مخطوطة الحرازي الأصلية حتى أصبحت مؤلفاً مستقلاً عن الأصل.

وهذا واضح بيّن حيث أن المعدل لكتابه هذا ـ أو مؤرخنا المجهول ـ[1] يشير صراحة إلى أن وفاة الحرازي سنة ١٢٨٨ فيقول: وفيها توفي المصنف وكان عالماً عاملاً إلخ، ثم يسلسل أحداث الكتاب بنفس الخط والأسلوب إذن فالمؤلف الحقيقي ليس الحرازي. وإن كان على صلة كبيرة به وربما كان تلميذاً له أو ناسخاً لما كان يمليه عليه. فهو يقول مثلاً: (وأنا بنيت هذا المنقول على الاختصار لمعاجلة صاحب الأمر لي) ويتردد في الكتاب قول المؤلف الحقيقي (قال المصنف وأنا نقلت ما قاله برمته) فأشعر بهذه الجملة أن مؤلف الكتاب هو الحرازي وأنه كان يملي عليه كتابه هذا ولكن هذا لا يمنع وجود الأثر البين لمؤرخنا المجهول في كتابه هذا ـ أو على الأقل في سنوات ما بعد وفاة الحرازي وهو جزء كبير يزيد على ما أملاه الحرازي بأضعاف مضاعفة ـ.

بل أن الجمل العامية والأخطاء النحوية والإملائية وحتى اضطراب الجمل في كثير من الأحيان تنفي أن يكون الحرازي مؤلف الكتاب، هذا إذا قارنا بالحرازي مؤلف القسم الأول من الكتاب حيث يؤرخ فيه لسيرة الرسول ﷺ وأحداث الإسلام بأسلوب رصين وإطلاع واسع بل أن هذا القسم مكتوب بخط نسخي جميل جداً يختلف تماماً عن خط مؤلفنا المجهول الذي لا يكاد يقرىء إلا بالمعنى أو السياق (انظر مصورات الكتاب).

ومهما يكن من أمر فإن أثر المؤرخ الحرازي في كتابنا هذا مما لا يمكن إنكاره وقد جاءت حوادث كتابه بعد وفاته سنة ١٢٨٨ هـ مختلطة غير منسقة ولم تبتدىء في الانتظام والترتيب إلا في سنة ١٣٠٦ حيث عاد مؤلفنا المجهول لمتابعة الحوادث بعناية واهتمام فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها وقد ترك مؤلفنا المجهول لقلمه وعواطفه العنان فجاء كتابه تدوين شعبي كامل نادراً ما نجد ما يماثله في المكتبة اليمنية عامة وهو يتميز عن مؤرخ تاريخ اليمن المجهول الذي قام بتحقيقه العلامة السياغي... بأنه كان أكثر شمولية واستيعاباً لما يدور حوله وإغراقاً في العامية من سلفه.

---

(١) اتضح بعد ذلك أنه أحمد بن عبدالله الزبيري في ملاحظة ذكية من قبل الدكتور الفاضل الأستاذ حسين عبدالله العمري وكنا قد وقفنا على هذا الاسم في صفحة العنوان لكن لم نشأ أن نجزم به حيث لم تستقم لنا قراءة الإسم ومع ذلك يظل الزبيري المذكور ليس صاحب الكتاب وإنما شارك في إكماله وتلخيصه ونسخه.

وكتـابنا هـذا يشبه في كثير من نواحيـه مؤلف المؤرخ الشعبي السوري أحمد البديري الحلاق المتوفي سنة ١١٧٥ تقريباً قبل تهذيبه وتنقيحه من قبل المـؤرخ محمد سعيد القاسمي المتوفي ١٣١٧ (طبع ضمن منشـورات الجمعيـة المصـرية للتاريخ) سنة ١٩٥٩ بتحقيق أحمد عزت عبد الكريم.

ويشبـه أيضاً كتاب حسن آغـا العبـد عن حوادث سـورية من سنـة ١١٨٦ إلى سنة ١٢٤١ (طبع ضمن مطبوعـات وزارة الثقافـة والإرشاد) سنة ١٩٧٩ بتحقيق الأستاذ يوسف جميل نعيسة.

ويشبـه أيضاً كتـاب تاريـخ حوادث ليبيا للشيخ حسن الفقيه في القرن الثالث عشر الهجري (طبع في ليبيا).

ومـع ذلـك فإن كتابنـا هذا يتميـز عن سائر الكتب المذكـورة بطول النفس والتوسع في الأحداث إذا علمنا أن تلك الكتب عبارة عن كراسـات صغيرة. وربما قارب من حيث الضخامـة والشعبيـة تاريخ الجبرتي المسمى عجائب الآثار لولا ثقافة المؤرخ الجبرتي العالية واهتمامه بالتراجم العلمية والتنسيق والتبويب وهـذا ما لا نجـده عند مؤرخنا المجهول.

وقـد دلت هذه الكتب في عمومهـا على تفشي الأميـة في أواخـر العصر التركي في جميع البلاد العربية بما فيهـا اليمن والشـام والعـراق وهي عواصم الثقافة الإسلاميـة في عصـورها الـزاهرة. ولا أدل على ذلـك من أن الأمية قـد عمت سائر أفـراد الشعب حتى أولئك المثقفين الـذين يتصـدون لأحوال الناس بالكتابة والتدوين. وستجد مثل هذا عند المؤرخ سـالم بن حميد في تاريخ حضرموت الذي قمنا بتحقيقه.

* * *

الكتـاب الـذي بين أيدينـا الآن كتاب فـريد في التراث اليمني فعلى الرغم من أن كثيـر من كتب التاريخ اليمني ذات صبغة شعبية من زاوية وأخـرى من حيث الاهتمام بذكـر بعض الحوادث الاجتماعية كمـا هو الحـال عند المؤرخ يحيى بن الحسين في (بهجـة الزمن) الـذي دون أخبـار المجاعات والأوبئة وهبـوط العملة وارتفاعها والاحتكاكات اليومية في القرن الحـادي عشر إلاّ أن ثقافته الواسعـة وقـربه من رؤساء الدولـة تجعله لا يرصد إلاّ الشيء القليل من أحوال الشعب الداخلية وكذلك الحال عند سائر مؤرخي ما بعد هذه الفترة وما قبلهـا كـالمؤرخ عيسى بن لـطف الله والمؤرخ محسن أبـو طـالب ولـطف الله جحاف وغيرهم.

لكن الأمـر يختلف تماماً عند مؤرخنا المجهـول هـذا فالرجـل عاش بين أفراد

الشعب وكـان واحداً منهم لا يتميـز عنهم بشيء فكـان كتابه أكثر شعبية من غيره حتى إنك تلمس هـذا في صيغ عباراته ومعالجته للحـوادث وأسلوبه في النقد والسياق. إلى غير ذلك.

ومن النظـرة السريعـة للكتاب يتضـح لنا ما قلنا سابقاً، أنظر إليه مثلاً يـؤرخ لثورات شعبيـة ربما أهملتها كتب التاريـخ الأخـرى فهو قد أشار إلى ثورة العامة في صنعاء على الإمـام المنصـور علي بن المهـدي سنة ١٢٥٢ وعزلـه عن الحكم وتـولية النـاصر عبدالله بن حسن بن المهدي وقـد أفـاض المؤلف في شـرح هذه الثورة ودخـول الثوار على هذا الإمـام وما تـرتب عليها بعـد ذلك من خلع هـذا الإمام وكذلك أشـار إلى ثورة أهل صنعاء على هذا الإمام سنة ١٢٦١ بسبـب تعسف وزيره وإرهاق النـاس بالمغلبات ـ كما يقـول المؤلف ـ يقول: فأجمـع أهـل صنعاء على قلب رجل واحد ونزلوا إلى باب الإمـام شاكين ولعفوه طالبين فلما سمع الرجة والصوايح وكـان في بستان السلطان ففـزع فزعاً عظيمـاً فسأل عن ذلك فقيل له بما هنالك إلخ.

وكذلك أشـار إلى ثورة أهـل صنعاء الكبرى على الأتراك عند دخولهم أول مرة في الدخول الثاني وطردهم شر طردة.

وثـورات أخـرى لا مجـال لحصـرها هنا حتى يخيـل إلي أن الكتاب مـا هو إلاّ عبارة عن حشـد هائل من تلك الثـورات المتلاحقـة وكأن النـاس قد أرادوا أن يفرضـوا إرادتهم على السلطـات الحاكمة أياً كان نوعها.

ومـا يعاب عليهم في ذلك الوقت سوى أنهم أصبحوا ألعوبة بأيدي أصحـاب الأطمـاع الشخصيـة وإغـراق الأمة في حـروب طاحنة ومعـارك كـان ضحيتها الأبرياء من الناس. وسيتضح لنا في هذا الكتاب صمود صنعاء الأبية في وجـه تلك الأطماع واستبسالها في الدفاع عن نفسها.

وربما أتى هجوم المؤلف منصبـاً على القبائـل وإسناد كـل نقيصة إليهم. وهو يعلم من خلال ما أورده هو نفسـه في كتابه أن حماية البلاد والدفاع عنها في جميع المراحل ما قام إلاّ عليهم وبكفاحهم المستميت ونحن نعذر المؤلف في ذلك حيث عمق المجتمع في ذلك الوقت الفارق[1] بين سكـان المدن وسكـان الأرياف (القبائل) فأتى هجـوم المؤلف من هذا المنظـار حيث أن المؤلف كان من أهـل المدينة وقد عبَّر عن وجهة نظر فئة منهم في ذلك

---

(١) انظـر حول تلك الصراعات بين القبائل وأهل المـدن ما كتبه الدكتـور حسين العمري في كتابه مئة عام من تـاريخ اليمن.

الوقت هي فئة الفقهاء الذين جبلوا غالباً على انتقاد أوضاع الناس من منظور منهاج الشريعة السمحاء فربما جاء نقد المؤلف من هذه الناحية وأنّى له ذلك وهو يعلم أن طبيعة الإنسان في كل عصر ومكان تتحكم فيها نوازع الخير والشر ومع ذلك فلا يعاب على سكان الأرياف في شيء وربما أتى تحركهم تحت ظروف قاهرة كانعدام الأمطار واستبداد الولاة وقد أثبتوا قدرتهم على مجابهة الظلم في مواجهتهم السافرة للحكم التركي كما بينه المؤلف وما أرهقوا به الأمة من ضرائب وأنظمة قانونية مخالفة لما عرفه أهل اليمن فكانت ثورتهم نابعة من ذلك التذمر الشامل الذي عم الشعب.

ومع ذلك فربما كان للأتراك فضل تمدين اليمن الحضاري وإشعاره بالوسائل الحضارية التي كان يجهلها وقد صور لنا المؤلف دهشة أهل اليمن حينما استحدثوا نظام السلك (البرق) وهو نفسه وصف آلة التصوير كاختراع عجيب غريب.

كما أبان المؤلف استغراب أهل اليمن لما استحدثوه من أنظمة مدنية كنظام البريد ورصد البيوت التجارية وحصر ما يجلب إلى صنعاء إلى غير ذلك. وكل ذلك كان عبارة عن انتقالة كبرى لأهل اليمن في أن يعيشوا عصرهم المتغير تماماً عن ما ألفوه في العصور السابقة ومن هنا يأتي فضل الأتراك على اليمن في تحضيرها المعاصر على الرغم من تكبد الأتراك المشاق وإزهاق الأرواح البريئة من كلا الطرفين فتلك ضرورة التاريخ ومنطقه المعهود في كثير من الأحيان.

وربما أحس المؤلف بفضل الأتراك في هذه الناحية على الرغم من تحامله الشديد عليهم فنجده يقول أن لهم محاسن ويقول أن القبائل (قالوا في نفوسهم أنهم يريدوا أن ينظموهم) أي ينظموا أهل اليمن على حسب تعبير المؤلف (ص ٥٧٥).

وعلى العموم فالكتاب ثروة تاريخية واجتماعية كبرى وقد أفردته ببحث مستقل بعنوان (اليمن في القرن التاسع عشر من مخطوط يمني)[1] سألحقه بملاحق الكتاب الأخرى وهي ملحق البلدان والأعلام والمصطلحات مع فهارس الكتاب. فلا نطيل على القارىء هنا بهذا التمهيد.

والكتاب مخطوط بقلم مؤلفه وهي المسودة الوحيدة للمؤلف بدليل تلك الاستدراكات والفراغات التي بيض لها المؤلف نفسه ليتحقق منها فيما بعد ثم أدركته المنية دون أن يكمل تلك الفراغات، وقد حرصت كل الحرص على إبقائه على أصله.

---

(١) تركنا هذا البحث بعد ظهور كتاب مئة عام من تاريخ اليمن الحديث للدكتور حسين بن عبدالله العمري فأغنى وأشفى.

وعلى الرغم من حس المؤلف التاريخي واستيعابه لحوادث عصره دقيقها وجليلها إلا أنه لا يجيد الكتابة المعروفة في الخط العربي فهو مثلاً يضيف ألفا زائدة على كل كلمة فيها ألف مثلاً الإمام يكتبه هكذا (إلا إمام) أو لأنه يكتبها (لا أنه) إلى غير ذلك.

ثم أنه لا يفرق بين الألف الممدودة والألف المقصورة وهو في كل الحالات يكتبها ألفا فمثلاً (إلى) يكتبها (الا) أو حتى يكتبها (حتا) وربما أوقعتنا كلمة إلى في إشكالات كبيرة فأنت لا تستطيع أن تعرف ما يقصده المؤلف إذا كتب (وجاء إلا الامام) ما لم تكن قد تمرست بخطه وأسلوبه في الكتابة وهو أيضاً لا يميز بين التاء المربوطة والتاء المبسوطة وفي الغالب يكتبها تاء مبسوطة فبقية عنده بقيت وجهة (جهت) وقبة (قبت) إلى غير ذلك.

كما أنه لا يتبع القواعد الكتابية المتعارف بها عند الكتاب فهو يكتب هؤلاء يكتبها (هاولا) ولكن (لاكن) وربما زاد في الكلمة أحرف ليست منها كأن يكتب مع (معا) أو ينقص أحرف من بعض الكلمات كأن يكتب سأل (سل) أو أن يكتب بالقرب (بلقرب) وهو أيضاً لا يفرق في أغلب الحالات بين الضاد والظا وربما كتب الأخيرة متداخلة ببعضها البعض كأن يكتبها شبيهة بالميم والألف هكذا (مل) وأشياء أخرى من هذا القبيل سنجدها في بعض الحواشي ولم أتقيد بإثباتها كلها خشية التطويل والملل فقمت بإصلاحها دون الإشارة إليها في كثير من الأحيان.

ومع ذلك فإني تقيدت بنص المؤلف العامي واعتبرته ذخيرة لغوية قيمة حيث يفيدنا تعبيره صيغ الكلام المتبعة عند عامة صنعاء في القرن الثالث عشر الهجري فالتزمت بإيراد ما جاء في الكتاب بكل أخطائه اللغوية والتركيبية لهذا الغرض الذي أشرت إليه آنفاً.

كما قمت بشرح ما يبهم من المفردات العامية حيث أنها في ذاتها حصيلة لغوية هامة ربما أضافت إلى المعجم العربي كلمات هو في أمس الحاجة إليها. وربما ساهم هذا الكتاب في حفظ لهجة أهل صنعاء الجميلة من الانقراض وهي تتعرض الآن لحرب هوجاء من قبل المسلسلات العربية وطغيان عامية بعض البلاد الأخرى على عامية أهل صنعاء من خلال ما يأتي في الإذاعة والتلفزيون.

وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أحيي صديقي الأستاذ أحمد عبد الرزاق الرقيحي الذي ساعدني في نساخة بعض كراسات الكتاب فخفف علي قليلاً من هم النساخة ومشقة النقل وهو عمل أشكره عليه وأحييه.

١٨ ربيع الآخر ١٤٠٠ هـ

دمشق ٥ آذار ١٩٨٠ م

عبدالله محمد الحبشي

ود رفع القفعا من انف [illegible] ولزموا المقاخل وطلعوا الكامن في صبر وحصن [illegible]
المذهب ودخلو لا اصحاب المنصور شهاه الرضاشي ووقعت بينهما وقعه في شهاه وكانت الـ
على اصحاب المنصور وانهزم جنا وهل الربوع وتوجه من بقي معه نحو القفر وتلاشا امرا
وبيع في السنه [illegible] كثر الطعام من الحج احمد الحيمي لا اهل صعفان فتمسك بالقضا لا اهل الـ
على المقلبين فاوجعهم ما رأى اهل صعفان كذا القتل به ودفع الضرر عن انفسهم وبالقهر وتجبره
عليهم فقتلهم ما اصبح وهرب القصر وجمع اهله اليه ومن تبع كذلك نفسه وحصروه في القصر
[illegible] اهل صعفان [illegible] وال الامر الآخر [illegible] من صعفان [illegible]
من المال وسدامة بينه وما بلادهم من صعفان وبقى في القا فيه ايام قلائل واجتمع [illegible]
من الاشراف ونعبو الطريق المسبله وخرج اهل صعفان لدفعهم عن الطريق فردوهم بالرماح
المره الاولى والثانيه و[illegible] قتل من اهل صعفان منهم [illegible] العلماء [illegible] ومن اصحابه جرحى
قال [illegible] انتشرت دعوة الامام [illegible] من صعيد الواديه [illegible] على اهل المشرق
المغرب بلاغته وعمت كراماته ويسر الله الفتح وضرب السكه [illegible] فسكنت
دعوة الامور وانشرحت الصدور [illegible] الباطل وارتجت الارض [illegible]
حكم المولا الامام [illegible] المعالي [illegible]
الهادية من كشف الله بوجوده عن العباد البلا وافرج عنهم عن البغي والفساد [illegible]
في الغزا الحمد محمد الهادي قام هاذا [illegible] المبارك [illegible] بالقرب من الطويله
دخل [illegible] وهو شامخ البنيان رفيع [illegible] من دخول هاذا الحصن [illegible]
ولا [illegible] من العبا [illegible] واودع الله هيبته في القلوب واجتمع [illegible]
وادعن لهيبته اهل البوادي [illegible] الكتب الى اقطار اليمن [illegible]
القبلي وامر بعمارة دار الضرب فعمرت وطلب [illegible]
وافد عليهم [illegible] واحكم الضرب وجعلها [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] مايملك [illegible]
[illegible]
[illegible] الله [illegible]
من جميع ارض اليمن كان الخلفا المتقدمين [illegible] لكل خليفه [illegible]
[illegible] عليه وهاذا [illegible]
[illegible]

آخر الملحق بمجلدة تاريخ الحرازي

الصفحة الأولى من الأوراق الخارجية عن مجلدة تاريخ الحرازي

الا الامام المتوكل متمكنت صعدا وحوازها من بقيتهم الذين حيث مايرى الا الصلاح والفلاح وسلوكه طريق الرشاد و الفلاح
سكت عن اهل صعدا الحوزة والحمالات اعانة بنفقتهم وان الغالبية بينها الغافلين وان هو مصيب فقبض من الخلاف الما را
مما خصهم النفقة بهم وردها وقبض وثق كل الذي ... بينه وبين المتوكل وانهم القبائل اهل الحوران فما كان يجبر
بهم الاموال الا بالتضييق بيوسلون وساحلوه صعدا والاهل صعدا فطلبوا الباري من قريبهم الماخذ من القبائل ومعها المهيبة هيام
ودخل الدين ... الاحد من الاعلام والحيه واصحابه المتوكل الرغبة والواجبة والمتوكل فتنه منهم بما ذكروه بإقامة
الشريعة وسقوط الاحكام روابه ... والبه والخطبة ودالت الا الاسلام والانتظار الفرج من الله فقد
صعدا وحوازها ودخل فيها منه الامر من عند ... السيد ... الكبير ... اهل صعدا وفتنة الشريعة المطهرة
وكان ... الاسلام الكبير ... بوطن الامور وبكفيك من دينه [illegible]
[illegible]
الله بالاعاده ببيته العالية [illegible] فعلى ما صلح ما فيه ملحة مثله من عهد المتوكل
محمد بن يحيى الا ان ... الامور ... الشريعة ... بطريق الرواق من الحسب ان ... الرواق على سائر الحسب
والعسكر وبعدها هربت ... عن الخليفة ... علاء ... تكلمه يقول فلما كانت هربت المتوكل
علاء ان ... فلمة تجيبهم الامور في ... والحوار ... صرفها الرعية ... عن ... كبيرة ولكن
كانت بينها فقط والبوعلى من ... اختبرت بل انها كانت لا توجب بالفرقة الحرة الا ان ... اخبروها بفقه
بلغوه ... مثل حق الماضين ما كان يجب الفرقة الا بعد فرقة وامانة
النعم ... الملل فما عاد ... الفرقة الا ... فرقة ... واما هذه فوجب بها كل ... ولا
وجبهم من صعدا ... المحاجات ... وتحلب ... والوبقيه الا صب منها مبيته فرقه ما قلق
وبا ... منها ... ما ... من اللا ... ما فيه جاد ... وحسن بينهما حد العربه
الغاية حسنا ... هيئا ... وهو ... الا تزكي باربابه لحنا ان ... بينهم عشوها بيد راحة
رجبه ... قيه ... فيد خلت ... بخلال ... منها ... الامير [illegible]
ولما وجدت ... الشرعية ... المتوكل محقق ... اهل اليمن لا انما سمان الزكاة ... وهو ...
فرحوها ... وبين ... البركة ... ولكن ... للشرعية الباطلة كان
التركي ... الورق من ... ويسمى ... واذا فيه اهل صنعا ... وها ... لموقفه اهلها
ما الشرعية من زمانه فبطلت ... والسبب الذنوب ولد ... بل كل ... والنمي
قبلها وامانت عنه ... فتنقضت كل الاحكام ... الذي علينا ... ولا بأس ان اول
وكلهم الذي ... بانهم من ارضنا ... علينا ... هب ... التصرفينا ... منهم
نبينا من المطالب [illegible] واما قبل ... ثلاث ... ذكرنا ايام ما ... اهل
صعدا والقبائل من ... وترتيب كل قبيلة خليفة ... السيد المتوكل ونفذت احكامه
... الاجنه ... نيته ... بلونية ... الا ما قبل ... ولت الامام الناصر محمد
... والسبب قوة سوكت الامام ... الاموال ... القبائل في ... و ... قيام
الشريعة وتنفيذ ... قيام ... بن عزه ... اهل ... والفسوق ... الا ...

١١١١ جزء

الرعيبن من وكيلهم مصطفى لذا الآن ولا فيهم من تنزل له ادلبه انقيا والذين
من دلوم نخرج الثانية وقد اصبحت الوالي هاذا ثلاثة مدارس الاول اشتمل له
للعرب الصبيان والاخراب وهذا بنص مكتب نوفنيه وتبتت ودابت
الامرا من عليها واكلهم وتخرجهم منه في الدولة والثانيان مجلس وسماه
مجلس المعارف ومجلس الصنائع اما المعارف فلتعليم الصبيان للعلم والقرآن
ويعلم محمد حنبيه معلم للعلم واحمد محمد الاكرع لسماع تجويد القرآن ويعطوهم
معاشا من كل شهر خمسة عشر ريال ولمحمد سعد ريالات زايد واما مجلس الصنائع
فلتعليم كل حرفه شابيه يعلم منها واريل للعلماء من الشام وعمرو
المحلي من باب الزيادي من شروره ويعطوهم معاشا عطا على الزكاة على كل
عشرين من الزكاة فقد حصلت المعارف على الهمة الفلاح خمسة افدنة
وهكذا [illegible] فلا اكثر وتسلمت من ضريبة سنة ١٧

آخر المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

ودخلت سنة ١٢٢٤:

ووقع الصلح بين محمد المنصور عامل ذمار وبين سيدي الصفي[١] وجمعت كلمتهم ووصل من ذمار ولقيه صنوه[٢] أحمد ودخلا على أبيهما إلى داره[٣] وابدل الله الناس بعد العسر باليسر.

وفي شهر رمضان اشتدت علة[٤] مرض المنصور وتوفى[٥] في نصف شهر رمضان سنة ١٢٢٤ ومدة خلافته خمس وثلاثين سنة وعمره ثمانين سنة وقبره في بستان المسك جنب قبة المتوكل قاسم[٦] بن حسين وكان ملكاً من أكرم الملوك كثرت الأموال في دولته وكثرت صدقته ونال الناس منه العطايا[٧] الجليلة والهبات الجزيلة من مآثره دار البشائر في الروضة ودار الصافية في بير العزب ودار البونية ومسجد الزمر[٨].

دعوة الإمام الأجل والسند المبجل المتوكل على الله أحمد بن المنصور علي بن

---

(١) يعني به المتوكل أحمد بن المنصور علي بن العباس الآتي ذكره.
(٢) خ منوه والصنو هو الأخ الشقيق.
(٣) خ الادارة.
(٤) خ علت مكررة.
(٥) خ توفا في.
(٦) الكلمة في المخطوطة مطموسة.
(٧) خ العطايا.
(٨) انظر ترجمة المنصور في كتاب درر نحور الحور العين في أخبار دولة المنصور وأعلام دولته الميامين وهو من أكبر المراجع عن هذه الفترة.

مهدي عباس بن المنصور حسين بن قاسم بن أحمد بن حسن بن القاسم[1].

دعا يوم توفي والده يوم الربوع[2] وقيل سابع عشر رمضان وكان عمره ستين سنة ودعوة خلافته فيها وكانت فيه هيبة وسطوة في قلوب الخاص والعام وكان عالماً حكيماً في الطب له معرفة باهرة واجتمع معه من المال ما لا يجتمع مع غيره لحرصه وتدبيره للأمور وأخذه من أموال العليفة[3] أموالاً واسعة وظهر الكامن في قلبه عليهم خصوصاً حسن[4] بن عثمان.

وأول عمل جهز ولده الفخري عبد الله بن أحمد[5] الآتي ذكره وتلقبه المهدي إلى ريمة فدوخها وحاصر حميد بن عبد الله العلفي وآل الأمر إلى مصالحته واقطاعه براع[6] وهو جبل كثير الخصب في وسط تهامة فوق باجل.

ودخلت سنة ١٢٢٥ خرج الإمام على سنحان واليمانية بسبب الطريق وعين عليهم عشرة آلاف أدب بسبب فتحهم للطريق لسالم شديق وبني ظبيان وانتهبوا وزيره قبل الدعوة لأنه [7] قائم مع المولى [8] المتوكل من السيادة وهو الفقيه عثمان فارع وسلموا ما عين ونفذ الحدا[9] وأقام في زراجة[10]وعرف الداء وعلاجه، وضبط القوسي والبخيتي وأمنت السبلات.

وتوجه الإمام ضوران[11] وكان الحصن حقّهم لا يدخله أحد وهو في يد أهل الجبل عسكر متقدمه أصلهم مشارقة[12] فوقعت الحيلة عليهم لأنهم أشرار وطلع الوزير

---

(١) انظر ترجمته في أتحاق المهتدين ص ٩١. ومولده سنة ١١٧٠ وحكمه سنة ١٢٢٤ ووفاته سنة ١٢٣١.

(٢) الأربعا. وعند أهل اليمن باقي اسم هذا اليوم وكذا التلوث على صيغة فعول.

(٣) العليفة هم الوزراء آل العلفي وسيأتي ذكر بعضهم.

(٤) هو الوزير حسن بن عثمان ولي الوزارة للمنصور ووفاته سنة ١٢١٦ ويقول المؤرخ زبارة: كان وزيراً قديراً غير أنه استدعى أقاربه وأهله الجفاة من البادية «انظر الوطر ج ١ ص ٣٤٣» ولعل المعنى به هنا هو ابنه حسن بن حسن عثمان تولى الوزارة بعد والده ثم نكب من قبل المتوكل توفي سنة ١٢٣١ «انظر نيل الوطر ج ١ ص ٣٤٤».

(٥) تولى الحكم سنة ١٢٣١ وتوفي سنة ١٢٥٠ وسيأتي ذكره.

(٦) كذا والصواب برع.

(٧) خ لا أنه.

(٨) خ معا المولا. والمولى لقب تعظيم يطلق في الغالب على العلماء وكبار رجال الدولة من الفقهاء.

(٩) سيأتي ذكره في معجم البلدان الملحق بالكتاب.

(١٠) سيأتي ذكره في معجم البلدان الملحق بالكتاب.

(١١) انظرها في معجم البلدان في آخر الكتاب.

(١٢) أي من جهة المشرق جهة مأرب وما إليها.

وخدامه للحصن لِمعرفته وتبع[1] خمسة وتبع عشرة في أثرهم حتى[2] دخلوا وتبع المتوكل وبقية الجند فسقط ما في أيدي أهل الجبل وظنوا موافات الأجل[3] وقبض على جميع الأشرار ووجد في المدفع الكبير الذي في الجبل من سابق آثار رصاص بنادق فطلبهم وخاطبهم في وصول الرماة للمدفع فجاءوا بهم أسرع من ساعة وعاقب كل واحد بما يستحقه[4] فأما[5] ناصر وازع فضرب عنقه وهو رأس الفساد وهو الذي تسبب لضرب العامل وعين على أهل الجبل أموالاً جزيلة.

وتوجه المولى إلى ذمار وضبطها وبلادها، وتوجه رداع وأخرب أهل قيفة حتى أطاعوا، وعين عليهم أموالاً وقبض على أشرارهم وأخرب من ديارهم وَعَمَّل عليهم الشيخ سعيد ناصر الحاج، ورجع إلى صنعاء المحمية بعد إصلاح[6] جميع البلاد وإصلاح الطرق[١] وتأمين العباد وبعد ما قد شاع الفساد.

وبعد ذلك أخذ مولانا رحمه الله في إعانة[7] الشريف حمود[8] على النجدية لقبض ما توسط الشريف الحازمي[9] وكان أمير عسير أو نقطة[10] يهم للغزو على تهامة كل وقت، وغزا جماعة من أصحابه على الحديدة وحرقوا ونهبوا وهربوا، وأرسل المتوكل بعساكر للبنادر، وأرسل بأموال جمة للشريف معونة، ثم أن أبو نقطة قصد الشريف حمود بجمع عظيم، وكان الشريف مشغول بقتال الزَّرانيق[11] ففتك بهم ولم تقم لهم قائمة في أيامه ومراده يأخذ (الزهرة[12]) محل الشريف وبعد استيلائه على الزهرة والشريف يأخذ جميع البلاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً فتهيأ الشريف للقاء النجدي وسار من الزهرة

---

(١) تبع بمعنى لحق.
(٢) خ حتا.
(٣) هذه الجملة كتبناها اجتهاداً وإلا فهي لا تقرأ.
(٤) خ يستمه «متداخلة»
(٥) فا اما.
(٦) « اصروح.
(٧) خ اعانت.
(٨) الشريف حمود هو حمود بن محمد بن أحمد التهامي مولده سنة ١١٧٠ وتولى حكم المخلاف السليماني وجرت له معارك مع جند سعود بن عبد العزيز توفي سنة ١٢٣٣ (انظر نيل الوطر ج ١ ص ٤٠٨).
(٩) سيأتي ذكره.
(١٠) هو عبد الوهاب بن عامر المعروف بأبي نقطة تولى إمارة عسير من سنة ١٢١٧ حتى سنة ١٢٢٤ انظر تاريخ المخلاف السليماني ص ٥٢٨ ثانية.
(١١) نسبة إلى زريق بن وليد بن زكريا بن محمد بن عابد بن مضرب بطن من المعازبة وهم الزرانقة (انظر تاج العروس ج ٦ ص ٣٧٠).
(١٢) انظرها في معجم البلدان في آخر الكتاب.

بجموعه من يـام وذو حسين وشرذمـة من الأشراف، وقد بلغ النجدي وجنده وأمير الجند إسمه أبو نقطة، قد أخذ بعض تهامة الشام قـاصدين الزهرة وأبي عريش وجند الشريف لا يعلمون أين مقصد الشريف حمود. وقد أعْتَدَّ الشريف لأكثر أصحابة مطايا[١] وخيل، وكان يسافـر بهم ليلاً ونهاراً لا يسكن[٢] مدة ستـة أيام يضربون شاما[٣] والنجـدي يضرب يمناً أي عدنياً وكـانوا لا يقفـون إلا ساعة في النهار لسبار[٤] الأكل، وقد أضر بهم السَّهر والسفر وانتهوا إلى وادي وأمرهم الشريف ينامون فناموا ليلتهم حتى يسكن ما بهم من السَّهر وتعب السفر، فلما أصبحوا أصلحوا ما يحتاجون إليه من الطعام والشرب ولا خَبَّرهم[٥] أن أصحـاب النجدي قُدَّامهم فنظـروا أمامهم فرأوا مطرح النجدي وعسير كالجراد المنتشر، وقد نصبوا الخيام مَدَّ[٦] البصر ولم يكن عنـدهم من الشريف خبر كونهم القاصدين ولا رأوا خياماً مثل مطرحهم وخيامهم، ولا تلك البلاد الذي طـرحوا فيها من بلاد الشريف فأمر[٧] الشريف أصحابـه بالوقوف[٨] متأهبين ولبس الشريف حمود ملبوساً يشابه ملبوس عسير ومضى[٩] نحو مطـرح النجدي يقـود فرسه وسـار راجلاً وتبعه من الفرسان وصناديد القوم إلى موضع قريب من مطرح عسير ليروا ما يكون وما يحدث وفعلوا كما يفعل الشريف وتشكلوا بشكل أصحاب النجدي ومع[١٠] سعـة المطرح وكثرة الجنود وما عندهم خبر من الشريف ظنوا أن أولئك[١١] منهم وكان يمـر من عند[١٢] كل خيمـة ويحييهم بتحيتهم فيقول: سلام يا إخـواني حتى انتهى[١٣] إلى خيمـة أبي نقطة ودخل الخيمـة وجـرد سيفه وضربه ضربة واحدة علوية بنخـوة هاشمية وخرج وركب متن جواده ثم ركب أصحابه وصاحوا فيهم صيحة واحدة وفرقوا المواكب يميناً وشمالاً حتى خـرج من مطرحهـم هو وأصحابه،وقد تكردست[١٤] الخيل في

---

(١) خ معلايا. والمطايا جميع مطية الجمل ونحوه.
(٢) لا يستقر.
(٣) الشام الناحية الشمالية واليمن الناحية الجنوبية. والعدن الناحية الجنوبية. أيضاً.
(٤) إصلاح.
(٥) خبرهم بالتشديد، أخبرهم.
(٦) خ مب
(٧) خ فاامر.
(٨) خ بلوقوف.
(٩) خ ومصللفحو.
(١٠) خ ومعا سعت.
(١١) خ أولائك.
(١٢) خ عنب.
(١٣) خ انتها.
(١٤) الخيل جمعها وجعلها كتيبة.

أثرهم ووصل الشريف مطرحه وأخبر أصحابه بما صنع فقامت الفريقين وتوجهوا للقتال وتلاقت الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال، وكان بينهم يوماً عبوساً قمطريراً وامتلأت الشعاب[1] من القتلى من الفريقين حتى أظلم الليل مع[2] ظلمة النَّهار أولاً بالباروت[3] وسقيت الأرض[4] من الدماء وحال بينهم الظلام، ورجع الشريف حمود من فوره وترك أثقاله فانتهبها أصحاب النجدي وشغلوا بها حتى فرق[5] بأصحابه وقد كان بلغ حال الحرب [٢] نفر يسير من أصحاب الشريف إلى باب خيمة النجدي وانتهبوا منها ولم يعلم بهم الشريف وحال عزمه ما يعلم من عاد، فلما وصل محله ولم يجدهم فظن هو وأصحابه الذين معه أنهم راحوا في المعركة لأز[6] ما أحد زد[7] عرف أحد ولا أحد معه خبر من أحد[8] ، فلما كان بعد ثمانية أيام إلاّ بضرب[9] المرافع والطبول من جهة[10] الشام فلما قربوا وإذا هم أصحابه الذين وصلوا[11] حال الحرب إلى باب[12] خيمة أبو نقطة وقد ذهبوا أكثرهم حال المعركة فلله[13] درهم ما أشجعهم وما أصبرهم، وهذا فعل الأبطال، وأخذ قليل بعد من بلاد الشَّريف فغزاهم بعدها[14] إلى حيث هم، ولم يصح[15] من وصولهم إليه شيء فلقد أجاد، وهذا شأن الأمجاد.

ودخلت سنة ١٢٢٦:

قوي أمر النجدي في جميع الأقطار وبث الرَّسائل والكتب إلى كل محل، وما وسع الشَّريف حمود إلاَّ مهادنته ومداهنته، وأرسل ولده أحمد إلى الدّرعية يعقد الصّلح بينهم، ويكون الشريف حمود على أمر النجدي.

---

(١) جمع شعب وهو الجبل.
(٢) خ معا ظلمته.
(٣) البارود معروف.
(٤) خ الا ارض.
(٥) فَصَل.
(٦) خ لا ان.
(٧) زِدْ في لهجة أهل صنعاء تقوم أيضاً في الفصحى أو أضف.
(٨) هذه الكلمة تقرىء في المخطوطة «احد» أو «رجلا» فالكلمة غامضة جداً.
(٩) معنى العبارة فلما كان بعد ثمانية أيام لم نسمع إلا بضرب المرافع
(١٠) خ جهت.
(١١) خ وملوا.
(١٢) خ الاباب.
(١٣) خ فلللله.
(١٤) معنى العبارة ثم بعد مدة من الوقت قصيرة أخذ جزء من بلاد الشريف فقام الشريف وطردهم.
(١٥) لم يتحقق.

وكان ابن علي سعد عاملاً على اليمن من عند المتوكل فأخذ حيس وقتل عامل الشريف حمود واسم العامل الشريف محسن الحازمي، وكانت حيس والمخابِيْد المتوكل وبقية[1] البلاد بيد الشريف حمود والنجدي.

وفي سنة ١٢٢٧ والسنة التي تليها أرسل المتوكل قبائل بكيل إلى تهامة على الشريف ووصلوا المختارة[2] التي اختطها الشريف وسورها، وآلوا على نفوسهم أنهم يردوا تهامة للإمام، وقبضوا أموالاً من الشريف ورجعوا بلادهم.

وفي سنة ١٢٢٩:

تهيأ المتوكل على خروجه على النجدي إلى تهامة، وعلى الشريف، وعاهد الإمام القاضي عبدالله العِكام، ووصل وقد رحل المتوكل من صنعاء إلى ذمار وبقي خارج ذمار وطلب المغلّبات[3] من الإمام، ولم يتم منه شيء ونهب محل اليهود في ذمار لا رحمه الله، وتعدى إلى الطريق المسبلة، ورحل إلى اليمن وتبعه المتوكل وجرت بينهم حروب.

وفيها وقعة السرايم[4] خارج جبلة، وخاب السّعي من النفوذ إلى تهامة فكلما هيأهم المتوكل للتجهيز على المخالفين طلبوا المغلبات، وما مقصدهم إلّا الفساد، ووقع لهم شيء من المال ورجعوا بلادهم، ورجع الإمام إلى صنعاء ورجح مكاتبة[5] النجدي ومداهنته، حتى وصل من الدرعية المطاوعة[6] الآخرون الأمير محمد، ويوسف القرماني وجماعة معهم، وخاطبوا المتوكل في خراب المشاهد والقباب المنصوبة على قبور الصالحين والأئمة الهادين، فجمع الإمام أعيان دولته وعلماء حضرته، وأجاب عليه العلماء بأنه إذا كان العمل بالشّريعة حقيقة لا على أنها مداهنة للنّجدي وقبول قوله فهذه[7] القباب ورفع القبور بدعة لا على الوجه المشروع، كما روي عن أمير المؤمنين[8] بهدمها وتسويتها بالأرض، فرجّح المتوكل الأمر بهدمها[٣] وهدمت الذي في صنعاء وما حولها قبة[9] صلاح الدين، وقبة

(١) خ بقيت.

(٢) اختطها سنة ١٢٢٨ في بلاد الشرق انظر تاريخ المخلاف السليماني ج ١ ص ٥١٧ ط أولى.

(٣) المطالب الشاقة وفي الأصل المغلابات

(٤) شرحها المؤلف فأغنى وسيأتي ذكرها في معجم البلدان الآتي.

(٥) خ مكاتبت

(٦) لقب للوهابية أو العلماء منهم.

(٧) خ فهاذه. قلت وفي هذه المناسبة الف العلامة محم دبن علي الشوكاني رسالة شرح الصدور في تحريم رفع القبور «مطبوعة».

(٨) يعني به الإمام علي كرم الله وجهه

(٩) خ قبت وهذا يتكرر في المخطوطة.

المنصور حسين في الأبهر، وقبة الفليحي، وسدة قبة المهدي العباس التي فيها القبر، ولم يبق إلاَّ قبة المتوكل للصلاة، وهدمت قبة أحمد بن أحسن[1] في الغراس، وأرسل إلى بقية النواحي بهذا.

وبعد ذلك تحرك العكام بقبائل بكيـل ومضى[2] من عدني صنعاء يبغي وينهب وقصد اليمن، فتبعه المتـوكل بأجناد واسعة وبات البغاة تحت جبل (المحاقرة) والإمـام في (حزيز[3]) ولـم يكن بينهـم إلا مسافـة يسيرة وقـد كان شـرع بينهم الحرب فجن الظلام، ثم دار الخوض بين الـوزير على فارع[4] وعقـال القبائل وخادعهـم بالمـال، ولما علم العكام مـال إلى الصلح ورجعوا إلى خارج صنعاء لمـا اندفعوا به ورجعوا بلادهم خائبين.

وتجهـز المتوكـل بالخـروج إلى (ثلا) وفي ذهنـه محاصـرة[5] (كوكبـان) وتقدم إلى (شبام) فنزلوا إليه سادات كوكبان طائعين مذعنين، وطلع المتـوكل يـزعم أن ابنه قتل هناك، وخرج إلى باب صنعاء، فجهز عليهم الإمـام[6] التّوابع وناوشوهم إلى آخر النهار، وسقط فترامى الفريقين، ورجعوا بلادهم في الليل[٤] وفيها جاءت البشارات إلى الوزير علي فارع وأبلغهـا الحضـرة الإماميـة بالسرية الذين[7] جهزهم الوزير من أرحب، استولوا على حصن شبام المعقل الشامخ في حراز بعد تمنع واستمرار من فيه من البـاطنية ويـام، ومن اليوم الثالث وصلت الرؤوس منهم يحملها الأسـارى منهم، وكان محسن على شبام محبوساً في قصـر صنعاء فَطُلِبَ إلى باب الإمام ليعرفهم بأسماء الأسـارى ومعرفة الرؤوس؛ فجحـد وأنكـر أنه يعرف أحد فعـاد إلى محبسه ومـا أطلعوه إلاَّ في أيام المهدي، فلما رأى ذلك النقيب يحيى هادي الشايف أراد يتجمل مثل أرحب فعزم أخذ حصن العيان وكانوا الجميع مخالفين على الدولة وأكثرهم بقالين وأخذوا الحصن للإمام.

وفيها ولـي على بلاد يريـم الشيخ عبـدالله أحمد صـلاح جبار غشوم واليمن الأعلا الشيخ علي خشافة.

وفيها قبـض الشيخ علي سعيـد ناصر الحـاج على مشايخ قيفة وأودعهم سلاسل الحديد،

---

(١) هو الإمام أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد تولى سنة ١٠٨٧ وتوفي سنة ١٠٩٢ بالغراس قرب ذي مرمر.

(٢) خ مضامن

(٣) حزيز قرية جنوب صنعاء بنصف مرحلة «صفة جريرة العرب ١٥٣».

(٤) هو الوزير علي بن إسماعيل فارع ولي الوزارة للمتوكل أحمد سنة ١٢٢٤ ومكث في الوزارة إلى وفاته سنة ١٢٣٠ «نيل الوطر ج ٢ ص ١٢٧».

(٥) خ محاصرت.

(٦) خ (المام) وهذا يتكرر.

(٧) خ الذي.

وذلك بغية المتوكل لأنهم فاتوه حين وصل ديارهم. ه وأرسل الأمير فيروز عسكره لإحضار مشايخ قيفه وراحوا في رداع استراحوا ولما عزموا إلى صنعاء بهم تلقاهم جميع أهل قيفه ليخلصوهم[١] وصلوا إلى قاع فيد[٢] وبالحرب[٣] ناوشوهم فوقع قتلى من الفريقين ورجعوا إلى قيفة خائبين ووصل الأمير بهم إلى صنعاء إلى باب الإمام.

وفي هذه[٤] السنة وصلت الكتب الجوابات للإمام من الأبواب السلطانية صحبة[٥] من دخل بها الشيخ محمد عابد وكان السلطان عبد الحميد بن محمود والوزير بمصر محمد علي باشا، وقد أرسل إلى الإمام لهم بهدايا من العقيق سروج خيل وصياني[٦] ونفايس عظيمة، واستنجد السلطان بتخليص تهامة للإمام وأرسل السلطان للإمام بهدايا عجيبة ومعها فيل من أصغر أفياله، وكان يطلب مع الخيل ويدور به السايس في الأسواق.

وفي هذه السنة كملت عمايرة دار الذهب وهي[٧] من أحسن الأبنية وعقد[٨] السايلة وبه انحصر السيل وسط السايلة، وكان يمر الداخل من بئر العزب والخارج من فوقه، وكان على العمارة أحسن عبد الواسع العلفي.

وفي هذه السنة جهز السلطان الجنود المتكاثرة إلى الدرعية، ونصبوا حولها الخيام ورموها بالمدافع والمنجنيقات والعرادات[٩] ولم يؤثر فيها لحصانتها وعظم بنايتها، وحسن أساسها وهي في شعب عظيم، والجبال محيطة بالشعب واستمر الحصار والقتال سنين، ولما علم الأتراك أنه لا قوة لهم على أخذها عنوة بدا لهم أن يحفروا حفيرة على قوانين اخترعوها ثم جعلوا دبيا[١٠]تحت الأرض من جهة بعيدة حتى انتهوا في الحفر إلى تحت بيت سعود النجدي وحفروا تحت الدور جميعها حفائر في الأرض، ونقلوا التراب إلى خارج ووضعوا الباروت الكثير تحت الأرض، وملؤا الحفائر باروتَ وجعلوا في الدبيب باروتَ متصلَ إلى خارج الدبب حتى انتهى إلى خارج حتى انتهى إلى طرف الحفيرة ثم

---

(١) خ ليخلو موهم.
(٢) خ فيب.
(٣) خ بلحرب.
(٤) خ هاذه.
(٥) خ صحبت.
(٦) كؤوس وصحون من زجاج.
(٧) خ وهيه
(٨) هو القنطرة التي يمر عليها الناس.
(٩) جمع عرادة: آلة حربية.
(١٠) جمع دبب ممرات صغيرة تحفر تحت الأرض تستر المارة والمحاربين وبحوهم.

رفعوا الخيام ورحلوا، فظن أهل الدرعية أن قد كفّوا عن حصارهم وقد نَجّلوا ثم مَلّوا، ورجعوا إلى أوطانهم حيث لم يقفوا منهم على شيء ولا يعلموا أين توجهوا، فلم يشعروا إلا وقد قرح[1] الباروت من تحت الأرض بعد أن وضعت النار في طرف الدبيب ورفع ما فوقه من الدور والأرض، إلى عنان السماء والدور قائمة إلى عنان السماء [٥] ثم رفعت إلى الأرض منهدمة وقد هلك النجدي وأصحابه، وكان مسكن السلطان النجدي وأولاده ومن يلوذ به في وسط الدرعية منفرداً عن أهل المدينة، ثم رجعوا وكروا على الدّرعية ودخلوها عنوة، ولم يجدوا لابن السعود النجدي وعبيده أثراً كأن لم يكن، وفي رواية كان بمحل منفرد في المدينة في جانبها وأخذوه، وأدخلوه إلى السلطان بما يملك وبمن يلوذ به[2] وهذا عاقبة بغيه وتعديه على جميع المسلمين في الشّام واليمن والمشرق والمغرب، وأرعب العباد وملك أكثر النّواحي فسبحان الذي لا يفنى ملكه.

وفي هذه السنة توفي الوزير علي فارع، وزير المتوكل وقام بلوازم أمره ولده عثمان بن علي فارع.

وفيها وَجّه الإمام ولده الفخري[3] عاملاً على عمران وبلادها وكانت ولايته فيها خللاً ولكن الغالب على أهلها التعجرف.

ودخلت سنة ١٢٣٠ بخيرات عظيمة وأمطار غزيرة والأرض آمنة والنفوس مطمئنة والإمام يتنقل في المخارف والنزه من الروضة إلى الوادي إلى سناع إلى حدة.

وفي شهر رمضان ثارت علته وهي داء الجنب ثم إلى ثامن عشر شوال وتوفاه الله، ودفن في بستان المسك جنب قبر والده المنصور، وكلهم إلى جنب قبة المتوكل قاسم بن حسين.

وكان المتوكل يميل إلى ولده قاسم، وكانت مدة خلافته سبع سنين وأيام.

(ذكر الإمام المهدي عبدالله بن أحمد المتوكل بن المنصور علي بن المهدي عباس)[4]:

كانت دعوته ثامن عشر شهر شوال، يوم توفي والده دعا وعمره في ثلاث وعشرين سنة وقد كان المتوكل قد نص على قيام ولده قاسم بالخلافة، ولم تساعده الأيّام للقيام فنهض

---

(١) انفجر.

(٢) والرواية الأخيرة هي الصحيحة انظر حول هذا الموضوع تاريخ الجبرتي.

(٣) يعني عبد الله بن المتوكل أحمد وسيأتي.

(٤) بقية النسب معروف انظر اتحاف المهتدين ص ٩١ وفيه ترجمته.

لها الفخري[1] بهمة سامية، ودخل الدّار خفية على يد أحد خواصه، وحفظ الأدراك[2] وضبط الأمور قبل أن يعلم أحد بموت أبيه، وأشار إلى الوزير عثمان فارع، وإلى الشّريف علي بن ناجي الحسيني وإلى شيخ الإسلام محمد علي الشوكاني[3] فأما الوزير فقد أسَرَّ الخلاف، وأما غيره فأقبلوا سامعين مطيعين وأرسل لجميع آل الإمام والعلماء والأعيان للحضور للبيعة، وبايعوا وبعد تمامها خرج لدفن والده، ورجع إلى القصر السّعيد حسب القاعدة، وأرسل الكتب إلى جميع الأقطار، ووصلت البيعة من جميع النواحي والأمصار، ودخل على الناس السرور، وأخصبت الأرض وقابلت الناس السعادة واللحظات[٦] في المكاسب وأمنت السبلات[4] وصلحت النيات، وأخرجت الكنوز، ووصل خيره الأقارب والأباعد، ولم تزل أيام دولته تجدد بالّراحات وقيلت الأشعار، وأجزل العطايا والهبات، وفرّق بين الفقراء الصّدقات، وأقام الشريعة المحمدية وجلل الحكام وأكرمهم، وأعلا منازلهم، ورفع قدرهم ولم يزل في السعادة حتى غَيّر أحوال الحكام، فلم يتم له بعد ذلك مرام وسيأتي ذكر ذلك.

وفي شهر الحجة قسم الضّحايا[5] والصّلات، حتى وصلت عند جميع الناس خصوصاً المهاجرين[6] في منازل[7] المساجد في جميع مساجد صنعاء، وفي عيد الأضحى كسا جميع أصحاب الدّولة والحكام والفرسان والعسكر، وألبس الخيالة الدروع السابغات، وأركبهم الخيول الصّافنات، ولم يزل في ذلك اليوم مشفقّ على وزيره عثمان فارع وفي ذلك اليوم يلاطفه بالتحف ولين القول، حتى عجب الناس.

[إيقاع المهدي بعثمان فارع]:

وفي ليلة ثاني الغدير[8] أوقع بالوزير[9] عثمان فارع ومن يلوذ به من أقاربه وخدامه وجلسائه، وختم على أمواله حتى كمل الضّبط، ثم فتحت الخزائن إلى بيت المال،

---

(١) يعني عبد به عبد الله بن أحمد المذكور.
(٢) أماكن الحراسة.
(٣) علامة اليمن توفي سنة ١٢٥٠ (انظر ترجمته في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي).
(٤) أي صلحت السبل. وفي الأصل امتدت السبلات.
(٥) جمع أضحية وهي ذبائح العيد.
(٦) هم طلبة العلم المنقطعون له أو الذين جاؤا من أماكن بعيدة للدراسة.
(٧) جمع منزلة وهي غرف تبنى على أسطح المساجد للطلبة المنقطعين.
(٨) هي عادة استحدثها الإمام المتوكل على الله إسماعيل سنة ١٠٧٢ تخرج فيه الدولة بجيوشها. لاحياء ذكرى غدير خم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة
(٩) في الأصل وقع بلوزير.

وأخرجوا أموالاً عظيمـة لا تحصى من الـذهب والفضـة والملبـوس والشمع والعسـل، وغير ذلـك مما لا يسع حصـره من الفراش والنمارق والدواب وأبقاه في الترسيم وهذه بشاشت[1] القول (شعر):

أن الــوزارة لا تـدوم لــواحـد إن كنت تنكر ذا فـأين الأول

وعقد الوزارة للفقيه أحسن عثمان العلفي الذي أوقع به والده، وكـذلك أوقع بالفقيه حسين[2] بن عبد الواسع وكـان وزيراً[3] مع المتوكـل على الحيمة، وعينت عايه أموالاً وسلمها وأقـام مقامـه محمـد بن علي بن عبد الواسع، وجعـل على العكفة[4] الفقيه حسين بن محمد حنش وكان المدبر لشأنهم الفقيه قاسم بن علي العفـاري الكاتب على دواوين بيت المال، وقد وقف على أموال عندهم واسعة وقبض ما لـديهم، فلو قيل أنها تحْصـر لعجز عن حصـرها الحاصر، ثم أراد التجهّز على عمران وقبض على الشـريف ناجي الجـوفي، وهو كبير العسكـر، وعلى الأمير ريحان وهـو أمير الخيـالة، وعلى أميـر القصر وأبلدهما بغيرهما، وبقي الشريف أيّاماً وأطلقـه ووجهه عاملاً على بندر المخـا، فتوهم أنه سيقبض عليه هناك فهرب إلى ذهبان، وأظهـر الخلاف وتبعه عاقل الخدم أحمد علي الجـوفي وأولاده، وتحصـن في ذهبان، فقـدم الأجناد، خرجت من صنعاء ليلاً، وأحـاطوا بذهبان من جميع الجهات، واستمـر الحصـار حتى أخذوا الحصن وهرب الشّريف وأدخلوا الباقي إلى باب الإمـام إلى دار الصافية، وأمر بأحمد علي الجوفي أن يضرب فضـرب ضرباً مبرحـاً حتى مات، وبقي الجند في ذهبان حتى يـأذن لهـم بالتوجّه إلى جَنَّات عمران، وهذا في أوائـل سنة ١٢٣٢، وكـان أمير الأجنـاد واسـطة العكفـة الفقيـه حسين حنش، فوجد الإمـام عليه ما أغضبه، فقبض عليـه ونفذت القـواد والعسكـر وفي قلبه على أهل عمران [٧] من أيام السيادة فنفذت وأحاطوا بالجنات، وكان الإمام في وادي ظهر، فوصلت الكتب فـراح من حينه وبات في بيت الضّلعي، وأخربه، ونفذ الجَنَّات ونقل إلى حمده، وثارت الحروب، وقد كان عندهم عساكر من حـاشد، فلم ينفعهـم ذلك من السطـوة من سيـدي المالك وأخرب كثيراً من معاقلهم وحصّن القفيلي، ورجع عمران وأذاقهـم وبـال العصيان وقبض [على] عقالهم ومشايخهم، وأخرب دورهم، وشدوا[5] أحجارهـا إلى صنعاء وعمر بهـا بستان المتوكـل، وسميت دار الجنات، وأطاعوا وأوجفت الجهـة القبلية إلى صعدة، وشـرط

---

(١) كذا في الأصل ولعله «اشهد».

(٢) في الأصل ضرب المؤلف على هذا الاسم وكتب بدله على

(٣) في الأصل معا.

(٤) هم حرس الإمام. أو الجند المكلفون بالحراسة.

(٥) أي شدوها أحمالاً إلى صنعاء.

عليهم الوفاء بالواجبات[1] وشِدَاد[2] التبن إلى صنعاء للخيل، وهو الموجب لخروجه لأنهم[3] منعوا من شداد العلف أنفت نفوسهم، فأراهم ما في نفسه عوضاً لما رامت نفوسهم، ورجع مؤيداً منصوراً، ولما وصل صنعاء ضرب أعناق أهل قيفة الذين قبضوا في أيام المتوكل، فأذعنت الأرض ومن عليها لأنهم[4] جماعة كثير.

وفيها أخرج كنزاً من عصر، وكنزاً من المرمر من رأس نقيل[5] عصر، وشدوه إلى صنعاء والبقية أخذوها الناس، وباعوها بأغلاء القيم كونه مما أخرجه الإمام وفرق الطرف وأمر بالصدقات، وجعلها بنظر سيدي الفخري عبد الله بن أحمد المهدي، والصدقات بنظر الحاج عبد الله عصيد، أكثرها في طلبة العلم الشريف المساكين وأهل الحاجات.

وشرع[6] في عمارة القبة الخارجية، وقد كان أراد دخولها إلى بستان المتوكل، وحط فيها أموالاً جزيلة حتى كملت ظاهرها، وفراشها من أفخر المفارش الرومية وأجرى على المقيمين الجرايات الفاضلة وقد خربت الآن.

وفي هذه السنة وجه[7] بالفيل إلى الباشا محمد علي، وأصحبه هدية سنية، واعتذر من الفيل لحقارة أرض اليمن، وأشار إلى الباشا من استيلاء الشريف حمود على تهامة هو وولده أحمد.

وفي هذه السنة قبض على الوزير قاسم العفاري، وقد استوزره بعد أحسن عثمان.

وفي سنة ١٢٣٢:

وفيها غزا الشريف علي ناجي بقوم من أرحب إلى شعوب، وأرسل الإمام الغارة وتناوش الحرب ورجعوا بلادهم، وتجهز الإمام بالمخرج على أرحب، ووصلوا إلى بيت غانم ابن مهدي، وتخالط الجند المهدوي وأرحب، ووقع من الفريقين نحو مئة

---

(١) الأصل: بلواجبات.
(٢) أي شده على ظهور الجمال ونحوها.
(٣) في الأصل: لانهم.
(٤) في الأصل لا انهم.
(٥) هي العقبة الكبيرة. وفي تاج العروس ١٤٥/٨ كل طريق في الجبل نقيل يمانية.
(٦) شرَع في عامية صنعاء وهي بمعنى شرع الفصحى أي ابتدأ في الشيء.
(٧) في الأصل وجهه. وانظر رسالة الامام إلى المذكور في ذكريات الشوكاني ص ١٦٤.

قتيل واصطلحوا ورجع الإمام [إلى] صنعاء، وفي شوال وقعت الفتنة بين أشراف تهامة الشريف حسن بن خالد[1] والشريف علي بن حيدر[2] واستغاث بأمراء الأتراك الذين في بلاد عسير، ولكنهم كانوا مشغولين ببقية أمراء عسير منهم الحرة غالية[3] امرأة من الدرعية، كانت كاملة شاجعة من أهل السياسة، أطاعها الناس، وملكت الطائف وما حوله وأراضٍ أخرى، فحاصرها الجنود السلطانية حتى غلبوها، وفرقوا عسكرها وملكوا حصونها، ورجعوا إلى مكة وقت الحج.

وفيها عزل عن الوزارة السيد إسماعيل الأمير، ووزيره قاسم بن علي العفاري، وكانت أفعال العفاري كأفعال المجنون، إلا أنه له صولة في الأمر كصولة[4] الحجاج مع[5] هشام بن عبد الملك.

وبعد تمام أمر غالية المرأة النجدية، خرجت الأتراك وأجابوا أشراف تهامة يريدوها لنفوسهم، وخرج الشريف حمود للقاء الأتراك، لأنهم خرجوا عليه مع إجابة علي بن حيدر[6] ووقع قتلات بين الشريف حمود والأتراك، وكانت اليد والغلبة للشريف على الأتراك، وانهزموا واستولى على ما في مطارحهم جميعه، ورجع إلى أبي عريش، وتوفي، قيل أصيب برصاصة وقيل مات من الله.

ودخلت سنة ١٢٣٣:

[أخذ يام لزبيد]:

خرج البغاة المكارمة[7] ويام على تهامة بجيش كبير وانتهوا [إلى] مدينة زبيد

---

(١) هو الشريف حسن بن خالد بن عر الدبن الحازمي التهامي ولد في ضمد سنة ١١٨٨ وتولى حكم منطقته وكان من المشتغلين بالعلم توفي سنة ١٢٣٤ (انظر نيل الوطر ج ١ ص ٣٢٣)

(٢) هو علي بن حيدر بن محمد بن خيرات ولد سنة ١١٨٢ وناجز عمه الشريف حمود توفي سنة ١٢٥٤ (انظر نيل الوطر ج ٢ ص ١٣٤).

(٣) غالية هي امرأة من عرب البقوم من بادية الحجاز اشتهرت بالشجاعة في حرب الأتراك (انظر ترجمتها في الأعلام ج ٥ ص ٢٠٥).

(٤) خ كصولت.

(٥) خ معا.

(٦) ضرب المؤلف على هذا الإسم فيفهم.

(٧) هم طائفة من الاسماعيلية كذا عرفوا في اليمن بهذا الإسم لعله نسبة إلى المكرم الصليحي زوج الحرة الصليحية.

واستولوا[1] عليها، وأخذوا جميع ما فيها، وفي دورها وأسواقها وجوامعها، وقتلوا النفوس وسبوا المحصنات من النساء وطغوا وبغوا وتعدوا لا رحمهم الله وأخزاهم وأقماهم.

وفيها أي السنة [المذكورة] خرج الإمام على كوكبان بإلقاء[2] الوزيران[3]، وأقام في شبام، وطلع القوم إلى الضلاع، ورموه بالمدافع نحو ثمانية عشر يوماً، فظهر له أنه لم يكن عندهم سبب يوجب ذلك فصالحهم.

[هدار بكيل]:

وفي أول تلك السنة المذكورة، خرج من بكيل جمع عظيم وجنود لا تحصر، ووصلوا خارج الروضة يريدون أخذ صنعاء عنوة، فراسلهم الوزير، ولّين لهم القول ووعدهم بما ترضى به نفوسهم، ودخلوا صنعاء، فأوفى لهم بما وعدهم وزيادة، وأجرى لهم الكفايات الفاضلات، ووعدهم بالمعاش، فلما شبعوا وذبحوا الكباش داخلهم أشعب[4]: أن الإمام والوزير خائف منهم، وأن ما فعلهم ذلك إلا تقية، وأن لولاهم «ما على الدنيا حي» وأن بيدهم الحل والعقد، وقد كان صحبتهم ذو حسين في نواحي باب شعوب ومعَمّر، وذو محمد بنواحي السايلة وسمره[5] ونواحيها، وقد دخلوا بجمع كبير من الإبل والخيل الكثير، وقد شدّوا على أرسانهم تهامة لفتحها من يد الأشراف.

هذا وقد زَهِدَ[6] الإمام أنهم متغلبين وطالبين المحال فرتب عليهم في البراري من كل جهة. وادي ظهر والروضة ونُوَب[7] المدينة وأدراكها حتى ضيق عليهم الوزير بَقّاهم[8] في المدينة لا يخرجوا من باب وحبسهم في المدينة، وعقد الوزير أن الإمام سيخرج بهم إلى خولان والحدا، فكتبوا إلى الإمام يزلجهم[9] ويسلم حقوقهم،

---

(١) كذا لعل صوابه انتهبوا.
(٢) أي بإشارة.
(٣) كذا في الأصل صوابه بالإضافة.
(٤) أي الطمع نسبة إلى أشعب معروف.
(٥) حارة من صنعاء.
(٦) أدرك أو ظهر له.
(٧) جمع نوبة مبنى حربي على شكل مدور يتخذ من الطين على شكل أسطواني للحماية والدفاع (صفحات مجهولة ص٤٢).
(٨) أي خلّاهم.
(٩) يرسلهم زلجة أرسله أو بعثه وهنا بمعنى يعطيهم نفقتهم.

فسلم لهم جانباً ووعدهم، فلم يسعدوا بل طمعت نفوسهم، فحبس الوزير كبارهم في قصر غمدان، فثارت حفائظهم وساعدتهم عقولهم، حتى زعموا أنهم سيخرجوا عقالهم قسراً ويستملكوا صنعا قهراً.

ويوم الثلوث ثامن عشر ربيع أول أمر الإمام بتأمينهم، وصاح الصايح بأمانهم، وقد كان هَمّ بالفتك بهم، فرأى مداراتهم وأمنهم، وطلب الإمام أحسن عثمان يتوسط، فاعتذر أحسن عثمان، وقد تجمّعوا إلى مطارحهم للشر، فأمر بهدرهم وصاح بهم صايح الهدار ونعق فيهم غراب البين بالدمار (فهبطت عليهم غوغا) المدينة فلزم بعضهم البيوت، وبعضهم استتروا عند من يعرفونه، ومن كان لا يجد ملجأ دخل الكنيف - يعني النقب جمع أكناف وجمع أنقاب - وقد رتب الإمام الصوامع[1] والسماسر[2] والدور الكبار وأركسهم الله، وقذف في قلوبهم الرعب، حتى أخذت من أسلحتهم وأمتعتهم وخيلهم وجمالهم، وهدمت بعض بيوتهم، ورموهم بالمدافع إلى سمسرة (وألذ هم)[3] الله، وإلا فهم الذين لا يقاومهم أحد من القبائل، وحمى الله صنعاء وبركتها تقلب الأسود أثعل[4]، وحق على الله ما رفع شيئاً إلا وضعه، وكان عليهم يوماً عبوساً، حل بهم من البؤس، ولم يزل فيهم النّهب والقتل إلى أن غابت الشمس، وأبواب المدينة مغلقة، وأهل صنعاء في خوف ووجل يتضرّعون إلى الله، وفرّج الله من البغاة وعلى أهل الصلاة وقد هَمّوا البغاة بفلس[5] الداثر[6] وخروجهم بخيلهم وجمالهم فلم يمكنهم من الذلة، ؛ وتساقطوا من أعلا الدوائر كالذباب، وقد كان انتبهوا من البيوت فراشٍ ونحاسٍ وأثاث وتركوا [ ] الجميع من ذلك مع ما تركوه من أموالهم وما جمعوه من الدولة والقراش[7] حقهم وهربوا من أعلا السور، والذي لم يمكنهم العبور من السور تشكّلوا بأشكال اليهود، وخرجوا في اليوم الثاني، وآخرين تشكلوا بأشكال النساء، وخرجوا مستترين ومن وجدوه بغتة أودعوه الحبس، فصَحُّوا[8] المحبوسين ثلاثمائة رجل، وقبض الوزير من النّاس الخيل والجمال وفرقها في الحواز[9] عند الرعايا، وما هي بأعز من الرجال، وكان اجتماع القبائل في بوسان عند

(١) الصوامع المآذن.

(٢) السماسر جمع سمسرة وهي محل واسع يستوعب البضاعة ونحوها. انظر زيد الوزير جواهر الدر المكنون ٥٢٧

(٣) كلمة مبهمة في المخطوطة ولعلها وأذلهم الله.

(٤) أي ثعالب. وثعالة أنثى الثعلب.

(٥) نقض

(٦) أي دائر صنعاء: سورها ويطلق الداثر أيضاً في عامية صنعاء على المفتاح لدورانه

(٧) يعني حيواناتهم الداجنة.

(٨) أي فصحّ حقيقة عددهم «صَحّ بمعنى تحقق أو تأكد».

(٩) حواز صنعاء القرى المحيطة بها.

القاضي عبد الله العكام، فعول عليهم وأغراهم، وعزموا البلاد يشاوروا إخوانهم، وكتب الإمام يستشفع في المحبوسين وقراشهم، فلم يقبل جاهه، ولما وصلوا إلى بلادهم أضرموا النيران بالنكف في المشارق وفي جميع الجبال والشواهق، فأجابهم كل باغٍ وناعق «. . .» وعقد شورهم إلى جماد[1] والوزير قاسم العفاري يرعد ويبرق، ويتبجح على من في السجن المحبوسين ويضيق عليهم بقدر عقله، على ما ذكرت لك أول أنه مجنون، ولما علم بنهوضهم جمع الإمام قبائل من نهم وخولان وغيرهم خوفاً من الكرة، وخرج إلى الغراس للطيافة[2] وزيارة جده الإمام المهدي أحمد[3] بن الحسن ورجع إلى أن وصل إلى اجراف قبلي صنعاء، وأرسل خَيَّالٌ بعد خيال أمرهم بإنزال النقيب علي بن عبد الله الشايف من الحبس إلى بستان المتوكل، ولما دخل الإمام الشقاديف القبلي، وقد الشايف في الميدان أمر بضرب عنقه، فضرب في الحال ضربة واحدة فارق الحياة «. . .»، وصلب ثلاثة أيام ثم أمر بدفنه بين الخندق القبلي وباب شعوب، بالقرب من مضحا العذرة وبين البانيان، وخاف الناس العواقب، وقامت حفايظ الشوَّف[4] فوق ما قد فيها، وفي جميع بكيل وازدادت حمية الجاهلية وآلوا على نفوسهم الأخذ بالثأر ليدفعوا عَمَّا بِهِمْ من العار، وأجابتهم واثلة وحاشد[5] والعمالسة[5] والمرانات[5] وسفيان[5] ووادعة[5] وأرحب[5] والبدو أهل التراب الأحمر، ولما علم الإمام بتجهيزهم واجتماعهم للخروج عليه أمر الوزير يطلب الأجناد لقتالهم، فلم يزل قاسم الغفاري يجمع من الفاف الناس الذي لا يرجى منهم منفعة ولا يجدون لأنفسهم شجاعة ولا نفعة لاستعظام نفسه، وزعمه أنه سيدفع القوم بَجبروته، والإمام يعرف إن ضُرّ الوزير أكثر من نفعه، وكل من دخل عند الإمام لا يذكر الوزير إلا بعلو همته وسطوته وجبروته خوفاً من شره، وإلا فما هو إلا مجنون.

وفي شهر جماد خرجت القبائل كالجراد من كل فج عميق وقد أَمَّروا عليهم النقيب حسين بن عبد الله بن عايض الشايف، ولا زال ينشدهم الأشعار والهواتف، والقبائل يعتقدون أنه يتلوا عليهم قرآناً لجهلهم، وقد كان أجمعوا على دخولهم القصر

---

(١) أي إلى شهر جمادي.

(٢) للطواف المفاقدة.

(٣) هو الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد ولد سنة ١٠٢٩ وقام بالإمامة سنة ١٠٨٧ وتوفي بالغراس بالقرب من حصن ذي مرمر سنة ١٠٩٢.

(٤) جمع شايف وهم جماعة علي بن عبد الله الشايف المذكور.

(٥) هم قبائل اليمن.

لأجـل إخـراج المحـابيس، ولمـا علموا بترتـيب القـصر دخـلوا بئر العـزب، ولم يرتبهـا وزير السوء، وقد جـاءته الأخـبار أن عينهـم عليها، وكـانت في تـلك الفترة جنة من الجـنان، وقد اجـتمع فيهـا خيـار السكان من العلماء والظرفـاء والحكماء [ ] والحـكام ودارت في حـافاتها الغيد الحـسان، وخـطر في رياضهـا الحور والولدان، وغردت في دوحـاتها الحـمام، وسجعـت الأطيار في أوايكهـا والبشام، أنهـارها جـارية وثمارهـا دانـية من سكنهـا ذهبت عنه الهـموم وداخـله الروح ونـال مـا يـروم ما يعرف المصنـف ولا رأى مثيلهـا في الأمصـار، مع اختباري لكـثير من الأقـطار، حـتى تناولها البلا وذهـب السَّلا، وقلعـت الأشجـار، وحـلت البوم في الأوكـار، فانقلبت المحـاسن بعكسهـا ودبر للقبائل العكـام أن المرافع[1] حـقهم تـمضي من جـنب صنعاء ألى جهـة العـدن، يوهـمون أنهـم نازلون اليـمن، فاطمأن النَّاس إلى الثـلث الأخـير[2] ودخـلوا بـئر العزب وبـدؤوا بقـاع اليهود، واليهود ليلة عيدهـم ساكرون[3] فأخذوا جـميع ما وجـدوا، ورجعـوا بئر العـزب كأنهـم الجـراد المنتشر لا يعرفون بعضهـم فضربوا أبـواب البيوت بالفيسان[4] حـتى كسرت، وصـاح الكـفار بالأرامـل والأطفال ليلة النِّصـف من جـماد، ليلة يشيب فيهـا الوليد وينفزع من فزعها البطل الصنديـد، نسأل الله[5] السلامـة، فما أرحـم صياح الهاربين إلى باب صنعاء، وهـم من النوم صرعى، فمنهـم الهارب بما يستر عورته، ومنهم من هو بعورته، ومنهم من ترك أمـه وأبيه، ومنه من لم ينج إلاَّ بنفسه، وكـم من هيفا وثـب عليها البدوان وكم من عـذراء افتضها أهـل الطغيان وكـم من غيدا حـسان فقـدت في ذلك الأوان، ولمـا أسفر النهـار بضيائه، وحـسر الليل عن ظلماته، وقد توغّل القـوم في المحـل، وقبضـوا أدراكها، وبـلغت الرِّصـاص إلى بـاب السُّبحـة، واستعجـلوا الدُّولة الرتـب الـذي رتبها الوزير في المحـلات التي لا تحتـاج، فـدخل الفشل في قـلوب بـكيل، وكـاد كـل قلب يـميل فـلو خرج الإمام إلى باب شرارة، لسبقته الجـنود الكرارة، وكـان ما يرو من البغاة إلا الفرار، ولكن لعله قـضا كوكـبان لاح عاجـلاً وبـان، ومـا أمـكن القبائل تـلك الليلة أن يدخـلوا داراً من دور الدولة خـشية من خـروجه عليهم والصولة ولـما في قلوبهـم من سطوته، ولقد أخـبرني غير واحـد ممن دخـل بئر العزب من البغاة أنهـم خـلوا[6] قراشهـم

---

(١) هـي طبول تضرب في الأغراض الحربية وغيرها.

(٢) أي من الليل.

(٣) أي سكارى.

(٤) جـمع فاس معروف.

(٥) خ تـسل.

(٦) تركـوا.

الجميع خيل وبغال وحمير وجمال قائمة مشدودة في طين قاع اليهود[1] من عند دخولهم إلى غروب الشمس يوم ثاني، خوفاً من خروج المهدي بالجنود، ولما سمعوا القحم[2] ينهم[3] في البستان، قالوا لبعضهم: اسمعوا نهيم القحم عند الإمام في البستان، فأجابوا عقالهم وقالوا: القحم في رأس الدار مسرّج[4] في مكانه نحو أربعين شمعة، ويرميهم من مكانه ولا ييتأس والرِّصاص إلى عنده كالبرد، ولكنه إذانزل القدر عمى البصر وانتهبوا منها ما لا يحصره حاصر، من اللؤلؤ والمرجان والأحجار النَّفيسة والذهب والفضة والفراش الرُّومية والعطب[5] والحرير والحلي والملابس المختلفة والجيخان[6] الفائقة واستخدموا ممن قبض [١٠] عليه عندهم من العبيد والأحرار، والثِّيبان[7] والأبكار، فيا حياهم من الملك الجبار، ووزير السوء أنزل من في الحبوس إلى تحت طاقة المهدي، وصلبهم هناك وأمر بإحضار السِّيَب[8] والقصابين، وكل منهم شاهر مديته في يده منتظرين وقوع الذّبح كما تذبح المواشي، فاصفرت الألوان، وأعجمت الألسن، فدخل بعض العقلاء على الإمام وأشار برجوعهم الحبس، وقال: (حنانيك بعض الشر أهون من بعض)[9] لأن عند البغاة أسارى من سادة النَّاس وعلمائهم وحكامهم، كون القليل منهم لا يقاوم أضعاف من في الحبس، وقتل من البغاة خلق كثير، ولكن مع كثرتهم لم يؤثر القتل فيهم، وكان أهل البوادي القريبة يشترون من القبائل كل شيء بأبخس ثمن، حتى أن البدو باعوا لؤلؤة عجماً بمدفون ذرة، وأخبرني من أثق به من أهل الطريقة وأنا منه على يقين.

[[10] وأنا أخبرني الثقة بما أخبر المصنف وذكر وصحت[11] خبرين متواترين من ثقتين[12]] أن القبائل أخرجوا كنوزاً لا يعلمها أحداً من أهل بئر العزب ولا آبائهم،

---

(١) هي المعروفة الآن بقاع العلفي.

(٢) اسم رجل.

(٣) يصوت بصوت مفزع.

(٤) سرج السراج أشعله.

(٥) هو القطن. قال في القاموس ٣٨٧/١ العطب بالضم القطن.

(٦) جمع جوخ. (وهو من الملابس واسع الأكمام يلبسه العلماء.

(٧) جمع ثيب معروف.

(٨) أعواد يعلق عليها الجزار ذبيحته.

(٩) من شعر لطرفة أوله:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا   حنانيك بعض الشر أهون من بعض

(١٠) من هامش المخطوطة وهو من زيادات صاحب المذكرات علي الحرازي مؤلف الأصل.

(١١) وصح أي ثَبَتَ وتحقق.

(١٢) زاد في الهامش أيضاً «ممن يحفر الكنوز المَدّفونة من قديم الزمان وأما المخبرين فهم من أصحاب الدولة البوابين حسين بن محمد الزّكري».

ولا جدودهـم، لأنه بقي فيها لا دخـل صنعاءولا خرج البادية لأنـه صوفي بأداة خـلقه فكان من لقيه من البغاة يـظن أنه جـاء قاصداً لهـم أو يعطوه شيئاً ولـم أكل شيئاً مـده بـقاء البغاة إلا الشـمر وكـان يـدور ليلاً ونهـاراً فـوجد ما ذكـر ولولا أنـه استحـلفني ألا أخـبر أحـداً باسمه لـذكرته.

وأما نهـم وخولان فأخـذ من الدور ما قـدروا عليه، وأرسلوه إلى بـلادهـم مع قربهـا وأما بكيل والمتعدين فـلم يأخذـوا إلا ما خـف حمله وغلى ثـمنه لبعدهـم وغيرهـم أخـذ كـل شيء حـتى الطاقات والأبـواب، ومـا أظن وقعت مثـل هذه في سالف الأزمـان في هذه الديار.

[قتـلى بئر العـزب]:

وممـن قتل شهيداً من أهـل الحـل والعقد وأصحاب الدُّولة مثل القاضي محمد بن يحيى السحـولي والسيد يحـيى بن محـمد حـطبة عامـل الوقف وسيدي قاسم الصادق بن المنصور حسين وغيرهـم. وكـان فيهـا من العلماء خـمسين عالماً، واثنا عشر قاضياً وأمـا الصالحين والضعفـاء فمما لا يحـصى ولا يعـد.

وبعـد هذه أوقـع الإمـام بالوزيـر العفاري لـطول التّجـاري وعـدم النظر في العواقب، وفعل[1] مقـامه علي مصطفى[2] والفقيـه حـسين بن محـمد حنش يسعيان في خـروج المحـابيس، وخـروج من في بـئر العزب، وعضدهـما القاضي محـمد بن علي الشوكـاني، وقد كـان كتـب القبائل قبل وصولهـم إنهـم يـطلقوا محـابيسهـم، ومـا بقي من خـيلهم وأمتعتهـم، ويصـالحوا الدولة، فأجـاب العفاري بـما يشفي غليله وصـار في عـمله وتَمَّمُوْا[3] ذلك الصـلح، وفرج الله على المسلمـين، وفرّ البغاة وقد معهـم بعض الجواري والحرائر إلى بـلادهـم، وقد كان الوزير يـسلم لخـولان وغيرهم بنادق وأسلحـة ودراهـم من بيت المـال، حـتى أثّر النقص فيه تأثيراً ظاهـراً، ولبثوا في بئر العزب ثمانيـة عشر يوماً عدد ظـلم أهل كوكـبان[4]، وأمـا مـا أخـذه البغـاة فقـدر مـائة لك[5] وزيـادة، وكـان مـا أخـذوه سبَباً لهـلاكهـم وهـلاك مـا قِدْ جـمعوه من قـديم الزمـان، ومـا دارت مـدة يسيرة إلاّ وقد

---

(١) جعل.

(٢) الكلمة في المخـطوطة مصفر معقر.

(٣) اكمـلوا. يقـال تـمم على الكـلام: أي أكمـله وأنهـاه

(٤) إشـارة إلى خـروج الإمـام على كوكـبان فيمـا سبق من حـوادث هذه السنـة.

(٥) اللّك عند أهـل الحـساب يقدر بعـشرة ملايين وعند الهـنود مـائة ألف والله أعـلم.

ذهب الأول والآخر فإني وفدت في أيام سياحتي بعد الوقعة بمدة يسيرة [١١] إلى بلادهم وتطلعت للسُّؤال عما في أيديهم، فذكر كل منهم قصة عظيمة لذهاب ما في يده، وذكر لي كل منهم أشياء عظيمة كانت بيده فنفذت، ولم أجد من آثارها شيئاً في أسرع وقت، ولولا إني درت تلك البلدان جميعها بنفسي، وسمعت منهم ذلك بأذني ما صَدّقت، لأن المأخوذ من بئر العزب يكفي ولد الولد، فقامت لهم قتول[1] فيما بينهم وشدة قحط وغلا وذهبت النفوس بعد الأثاث فكل شيء هالك إلا وجهه، وكان خروجهم ثالث شهر رجب سنة ١٢٣٣ وأصلح الله سبحانه للناس الثِّمار وتتابعت الأمطار واتصل الصيف بالخريف.

ودخلت سنة ١٢٣٤:

ففي المحرم جاءت الأخبار مع الحجّاج بتجهيز محمد علي باشا بأمر السلطان بعصائب من الأتراك على تهامة، وتفويض خليل[2] باشا على الأشراف حق تهامة، وهذا جواب على الكتب السَّابقة من المتوكل أحمد والمهدي، وما أرسلوا به من الهدايا والتحف، كما تقدم ذكره، وقد كان الشَّريف أحمد حمود استعد لقتالهم، وجمع عساكر عظيمة وخيل كثير، وقد هَوَّلوا بالمدافع والزربنطانات[3] لكن الباشا كيس لبيب كاتب الشريف وحَسَّن له العبارة، حتى سلم البلاد والبنادر والمدن، ووصل إليهم فعظموه وأكرموه واستخدموا له، حتى ظن صدق ذلك ولا يعلم بغوائلهم، كما علم أبوه وغلطتهم حتى قبضوا البنادر جميع مدن ورتبوها ما عدا حيس والمخا فإنه في يد الدولة والأتراك الخارجون مأمورون بقبض البلاد من يد الشَّريف وتسليمها إلى أيدي الدولة القاسمية ويسلمون غراماتهم، وبعد ذلك قبضوا على الشريف أحمد حمود قبض دولة، وهو مجلل مكرم يخرج ويدخل ويركب ولكنه معهم لا يفارقهم ولا يقدر يفلت وأدخلوه إلى الأبواب السلطانية دَخلة لا يرجى لها رجعة، ولا يسكن لأهليه عليه دمعة، فلا قوة إلا بالله، وكتب الباشا إلى الحضرة المهدوية بما أمره به السّلطان وما صنع وأرسل جماعة من أصحابه إلى الإمام المهدي، فضربت البشائر في صنعاء أياماً، وأجمع رأي أصحاب الإمام على إرسال الوالد القاضي العلامة محمد بن أحمد الحرازي[4] وقاسم أبا صيد الحضرمي،

---

(١) جمع قتلى.

(٢) انظر خبر وصوله إلى اليمن في تاريخ المخلاف السليماني ص ٥٤٤ ط أولى.

(٣) نوع من البنادق.

(٤) هو الفقيه محمد بن أحمد بن محمد الحرازي ولد سنة ١١٩٤ بصنعاء وأرسل إلى الباشا خليل كما هو مذكور توفي سنة ١٢٤٥ (انظر ترجمته في نيل اوطر ج ٢ ص ٢٣٣).

والفقيه محمد بن عبد الله الغشم وآخرون أصحبهم بثلاث نجائب من الخيل الجياد للباشا، وهدايا سنية وتوجهوا قاصدين تهامة، ولما وصلوا تهامة تلقّاهم الباشا خليل بما يحق لهم، وصرفهم لدى الحاج يوسف آغا وهو من البطارقة[1] خابراً بأهل اليمن، وعقدوا الصلح بينهم وبين خليل باشا على أموال معينة وشيء معلوم من البن في كل سنة، ورجعوا[2] المرسلون وصحبهم الحاج يوسف آغا إلى صنعاء المحمية، وتلقاه الإمام بما لا يؤمّله من الإكرام، وصرفه في دار في بئر العزب، وأرسل فيها جميع ما يحتاج مقيمها ويريح ساكنها، وألبسه الخلع السنية وأضافه، والذين وصلوا معه وبقي أياماً واستطاب صنعاء، وشكر أهلها، ورجع إلى الباشا خليل ولسانه رطبة بالثّناء وسلموا إليه أموالاً، ورجع إلى صنعاء بالأمر بنزول العمال للمخلاف السليماني والترب للفريض[3] والبنادر وجهّزهم الإمام وكل عامل استولى على المحل الذي أهله به، واشترى الحاج يوسف من صنعاء من محاسنها ومن النفائس التي لا توجد إلّا فيها، وتبالغت الحمير في أثمانها حتى بلغ كل حمار مئة قرش حجر، لأنه ما اشترى إلّا الكبار المجدة في السير، وسلم لهما الإمام ما طابت [١٢] به نفوسهم ورجعوا محملين إلى بيوتهم، وتوجهت خراجاتها وعشور فريضها إلى دولة صنعاء، وكانت الأجناد السلطانية مع طول المقام في تهامة قد طغوا وبغوا وفسقوا، وارتكبوا المحرمات، وسلكوا غير طريق الجنات، كما أخبرني من وصل إليهم من التُّجار، حتى أخبر بعضهم أنهم لا يجدون ذا فرج إلّا وطئوها، وأنه شاهد جماعة من الأرنؤط طلبوا امرأة فلم يجدوها، فوثبوا على بهيمة وحفروا لها في الأرض، وأنزلوها وما بقي منها ظاهر إلّا رأسها وظهرها وفرجها، والباقي منها في الحفيرة ردوا عليه التراب، وكانوا يطأوا واحداً بعد واحد، فبهت الرجل وخاف على نفسه، وكتم أهل تهامة منهم نسائهم وأولادهم، وحلُّوا رحالهم من أوطانهم خوفاً على أهلهم وولدانهم.

[قتل حسن خالد]:

ومع رجوع خليل باشا كانت طريقة على ضمد، ووقع بينه وبين الشّريف حسن[4] خالد وقعات آل الأمر فيها إلى قتل حسن بن خالد، واستولى الأتراك على ضمد ورحلوا إلى جدة ومكة.

---

(١) جمع بطريق وهو القائد من قواد الروم معرب من اللاتينية ويطلق البطريق على رئيس رؤساء الأساقفة عند النصارى.

(٢) كذا على لغة أكلوني البراغيث ويكثر مثل هذا عند المؤلف فلا حاجة إلى التنبيه إليه.

(٣) جمع فرضة وهي محط السفن

(٤) انظر في هذا كتاب محمد علي وشبه جزيرة العرب ٤٨

ودخلت سنة ١٢٣٥:

وفيها: خرجت قبائل بكيل على صنعاء وطرحت خمسة مطارح عليها، وظهرت الجراد، وكثرت وأكلت الزرائع حق جميع البلاد في يوم واحد، ولما حصل الحصاد ارتفعت المطارح حق بكيل، وانتشرت الجراد يوم الثلوث في صفر، حتى ملأت الأرض وانتشر الجوع والقحط والغلاء، نعوذ بالله، وفي المغارب وريمة ووصاب واليمن أشدّ وأعظم، وارتحل أهل تلك الجهات من أوطانهم إلى جهة صنعاء، واستوطنوها تلك السنة، ولهذا ترى أكثر من في صنعاء الآن يتداعو الذماري اليمني الريمي اليريمي وكان تاريخ تلك السنة (دَوِّر[1] غداك).

وقبائل خولان في الشرزة، ونهم وأرحب في صنعاء رتب، من باطل بكيل، وبعد أصلحوهم وسلموا لهم أموالاً جليلة.

وفيها: تُوَيْزَرَ[2] السيد أحسن بن إبراهيم الكبسي.

وفيها: جاءت الأخبار بقيام السُّلطان سليمان بن محمد بن عبد الله بن قتادة[3] وهو شريف من آل قتادة، وانقضت دولة ملوك الغرب السادة آل الإدريسي بقيام هذا السلطان، وكان ابتداء دولتهم من سنة ١٠٣٠ ومدة ملكهم مئتين وخمس سنين.

وفي تلك السنة: كتب إلى المهدي عامل المخا بأن الفرنجي[4] لعنه الله خالف وهرب من البندر مغاضباً بسبب منع العامل له من نشر بيرقه[5] في البندر حسب عادته، وكان هو تاجراً في البندر ويسلم خراجً من جملة التجار، وأقام في البحر أياماً حتى وصل إليه المدد من الولاية، وخرج منهم شرذمة ومدافع كبيرة ورموا بندر المخا وأخربوا دوراً كثيرة. وآل الأمر إلى المصالحة على رجوعه على عادته وينشر بيرقه ووضعُوا عليه أموالاً جزيلة وأهدى لمهدية[6] هدايا سنية منها المدفع الأصفر الذي بقي في بيت المال.

---

(١) أي ابحث عن غداك وهو بحساب الجمل يطابق عام ١٢٣٥

(٢) أي جعل نفسه وزيراً أو جعل وزيراً.

(٣) هو سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل من سلاطين العلوية في مراكش ولي سنة ١٢٠٦ بفاس وتوفي سنة ١٢٣٨ (انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ١٩٧).

(٤) يعني به الإنجليزي وكانت لهم في المخا وكالة لجلب البن (انظر محمد علي ص ٥٦).

(٥) البيرق: العلم والراية واللفظة فارسية.

(٦) أي للدولة المهدية.

وكثر في الأقطار الغلا وبلغ القدح[1] قرشين حجر[2] في جهات صنعاء وفي البلدان المذكورة أولاً ضِعْف ذلك.

وأصاب الناس في الأودية والتهايم الوباء العظيم والموت بسرعة.

وفي آخر السنة: تَرَوَّجَتْ[3] الأسعار وشَرَّعت[4] الأمطار وفرج الله على عباده.

وفيها أعرس المهدي بإحدى بنات الرَّصّاص السَّلاطين في بلاد يافع في بلد البيضاء ثم أعرس بالأخرى وطَلَّق الأولى وأرسلها إلى أهلها.

وفيها: خرجت يام والباطنية انتهبوا[5] بندر [١٣] اللُّحية، وهربوا أهلها بَرًّا وبحراً، وذهبت فيها أموالاً لا تعد، وافقروا أهلها وأضعفوهم، وجعلها الإمام إلى الشيخ أحمد الكلفوت[6].

وفيها: عزل الإمام أحسن علي سعد وعمل عَمَّه أحمد علي سعد، وارتبشت[7] الطُّرق وقام الحرب، وانتهبت حمايل التجار الغادية والرائحة إلى المخا.

وخرجت بكيل وأحاطوا بصنعاء أياماً، وصالحهم الإمام بمال، وانفلت النَّقيب أحمد بن علي القداحي[8] إلى اليمن، وطغى هو وبعض ذو حسين وصولحوا، ورجعوا بلادهم.

وفيها: جاءت الأخبار بأن السلطان محمود بن عبد الحميد خان علَّق[9] أيدي النَّصارى والمجوس[10] والماسكوه[11] من تولي أمور المسلمين، وكانت منقبة عظيمة لأن دخول الكفار في أمور المسلمين مفسدة كبيرة.

---

(١) القدح بالتحريك: من المكاييل لأهل صنعاء. يقدر بـ ٦٤ نفراً يساوي ٨٩٥٠ زمن الكيلو.
(٢) أي فضة والقرش عملة تساوي أربعين بقشة.
(٣) من الرواج الرخص.
(٤) بدأت.
(٥) خ انتبهوا.
(٦) كذا في المخطوطة وفي تاريخ المخلاف السليماني ص ٥٧٨ الكلفود بالدال المهملة.
(٧) دخلتها القلاقل والفوضى والربشة كناية عن الهرج والفوضى.
(٨) تقرأ هذه اللفظة «الفلاحي» «الصَّلاحي».
(٩) أي مَنَع وكفّ.
(١٠) كذا عند المؤلف وإنما هم نصارى.
(١١) سم المسكوف جنس من الروس.

[قصة عجيبة كائنة]:

والشيء بالشيء يذكر فإنه حدثني رجل من أهل الخبرة، عن رجل من الذين يسيحوا في الأرض في الشام وبلاد الروم، إنه وفد إلى مدينة من مدائن الشام، فوجد حاكمها رجل من أحسن الناس وجهاً، وأكثرهم صلاة[1] وصلاحاً وأحسنهم خَلْقاً وخلقاً، وأكثر كلامه من القرآن العظيم، وأحاديث رسول الله ﷺ عارفاً باللغة العربية في جميع النحو، حسن المحادثة فأنس به ذلك السايح الغريب، وتاقت نفس كل منهما إلى الثاني وبَقّاه[2] القاضي لديه لما استأنس به مما فيه من الصّلاحية وغيرها من الفقه وحسن المنادمة، وبقي لديه أياماً، وعزم على السِّياحة حسب عادته وانتهى به الحال إلى أن وصل إلى مدينة في الروم فدخلها، فوجد أهلها نصارى جميع، وما يعلم أنها من مدن الإفرنج، إلاّ وهو فيها فأدار بصره، فإذا هو برجل يشبه القاضي الذي جلس عنده في الشّام في مدن الإسلام، فشَبّهه بالقاضي[3] لكنه أشكل عليه كونه لابس لبس النصارى، وهو من جملة أقستهم[4] ورهبانهم، فعرفه النّصراني[5] وهو لم يعرفه حقيقة باشتباه الملبوس، وإلاّ فقد لاح له بعض معرفة، فكلم الغريب بلغته الذي عرفها منه سابقاً وأدخله داره وأضافه وأدخله مكانه، فوجد فيه كتب المسلمين جميع من نحو وصرف وفقه وتفسير وكتب الحديث وعلوم الآلة فأسرها في نفسه، ولم يذكر ذلك للنّصراني حتى أخبره النصراني باجتماعهما ولبثه عنده في الشام، ومدة بقائه لديه وقص عليه الخبر، أنه ولاه السلطان ذلك القضاء في الشام، ولبث عنده أياماً وجهزه إلى مأمنه.

فانظر إلى هذا القس كيف رجع عن الإسلام، وعادة إلى عبادة الأوثان، وانظر بعقلك كيف يفعلون هؤلاء ويوهموا على الناس، ويَغْتَر بهم من لا دين له. فرفع هذه المصيبة من سلطان الإسلام رحمه الله رحمة الأبرار.

ودخلت سنة ١٢٣٦:

ووقع الخلاف من خولان وخرجوا إلى بني بهلول ووقعت بينهما قتلى.

وخرج الإمام مغيراً إلى ريمة حميد، وصلح الشأن.

---

(١) خ صلات.

(٢) أبقاه: أي تركه عنده.

(٣) خ بلقاضي.

(٤) جمع قسِّيس معروف.

(٥) خ النصاراني.

وفيها ارجعوا الدَّولة أحسن علي سعد، وعزل عمه أحمد علي سعد، وأمنت الطُّرقات بعد أن كانت لا تَمْض الحملة إلا برفقة من بكيل، وصارت تهامة تشتعل ناراً من كثرة يام فيها وبغيهم، والعمال يداروهم بفلوس.

وفي شهر رمضان: عزل عن الوزارة السيد أحسن الكبسي، وصودر وسلم أموالاً كبيرة.

وتوازر علي مظفر خمسة أشهر، وقبض الإمام عليه.

وتوازر الفقيه أحسن محسن الآنسي، والقاضي عبد الرحمن الآنسي، على العكفة والحكومة وقابلهما أتم قيام.

ووصل بكيل عقيب ذلك يقتلون وينهبون حول صنعاء ويقطعون الثمار ويباشرون من خرج من أبواب صنعاء [١٤] بالنهب والقتل فضاق الخلق وصولحوا بأموال ورجعوا بلادهم البعض، والآخرين نزلوا اليمن وتهامة يفسدوا ويبغوا أقماهم الله.

وفي تاريخ رقم هذه وقُدْ هُمْ جميع أرحم[١] ما خلق الله ما يعرفون الشبع وكل القبائل مثل «...»[٢] عند الأتراك إلا أن عاد الرَّعايا معاهم شبع بطونهم، وأما «...» فخصوصاً جوع وموت وقحط، وخرجوا دراويش في الأرض ما بقي إلا القليل نحو العشر، وهم نصفين عشر «...» باقين في بيوتهم يحرثون ويزرعون، وربع عشرهم متعلّمين وخدامين عند الترك لا إله إلا الله الباقي المنصف للجما من أم القرون[٣].

وفيها: عقد الإمام الوزارة لسيدي إسماعيل بن هاشم بن قاسم الأمير.

ودخلت سنة ١٢٣٧:

وخرج الإمام بنفسه على بلاد اليمن ودوخها وألبس[٤] الفرسان الدروع السابغة، وأجرى العَدّ والعديد، وطلب العساكر من كل أرض، وجرت المدافع الكبار، وكل بلاد مضاها أقام فيها وأصلحها، فأول ما بدأ به الحدا، وبعدها عنس ويريم،

---

(١) أي مصدر رحمة وشفقة.

(٢) كلمة نابية تركناها.

(٣) مأخوذ من حديث الرسول ﷺ وهو قوله: «إن الله ليدين الجَمّاء من دات القرون» والجُماء الشاة التي لا قرون لها.

(٤) خ اللبس.

وسلك به الوزير الطَّريق الشرقية من بلاد قعطبة وحمر الشرمان، حتى انتهى إلى القاعدة، وتوجه إلى ذي السفال وعين على الرَّعايا في بلاد العدين أموالاً جزيلة، ثم توجه إلى مدينة تعز، وذلك غرض الوزير الذي رَكّب المخرج لأجله، ظَنّاً منه أنه سيقبض على الشَّيخ حسن بن علي سعيد، وحين علم الشيّخ بوصول الإمام بتلك الأجناد إلى تعز خاف من الصولة السلطانية والنكاية[1] من الوزير به فما وسعه غير الهرب إلى حصنه الشَّامخ الذي بناه المسمى مؤيمره، وأرسل إلى الإمام بالضِّيافات الواسعة والكفايات الفاضلة والأموال من النقد وأضاف الكبراء من أصحاب الإمام والرُّؤساء، وسَلَّم لهم ما يطيب نفوسهم ليدفعوا عنه قول الوزير، وصلحت الأمور، ووصلت المعشَّرات من المخا إلى تعز، وأرسلوها إلى صنعاء المحمية بالله، ولما يتيقن الوزير أنه لا مجال له على قبض الشيخ أحسن، توجه هو والخليفة إلى صنعاء إلا أنّه اشتاق الإمام لزيارة الشيخ الصوفي أحمد بن علوان[2] حين سمع في اليمن أكثرهم يصفوه ويصفوا كراماته، وسمع منهم الأشعار وبراهين عظيمة، فلما علم منه أكابر دولته ذلك ردعوه عن ذلك، وقالوا له: إذا فعل اعتقده الذين لا يعتقدوه، كيف وقد وصل المهدي من صنعاء لزيارته، وزاد في التّشيع له عشرات أمثاله فأضرب ورجع[3].

ولما أضرب الإمام عن المسير إلى يفرس سلك الطَّريق الوسط إلى إب وأقام بها أياماً، ونهض إلى المخادر ونظر إلى بلاد المخادر وقراها وأموالها قد ملكها بالشِّراء السيد إسماعيل الأمير من نقيل سمارة إلى وسط السحول، واستطاب الإمام الإقامة فيها، وهذه المخادر من أطيب البلاد هواء وفيها من التّحف والظرف والرّوح والسرور خصوصاً ليلها، فكم من حزين بات فيها أنيساً ناسياً أحزانه، وكم من مكلوم يذهب عنه كلومه. وفيها القات البخاري والماء البلخي اثنتان لا يوجدان إلا فيها ومما قاله فيها العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله شعراً:

إن الليالي في المخادر قد غدت عقداً[4] على جيد الزمان لآليا
فبذا قضيت لها وكل مهذب إن بات فيها صار مثلي قاضيا[5]

---

(١) في الأصل الكناية.

(٢) هو الصوفي الكبير في اليمن له مكانة كبيرة عند أتباعه توفي سنة ٦٦٥ (انظر ترجمته في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٢٧٣).

(٣) هنا استطراد عن العقائد والتوحيد تركناه لخروجه عن الموضوع الذي هو التاريخ ويكثر مثل هذا الاستطراد وهو ليس من صلب البحث.

(٤) لديوان «عندي».

(٥) انظرها مع تخميسها في نيل الوطر ج ٢ ص ٣٩١. ديوان الشوكاني ٣٦١

وقال العلامة يحيى البصير[1] وكان من الأدباء من أهل إب:

فبذا قضى علامة العصر الذي أحكامه مثل السُّيوف مواضيا
وأقول أورده البخاري[2] إذ غدا البلخي معينا والمبرد راويا

ولما رجع الإمام صنعاء شرع في عمارة بستان السُّلطان بعد أن اشترى بيت المهدي[3] العَبَّاس ذلك وعوضهم دوراً ودراهم، وأنفق أموالاً لا تحصى ولا تعد، ولا أحد قد سبق إلى ذلك الغرف والرِّياض والمفارج والأشجار والقبب المزخرفة وأجرى فيها الغيول وحفر جملة[4] بؤر حولها، وما هي إلَّا من جنان الدنيا، وعمر الحمام العظيم قبلي دار الجامع، واجتمع في العمارة جميع الأساطية[5] وجميع الشقاة[6] حتى لم يبق من يعمل في المدينة وشرعت العمارة في أول سنة ١٢٣٦ وكملت في سنة ١٢٤٠ [١٥].

وفيها: خرج البغاة بجمع لا أكثر منه، وحَطّوا في عَصُر وقد بلغ الإمام خبرهم، فطلب خولان وبني جبر في ظبر الخولاني، وكان مقصد الإمام يمنعوهم عن المرور إلى اليمن، فوقع بينهم حرب وراحت ثمان أنفس وثلاث خيل.

أخبرني من حضر الوقعة: أن الرِّصاص كان يقع على الجميع مثل البرد في الصرح، وكان خولان مناظرين الغارة من الأمام لكثرة التّوابع[7] في صنعاء، والخيل والعبيد، ولكن الوزير أخَّر الغارة إلى يوم ثاني، فجلست البغاة إلى نصف الليل، ومضو من فوق مناحر خولان، وما خرجت الغارة إلَّا وقد هم في أرض.

وفيها: تلك السَّنة وقع في طريق زراجة نهب، وخرج الإمام على حصن الضبيبي وحط عليهم وعدين[8] وأخرب رؤوس البيوت، وأدخل جميع عقال خولان في سلاسل الحديد، ورجع مؤيداً منصور، والقبائل ملكوا اليمن، وقلبوا على

(١) انظر ترجمته في نيل الوطر ج ٢، ص٣٩٣ وهو يحيى بن عبد الله البصير، وفاته سنة ١٢٤٤
(٢) تورية بالإمام البخاري المحدث والبخاري البلد وكذا البلخي. والمبرِّد.
(٣) هو المهدي العباس بن الحسين ولي الإمامة سنة ١١٦١ وتوفي سنة ١١٨٨ (انظر أتحاف المهتدين ٨٩).
(٤) خ حملت.
(٥) جمع أسطى وهو رئيس البنائين. وهي لفظة من الفارسية أستاذ.
(٦) جمع شاقي وهو العامل في البناء وغيره.
(٧) جنود شعبية مخصوصون باسم أنهم أتباع للدولة أو بعبارة أخرى حرس قصر الدولة ولهم مقررات خاصة ومعفوون عن الزكاة والضرائب وقد اختص بهم باسمهم وادي الأجبار من ناحية سنحان وعليهم أيضاً حراسة باب اليمن (صفحات مجهولة ص ٢٥).
(٨) الوعد هنا هو الأسبوع فيقال الأسبوعين.

عقالهـم، وكـل فرد بـذل رأسه، وبقيوا النقبا الكبـار حـائرين الأفكـار، والروح عند الكبـارات شحـيح، وكلهـم أبنـاء تسعـة أشهـر، فاحتاجـوا للإمـام بالضَّرورة وعَرَّفوه[1] ينـزل وهـم أعـوانه على بني صغارة[2] أجـاب لهـم أن كـل أحـد يرفع أصحـابه ويصالوا[3] إليه، ورجعـوا فيـما بينهـم، وأيسـت الرَّعايا من الدولة فسلَّموا الحقوق للبغاة قهـراً، وأخـذوا أكثرهـا بني صغارة، ولم ينتظم للعقـال أمـر، فكتبوا للإمـام يـلقاهـم إلى بعض الطَّريق، وهـم يطلعوا إليه، فـلما عـلم الإمـام صدقهـم وبغضهـم لبعض، ودخـول الشحـناء فيمـا بينهـم، كتـب إلى العامـل في تعـز الشيخ أحسن بن علي بإصلاحهـم، ورفـع محـاطهم ويـسلم لهـم صلحهـم من الدفاع[4] التي لـديه، ففعل وأعانـه الشَّريف علي ناجـي الحسـيني على الصّلح؛ وأخرجـوا الشَّيخ أحـسن والشَّريف علي، وسكنت الأمور سنة.

ودخـلت سنة ١٢٣٨:

وفيها: وقع القحـط والغلاء في المشارق، وأجـدبوا القبائـل بـكيل واشتـد بهـم الحـال وجـارهم النـكال من المـلك المتعـال، فعـزموا إلى سـوق العنـان وجـمعوا شورهـم[5] إنهـم يخرجـون إلى المهـدي أن يـسلم لهـم كفايتهـم سنة وإلا رحـلوا اليـمن لما عرفوه بالخـير والخـصب، وقد تألفوا به من السُّنة الماضية، ويستوطنـوه ويرفقوا بالرَّعايا، فخـرجوا خَرْجـة رجـل واحـد صغارهـم وكبارهـم، ونسائهـم متشكّـلات بأشكال الرجـال، وحـطوا على أبـواب صنعـاء ونهـبوا وقتـلوا، فـلما علم الإمـام خبـث نياتهـم وطلبوا من الغلّبات التي لا يسعهـا المعقول، ومـا هـم فيهـا وإنـما يريـدوا اليـمن فتصاغى[6] عنهـم، وكتـب إلى جـميع الجهـات بالإحتـراس منهـم، فعـزموا اليـمن، وذلك بغيتهـم يجعلوهـا وطنـاً فـلما وصـلوا سمـارة، وكـل واحـد طـرح عربونـه في محـل وتقسَّموه جـميعاً، كأنـه خـلفه لهـم أبوهـم ميراثاً، ولمـا قـد ضـاق الخنـاق بالرعيّة في اليـمن من العـمال قد جـاروا عليهـم، مثلمـا المشايخ الآن وكـود[7] الرعـوي[8] يـدفع

---

[1] عرّفوه بالتشديد: كتبوا إليه أو أرسلوا من يعلمه بقصدهم.
[2] صغار النـاس عامة النـاس.
[3] يـصلوا.
[4] بمعنى الأمـوال التي لـديه.
[5] رأيهـم.
[6] أعـرض عنهـم.
[7] بمعنى دائمـاً أو بمعنى بالكـاد الفصحى.
[8] المواطن. وهو الواحـد من الرعـية معروف.

حتى كأنه لم يملك شيء، والجيْد والبطل من أكل لقمة فأذعنوا لبكيل، وملكُوه من ذلك التاريخ سنة ١٢٣٨ إلى سنة ١٢٥٦ ملكوه غَصْباً وقهراً، واستوطنوه وتزوجوا فيه ونسيو المشرق، لحتى أخرجهم الفقيه سعيد في سنة ست وخمسين وثنتين وألف [١٦].

وفي رجب: وصل [إلى] الإمام جماعة من الإفرنج ومعهم حكيم، وصرفهم في بئر العزب، والحكيم سعد ياقوت، ومعهم هدايا سنية منها ساعة مثل الصندوق، يسمع من داخلها بكل ساعة ألحان المغاني مختلفة، ومن الجهة الأخرى ساعة أخرى [١] على صفة أخرى وإذا ركبت الساعة انفتح باب بمصراعين، وضربت المدافع من داخلها يسمعها من خارج، ثم ينظر فيها جند الإمام قد خرج على هيئته التي لا تنكر أولاً على الترتيب أول المرافع والطيسان [٢] وبعدهم البيارق، وبعدهم العساكر، وبعدهم الخيالة الصغار وبعدهم الخيالة أهل العهد [٣] وبعدهم آل الإمام سادتي وبعدهم الإمام، وكل واحد من هؤلاء بهيئته وصفته في لبسه وعهدته. أخبرني شاهدها ومشاهدهم وبقي الحكيم أياماً ورجعوا أصحابه بهدايا وأكثرها البن.

ودخلت سنة ١٢٣٩:

ولم تحدث حادثة يوجب ذكرها غير دخول يحيى بن علي الآنسي الوزارة جنب سيدي إسماعيل الأمير، وهو كان عاملاً في صنعاء لكنه ترقّى بظلمه وجوره.

[شهادة محمد صالح حريوة]:

وغير قصة العلامة محمد بن صالح السّماوي المقلب حَرِيْوه رحمه الله [٤] وصرف الخيل للحكام يعلفوها، وهذه أول فاقرة في الدِّين، وسيأتي عاقبة الأمر ما انتهى إليه، وجرت بينه وبين الوزير السابق منافسة، حتى أغرى المهدي بالسيد إسماعيل الأمير، ووقع به الإمام وقيض على ما معه وحُبس هو وأولاده، وأخذوه وما يملك في بيته من الذّهب والفضة واللؤلؤ والفراش والنحاس، حتى لم يتركوا شيئاً وبعد صودر بشيء من المال بعد ذلك وسلمه وبعد استولى على ما يملك في اليمن الأسفل الذي ذكرناه أول، من نقيل سمارة إلى وسط السحول. ورجع أغرى الإمام بالصَّيرفي قلال

---

(١) خ آخره.

(٢) جمع طاسة وهو طبل على هيئة طاسة. والمرافع جمع مرفع: طبل.

(٣) أهل العادات التي يعتادوبها من معاشات وغيرها.

(٤) من العلماء له مؤلفات كثيرة أشهرها الغطمطم الزخار توفي سنة ١٢٤١ كما هو مشار إليه هنا (أنظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٤٠).

البانيان، حتى وقعوا به، وأخذوا جميع ما يملك وأبقوه عند الحاج توفيق، ووقع فيه الضرب المفرط حتى هلك منه في السجن، لا حول ولا قوة إلا بالله وتعلقت بالوزير علة لا تبرىء كما قيل شعراً:

سهام الليل لا تخطى ولكن لها أمد وللأمد انقضاء [(١)]

فتارة يمرض حتى يدنو من الموت، وتارة يفيق ويفعل الأفعال الشنيعة من العسف والجور.

وفيها: كمل بناء بستان السلطان، وشرعوا في إخراج غيل البرمكي والبحث عنه، وكان داثراً مدفوناً والذي دلهم عليه النقيب عبد الرحمن خليفة الهندي وصاروا في عمله حتى أدخلوه البستان من الجهة العدنية.

وفي هذه الأيام: جاءت الأخبار بخروج عصابة من الأتراك على بلاد عسير ووقعت بينهم حروب كبيرة حتى امتلأت الأرض من القتلى وبقيت الحروب خمسة أشهر وكتب الأمير علي بن مجثل [(٢)] إلى سلطان الإسلام يخبره بتجهيز محمد علي باشا على بلاده، وعادت جوابات السلطان برفع المحاط عليه والكف عن الحجاز، وحقن الدِّماء وتسكين الدهما، وبسبب حسن نية هذا السلطان نصره الله في هذا العام على الإفرنج الذين قطعوا طرق الحجاز وبحر النيل في بلاد رومية الكبرى، وأخذ بلادهم وشيئاً من نسائهم وأبنائهم وغنم من أموالهم.

وفي شهر جماد من هذا العام: خطر في بال الوزير يحيى الآنسي صرف الفرسان للحكام وأمرهم بالرّكوب مع الإمام مع كثرة الخيل، وسَلّمها إليهم عارية، ومع كل فرس سايسها.

وأحوال قضاة الشريعة في ظاهرهم الغنى بالملبوس، وفي الباطن [١٧] الفقر، منهم من لا يجد قوت يومه وليلته، ومن أراد إرجاعها لما به من عدم قوت نفسه، عاقبوه فمنهم من بذل مجهوده في ما تحتاج الفرس من آلة ركوب سرج ونحوه آلة الركوب، ومنهم من لم يقدر، وكان في نفس الوزير أن يجعل عليهم شيئاً من المال،

(١) من شعر للإمام الشافعي. ديوانه ١٧
كان استخراجه سنة ١٨٣ وينسب إلى محمد بن خالد البرمكي وكأنه اندثر (أنظره في معجم البلدان الآتي).
(٢) من أمراء عسير تولى الحكم سنة ١٢٤٣ شاغل الأتراك بالحرب وكان يميل إلى عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب توفي سنة ١٢٤٩ (انظر تاريخ المخلاف السليماني ص ٥٧٧).

ولكن خَيّب الله أمله، وفي ذلك قال السيد العلامة عبد الله بن علي بن عبد الله الجلال[1]: القصيدة الهزلية وأبلغها إلى الإمام، وفيها خرج في عرض الحكام بأشياء هزلية ووصفهم بصفاة لا تليق من عالم الخروج في أبناء جنسه، وما أحب أن أذكر منها شيئاً لأن عروض[2] العلماء مسمومة وكان أبيات هذه القصيدة مما يبكي منها ساعة ويضحك أخرى، فرجع الجواب من الامام برفع الفرسان من عند من لا يقدر من الضعفاء، ورفعت من جملتهن الذي عند منشيء القصيدة.

وفي شهر جماد سنة ١٢٣٩: وفد رجل غريب صورت[3] لوتن من سكان بندر المخا إلى صنعاء المحروسة، ومعه سؤال، وأجاب فيه من أجاب وانتهى إلى الفقيه العلامة محمد بن صالح حريوه، فلما نظر في الأصل، مع حدّة طبعه، وضيق صدره، ولا يخاف في الله لومة لائم، ثم كتب في صدر السؤال ما يشفي غليله، ورده إلى الرجل الذي أبلغه إليه، فلما صار في يد الرّجل طاف به على النّاس مَرّة أُخرى، ووقع الإجماع من جماعة من المتفيقهين[4] على إبلاغ ذلك الإمام، فمنهم من كَفَّره، ومنهم من فسقه، ومنهم من قرر فيه الزّندقة، نعوذ بالله من إتّباع الهوى، ومخالفة عالم السِّر والنجوى وإتباع الشهوات الدنيوية، وكان هذا العلامة الشّهيد من علماء الشيعة لا يطلع على كتاب إلاّ وحفظه على ظهر الغيب، وكان إماماً في كل فن، وله في علم اللّطيف[5] كمال البلاغة، وقد وقع منه الاعتراض على بعض المؤلفات (ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[6] ولكن الحذر لا ينفع المقدور وقد كتب له الشهادة وذلك من علامات السعادة، وبعد إبلاغ ما ذكر من الذي لا خير فيه، فما عقب ذلك إلا الإرسال له إلى بيته وإخراجه إلى باب الإمام، ووقع في عرضه ما وقع، وأمر الإمام بضربه بالسياط، وتعزيره وطافوا به في شوارع المدينة، واطلعوه إلى الحبس، وبعد ذلك أصحبوه بتوابع عسكر وخَدّامين، وأرسلوا به إلى حبس كمران من جزائر البحر، وكان الإرسال به إلى عامل الحديدة فتح محمد، العبد الخبيث من موالي الإمام، وأخيه سيف الإسلام محمد المتوكل، وتعقب ذلك بعد وصوله بثلاثة أيام الأمر للعامل بقتله وصلبه على شاطيء البحر، ولما وصل الرأي إلى العبد الخنفور[7] بذلك

(١) من أدباء صنعاء تولى القضاء في صنعاء توفي سنة ١٢٤٢ (انظر نيل الوطر ج ٢ ص ٨٦).
(٢) أي أعراض.
(٣) كذا في المخطوطة.
(٤) من الفقهاء المتزمتين أو مدعي الفقه عن غير أحقية.
(٥) هو علم التصوف.
(٦) حديث شريف رواه أحمد وأبو يعلى والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً.
(٧) العبد الواسع الأنف الشديد السّواد.

وقعت بينه وبين الرتبة الموكلون به محاورة، فمنهم من قال له: يطلقه وسيعزمون به يعتاشون في مداين الروم، ومنهم من قال: سيعزم به الحبشة أو سيعزم به الهند، وقد كان ثارت الفتنة، ولم يسعد العبد اللّعين العامل الشؤم إلى ما قالوه، وخاف من سَيِّده على نفسه، وإلاّ ففي النفس ما فيها، فأمر بإخراجه وأمر ثلاثة أخدام ممن يحسن ضرب السيوف بضرب عنقه، فضرب الأول والمضروب يقول الله الله، ولم يقطع سيفه في عنقه، ثم الثاني كذلك، ثم الثالث فسقط إلى الأرض من شدة الضرب لا من الموت وما وقع إلاّ تمامة بالسكين لا رحمهم الله لا في الدنيا ولا في الأخرى، ولم يروا بعده [١٨] خيراً ولم يتغير لونه، ولم يفتر من ذكر الله حتى قطع عنقه بشفرة، ثم صلب ثلاثة أشهر، ولم يتغير بدنه ولا أنتن، ولا انفصلت أعضاؤه، مع أن من مات في تهامة لم يلبث غير ساعة وينتن، وبقي مصلوباً هذه المدة ثم دفن رحمه الله فهكذا وقعت الخاتمة لهذا العلامة الشيعي رحمه الله وله أسوة بأهل البيت الطاهرين، ويحشر المرء مع من أحب نسأل الله حسن الخاتمة، وهذه فاقرة عظيمة، ولكن قد دفع الله المصيبة على الخلق جميع في صنعاء وسعد هو وحده بالشهادة وإلاّ فهي كانت فتنة لا تنقضي إلاّ على إزهاق نفوس وذهاب أموال كبيرة.

[خروج يام على هامة]:

وفي هذا العام: خرج يام ومعهم أحسن بن محمد المكرمي، وإسماعيل بن محمد المكرمي إلى تهامة على العبد المذكور الخنفور عقيب ذلك، وجرت بينهما وقائع وأحرقوا العشش الخارجية في الحديدة، وذهبت نفوس لا تحصى قتلاً وإحراقاً.

وفي سنة ١٢٤٠: مرض الإمام مرضاً عظيماً مخوف وانقطع مدة أربع أشهر.

ودخلت سنة ١٢٤١:

نعوذ بالله منها ومما يليها ومما جاء على مثلها فإنها شَحَّت الأمطار، وغارت البحار، وارتفعت الأسعار، وكلما دخلت السّنة غلا السعر، وفيها ولّى الإمام السيد أحمد بن حسن الشامي على ضَوْرَان ولعله عدل في النّاس وسار فيهم أحسن سيرة، فلم يوافق أهل الحرام العسكر الرتب حق ضوران، فإنهم جبلوا على أكل أموال الناس بالباطل، ولم يساعدهم ذلك العامل، فدخل عليه نفران شقيّان، وهما يحيى داحش ذيبان، وناصر زميلان الكامل، من عقال الرُّتبة حق جبل ضوران، فقتلاه رحمه الله شهيداً سعيداً، فلما علم الإمام قام وقعد وأرعد وأبرق، وأمر الوزير

قاسم بن محمد العمري، وأمره بالتجهيز على المخرج، فخرج الإمام بالجنود[1] المتكاثرة، وجرّت المدافع الكبار، ووقعت طريقه على حصن ضاف الذي بناه النقيب علي بن سهل الهيال صاحب بني جبر خولان، فإنه بناه وتحصّن فيه وتعدّى وقطع الطريق المسبلة، وكان ذلك الحصن متوسطاً بين الطرقات بجميع آنس وجهران وعنس وبلاد الروس، وكل طريق غير ما ذكر مَمَرُّها من عنده، وحتى إنه كان يُجْوِر[2] من ورد إليه مستجيراً ممن كان سواء محقًا أو مبطلاً وأحاط به الرَّحمن وأحاطت به الأجناد من كل جهة، وضربت المدافع إلى الحصن حتى هلك من هلك، وخرج على أم رأسه يسحب ذيله إلى يد الإمام أسيراً ذليلاً حقيراً، ودخل هو وأولاده في سلاسل الحديد، وعقرت العقاير في سلامة رؤوسهم، وفي خلال الحِصَار ضاقت الأرض على أهل ضوران بما رحبت، وما وسعهم إلا ضبط النفرين القاتلين للعامل، ووصلوا بهم عند الإمام، ورجع الإمام مظفراً منصوراً، وأمر بإحضار أولياء المقتول بالحضور لمشاهدة غرمائهم، وأمر بضرب أعناقهما فضربت في الحال، وأمر بصلبهما في باب اليمن لينظرهما الداخل والخارج، وسلم لأولاد الشّهيد من المال ما جبر كسرهما وإصابتهما.

وفيها: خرج النقيب محسن بن علي الشايف بعصابة من الخارجين من ذو حسين، وبقي في أرحب وقد اعتد الإمام للقائهما ويريد الفتك به وإلحاقه [19] بأبيه، ولم يزل يشعر بالغزو على الإمام، فوقع غزوه إلى قرية المحجل وبني الحارث ابن كعب بالقرب من ذي مرمر، فعان[3] الله أهل تلك القرية، وقويت قلوبهم وشد الله أزرهم، وعَضّدهم الله حتى بالنِّساء: الرّجال رموا بالبنادق والنساء بالحجارة، حتى كسروهم، وقتلوا فيهم، فلم يسعهم غير الفرار، ورجعوا خائبين إلى ديارهم، وراح من رؤسائهم خمسة الذين اجتز الرعية رؤوسهم، غير من لم يقبض وقد ذكرنا سنة ١٢٤٣ بقولنا والتي تليها.

ودخلت سنة ١٢٤٣:

وفيها: فرج الله العسر باليسر مما ذكر من شدّة القحط والغلا في السنين.

وفيها: خرج الإمام للتمشية إلى حصن الغراس، وطلع الحصن للزيارة ولمشاهدة

---

(١) خ بلجنود.

(٢) أي يجير.

(٣) فاعان الله.

المآثر المهدوية[1] الحسنية فأمر بالعمارة فيه، وحسن الأساس، حتى وقعت القباب في صدوح[2] الدار، وأسسوه على أحسن أساس، ورجع إلى وادي ظهر للتّمشية فأضافه الشّريف علي بن ناجي في ذهبان، ومضى إلى الوادي، ووقع من ابن مسعد صاحب رجام منع من حضوره للشّريعة المطهرة لدى شيخ الإسلام الشوكاني، فرفع إلى المهدي ووصله الرَّفع وهو في الوادي متنزه، فقام من حينه وأمر بالخروج على الذي كسر الشريعة، ولم زِدْ دخل صنعاء بل عزم إلى الروضة، وهي طريق رجام، ولقيه القوم والمدافع وأحاطوا برجام، وأكلوا عِنَبه، ورعي زرعه، ورموه بالمدافع وتوسَّط عليه الشَّريف علي، وغانم بن مهدي، وخرج إلى سلاسل الحديد، وعيّن عليه أكثر مما يستحق عقوبة لكسر الشريعة، ورجع محله إلى صنعاء.

ودخلت سنة ١٢٤٤:

فأول حادثة خطر في بال وزير السوء أن حكام الشريعة قطعوا الأدبات[3] والسياسات والمظالم على العمال، وخرج في أعراض الحكام وآل الأمر إلى قبض رايات[4] الحكام وعزلوا عن الشريعة المحمدية ولم ازداد فيما ذكروا شيئاً، وبعد رجعت لهم الرَّايات وهذا أول الإدبار على الدَّولة.

وفيها خرجت خوارج من يام، وقبضوا قرى في حراز، وجَهَّز الوزير قاسم العمري على السرية صنوة علي بن محمد العمري، ووقع القتلي من الجهتين، وآل الأمر إلى خروج الإمام بنفسه إلى حراز، وبات في بيت ردم، لحَتّى تلاحقوا[5] القوم وعزم بات اليوم الثاني في بيت العليي وأغروا بالعليي عند الإمام حتى هدد بيته، وأخذ ما معه، وأدخلوه هو وأولاده في سلاسل الحديد عِوَضاً عما فتح لهم بيته وعزموا حراز، ما بات إلا في مناخه، وتلاحقت الأجناد، ووقع في خلال ذلك إرسال محمد بن أحمد الجوفي عاقل الرُّكاب إلى المخا ليطلع المدفع الكبير المسَمَّى بالجزار، لأن قد كان أيسوا من طلوعه، فصار بصولة محمد الجوفي يرعد ويبرق، وما كان أحد يُولق[6] ولقته حتى أنه ما خلس[7] له نعال إلَّا وقد المدفع في الخبت

---

(١) نسبة إلى المهدي أحمد بن الحسن (سبق).
(٢) صدوح: سطوح جمع سطح (معروف). قلت: الدال والطاء يتناوبان في عامية صنعاء..
(٣) جمع أدب وهو ما يأخذه العمال على الفلاح من غرامات مالية وغيرها كأدب عليه.
(٤) كأنها تصريحات مصرحة لهم بمزاولة العمل. والراي هو الوثيقة والإيصال.
(٥) أي جاؤوا دفعات.
(٦) فوضى الكلام بصوت مرفوع.
(٧) خلع.

يجر، فلما وصل إلى أسفل حراز، وعلم البغاة ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وقد اشتد الحصار عليهم فخرجوا إلى عفوا الإمام وفر الباقون إلى (صعفان)[1] محلهم من سابق [٢٠] والدور الذي كانوا فيها حق أهل حراز، الذي فتحوا لهم، عوقبوا بخراب دورهم لأنهم شيعتهم، واستدعوهم، ووصلته الهدايا والضيافات، وقد وصل إليه الشيخ علي بن أحمد صلاح، وجماعة معه شاكيين بالشيخ عبد الله بن أحمد صلاح، فردهم وزير السوء إلى الشيخ الهاربين منه، فلما وصلوا إليه عذّبهم بأنواع العذاب وتهددهم وجر[2] منهم أموالاً فما كان بأسرع مما عزل بسبب ذلك.

ودخلت سنة ١٢٤٥:

[ظهور المشعبذ في اليمن عبد الله الصوفي]:

وفيها نزع الشيطان في آذان الغوغا والعوام والمجاذيب والمخدرات ظهر صوفي يسمى عبد الله الصوفي، وتبعه ممن ذكرنا وعرّف الإمام أنه سيخرج البغاة من الحصون، ويملكها، وطلب ثلاثة بيارق من الإمام وأرسلها له، وكان هو وأصحابه يوقدون النيران ويأكلوا منها ويطفوها، ولعله عرف وفْق[3] الجلالة الشريفة، وكان يتلقاه أهل المحلات بالعقاير، وينحرون البقر لهم، ويبيتون في الخلا رجالهم والنّساء من دون تستر ولا احتشام، ولم يملك إلّا حصناً واحداً وقد ذكرنا[4] آنفاً أن أهل اليمن والتّهايم[5] أتباع كل ناعق، وكان معه امرأة تسمى (زويعة) من أكبر أمراء أجناده، تحل

---

(١) بفتح الصاد وسكون العين ونون عزله من ناحية اشتهرت بالخصيب والبن (صفة جزيرة العرب ص ٢٢٨) وسيأتي ذكرها في آخر الكتاب.

(٢) أخذ.

(٣) حرز ورُقية.

(٤) طلسم.

(٥) إشارة إلى الاستطراد السابق ذكره يقول فيه: «فهذه أفعال قبيحة من أفعال المشركين ومن النزعات الشيطانية المخالفة لكتاب الله وسنة نبيه ومن اعتقد فقد فعل أفعال المشركين في عبادة الأصنام وصاروا يطوفون بقبورهم ويتلطخون ويمسحوا أوجاههم ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية يقولون على الله وعليك وقد يستنزلون بهم المطر ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد وكل قوم لهم رجل من المقبورون «كذا» ويعتقدون به لما نابهم فأهل العراق والهند لهم عبد القادر الجيلاني وأهل التهايم كل جهة لما عندهم فأهل اللحية وما يليها الزيلعي وأهل الحديدة بالشيخ صديق عندهم وأهل زبيد وبيت الفقيه بابن العجيل وأهل المخا بالشاذلي وناس بالزلاج وناس بعبد الرحيم وأهل مكة والطائف بابن عباس وأهل مصر بالرفاعي وأهل الجبال بأبي طير وأهل اليمن بابن علوان وأهل جهات كثيرة أموات يهتفون بها لجلب الخير ودفع الشر ويدعون مع الله إلهاً آخر» إلخ. قلت في مثل هذا القول بعض التجنّي على معتقدات الناس ولا يخلو الأمر من تسرّع وانفعال يتميز به كاتب الأصل المؤرخ الحرازي والله أعلم.

وتعقد، وآل الأمر إلى قتله وناس من أمرائه وأرسلت رؤوسهم إلى الحضرة، وعلقت في صنعاء، وكان العامل في يريم عبد الله بن أحمد صلاح من الجبابرة، إذا سمع قائلاً يقول: لا إله إلا الله على قاعدة الصُّوفية جعل عليه ربع قرش حجر، وإذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله جَرَّ منه ربع وثمن أدب، وتعامل الظَّلمة في اليمن بمثله، وعاقبة ذلك أحاط الله به في ذلك العام، بسبب أخيه علي بن أحمد صلاح الذي شكاه سابقاً إلى حراز وردوه إليه، وآل الأمر إلى طلوعه إلى صنعاء، وكان فيها هلاكه وذهاب ما يملك من كل شيء.

ودخلت سنة ١٢٤٦:

وفي هذا العام شرع الإمام في عمارة قبة طلحة المذكورة في سيرة الأتراك[١]، ولكن قد خربت ودثرت، فأصلحها قبة عظيمة، وأحكم بناءها وعمر فيها منازل للطلبة، وأجريت فيها المياه[٢] وفرشت بأحسن الفراش الرومية، والقناديل البلُّورية، ووقف عليها وَقْفاً واسعاً وأجرى لمن كان يقوم بسدانتها والإمام فيها، شيئاً واسعاً، وجعل أوقافها وإمامتها في محرابها على السيد العلامة أحمد بن زيد بن ناصر الكبسي[٣].

ودخلت سنة ١٢٤٧:

والخيرات متتابعة والأمطار متكاثرة، ولكن كثيرة المحن، كما أن الخير مقرون بالفتن. خرج السَّيد الفخيم محمد بن عبد الكريم بن إسحق مغاضباً في ذهنه لعدم تعظيم قدره، ووصل إلى حصن صغير في حجة ودعا إلى المحجة، وبَثَّ الرَّسائل إلى الأقطار، وأجابته الأهنوم ووادعه والسودة، وساعده يحيى الشايف ووقع الهرج والمرج، وأجابه أهل عمران لما في قلوبهم من الغوائل، وأوجفت الغوغا بصنعاء، فأجمع[٤] رأي أهل الحل والعقد أنه يعزم الشريف علي ناجي، والفقيه حسين بن محمد

---

(١) إشارة إلى زيادة الوزير محمد باشا سنة ١٠٢٩ في مسجد طلحة.

(٢) خ المياة.

(٣) هو العلامة أحمد بن زيد بن عبد الله بن ناصر الكبسي ولد سنة ١٢٠٩ وتلقى علومه على أكثر شيوخ صنعاء حتى برع في جميع العلوم، وصار من أحفظ أهل زمانه، وكانت له وجاهة عند الناس وسيأتي ذكره مراراً في هذا الكتاب له مؤلفات منها شرح سنن النسائي توفي سنة ١٢٧١ (أنظر ترجمته في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص٧٣).

(٤) خ فجمع.

حنش، لتحقيق الأخبار من مواضعها وشرب المياه من حياضها فعزما، فلما وصلا عمران لم يجدا إلا الاطمئنان وعدم الفساد، وسَلما الضيافة، وعزم الشّريف والفقيه، وناس عسكر من عمران بمن قد كان معهما من الجنود، فلما وصلوا شرس فلم يجدوا إلا الطاعة، وواجهوهم أهل تلك البلاد، وتابوا عَمَّا فعلوا حيث تيقنوا أنه لا طاقة لهم بالفساد؛ وطلعوا حجة وصلحت الأمور وعزم سيدي العزي قطعته[1] وصاب [٢١] وتاب وتبعه سيدي العماد يحيى بن المنصور خرج مغاضباً من صنعاء لعدم إجلاله وإكرامه، وعدم معرفة حقه وإعظامه، مع أنه ممن حاز الصفات الحميدة وأعظمها الشّجاعة والكرم، وكان خروجه إلى بلاد أرحب، وكتبوا عقال أرحب وسيدي العماد إلى الإمام بتلك القضية، ويطلبون له ما يستحقه ويعرّفونه بما سيؤول إليه عاقبة الأمر، فأصغى عن الجواد، وطَوَى عنه كشحاً، فثارت حميّة الجاهلية وتجهزوا للخروج على المهدي، فتلقاهم بأجناد إلى الرّوضة وهم في طرف بلادهم يتلاحقون، وأمر الإمام على السّرية الأمير عَنْبر، وتبعهم بجنود أخرى[2] الشريف علي ناجي، فنهضوا البغاة إلى قاع الأحقري وتأهب أصحاب الدولة للقائهم، فانحاز أرحب إلى جهة الشّرق، وتبعهم أصحاب الدّولة وحمى الوطيس، وتَيقّن أصحاب الدّولة أنه لا قدرة لهم، حيث قد اجتمعت القبائل وما هم بجنبهم إلا كالشامة، فعَرّفوا الإمام فزادهم بالأمير فرحان صالح وأصحابه، وهو من القساورة الذي لا يماثله في شجاعته أحد في دهره والأمير عبد الله جوهر، فوصلوا حال المعركة وصالوا على البغاة صولة الأسود الضّواري على الفرائس، والتقى الجمعان، وتصادم الفريقان، ودارت رحى الحرب، ووقع الطّعن والضرب، وفَرّ الجبان، وثبت الشجعان، وكان يوماً عسيراً له دخان يطير، وأخبروا الإمام أن الحرب قد ثار دخانها، وحمى سعيرها والتهبت نيرانها، فلما سمع ذلك نهض من وقته، ولبس لامة حربه، وخرج وعليه الدّرع العظيم، والبيضة الذي تهيل الأبصار، وتوَكّل على الملك القَهّار، وضربت المدافع لخروجه، ولله در، بيت القاسم ما أحلا هذه القاعدة وما أشرهها[3] للمحبين وما أوحشها عند المبغضين، وتبعته الحاشية وبقية جنوده، وقدكان آخر النهار، وفي نفسه الغارة على أصحابه، فلما وصل الرّوضة جاءته الأخبار أن البغاة لما سمعوا المدافع وجلت قلوبهم وعلموا أنه لا طاقة لهم، فطلبوا من أصحاب الإمام الصّلح إلى الصبح، فأعطوهم وباتوا ليلتهم وقد زاد شوق أصحاب

---

(١) أي الأرض التي كان يستغلها.

(٢) خ آخره.

(٣) كذا في الأصل.

الإمام حين وصل إليهم، وبالحال أن الحاشية التي خرجت معه هل تصل مئة نفراً أو أقل ولكن خَرْجَتْ الإمام وضَرْب المدافع لها هيبة عظيمة، فلله در من سنها، وكان في تلك الوقعة القتلى من القبائل شيء كثير، والجرحى أكثر ومن أصحاب الإمام نحو الرُّبع والخمس، وممن قتل من أصحاب الإمام ابن الحسيني وممن أصتاب[1] فرحان صالح وصار أعرج منها وقد فعل فعل من لا يرجى السلامة خَطّ بصارمه وأورى بسنانه وأصبحوا [2] فارين إلى محلهم خائبين مكسورين، وسيدي العماد، وولده رحلا تهامة، إلى أن توفي سيدي العماد، وتولى سيدي العزي[3] رقاب العباد وملك البلاد في سنة ١٢٦١ وسيأتي إن شاء الله ذكره في موضعه. ورجع المهدي صنعاء بعد ثلاثة أيام وقد انجلت المعركة.

وفي جماد خرج ابن داود صاحب السر ومعه أصحابه في نحو عشرين، وكمنوا في نقم لحتى خرجت الغنم للرّعي وأخذوها، وصاح الصايح، وتبعهم أهل شُعُوب وَسْعَون وصَرِفْ وقتلوا منهم وهم قتلوا رجلاً من شعوب وضبطوهم وأدخلوهم عند الإمام وحبسوا إلى صبح يوم ثاني، وطلبهم الإمام وضرب عنق الشقي أحمد بن صالح داود ورجل معه لبغيهم وقصاصاً ولم [٢٢] يكن لصالح داود ولد غير هذا وكان لذلك موقع عظيم لأنه قد أخاف العباد وبغا الفساد والله بالمرصاد.

وفيها تحرك ابن ترابة إلى الأمير علي بن مجَثّل على تهامة بجنود متكاثرة، قيل خمسة عشر ألفاً وأربعمائة خيالة، وأرجفت أرض اليمن لسماعهم بقوته، فلما وصل فجّ حرض، ووصل بعد إلى المختارة وهي بين الزهرة ومور، وكتب إلى الشيخ إبراهيم الكلفوت أن يلقاه، ومقصده يفتك به لعلمه أنه مالك لمعدن الملح حق اللقمة في[4] تهامة، ولِمَا قد جمعه من الأموال والحلي، ولما أغرى به على حميدة[5] عنده لاهويات[6] كانت بينهما فلم يسعد وحصن نفسه في الهيجة ورتب حصنه (دوغان) فوصلوا إليه لطمع أهل الحجاز في البوادي[7] خلق إذا شيء مثل هذا الشيخ فهو الحاجة في نفس يعقوب، فأحاطوا بحصنه، وأخذوا جميع ما جمعه

---

(١) أي أصيب.
(٢) في الأصل وأصبحوا لنسى.
(٣) يعني به الإمام المتوكل محمد بن يحيى بن علي بن المهدي عباس سيأتي ذكره بتوسع.
(٤) انظر الحديث عن معدن الملح في تهامة في بلوغ المرام تعليقات الأب أنستاس الكرملي ١٦٥
(٥) من الأمراء في ذلك الوقت انظر السراج المنير ص ٤٠
(٦) في الأصل هكذا «لاهواكايت».
(٧) صورة هذه اللفظة كذا «في البوار وخلف».

آبائه وأجداده، قيل أنهم أخرجوا الفلوس النَّقد عشرة لكوك، وبمثلها خزائن من كل ما تعده الدول غير المخلص[1] والحلي والخيل والسلاح، ووقعت مقتلة كبيرة لا تحصر، واستولوا على (دوغان)[2] وما إليه من البلاد، وأما علي حميدة فسلم لعلي مجثل أموالاً واسعة، وعلي بن مجثل تعهّد له ونكث، ولعل حميدة صار فيما بين ذلك، وقد كان بلغت الارْجَافات إلى صنعاء، وهي قاعدة أهل هذه الديار، خصوصاً صنعاء الارجاف على أنفسهم وإعانة العدو على دولتهم بألسنتهم، وقد علموا ما قال الله: وتوعد المرجفين في سورة الأحزاب[3] لكنهم خالفوا الصواب نسأل الله التوفيق، فلما بلغ الإمام المهدي ذلك قام وقعد لما هنالك، طلب القبائل الواسعة، وأهب الأموال المتكاثرة، وأخرج الدُّروع السالغة، والسيوف القاطعة، والرماح الفاضعة، وفتح دار الضَّرب، ولما حشد الجنود وعقد الألوية والبنود، جاءته الأخبار: أن أهل الحجاز ولّوا الفرار، ففرق الأموال بين من حضر من القبائل.

ودخلت سنة ١٢٤٨:

وفيها جَيَّش الإمام الجنود من كل قبيلة للمخرج إلى الحدا، حتى ضاقت صنعاء بأهلها، وما وقع إلا محاط باقي القوم في الشوارع والأزقة، وفرَّق لهم الأموال وفي اليوم التاسع ضربت المدافع وتوجه بجيش جرار ملأ الفجاج، وأثار العجاج، وأمر الفرسان بلبس الدروع والبيض[4] وخرج من بستان السلطان بأهبة عظيمة، بعد تحشيد الجنود، وعقد الرايات والبنود، وأخرج الخيام، وجُرَّت المدافع الكبار، وحط ذلك اليوم في (سيان) ووصلوا بعد ذلك اليوم من ريمة بخمسة أنفار من أكبر الأشرار، فضربت أعناقهم، فكان بها النَّصر على الأعداء، والظفر بمن بغى وتعدى وتوجَّه (زراجة) وهي المقصود والحاجة، لأن قد كثر البغي من البخيني والقوسي مشايخ الحدا، حتى تشاوروا هم والمقهوي في زراجة أنه يخرج يحرك النواقيس [٢٣] من نصف الليل ويعزم المسافرين إن قد مضت القوافل، فيظن المسافرين[5] صدقه وهو هو الذي خرج يحرك النواقيس فيخرجوا المسافرين ويلتقيهم القوسي

---

(١) الفضة.

(٢) هي قلعة الكلفوت (انظر تاريخ المخلاف السليماني، ص ٥٧٨)

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينةلنغرينك بهم﴾ سورة الأحزاب الآية ٦٠

(٤) جمع بيضة: الخوذة وأيضاً السيوف.

(٥) كذا يرد الفاعل دائماً عند المؤلف على صيغة المفعول به فيعلم.

والبخيتي، ومن انتهب سلم ومن هاوش[1] قتل ففعل بهم الإمام من التعزيز ما لا يفعله ذي[2] سلطان ولا سطوة وأركبهما على جمل بلا آلة معه في كل مرحلة مدة ثلاثة أشهر حتى رجع صنعاء، وحبسوا وسلموا أضعاف ما أخذوا وأمثال ما يستحقوا، ونجز بلادهم بالدمار، وأخذت مواشيهم، وخربت ديارهم، وقليل ذلك فيما صنعوا بعباد الله الضعفاء والمساكين والسافرين، وعَمَّلها[3] الحاج علي العكام، وكان الوزراء في ذلك المخرج أربعة، وصلحت بلاد رداع وخرج على عنس والمقادشة وتمنع المصري في حصنه البراق، حصن هايل جنب أكناف السحاب، وصالحوه بما يريد فلم يسعد، فطلب الإمام المدافع الكبار والطباشية[4] الشمهورين وضربوه بالمدافع، حتى شق نصفين، وخرج الماء والطعام والغنم حين اشتق، فصاحوا بالأمان، وخرجوا في الأوان، وخرب الحصن وأخذوا جميع ما فيه، حتى الرِّجال إلى سلاسل الحديد وأذاقهم البأس الشديد.

وتوجه إلى بلاد يريم وخبان وأصلحها.

وتجهز إلى اليمن الأسفل إلى البغاة من ذي غيلان فلما وصلت الجنود المهدوية إلى رأس سمارة إلا وقد أولهم في عنق الغزال، وقد وضعوا محاطّهم على تلك الحصون التي في عنق الغزال، والمحفد والشعوب، وفي اليوم الثاني ضربت المدافع الحصون التي ابتدعها البغاة، حتى خرج من فيها قسراً، وخرجوا إلى الطّاعة، وخربت وهم ينظرون، وتوجه إلى المخادر، وقد وقعت الوحشة بين الوزير السّيد صلاح وبعض الجند، وهم الذين كانت فيهم النجدة[5] والشجاعة، ورجعوا بلادهم وفتر الأمر قليل. وعزل الوزير ورده إلى صنعاء، وحصلوا على من هنالك، وخرجوا إلى الطاعة مثل الأولين، حيث شقّقت المدافع دورهم، وإلا فما كانوا خارجين، وتوجه إلى بلاد جبلة وحَطَّ بها، وتوجهت الجنود إلى بعدان وصهبان، ومع كل جندي مقدمي وأمير فمنهم من صولح بالمال وفرغ حصنه حيث رأى من قبله في الحتاجي والمخادر وغيرها ومنهم من هو أطغى وصل إلى الحضرة وإظهار الطاعة ودخل في سلك الجماعة وبقي في المطرح فظن الإمام صدقه وأنه قد طرح واعتذر من ترتيب الحصون لما فيها من النساء والأطفال وقد وصل بنفسه وبقي وإذا هو غرّ

---

(١) ضارب (دافع).

(٢) كذا كسابقة وحقه الرفع.

(٣) أي ولّاه عمالتها.

(٤) جمع طبشي: وهو صاحب المدفع الضارب به.

(٥) في الأصل المجدة.

مترقب الفرصة لحتى تفها[1] الشوكة ومع الإقبال أظهر ذلك الطاعة وفي آخره أنكر ما هنالك.

وأقام الإمام نحو شهرين وعزم على الرجوع صنعاء فلما خرج من مدينة إب لحقه أهلها يعنفونه بالكلام ويشتكون [٢٤] ويبكون ويستغيثون من البغاة لما قد صدر منهم إليهم وبعد عزمه سيعاقبوهم فلم يلتفت إليهم فما أشأم الإياب بعد الذهاب، والأمور لم تنتظم، وكانت عادة هذا الإمام في كل مخرج القلق في آخر الأمر، ولم قد انتظم واستناب الشيخ علي مظفر خليل، فوقع بينه وبين بقية القبائل حرب، وآخره تعاقد هو والعقال والمشايخ على الظلم والجور فظلموا وبغوا سيما الأغنياء فخلسوهم ما يملكون، وآخره قلق على نفسه فطرح الأمر الدولي، وعاقد العسكر على حكم القَبْلَة أنه يواخيهم[2] وأظهر لكل قبيلة أنه منها وتبرىء من قبيلته هَمْدان، وما هي منهم إلاَّ شطارة، حتى تَمَّم وعده، وأدخل الشحناء بين القبيلتين خولان وذو حسين، حتى اقتتلوا وذهبت رجال، وهذه مكيدة منه لما صنعوا معه.

ووقعت به المشاكي[3] من الرعايا وعزل، ووقع بدله القاضي حسين بن يحيى البرطي، وأظهر للرعيّة العدل والتعفف، حتى تمكّن من الأمر، وفعل فعل أضر من علي مظفر.

ودخلت سنة ١٢٤٩:

وجاءت الأخبار أن سلطان الإسلام ومحمد علي باشة مصر أجمع رأيهما على توجيه الأتراك إلى أرض اليمن، وأمروا عليهم الباشا تركي بن الماز[4] ومن تحته أمراء آخرين.

وفي ربيع وصلوا مرسي بندر الحديدة، وكان العامل عليها سعيد يسر، وكان قد استناب في تلك المدة على البندر وغيره من ينوب عنه، ووقع بينهما حروب كبيرة فاصطنعوا الحيلة على من في البندر وذكروا أن معاهم أمواتاً في البحر في المراكب، وأنهم يريدون من أهل البندر الصُّلح والأمان يخرجوا يقبروا موتاهم في البر،

---

(١) تضعف (تبرد). وهي من الفصحى توهى.

(٢) هو أن تواخي قبيلة ضعيفة قبيلة أخرى لمعاونتها وقت الشدة. والمواخاة المحالفة.

(٣) جمع شكية (معروف).

(٤) ورد ذكره في تاريخ المخلاف السليماني بسم تركجة الماز (المخلاف السليماني ص ٥٧٨) وفي كتاب محمد علي وشبه الجزيرة العربية لعبد الرحيم عبد الرحمن، ص ١٥٦ تركجة بيلمز.

فأسعدوهم إلى ذلك القائمين بأمر الحديدة، وهم موالي والموالي أبنا عبيد لا عقول لهم ولو كان لهم عقول ما وقع السبى فيهم طوال الزمان، وهم معرضون ولا تنبَّهوا، وحفظوا نفوسهم مع سعة بلادهم، وكثرة رجالهم وقوتهم فخرجوا الترك، وحملوا مدافعهم كهيئة النعوش[1] أي فعلوها في الجنائز، وأخرجوها على جنوبهم كما يحملوا الموتى وحملوا أكياساً من البز الخشن، وخاطوها حتى وصلوا مرادهم وملأوا الأكياس رمل، وفعلوا جَدْر أي متارس تحميهم من رصاص البندر، ورموا، ولم يشعروا أهل الحديدة إلَّا برمي المدافع الذي لا يسكن ساعة، وخرج من في البحر إلى البر وأحاطوا بمن في الحديدة من كل جانب، حتى أخذوها عنوة ويعلم الله كيف القضية أفهم.

فلما علم الإمام قام وقعد، وأرعد وأبرق، وكان وزير تهامة القاضي عبد الله عبد الواسع فجمع الإمام أهل مشورته، وكل أخذ شوره وشَيْخ الإسلام الشوكاني، أشار أنهم يجهزون في ذلك الوقت على الفور ألف رجل منتخبين ممن حنكتهم التجارب وصادروا الأهوال والمضارب، وأميرهم مثلهم وزيادة في تدابير الأمور وبعد ثلاثة أيام يرسلوا ألفين على تلك الشروط [٢٥] وبعد ثمان أيام يرسلون بألفين على تلك الشروط، فإذا فعلوا ذلك فلن يغلب جيش على هذا الترتيب، فلما ذكر لهم ذلك تغيِّرت الألوان، وذلك لسقوط الهمم والبعد عن المجد فقالوا: لا بأس يكون ذلك، وساعة أجمع الرأي على التأني، وإن هذه الوقعة مثل حق ابن ترابة مضت سحابة أو غَبَرة[2] وانجلت، ولا يعلم ضعفاء العقول أن الأتراك لا ينازعوا باستيلاء على الملك كما قال إمرؤ القيس:

نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا[3]

وكان سينظروا إلى[4] سيرة القاسم بن محمد[5]

وأما الجنود السلطانية فإنهم لما دخلوا ملكوا الحديدة ضربوا لهم بالأمان، وتوجهوا نحو بيت الفقيه ابن عجيل، فأخذوها وتوجهّوا زبيد، وفيها العامل الأكبر السيد

---

(١) جمع نعش معروف.
(٢) زوبعة رمال.
(٣) عجز بيت من قصيدة لامرىء القيس صدره:
فقلت له لا تبك عينك إنما «أنظر ديوان امرىء القيس ص ٦٦».
(٤) ولا سيرت.
(٥) هو المنصور بالله القاسم بن محمد حارب الأتراك في دخولهم الأول إلى اليمن توفي سنة ١٠٢٩.

عبد الله دريب، وأحمد لطف الباري طامش فما كان من طامش فنصبوا له الخازوق[1] عند وصولهم، والسيد عبد الله بقي بعده أياماً وقتلوه بالذبح[2] مثل الكبش، واستولوا على ما في زبيد وغيرها من الخزائن والأموال، حق بيت المال، وصلح شأن الأتراك والتجار، وأهل المدينة بتوسّط السيد العلامة الصوفي عبد الرحمن بن سليمان الإدريسي[3]، وتوجهت تهامة إلى السُّلطان، وارتفع فيها من الجنود المهدوية، وانتظم أمرهم وجلبت إليهم المحتاجات من صنعاء وغيرها من الملابس والحلي، وتوجّهوا بعد حين لأخذ المخا، ووقع بينهم حروب وانتظروا الغارة من صنعاء فلم يصح، فظنوا إنقضاء الأعمار وموافات الآجال، وخرجوا توجهوا الأتراك إلى حيس، وكان الرتب في حيس من عند الشّيخ أحسن بن علي سعد، وعاتب الإمام التوابع الذي كانوا في المخا على ما صنعوا ولا سيما كونه زِدْ وقع لهم جُعْل من المال وعزلهم عن المخدمة[4].

وفي هذا العام: وصل إلى صنعاء يهودي ذكر أنه من يهود القدس، ولعله من يهود الهند، له صنعة باهرة في السِّحر والتّمويه وقلب الأعيان، وأظهر للإمام أنه حكيم، فلما توغل في الدُّخول والخروج، بسط شباك الحيل للإمام، حتى مال لاستخدام اليهود، وجعل بنظرهم أشياء من الخواص، وكان يدخل ناس منهم عند الإمام للمحتاج إليه، ولما خلا المجال للذميين عبثوا بالمسلمين في الضربة والمعاملات، وكان يخاف شرهم خلق كثير، حيث هم أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا، وقيل أنه كان قاعداً عند الإمام في مفرج من مفارج البستان، فتخيّل له بقلب الأشياء ويظهر سحره وفخره، فسلط عليه الإمام الأسد فضربه، وقيل أنه مات في الحال، وقيل بعد قليل. وقد كان أثّر سحره في الإمام لأنه تغير في أحواله وأموره.

ودخلت سنة ١٢٤٩:

وفيها وقع إخراج ذوات الخدور من الدُّور، بأمر الإمام وضبط جماعة من الأعيان والسادات ، ووقع الجمع بين المخدرات والرجال في محل واحد، ولم يزل الضبط والإفزاع يوماً كاملاً، وفي ذلك اليوم هتكت المناصب، وأبيحت الأعراض، وسكبت

---

(١) آلة من آلات التعذيب.

(٢) خ بالطبح بالطاء المهملة.

(٣) هنا حلط المؤلف بين العلامة الصوفي الكبير أحمد بن محمد الإدريسي المتوفي سنة ١٢٥٣ وبين العلامة المحدث عبد الرحمن بن سليمان الأهدل المتوفي سنة ١٢٥٠ وهو المعنى به هنا.

(٤) الخدمة العسكرية.

المدامع من الآماق، وفي آخر ذلك النهـار يوم الثلوث في ربيـع من العام المـذكور، سلكـوا الرِّجـال في سلاسـل الحـديد والنسـاء من ورائهم، ووكلوا بهم الخدم والعسكر وأخـرجوهم إلى [٢٦] داع الخيـر، قاصدين بهم التغريب في جزائر البحـر ولا علمـوا سخفـاء العقول أن تهامـة قد أخذت، وصـار الأمـر فيها لـلإتراك، وقد أنقضت دولة الإمـام فيها، ولعلهـا قد تغيرت النيات، لما أرى مما ذكـر على هؤلاء وعلى الحكـام والعلمـاء، ولا سيَّمـا محمد بن صالح حريوة، وباتوا تلك الليلـة بداع الخير، حتى أضـاء الصبـاح أمـر الإما بردّهم ورجعـوا وقـد أهينت أعـراضهم، وأبيحت حـرمهم، وكـان عـدد الرجـال قريب المائـة، والنساء زيادة على ذلك أكثـرهم من أكابـر النَّاس وفي ظاهـر الأمـر أن الإمـام نهى المنكـر، وزعم أن المخـرجين من المدينة هم الفسقة المستحلُّون لمحارم الله، وهـذا خـلاف الشَّريعة فمن تقـرر زنـاه، وهو محصن وجب عليه حدّ الزّنا وهـو الرجم، ومن كـان بكـراً جلد مئـة جلدة، ولا تغريب فنعوذ بالله من الجهـل، ورمي الناس بمـا لم يكن فيهم ورسول الله ﷺ يقـول: (لخـرابك على حجـر حجـر ولا هـدم[١] مسلم)[٢] وأشار إلى الكعبـة وسميت هـذه المتفقة حق (العناقـرة) وهي من الهفوات لا قوة إلا بالله.

وبعـد هـذه المتفقـة أرسل لكل من عنـده سلاح نفيس من الجنـابي والبنادق والسبايك، وأجبرهم على ذلك، وبعد تسليمها إليه أرجعها لهم، ولم يظهر ما سبب ذلك.

وفي شهر ربيـع من السنـة أجمع رأي الفقهـاء والطلبـة مع هـذه التربّشات[٣] على مبايعة سيدي العلامـة الفخـري عبـد الله بن أحسن بن الإمام المهـدي[٤] سِرّاً، وكـان من جملـة الطلبـة وجعلـوه إمـاماً لهم ولم يفشوا سرهم.

ولما علم سيدي العلامـة الصَّفي أحمـد بن علي السراجي[٥] رحمـه الله أن الأمـر لا يتم في تلك الحـال، وإذا ظهر فخطره أكثر، فأجمع رأيه ورأي الفقهاء على الهجرة من صنعـاء، وباتوا في الروضة، وتوجهوا إلى السِّر وحدود بلادهم، وأنفذ الـرسائل إلى جميع الأقطـار، وأرسل الدُّعـاة إلى جميع النواحـي في بلاد همـدان بن زيد، وحمير وأهـل المشرق يـدعوهم إلى كتـاب الله وسنة رسوله. وبقي في السِّر مناظـراً[٦] لوصول القبائل،

---

(١) هَدْم: إخـافة.

(٢) أورد مثـل هـذا الحـديث العجلوني في كشف الخفـاء وقـال: لينظـر هـل هو حـديث وما رتبته. وفي تمييز الطيب ١٣٢ وفي معنـاه ما أورده الطبراني عن أنس.

(٣) الفوضى.

(٤) أنظر ترجمته في نيل الوطرج ٢ ص ٧١.

(٥) من الأئمة وسيأتي ذكره توفي سنة ١٢٥٠ (أنظر نيل الوطرج ٢ ص ١٥٠).

(٦) منتظراً.

والإمام المهدي معرض عن ذلك. وفي خلال ذلك أفسد أهل عمران، وخرج الإمام ودوّخ البلاد وأخرب دوراً، وأخرب داير المدينة وأدخل المشايخ معه وصلحت الأمور ورجع صنعاء.

وفي شهر رجب اجتمع القبائل وخرج من صنعاء خلق كثير إلى سَيِّدي الصِّفي الشِّراجي، وعقد الرأي من عقال القبائل والفقهاء على الدّعوة من سيدي الصفي، وتوجه الجيوش معه يوم الخميس إلى الروضة وصلّى بهم الجمعة في الروضة، والدعوة لموكلة عملاً بالبيعة لسيدي عبد الله، وإلاّ فسَيِّدي الصفي رجل عظيم القدر، جليل الخطر، لا يبالي بالدُّنيا ولا الترفع[1] قاصداً إقامة الحق وأهله، وتوجه بعد صلاة الجمعة إلى كولة العرج غربي الرُّوضة، وقد عقدت له الرايات، ونصبت المظلة على رأسه، وأحاطت به الخَدَم، وجذب من في صنعاء من العلماء إلى حضرته، منهم القاضي العلامة الوجيه عبد الرحمن بن عبد الله المجاهد[2]، والسيد العلامة محمد بن يحيى الأخفش[3] وغيرهم، وأهل صنعاء مناظرون قدومه راضون بإمامته، وتقدم إلى السواد فنظر الناس إلى جيش عظيم، وعامة الفقهاء في حضرته، ووضع المحاط في السّواد وشهر القوم أسلحتهم، وأكثروا التّهليل وأظهروا القوّة، وتفرقت المطارح، ونفذت الأوامر يميناً وشمالاً إلى القرى المحيطة، يأمرهم بالطّاعة وتسليم الواجبات وسياق العلف والمخضّرات[4] إلى المطرح ووقعت المحاولة بين سيدي الصفي أحمد بن علي السراجي وبين من عنده فمنهم من يقول تكون دخلتهم من الخندق القبلي، ومنهم من يقول: من بئر العزب، وسيدي العلامة الصفي، يقول: يكون الدخول إلى البستان وما هو إلا خاشي[5] من معرة[6] الجيش على أهل صنعاء، لأنه ما يريد يدخل في ذمته شيء، وعنده أن الغريم المهدي، وباقي الخلق بريُّون، وهذا من الدِّيانة الذي فيه رحمة الله، ولعلمه أن القوم نِيّاتهم غير نيّته لأنه ما يريد إلاّ الله والدار الآخرة والقبائل ما قصدهم إلا الطمع والنهب فلهذا ترى ما سيأتي، هذا ما كان من خير الهادي السِّراجي.

وأما خبر الإمام المهدي، فقام وتعب وجمع قبائل خولان والتّوابع، وأمر بحفظ

---

(١) كذا في المخطوطة.

(٢) من العلماء الأجلاء سعى في التوسط بين القبائل وناصر الإمام المذكور توفي سنة ١٢٥٢ (أنظر نيل الوطرج ٢ ص ٣٣).

(٣) عالم جليل ولد بصنعاء سنة ١٢١٠ له ترجمة في نيل الوطرج ٢ ص ٣٣٩.

(٤) الخضروات والفواكه.

(٥) صفة من الخشية (معروف)

(٦) وطأة. وفي الحدبث اللهم أني أبرأ إليك من معرة الجيش المعرة الأذى والميم زائدة.

أدراك المدينة والبساتين، وأمر الشّريف علي السراجي[1] والوزير وأرباب دولته بمخادعة أصحاب السراجي بالمال، فنصبوا شباك الحيل على عقال بكيل ونهم وحاشد وأرحب، والناس أبناء الدَّراهم والدنانير لا دين لهم ولا ذمة ولا ينقادون للحق إلاّ مع الأطماع، والمحق عندهم من كان كثير المال ويداه مبسوطتان، والمبطل عندهم المفلس أو الذي لا يعطيهم أقماهم الله، فلما وصلت الدَّراهم إليهم ظهرت مخادعتهم، ونكثوا إيمانهم بعد عهدهم، وأظهروا الفِتْنة بين بعضهم البعض، ولما كان اللَّيل ولُّوا الأدبار وانهزموا وخذلوا القائم حتى لم بقي في المطرح إلا الفقهاء، وقليل من أفراد الناس، وأصبح الجميع «ليس فهذا ما أخبرتك»:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر[2]

فمن الناس من لم يفش خبره في صعاء، ومنهم من فشا خبره وعزم معه، وبقي في قرية في بلدانهم إسمها الغيظة قريباً من سنه، واغتاله بعض الأشقياء وقتله غيلة في مرقده، كما قتل جدّه صلى الله عليه وآله[3]، فلعن الله قاتله[4] يوم الربوع ٢٥ صفر سنة ١٢٥٠. قيل: أن بعض خواص الدُّولةجعل لقاتله جُعل ويقتله، فقتل، وقيل أنه كان معه وهو مستصحب منه السَّلامة، ولما طعن السيد الشهيد صاح فأقبل الناس ولزموا القاتل، فأمرهم سَيِّدي الصَّفي كما قال جده علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: لا يقتلوه إلاّ بعد وفاته لأنه بقي فيه رمق، فلما توفي سعيداً شهيداً رحمه الله وضعوا السلاح في القاتل الشقي لعنه الله. كما لعن ابن ملجم ولا قوة إلاّ بالله.

وفي شهر رجب هتكوا منصب الشَّريعة بسبب الوزراء والعمال، وقبضوا الرَّايات كما فعلوا أولاً وبقوا نحو خمسة أشهر يأمروا الخدم يطوفون على الحكام إذا لقيوا عندهم أحداً يريد حكم الله أو مستفتي أو طالبين الغريمين صلح، حتى دخل شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، وأوضح للإمام الخوض، وبعد ردوا لهم الرايات، وهذه أمور مستنكرة وهي[5] مما تدل على زوال الأمر وعلى نحاسة الدَّولة ودبورها، وإلا فهي عمود الدين وشعار الإسلام نَسأل الله السلامة، من حمل النَّاس على غير السَّلامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [٢٧] وفي خلال ذلك دعا السيد حسين

---

(١) لعله وهم من المؤلف وإنما صوابه الشَّريف علي ناجي سبق ذكره عدة مرات.
(٢) من أبيات مشهورة للحارث بن مَضاض بن عبد المسيح الجرهمي من ملوك الجاهلية من قحطان.
(٣) يعني به الأمام على كرم الله وجهه .
(٤) كذا.
(٥) خ وهيه.

المؤيـدي [1] في بـلاد صعـدة، وهـو من تـلامذة سيدي أحـمد السّراجي، وممن قـاد الجـيوش معه، وآل أمـره إلى التّـلاشي، ولكـن قد أفـاد أهـل تـلك البلاد بتعليم الشرائع والصّلاة وغيرهـا من معـالم الـدين، لأن أكثر البـلاد الشامية بـداوة.

هـذا خـبر الإمام: وأمـا خـبر العجـم فـإنه لما طابت لهـم تهامة كاتبوا الشّيخ أحسن بن يحـيى، وأنـزلوا أولاده إليهـم حـدّ الرهـائن لحـتى يأمنوا، وطـلب كبير الأتـراك التزويج من الشيخ أحـسن، فزوّجـه بابنته وزفّهـا إليه إلى المخـا، وكملت الصّداقة والمودة، وأجـمع أمرهم على طلوعهـم تعز، وملكوها بالنّسبّة[2] والخـدع والمـكر، فـلما صـار اليمن في أيـديهم مضافاً إلى تهامـة نجـم نجـم الدُّبور، وزالت أيـام الأنس والسرور، وخـرج ابن مجـثل[3] من الحـجاز بقوم لا قد خـرجت مع أحـد كالجـراد الناثر، فرجعـوا التـرك إلى المخـادر وأعدُّوا واستعـدوا، فلما قـرب منهـم النجـدي، جـمع أصحـابه يوم جمعـة خـارج المخا، وخطبهم خطبة عظيمة وحَرَّضهم على الجهـاد، وكانت المتصدقة [4] فيهـم أربعة آلاف، وقبضوا منهم أكفانهم على حسب عاداتهم أن قـد باعـوا أنفسهم من الله ومن أميرهـم، حـتى أنهم يقعـوا لأهـل السلاح كالـدرق وكالمتـارس، ولا يستلحّـون المتصدقة، واقتسموا فريقين كـل فريق بمتصدِّقتهِ، ففريق جـاء على بـاب الشاذلي[5] وفريق على الشّيخ جوهـر[6] وبـاب صندل[7] وكبـروا وهـللوا، ودخـلوا فرموهـم التّرك بجـميع المدافع، فـكان كـل مـدفع يـشل شارع، فـلم يبـالوا بـل يسرعـوا إليها، فامتلأ الخبت[8] قتـلى منهـم، وجعـلوا بعضهـم فوق بعض حـتى حـاذوا سور البندر، ودخـلوا عنـوة والقتلى منهـم لا تعـد ولا تحـصر، ولمـا رأوا ذلك التّـرك فشلوا واندهشوا، فتركي ابن الماز كبيرهـم والبعض منهم، عـبروا البحـر، والبعض في البندر قتـلوا جميعاً، ومـلك عسير وتهامة وارتفع ابن مجـثل، وجعـل عليها أمراء من تحـته، ولقد أجـادوا أهـل عسير جـودة ما قـد أحـداً أجـاد مثلها فيما تقدم، ولا تـقع فيما تأخر، وصاحـوا للنّـاس بالأمـان، وتصالحـوا هـم والتُّجـار على قـبض أموالهـم بغير حـق، وهـو المقصود الـذي في البـال، وما فَرّ من

(1) هو الحسين بن علي المؤيـدي من العلماء له شعر وأدب تـوفي سنة ١٢٥٢ (نيـل الوطرج ١ ص ٢٩٢).
(2) الصهـارة.
(3) أي لم يسبق خروج مثلها.
(4) كأنهم المتصدقة بأرواحهـم.
(5) هـو الشيخ علي بن عمـر الشاذلي صاحب المخا من المتصوفة في اليمن توفي سنة ٨٢١ (طبقـات الخواص ص ١٠٠).
(6) هـو الشيخ جوهـر بن عبد الله صوفي من أهـل عـدن (طبقات الخواص ص ٤٦).
(7) صوفي ذكره الأهـدل في تحفة الزمن (مخطوط).
(8) الفلاة.

العجم إلا القليل مع كبيرهم تركي بن الماز، وخرجوا إلى الحديدة، والسفن قائمة للفرار، ولكنه قد هم مخفين من الأثقال ما بقي للهرب إلّا الرجال وأما المال والسِّلاح والخزينة والذخائر والقماش والحلي والخيل والعديد والذخيرة من الباروت والرّصاص والخيام والمدافع، وجميع آلة الدولة وآلة العمال من المال، فقد أودعوا ذلك كله عند نسبهم الشيخ أحسن بن يحيى، وقد كاد يذهب عقله من الفرح، وقال في نفسه: هذا رزقاً ساقه الله إليه، وما في ذهنه إلّا أن الترك إذا قَفَّوا[١] ما يرجعوا وصارت له غنيمة، ولو علم المسكين أنه السّبب في قرب أجله وانقطاع أمله وعمله ما فرح.

ودخلت سنة ١٢٥٠:

أرسل الإمام المهدي بهدايا عظيمة وسيوف [٢٨] وخيل وملبوس للأمير علي بن ترابة، وأجمع رأي الإمام وأرباب دولته على أرسال الشّريف علي بن أحسن الحسيني إبن عم الشريف علي ناجي، وعزم إلى ابن ترابة، ورجع بالجوابات وهدايا للمهدي أحسن من الذي صارت له، وكان ظن الإمام أنه سيرجع له تهامة أو يجعل له جعلاً من أعشارها في كل عام، ولما استقر الشريف على أحسن في صنعاء، وصلت كتب من عند الأمير علي بن ترابة أن الهدايا الذي وصلت لم يكن إلّا البعض، والذي صدرت من لديه كانت أكثر من الذي أوصل، ولعل الكتب غيرت وبدلت، وأخذ من الهدايا شطرها حيث قد بدّلت الكتب أمن الضرر، وتقررت خيانة الرّسول وخدعه للأمانة والوديعة، وفي ضمن ذلك كوامن وضغاين متقدمة، وقد حالت آجال وانقضت أعمار، فوقع المهدي بالشّريف علي بن ناجي، والشريف علي ابن أحسن وقرابتهما وأنسابهما، ووقع الاستيلاء على ما في بيوتهم والثبوت[٢] على أموالهم وأعنابهم، ووقع القبض على الجميع، وتنقلهم في السجون، لم ينفلت منهم إلى السيّد عبد الله السراجي نسب الشريف علي ناجي، ولم يزل يجمع القبائل إلى مِحِلة ويطأ منهم[٣] يريد التّطويل على المهدي، عسى أو يخرج الأشراف من السجون، وآل أمره إلى وصوله بجماعة الليل إلى؛ كبيشات: خارج بستان السلطان، ورموا ببنادقهم إلى دار الإمام وأفزعوا النّاس بذلك، فما لبثوا غير ثلاثة أيام حتى وصل السّراجي تحت الحفظ إلى حضرة المهدي،

---

(١) أي أدبروا.
(٢) كذا لعل صوابه الوثوب.
(٣) طأمنهم طمأنينة: سكن وآمن له.

وكان الـوزير اللئيم قاسم بن علي العفـاري، رجـل لا يخـاف الله طـرفة عين، فيـه من النخـوة وعـدم المراقبـة ما لا يـوصف، وحق على الله ما رفع شيئاً إلّا وضعه، وكادت الدّنيا أن تكون دار جـزاء، ولمـا وصـل السِّراجي إلى الميـدان أمـر المهـدي بإنزال الشـريف علي ناجي، والشـريف علي بن أحسن إلى الميـدان، وأمـر بضـرب أعناقهما مع الثّلاثة، فضربت في الحـال، وانقطعت الآجـال، وكان ذلك يوم خـامس وعشرين شهر صفر سنة ١٢٥٠ ولم يصلبوا بل دفنوا في الحـال.

ونعـود[1] إلى ذكـر الأمير علي بن تـرابة، فإنه لمـا استولي على زبيـد وبيت الفقيه، وقسّم الغنايم بين أصحـابه ووافـاه الحمام، ولم يشعـروا إلّا وهو يصيـح صيـاح الثكلا، ويلتهب بدنه، ومـات من حينـه، وتلاشي أمر عسير، وولّوا الفـرار إلى أوطـانهم، وانتهز الفرصـة العجم، وقد أمـدّهم السُّلطان بجيوش وأعـوان من أهـل مصر، وأمـر محمد علي باشا يمـدّهم ويكون ظهيـراً لهم، وتأمّـر على الخـارجين أمير الحـرم الشريف إبراهيم[2] باشا وخـرج إلى تهـامة وسلك مسلك من قبلـه، وأمن الناس وأمنت الطرقـات، وأثنا عليـه الحاضـر والبـاد، وكـان فيه من الكـرم والمعـرفة في الفقه ما لا يكون في غيره، أخبرني من أثق به، وملكـوا الحـوازات مثل حفـاش وملحـان وريمة إلّا اليمن الأسفل ودولة صنعـاء معـرضون عنهم، والـوزير قاسم العفـاري مشغول بأمـوال الناس وظلمهم، وإظهـار جبروته، والمهدي نائم وعين الله لا تنـام ﴿ ولا يعـذب عنه مثقـال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾[3].

وفي ربيـع آخـر من هـذا العام توفي [٢٩] القـاضي علي بن محمـد[4] الشوكاني.

وفي الشهـر الثاني آخـر جماد الأول تـوفى والـده العـلامة شيخ الإسـلام محمد بن علي الشوكاني[5] رحمه الله، وبموته ضعفت قوائم الشريعـة، وكان مهابـاً في صدور الظلمـة، وأحكامـه لا ترد ولا تنقض في جميع الأرض، ولما وقعت أسحـار اليهودي في المهـدي، وقـع الخـلاف في بعض الأمـور وقـام للقضـاء صنوه العمـاد يحيى بن علي الشوكاني[6] وأين هـذا من ذاك، فلعمـري لقـد لعب العفـاري بهذا الحاكم لعب الكـرة

(١) خ نعد.

(٢) هو إبراهيم باشا يكن أنظر حبر دخوله اليمن في كتـاب محمد باشا وشبه جزيرة العرب ص ٢٠٦.

(٣) سورة سبأ الآية ٣.

(٤) من العلمـاء ولد سنة ١٢١٧ وأخذ علومه على عمه ووالـده أنظر ترجمته في نيل الوطرح ٢ ص ١٦٢.

(٥) أنظر ترجمته ومصادره ومؤلفـاته في كتابنـا مصادر العكـر الإسلامي ص ٢٤٢ وأفردنا كتبه برسـالة مختصـرة نشرناها في مجلة دراسات يمنية.

(٦) عـالم وفقيه كبير ولد سنة ١١٩٠ وأخذ علومه عن أخيه وتولى القضاء ثم سجن مع ابن أخيه أحمد بن محمد في وقت الناصـر عبد الله بن الحسن توفي سنة ١٢٦٧ (نيل الوطرج ٢ ص ٣٩٥).

بالصّولجان، مع ضعف عزيمته، حتى أنه أرسل إلى ذمار لعلي عطية الفقيه، وأراد بجعله قرين لأجل إدخال الشّحنا وانتهاز الفرصة، وخلاله المجال في حكام صنعاء وقبض الرّايات ومنعهم عن الحكومات، وفتك ببعضهم بأخذ أموالهم وبنا[1] نفسه أنه الإمام، وكان يبيت بعض الحالات عند المهدي، وتسلط عليه وعلى الناس، وبقيت أحوال النّاس تضطرب، ولما تيقن الفقيه على عطية أنه من حقّ النّار، رجع إلى ذمار، وخلا بينه وبين النار، وعاقبة الظلم وخيمة، ولما تيقن المهدي أموره ونخوته وعجبه، ولم ينهه كبر سنه وشيبته، قيل أنه دخل في بعض اللّيالي ومعه خادم خصي، ولم يزل يتبجح بالكلام، حتى جاوز الحد، وبنا نفسه لولا وجوده إن قد هلك المهدي، وأخذت[2] البلاد، فعظم ذلك عليه، ومع التسليط من الله بانتقامه، أمر المهدي بتعزيره وضربه بالسّياط ضرباً مبرحاً وقيل أنه وصل ثاملاً من الخمرة ويتبجح بالكلام، وقتل خادمه، ووضعوه للأسد، ولم يأكله وأخرجوا قاسم العفاري إلى بيته، وبه رمق ولم يشعر النّاس إلا بالنعش والجنازة وأشعروا أنه وقع به عارض وهلك في شهر شوال سنة ١٢٥٠ (من أعان ظالماً أغري به)[3] صلى الله وسلم على من قال هذا فما ينطق عن الهوى.

وفي شهر رجب خرجت القبائل من أرحب وتقدمهم سعيد ناصر الهجام وقبضوا نوبة الشّريف علي بن ناجي في ذهبان واستولوا على جميع (ذهبان) وخرج الإمام، وجرت المدافع ورموا النّوبة ولكنها من الطين اللازب[4]، وخرجوا إلى الطاعة وأمر بخراب النّوبة وخربت، ورجع إلى صنعاء، وقد تعلق به السّقم ببدنه نسأل الله العافية، وبقيت الأمور مضطربة والتّربشات حاصلة إلى آخر العام ولوائح الشدّة قد لاحت.

ودخلت سنة ١٢٥١:

والناس متوقّعون حادثاً، والشدة إلى زيادة، وظهر الخلاف من أهل عمران وخرج الإمام إلى الوادي يريد التّجهز عليهم، وحضر من توسّط بينهم، وصلحت الأمور، وبقي في الوادي أياماً، وخطر في بال الإمام يأمر الطباشية يرمون[5] بالمدافع في سايلة[6]

---

(١) اعتقد في نفسه.

(٢) خ أخذة.

(٣) حديث من أعان ظالماً قال ابن الديبع: رواه ابن عساكر في تاريخه من حديث ابن مسعود به مرفوعاً وفي سنده متهم بالوضع وهو أبو زكريا العدوي فهو آفته أنظر تمييز الطيب من الخبيث ص ١٦٠.

(٤) الطين: لزق وصلب.

(٥) خ يرمون.

(٦) مجرى السيل.

الـوادي لغير سبب فسثل[1] لما ذلك، فأجاب: أنه بيحـرب سعيـد الهجّـام إلى بـلاد أرحب.

وفي جمـاد خـرج ذو حسين يقـدمهم النَّقيب محسن بن علي الشـايف وطـرح في السَّـواد وصـاروا يغزون وينهبون والإمـام مشغول[2] بعلّته، والقبـائل قد أصابهم الجـوع، والشِّدّة قد زادت وعَمَّت الجميع، وتوّجهـوا خَضُور، وأخـذوا المسـاجد، وصـاروا يفترسـون البـلاد، ويغـزون إلى أطـراف البـلاد، والمهـدي في مـرضه، ومـرضه إلى زيـادة إلى يوم السبت السـادس من شعبان [٣٠] وتوفي وأجمع رأي أصحـابه على ولـده الجمـالي [3] وحفظت الأدراك ودفن في بستان المسك جنب قبـر والـده المتوكـل أحمـد رحمه الله، ومـدة خـلافته عشرين سنة إلّا شهرين منها عشر منتظمـة، وعشـراً لعب وتـربّشات، وكـان من القسـاورة كم رؤوس قطعهـا وكم مهـامع[4] خـاضها، ووازر معـه خلق كثير، كلهم وقـع بهم وأخـذ أموالهم، وكل ما جمعوه معه، إلا نفـر يسير الـذين سلموا منه، وكل أحـد سيلقى عمله ويقف بين يد ربـه.

[دعـوة المنصـور علي بن المهـدي]

ذكـر خـلافـة[5] ولـده هـو المنصور علي بن المهـدي عبد الله، دعـا يوم موت والـده، وبـايعه الأقصى والأدنى، وبعـد البيعة خـرج لدفن والـده، ورجع القصـر حَسَب العادة، وضـربت المدافـع وفرح به النـاس فـرحاً شـديداً، وما يعلمـوا ما في طيّ قـدرة الله مما سيكـون ﴿ إن الله لا يحب الفـرحين ﴾[6] وكان هـذا الإمام أكـرم من الغمام، ولكنـه يضع الحقـوق في غير مـواضعهـا لعـدم اختبـاره بأحـوال الناس، وبقي الـذّهب فوق كل رئيس، وكل شيخ، وكل من عـرفه، وكـان يتخلق بأخـلاق جـدّه المنصور علي[7] في الكرم، والـرّجل غيـر الـرجل والـزمان غير الـزمان، وبعـد ذلك أرسـل إلى النقيب محسن الشايف ومن عنـده، فطلبهم الإمـام وأمنهم، ودخلـوا سـامعين مطيعين، وتفـرقت جميـع الخـارجين في الأقطـار من شـدّة الجـوع، وأحـاط الله بأكثر البغـاة.

---

(١) خ فسوول.

(٢) خ مشعلول.

(٣) هو علي بن المهدي.

(٤) جمع مهمعة وهي شدة المعركة.

(٥) خ خلافت.

(٦) سورة القصص الآية ٧٦.

(٧) هـو المنصور علي بن العباس من الأئمة تـولى الحكم سنة ١١٨٨ وتوفي سنة ١٢٢٤ وقد عـرف بسيرة الملوك من الولـع بالمبـاني ونحـوها كما سبق ذكـره في أول الكتـاب.

ومن مناقب سيدي الجمالي: أن الذميين الذين دخلوا في الأعمال مع والده وأضرُّوا بالمساكين، وقع بهم ونهب بيوتهم وغرَّبهم من صنعاء لسوء بغيهم مع أبيه بالمسلمين، وتَمَّم أعمال قبة طلحة إلا أن الأساس على غير أساس، وكان جليل القدر سليم الطّوية إلّا أنه قام بين أشرّ البرية في زمن قحط والمرء يفر من أخيه ووالده وبنيه، ومنهم من يضيّع دينه ويقوِّم بدنه في تلك المحال.

وفيها: نجم نجم الهلاك على من في صنعاء وحوازها، ورفعت البركة من المأكولات وكل أكل لا ينفعه أكله إلّا ساعته تلك وشاهت الوجوه ونحلت الأجسام، وسقط القوى في الأقصى والأدنى، وهلك خلق كثير من الفقراء والأغنياء، وكانت الجنائز لا تنفك ساعة من كل باب، حتى كانت النساء تخرج الجنائز إلى مغتسل باب اليمن، مع ضعف قُوّة الرّجال، وكان الصياح لا ينفك ساعة، لا في ليل ولا في نهار، وهذا بلوى من الله لعباده وامتحان لأوليائه كما قال تعالى: ﴿ ولنبلونكم[1] بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾.

ومن جملة من مات في هذه من العلماء القاضي عبد الرحمن بن عبد الله المجاهد[2]. وسيدي أحمد بن يوسف[3] زبارة وسيدي محمد بن أحمد زبارة والقاضي عبد الله بن علي بن سهيل[4] وغيرهم.

ولم تحدث حادثة لما الناس فيه من هذه الشدّة ﴿ لكل امرىء منهم يومئذ[5] شأن يغنيه ﴾. وأهل المشارق رحلوا المغارب، وكانت النِّسوان تمر منهم نحو المئة، وما يجد معهن إلّا رجل واحد، وكأن هذا القحط نعوذ بالله من أيام المحشر، لشدة الهول وقد تقدمه[6] سنة ١٢٤١ وسنة ١٢٤٢ من هذا نعوذ بالله من هذا وذاك والعوام يتشاءمون بهذا القائم.

وفي شهر ذي الحجة من هذا العام أنتهب الأرياني[6] الوزير أموال الناس

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٥.

(٢) سبق ذكره وهو من العلماء الأجلاء ناصر الإمام أحمد السراجي وهاجر معه كما ذكر وفاته سنة ١٢٥٢ وقبره بحربة الروض جنوبي صنعاء (أنظر نيل الوطر ٢/٣٣).

(٣) من العلماء الكبار وله الكتب الشهيرة في الحديث وغيره ولد بصنعاء سنة ١١٦٦ وتوفي سنة ١٢٥٢ (أنظر مصادر الفكر الإسلامي ص ٧١).

(٤) من أفاضل العلماء ولد سنة ١١٨٠ وتلقى على علومه علي الشوكاني وغيره نصب للقضاء في الحكومات (أنظر نيل الوطر ج ٢ ص ٨٤).

(٥) سورة عبس الآية ٣٤.

(٦) يبدوا أن المؤلف كان صاحب نظرة تشائمية موحّدة لكل من يتولى أمر الوزارة إذ لا يكاد يسلم منه وزير واحد

وغنمهم، ووعدهم بتسليم ثمنها إلى بعد العيد، وهرب وحَقّ الضّحايا وأموال الناس بذمته، وصاروا الناس يشتكون على الإمام، وكان الوزير ضعيف وسيأتي خبر عاقبته في أيام دولة النّاصر، وكان يتردّد في الوزارة مراراً، وليس له فيها حاجة مع غناه.

ودخلت سنة ١٢٥٢:

والأمر مستمر والفناء كائن، وفيها: وزارة الفقيه عبد الله الأكوع، والسيد أحسن بن إبراهيم الكبسي، وكان الكبسي [٣١] يتخلّق بأخلاق قاسم العفاري، ونسي ما صار إليه ومن خصائص هذا الوزير هدم الشريعة المطهرة، وغرر على الإمام بما لا يتصور، فأسعده مع جهله، وقد ذكرنا آنفاً من علامات الدّبور التّعرض للعلماء والحكام لأنهم في أمور دينية خارجة عن أمور الدّولة، وهم على شيخ الإسلام ولله في خلقه أحكام، فما لبث السيد أحسن بعد ذلك غير عشرين يوماً، وأحاط الله به على يد من سَلّطه الإمام وقع به، وقامت الشّريعة وتوازر عوضه القاضي يحيى بن محمد السّحولي[1] كان حاكماً ووجيهاً فيا موره، فلما أكل الحرام، وتوغّل فيه وقع أخس ممن مضى وأبدل العدل بالظلم، وطمس الله على سمعه وبصره وسلب علمه، وظهر عيبه وجهله، حتى أنه فعل ما لا يفعله غيره قبله ولا بعده، إذا مات ميت وله وارث عصبة أو ذوي رحم، نقل ما خلفه إليه، وكان يظن الإمام مع جهله بالشرعيات أن ذلك شريعة، ومع حسن ظَنّ الإمام، وسلامة صدره ما ظن أن أحد يتلّون تلوّن الحربا، فمن كان حاضراً من الورثة وافتدى ميراثه بشطر سَلّم إليه البقية، ومن كان غائباً أو ضعيفاً وهَبّ ميراثه ومع اشتغال النّاس بما هم فيه من الشدّة والجوع ما بقي من يَنْهي المنكر، وإنما كل أحد في ذلك الوقت نفسي نفسي.

وفي شهر رمضان أمر الوزير بإخراج التجار من الساجد، وصادرهم، ومعه يحيى عقيل أظلم منه. وطلب منهم في ظاهر الأمر قرضة وفي الباطن نهب، وأخذ أموالهم ومنع الشكايا من دخولهن عند الإمام، وأذاق التّجار ومن كان ذا حرفة، أذاقه سوء العذاب، وهذا في شهر رمضان في تلك الشدّة والجوع والموت، وهذه الأفعال الشنيعة وحاكم الحكام معرض، والحكام الذي تحته ونحن منهم لا قدرة لهم ولنا على شيء مع هذا الظّالم الغشوم المشؤوم، ومن نهي المنكر عاقبوه، ولعل الدين قد

= وقد ذكر لي بعض أحفاد هذا الوزير أنه كان من الصلاح بمكان، ولا عبرة بما بهته به المؤلف، وهذا التنبيه لهذا الوزير ولغيره فيعلم.

[1] أنظر ترجمته في نيل الوطر ج ٢، ص ٤٠٧ ولم يحدد المؤرخ زبارة وفاته.

ضعف، وما هي إلّا أعمالنا[1] كما ورد عن سيد البشر[2] وفي الحديث القدسي يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلّا نفسه[2].

وفيها خرج سيدي العلم قاسم بن المنصور مغاضباً وبَثّ الرسائل إلى جميع النواحي، وأقام في اليمن الأسفل، وتعز وبلادها ودعا النّاس إليه وتلقّب بالهادي، وخرج إليه من صنعاء خلق كثير، ومن موالي الإمام بأسلحتهم وخيولهم، وأجابته أكثر الناس، ولكنهم أبناء الدنيا والدنيا كما قيل شعراً:

كل من في الوجود طالب صيد غير أن الشباك فيها اختلاف

ولما علموا قِلّة ما في يد هذا تركوه ووهن أمره، واستدعى التّرك إلى تعز، ودخلوا المدينة وملكوا البلاد، وصالحوا من في الأدراك من ذي غيلان والتوابع بالمال، فلما فتحوا باب الدراهم تهافتوا عليهم العرب تهافت الذّباب، وهم منهم أحذر من الغراب، ولا زالوا يدبُّوا في البلاد دبيب العقارب، وأصلحوا في المدينة الخارب، واطمأنوا إليهم الرعايا وأظهروا كل العدل لجميع البرايا ووصلت إليهم مشايخ بلاد الحجرية وشرعب.

وفيها زال النجم أبو ذؤابة، وظهر آية أخرى في عاشر شوال أختلفت الشهب سن العَدَنْ[3] إلى القبلة ومن القبلة إلى العدن، مدة ساعة فلكية في نصف الليل، وقد وقع مثلها في سنة ١٢٤٨ من وقت السّحر ووقت الفجر، والنجوم تختلف لكنهامن الشرق إلى الغرب والعكس، والمفلكون[4] يقولون ذلك لحدوث حادث.

وفيها خرج الخارج حسين بن يحيى بن عبد الله البرطي، وخوارج أرحب وقبضوا حصن عُطّان وقطعوا الطريق، وأخافوا الخلق وصنّوا أن الإمام سيصالحهم [٣٢] بالمال فأعرض عنهم ورتّب حَدَّة، وطلب خولان والنقيب حسين بن سعيد أبو حليقة، فوصلوا إلى ظبر الخولاني، وقطعوا الطّريق لليمن، وفي ظاهر الأمر أنهم مطيعون والعصيان شنشنة في قلوبهم، والوزير يواعدهم بما لا يتم، والتوابع في صنعاء

---

(١) إشارة إلى حديث أعمالكم عما لكم قال في كشف الخفاء ١٦٤/١ لم أره حديثاً ولكن من كلام الحسن في حديث كما تكونوا يولى عليكم، وأقول رواه الطبراني عن الحسن البصري سمع رجلاً يدعوا على الحجاج فقال له: لا تفعل... فقد روى أعمالكم عما لكم وكما تكونوا يولى عليكم.

(٢) من حديث قدسي طويل روى عن أبي ذر مرفوعاً (متفق عليه).

(٣) أي من الجهة العدنية «الجنوبية».

(٤) علماء الفلك.

يضطربون ويموجـون موج البحـار، وقد ألقى في صدورهم بعض الأشرار: أن الإمام سيدخـل خولان، ويجعلهـم في أدراك المدينة، ويستخلصهـم لنفسه بـدلاً عنهم، بسبب ما أحدثـوه من الهيعـة[1] والفتنـة، وقـطع الطَّريق على الإمـام بعد رجوعه من صـلاة الجـمعة بـسبب تأخّـر الجـامكية[2] ولـم يـكن ذلك في بـال الإمـام، ولا زالوا في تجـمع ومبـارز[3] في الكبـيرية يوماً بعـد يوم، والمحشّد لهـم النقيب محـمد بن سعيد الشاووش الجـدري وأخـوه علي ونـاجي أبو عيلة الشاووش، وسعد هديَّـان من الرحـبة، واجـتمعوا على خـلع الإمام والهـجوم عليه، وكتـموا أمرهـم ولم يتقيض لا أمير ولا وزيـر لهذه الحـادثة، وقـد علم بها أكثر النـاس قبل وقوعهـا ليقضي الله أمراً كـان مفعولاً، وكان الأمير الأكبر فرحـان صالح العلفي من موالي العليفة.

فـلما كان ليلة الأربعاء ثـالث شهر القعدة سنة ١٢٥٢ هجموا على الإمـام إلى بستان المتوكل، وهو آمن بأمـان الله مستصحب السَّلامة وأجـمع رأي التوابع جـميع على هذا، ودخـل عليه شرذمة منهم من المسعي فوق بـاب شرارة، وقد أجمع رأيهم على سَيّدي الفخري عبد الله بن أحسن بن أحـمد بن[4] المهدي، وأخرجـوه معهم إلى منازل مسجد حَجَر، وانتظر هنالك، والبغاة دخلوا على سَيّـدي الإمام المنصور إلى بين أهـله في بعض المنازل حـق الدار. فقبضوا عليه وكشفوا حريمـه كَشَفهـم الله، وانتهبوا ما في الدور من بيـوت الأموال، حـتى لم يـبق إلاّ اليسير، وصاروا ينقلون ما في الدار سراً وعلانـية إلى بيوتهـم ومنازلهـم، وأخـذوا من النَّفائس والحـلي والحـلل والمفارش والعـطب والسلاح ما لا يـمكن حـصره، وأدخـلوا سيدي عبد الله بن أحـسن الدار بعد أخـذ ما فيهـا، وحـفظوا الأدراك وهـم فيها، وأرسل سيـدي عبد الله لخـواصه وأصدقائه من الفقهاء والسادات ممن تـقدمـت لهم العنايات في مبايعتـه، في أيـام المهدي عبد الله قـبل خروج سيدي العلامة أحـمد السراجي، وكـان سيف خلافة المنصور سيدي محمد المتوكـل في بئر العزب، وعنده خـبر هذه الوقعة إنـما إجـمالاً، وهو معرض ولكن إذا نزل القدر عمي البصر، وعاقبة ظلم عباد الله وعدم نهـي المنكر ولما أضاء الصباح يوم الربوع أرسل سيدي عبد الله للبيعة من النـاس، وأرسل للعلماء والأعيان والحـكام إليه، وتلقب بالنَّـاصر، ولبس لبس الملوك واعتلا فوق السَّرير، وأدخـل سَيِّدي علي بن المهدي، ورآه ليراه النـاس، والحريم في بيت الإمام علي تصرخ صراخ الثكـلا من هذه المصيبة واجـتماع رأي الموالي والأحـرار من

---

(١) الأصوات المفزعة.

(٢) هي رواتب العسكر واللفظة من الفارسية.

(٣) مشاورات خـاصة بينهـم.

(٤) سـبق ذكره.

العسكر على هدمهم[1] فنعوذ بالله من مصائب الدنيا والآخرة ونسأله السلامة.

(ذكر الإمام الناصر لدين الله عبد الله بن أحسن بن المهدي بن العباس بن المنصور بن حسين بن القاسم بن حسين بن الإمام الأعظم المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد):

دعا يوم الأربعاء ثالث شهر القعدة سنة ١٢٥٢ وعمره ثمانية وعشرين سنة [٣٣] وكان من العلماء المدرسين، قد تفنن في العلم، وكُتُب آبائه الكرام زيدي المذهب نشأ على الصَّلاح والتَّقوى، وصبر على الكد في الطلب صبراً[2] جميلاً مع شدة فاقته وحاجته هو وأهله، وهو لا ينفك عن الدُّرس[3] والتدريس، حتى أنه فاق السَّادات من قرابته، وسلك مسلك سلفه، وقد تقدَّم من خبره وتقدم بيعته.

(صفته): معتدل القامة أسود اللون في بدنه ووجهه آثار الجدري أثر جلي.

(خادمه): سعد علي البوَّاب في المنزل.

(بوابه): محمد السَّقا.

(سيفه): صنوه الجمالي علي بن أحسن، ثم سيدي عبد الله بن عبد الرحمن بن المهدي.

(خدامه): محمد بن أحمد الجوفي.

قام بهمة عليه وصلابة قوية، أرسل إلى سيدي محمد بن المتوكل للبيعة، فوصل وهو يتقدم تارة ويتأخر أخرى، ولما بايعه أقعده إلى جنب ابن أخيه سيدي الجمالي، وقد أظهر في نفسه القبض عليهما وحفظهما، ولما استكمل البيعة، وقد حضرها كل فقيه من الطُّلبة وغيرهم وأشرقت لهم الأرض ببلوغ الأمل، وظنوا أن قد ملكوا الأرض إلى أقصى جبل قاف.

ونهار ذلك اليوم، طلع القصر حسب العادة وأركب قرابته فوق الخيل، ونقل أهله من بيت الوقف الذي في صَوْح قبة المهدي عباس إلى دار بستان المتوكل،

---

(١) اخافتهم.

(٢) تكرر في المخطوطة.

(٣) خ الدس.

وحفظ مفاتيح بستان السلطان، وكان فيما قبل هذا إمام محراب قبة المهدي العباس، ولما وصل القصر ضربت المدافع وبَثّ الكتب، ووصلت الجوابات بقبول الأمر وبالسّمع والطاعة، وعند وصل كل بيعة تضرب المدافع، وبقي أياماً في القصر، ورجع البستان والنّاس متعجبّون من أمر الله وقضاؤه، وأمر بالإمام الأول سيدي الجمالي وعمه محمد المتوكل الحبس، وحفظهم الحباسون وقيّدوهم بالقيود الكبار حسب الأمر الشريف، وأرسل للعصاة الذين في حصن عُطّان فدخلوا وخَرّب الحصن، ولما بلغ الخبر إلى اليمن بقيام هذا الإمام تلاشى أمر سيدي العَلَمْ الذي دعا في اليمن وتلقب بالهادي، وبطلت دعوته ودخل المخا، وفرح الناس بقيام هذا الإمام فرحاً شديداً، مع ما قد مضى من الشّدة والجوع، وظنّوا أنه المجدّد، وكان جلساؤه جماعة من الطلبة الفقهاء الذين كانوا في المنازل وغيرهم، الذين لا عقول لهم وإنما هممهم أهويات نفسانية، وأظهروا الكامن في صدورهم على النّاس، وحملوا الناس على غير السلامة والإمام طبعه كطباعهم (وشبه الشيء منجذب إليه) فمن أشوارهم، ربط اليهود فوق قبر المهدي عبد الله وكان يدرسون التوراة فوق قبور السادة والخلفاء ومن ذلك أنهم أشاروا بنبشَ قبر شيخ الإسلام الشوكاني رحمه الله وإخراجه من القبر ثم تحريقه نعوذ بالله من أن يكون، وأشار عليهم بعض أهل الرأي بعدم هذا الشور، ومن ذلك حَدّ الفقيه محمد العصامي[1] وجلده على رؤوس الأشهاد حدًّا ما له[2] رأس[3] ولا أقر بالزّنا ولا بالشرب، واستخلص الإمام الحاج سعد علي ومحمد بن أحمد السقا، وكان مدار الأمور الخاصة عليهم والفقيه محسن الجبري الأعمى[4] صاحب المشورة وغيره [٣٤] ومع من مضى من المجاعة والقحط فقلوب هؤلاء بالجوع مغذاة، وفي أنفسهم على من كان ذا مهنة أو حرفة لا يسأل النّاس، فلم يزالوا ينقلون بالناس إلى الإمام، وهو مؤمن بصدقهم في أقوالهم وأفعالهم، تجاوز الله عنهم، وما صلحت أحوالهم وحسن ظنهم بالناس إلا بعد مُدّة طويلة، وقد صاروا هم الأغنياء دون غيرهم، وشبعت بطونهم، وتنَعّمت أجسامهم باللّباس، فَتَيَقّنوا أن الناس لا ذنب لهم يوجب أذيتهم لهم.

وفي يوم الجمعة الأولي من الدعوة: وقع الإمام بكل ذي ولاية ممن تَقَدّم من

---

(١) هو الفقيه العلامة محمد بن صالح بن العصامي من العلماء الأفاضل يحفظ النوادر والأخبار وقد طبع له أخيراً كتاب مسالك الأبصار جزء منه توفى سنة ١٢٦٣ أنظر نيل الوطر ٢/٢٦٦.

(٢) خ مالهو.

(٣) أي ليس له موجب.

(٤) خ الأعما.

الحكام والنُّظار[1] وغيرهم، وما بقي إلاّ الوزير يحيى السحولي حتى ينظر غيره ممن يقوم بوظيفته، وأمر بحبس الجميع، ولم ينفلت أحد وحبس أمناء الشريعة والوكلاء، وحاكم الحضرة القاضي يحيى بن علي الشوكاني وابن أخيه العلامة القاضي أحمد بن محمد، حتى صار في الحبس جميع الأعيان وقبض الرَّايات، وأراد إبدال خلق جديد، والأمر لله، وهذه عقوبة للعبد على عُدْم النّهي عن المنكر فيما مضى، وسكوت النّاس عن الظّلم لا سيّما وقع في رمضان من الوزير، فوقع لكل أحد بذنبه، ونصب حاكماً للحضرة سيّدي العلامة المجتهد محمد بن عبد الرب بن محمد بن زيد بن المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد[2].

وفي آخر شهر الدعوة عزل الوزير السحولي وفَعَلَ أحسن بن محمد الآنسي.

هذا: والأمور مضطربة والأجناد يحسبون أنفسهم أن لهم الحلّ والعقد بعد أن قد أخذوا ما في بيوت الأموال لنفوسهم، ولم يزل الإمام مواجهاً للناس في كل وقت والنّاس كثيرين البطر، ولما عرف شرارتهم وَتَيَقّن أمرهم عاملهم بنقيضِ قصدهم، وصاغ الحلي والحلل، وجمع إليها كثير من النّحاس، وأطلعها دار الضّرب، وأمر الذميين بالمبادرة[3] بالسِّكة وكان قد بِهْ[4] ضربه كثير في الدار لا طابع لها، قد كان أراد سَيّدي علي المنصور بطبعها وإخراجها، ولم تخرج له ضربة، وبلغ وصول ذي محمد من اليمن. وقد جمعوا ما قدروا يحملوه من الدّراهم والعسل والسّمن والملابس شيئاً وسعاً، فأمر الإمام النّقيب الماس بَلَسه، ونقيب الدّرجة معه، والأمير محمد طثخان أمير بئر العزب، والأمير خير أمير البساتين، فخرج كل أمير بعصابة من التّوابع، فحفظوا الطُّرقات والقبائل ذي محمد قد حطوا في الجهة العدنية وصَافية (باذان) بالقرب من (حمرا العلب) ولما علموا بخروج الأجناد الإمامية، ولا طاقة لهم بالهرب مالوا إلى جهة نقم، وظنوا أنهم يجتازون فسايرتهم الأجناد، ورعفوا المحاط من (داع الخير) وحفظوا آكام جبل نقم، من أسفل الجبل، والقبائل دخلوا بطن الجبل، وما بات ذلك اليوم إلاّ وقد أقبلت الغارات من جميع الجهات، ولما علم البغاة أنهم هالكون [٣٦] مالوا إلى الصلح، ودخلوا في طاعة الإمامة وقبض على كبارهم أئمة بغيهم وقد أرادوا العيب في بلادهم، ولما أحاط الله بهم وقع عليهم شطراً من المال

---

(١) جمع ناظر معروف وهو مسؤول الوقف.

(٢) من العلماء ترجمه المؤرخ زبارة وضبط وفاته سنة ١٢٦٢ (انظر نيل الوطر ج ٢ ص ٢٨٢).

(٣) خ بلمبادرة.

(٤) تقوم مقام به الظرفية إلا أنها هنا تنطق بكسر الباء وتسكين الهاء.

يسلموه في سلامة أثقالهم، وتوجهوا بلادهم، والعقال في الحبس، وكان لهذه الوقعة موقع عظيم في قلوب الناس، مع أنهم يخرجون يستدفعون[1] الخلفاء، وينهبون ويقتلون، وهذا وقع العكس ما أظنها إلّا ذنوبهم مع حسن نية الإمام.

وفيها وصل السيد أحسن المشرعي بجماعة من حاشد واصلين من ريمة، ومعهم الفقيه أحمد بن علي حنش، وبقيوا في حبس الإمام أياماً، وأمر بضرب أعناق ثمانية أنفار في ميدان البكيرية، ورجع أحمد بن علي حنش الحبس، وأخذوا المال الذي معهم، وذكروا أنهم من المِرْبيين[2] وأنهم بغاة، فوقعت هيبة عظيمة في قلوب النّاس، وفي عيد الأضحى[3] قسم الضحايا بين شيعته وأرباب دولته، ونسي المؤلفة قلوبهم.

ومن مناقبه الظاهرة منع المزامير والدُّفوف والمعازف، ومنع النُّوبة، ومنع النساء من الحمام وخروجهن من وقت المغرب ودخولهن السوق، وهذه من أعظم المناقب، وبعد ذلك رَخّص لهم في الحمام، بشرط السُّتر داخله وخارجه، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وتولّى الصلاة بالناس يوم الجمعة بنفسه، والخطابة في بعض الأوقات، وأمر بتعليم الصلاة وإقامة الجماعات، ووصل الأرحام، وكفل الأيتام من قرابته، أصلح سريرته ونيته.

دخلت سنة ١٢٥٣:

والأمطار كثيرة والنعم متواترة جزيلة، وقد بسط الله نعمته ورفع منهم نقمته، وأسبل ستره عليهم ورحمته، ووضع لعباده البركات، وأعشبت الأرض بالنبات، وأزال القحط والجدب، وعَمّت سحائب الخيرات، ورجع النّاس إلى أوطانهم بعد مفارقة أوطانهم وأولادهم، وحمد الله من بقي على سلامته[4].

وفي هذا الشهر تَهيّأ الإمام لإصلاح البلاد، وعزم على إزالة البغي والعناد، وأصر الوزير والأمير بتوزيع العساكر، وتوزيع البادي والحاضر، وإخراج الضّربة وفرقها في البلاد، وتأهب للكفاح والجلاد، وأمر بحفظ من في السجون ممن كثر ذنبه وعظم خطبه، ووكّل على حفظ صنعاء صنوه الجمالي سيف الخلافة، وقلده على حفظ الدُّور وما داخل السور.

---

(١) يضطروهم إلى الدفع.

(٢) المرابين.

(٣) خ الأضحا.

(٤) خ سلامتهم.

وخرج سابع محرم بهمّة عليّة سامية،! وطيور الأسعاد على رأسه قائمة، وتقدمت أمامه الجنود، وعقدت على رأسه الألوية والبنود، وجرت[1] المدافع الكبار أمام الجيش الجَرَّار وخرج الأعيان من صنعاء لتجهيز الإمام والدّعاء له، وبات في (وعلان) واجتمع إليه مشايخ (سنحان) وقد أمر بخروج سيدي الجمالي علي بن المهدي، وعمه محمد بن المتوكل صحبته، وأركبهما في شقدوف[2] فوق جمل كهودج العروس، ووكّل كل من يثق به من التّوابع يحفظهم، ويوم ثاني في جهران بقرية (العليب) وأقام هنالك وانتظر وصول مشايخ آنس وأرسل لمن تأخر عن الخروج معه من صنعاء لتجهيزه، مثل سيدي العلامة أحمد بن زيد الكبسي، وسيدي العلامة يحيى بن مطهر[3]، فوصلوا إليه وأقاموا لديه ثلاثة أيام، وأذن لهم بالرّجوع، حتى وصل مشايخ آنس ومشايخ الحدا وعزم ذمار[35] وتفقد أحوالها، وفتش عن معايبهم وصرف العسكر في دورهم، وأمر بحبس سَيّدي الجمالي، وسيدي العزي، في حبس ذمار، وظفر بنفرين من الخارجين المقادشة فأمر بضربهم حتى هلكوا، وكان النائب عن الحاكم سيدي يحيى بن محمد الأخفش، ووصل رجل من بلاد الحدا وأقيمت عليه البينة أنه باغي فقطعنت يده ورجله، وعقد الوزارة للقاضي محمد بن علي الأرياني، وبقي البعض في يد الآنسي، ومحمد بن حسين الأكوع، وأيقن أهل ذمار بالدّمار لعدم مراعاة الجار، وفرّق الوزير عليهم المعونات، ورادف عليهم الغرامات، وبقي في ذمار نحو شهر ونصف، وكان يعاقب على المحقرات، ويخاطب كل جاني بالتافات[4] وتوجه يريم وأقام شهر وثلاثة أيام، وكتب إلى البغاة الذين في اليمن بالوصول والكف عن المحصول، فبعضهم وصل، وبعضهم تَمَنّع وتَجَبَّر وأصر واستكبر، وظنوا أن حصونهم مانعتهم، ولم يعلموا أن الذنوب قد تراكمت، وقد أذاق الوزير أهل بلدة أريان النغص، وجَرَّعَهم الغصص، لما في قلبه من الإحن القديمة والسوالف اللئيمة، وأمر الإمام بالخروج من يريم فَتَلا أهلها ﴿سلام قولاً من ربٍ رحيم﴾[5] وحمدوا الله على الفرج، وحسن المخرج، وتوجهت الأجناد كالسيل المنحدر، حتى وصلوا (المخادر) وأقام هناك، وقد أيقن البغاة بالمهالك، وولّوا الأدبار، وأيقنوا بالإجلاء والدمار، واقفار الدّيار التي استوطنوها

---

(١) خ جرة.

(٢) مركب صغير كالهودج يوضع على الجمل وهو أكبر من الهودج.

(٣) هو علامة اليمن الكبير صاحب المؤلفات الكثيرة وفاته سنة ١٢٦٨.

(٤) كذا في المخطوطة ولعله التافهات.

(٥) من سورة يّس.

والمعاقل الذي أسسوها، ولم يزل يزلزل أهل العناد، ويصلح أحوال العباد، ويعمّر بالدين البلاد، وتوجه إلى أب وهي مدينة الثجة[1] المعروفة بإب، واسمها هذا حميري أسماها به[2] بعض الملوك باسم جارية، وكان يهواها، واستمر إلى الآن، وهي من أحسن مدن اليمن، فيها الغرف والدّمن، جمعت كل رَوْح وفن، لون الذهب أصيلها، وعرف المسك نَسيمها، أنهارها في أرجائها جارية، وأسواقها وحماماتها ومساجدها للمحاسن حاوية، سكانها أهل الأدب والوفاء وإخلاص المودة والصفاء، وإن وقع الجمع بين الغثّ والسمين، فللحديث شجون فمن المكارم التّعميم وعدم التخصص والتبيين ومعلوم أن أعيان البلد هم الناس والسفلة والغوغا مما يرد على خلاف القياس، ولما طاب فيها المقام، وزال وعك السفر عن الإمام، ونظر إلى حسن بنائها ومنظر جبالها ووديانها، فوجد ها بالمحاسن محفوفة، وبالغيول وأثواب السندس ملفوفة وهي موضوعة في أرض خضراء، فلذا سمى مخلاف جعفر المخلاف الأخضر، وهي أعلا وادي السّحول من جهة الجنوب وبركة[3] هذا الوادي على ممر الأزمان[4] لا تزول قيل فيه على لسن العوام:

إن أنت هارب من الموت فما من الموت مهرب
وإن أنت هارب من الجوع فأنزل سحول ابن ناجي[5]

وفي هذا الوادي مشهد السّيد عرفات قاتل علي بن الفضل القرمطي، كما تقدم ذكره، وذرية عرفات معروفين ببني عرفات في بلاد رداع، وجبل هذه المدينة اسمه بعدان، مخرج النّهر العظيم المسمى الزبيدي، وهو من الأنهار الواصلة إلى بحر القلزم [٣٦] ومن العجائب أن سياق جامعها ينقسم نصفين نصف ينصب إلى الجنوب وينحدر إلى نهرها المنصب إلى بحر فارس البحر الشرقي، وناصفته[6] ينصب إلى الشمال، وينحدر إلى نهر الزّبيدي المنصب إلى بحر القلزم البحر الغربي، ثم لا زالت الملوك تسكنها حتى سكنها عامر عبد الوهاب[7] ووزيره الفقيه علي بن علي

---

(١) هي بلدة خربة في السفح الشرقي الجنوبي لجبل التعكر وسيأتي ذكرها في موضعها آخر الكتاب.
(٢) خ سمها.
(٣) خ بركت.
(٤) خ إلا أرمان.
(٥) في معجم البلدان للحجري ٤١٨:
يا هارب من الموت ما حد من الموت ناجي ويا هارب من الجوع أهرب سحول ابن ناجي
(٦) نصفه.
(٧) من ملوك الدولة الطاهرية وفاته سنة ٩٢٣

النظاري[1] المتقدم ذكره في سيرة عامر، ووطنه بعدان، وكان هذا الوزير رجلاً صالحاً فأجرى النَّهر العظيم النَّازل من بعدان إلى أزقتها ومساجدها، وعمر حمّامها وأصلح جامعها وصَلّ[2] بالأحجار حافاتها وشوارعها[3] وجعل درب من تحت السور إلى السايلة العظمى لدخول الماء [إلى] المدينة لئلا يقطع النهر قاطع من الجبل، ويتحيل عليها عدو بنوع من الحيل، وقد وضعها الواضع في أرض خضراء شعر[4]:

تأمل أبـاً حينما لاح نـورها[5]	كبنت مليك في غلائلها الخضر
فشبهـت مخضر الرياض ونشرها	واشراق نور الدور للناس بالبشر
زبر جـدة خَضْرًا جرى فوق وجهها	قضيب من البلور والدور كالدر
إذا لبست شمس الأصيل حسبتها	عروساً كساها الحسن ثوباً من التبر

ولما استقر الإمام الناصر بسط الشِّباك لمن في بلاد إب من البغاة، ووعدهم بالعطاء وجزيل الهبات، فوصلوا إلى حضرته ووكلوا بعضهم البعض في حفظ الحصون، فأمر الوزير بإجرى نفقاتهم وإحسان نزلهم، وفي بعض الأيام طلبهم الإمام إلى حضرته، وأمرهم بتفريغ الحصون والمقاسم، ونهاهم عن التَّعدي والبغي، فطلبوا منه المغلّبات فتغاضى[6] عن جوابهم، فردهم إلى الوزير وأمره بتنجيزهم وتجهيزهم، وقد أضمر في نفسه على حبسهم، فإن يتوبوا وإلا ضربت أعناقهم، فطلبهم الوزير الليلة الثانية وأمر بإحضار شرذمة من أجناد الإمام والخدم، حتى ملأوا دار الوزير وأشهروا السلاح، ودخلوا الخدم وأمروهم بلبس الحديد، ولما رأوا ذي محمد إلى الجند في الحُجَر والمقاصير[7] علموا أن ليس لهم مفر، فلبسوا الأغلال، وسلموا أسلحتهم قَهْراً، وأودعهم عند نقيب من نقباء التوابع أحسن طامش وأصحابه، فلما وصلوا إليه عضوا أناملهم لديه، وتيقنوا بوقوعهم في ذنوبهم فمنهم من افتدى[8] نفسه وسلم ما في يده

---

(١) كذا في المخطوطة ولعله محمد بن علي النظاري (انظر أخباره في غاية الأماني ص ٦٢٤) أو علي بن عبد الرحمن النظاري «انظر مطالع النيرين ٧٠».

(٢) رصف.

(٣) خ شورعها.

(٤) هذه الأبيات أوردها المؤرخ زبارة في نشر العرف ٢٠٦/١ مع بعض اختلاف ونسبها إلى الأديب قاسم بن صالح بن أبي الرجال .

(٥) النشر:

تأمل إبًا حين آب متيم سناها بديع في غلائلها الخضر

(٦) خ فتعاضلا.

(٧) جمع مقصورة (معروف).

(٨) خ أفدى.

من المقاسم، حتى بقي في قرية (مدر)[1] محل السادة، فلم يسعدوا للوصول، فخرج عليهم الإمام بالعساكر والخيول والشجعان والفحول، وأحاطوا بالدور إحاطة النطق[2] بالخصور وقد وقع بينهم حرب عسير، وبعد وجهت المدافع إلى الدور، وأيقن البغاة بالموت، وصاحوا بالويل والثبور، وخرجوا إلى يد الإمام[3] ولهم عفوه والأنعام، ورجع السادة دورهم، وقد أزال الإمام عدوهم، وبعد ترميم الأحوال عزم الإمام على التجهيز على من في الحجرية وتعز من الأتراك، ووجه القاضي حسين [٣٧] بن يحيى البرطي وعين معه عصابة من أجناد الحق، وعقد له راية وتقدَّم كالليث الهادر والأسد الزَّائر وعقد الرَّاية الثانية للرئيس علي بن سهل الهَيَّال، وتقدم بخولان وأتبعهم بعصابة من الفرسان، فليس كل أحد منهم جلد النّمر، واندفعوا كالسَّيل المنهمر، وقد صحبهم قاسم بن أحسن بن يحيى علي سعد، فهو الذي وصل من عند أبيه، وكشف للإمام من في البلاد من الأتراك، وهو في باطن الأمر طليعة من طلائعهم، ومبطن المكر والخداع، وتقدمت الأجناد حتى وصلوا (القَصِيبة) خارج مدينة تعز وحطّوا هنالك، وقد علم بهم الأتراك وصاروا يدبروا الحيلة في دخول المدينة، وأيقنوا بالجَمَالة والغنيمة، وقد جمع الأتراك جموعهم، وطلبوا من قبائل العرب من يعينهم، وأفاضوا عليهم من أموالهم، فلما علموا من أنفسهم بالثبات، وخرجوا من المدينة وتكردست خيلهم، وهمهموا بأصواتهم وضَوَّلوا[4] وهولوا، فلما علمت بهم الأجناد المنصورة، ثبتوا لكرَّتهم أتم ثبات، وقاتلوهم برمي البنادق وطعن المرهفات، وثبت القبائل الذي مع العجم وكان يوماً عسيراً، وقتل في ذلك اليوم عدّة رجال، وتجَنْدلت أبطال، وكانت الدائرة والظفرة لجنود الإمام، وهزموا الأتراك ومن معهم، حتى دخلوا مدينة تعز، وأحاطوا بهم إحاطة الأطواق بالأعناق، وغنموا أسلحتهم وأمتعتهم، وقطعوا من رؤوسهم ما يشفي الغليل، وأذاقوهم الوبال والتنكيل، ورجع القوم محاطهم، وظهر مكر آل علي سعيد، فإنهم نصروا العجم، ودخلوا المدينة وأظهروا الخديعة، وحملت الرؤوس إلى حضرة مولانا الإمام، فعجب الناس من كثرتها وشناعة[5] خلقها، حيث لَمْ قَدْ[6] عرفوها، وعلقت في باب (إب) ووقع بها موقع في النّفوس، وانتظر من في مطرح القصيبة وصول العطايا والنوال، جزاء لما صادروا من الأهوال،

---

(١) قرية من ذي جبلة.

(٢) النّطق بضم النّون جمع نطاق معروف.

(٣) خ إلا أما بدون ميم أخرى.

(٤) صاحوا.

(٥) خ شناعت.

(٦) هكذا تأتي لم الجازمة والنافية قبل الفعل الماضي على حسب قاعدة أهل صنعاء في كلامهم العامي.

فقلب لهم الوزير ظهر المجن وجَرّعهم أفاويق المحن، هذا وقد قتل الرئيس الأكبر القاضي حسين بن يحيى البرطي، وقتل ابن الرئيس الثّاني علي بن سهل الهيال، وغيرهما من سائر الناس، وقتل من الأتراك خلق كثير، ولوا وقعوا بهم وقعة ثانية كانت القاضية، ولكنه وقع المكر من عدم الإرسال لمن في المطرح بالعطاء والميرة الذي ما عبد الله إلاّ بها وهو الزاد[1]، ولا يعلم الوزير السّخيف أن البلاد في يد العجم، وأنه متعذّر المجلوبات إلى جند الإمام، وبقي يواعدهم مواعيد عرقوب أخاه[2] ولم يفي، فلما علم الأتراك ضعف قوتهم، وعدم مددهم وقلّ ميرتهم، طمعوا في البلاد، وظنوا أن أهلها سريعين الانقياد، وقد استدعاهم الشّيخ سعيد بن أحمد علي سعد إلى بلاد (العدين) وخان أمانته، وهو عامل من جهة الإمام، فنهض من العجم قدر ألفين حتى وصلوا مدينة العدين، وفتحت لهم المدينة وأظهروا [٣٨] القوة والزينة واستولوا على البلاد، فعجب النّاس من أمرهم ومن الطّيافة والصلب لرؤوسهم، فإن هذا واقع عقيب وصول الروس صنعاء، والسّبب وقوع الخيانة من الوزير بقطع الزّاد على الأجناد وهم في (القصيبة) نائيين عن القريب والبعيد، والعدو محاذي لهم، وهم منقطعين مقاتلين ومقتولين في حصار التّرك خائفين، فكيف زدْ يصيروا جاوعين[3] يا وزير السوء، ومن المحال أن تجد من يكرم برأسه من قَطَع رزقه ومعاشه، فرفعت الأجناد من من حول تعز إلى (القصيبة) الذي وصلوا إليها أولاً يبغون وينهبون ويقتلون ويأكلون ويشربون، وينتظرون ما ينتج من نتيجة أو يصل لهم نبأ هذا، والوزير مشغول بما يُعمي ويصم من الظلم للرعية واستحلال أموالهم بخبث النّية ويجمع إلى حصنه المسمى (أريان) الأموال والسّلاح، ويسلم إلى الإمام ما يسكّن به عنه القِيْل والقال، والألسن لا تكف من الدّعا عليه ولهم رب لا يتخلى.

(سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد)[4].

---

(١) من أمثال العوام يقولون... لولا الزاد ما عبد الله وليس حديثاً.

(٢) من أمثال العرب وعرقوب رجل جاهلي يضرب به المثل في إخلاف الوعد قيل هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم وقيل هو من الأوس أو الخزرج قال كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ... وما مواعيدها إلاّ الأباطيل

(٣) أي جائعون.

(٤) يكثر المؤلف من الإستشهاد بهذا البيت أو صدره وهو من بيتين شهيرين للإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفي سنة ٢٠٤ هما:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدري ما صنع القضاء =

ولقد ضاقت الحبوس بمن فيها، وبلغت النفوس أقاصيها، هذا والقليل يدل على الكثير، والبرق يخبر عن النوء المطير.

فلما علم الإمام بوصول الأتراك العدين، نهض إلى ذي جبلة وأمر بالمقام فيها وحملت الأثقال إليها وبينها وبين العدين أقل من يوم ولا زال يطوف في نواحيها ويرغب في الوصول إليها قاصيها ودانيها، وقد اعترى الأتراك الفشل وداخلهم الخوف والوجل، قد كان هَمُّوا بالهرب من العدين بعد علمهم بوصول الإمام إلى جبلة، فطلب الشيخ سعيد بن أحمد قبيلة بني عَوّاض وأمرهم بحفظ المدينة، وأصلح أمورهم مع الأتراك، وهذه القبيلة من أحسن القبائل في العدين، فإنهم يحسنون رمي البنادق، فجَهَّز الإمام[1] بطله الضرغام والليث الهمام الماس بَلَسّه، وعقد له راية، فجهز معه من التّوابع وسائر القبل قدر خمس مائة رامي، وقد اشتاق النّاس للقاء الأتراك طمعاً في الغنيمة من أسلحتهم والسلامة من شرهم، لعلمهم أنهم لا يحسنون الرمي بالبنادق، إنما يوجهوا بنادقهم إلى جهة عدوهم ولا يقصدوا محل ومكان، فشرط الأمير الماس شروطه على الوزير، حذراً مما وقع منه في التّسهيل والتقصير، وعدم الالتفات إليهم بمحتاجاتهم، وتقديمهم على الأتراك ومعاهم[2] كفايات فاضلات، فامتثل الوزير وعزم الأمير وتوجّه إلى العدين، وإبراهيم باشا يمدّهم بخيل في إثر خيل، ورعيل بعد رعيل، وتقدّموا نقيل الحزحزي غربي حصن التعكر، وبعد قدومهم وصلت خمسة رؤوس من الترك إلى حضرة الإمام من لدى الشّيخ قائد سنان فأيقن الإمام بالنصر وضربت البشائر وما بقي في اليمن مكان إلا ضربت فيه البشاير وابتهلوا بالدعا إلى عالم النجوى والسرائر، وكانت تلك الليلة في جبلة يوم عيد، ومع طيب الهوا وسكون الخواطر والإستوا طاب المقام وصَدَّقت/الأماني الأحلام وهذه جبلة من أحسن مدائن اليمن، قيل أن هواها بلّوري وهوا غيرها زجاجي والأمر كما ذكر المشبه.

وإذا ذكرنا جبلة فلنذكر نبذة من خبرها فالشيء بالشيء يذكر وقد تقدم نبذة من أخبارها في سيرة بني الصّليحي[3] أقول: جبلة مدينة حديثة البناء إسلامية بناها الصليحيون وسكنوها وإسمها باسم مالكها وهو جبلة اليهودي وقد تقدم ذكره وقد مدح

= سهام الليل لا تخطئ ولكن لها أمد وللأمد انقضاء
أنظر ديوان الشافعي ص١٧ ط المكتبة الشعبية.

(١) خ الأم.

(٢) معهم.

(٣) في الفصول السابقة وهو منقول من غاية الوماني انظره ص ٢٦١

هذه المدينة سيدي علي بن المتوكل[1] فقال[2]:

ما مصر ما بغداذ ما طبرية كمدينة قد حفها نهران[3]
خَدِدُ لها شام وحبّ مشرق والتّعكر العالي المنيف يماني

غيره:

لما ذكرت لياليًا مرت لنا في جبلة الغنا ومن أهوى معي
وطيورها نشد على أغصانها والماء جار في الجهات الأربع
وبها من الولدان كل مخلد وخرابة تزرى بشمس المطلع

وإذا ذكرنا المخاليف فلنذكر السبعية[4] وجزيرة العرب المحتوية على السبعة المخاليف مما لك أقيال حمير وتبع الأكبر والأصغر وسيف بن ذي يزن وأسعد الكامل الذي إن غضب قام لغضبه سبعون ألف مقاتل. وقد تقدم خبره، أقول: الذي قرره أهل التواريخ أن جزيرة العرب في العرض من عدن إلى المدينة المشرفة[5] وهي في الطول من البحر الغربي بحر القلزم إلى البحر الشرقي بحرفارس فصَحّ الطُول مسيرة خمسة وعشرين يوماً والعرض إثنان وأربعون يوماً. ثم أن هذه الجزيرة قسّموها الأقيال حمير إلى سبعة مخاليف سنذكرها. **الأول: مخلاف المعافر**: وهو من عدن إلى العدين فمن بلاده فرضة عدن والمخا وحيس وفرضته، داخلًا فيه موشح وشرعب ومطرحة القحيم، ومدينة تعز ومطرحها ذبحان والجند والعدين، **الثاني: مخلاف جعفر**: المسمى المخلاف الأخضر وبلاد قعطبة وصُهْبان، ومطرحه نجد الجماعي وذي السفال وجبلة وإب. وحبيش ومطرحه ظَلَمة والمخادر، **الثالث: مخلاف تهامة**: المسمى السليماني ومن بلاد زبيد وبيت الفقيه وفرضته الحديدة واللّحية بفرضتها، وفرضة جيزان وأبي عريش وصبيا، **الرّابع: مخلاف عبس**: ومن بلاده وصاب الأسفل ومطرحه سوق الأحد، ووصاب الأعلاء، ومطرحه الدّن، وعتمة ومطرحها الرّبوع، وريمة ومطرحها كسمه، وحراز، ومطرحها مناخة، وحفاش ومطرحه الصفقين، **الخامس: مخلاف**

---

(١) هو الأديب علي بن المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم وفاته سنة ١٠٩٦ انظر كتابنا الأدب اليمني عصر خروج العثمانيين ص ٢٦٩

(٢) كذا عند المؤلف وقد وجدت هذين البيتين منسوبين إلى عبد الله بن يعلى انظر نشر العرف ١/٢٠٤ ومجموع بلدان اليمن للحجري ص ٣٥

(٣) الأصل: نهراني.

(٤) في الأصل: السبعبة.

(٥) لا يخلو كلام المؤلف في الحديث عن هذه البلدان من خلط وخطأ يراجع في هذا الشأن كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني.

يحصب: وهو محل الأقيال من حمير ولا يكون الملك إلّا فيه لتوسّطه المخاليف، ولكثرة رجاله وفتكهم. ومن بلاده يريم وخبان، ومطرحها الرضمة ورداع وذمار ومغرب عنس ومطرحه بيت نصر وآنس ومطرحها ضوران، وخولان، وصنعاء والحيمة ومطرحها العر، وكوكبان وثلا وعمران وحجة والسّودة وشهارة وصعدة وما بينهما. والقبائل بين هذه البلاد من الحيين حاشد وبكيل، والجامع لهم همدان بن زيد، **السادس**: **مخلاف قحطان**: ومن بلاده طبب[1] والطائف وفرضته جدة ومكة المشرفة وبدر والمدينة المشرفة، وفرضته أيضاً ينبع. **السابع**: **مخلاف التّبايعة**: وهو الشرقي من حضرموت والجنوب إلى مسكت[2] دجلة والفرات في بحر فارس من السّماك، ومن بلاده فرضة الشحر ومكلا وعمان وقصبتها مسكات وظفار والبحرين ورأس الخيمة والحسا والقطيف ونجد وقصبته الدّرعية[3].

فلهذه السّبعة المخاليف بحدودها.

ونرجع إلى ما كنا بصدده وقد خرج الكلام بنا عن المقصود ولكن لا يخلو من فائدة.

ولنعد إلى ذكر الإمام الناصرَ ولما وصلت البشارة من العدين وصلت تعزية صنوه الجمالي من صنعاء المحمية علي بن أُحسنَ فحمد الله على ما قضى وشكره عفى ما به ارتضى واستشهد:

وكل أخ مفارقه أخوه   لعمر أبيك إلا الفرقدان[4]

وجهز من لديه إلى صنعاء صنوه العزّي محمد بن أحسن سيف خلافه وأقام الإمام في جبلة ما شاء الله والوزير باقٍ على ما تقدّم وقد وكَلّ صنوه يحيى بن علي الأرياني للظّلم واستخلاص الأموال بغير حق كأنها مغانم مع قوة عزمه وعدم رأفته ولا علم أن العاقبة غير محمودة ومظالمه في صحيفته مكتوبة وموجودة.

وفي آخر جماد جاءت الأخبار بما أقلق الخاطر ونغّص القرار بأن الخِشْر قد قبض حصن عَزّان واجتمع إليه أهل بعدان وقد ابتدأ بعمارة الحصن الذي أخربه الإمام، وهذا الخشر هو من البغاة الذي أطلقهم الإمام من السّجن فوقع التفاؤل

(١) كذا في الأصل لعله «طيبه».

(٢) هي المعرفة الآن بمسقط من عمان.

(٣) في كلام المؤلف حول تحديد هذه البلدان خلط وتعميم يراجع فيه الكتب المعروفة في هذا الشأن.

(٤) من شواهد مغنى اللبيب ٧٢/١ وهو بيت مشهور لحضرمي بن عامر.

باسمه[1]، فتغيرت أحوال البلاد، ورجع الإمام إلى مدينة اب وقدم عليه عصابة من العساكر، وقد اجتمع عند الخشر من قبائله فوقعت الحروب، وخان بعض الأجناد لرضائهم بالبغي والعناد.

وقد اجتمع من قبائل همدان ما ملأ الصحاري والبلدان عند الإمام، وقد أبدلوا الطاعة بالطغيان، من حين علموا بخبر عَزّان والرعايا قد رضوا بالبغاة، وظنوا منهم السّلامة والنجاة لما قد صودروا ولاقوا من ظلم الوزير وأخيه الشّرير، لأنهم أفقروا الناس، وفي خلال هذا تَقدّم الأمير الماسَ بَلسه بمن معه من أجناد الإمام على من في بلاد العدين، بعدما شرط الكفاية على الوزيرين ووضع محاطه في منهات[2] وأصدقوا للوضع وأخلصوا النياتَ ووقعت بينهم وبين الأجناد المصرية معارك شديدة، وقتل وأسروا من الأتراك خلق كثير لله در الأمير، وكانوا يترامون وقليل ما تصيب، ولعلهم تخادعوا العرب[3] فسأل الأمير أحد الأساري الذين لديه، وهو من الأتراك: ما هو الذي يخافون التّرك منه في القتال وينهزمون ويتفَرّق جمعهم به، فأجاب عليه التركي: إن/أخبرتك ستطلقني وتفك أسري، قال: نعم، قال) إعلم أيها الأمير إن الأتراك لا يهولهم شيء لا كثر جنود ولا رماية كالرعود، ولا يهزمهم ويفرق جمعهم غير الشّباري يعني الجنابي[4] وسأريك ذلك، وطلب ملبوس من حق العرب لأجل لا يعرفوه، ووقع الحرب ساعة وجر[5] من الأمير شبرية يعني جنبية[6] وجردها وصاح فوق الأتراك، وتبعه الأسود أهل الضرب والطعن والكفاح، فهزموا الأتراك هزيمة منكرة، وغنموا محّطاتهم وخيلهم وسلاحهم وخيامهم، وقطعت الرؤوس، ولا زِدْ التفت أولهم على آخرهم، والضرب والطعن في ظهورهم، وأسروا منهم خلق كثير، ووصلت الرؤوسِ والأساري إلى حضرة المولى، وما وسع الأتراك إلاّ الدخول في العدين والأمير طنّب مطرحه محاصراً لهم، وطلب من الوزير الزِّيادة وما يحتاجوه من الميرة والإفادة فأصغى الوزير وأذعن وقلب لهم ظهر المجن كفعله أولاً، وجرعهم فائق المحن وأمره بالإرتفاع من العدين، وحثه على الوصول فارتفع بمن معه، وقد

(١) خشر الحزمة: نقضها وهو من العامي.

(٢) منهات: عزلة من ناحية شلف من بلاد العدين سيأتي ذكرها في آخر الكتاب.

(٣) في الأصل: فسَلَ.

(٤) الخناجر اليمنية، والشباري، جمع شبرية: المدية كأنها بقدر الشبر قاله الأب أنستاس الكرملي في بلوغ المرام ٤٢٨

(٥) اخذ أو سحب.

(٦) قال الكرملي في بلوغ المرام ٤٢٢ تجمع على جنابي سميت كذلك لأنها توضع على الجنب.

كـان أيـقن الأتـراك بالهـلاك، فعجب الناس من أمره وظنـوا عجـزه وقـل صـبره ولا يعلمـون إن الوزير مشتغل بجـمع الأمـوال، وفي ظاهـره إلا أنـه يـريد ترمـيم الأحـوال، وهـو مشتغل بـما هـو أهـم، وقد أعماهـم الظـلم وأصـم، ومع[1] كـثرة الجـموع من القبائل مـا وسع الإمـام إلا السـكوت.

وفي خـلال ذلك وصـل النّـقيب علي بن سهـل، الـذي كـان محـاصراً لتعـز، وقـد قـتل من هـو عليه يعـز وهـو[2] ولـده وكـان مناظراً للمـيرة من الوزيـر، وبعـدم الزاد وقـع الكسـاد، وبعـد ذلك عجـز الوزيـر عن كـفاية[3] ذلـك الجـم الغفير أطلقوا من كـان لديهـم، وقد كـان أشرفوا على الهـلاك من الجـوع، هـذا والبغـاة الـذين في بعدان إلى زيـادة، وقد رفعـوا البنـا وتحـصنوا، وقتـلوا من أصحـاب الإمـام خـلق كـثير، منهـم النقيب هـادي الشايف، وانهـزم جـند الإمـام، وكـان ينزلون البغـاة إلى أسـفل الجـبل ويرمون إلى المدينة، وانحصر الإمـام بـمن معه في مدينة أب، وصـار البغاة يـطلبون فـك محـابيسهم وأصحاب الناصر مع انقطاع العطا والطعام انقلبوا بـغاة ومـا وقع إلا إطـلاق محابيسهـم، وخـرج الإمام من إب، راجعاً إلى صنعـاء، وكـان يوم خـروجه يوماً عبوساً، فـكل فرد من أصحـابه أيـقن بالهـلاك بسبب انقطاع جـميع المسالك، وكـل واحـد يـريد ينهـب الآخـر، ومـا وصل الإمـام إلى المخـادر إلا بشق النّفس وكـثرة الأثقال بقيت في مدينة إب، وفرج الله على أهل المدينة من الحوزة[4] ورجعت البغاة مقاسمهـم، وعمـروا معاقلهـم، وأخـذ الإمام على من حضرته من القبائل، حـفظ الأثقـال ووعدهم بشيء من المـال بعد وصـول المدافع والخـيام يـريم. / ورجـع بخـفي حـنين ونعق بينه وبين اليـمن[5] غـراب البين، ولـم يـزل الخـوف والفساد وراءه حـتى وصل صنعـاء المحمـية، فلا قـوة إلا بالله، وهذه عاقـبة الظـلم الخـسران، والبعد عن الراحـة والأمـان، وإن كـان الإمام رحـمه الله لم يبـاشر الأمـور، فسكوته عن الظّلمة مما يحـرج الصدور وبالنظر إلى من قـبله وبعده، فهـو عظيم القـدر جـليل الخـطر، ودأب أهـل هذا البيت العفو والتجـاوز منهـم الـذين بهـم يهتدون وبأفعالهم يقتدون ولكنهـم يقلّدون الظلمة الأعـمال، ويحمـلوهـم الأثقـال فيأتـون من جهتهـم ولا يـسلكون مسلك من قبلهـم من آبائهـم الأكرمـين، ولا ينظرون في سيره[6] الخـلفاء الراشـدين اللهـم إغفـر للأولين والآخـرين.

---

(١) خ معا.

(٢) خ وهـوه.

(٣) خ كـفايت.

(٤) الضـيق والحـصار.

(٥) يعني اليـمن الأسفل وإب ونواحيها وكـذا تعز.

(٦) خ سـيرت.

ولما أقام بصنعاء صلحت أمور جميع البلاد ما خلا اليمن وتهامة.

وفي آخر هذا العام خرجت القبائل من أرحب على البروية وعضدهم أهل بيت ردم وكانوا يأووهم وينصرونهم، وانتهبوا رأس البروية بسبب التقصير في ضبطهم كما قيل شعراً:

هم العشيرة لا ترثى لحالهم غبر الوجوه إذا لم يظلموا ظلموا

وأمر الإمام بالتجهيز عليهم ووقع حرب عظيم وقتلى من الفريقين، وما وقع مصالحتهم إلا بفلوس، ورجعوا بلادهم، وقد انتهبوا ما في تلك القرى من الطعام والمنقول.

ودخلت سنة ١٢٥٤:

وفيها خرج آل أبي حليقة نعد[1] وطرف سيان واستولوا على ريمة حميد وانتهبوا ما فيها، وقد كان خرج عليهم الإمام فهربوا إلى الشّرزة، ونهبوا الطرق فَهَمَّ بقصدهم إلى أوطانهم فنهضوا إلى الزيلة ونهض الإمام إلى سيان، فلما علموا أن الإمام لا ينفك عنهم، رجعوا إلى أوطانهم وشغلوا الإمام بإيهامات وغزوا (دار عَمْرو) وأخذوا ما فيها وتوجه عليهم الإمام وما وقع إلا الصلح، وخرجوا طائعين ورجعوا بلادهم أقماهم الله.

وخرج رجال أرحب على كوكبان يريدوا قبض حصن بكر، ففطنوا بهم ووقع القتل والكسر فيهم وخيَّب الله أملهم ورجعوا مكسورين.

وفيها دخل في[2] نفس الإمام على همدان بسبب أن أهل القرى من بلاد البستان إعْتَزوا إليهم في ذهنهم[3] أنهم أهل منعة، وقبيلة متسعة، وما ذلك من البستان إلا كالتجوز، فدخل في قلب الناصر لما سبق أن همدان من الباطنية فصبر وفي العين قذا وفي الحلق شجا وفي قلب همدان من القلق من الإمام وتشاءموا به حين تلقّب بالناصر خوفاً من أن يفعل بهم كما فعل بهم الناصر صلاح الدين[4]

(١) كذا في المخطوطة وأظنها نُعُظ بالظاء وهي ناعظ أنظرها آخر الكتاب.

(٢) كلمة مطموسة.

(٣) خ ذنتهنهم.

(٤) لعله يعني الإمام الناصر صلاح الدين بن علي بن محمد من أئمة اليمن حكم سنة ٧٧٣ وتوفي سنة ٧٩٣ وقد عرف تاريخه بحرية للباطنية.

رحمه الله، والقصة مشهورة، وكانت همدان وصنعاء مواطن بنوا الأنف، سكنهابنو الأنف وغيرهم والآن لم يبق غير المكارمة ومن تابعهم وأخواضهم وسيأتي ما آل إليه الأمر بين همدان والإمام.

وفيها في أول السنة المذكورة عزم الإمام على إخراج/سيدي الجمالي علي بن المهدي، وسيدي محمد بن المتوكل، وهم بضرب أعناقهم حتى يستريح منهما، ويزيل ما في خواطر الناس، وهذا من أشوار أرباب دولته الذي عقولهم ضالة، لا ينظرون العواقب الدنيوية والأخروية، وأفاض الرّأي على بعض أهل الرأي مثل الأمير عنبر يسر، وغيره من السادات، فلما نظروا إلى تصّميمه وعدم قبول التّعليم في تلك الحال حيثما يريد إلاّ قوله ومقاله ولا قبول للنّصحيحة فأمر الإمام في اليوم الثاني يوم الثلول بحضور العلماء والأعيان وأرباب الدولة وأكابر أهل صنعاء وجميع الحكام إلى ديوان الحرض في القصر، وأمر خواصه وأهل الأسلحة بلبس أسلحتهم، وقد كان في ذهنه رخصة في قتلهم ويريد إلزام الناس بالموجب والمساعدة وبعدم الخلاف والمعاندة كما قيل شعراً:

حكو باطلاً وانتضوا صارماً وقالوا صدقنا فقلنا نعم

والآجال محتومة والأعمار معلومة، فلما استوى على كرسيه والنّاس مجتمعون في (المرادية)[1] وأعوانه يطلبون الناس إليه للدخول[2].

وقد ألقيت الوساوس الذي في قلبه إلى قلوب النّاس، كما قال تعالى: ﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾[3].

فسمع بعض خواصه الناس يتحاكون[4] لأن فعل هذا لتكون فتنة كبيرة لا تنفك، ويثور فيها العامة ويهلك خلق كثير، فدخل عليه وأخبره بما سمع من النّاس فيما دخلوا الأكابر عليه وأصدقوه بما في الضمائر، فرجع عن ذلك، وقال: لم ندعوكم إلاّ لأمور حدثت، وتعلّل الحكام بأنهم صاروا كثيراً وأنه يقوم بهذه الوظيفة أقل منهم، وتعلّل بسؤال في الصّلاة في المساجد التي من مباني الظلمة، ولا يعلم أن بيت الله الحرام باقي على بناء الحجاج بن يوسف الثقفي إلى الآن، وهو

(١) يعني المدرسة المرادية ستأتي.
(٢) خ لدخول.
(٣) سورة الأنعام الآية ١١٢.
(٤) يتحادثون ويتهامسون.

من أَشَرّ الخلق والسلف والخلف وأهل البيت والصَّالحين يحجون بيت الله في كل عام، ولم يتكلم علماء أهل البيت وغيرهم في ذلك بشيء، ولا هدموا مسجداً ولا امتنعوا من الحج، والبعض في جامع صنعاء باقي على بناء الظَّلمة بني الصليحي، ولولا أن يسر الله لسيدي العلامة البدر الصفي أحمد بن زيد الكبسي عافاه الله أحسن العبارة للإمام، وتولَّى الجواب بحسن الخطاب، وبما يوافق مراده وإلَّا فهو أحمق الطبع وازداد الحمق حين ما تمَّ له مراده، وخرج النَّاس من عنده بعد العصر، وصلُّوا العصر ذلك اليومَ مرَّتين مع الشك من الإمام في القبلة في الإستقبال.

وفي اليوم الثاني أرسل إلى الأعوان يتجسسون على الحكام، فوكل في الأذية القاضي إسماعيل جغمان[1] والسيد يحيى بن محمد الأخفش، وأمرهم بالاختبار والانتقاد وهم أخص بالاختبار والانتقاد، بل أضر من بعض العباد، فتارة يعيبوا الحكام بأن هذا يعرف سُنَّة رسول الله حيث ما عندهم غير المذهب، وتارة بأن هذا يحبّ الصَّحابة لرسول الله، ويعددوا مثالب هي في الحقيقة فهم محامد وإنما كما قيل[2]:

عجبتُ لمن يخفى له عيب نفسه ويعموا عن العيب الذي هو فيه
وما خير من تخفى عليه عيوبه ويبدو له العيب الذي لأخيه

فتيقنت قطعاً بأدبار/دولة هذا الإمام، فبعد موقف ديوان الحرض أول مصيبة أصيب بها الإمام موت أخيه سيف االخلافة سيدي محمد بن أحسن، وهو آخر إخوة الإمام وبقي الإمام فرداً، وأقام مقام أخيه سَيِّدي الفخري عبد الله بن عبد الرحمن بن المهدي حماه الله، وهو أجل قدراً وأعظم ذكراً ما كان أحقه بالإمامة لكمال شروطه، وسلك في الناس والأجناد مسلك أهل الصلاح والرشاد.

وفي صفر تلاشى الأمر وخالفت أطراف البلاد، واضطرب أمر ريمة ووصاب، وانقطع الرجاء والأمل من بلاد رادع.

وفي صفر تلاشى الأمر وخالفت أطراف البلاد، واضطرب أمر ريمة ووصاب، وانقطع الرجاء والأمل من بلاد رادع.

وفي الشهر وثب أهل رداع على الحاج عبد الله الخولاني، الذي وازر مع الإمام

(١) هو الفقيه العلامة إسماعيل بن حسين جغمان من العلماء له مؤلفات وكان ملازماً للناصر وقتل معه سنة ١٢٥٦ كما سيأتي ذكره (انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ١٤١).
(٢) وجدت هذين البيتين منسوبين لشاعر يعرف بالكريزي.

المهدي وقتلوه غيلة، وأخذوا ما قد كان جمع من المال وغيره، ووصلوا بالرأس إلى الإمام، وصلب قدر نصف شهر، وفي آخر صفر خرج الإمام وادي ظهر على جاري عادته، فلما وصل قريب الضربة حيل بينه وبين الوصول واجتمعت همدان إلى الطرق ومنعوه المرور، وترتبوا في رؤوس الجبال حيث قد امتلأت[1] قلوبهم عليه، فأمر بالخطاط وطلب المدافع والخيام، واجتمعت إليه القبائل، ووقع بينه وبين همدان ما غرس الشحنا في القلوب، وسقاها بماء الأحزان والكروب ووقع بينهما صلح على رجوع الإمام صنعاء، وأدخل في سلسلة الحديد أربعة أنفار من صغار همدان، وقد سقط قتلاً من الفريقين الكثير من قبيلة بني الحارث ابن كعب، قتلوهم همدان واحتزوا رؤوسهم، فوقع في قلوب بني الحارث من الأحن، ورجع الإمام صنعاء وبقي نحو شهرين.

وتضامنت قبيلة بني الحارث وأرحب أنهم يقعوا يداً واحدة على همدان، وألقوا في بال الإمام أن أهل وادعة والجاهلية الرّبع الأسفل في همدان قد حصل منهم العناد، وأنه في الباطن فساد، وألزموا نفوسهم الحرب لهم وعلى الإمام إعانتهم، فخرج إلى الروضة وطلب التّوابع، وأمر بجرّ المدافع وسنحان معه إلى أن وصل وادعة، وخرج أرحب وبني الحارث بقضّهم وقضيضهم، والتقتهم هَمْدَان، ووقع الحرب والطعان، وقطعت رؤوس من همدان، وأرسل بها الإمام إلى صنعاء، وعلقت في باب شعوب، وأخربوا سوق جَرْبان، وبعض معمر الذيب، وآل الأمر إلى الصلح وعقاير للإمام أنحرت بين يديه، وسلموا شيئاً من المال إليه، وأدخلوا قبائل في الزّناجير[2] من وادعة، حتى يسلموا المعيّن عليهم، ورجع الإمام إلى صنعاء مؤيداً منصوراً.

[و] في ذلك العام حدث أن الترك نظموا أمور اليمن الأسفل، وعمروا المدن والأسواق وأمنت البلاد وكثر المال في أيدي الأراذل.

وفي رجب نجم نجم الهلاك لابن علي سعد، وحان أجله وانقطع عمله والسبب ما به فرح: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾[3] وهي[4] الودائع التي أودعها عنده تركي ابن الماز، حين خرج إبن ترابة على تهامة، ولا زال إبراهيم باشا يبسط له شباك القنص بدهائه، وذلك أنه ولى ولده قاسم بن أحسن على تعز والحجرية، وفوّضه في جميع البلاد، وأناط إليه وإلى إخوته جميع الأعمال، ولا زال يكتب إلى والدهم

(١) خ امتلت.
(٢) نوع من القيود يضم اليد والرقبة.
(٣) سورة القصص الآية ٧٦
(٤) خ وهيه.

ويستشيره في الأمور الصعاب، سيما أعمال اليمن، فما يقع دونه شيء بل فيما دق وجل، وأرخى لهم العنان حتى ركنوا إلى/الدعة والاطمئنان، فكتب أحسن بن علي سعد إلى البوش[١] الذي مدار الأمور عليهم أنهم يلقوه للموافقة إلى (الرّمادة)[٢] ويريد يأخذ لأولاده المواثيق الأكيدة، وما صنع إبراهيم باشا تلك الخدائع إلا يريد ذلك الإستفراد به، فاستعجله لنفسه، وخرج من حصنه المانع إلى سوق الرُّمادة الشّاسع، فلما التقوه قاموا له وعَظّموه وجَللوه، كأنهم بأمره يأتمرون، وبنهيه منتهون، فأتموا ليلتهم وأسعدوه إلى ما طلب، وقد حفظوا جميع الطّرقات، وقد أمرهم إبراهيم باشا بالقبض عليه، وإرساله إليه، وكان الشيخ أحسن بن يحيى يعتقد بضرب الرمل[٣] فضرب الأشكال فنظر على نفسه حمرة، فاستدعى المزين[٤] وفصد، وضرب الأشكا فوجد على نفسه حمرة، فاستدعى الحجام واحتجم، وضرب في الرمل فوجد الحمرة باقية، فقام متغرراً وخرج من حينه يريد الفرار، وصحبه جماعة من أهله وأين الفرار من الأقدار، ورمقه بعض القوم بأبصارهم، عرفوه فوثبوا وثبة الليوث العابسة وعشروا فيه بالبنادق حتى أثخنته، ومن معه الجراحات، وقتل عبده النجيب المسمى فضل الله ووثب عليه الأعلاج[٥] وقطعوا رأسه ودحسوه[٦] وحشوه بالعطب[٧] وطلوه بالزئبق لأجل لا يتغير، وأرسلوه إلى محمد علي باشا، لأن قد اشتهر إسمه، ومن اشتهر اسمه طمسوا رسمه، هذه عادة العجم[٨]، وقبضوا على أولاده فلما أحس جماعته الذي في (مؤيمره) رتبوا الحصن فهددوا أولاده الذين في البندر بالقتل[٩] فعَرّفُوا إلى من في حصنهم لا تذهبونا[١٠]فنحن مشرفون على القتل ففتحوا الحصن، وأخذوه الأتراك، وأخذوا جميع ما أودعه تركي بن الماس[١١] بالوفا والتمام، وأخذوا مع الودائع ما جمعه بيت علي سعد جميع، من أول وآخر، أضعاف الودائع، وخربوا الحصن،

---

(١) جمع باشا معروف.

(٢) قرية بالقرب من تعز على قارعة الطريق إلى المخا.

(٣) نوع من التنجيم.

(٤) الحلاق.

(٥) جمع علج وهو في اللغة الرجل من الكفار.

(٦) سلخوا جلده.

(٧) القطن.

(٨) المؤلف هنا يخلط بين الترك والمصريين.

(٩) خ بلقتل.

(١٠) لا تتركونا نذهب موتاً.

(١١) هو تركي بلماز السابق ذكره.

وكان لم يكن تملكوا البلاد، وداسوا العباد، ووصلت حجار الحصن إلى الخبت، فأفّ لها من دار شعراً[1] :

قد طال ما أكلوا قد طال ما شربوا   وأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

ودخلت سنة ١٢٥٥ :

وفي أولها خرج القاضي أحسن بن محمد المكرمي، وجميع المكارمة أهل بدر بقبائل يام جميع لما أصابهم الله به في بلادهم من القحط والشدّة، وخرج معه من العقال الذين يقودون القوم مانع بن جابر وآل نصيب، ومن صحبهم من رؤساء دولهم، وخرجت معهم قبائل جشم والعجمان، وآل فاطمة، حتى ملأوا تهامة خيلاً ورجلاً، ولم يقم في وجوههم أحد،ووقع بينهم وبين الأتراك وقائع، وأخذوا جميع تهامة ما خلا البنادر، وسلم لهم إبراهيم باشا من المال، وتوجّهوا حراز وطرحوا في (المراحظ) و«زمهر» و«لعسان» و«صعفان» ونزل لقيهم أهل حراز بعد أن كتبوا إليهم وطلعوا حراز، وحطوا على مناخة وأحاطوا بها كإحاطة الأطواق بالأعناق، وما طلع حراز إلا شرذمة قليلة نحو ألفين، وهرب العامل حق الإمام الناصر، وهو الفقيه محمد بن أحمد الحيي بعد أن أسرج الدار جميع لأجل لا يفطنوا بهربه/ فلما علموا يام بهربه تبعوه إلى وسط الحيمة وانتهبوا أثقاله، ومع أثقاله انتهبوا مواشي أهل الحيمة ولما علم الإمام جَهّز الأمير خير بعصابة من التّوابع، وبقيوا في الحيمة، ورجع بخفي حنين وأهل حراز ما لقيوهم إلاّ من شدة ما نابهم من جور العمال والوزراء، حتى هانوهم وأغلضوا عليهم، فهان عليهم الفرقة الباطنية وأقبلوا لطاعتهم بالسّر والعلانية، ولما استقروا عمروا الحصون ارتفعوا الذي في الحزة إلى بلادهم، وبقيوا الذي في حراز، ومنعوا الجمعة والجماعة والشريعة المطهرة، وتولى الخوض داعيهم، وكان من يحبّهم ويهواهم راضياً بأحكام شرائعهم، ومن لا له رضا رافعهم إلى العرفا ومالوا إلى الصلح فيما بينهم، وأذاقوا الرّعايا حلاوة العدل بعد الجور، وكان يحصل للبغاة عشور بفرزٍ لا بجور نحو ثمانين ألف ريال، وتغلق باب حراز إلى أن أخذته العجم قهراً، وأذاقوا الباطنية أول الأمر غب[2] فعالهم، وكانت رتبة حراز للإمام من همدان، فلعلهم كانوا منافسين للإحن.

---

(١) في روض الرياحين للنافعي ٤٧١ منسوبة إلى بعضهم وهي قصيدة طويلة أولها:

باتوا على قلل الأجبال يحرسهم   غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

(٢) حقيقة أو نتيجة فعالهم (أفعالهم). وفي اللغة الغب (مصدر) عاقبة الشيء.

ودخلت سنة ١٢٥٦:

وفيها في أول الشهر أرسل الإمام الوزاعات[1] إلى كل جهة وأمرهم بالتأهب، وطلب عسكر وأمرهم يتبعونه إلى ذمار، وأهّب ما يحتاج الناس والأجناد، وجُرّت المدافع، وسبقه التوابع وبعض الأجناد إلى مطرح سَيّان وفي ذهنهم أنه ورائهم.

وفي اليوم العاشر خرج وفي اعتقاد النّاس أنه يريد مقصده الجهاد، وإذا قد وَجّه بالناس طريق وادي ظهر بديهة منه، فوصل إلى دار الحجر، وأمر بإصلاح الغدا له ولخواصه، واستقر إلى وقت العصر، وأراد الرجوع إلى صنعاء، وهمدان قد اجتمعوا وكمنوا له في دروب الوادي والدور، مع ظنهم أن الإمام خدعهم بوصلته بغتة، وخافوا إستيصاله لهم لما في قلوبهم من الغرايز الكامنة أقماهم الله، وقد أشار إليه من فطن بما قد دَبّروا همدان وبجمعهم وترتيبهم، وأنه يرجع من طريق قرية القابل، وكان من دأبه رحمه الله المعاكسة في جميع الأمور، سيما في مشورة المشيرين إذا كانوا من غير أحزابه، وقصد الطريق العليا، وقد كمن فيها الحاج كريشة من يام، ومعه عشرة أنفار، وكمن من أهل الوادي جماعة في الطّريق الذي سيمر منها، فلما توسط الإمام في طريق الضربة، لم يشعروا إلاّ بالتعشيرة[2] في ظهورهم، فأصيب الإمام بثلاث رصاصات كلها قاتلات وكان في يده فص عظيم مما يحبس الدم عن الخروج، فلم تؤثر الرّصاص في الإمام، وقتل الغلام الذي وراءه، ونزل في قلوب أصحاب الإمام الذّلّة والمسكنة ليقض الله أمراً كان مفعولاً، فرجع الإمام (دار الحجر) وتفرق أصحابه يميناً وشمالاً، ونهبت الخيل والحلي والمضلات والرماح من أيدي أصحابه وكأنهم/ سكارى لم يقع منهم غير تسليم الأمر، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، ولو استقام منهم عشرين نفراً والخيالة لفعلوا فعل اللّيوث ولا أخذ شيء مما انتبهوا ويمنعوا على نفوسهم، ولكنهم ولّوا الأدبار (......).

وبعد تلاحقت همدان ولما ظَنّوا أن الإمام سلم، ورجع الدّار، خشيوا التّنكيل بهم والدمار، فلحقوه إلى دار الحجر ودخلوا عليه إلى المطارح وعنده قاضيه إسماعيل بن حسين جغمان والأمير عنبر يسر، والأمير محمد طاشخان، وسيدي صلاح الدين محمد بن عبد الله بن المنصور وغيرهم من الخدم، فأراد الأمير أن يلتقيا أهل الوادي بالقتال، فرأوا من الأمير أن الفشل والوجل فوثبوا عليهم وقتلوهم، الأمير عنبر بالسّلاح والمفارس، والأمير محمد ببندق، ووثبوا على الإمام وثوب القردة على الطّعام

---

(١) الرسائل الزاجرة.

(٢) إطلاق النار دفعة واحدة. وأصله من عشّر الحمار إذا نهق عشرة أصوات في طلق واحد.

وذبحوه، ولم يكن عنده سلاح لأن قد أخذوا سلاحه الأميران حين أثخنته الجراحات لزعمهم أنهم سيقاتلون بسلاحه وأسلحتهم، وحَزَّ البغاة رأس الإمام، وقتلوا القاضي إسماعيل جغمان وتردَّى سيدي صلاح من الطَّاقة حتى مات وأخذوا ما في المطارح من الفراش والسِّلاح والخيل، ولم يسلم منها إلاَّ من فَرَّ بها فارسها، وتفرق أصحاب الإمام شذراً مذراً وإلاَّ فلو ثبتوا ساعة أنهم نصاب البضاعة الخضرية «...» وأما الماس بلسه، وسيف الخلافة سيدي عبد الله بن عبد الرحمن والنَّقيب محمد الجِذَري فتحصنوا في أعلاء الدار، ومعهم خلق كثير إلى يوم ثاني، حتى أمنهم همدان، وخرجوا بما معهم، وطاف هَمْدان برأس الإمام إلى عند مشايخهم، وأظهروا البشارة وأوقدت النيران.

وفي اليوم الثالث رَدُّوا الرَّأس إلى الجثة، ودفن في مقبرة الوادي، وختم له بالسعادة والشَّهادة، ولحق هو ومن معه بالسَّلف الصالح مسرح آبائه وأجداده.

ووصلت الأخبار إلى صنعاءوقت العشا قدر ما يمشي الماشي في الطريق واضطربت الأعلام[1] حتى وصل محمد بن أحمد الجوفي عاقل الركاب فأطلق الأسيرين السَّيدين سيدي محمد بن المتوكل، وسيدي الجمالي علي بن المهدي من السجن، وفرج الله عنهما ورَدَّهما إلى أوطانهما، ودخلا دار الخلافة وأمنت صنعاء بعد اضطرابها، وأمر سيدي الإمام محمد بن المتوكّل يصاح بالأمان في أزقة[2] صنعاء وشوارعها، فحصل السُّرور من الخوف والأشجان:

ربما تكره النفوس من الأمر ما له فرجة كحل العقال.

وكان مدة خلافة الناصر ثلاث سنين، وثلاثة أشهر[3] وسبعة أيام ونحوها كذا في الأم.

[دعوة الهادي محمد بن المتوكل]

ذكر الإمام الهادي سيدي محمد بن المتوكل (بَوَّابة) إسماعيل هادي (عاقل خدمة) محمد خميس (حكيمه) أحسن التاج (وزرائه) القاضي يحيى بن علي الأرياني،

---

(١) الأخبار.
(٢) خ أزقت. وأزقة مفرده زقاق السكة والطريق الضيقة.
(٣) ساقطة من الأصل.

والفقيه محمد بن أحمد العفاري، والقاضي يحيى بن علي الردمي[1] والسيد حسين بن محمد الشامي (حاكمه) القاضي يحيى بن علي الشوكاني، وتبعه القاضي العلامة أحمد بن محمد الشوكاني.

قام داعياً ليلة الثلوث حادي عشر ربيع أول سنة ١٢٥٦ عقيب قتل النّاصر رحمه الله في الوادي، وكان في قصر غمْدان محبوساً مكبلاً في الحديد، فدخل العاقل محمد بن أحمد بن علي بن يحيى الجوفي، وفَكّ أسره وقيوده هو وسيدي الجمالي علي بن المهدي، وأطلقهما من السِّجن، عقيب صلاة العشاء، ودخلا دار الذّهب في القصر المنيف، ووصل إليه أكابر أصحاب الدّولة والأعيان والعقلاء من أهل الحل والعقد، وعَوّلوا عليه فأسعد وتكَنّى بالمتوكل تبرّكاً بأبيه، وكتب لجميع الناس بالأمان، ورجع كل من كان هارباً إلى بيته، والذي فَرّ حال الوقيعة في الوادي رجعوا، ووصل إلى حضرته قبائل همدان، ورَدُّوا ما انتهبوه، وذهبت الحلي وبعض السِّلاح وكتب إلى الوزراء العَفّاري والإرياني، وقد كانا هَرَبَا إلى بلاد أرحب حال وقعت الوادي.

وفي أول جمعة صلاها في الجامع، وخرج من الصلاة، وقد ثارت فتنة في القصر من السّيد محمد الكوكباني، وإثنين عبيد وقتل زيدان في باب القصر، وقد تعدّى إلى الخيانة، وهو في محل الأمانة، وكان في ذهنهم الإعانة [وكان في ذهنهم أنهم سيعضدوهم عسكر، ولعل قد كان أحدأركنهم[2] وبعد توسطوا في خروجهم ووقع بهم ذلك وهي أعمالهم قد كان عبثوا بالخلق][3] ممن حضر [إلى] الإمام بضبطهم إلى دار الأدب.

وفي يوم ثاني أمر بضرب عنق السيد محمد الكوكباني، وعلق على خشبة في محل الفتنة، وأما العبدين فأولاً غزرهما في أزقة المدينة وتحمّلا المرافع على ظهورهما وضربا بالسِّياط على رؤوس الأشهاد، وبعد ضربت أعناقهما، وما علموا أن الملوك لا يعفون عن ثلاث: الجرم، وإفشاء السر، والتعرض للملك وقد استحق الكوكباني ذلك القتل لأنه حال وقعت الوادي كان في ذهبان، فما مر من عنده من الهاربين أحد إلّا انتهبه طمعاً، وغنم الفَلْتَة[4] ولم يبقى لأحد ما يستره حتى أنهم بقيوا

---

(١) من علماء صنعاء ولد سنة ١٢٠٣ وقام بإخماد حادثة الفقيه سعيد يس وكان من العقلاء توفى سنة ١٢٧٩ (نيل الوطر ج ٢، ص ٣٩٤).

(٢) أوعدهم. أو جعلهم يركنون إلى وعده «يستأمنون ويثقوا به».

(٣) من هامش المخطوطة.

(٤) الفلتة: الهياج وثوران الناس حال قيام الفتن.

في بيوتهم عراة عجزاً عن شراء ما يستر عوراتهم فهاك بذلك[١].

وفي الشهر الثاني من المتّفقة ربيع آخر، خرجت قبيلة أرحب ونهم وخولان وحاشد على همدان نكفة على قتلهم للإمام رحمه الله، هذا في ظاهر الأمر وأما الباطن، فهي إحن وضغاين في القلوب لما سبق فيما ذَكَرنا من ما وقع بين همدان، والذي أغروا بالإمام أرحب وبني الحارث بن كعب، وأخرجوا الإمام إلى الجاهلية (. . . .).

وقد كان بنا[٢] أرحب يشرعوا في البلاد الهمدانية من أطرافها، حتى يتصلوا بالوادي، وقد شَرَعت الحرب في وادعة والجاهلية، وقتل من همدان الشيخ قنّاف الجايفي وصنوه دَحّان، وحزت رؤوسهم، وبعد اجتمعت من كل قبيلة خلق كثير، وهجموا [على] المنقب وقتلوا أهله جميع ما بقي منهم إلّا اليسير، وانتهبوا ما في القرى جميع، والمواشي، وجاءت القرى النائية، وعقروا عقائر عند القوم، ووصلت الرؤوس إلى صنعاء مئة وعشرين وعلقت في البستان، ووقع بين القبائل صلح أمنت به السبلات وزالت الشحناء والإحن من قلوبهم/ .

وفي جمادي الأولى عزل الوزير الأرياني، وحبس ولم يؤخذ عليه مِمّا جمعه شيء.

وفي ذلك الشهر نزغ الشيطان، ونشأت فتنة الفقيه سعيد في اليمن الأسفل وقد ذكرنا في كتابنا الكهنة والسحرة والمشعبذين، فما هي جميع بمثل هذا الشّيطان، وما هو إلا أكبر أهل الطغيان، وذلك للمشاهدة والسّماع كونها ليست كالمسموعات والمنقولات، بل مشاهدات فليس الخبر كالعيان، وشاع ذكرها في جميع البلدان، وخفق لها قلب كل إنسان، ولم يزل ينموا ذكره وينتشر في الأقطار، حتى لم يبق في أفواه الناس غير ذكره، وكلما بعدت الأخبار فهي إلى زيادة، وهكذا جرت العادة بأن شياطين الإنس والجن يزيدون في أخبار الشر.

وفي شهر رجب أمر الهادي بالتّجهيز أقرب من لمح البصر، وتيقن أنه لا حذر من قدر، ولا يطفيء هذه الفتنة إلا ضرب السّيوف، ولا يسكن ثورة العامة غير حَزّ الأنوف، ثم أنه مال عن الإقامة والدّعة، وأعرض عن لَذّات الملوك والسّعة وأن ما لمهمات الأمور إلّا نفسه، وترك سعد الطالع ونحسه، ونَهَض من صنعاء متمثّلًا شعراً:

وما جَلّت رقاب الأسد حتى ... بأنفسها تولّت ما عناها

---

(١) كأنه يريد أن يقول: وتلك بتلك فخانه التعلير.

(٢) بنا هنا بمعنى قصد أو عقد النية.

وذلك يوم الإثنين ثامن شهر شعبان في السّنة المذكورة عقيب الدّعوة بثلاثة أشهر، وتلقب حال خروجه بالهادي تبركاً بمن قَهَر الأعادي وأباد فرق الباطنية[1] بكل وادي والدّعوة السّابقة المتوكل، ولما خرج سكن ما بالناس من الرّهج، وبات في سَيّان، وأفاض على أجناده وأصحابه كل الإحسان.

ويوم ثاني بات في زراجه وعرف الدّاء وعلاجه وطلب خولان والحدا جعلهم من أجناده، وأجرى لهم من أرزاقه وأرفاده، وتوقع[2] بقطاع الطّريق وفتك بهم، ووصل ذمار، وبقي فيها أياماً يرتجى أو عسى يرجع عقل الفقيه سعيد، وأقام إلى شهر رمضان، وكتب إلى القاضي العماد يحيى بن علي الرّدمي يستدعيه إلى حضرته.

وثاني عشر رمضان عقد له الوزارة، وهو نعم الكفو الكريم، وكان هذا الوزير جهير الصوت، سريع البادرة من الشّجعان القساورة، فأمر الإمام في نصف رمضان بالخروج إلى يريم، ولو بقي الإمام في ذمار ثلاثة أيام لفتحوا أهل المدينة للطاغي سعيد لأن قد صارت جميع البلاد من جند الباغي، لما سمعوا من التّهويل والوعيد، وتمثل الوزير للإمام بقول القائل.

منال المعالي بالعوالي اللهاذم وكشف الطّلا بالبيض لا بالطّلاسم
وتحت ظلال المشرفية جَنَّة أرايكها منضودة بالجماجم

ولما وصلوا يريم طمع الباغي اللئيم فيهم حين علم بقلّة عددهم وتفرّقهم من ذمار، ولما هالهم من الأرجاف والأعلام، ولمشاهدتهم القبائل يفرّون بكيل من اليمن كالأنعام وسلبهم الفقيه لباسهم وأسلحتهم وأمتعتهم وأخرجهم من المقاسم، وضرب عليهم الأوفاق والطّلاسم، وأخافهم في معاقلهم، وقهر كل أسد باسل، وكان هذا الفقيه في بدء أمره ظاهر الصّلاح، ودعا الناس إلى الخير والفلاح، وبعد استحوذ عليه الشّيطان، وأوقعه في الطّغيان، واسمه سعيد بن صالح يس العنسي من بلد شار من أعمال جبلة، كان على قدم راسخ من التّدين والتّصوف والتّعفف والتقشف، أعتزل قومه، وسكن في محلة إسمها الدّنوة بين حبيش ونعمان، كانت آثار قرية خالية، واختطها هو وبناها ودعا/الناس إلى الهجرة إليها فأجابه أرذاذ الناس، والتجأ إليه كل غريب ولاذ، فما زال مشتغلاً بتقواه موافقاً في سره ونجواه، وكان له في الزّهد الحظ الوافر، لو عرضت عليه الدنيا بأسرها فما تأملها، وتزينت بين يديه ما تمثّلها، حتى صارت حضرته محلاً لأهل الدّين، ومحَطّ رحى المهاجرين، وكان فيهم للصّغير

---

(١) يعني به الإمام الهادي إلى الحق يحى بن الحسين المتوفي سنة ٢٩٨
(٢) أي أوقع.

أباً وللكبير أخاً بسَجيَّة تنجلي عنها الظلما، وخلق مزاجه عسل وماء، فأقام على هذا أربعين عاماً معتكفاً على الدِّراسة معتزلاً لأهل النفاسة والرياسة، مقبلاً عليهم بموعظة وخشوع، وكثرة سجود وركوع، فسمعَ به القاصي والداني، وزاره كل ملهوف وعاني، حتى اعتقدوا أنه لو عصته الطّير ما أوتها وكورها[1] ولو أومى إلى الليالي المظلمة لأسفر ذيجورها، وكان اليمن قد اشتعل بنار بكيل، وتغلبوا عليها جيلاً بعد جيل، وترفّعوا في الحصون والمعاقل، وضربوا الخراج على الجاهل والعاقل[2]، وكان هذا الفقيه يواعد الرعية إلى جمعة[3] رجب بالفرج، ونفى بكيل من اليمن بلا مَشقّة ولا حرج، فلما كانت أول جمعة في رجب ترك ما يعنيه، واشتغل بما يتعبه ويعنيه واختطب[4] خطبة رَغّب فيها ورَهّب، وزعم أنه مدّعي للمهدي المنتظر، وأنه بين أيديهم سيظهر، ثم كتب إلى كافة اليمن، وبعث مسائله إلى شرقه وغربه فأجابه الداني والشّاسع مناديه، وانحشر إلى ناديه، وأطاعه اليمن بأنجاده وأبطاله وأمجاده وقضاته ووزرائه وحجابه، وليس لهم باعث على ارتكاب هذا الخطر إلا إخراج بكيل، وهو أجل أرب لهم ووطر، وكان تحريك هذه الأسباب من رب الأرباب، فإن القصّة لها أعجب بكثرة العدة والعدد والمدة والمدد، ودعا في اليمن إلى طاعته والمسارعة إلى إجابة دعوته، فما اتقوا سلطانه ولكن خشيو برهانه، فنزلوا على حكمه، وهو الذل والإهانة، وفرّغوا المعاقل، فأخربت، وبذلوا ما أخذوه ظلماً على الرّعايا فانتهبت، وفي قريب شهر هَدَم نحو ثلاث مئة حصن من حصونهم، وغنم ما فيها من نفيس أموالهم، وأمرهم بالإرتحال على الفور، فارتحلوا بالرّغم من الكور إلى الحور، وحينئذٍ ملأها خيلاً ورجلاً، ونفر بهم خفافاً وثقلاً، ومن بلغ غاية ما يجب فليتوقع غاية ما يكره خلاله الجو فتمادى ونشر دعوته ونادى:

يا لك من قنبرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيض واصفري
ونقّري ما شئت أن تنقّري ... قد رفع الفخ فماذا تحذري[5]

ولما استنسر البغاث، وصدق أحلامه والأضغاث، غيّر رسماً وبَدَّل حكماً، وضرب السِّكة لنفسه، وكتب عليها إمام البرّ والبحر المهدي المنتظر، ولا أصل له ثابت ولا فرع نابت، بل صدق عليه قول القائل:

---

(١) أوكارها.
(٢) هنا: الجاهل والعاقل: الصغير والكبير.
(٣) هي جمعة يحتفل بها أهل اليمن يقال أن فيها كان دخول معاذ بن جبل إلى اليمن.
(٤) خطب في الناس.
(٥) من زجر لطرفة بن العبد.

صلى وصاما لأمر كان يطلبه   لما انقضى الأمر لا صلى ولا صام

وشقَّ للمسلمين العصا وتبع هواه وعصىٰ/وصار أكذب من فاختة[١]، وكان أصدق من قطا[٢] فقبحت فعلاته وحنظلت[٣] نخلاته كما قيل شعراً:

وغرستها نخلاً فأصبح حنظلاً   ما حيلتي إن حنظلت نخلاتي

وكان يأتي بالخرافات، منها كان يقول لزَوْجاته أخرجن على النَّاس فأنكن أمهات المؤمنين، ومنها ما روى السَّيد عبد الله الزبيدي الأعمى أنه زاره مع[٤] جماعة فاستأذنوا عليه بالدخول، فقيل لهم: الآن يتمَشَّى في رياض الجنة ثم استأذنوا مرة أخرى، فقيل لهم: الآن عرج إلى السماء، وكان يقول لمن عذله على فعله: أنه من الرسول مأمور، ويعتقد أنه على ما أهرقه من الدماء لما جور[٥] وما أحسن ما قيل شعراً:

تزوج يرجو أن تحط ذنوبه   فعاد وقد زادت عليه ذنوب

وما أخبر القاضي العلامة أحمد بن علي الطَشّي، وكان نزل من لدى الهادي لأخذ حقيقته، فقال له: أطاعني أهل الرُّوم وصدَّقوني، ما خلا أهل صنعاء، وإمامهم، أما علمت يا قاضي إني عرجت إلى السَّماء، فوجدت إسمي في اللَّوح المحفوظ سعيد بن صالح المهدي المنتظر، وكان يعتقد أن اسم محله (دنوة) يوافق عدد إسم مكة بالهندي، وهذا لا يخفي على ذي اللّب والنهي هذا إلا فك والتقوّل والاختلاف، فالعقل والنّقل يكذّبه ويرده، وأوجب علينا الإيمان بما جاء عنه صلى الله وآله في المنتظر، فما ينطق عن الهوا «ولكن الشّيطان زين لهم أعمالهم»:

فالدعاوي إن لم تقيموا عليها   بينات أبناءها أدعياء

ألم تعلموا أن وراء كل حجة ما يدحضها، وبأن كل دعوى ما ينقضها، وأن علامات المهدي المنتظر الخاصّة والعامة في أشراط السّاعة كثيرة، وقد أفردها العلماء بالتّصنيف من جملتها (عقود الدرر في أخبار المنتظر) ومنها (العرف الندي في

---

(١) من الأمثلة الفصحى لأن حكاية صوتها هذا أو أن الرطب ولما يطلع قال الزاجر:

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب
والطلع لم يبد لها هذا أو أن الرطب

(انظر مستقصي الأمثال للزمخشري ج ١، ص ٢٩٣).

(٢) من الأمثلة أيضاً تقول العرب أصدقها من قطاة وتسميها الصدوق لأن صوتها حكاية لأسمها تقول قطاقطا (مستقصي الأمثال ج ١، ص ٢٠٦).

(٣) أي تحولت إلى حنظل وهو ثمر في غاية المرارة.

(٤) خ معاً.

(٥) خ لماجور.

أخبار المهدي)[1] للسيوطي، ومنها (القول المختصر في علامة المنتظر) لابن حجر[2] اشتمل على مقدمة وخاتمة وثلاث وستين علامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتسع وثلاثين علامة عن الصَّحابة وثلاث وخمسين علامة عن التَّابعين، ولا يسع المقام بسطها، ولنعد إلى ذكر الفقيه سعيد، وعند نشر دعوته رفع عن الرَّعايا حجابه، وفتح للشاكي بابه، وألبس على العامة ودَلَّس، وأقام البعض ممن صبا إليه وأجلس، وأطغاه حب الرئاسة والتَّهاتر (شعراً):

حب الرئاسة أطغى الناس فافترقوا　　حرصاً عليها وهم منها على حذر

وكان يقول إن الخلافة في حوزته سبعون عاماً، ووكل أعماله عُمَّالاً كلهم أغماراً وبثهم في الأقطار، ووعدهم ببقية الأقاليم والأمصار شعراً:

إذا وليت أمرك كل غِمْرٍ　　ضعيف كان أمر كما سواء[3]

ثم أباح لهم السِّر المكتوم أنها ستطيعه فارس والروم، وكان يقول: هذا مقعد أهل مصر وهذا مقعد أهل خراسان، وهذا مقعد الروم وبني ساسان، ولما استوى فيما ادعاه عقل عالم وجاهل، بدا له إهراق الدِّماء وأنشأ فتنة صَمَّاء، ونظر إلى اجتماع الرَّعاع حين ملؤوا الأودية والبقاع، جَهَّز مقاومته على الإمام، وظَنَّ الاستئصال والإنتقام، ولا يعلم الشَّقي أن قد أفل نجمه وبلي رسمه، فأرسل جيوشه كسَيْل العرم، واعتقد أن مثل هذا الجَيْش لا ينهزم، وكان الإمام قد زَحَف من ذمار إلى يريم، كان ذلك بشور الوزير الكريم/فأحاطت جيوش المدعي بالمدينة إحاطت الأطواق بالأعناق، وقام الحَرْبُ على ساق، وثارت العامة من بلاد يريم إلى هذه الهيعة، ونكثوا على الإمام البيعة، والإمام مع ذلك ذا ركن منيع وصَدْر رحيب وسيع، يقول لسان حاله شعراً:

قلت لما تجمعوا ومن أجلي تحدثوا　　لا أبالي بجمعهم فهو جمع مؤنث

(تورية)

ولما اشتد الحصار، وكاد يقول من في قلبه مرض: كان الإمام وصار، وكان وزير الإمام القاضي يحيى الرِّدمي ذا جنان جَري وقلب كمي، فدخل على الإمام وشاوره في الخروج على هؤلاء الطَّغام، فأمر الإمام من كان في المدينة كل من كان

(١) رسالة من تأليف السيوطي مطبوعة.
(٢) هو ابن حجر الهيثمي المتوفي سنة ٩٧٤ وقد طبع كتابه هذا أخيراً.
(٣) لأبي تمام.

من جنود الحق، وخطب فيهم الوَزير الماجد، وقال لهم: إن الجنة تحت ظلال السيوف فلا تفشلوا من كثرة العدد وإن كثير الحطب يكفيه قليل النار، وأنتم بحمد الله المحقّون وهم المبطلون المنهزمون، فخرجت التوابع وأصحاب الإمام من الأبواب كاللّيوث العابسة، وتوجَّه كل فريق إلى مطرح من مطارح أصحاب الفقيه، وهم آمنون غير مظنون الخروج عليهم لاعتقادهم وهَن أصحاب الإمام، وكان خروجهم وقت الصَّباح يوم الربوع (وبئس صباح المنذرين) فما لبثوا هوينا حتى قلعوا المطارح بأسرها وقتلوا الطيب الكثير من كلاب أصحاب. . .[1] وتنحوا من الأبواب إلى قاع (المريمة) وما والاها، وقد غنموا من أسلحتهم وأمتعتهم واحتَزّوا من رؤوسهم، وطمع جند الإمام في البغاة وعلموا السلامة والنجاة قتلوا وغنموا وأسروا، ولم يهراق فيهم دم، وقد كان في خلال ذلك كتب الوزير بالبشائر إلى البلدان واستدعى من تثاقل من قبائل همدان، ولما علموا بهزيمة أصحاب الفقيه أقبلوا إلى حضرة الإمام كالنُّسور المفترسة، والليوث العابسة، يريدوا الغنيمة، ويكشفون هذه المفسدة العظيمة، وقد زال ما في قلوبهم من الريب، والفخر لمن سبقهم وبَاشَرَ الأمر العَصيب؛ ولما علم من في مطرح سعيد بوصول القبائل، وظنوا أنه ليس لكثرتهم طائل، وكان منهم النَّقيب حسين بن سعيد أبو حليقة، فكتب إلى الإمام سرّاً، ودخل هجيع من اللَّيل وأبرم الرأي على القدوم على أصحاب الفقيه في اليوم الثاني، وألزم نفسه وأصحابه القبض على المقادمة والفتك بمن حولهم من الخواص حين يسمعون الوقعة، فلما علم الإمام[2] صدقه، وتيقن عدم مكره وخدعه، عَبَّا الإمام جنوده، وحشد حشوده، وأفاض إلى رؤساء القوم ما وقع عليه الإبرام بينه وبين أبو حليقة، فخرجت الجنود المنصورة من باب اليمن مما يلي المريمة وقاح الحقل فلما نظروا أصحاب الفقيه سعيد إلى أصحاب الإمام قد خرجوا، تحَزَّبوا للقتال، ولم يشعروا إلا بالهيعة من وَسَط المطرح، وقدمكر حسين أبو حليقة ومن تابعه، وقبضوا على الرؤساء مثل: سعيد بن أحمد علي سعد المقدمي الأكبر وعبادي صاحب الحجرية وقائد الحارثي وغيره، فوقعت الهزيمة في أصحاب سعيد، وأتاهم بأس الله الشديد وهم نائمون، وقاتل أصحاب الإمام قتالاً أبان عن شهامة، وانتهبوا من الأموال والأثقال والسلاح ما لا تحصيه الأقلام وأسَروا الأسارى الكثير، وقتلوا الجم الغفير واحتَزّوا رؤوسهم، وتلا عليهم لِسَان حال الإمام: (أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)[1]

---

(١) كلمة مبهمة.

(٢) في الأصل المام.

وداثماً ترد هذه اللفظة على هذا الشكل.

وكـان هـذا في شهـر شوال من السنـة المذكورة وعنـد/وصولهـم إلى الفقـيه سعيد أصحـابه منهـزمين وعليه معوّلين وقـادمين، قـال لهـم تسلية لهـم: أنتـم الكرّارون لا الفرّارون، ثم صَوّب رأي فـكره ودَبّر مـا يعتمـده من أمـره، وكـان أول أمـره عنـاء وأوسطـه بـلاءً وآخـره خـزاء، ورأى من نـفسه القُوّة وأمرهـم بالنّهـوض ثانيـاً بلا حـياء ولا مـروّة فحزّب روس الجحـافل، وأهـب عشريـن ألف مقـاتل أتبـاع كـل ناعـق، وكـل فرد يـود أن يـكون السّابـق، ومـا زال يحرّضهـم على استئصـال الإمـام الهـادي «. . .».

وأمـا الهـادي فـإنه لـما عـلم بتجهـيزهم وتقدّمهـم بخـيلهم ورجـلهم، وقد كـان عقـد الوزارة للقاضي يحـيى بن علي الأريـاني لأنـه بجـمع المال أخـبر، وللأقـدام الأول أخـبر، وعنـد وصـول جنـد السّاحـر (سمـارة) راجعـين ثانـية طالبين للمنايا، أمـر الإمـان بشن الغارة، وشَمّـر للحـرب بأيـدي شدّاد وسيوف حـداد (شعراً):

أتـعـب الـنـفس فـاسـتـراح ... ومن لم يتعب النفس لم يزل في عناء

فـإنه انتخـب من رجـال الحـرب الكمـاة الأبـطال من شَهـد اللّقـاء وتـمارس الأعـداء، ولا تـروعه بـوارق السيـوف ونـوازل الحـتوف، فـلبس كل فرد منهم جـلد النّمر، وانـدفعـوا كـالسيل المنهـمر، حـتى التقـى الجـمعان وتَمَيّـز الجـبان من الشجعـان، وحـمي الوطـيس، وثـبت كـل شهـم رئيس، فكبّت جيـاده، وفـرت أجـناده، وأتـاهم العـذاب وهـم لا يـشعرون، وساقـوهم بين أيـديهم كإنـما يـساقون إلى الموت وهـم ينظرون، وغنـموا وقنعـوا من الغنمـة بالإيـاب، وكان آخـرهم في قـاع الحـقل (وريـاب) حـتى أتوا على (السحـول) وهـم بين طريد وشريد ومجـروح ومقـتول، وكانت هذه الهزيمـة الفاضحـة لأولئك القـوم مسير يـوم أو دون يـوم، وهنـالك طـاشت أحـلامهـم، وباتـوا بليلة نابغية[1] وأحـزان يعقوبية[2] يـروعهـم خيالهـم، ويفزعهـم مثالهم (شعر):

إذا صوت العصفور صار فؤاده ... وليث حديد الناب عند الثري يد

ولمـا ألقوا عصـا الهـرب في البـلد، وذهـب قواهم والجلد، آن لجـمرته أن

---

(١) من عبارات الحـريري في مقاماته في المقامة الوبـرية يـقول: «فبت بـليلة نابغية وأحـزان يعقوبية أساور الوجـوم وأساهـر النجـوم» قـال الشارح: ليلة نابغية منسوبة إلى النابغـة الذبياني شاعر مشهور روى عن الأصمعي قـال. انصرفـت ذات ليلة من دار الرشيد وأنا أشكوا علّة ثم غدوت إليه سفـال· كيف بت قـلت: بت بليلة نابغية فقـال: إنا لله هو والله قوله:

فـبت كـأنـي سـاورتـنـي ضئيـلة ... من الـرقش في أنيـابهم السم نـاقـع

«انظر مقامـات الحريري ٢٧٧».

(٢) نسبة إلى يعـقوب أبي يوسف عليهـما السلام وقصتهـما معروفة.

تـطفىء، ولـدعوته أن تفهـى[1] وفـارقه هـدوء وسلّوه، وأمـا أصحـاب الإمـام لمـا أصابوا الغنيمـة، ووقـع في أعدائهـم الهـزيمـة، طمعـوا بما وراء ذلـك.

ولمـا بـلغ سـعيد هـذه الفضيحـة، عـلم أن قد أوقعهـم بأعماله القـبيحة، ووقعـت ملحـمة يـشيب منها الوليد والأطفـال وردُّوهـم من شواهـق الجبال/وانتصـر جـند الإمام وانكـسر أعـوان الباطل وذلك ثـامن عشر شـوال، وتبعهـم الأجـناد الإمامـية وقد اجـتمعوا كالجـراد المنتشـر، وخفهـم وحـافرهـم كالغيث المنهـمر: (شعراً):

قـوم إذا اقتحـموا العجاج رأيتهم   شمسا وخـلـت وجوههم أقمـارا

وأحـاطوا بالدنوة من جـميع الجهـات، وأرسـلوا سهـام البنادق وأخـلصوا النِّـيات، وأخـذوا الدُّنْوة عنـوة.

في يـوم الإثنين سـابع وعشرين شـوال من السَّنـة المذكورة، وهـي مملوءة من المـال والرِّجـال فوقعـت مقتـلة عظيمـة، وجـاد قـبائل المشرق جَوْدة ما قـد سبق إليهـا ولا مثـلها، ولا قـد عهد منهم قَبْلهـا وانجـلت على هـزيمة أهـل البغي، وأسـروا هـذا السَّاحـر، واستبدوا بالغنيمـة، وبلغ القتـلى من أصحـاب السَّاحـر في الثـلاث الوقـائع نحـو ألف قـتيل وأحـاطوا بالدُّنْوة كإحـاطت السُّور بالدُّور والنُّطُق بالحضور، فـضاق بالمدينة فضاؤهـا، وَوَهَت أعضاؤهـا، وتضعضعـت أرجـائها، ثـم أرسل أصحـاب الإمام على أولئـك من الرِّصـاص، كأمـزان الغـمام، فثار القتـام، واستعـر الجـلاد والصـدام، وتـزلزلت بهـم الأقـدام، وصـاح بهـم رسول الحـمام، ووقـع يـوم يـشيب منـه الغلام، ويذهل الأحـلام، وكـانت رصـاص أصحـاب الإمام فيهـم قاتـلة، ورصاصهـم متربة مائـلة، وعنـد ذلك تيَقَّـن من بـقي أنهـا إحـدى الكـبـر، وأم العـبر، فـطار الكـل وفـر، وتـركوا المنتظر في ملاحـس البقر[2] وهنـالك ثل عرشه، ووطؤوا فرشـه، وهَوَى نجـمه، وطـمس رَسْمـه، فـنـزل بالقـصر إلى قـبضة الأسر، وتَمَلَّك بعد المـلك، وسَقَط مـا بيـده، وبـكى الدَّم ونـدم حـيث لا يـنفع النـدم، وبـات وكـبده تتفتت بالحسرات، وعـينه تُذرف العـبرات، وهـكذا من سـبح في البـر أعجـزه البحـر أن يـسبح، ومن طـلب ما لـيس أهـلاً له افتضـح. (شعر):

من تحـلى بغيـر مـا هـو فيه   فضحتـه شـواهـد الامتحـان

ولمـا أشخـصوه بين يـدي الهـادي على رؤوس الحـاضر والبـاد، جـمع العلمـاء والحـكماء فحكموا بِعَدَمِهِ وإهـراق دَمِه فأهـرقت نفسه، وأغرب بـدره وشـمسه وأصبح

(١) تبرد وتخف.

(٢) زرائب البقر.

مصلوباً تذروه الرياح، فكأنما لا غدا[1] ولا راح ولا كان كالكبش الأجم في البطاع نطاح.

وقد كان رحل الإمام إلى مدينة إب، وقتل الفقيه هنالك، وصلب حتى أكلته السِّباع والهوام، وقيلت في ذلك الأشعار وطاب المقام والقرار.

وبعد إطفيء هذه الفتنة، وإجلاء البغاة من اليمن، وسكون الخواطر واستقر الجأش.

وفي خلال ذلك نَجَم نجم الخلاف من مارش المحمدي في (باب ميتم) فجَهَّز عليه الإمام مقدمي بجيش عرمرم جَرَّار فأحاط بحصنه الجيش الجرار إحاطة الآكام[2] بالأزهار، وحاصره شهر حتى أخذ بيد الغلبة والقهر، وهو آخر حصن في اليمن من حصون المفسدين وطهرت البلاد وبعد إصلاح البلاد، وإزالة أهل البغي والعناد، توجَّه الإمام راجعاً، وأمر الوزير والأمير فتح محمد يبقوا في اليمن للمتخُفين من ذي محمد الذي قد تأهَّلوا وأولدوا لأجل لا يتثنوا ويستدعوا قبائلهم ويفتحوا لهم، وبقيا حتى طهر جميع اليمن.

وفي ضمن ذلك وقع من النَّقيب حسين بن سعيد أبو حليقة الخِلاَف، وطلب المستحيل، ولم يقنع من الإمام بالعطاء الجزيل ومع ضعف عقله طمع في مشاركة أمير المؤمنين في رقاب المسلمين، وأشعر أن لولا حسين لأصحاب سعيد أن الإمام وأصحابه مكبلين في الحديد، ولا يعلم سخيف العقل أن جند الله هم الغالبون، وأنه لا يفلح الساحرون، وعَمَّا قليل هم المنهزمون، فصنع إليه الإمام ما يصنع أهل الوفاء، وصَفَح عما صدر عنه وعفا، فلم يرعوي عن بذ أية لسانه، ولا أغمد صارمه وسنانه ومع هذا فهو يهذرم بالوعد والوعيد فأظمر الإمام قتله وكف بغيه وشره حتى وصل الإمام (ضوران) وطلع الحصن لزيارة جَدّه الحسن، واستخار الله في هذا الرجل الذي يريد شَقَّ العصا وقد عصا فقضت الخيرة بضرب عنقه فأمر بإحضاره وطلبه تحت داره، ثم أمر السَّياف بضرب عنقه، فضربه وقرابته يشاهدون ولقتلهم متوقعون. فكفى شره.

ووافى العيد حق الأضحى هنالك، وبعد يوم الغدير توجَّه راجعاً وأمره في الآفاق ساطعاً، وسيفه للرِّقاب قاطعاً، فدخل صنعاء المحمية بموكب عظيم، وهَنَّاه الخلق

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) كذا عند المؤلف صوابه «الأكمام».

بالفتح المبين، وبعد حين أطلقوا الأسارى من آل أبي حليقة ومن أصحاب الشقي الساحر.

ودخلت سنة ١٢٥٧

وفي ذلك التاريخ نشأت الفتنة والحرب بين السلطان عبد المجيد بن عبد الحميد بن محمود خان، وبين محمد علي باشا دولة مصر، بسبب ما استبد به محمد علي من بلاد السُّلطان وجَدّد بناء الإسكندرية، فكتب السلطان إلى جميع الأتراك الذي في قطر اليمن برفعهم جميع، فارتفعوا حال وصول الفرمان السلطاني، وحملوا أثقالهم، واستبد بتهامة والبنادر الشريف الحسين بن علي حيدر، والهادي محمد بن المتوكل استولى على ما كان تحت يد الترك من اليمن الأسفل، وعزم له من صنعاء عامل الأمير الماس، وما والاها من جميع البلاد، وأفاض عليه إذا أمكنه الفرصة للقبض على بندر (عدن) والإستيلاء على من فيها من الإفرنج، فذلك من مناقب الدنيا والأخرى، وكان المهدي العباس[(١)] رحمه الله ولى مدينة (عدن) السلطان محسن العبدلي، وأصله من عيال[(٢)] عبد الله من بلاد أرحب وولى عبد الرحمن الفضلي [وأوصله[(٣)] من بلاد (آنس) من مخلاف (بني فضل)][(٤)] بندر (شقرة) وذلك توليتهم سابقاً في أيام المهدي العباس، وهؤلاء المذكورين[(٥)] بني الفضلي وبني العبدلي في هذا التاريخ سنة ١٢٥٧ هم ذرياتهم، ولكن قد أذنبوا وتجاروا ووقعت بينهما [هؤلاء] العاملين على بندر شقره وهو الفضلي، وعلى مدينة (عدن) وهو العبدلي، وقع بينهما عداوة ودخلت الشحناء بينهم فباع العبدلي مدينة/عدن في سنة ١٢٥٥ من الفرنجي، وكان تاجراً وكان هو ذمّي مستأمن في بندر المخاء، فضعفت شوكة العبدلي بسبب خيانته لأن قد كان استبد بالبلاد[(٦)] لنفسه، فباعها وأغواه الشيطان بالذنوب، وفي ظاهر الأمر أن الفرنجي أخذها عنوة والله أعلم[(٧)].

---

(١) كانت ولاية العباد له على الحج من سنة ١١٤٤ حين ولاها المذكور الإمام المنصور القاسم بن الحسين ثم استقل بها العبدلي وطرد عمال الإمام عنها في خبر طويل «انظر هدية الزمن ١١٦».

(٢) يرى صاحب هدية الزمن ٣٩: أنهم من آل سلام بتشديد اللّام فخذ من كلد قريتهم في يافع ١ هـ ونجد هذا المؤرخ ينكر هذه النسبة التي يذكرها المؤلف والله أعلم بالصّواب.

(٣) هم أيضاً من آل سلام كما ذكر المؤرخ العبدلي في هدية الزمن ص ٤١ وهبم فرع واحد مع العبادل فيحقق.

(٤) جملة كتبها بخط صغير فوق السطر، وهي إعتراضية.

(٥) كذا ترد الأسماء والأفعال بصيغة المفعولية، وقد نبهنا على مثله فيما سبق فيفهم.

(٦) خ بلبلاد.

(٧) في هدية الزمن ١٤٣ «في سنة ١٢٥١ جاء القبطن هينس إلى عدن وكان إذ ذاك يشتغل في مساحة ساحل =

وعمـروها الفرنج وحَصَّنوها غايـة التحصيـن المحـكم، وأجـروا البحـر عليها من جـميع الجهـات، وكـان رئيسهم [كـبيرهم][1] أولاً لا يبيت في هـا إلا في البحـر، والنهـار فيها حـتى كمـل بناهـا فلا قـوة إلا بالله.

ونـرجع إلى ذكـر الهـادي وتسليط العبد اللعيـن فـيروز عليه والسَّحـرة الكـفار، واتفقـوا العمـل والسحـر في ذلك، وبَسَطوا شـباك الحـيل للخـلق والمهـالك، وكـان سـبب ذلك من طـريق العبد اللئيم (فـيروز) عبد الأمير سعد يـسر[2] كـان هـذا العبد من عـبيد النصـارى وقد توغـل الكفر في قـلبه فاشتراه سعيد يسر وبقي في خـدمته في مـدة ولايـته في الحـديدة، وحـضي عند سَيِّـده، وكـان نائـباً في الحـديدة حـين دخـلها الأتـراك، وارتفـع إلى صنعـاء ولعلَّـه الخـائن خـان في بيعة البنـدر، وبـقي في صنعـاء عنـد سَيِّده مـدة وغـضب عليه واعتقه وأطلق سـبيله، ولـم يـزل يجـني على النَّـاس الـذين لم يعلمـوا بعتقـه، يستـدين منهـم ويوهـمهم أنه لسّيده ويمطلهـم ولا زال هـذا دأبـه إلاّ من فـطن بعتقـه لم يـديِّنه، وبعد أنهـم رافعوه، وتبـين فقـره وعتقـه بـقي في الحـبس أيـام، ولـم يـزل يتقرب إلى الإمـام بالنـم[3] بـسيده والأغـرى به عنـده، وكـان سَيِّده سعد يسر ذا ثـروة عظيمـة قـد جمعهـا هو ومن قـبله، فأطلقـه الإمـام وجـعله خـصيماً لـسيده، وآل الأمـر إلى الوقوع بالأمـير سعد يـسر وأخـرج من بيته أموالاً عـظيمة، ونـفائس هـائلة من اللؤلؤ والزربفت[4] والحـلي والحـلل والفـراش الـروم[5]. والنحـاس وبـقي في حـبس الإمام من قـبل خـروجه في العـام الماضي على الفقـيه سعيـد، ولـم يـزل ينقـله عند العبيد للتخـليص، وأخـذ مـا عـاد مكتوم، وأمـا الظاهـر فقـد أخـذه، وآخـره بقـاه[6] الإمـام عنـد عدّوه وخـصيمه وعبده فـيروز اللّعـين، فعامـله معامـلة من لا يخـشى العقوبة حـتى أجـبره على بيع أحـسن العقار والأراضي الـذي كـان في أحـسن المواطن، كرهـاً وأُجْبَر

= بـلاد العرب الجـنوبي وقـابل السلطان محـسن فـضل فأحـسن السلطان معاملـته وفي صباح ١٤ رمـضان سنة ١٢٥١ غرق المركب دريا دولت في غبه سيـلان بالقرب من عـدن. وكـان فيه بـضائع وحـجاج إلى جـدة فتهـافت الأعـراب على بضاعته الثمينـة ومـا دخـلت سنة ١٢٥٣ حـتى جـاء القـبطن هـينس من طرف حـكومة بمبي وفـاوض السلطان بخـصوص محـطة للمراكـب الإنجـليزية فرضـى السلطان أن يـدخل في معاهـدة مع البريطانيين» إلخ.

(١) من هـامش المخـطوطة.ـ

(٢) ورد ذكره في نـيل الوطر ١٩٢/٢ وفي مجـموع الحـجري ٥٤١ «بيت سعد يـسر أصلهـم من الهند».

(٣) النَّـم: النميمـة.

(٤) نـوع من القـماش واللفظة فـارسية معناهـا القمـاش المزركـش بالذّهـب (انظر المعجـم الذهـبي ص ٣١١) وهو كـذا عندهـم.

(٥) أي المصنوعة في الـروم «تركـيا».

(٦) أي أبقـاه.

المجاورين له في الأراضي أن يشتروا كرهاً، ومن لم يشتري عَذبه غاية العذاب، ولم يزل يتحبَّب إلى الإمام بأفعاله الخبيثة، وجلب المكاسب، والمظالم حتى رسخت مودته في قلبه، ولم يزل هذا دأبه يعذب جميع العباد، ويأخذ أموالهم بغير حق حتى خافوه، ولم يلتفت الإمام إلى كلام أحد ولو كان ولي/أو شريفاً لما رَقَّ له ولا عذره من أخذ ماله، ومع هذا فهو من أعداء الدِّين لم يريد غير هلاك الإسلام والمسلمين، لكنه متظهر بالإسلام لأجل لا يفطن به الخاص والعام، وقد عمل الأسحار للإمام، حتى صار التَّصرف لهذا الكلب الكافر، وسيأتي تحقيق انتهائه في الظُّلم والبغي وعاقبة أمره.

وفي شهر رجب هذا العام خرج بكيل وأكثرهم من ذو محمد، وطرحوا في كولة العرج غربي الروضة، وأفضعوا في الثِّمار وصالحهم الوزير، ودخلوا صنعاء، ووصل قبائل حاشد، ولا زال الوزير والعبد يعذِّبوا عباد الله بأنواع العذاب من التخليص في أخذ أموالهم، فمنهم من ربط ومنهم من ضرب، ومنهم من هرب، ومنهم من افتجع[1] وغير ذلك، وما لهم عليهم من ذنب إلا أنهم أغنياء وَزِدْ وقع فرقة على جميع من في البلد، حتى أنها وصلت الفرقة عند الغزَّالات والطُّحانات والذين يبيعين[2] البيض والمشاقر[3] وأما من يبيعين الكبا[4] فبالأولى[5] وبقيوا يتخلصوا[6] الناس لهم إلى شهر رمضان، ومن يقدر يخالف أو يمتنع من التّسليم أذهبوه[7] وبيته ونَفرَ[8] أحمد صالح ثوابه، وخرج مغاضباً، ونفر طريق اليمن وبقية[9] العقال وضع فوقهم العبد فيروز الخلع العظيمة من الذهب، حتى كادت عقول العقلاء تذهب لأنه أخرجها من بيت المال لا لحاجة وإنما مقصده[10] أن يعطل بيوت الأموال، ويكثر الظّلم ليدمِّر بيت الملك وسنبين لك ذلك، حين أخذ أكثر ما في بيت المال، ويريد به الانتقال، ونيته أرته وأرتنا المآل فيه.

---

(١) فزع وخاف.

(٢) أي يبعن.

(٣) جمع مشقر وهو العصبة من الورد وغيره. وفي اللغة المشاقر منابت العرفج.

(٤) هو السرجين يخلط بالماء ويصنع منه أقراص كبيرة تستعمل في إشعال الحطب والكبا في اللغة البعر والمزبلة، انظر تاج العروس ١٠/٣٤٠

(٥) خ فباولا.

(٦) يأخذوا منه قدر معين من المال.

(٧) أي أفنوه بالضرب والتعذيب.

(٨) خرج مغاضباً.

(٩) خ بقيت.

(١٠) قصده.

وفي شهر القعدة ألقي الوشاة في بال الإمام إن النَّقيب الماس الذي هو عامل تعز والحجرية، قد جمع أموالاً عظيمة وإن الوقوع به غنيمة وأي غنيمة، وهذا الواشي من أعداء المسلمين والإسلام، فظمم الإمام على الكلام[1] ونهض إلى اليمن والوزير يحيى الأرياني، وقد ظهر له مما أبطن الإمام وله في ذلك بغية[2] المرام، فشحذ الوزير شفرته[3] وأظهر الكامن من جبروته وسطوته، وشرع في الظُّلم من يريم وأذاقهم العذاب الأليم، واستأصل بيت النّجم، وكانوا من أغنياء الخلق، فحولهم إلى أفقر الخلق، فسبحان الصّبور، وعزموا تعز، وقد النَّقيب الماس استفتح جميع بلاد اليمن إلى حدود تهامة وعدن، وقد خاف منه الأشراف على تهامة، وخاف منه الفرنج على عدن، من شدة بأسه وسطوته، ولما أفاض إليه الإمام وأوصل إليه الإمام عند خرجته، وكان من أهل النجدة والكرم، فلما وصل هو إلى حضرة الإمام، وقع به وكَبَّله في القيود، وأخذ جميع ما قد جمعه، ولم وجد من المال النَّقد شيء كما وشى به الواشي لا رحم ووقع الإمام بجميع من كان مع النقيب الماس وكبلهم مثله في سلاسل الحديد وذلك بغية الواشي المريد، وولى مكانه الفقيه قاسم بن محمد العَمْري، وأين هذا من ذاك، ورجع بخفّي حنين أراد الإمام أن يصلح فاسد وأن يختصا بالمال/فأكسد، ولما رجع الإمام إلى صنعاء، وأفسدت البلاد، ورجع تملّكها أهل البغي والفساد، وضعفت الشوكة وركّت[4] العزيمة ولما وصل جَهْران اجتمعت قبائل خولان وبني ظبيان، وأرادوا الأخذ بثأر النقيب حسين بن سعيد أبو حليقة، الذي ضرب عنقه في العام الماضي في ضوران وكمنوا في بيوت جهران، وكادت تلتقي حلق البطان، وصاروا أصحاب الإمام كالشّامة السُّودا في الجلد الأبيض، ولم يعلموا بقدر كثرة خولان، وما أظمروه من العِصْيان، وبات الجميع في جهران وكل أحد مستعذب للضرب والطعان، فلما أصبح الصباح، وصل الشَّيخ إسماعيل السفياني بعصابة من الجند، وأخبر الإمام بما أظمره خولان، وأنهم منتظرين لبقية القبائل، ويثوروا، ولحقهم العاقل ولكن أشار على الإمام أن يترك المرور من جهران، ويعرض ضوران فإنه أحسن، فشكره على صنعه، وصَوَّب قوله، وعزم من حينه وطلع حصن (الدامغ) وكان ذلك من الفرج بعد الشدة، وما شعر خولان إلا بوصول الإمام ضوران، فتلاشى أمرهم وبَطَل عملهم الذي قد كان أوقدوا النيران لجمع إخوانهم

---

(١) الأمر.
(٢) غاية.
(٣) سكينة.
(٤) من الركة وهو الضعف.

من جميع البلدان، وضرب النّكف في أسواقهم، وقعد نحو شهر ورجع صنعاء والعقول صرعى.

ودخلت سنة ١٢٥٨:

والنعم من الله مبسوطة.

وفي شهر صفر وصل جماعة من الأتراك بكتب من سلطان الإسلام عبد المجيد بن عبد الحميد بن محمود، مخبره بموت والده ومبشره بقيامه ولعل هذا من قبل التّاريخ بنحو ثلاث سنين، ولكنه تراخى الرّسل وأمر الإمام فيروز عبد النصراني، بتلّقي الأتراك إلى نقيل عصر، وخرج بأهبة كبيرة وأخرج المجانب من حسان الخيل، وأصحاب الإمام على أهبتهم، وبقيوا قليل ورجعوا بالجوابات والهدايا والبن.

وجاءت أخبار الخلاف من الشّيخ حسين بن يحيى عباد صاحب بلاد يريم، والسبب أهويات من الوزير يحيى بن علي الأرياني، وتجهز الإمام للخروج تبعاً لهوى الوزير، وطلب عساكر من كل جهة، وتوجه خارجاً، فلما وصل جهران أتته كتب ابن عباد بالسمع والطاعة وأن ما له بالفساد[1] ولكن الوزير أغرى به، ولم يلتفت الإمام إلى مقاله بل حَرَّض عليه بوصوله، فعاود ولم يقبل، وخرجت عليه العساكر والمدافع ورَمَوه بالمدافع الكبار، واشتد الحصار، فلم تؤثر المدافع في الحصن، فعلم الوزير أن ليس لذلك تأثير، فصالحوه ووصل وسلم ما أراد الإمام وما ذاك إلاّ من الوزير.

وصوّب أهل الرأي للإمام أن يجهز الوزير والأمير فتح محمد لنزول اليمن لإصلاح ما قد فعله البغاة من الفساد، وتملك البلاد، وقد كان [بعثوا] درْهَم الصّلاحي لقبض حصن المعبري بين المدينتين وتبعه أحمد صالح ثوابه، قبض الجهة الشّرقية من بعدان إلى قيظان، فاستصوب الرأي وجهز المذكورين، فلما وصلوا مدينة إب عزم الإمام صنعاء، وحين خرج الإمام جَعَلَ صِنْوه سَيْف الخلافة حسين ابن المتوكل، وفي ظاهر الأمر وباطنه أن الفعل لعبد النصراني فيروز، فعبث اللّعين بعباد الله أشدّ العبث، وأخذ أموالهم، وصادرهم في نفوسهم، وكان عنده صاحب الذنب الكبير من أغناه الله حتّى أهلك الخلق وهرب من صنعاء خلق كثير

---

(١) خ بلفساد.

وفعل في النَّاس من الأفعال الشَّنيعة ما لا يسعه الحصر، وإنما ما ذكرته قطرة من مطرة، فاعرف المثال وافهم الفعال/هذا والإمام مصغ إلى عمله ومُستحسن لفعله، وقد شَرَّدَ الحكام من صنعاء والعلماء، وضابطه أنه لا يبقى لأحد من المسلمين قول.

وذلك أنه اتقن فعل الأسحار في اللَّيل والنهار، وفعلها للراعي والرعية وللأمة المحمدية فلم أحد زد نهى عن منكر، ولا ذكَّر وإنما بقيوا سكارى، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

وفي خلال ذلك وصلت كتب من أهل حراز بأنهم للإمام طائعون، ولأمره سامعون، وبه مستغيثون، ويطلبون خلاصهم من المكرمي ويام، فأراد أن يختبرهم هل هم صادقين، فطلب منهم شيء من المال، فأرسلوه، فلما علم صِدْقهم طَلب العساكر من أرحب وهمدان، وعقالهم الهجام، وبن سنان والحَبَّاري، والنقيب علي الهمداني وجهزهم، ووصلوا إلى الحيمة، وطلبوا وصول أهل حراز، فوصلوا وأطلعوهم إلى حراز وفتحوا البيوت وسلموا الضيِّف[1] والكفاية للأجناد، ووقع الحرب وقتلت نفوس قليل من الفريقين.

وفي خلال التاريخ وصل الوزير من اليمن وقد صالح البغاة بشيء من المال، ورفعهم منه حتى أن المزوَّجين في اليمن أخرجهم بنسائهم، وصلح اليمن، ولم يبق فيه شر. فلما وصل صنعاء بقي بها فرحاً من الأيام بضعاً ووقع به الإمام وأبقاه عند صاحبه في فعل الظلم فيروز، فعذَّبه عذاب الهدهد[2] حتى أخذ جميع ما قد جمعه من سابق ولاحق، وفعل بأولاده وأقاربه وخدمه مثله، وعذب الجميع العذاب الأليم فالعقوبة من جنس الفعل كما قيل شعراً[3]:

وما ظالم إلا سيبلى بظالم

وأقام للوزارة السيد حسين بن محمد الشامي.

ولم أحد يمكن أن يتكلم في العبد بشيء لأنَّه حاز الأعمال كلها، حتى القبائل حيت وصلت لطلاب[4] حراز ما تفريقها وأمورها [إلا] على العبد، ولم يكن الوزير

---

(١) أي نفقات الضيف.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النمل: ﴿وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهدي أم كان من الغائبين لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه﴾ قال المفسرون: العذاب الشديد هو نتف رأسه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام.

(٣) أول البيت: وما من يد إلا الله فوقها (من الهامش).

(٤) أي طلب.

ولا الأمير بل ولا الإمام أن يحلُّوا ويعقسدوا. وما هو إلا التَّسليط بجنب الطلاسم والأسحار.

ولما استقر أصحاب الإمام في حراز، وصاحوا للنَّاس بالأمان، وما عليهم إلا الواجبات اشتاقت إليهم الزيدية ونفرت قلوب الباطنية، وتوقفت الشَّافعية، والزيدية هم أهل الثلث.

[فرق حراز الزيدية][1] هم أهل الثلث وهَوْزَن وبني إسماعيل، ومسار وحَضَبان مَشُوب يعني مخلوط. والباطنية هم أهل اليعابر ومن تبعهم، والشافعية أهل لهان وبعض أهل مسار، فإن أهل الثلث كان يسلموا زكاتين تقوه[2] ليام وأخرى للمستحق، وكان ابتداء البغي من أصحاب الإمام بنهب القرى الصِّغار، فدخل في نفوس الباقين، وصاروا متوقِّفين حتى ينظر عاقبة الأمر، والباقي في حراز من المكارمة قد تحصنوا في المعاقل، وشَدُّوا بناها مثل شبام وحصن (سعدان) المحاذي لشبام، وحصن (كاهل) وجمعوا إليها الأموال والخزائن العظيمة، وكانوا في حَرْبهم القليل منهم يساوي عشرة أمثالهم، ولو قتلوا جميع ما اكترثوا لقناعتهم بعدم الفشل، ولضمانة سَيِّدهم لهم بالجنة، وأرسلوا يام إلى تهامة استدعوا قبائلهم ووصلوا ودخلوا في حصن (أكمة الخير) وحطوا أصحاب الإمام عليهم نحو عشرين ويماً فلم يرتهفوا[3] يام وبعد/صنَعُوا لهم حيلة الباروت وأحرقوا دار في ذلك الحصن فيها من رؤساء يام نحو عشرين، فلما قرَحَتْ الدار بالباروت أظهر يام الشُّجاعة وقرحوا بالبنادق[4] وفي الباطن وهيوا[5] لكن ما يظهر فيهم، وآخر الأمر أن أصحاب الإمام أرسلوا لسوق[6] وسياق ومحتاجات من الوزير، والأمير عبد النَّصراني، فلم يلتفتوا إليهم وبقيوا في حراز مطيعين ولما تيقَّن أهل جراز عدم الخارج من عند الإمام، وأفعال العبد اللعين بالنَّاس ندموا على ما صنعوا وقطعوا ما كان يسلموا لأصحاب الإمام، فارتفعوا من حراز وعاملهم القيري، ورجعوا العسكر يخاطبوه في عسكرتهم[7] وآخره، لَزَّموه معهم وتلاشى الأمر وأمر المكرمي بخراب دور الذي فَتَحوا بيوتهم،

---

(١) من هامش المخطوطة.
(٢) كأنها تقوية ليام أو تقيه.
(٣) أي لم يضعفوا ولا خافوا.
(٤) خ بلبنادق.
(٥) من الوهى وهو الضعف.
(٦) كذا في المخطوطة.
(٧) أي اجرتهم على العسكرة.

وناصروا الإمام وقطّع أبنائهم وشرّدهم من أوطانهم، ووصلوا بنو الحيمي صنعاء يستغيثون بالإمام فلم يلتفت إليهم، وهم بنو الحيمي الذين ناصروا وفتحوا مشردين فلا قوة إلا بالله . ووقع بين الشّيخ المساوى صاحب لهاب، وبين المكرمي حرب عظيم بسبب أن مساوى فَتح لقبائل خولان، واستدعاهم وأخذ قرية (يهقر) وأخرج الطعام حق المكرمي، وكفاية خولان وكان الحرب بينهما في حصن (رخام) نحو شهر وأخرب المكرمي هذا الحصن، وهو من المآثر القديمة، وقد عمر مراراً انتهى .

وفي هذا العام وقع الفساد من النّقيب يحيى بن يحيى هادي الشايف واستيلائه على حجة والظّفير و (الظّهرين) و (نعمان) و (القلعة) و (كوكبان) وكان عاملاً فيها عند الإمام، وصارت تَحْت وطأته كونها مجاورة لقطعته. وفي خلال ذلك خرج البغاة من المشرق حسب العادة وما وقع إلاّ صالحهم الوزير بمال، وسَلّم إليهم ودخلوا صنعاء ولم يبقي إلا العبد الظالم.

ودخلت سنة ١٢٥٩ :

وكلما خرج عام وجاء عام آخر ازداد العبد في كبره وظلمه وتجبره، وفيه طلب الإمام القاضي إسماعيل بن يوسف الصديق، وكان حاكماً في (حبيش) وعقد له الوزارة، وعزل سَيِّدي حسين بن محمد الشامي، ولم يأخذ من ما جمعه شيء؛ ووقع خلاف أهل إحلال في مخلاف (بني حاتم) وأمر الإمام بالتّجهيز، وخرج بنفسه، ومعه العبد السّاحر ومدار الحل والعقد عليه، ولا يقطع أمراً بدونه، ولما وصل إليهم أوقع الحرب بهم وسقط قتلى من الفريقين، وآل الأمر إلى الإصلاح وقبض الإمام على كل من وصل مَطْرحه من الرّعايا، ومن منع على نفسه سَلْم من الظلم والبلايا، وكان هذا العبد يباشر عملهم، ويحبس ويغلغل، ويتخلص حتّى أنه كان يدخّل الرعايا في مدافن الطعام الذي بقيه الطعام فيها، حتى يشرفوا على الموت عند شدّة حَرّها، فيبذلوا ما طلب العبد ومنهم من ذهب روحه ومات فيها .

وأوقع بعلي محسن راجح في حال ذلك، وهو الذي تلّقى الإمام بالضّيافات وكفى المطرح بجميع المحتاجات، فكافأه على عمله بحبسه وتخليصه، حتى بَخّروه بالفلفل وأخذ ماله وتعذيبه كما قيل:

جزا بنو أبا الغيلان عن كبر   وحسن فعل كما يجزى سنمّار[1]

---

(١) سنمّار: رجل رومي بني الحوزنق للنعمان فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فخر ميتاً، يذكر في الأمثال انظر (مجمع الأمثال ١/١٥٩) وسيشرح المؤلف خبره.

وهـذا سنمار كـان عمـاراً لبعض المـلوك وعمـر داراً له فـوعده بالجـائزة عند تمامهـا فـلما تمهـا أمر بـأته يتـردى من أعـلا الـدار.

ورجـع الإمـام إلى صنعـاء، وقـد شـاع ظـلم العبد وذاع، وامتنـع من صنعـاء كـل نـائي، ووقع إخـراج القـاضي يحيى الأريـاني من الحبس على بـقية ما عـاد يـملك من الـال، وبـقي في صنعـاء أيـام قـلائل وخـرج الروضة، ولـم يـزل يـضامن[1] القبـائل كلهـا ويحـالفهم ويعاقـدهم، والأشـرار تصل إليه من الأقـطار والأمصـار ومن هـرب من صنعـاء من ظـلم العبد وصـل إليه واضطربت الأخـبار، واشتعـلت صنعاء بالنّـار من الظُّلم، ووقـع الإمام بالحـاج فتح محـمد، عبد الهـادي وبقّـاه عند العبد، وكـان يبـاشره بأنـواع العـذاب حتّى أخـذ مـا يـملك من الذّهـب واللؤلؤ والسّلاح وأنـواع الذخـر والفراش والنّحـاس، ومـا قد كـان جـمعه الأمـير عنبر الذي قَبْله لأنـه صار له، وهـو مملوك، وأخـذ المَمْلوكِيْن فـيروز، وعقـدت إمـارة التّوابـع للأمـير خـير، وقـد كـان أخـبروا بـموته لأنـه أشـرف على الهـلاك من شدَّة التعذيب له من فـيروز، ولـم يـزل العبـد الخـبيث يأخـذ أموال العباد، ويـفتح بـيوت الأموال والمخـازين والأقـفال، ويأخـذ من كـل شيء أحـسنه والتّصـرف له في الإمـام لا بـقي للإمـام مع أحـد مـرام بـل ولا لنفسه، حـتى أن الكـلب فـيروز كـاتب الفَرْنجـي إلى عـدن، وكـان يهـاديه بـما جـمعه من النفائس بأمـوال المسلمين ظلمـاً، بـل ويهـاديه بـما أخـرجه من خـزائن بيت المـال ممـا لا قيمة له من الأحـجار، والآلات الـنفيسة، والـلؤلـؤ والـذهـب والسلـع الـذي لا يـملكهـا أحـد . وكـان الـسفيـر[2] السـاعي بـين العبـد والفرنجـي الحـاج إسمـاعـيل الـوعـلاني، حـتى أنـه عقـد بينهـما عـلى الاتفـاق وشِبْه الشّيء منجـذب إليـه، ولعـله كـما أشرنـا سابقاً منهـم قـطعة وبـضعـة، ومبطـن الكـفر العبد، ومظهـر الإسلام، ومـا كـان مـراده إلّا القـبض على الإمـام، وتـسليم البلاد للكفـار لعنـه الله، ومـا أراد بعزمـه للقـاء الفرنجـي إلا للتّدبير بينهـم، ولمـا تـم له مـراده في الإمام، دبّـر للإمـام أنه يخليه يعـزم لليـمن الأسفـل لإصلاحه، ويأخذ للإمام بندر (عدن) ببيعة لأجل إذا أتفق بالفرنجي، فلا يحصل استنكار من الإمام حين يرجع، والباطن عنده عكس ذلك، ومع قطع[3] السّحر والطّلاسم في الإمـام، صَوّب ذلك مـع أنـه استوحـش لفراقـه أعـظم وحـشة، وأكـبر دهـشة، فجـمع مـا قـدر عليه من الجـمع من العبـاد، ومن مخـازين الدّولة، وأحـسن ما في بـيوت الأمـوال لسيرتـه، وأخـرج معه الـنقيب المـاس لأشيـاء في قـلبه أنه يسلّم النقيب

---

(١) يتألف معهـم (أو يتضـامن معهـم).

(٢) في الأصل الشغير.

(٣) فعـل.

الماس للفرنجي، حيث قد كان أخاف الفرنج في عمالته للإمام في اليمن، فأراد يتجَمَّل للفرنج كونه منهم، وأمر الإمام يفعل له طوابع وعلايم ملء البياض والقوائم لأجل أنه يسود تحتها ما أراد، وعلى من أراد، وقد كان ظَنّ النّاس أن الإمام سيقع به لشدة ما/قد أخذه فلم يسخى ينكيه[1] بشيء، لو أخذ بروحه وخرج من صنعاء في شهر رجب سنة ١٢٥٩، وخرج الإمام لتجهيز العبد ودمعته جارية على خدّه حزناً على فرقته[2] وجهز معه من أراد لنفسه من التوابع والعبيد والخيل، وقد أخذ لنفسه من خزائن بيوت الأموال ما أراده، وجعلها في صناديق وأوقر الجمال مما لا يباع إلاّ بالمثقال، وخرج بذلك على رؤوس الأشهاد، وكادت تزهق لفراقه نفس الإمام والأكباد، وهو في أهبة الأبراق والإرعاد، وَوَدَّعه وقبل بين عينيه، ورجع لعله من الحزن ما هجع، فعزم العبد وقد أحاطت به ذنوبه وأعماله وساء يومه، حتى وصل وعلان وتبعه النقيب أحمد الرويشان، ونفر معه من بني ظبيان، وكان النّقيب أحمد من المعينين معه في سفره، فلما باتوا تلك اللّيلة إلى أثناء الليل وصل من بني ظبيان وخولان بحق نحو ثلاثين نفر، ولم يزالوا يكرّروا الرماية بالبنادق، ويجلسوا ساعة ويعشّروا وهلم جَرّا؛ كأنهم قوم بيصالوا في محبّة العبد الخبيث فلاحظ[3] الرّويشان الطمع بما رأى من الحلي والحلل والصّناديق المقفلة والخيل المَسوّمة، فكان الرويشان يدخل يوافق العبد ويبارزه[4] بأشياء بوارد[3] وفي خلال ذلك كان يراسل للصناديق، وفي آخر موافقه للعبد بعد العشاء أرسله إلى البيت، وقبض عليه وحده وأرسل بتلك الأشياء إلى بلاده في بطن اللّيل مع أقاربه وأهل بلاده وعشيرته وأصحابه، والعبد ما يعلم بشيء، وإنما كأنه سامر عند النقيب للأشوار والمدابرة بينهم، ومراسلة الرويشان لذلك، والعبد عنده وكأنه العبد يراسل لهم[6] فلما تيَقّن الرويشان أن قد استكمل ما يريد وما بقي إلاّ الأشياء المظولة[7] مثل الخيل، وآلة المكان حق الأكل والشّرب والمتاع، أمر النقيب أحمد أصحابه بالصّياح والعوايق، والرّمي بالبنادق، وقد كتب الكتب إلى من حوله من خولان يخبرهم بالغَنيمة ويحثّهم على الوصول في بطن اللّيل فأقبلوا كالنّسور الغاورة[8] فلما وصلوا قبض على العبد

(١) يؤلمه.
(٢) فراقه.
(٣) أدركه.
(٤) يخلو به للمشاورة.
(٥) باردة تافهة.
(٦) كذا في المخطوطة.
(٧) الأمور الجسيمة.
(٨) الغائرة: من شدة الجوع.

اللئيم، وحمله على بعير إلى محله، ووقع بين أصحاب العبد التّوابع وبين خولان حرب عظيمة، وانحازوا إلى السّماسر فصعدت خولان إلى الصّدوح[1] وهَمّو بهجمها[2] عليهم، ومن هرب أو هَمَّ بالهرب أحاطته خولان، وأخذوا سَلَبه وآل الأمر إلى المصالحة في اليوم الثاني، على أن التوابع يخرجون سالمين بأسلحتهم، ويتركوا ما في المطرح من بيت المال، وقد سار العال العال[3] وكان هذا هلاك العبد، وانقضى عمره بسبب ظلمه بسرعة، وسيأتي خبر قتله لعنه الله في دولة المهدي ﴿وَلَا تحسبنَّ الله غافلاً عما يعمل الظَّالمُون﴾[4] وكما قيل (شعراً):

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء

ومما وجد مع العبد في الرايات[5] المسودَّات أنهم وجدوا رأياً فيه تمليك الماس للفرنجي، وذلك مما قد كان أخاف الفرنج في ولايته في اليمن، وهذا عمل فيروز قد حَرَّر تحت العلامة الذي دق عليه والعقوبة من جنس الفعل، فوقع سبب إطلاق الماس/كان يريد يسلمه للفرنج، وهذا من أشنع الأشياء والأخبار تملك المسلم للكفار ولولا عجل الله بهلاك الخَبيث، أنه كان سيرجع بأسحار أقطع[6] وهلاك الإسلام والمسلمين ولله تدبير، وبقي العبد في حَرِّ[7] البهائم في بيت الرويشان تسعة أشهر والذي أسروا معه مثل الماس وغيره أطلقه الرويشان ولما اطلع الرويشان على خزائن فيروز وجد فيها البياض المعلوم والمطبوع بطابع الهادي وعلاماته، فسَوَّدَ في إحداهن تحت العلامة إن مخلاف (المنار) في بلاد آنس قطعة لآل الرويشان لإيصالها[8] أَحَدْ ولا ينفذ فيها أمر غير هذا ولا مراجعة وأنقذ أخاه وجماعة معه من خولان وبني ظبيان فملكوها من ذلك الوقت، وثبتوا عليها ولا زِدْ أحد قدر يخرجهم منها [وهي] ومن أحسن مخاليف آنس، واغتصبها وثبت عليها، وما كان يصير منها للخلافا[9] ولما علم الإمام بتلك الوقعة حق (وعلان) بالعبد ندم حيث لا ينفع

(١) السطوح: جمع سطح معروف.
(٢) تهديمها فوق رؤوسهم اهتجم البيت سقط.
(٣) الجيد: الجيِّد.
(٤) سورة إبراهيم الآية ٤٢
(٥) الأوامر. الوثائق.
(٦) ذات مفعول شديد.
(٧) مكان مظلم في أسفل البيت يخصص غالباً للحيوانات والحطب.
(٨) لا يصلها
(٩) الخلفا.

الندم، كيف وقد زَلَّ القدم وحَرَّر القلم، وآل الأمر إلى المرض والسّقم، ولما دخل الإمام إلى خزائن بيوت الأموال، فوجدها صَفْرا معطلة وإن العبد أخذ أحسنها وأكثرها ووضعها في غير مَحلّها وأهلك الرَّعايا وأخافهم وأفقرهم بقبض أموالهم، وأقفر أوطانهم بهَرَبهم، فزادت[1] علته، وقرت مدته، ولم يزل السّقم يسري فيه وينمو والبلاد قد اكفهر لونها وأخذت الأرض زخرفها، وأفسدت الرَّعايا في جميع أقطارها فعلم ذهاب دورته وأفولها، وقصر الأيام بعد طولها، واضمحلت[2] أسحار العبد بسقوطه وإجابة دعاء العباد وسرعة[3] الجواب وهبوطه، لأن السحر لا تطول مدته فإن السَّحرة لا يقدرون على بقاء سحر فوق أربعين يوماً وإذا أرادوا إستمرار السِّحر فلا بد من تجديده، وقد ذكر هذا[4] جماعة من الذين عرفوا السحر وتعلَّموا لأجل حلِّه ودفع ما يصنعه الفجار مع المسلمين كما قيل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه   ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه[5]

وفي شهر شعبان خرج الخارجون من بكيل، وطرحوا في السَّواد وانتقلوا إلى الضبر [ضبر الخولاني] وبقيوا إلى آخر رمضان، وصالحهم الوزير، وسلم لهم أموالاً بعد أن انقطعت الطرقات، وخافت الرَّعايا وأجمع رأي القاضي يحيى الأرياني، ومن كان عنده في الرَّوضة، ومن كان عنده من المظلومين والأعيان الذين لا عقول لهم، على جمع أرحب وبني الحارث وبني حشيش ونهم وحاشد، على تجديد الضِّمان الذي بينهم والقدوم بأسرهم على صنعاء المحمية، وأخذها عنوة وينصبوا معهم إماماً من يريدوا، وكل من كان من الذين[6] قد ظلموا يريدوا[7] إشفاء غليلهم، ونسيوا إن ظلم العبد قد عَمَّ الحاضر والباد وضمنوا لأهلهم بالكساء والحلي والحلل ويدخلوا صنعاء في ليلة الجمعة في العشر الأواخر من رمضان، وكتبوا إلى بكيل الذين في الظبر طارحين[8] على صنعاء،وقد كان أجابهم إلى ذلك جماعة من التَّوابع في صنعاء في الإدراك، واجتمعت جميع القبائل إلى الروضة، وكان المجمَّع للقبائل النقيب

---

(١) خ فزادة.
(٢) اضمحل الشيء بطل.
(٣) خ سرعت.
(٤) خ هاذا وهذا يتكرر فلا نعيده هنا.
(٥) من شعر لأبي فراس الحمداني.
(٦) خ الذي وهذا يتكرر فأصلحناها من عندنا.
(٧) خ يريد فأصلحناها ليتسق المعنى.
(٨) محيطين. أو مخيمين.

علوان لعذري، صاحب أرحب، وتوجّهوا إلى المدينة المحمية قاصدين، وللغنائم طالبين، وقد اقتسموا فريقين فريق من أسفل صنعاء وبئر العزب/والبساتين، وفريق من القصر، وقد ملأوا الفضا من كثرتهم، وبلغت أخبار شاذة إلى صنعاء فوقع الاحتراس وترتيب الدور والقصر، ونَجلُّوا[1] البعض من بئر العزب وقاع اليهود، هاربين وظَنوا الوقوع بهم تلك الليلة، ودخل النّاس الوجل، وأنزل الله على الأعداء الخوف والفشل، وامتلأت الفجاج من العسكر[2] ولم يعلم أكثر أهل صنعاء بذلك.

وفي نصف تلك الليلة وافقوا ذو غيلان ولم يجيبوهم إلى مقصدهم، وعلموا ضعف عقولهم وانتظروا عاقبة[3] أمرهم، فلما أحس بهم من في الدوائر والأدراك، وضعوا فيهم البنادق وأحاطوا بصنعاء إحاطة الهالة بالقمر، والعصابة بالرأس فلما قربوا من الدواير نظروا فيها ارتفاعاً عظيماً، وأنزل الله عليهم برداً عظيماً، حتى أطفى فتيلَهم من شدة البرد والزّمهرير، وداخلهم الجبن والفزع، وخفقت قلوبهم من الخوف، وعلموا أنهم قد أخطأوا، وإن أخذ صنعاء مستحيل، ولم تزل البنادق من الدواير كالرُّعود القاصفة، ومن كان داخل السور، لم ينالوا بهم ولكنهم استعدوا لقتالهم، وكان ذلك وقت السَّحر، وقد كان قَصَدوا نحو الخنادق العَدَنيّة والقبلية وبئر العزب، فلم يتم لهم المقصد والأرب، وحيل بينهم وبين ما يشتهون، واستمر الرَّمي إلى وقت الفجر، فلما سمعوا الأذان انهزموا وولّوا الأديار وباؤوا[4] بالخزي والبوار، وقد كان القاضي يحيى الأرياني، ومن أرادوا نصبه إمام في المشهد منتظرين ما يؤول[5] فخيَّب الله آمالهم وحجب على مدينته وعباده بقدرته، وكانت ليلتهم هذه من التّواريخ عندهم، لما شاهدوا من البرد والخوف والفشل والوجل، ومن ارتفاع السور إلى عنان السماء ووقع البنادق في آذانهم كالمدافع، ومنهم من خفى لم يعد إلى أهله إلاّ بعد أيام حتى ظنوا هلاكه، فمن شدة البرد دخلوا تحت الأحجار، ولم يكن في المدينة برد، فالذي في الدّواير أرفع منهم، لم أدركوا شيءً وإنما بركة المدينة وحماها، وأصابهم الجوع والهزال، فإنه أخبرني جماعة ممن[6] كان معهم أنهم قد شاهدوا معارك ووقائع وقتلات، فما رأوا أشد ولا أفجع عليهم

(١) نجلو بتشديد الجيم نقلوا أو رحلوا.
(٢) خ العركر.
(٣) خ عاقبت.
(٤) خ وبارو.
(٥) خ يا أول.
(٦) خ من من.

من هذه الليلة، ولم يكونوا تواجهوا بحرب، ولم سال دم وإنما آية من الله، وإنهم رأوا السّور قريباً من السّماء، ولما سمعوا التسبيح في الصوامع وقت السحر يشّهدوا الله كأنه في السماء وعجمت ألسنتهم تلك الليلة، وقد ذكرنا ذلك مما جرى على صنعاء، ومما أنزل الله في أعلا[1] الكتاب بما يؤيد[2] هذا، وهو مذكور من خرج على صنعاء وما قال الله فيها، وما قاله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وما قاله أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أعلا الكتاب جنب خلق السماوات والأرض فأقلب تجد وما ذكرنا هذا وما قبله إلا لإظهار حمَى هذه المدينة، وإن الظّالم فيها لا يفلح، وخَيَّب الله آمالهم ورجعوا خائبين إلى أوطانهم وكذا بكيل.

ودخل شوال والعلة في بدن الإمام إلى زيادة، وقد حان أفول نجم السّعادة والبلاد مضطربة، وبلغ الفساد أقاصي البلاد، وانتهت الدّولة إلى عماية كما قيل شعراً:

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى رامها كل مفلس

واستمر ذلك إلى شهر ذي الحجة وقد كان انقطع الإمام عن الخروج والدخول/إلى يوم الغدير، وتوفي وكتم من كان عنده موته، وأفاضوا الخبر إلى الأمير خير وهو أمير العسكر، فحفظ الأدراك وتوجه إلى سَيِّدي الجمالي علي بن المهدي ابن أخي المتوفي، وهو في دار المخا، وكان قد انغلق عن الخاص والعام، وأجرى له عمه فاضل الكفاية والإنعام من حين خرجوا من الحبس، وخرج للشنور[3] سيدي حسين بن المتوكل حسب عادته نائباً عن الإمام في الجمعة، والنشور، وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر، وسبعة أيام، وكان خروج سيدي الجمالي بعد المغرب من دار المخا إلى بستان المتوكل:

كلما قالوا عساها قالت الأيام هذا مبتداها

دعا ليلة السّبت تاسع عشر ذي الحجة الحرام سلخ سنة ١٢٥٩، ودعا الناس إليه وبايعه البعض في تلك الليلة، وفي اليوم الثاني استكملت البيعة وتلقّب بالمهدي، وخرج لدفن عمّه الهادي، وقبر جنب أبيه وأخيه في بستان المسك،

---

(١)

(٢) خ بما يابه

(٣) هو عاشر عيد الأضحى.

وضربت البشائر، وطلع القصر، وكتب إلى الأقطار وإجابته الأمصار، وسكن أهل البغي والعناد، وعفا عن الخاطئين، وتجاوز عن المسيئين، وهي عادته السّلامة على جميع الناس ونصب الحكام، وأطلق قياد من مَسَّتهم الضراء والمحبوسين الذي تعدُّوا عليه في خلافته السابقة، وذلك من سلامة صدره وواسع بره.

ودخلت سنة ١٢٦٠:

وأنفذ العُمَّال والحكام إلى جميع البلدان، وعقد الوزارة للقاضي يحيى الأرياني حيث ذكروا له أن ليس عاد في الوقت له ثاني، واعتقد النّاس توبته وحسن طويته بسبب ما ناله ولاقاه من الشدائد والمصائب، وضرب السياط، وأخبر من لسانه إن ذلك الواقع فيه بسبب ظلمه، وقد تاب حَيْث تيقن قبح الظّلم وشؤمه والله سبحانه قد حكى عن أهل النّار بقوله تعالى: ﴿ولو رُدُّوا لعادوا إلى ما نهوا عنه﴾[١] فرجع للوزارة كما كان، وزاد في الظلم والطغيان، وأصبح يومه كأمسه وأمن مكر الله: ﴿ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾[٢].

ونشأت فتنة بين أهل قرية (السواد)[٣] و(دار سَلْم) وطالت وكلفت إلى خروج النّقيب الماس، وحط على دار (سَلْم) وخرب حصنهم لأنهم بغوا واستعانوا ببني بهلول، ودخلوا في الطّاعة وسلاسل الحديد وسلّموا الأدب.

ووصل إلى الحضرة الشيخ محسن صلاح صاحب (ذجة) يريد دراهم في صلح أصحابه وهو أكبر الخارجين وحبس أياماً وضرب عنقه وانكفت قبيلة (خولان وخرجت، وطلب الإمام همدان وسنحان وبني الحارث، ووقع حرب عظيم، وغزت قبائل خولان على أصحاب الإمام لقلّتهم، وكثرت خولان طامعين في أخذ المطرح، فثبت النقيب والتوابع أشد ثباتاً، ووقع يوماً عبوساً قمطريراً، ونصر الله أصحاب الإمام لقلتهم، وخرجت بقية خولان مع بني بهلول، وطلب الإمام أرحب، ووقع القتل في الفريقين، واصطلحوا بعد يوم حنين، وخاضوا بيت الرّويشان وأصحاب الإمام في العبد اللعين الخبيث على دخوله صنعاء فيروز الذي شغل عباد الله في دولة[٤] الهادي محمد بن المتوكل، وأسره خولان في وعلان، ولما وصل خارج صنعاء خرجت صنعاء بأسرها ينظرون إلى عذاب عدو الله وعدوهم، لما قد أخافهم

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢٨

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٨

(٣) هو سواد حزيز.

(٤) خ دولت.

وأخذ أموالهم وتخليصهم وضربهم، فوصل وعليه أثواب خلقه دنسه، بعد الذّهب والحلي، فأرسل الإمام إليه من يوعده بالسلامة، ويخرج ما كان قد أخذه من بيوت الأموال وما شرحه في صنعاء مكتوماً وليّن له الرسول المقال، فأصرَّ واستكبر، وجحد وأنكر، فلما علم إصراره وتيقن إنكاره أمر الوزير أن يركبه على جمل مقطرن[1] ويوضع فوق رأسه الحَرّانة[2] الكبيرة، ويضرب ويطاف به في أزقة[3] صنعاء وشوارعها لينظر إلى الدنيا وعواقبها، وأمر بإخراج كاتبه من الحبس، وأمروه يقود الجمل المقطرن، ووضع عليه مرفع، والعبد حرانة كبيرة، وأحدقت به السفلة والغوغا وجعلوه نشالاً[4] للبصاق، ومن لم يكن به بصاق تنخُّم حتى جعلوه مثل المرآة، وناس يرجمه بالأحجار، وناس يلعنه، حتى لم يبق أحد إلّا ما شفا فيه غليله بزيادة على ما يريد كل مريد، وتشفى لتعزيره كل حاضر وباد، حتى الأرامل والأولاد، خصوصاً الذين قد أخذ أموالهم وعذبهم وخصوص الخصوص سيده وولي نعمته الذي أعتقه وأخرجه من رَقّ العبودية إلى الحرية الأمير سعد يسر فإنه[5] صادره مصادرة عظيمة، وأغرى به لاختباره بما معه كما سبق وبقي طول يومه في العذاب المنكر إلى آخر النهار، وطلب في بستان السلطان موضع إمارته الذي فيها أمر ونهى، وحل وأبرم، وقد ألبسه الله ثوب الذلّة وخالطته العلة والقلة، وصارت أعينه تذرف بالعبرات، وكبده تتفتت بالحسرات، وقد جفاه الخليل وباينه الجليس والدليل، إلّا أنه استشفى جميع الخلف منه، وأمر الإمام بقطع رأسه وخمود أنفاسه، فضرب عنقه في الميدان، وأمر الإمام بصلبه على العيدان المسماة بالسيبة[6] وذلك الصلب في سوق الصّير في محلّ التجار الذين أذاقهم الضرار، وكان لذلك موقع عظيم في جميع الأقطار، وعند فك القيود من رجليه وجد بعض الخدم في الخِرَق الموطف[7] بها القيود فصّاً عظيماً من أكبر وأفخر الفصوص الماس، فأخذه الإمام على الخادم وسلّم له بعض الدّراهم.

ويوم ثاني أخرجوه إلى باب اليمن، وأحدقت به الكلاب، ونادمته الذئاب، ولم تأكل منه الكلاب إلّا اليسير إلى أن جن الليل وأكلته السباع، وبقي رأسه لعبة

(١) أي مصبوغ بالقطران صباغ أسود.
(٢) طبل كبير مرفع يضرب به على رأسه كالتنبيه للناس.
(٣) خ أزقت.
(٤) غرضا أو هدفاً كأنه محرف (نشان).
(٥) خ فما إنه.
(٦) سبق شرحه.
(٧) هي الخرق التي تمنع أذى القيد.

للصبيان يلعبوا به الصُّولجان قاحش[1]. وهذا خزي الدنيا كيف بعذاب الآخرة، ونعوذ بالله من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

وطلب الإمام قبائل همدان، وأرحب ونهم، وتجهز لمخرج يريم أغرى الوزير بالشيخ عبد الله غالب، وصدقه الإمام لما قد كان نقلت إليه وإلى الناس توبته عن المظالم والمآثم، فإن الوزير في أيام عزله وقع بينه وبين الشّيخ عبد الله كلاماً وآلى الوزير على نفسه لأن/عادت الوزارة إليه ليستأصلن دياره، فتجهز الإمام وخرجوا خرجة مالها نظير، ووصلوا ذمار وأراهم الوزير فعل الدُّمار، وبقيوا يومين، واستخلص فيها منهم ألفين، وعزموا يريم وشرع لهم بالعذاب الأليم، وكتب الشيخ عبد الله إلى الإمام أنه ما يقدر يواجه الوزير، ولا كنه باذل ما يريد، ولو لم يبقوا له شيء من ماله، فأبى الوزير، وخرجوا له وجُرت المدافع، وما تم إلاّ الوصول إلى الحضرة وخراب حصنه وأخذوا جميع ما يملك وأطلعوه في سلاسل الحديد وبقي في حبس صنعاء حتى توفي، ولكنه قد ظلم الرَّعايا هذا الشيخ فصابت عقوبته من جنس فعله، وكادت الدنيا أن تكون دار جزاء، وتوجَّهوا بالجنود إلى بيت (الفرح) و (الأجلوب) وكانوا ممن خدم الدولة فسلكوهم في الحديد، وعينوا عليهم من المال ما شاؤوا، وتوجهوا إلى بلاد (الأعروش) وأخذوا حصن (العراس) وهو شامخ البناء، وكانوا من أهل الفساد والعناد، فغنموا من أموالهم وسلاحهم والأمتعة والطعام مالا يحصر، وتوجهوا إلى بلاد (قعطبة) وأصلحوا فاسدها، وفتكوا بأشرارها، ودانت لهم تلك الجَهات وولّى عليها القاضي إسماعيل بن يحيى البرطي ولما بلغ الفرنجي في عدن خبر الإمام وصلاح البلاد ولم قد أحكموا تحصين عدن فخشيوا على نفوسهم[2] من أخذ عدن والوصول إليهم وأرادوا المكاتبة للإمام والمراسلة والمهاداة ولكن[3] الإمام هذا[4] وغيره من قبله إذا دانت لهم البلاد اشتاقوا للإياب فلو استقر ما كان له عذر ما يأخذ ما ذكرنا ولكن[5] أراد رجوعه صنعاء وتعذر ذلك البقا قطعاً وإلا فقد كان خرجت من عدن من تلك الرجفة كتبوا الكتب والهدايا والتحف وأرسلوها إلى الشيخ عبد الرحمن محافظ، فهي التي خرجت من البندر، فوصلوا الجواسيس إليهم وأخبروهم بعزم الإمام صنعاء، فلحقوا لذلك لأنه

---

(١) لعبة من لعبة الأطفال.

(٢) ساقط من المخطوطة.

(٣) خ لاكن.

(٤) ساقط من المخطوطة قدركلمة.

(٥) ساقط من المخطوطة قدر كلمة.

شيء كبير إلى الطّريق، واسترجعوا ما هنالك، جميع ورجع صنعاء مؤيداً منصوراً، ما قد وقع معه منصوراً في مخرج مثله ولولا وزيره ظلم العباد ولكنه رجع متوجاً منصوراً في نصف شعبان من السنة.

وفي شهر ذي القعدة آخر سنة ١٢٦٠ تحرَّك الشريف الحسين بن علي حيدره على (ريمة) وأخذها وحَشَّد الجيوش الشّامية، وأرسل مقادمته من الأشراف، وعقد الإمارة الكبرى على الجيوش لمولانا العِّزي سيدي محمد بن يحيى المنصور، لما اشتهر بثبوت الجنان، وقوة الأركان، وفصاحة اللِّسان والصبر على البلايا والنصر عند اللقاء وأجزال العطايا، ولم يزل يستفتح البلاد، وقد تغلب على أكثرها قبائل حاشد، فأمر الإمام الوزير بالتّجهيز عليها فجهَّز عليهم الشيخ علي مثنى[1] الجرادي صاحب عنس، ومعه خمسمائة عسكر، ورجع بخفي حنين ولما استولى سيدي العزي على البلاد وأجرى الأرزاق للأجناد الذين معه. [وظهرت آية انقض كوكب في السماء له نور أخضر وتبعه نور أبيض ،وقرح كالمدفع][2].

ودخلت سنة ١٢٦١:

ظهرت آيات سماوية وأرضية مفزعة، في محرم طلع كوكب صغير من برج الهنعة[3] له نور مثل قوس قزح بين العشائين، واستمر نصف شَهْر، ثم ظهر قبل الفجر، وظهرت آية أنقضّ كوكب في السماء له نور أخضر وتبعه نور أبيض وقَرَحَ في السماء كالمدفع.

وفي هذا/الشهر من سنة ١٢٦١ تجهز الشريف الحسين من المخلاف السّليماني بجيش عرمرم، قاصداً استفتاح اليمن الأسفل، ولم تزل جيوشه تدب دبيب العقارب، وأمير الجيوش الشّريف هزاع، وأبو طالب، فلما وصلوا تعز، وفيها العامل عبد الله بن علي الأرياني، فتخادعت الرتب وقبضوا دراهم، وابتاعوا ودخل الشّريف المدينة، وأظهر الزِّينة وعقد الوزير لابن أخيه ولاية[4] مدينة إب، بعد أن قَلّت[5] مدينة تعز وخرج منها طوعاً وبيعة، وعقد الوزير ولاية بلاد آنس للقاضي

(١) هو الحسين بن علي بن حيدرة الخيراتي (انظر نفح العود ٨٨).
(٢) من هامش المخطوطة.
(٣) من أسماء النجوم (انظر تاج العروس ج ٥، ص ٥٦١) ويأتي بين ١٨ يونيو و ٣٠ من يونية انظر ملح الملاحة ص ٢٢).
(٤) ح ولايت.
(٥) ترك.

إسماعيل بن يحيى العنسي، وقد ارتبشت البلاد جميع، وظهرت الفساد الفضيع ولا زال الوزير يتلافى[1] الرعايا بأخذ ما معاهم مثل فيروز ويجرّي أهل الطاغوت[2] على المصلّين لأجل يدخل الشّحناء ولأخذ الأموال بمدخل، وعادى الحكام وماج الناس موج البحار، واضطربت الأحوال في جميع الأقطار، ونجم نجم الأدبار وارتفعت الأسعار وشَحَّت الأمطار، وغارت البحار، ولولا دفع الله بالطافة[3] لكانت القاضية.

وفي آخر محرم وغرة[4] صفر رفع أهل البستان شكايتهم إلى الإمام من ظلم الوزير وأخذ أموالهم، وأخلا ديارهم، فدخل الوزير يخبر الإمام بما له فيه المرام، فسمع الإمام الكلام، وأمره بالتّجهيز على بلاد البستان، وذلك بغية المريد[5] للوزير، وخرج الإمام بنفسه نصف النهار، ولبس الدّروع الداؤدية[6] والبيضة العادية وأرسل أهل حضور رسايسهم[7] إلى رؤوس الجبال ينظروا أين يريد الإمام، فلما نظر الوزير المشؤوم والجبان الملوم الطّلائع في رأس الجبل، خفق قلبه وظن أن قدهم قوم وَصّالين[8] عليهم، فصَوّب المبيت في عصر، وإنما هو من الجبن حُصِر، فلو طلع إلى رأس الجبل، كان الظفر، وكتب إلى بني الحارث وهمدان وسنحان، فعدل الإمام إلى عصر ورجعت أصحابه، ومنهم من رجع إلى صنعاء لقرب المطرح، وكان هذا الرأي مشوم، فما يجي من الشؤم إلا المشؤم، فصار شوم على شوم (شعر):

إذا مَا أول الخطي أخطا فلا يرجى لآخره انتصار

ولو صعدوا إلى أعلاه لكان به النصر والنجاة فتخلل القضايا شياطينهم، وإذا الوزير ظن إجتماعهم، ولما تيقن أهل حضور ذلك أقبلوا كالليوث[9] بما هنالك بعين أرحب قد كانوا عندهم دعوهم من باطل الوزير حيث لم سمع لهم الإمام

---

(١) يغنم الفرصة.
(٢) هو ما يعرف عند الناس بالحكم العرفي ويسمىٰ أحياناً المنع.
(٣) خ باللطافة.
(٤) خ غرت.
(٥) كذا في المخطوطة.
(٦) نسبة إلى داؤد.
(٧) عيونهم.
(٨) واصلين.
(٩) خ كليوت.

مشكاهم، وأقبلوا إلى رأس عصر بعد أن قد كان أدبروا في اليوم الأول لما سمعوا بمخرج الإمام أصرموا على الهرب، وصمموا على الفرار، وأقبلوا من بلادهم أعلا حضور، وطلعوا أصحاب الإمام لمناجزتهم، وتوجّهت المقا امة من جهتين، الحاج فتح محمد من نقيل بيت عَذران، وبني الحارث وسنحان من الجهة العدنية، وردّوهم واكتسروا أصحاب الإمام، وثبت الحاج فتح إلى اللّيل وأقبل بخفي حنينَ لكنه أسلم نفسه وسَلّم الكسيرة، وأقبلوا المفسدين إلى رأس الجبل وردوهم بالحجار جعدال[1] كونهم من أعلا وردّوهم الجعلا بالكسيرة حتى ردوهم مطرح الإمام، وآل الأمر إلى المصالحة على يد ناجي شريان وعرامان[2] وعلوان العذري على شيء من المال يسلم الإمام للبغاة ولا عليهم/إلا الواجبات، ويرفع الإمام المظالم التي يفعلها الوزير، وفي خلال ذلك في إقامتهم في عصر، وصل الشيخ علي حميدة صاحب باجل، يستغيث بالإمام من الشريف الحسين بن علي وهذه كما قيل (شعراً):

والمستجير بعمر عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء إلى النار

ورفعت المطارح من عصر ورجع الإمام [إلى] صنعاء.

وفي ذلك الشهر ظهر الجراد ف جميع البلاد، وأكلت وأثّرت في جميع الأرض، وتبعتها الدباء[3] واختلطت كبارها بصغارها، وظهر في برج الزبانا[4] النجم أبو ذنب له ذؤابة صغيرة إلى جهة المشرق، وكان يظهر وقت العشاء إلى آخر صفر وأفل. وقبض أهل الطعام طعامهم.

وفي غرة ربيع أول ظهر كوكب عظيم من العَدَنِ، سريع السَّير له شعاع عظيم للنّاظر، يتلون تارة أخضر وتارة كاللّهب، وتارة نيّر، وقد وقع مثله ذكر أهل الفلك أنه في غير دائرة الفلك يحدثه الله حتى يمتزج بعنصر النار، وهو يدل على حوادث نسأل[5] الله اللطف.

وفي ذلك الشهر وصلت الأخبار بوقوع فتنة في مكة بين حرب وهذيل والشريف وعسير، بسبب قتيل ضرب عنقه في الحرم، ووقع فيها قتلى كثير وصلح الأمر.

---

(١) جعدل الحجارة أرسلها من رأس الجبل أو قلبها.
(٢) لعله عرمان.
(٣) صغار الجراد.
(٤) من نجوم الزراعة ووقته من ١٤ إلى ٢٦ تشرين أول انظر ملح الملاحة ٢٥
(٥) خ نسل.

وفي شهر ربيع آخر استولي الشريف حسين على القاهرة وجبل صبر، وقتل من أصحاب الشريف ستين رجلاً، ومن أهل جبل صبر أربعين قتيلاً وقبض على الشيخ أحمد بن محمد النّجادة، ولم يزل الشّريف يدوخ التّعزّية والحجريّة، ويزعج من فيها من القبائل المشرقية، وارتفع إلي ذي السفال، وأذاق من فيها من بكيل النّكال والوبال، وأخرجهم من المعاقل، وحَشّد عليهم القبائل وعدل في الرعايا، وألان القول وأحسن السّجايا، حتى استولى على أجل[1] بلاد اليمن، وصالح البقية بشيء من المال، وأخرجهم إلى طريق تهامة لأجل لا يعودوا، ومن وصل تهامة قبض رهينته من زبيد، وإلا قد كان قبض الرّهائن من قبل بدهاية[2] وخلاهم مكبلين في زبيد في سلاسل الحديد/.

وفي شهر ربيع سنة ١٢٦١ طلب الوزير الغوي يحيى علي الأرياني من أهل صنعاء المغلّبات بتسليم أضعاف الواجبات[3] وعَزّر برجل من أهل سوق الحب[4] وكل ما استغاث أهل صنعاء بشكيّه إلى الإمام زاد الوزير[5] عليهم تجبّر وإيلام، فصار التصرف له في جميع الأمور، والإمام آلة له، واشتد ذلك حتى خافه الكبير والصغير والجليل والحقير، ولم يزجره الإمام بل أنه مستصوب فعاله وأقواله، ولعلّه قد سلك مسلك العَبْد السّاحر، وما رأى كيف صار عاقبته، ولا رعى معرفة العلم وحقّه، ومع سلامة صَدْر الإمام وحمله لجميع الناس السلامة، ما سمع في الوزير قول قائل، فأجمع أهل صنعاء على قلب رجل واحد، ونزلوا إلى باب الإمام شاكين ولعفوه طالبين، فلما سمع الرَّجّة والصوائح وعجّ أهل الغاغات[6]، وكان في بستان السلطان ففزع فزعاً عظيماً فسأل[7] عن ذلك فقيل له: بما هنالك أن أهل صنعاء يشكون ظلم الوزير، فجعل لهم مكتوباً في أيديهم أن الوزير لا يخاطبهم ولا بشيء يطالبهم، وقد كان شَرّعت[8] الفتنة وقع الرجم، وأغلقوا باب البستان، فدفع الله وحجب، وهمّوا أهل صنعاء بسيرهم إلى الوزير، وقدم

---

(١) كأنها على جل بلاد اليمن أي أكثرها.
(٢) بدهاء.
(٣) خ وجبات.
(٤) القمح.
(٥) خ الويز.
(٦) جمع غاغه وهو الصياح والهرج.
(٧) خ فسل.
(٨) بدأت.

متأبطين[١] للشر، وأخبروهم أن الوزير في بئر العزب متضيِّف، فرجعوا إلى أسواقهم، وتعاقدوا على أن جعلوا لكل سوق شيخ، وأربع مشايخ يلمُّون شعث أهل صنعاء الجميع، بشرط يذبّون عن أنفسهم ويفتكون بعدوهم، فلما علم الوزير بذلك المشكي ازداد غَيْظاً، وطلب القبائل الذين قد عاقدهم وحالفهم فيما مضى، يريد يضرّبهم على أهل صنعاء، ويقع بهم، فلم يسعده أحد من القبائل كون[٢] قد تعاقدوا وأهل صنعاء أنهم يد واحدة على عدوهم يفتكوا بعدوهم، وهم ألوف مؤلفة، فعلموا القبائل أنهم لا يقفون على طائل، ولم يتم لظالم مأموله، ولا زال الوزير يجمع الأموال والذخائر، ويرسلها سراً إلى الرَّوضة إلى بيته الذي عمره سابقاً، وكذلك أهله وفراشه ولم يترك شيئاً، والناس والإمام ساهين، ولكن الأمور مضطربة كالأمواج والناس يهدرون هدير الفحول عند الهياج، وانقطعت المُنساقات[٣] من البلدان وخافت[٤] السبلات، وأظهر البغاة الفساد والطغيان، وسقط ما في يد الوزير، وكان الإمام يجري نفقات الأجناد كل يوم بيوم.

وفي شهر جماد من السنة هرب الوزير إلى الروضة وتحَصَّن بها وضاق بالإمام الحال، وارسل بعض العقال إلى الوزير، وجعله في أمان وإيمان، فلم يسعد ولم يقبل، فبعث الإمام إلى القاضي العلامة يحيى بن علي الردمي، وعقد له الوزارة بعد تلاشي الأمور وفوت واسع الجمهور، فقام بها أتم قيام وقد فات المرام، وجنحت الدولة المهدوية إلى الأفول، وطلعت الشمس المتوكلية بالسعادة والقبول، وذلك بعد إرتفاع مولانا بدر الإسلام بالجيوش الجرارة والعساكر المختارة من بلاد ريمة إلى حصن الدامغ، ونشر الدعوة المتوكلية وأنفذ الرسائل إلى الجهات اليمنية، وأجابت دعوته في جميع الأقطار وخضعت له الأمصار/ .

ودخلت تحت وطأته جميع البلاد (عتمة) و(وصاب) و(ريمة) و(ذمار) و(يريم) وجميع الجهات، وهو في ضوران وأطلق المحابيس الذين لهم أيام في ذمار وآنس وغيرها، الذين كانوا في حبس المهدي، وهما الأمير توفيق الدنوة والفقيه أحسن بن صالح القانص، والقاضي يحيى بن عبد الله الارياني، هؤلاء العمال للمهدي ووصلوا حضرة المتوكل، والمحابيس مثل الأمير خير وسنبل.

---

(١) خ متاربطين.
(٢) بمعنى حيث.
(٣) المجلوبات
(٤) اخيفت.

وفيها قام سيدي محمد بن شرف الدين، وقبض على سَيِّدي محمد بن عبد الكريم.

وفي جماد الآخر استنهض الشَّريف الحسين بن علي على جميع اليمن الأسفل، وأخرج جميع البغاة، وقبض منهم رهائن، وأرسلهم زبيد، وكلّ أحد كان في اليمن من البغاة قبض عليهم الطّرق وأخرجهم طريق تهامة، ومن طرح ما تحت يده فك رهينته، وأرسله إلى زبيد، وفتح لهم طريق تهامة ومنع الطريق العدنية لأجل يُبعِّد عليهم الرجوع.

وفي اليوم العاشر من جماد آخر تحرك المهدي من صنعاء بجيش جَرَّار من التَّوابع وخولان وبني جبر.

وكان في خروجه الحلة[1] والخير، وبات في حزيز وأقام يومين، ولم يقدروا أصحابه يجرُّوا من أهل حِزْيِزْ شيء، وأخبرني من أصحابه أنهم كانوا يحتاجون من أهل حزيز محتاجات يسيرة ما تقوم ببقشة[2] ولا بنصف بقشة، وكانوا يخرجوا أهل حزيز وبأيديهم الصُّمل[3] يدوروا على أصحاب الإمام يِدْوروا[4] الفتنة وعزموا إلى وُعْلان، وعقد سيدي الوزارة للفقيه أحمد محسن الحيي من تحت وزارة الرّدمي، وخرج معه أعيان دولته، مثل القاضي يحيى بن علي الشوكاني، والفقيه إسماعيل بن محمد العَمْري والكتاب بني الحيمي، والأمراء وأخرج من الخزائن للمجاهدين الذين عزموا صحبته، وفي وُعْلان عقدوا وزارة العكفة[5] لسيدي يحيى بن علي الشامي، ووصل إلى حضرته الشِّيخ يوسف بن قاسم شيخ المخلاف من بلاد أنس، فخلع الإمام عليه الذهب، ووهب له من المال لأجل يخادع من في آنس، فقبض ذلك، وصار إلى عند المتوكل محمد بن يحيى، وأقام سيدي المهدي في بيت الزيادي وتقدم الجند على قرية النقيل وهي قبلي نقيل يسلح، وكان الرتبة فيها من أصحاب محمد بن يحيى من ذو محمد، ولكنهم مقلة[6] فجرى بينهم الحرب،

---

(١) بمعنى فتح الخير، وإغلاق الشر.

(٢) من العملات ويقول الأب أنستاس الكرملي أنها أساس النقد عند اليمنيين وتقسم إلى نصف بقشة وربع بقشة، وكل عشر بقشات تساوي ربع ريال نمساوي أو أمامي أو عمادي، وكل أربعين بقشة تساوي ريالاً واحداً وأصل تسميتها مأخوذة من التركية (انظر بلوغ المرام ص ٤٢١).

(٣) جمع صميل العصاء الغليظة وهي لفظة فصيحة، انظر تاج العروس ج ٧ ص ٤٠٧

(٤) أي يبحثوا دور عن الشيء بحث عنه.

(٥) هم حرس الإمام.

(٦) أي قليل.

وأزعجوهم وأخرجوهم منها، ففرح المهدي بذلك، وعزم إليها وحطّ فيها، وهي في أوهاط[1] الأرض والماء فيها قليل، ويصعب فيها على المارة يَحْوز[2] من في النقيل، وما وقع المحاط فيها إلا لعميه الأبصار والإحاطة لمن فيها بالأقدار، ونزول البلاء على ساكنها والأقدار ولا نقضا الآجال والأعمار، ولما علم سيدي البدر العِّزي بخروج الإمام من صنعاء، خرج من ضوران، ووصل طرح في قرية ضاف، ووقع حرب بين الفريقين، وسقط قَتْلى من الجهتين، وقد تقارب الجمعان، وتراءى الفريقان وأكثر القتلى من أصحاب سيدي العزي، حتى فَرّعها الله سبحانه بالمطر أطفىء نار حربهما، وكان من طَلَبَهُ المهدي من الرِّعايا يصال إلى قريب مطرحه، ويُعدل عند السيد العِزّي، ووقع المخادعة لأصحاب المهدي، وتسَلل البعض منهم وبايعوه، ولما تيقّن السيد المهدي انقضاء دولته وانحراف قلوب رعيته، وقد شَقّت على الخلق خلافته، وخرجت الأجناد عن طاعته، ونظر إلى المتوكل وكثر الخلق لديه، وإقبالهم عليه وهم أهل بيتُ واحد، وإن كان الملك/عقيم فقد اقتضى الحال بالتسليم، فوقع الصّلح بين المهدي والمتوكل على إتفاق رأيهما ولمّ شعثهما، وجمع شمل المسلمين، وسلم سيدي الجمالي الخلافة لسيدي العزي، واجتمعا في خيمة واحدة، واختلط العسكران وكان المتوكل يعظّم سَيّدي الجمالي، أتم التعظيم ومفوض له في التأخير والتقديم، وحمل المتوكل للجمالي جميع ما لزمه من الأثقال، وقابله السّعد والنصر والإقبال، وكفى الله المؤمنين شر القتال.

ذكر المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور علي:

وقد سبق ما يتصل به النسب من عند المنصور علي إلى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه.

(بوابه) إسماعيل هادي.
(عاقل خدمه) قاسم بن أحمد اليمني.
(كاتبه) الفقيه عبد الولي بن محمد المعلمي.

(وزراؤه) الفقيه محمد بن أحمد العفاري، والشيخ عبد الرحمن محافظ، كان تركي لكنه ناسبه[3] اليمن فسَكّنه [وقد كان وازر معه الشيخ علي مثنى الجرادي،

---

(١) منخفضات.
(٢) أي يحاصر.
(٣) هنا بمعنى أعجبه أو وافق مزاجه.

والسيد محمد بن حسين الشامي، والفقيه أحمد محسن الحيي وعزلهما بهذين المذكورين][1].

(كاتب العكفة) الفقيه أحمد بن إسماعيل حميد.

(سيف خلافته) ولده غالب.

(حاكمه) السَّيد العلامة علي بن العباس بن المؤيد من هجرة وادعة.

دعا في سابع عشر جماد أول سنة ١٢٦١ وتَمَّت البيعة في ثامن عشر جماد آخر، بعد تسليم سَيِّدي علي بن المهدي سنة ١٢٦١، وتلقب بالمتوكِّل على الله، وكتب المتوكِّل، وسَيِّدي الجمالي علي بن المهدي إلى من في صنعاء المحروسة، بما صار إليه الأمر، ويأمر الناس بالسَّمع والطاعة والسلوك مع الجماعة، ويأخذ البيعة، وكان سيفه سَيِّدي حسن ابن قاسم بن المتوكل، وحاكمه القاضي العلامة الصفي أحمد بن محمد الشوكاني فلما كان يوم عشرين من جماد، توجَّه سيدي المولى المتوكل بالجيش العرمرم قادماً [من] صنعاء المحميَّة بالله، ولقيه أهل المدينة والأعيان إلى بلاد سَنْحان، وانتظروه لصلاة الجُمْعة، ولم يدخل إلا عقيب العصر لكثرة الجيوش، وتزاحم الناس، وأول ما اقتَصّ لسيدي علي من شيخ وعلان وأهل حِزْيز.

فإن أهل حِزْيَز حين خرج سَيِّدي علي بات عندهم في البريّة، وكانوا يخرجوا الليل بالصُّمل ويتحدثوا لو أحد ينكي ثمرتهم من أصحاب سيدي علي يقتلوه، وصاحب وعلان القيطاش وأمر سيدي علي أن يمسي في القرية حق الماورة فمنعوه وردُّوه إلى المطرح [فأجاب[2] الشيخ حسين أن معه رايات لا أحد يدخل القرية فأمر المتوكل بنهبها فنهبت في أسرع وقت، حتى نجارتها وأخشابها، وحبس الشيخ وقد كان هم بضرب عنقه، وأما أهل حزيز فلما بلغه ما فعلوه مع سَيِّدي علي، فأمر بالغداء عندهم، وأقسم لشيخهم يحيى الشاوش، لو يبقي أحد من أصحاب الإمام بغير غدا لأهلك القرية بمن فيها فغدوا أصحاب المتوكل حتى المتفرجين ومدة الإنتظار للغدا والاستراحة هدر[3] لأصحابه وأدي القيضي[4] حق أهل حزيز فأطعموا الخيل والجمال والبغار والحمير، وشَدُّوا بقية السَّمراء[5] والشعير إلى صنعاء فهذا

---

(١) من هامش الصفحة.

(٢) من هامش المخطوطة وضعه بعد قوله في الماورة.

(٣) مباح.

(٤) نسبة إلى القياض وهو موعد زراعة المحاصيل بعد الصّراب انظر ملح الملاحة ص ١٦٩

(٥) من الحبوب.

بذاك، ولا عتبان على الزمان ما وفت ثمان أيام حتى أوقع قصاص الغيب وكل ما وقع معنا من العقوبة فما هو إلاّ بسبب إهمال السادة الأفاضل حتى أرانا الله هذه الطامة الكبرى].

وبات في السمسرة وبعد خَرَّج خِيَمْ في (المرمادة) من شدة الكتن[1] ولما وصل المتوكل أمر بالميت في الماورة، ودخل من باب السَّبح وعليه السكينة والوقار بمركب يسر الودود، ويغيض المبغض الحسود، ووصل بستان السلطان واجتمع لرايته من كل من كان حاضراً وباد، والدعاء له من كل لسان وصرف السيد الجمالي [إلى] دار الصافية في بئر العزب وحمد الله على السلامة والعافية، ورجع الناس إلى منازلهم آمنين بعد خوفهم، وجلبت الطَّعامات بعد عدمها، وعمت سحائب البركات، واطمأنت النَّاس في جميع الجهات.

ولما وصل صنعاء المحروسة مال عن الإقامة والدعة وأعرض عن لذات المأكول والسعة ورأى أن ما للمهمات إلاّ نفسه، وترك السؤال عن سعد الطالع ونحسه، ولم يزل يتفقد أحوال الرعايا، ولم يفتر عن جوابات الشّكايا، ومنع الحجاب عن تغليق الأبواب، ولم يزل يلحظ في أحوال الناس النَّظر، ولم يؤثب فيه وعك الطريق والسَّفر.

وفي ليلة السبت أرسل الإمام للقاضي يحيى الأرياني إلى الروضة يطلبه للوصول إلى الحضرة الشريفة، وعقال الرَّوضة صحبته، ووعدهم بالخروج بنفسه إليهم في يوم ثاني إن لم يدخلوا، وعند وصول الرسل إلى الأرياني سقط ما في يده/وجفاه كل من حالفه وخالفه وعاقده، وأنزل الله عليهم الذلة بعد العزة، وقد كان تَشَجَّعَ أهل الروضة، وظنوا أنهم من عناترة أيامهم حتى أن السفلة وأهل الأسواق يزعمون أن قد فاقوا قبيلة همدان، وقد صاروا أهل المنعة والسلطان.

وأشهروا السلاح والبنادق في كل دكان كما قيل شعراً:

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطَّعن وحده والنِّزالا[2]

واحتكموا للطاغوت، وأضاعوا الشريعة ومنعوا أهل صنعاء من إستقلالهم

---

(١) هو ما يعرف بالبق دويبه تمتص دم الإنسان.

(٢) من قصيدة للمتنبي أولها:

ذي المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلاَّ فلا لا

بأعنابهم ونسوا اعتياشهم(١) في مرانعهم(٢) وأبوابهم.

وصبح السَّبت ثاني دخول المتوكل صنعاء دخل القاضي يحيى بن علي الأرياني، وعليه أهبة الوزارة وقد مَنَّته نفسه بالإمارة بأنه مطلوب للوزارة، ودخل معه قليل من أهل الروضة، ولما وصل حضرة الإمام أغلظ له الكلام، وانتقمه أشد الإنتقام، وأمر له بالأدهم(٣) وكان قدومه شَرّ مقدم، وأودعه قرار السجون وأذاقته حتوفه ريب المنون.

وفي ذلك اليوم أمر الإمام بحبس الشَّيخ عبد الله بن علي حميدة وإيداعه دار الأدب لَمّا بلغ من أفعاله والتَّخلق بغير خُلق أشكاله، وأرسل المولى إلى بيت الأرياني لتسمير منازله وإخراج أولاده وحلائله.

وفي ذلك اليوم قد كان هَمَّ المولى بضرب عنق الشيخ حسين القطاش، والقاضي يحيى الأرياني، لما بلغه من أفعالهما القبيحة وأخّر صلبهما حتى يستخير الله في أمرهما، وكان قيام هذا الإمام نقمة للأشرار ورحمة للأبرار، واستقرت بقيامه الأمور، وزال حرج الصُّدور، وأحياء الله بقدومه ما كاد أن يموت، وتدارك لحسن نيته ما كاد أن يفوت، ولم يزل أيده الله في إصلاح الأحوال، واستدراك ما كان وقع التَّفريط به من بيوت الأموال.

ولما كانت أول جمعة اجتمع لرؤيته الحاضر والباد لأن أكثر النَّاس لم يعرفوا هذا الإمام لأنه استوطن تهامة من سنة ستّ وأربعين، ومع طول مقامه في تهامة فاق أشرافها وأمجادها في الرِّياسة والزعامة، وبلغ في المجد الغاية، وفي معالي الأمور النهاية وحج بيت الله، وزار جده صلى الله عليه وآله وسلم، ودخل إلى حضرة سلطان الإسلام وأكرمه غاية الإكرام، وقابله بالإعزاز والإعظام، وقيل عقد له ولاية اليمن لما انتهى إليه أخبار الظلم وترادف الفِتَنْ فكان من أمره ما كان.

وفي سلخ شهر جماد وصل القاضي محمد بن يحيى الأرياني، تحت الحفظ من يريم، ضبطه أهلِ المدينة، والعامل المرسل من حضرة الإمام المتوكل، وأودعه الحبس، وكان عاملاً في يريم وخبان، وقد عامل أهل تلك الجهات معاملة(٤)

---

(١) تكسبهم.

(٢) جمع مرنع وهو الخندق ينزل فيه الساني بمواشيه لنزع الماء من البئر.

(٣) من أسماء القيد سمى بذلك لسواده.

(٤) خ معاملت.

وردسان[1] وطلب منهم المغلّبات وحملهم فوق الطاقات فأوقعته أعماله في شباك المهالك.

وفي شهر رجب وصل عامل ريمة الشيخ علي يحيى المنتصر إلى حضرة الإمام وأحسن نزوله والمقام، ولم قد[2] وصل صنعاء قبل هذه وجدّد له[3] المولى الولاية وعاد إلى أوطانه.

وبعد ثاني وعشرين من رجب على شهر/من قدومه توجه المولى بالجيوش المتكاثرة والعصائب الوافرة من قبائل همدان بن زيد والتّوابع إلى بلاد عيال سريح وعمران لاشتهار الخروج واشتغالهم بالفتن فيما بينهم والتّفاخر بقتل الأبناء وآبائهم، وبلغت القتلى من الفئتين نحو المئتين، ومنعوا حقوق الله الواجبة، فلما وصل الإمام بلاد عمران، أبدل الله الخوف بالأمان، وأصلح شأن القبيلتين، وخطط العساكر عند الفئتين، وضبط الأشرار منهما، وأودعهما في سلاسل الحديد، وعين عليهما من المال ما عيّن، وأمرهما بالواجبات، وأصلح أهل الحائط وذيفان، وأوجفت من خرجته إلى عمران، المشارق وذو غيلان، إلى صعدة، ورجع في شعبان مؤيداً منصوراً مظفراً، وقد أصلح الله البلاد والعباد، وكفى بقيامه أمان السّبلات ووجد الطعامات، وكثرت الأمطار في جميع الجهات، وذلك بمّن الله وإقامة الشريعة، وإمضاء الحدود وإزالة البدع والطاغوت.

وفي ذلك الشهر أمر بتعزير جماعة من السفلة الذين يبيعوا المغيّرات[4]، وطافوا بهم في شوارع صنعاء، وأمر بتكسير الملهيّات من الدفوف والمعازف والمطربات، وحشّد النّاس إلى المحافظة على الجمع والجماعات، في أوقاتها، ووكل بهم من يرشدونهم ومن نومة الفجر يوقظونهم، وهذه من سنن آبائه الكرام، ومن خصائصه الشريفة حضور ديوان الشّريعة، وعند الرّقومات ومنع المناقضة والمخالفات، وقد همّ بالتّجهيز إلى جهات اليمن وخُبان ويريم، ولكن أقبل الشهر الكريم فأخّر، ووصل إلى عمران الشريف هزّاع من أبي عريش، ودخل صنعاء وصرفه في دار نفيسة، وكان قدومه من اليمن بعد رجوع الشريف حسين إلى برط وبعد تسليم البلاد من ذو محمد.

---

(١) هو أحد ولاة الأيوبيين (انظر أخباره في السمط الغالي الثمن) وغاية الأماني ٣٥٥.
(٢) أي ما كاد.
(٣) خ وله.
(٤) كأنها المسكرات المغيرة للعقل.

وفي شهر رمضان وصل إلى الحضرة ابن مغلس صاحب الحجرية والشَّرجبي، وولاة التَّعزية وأوصاه الرِّفق في الرعية، وتفرقت العمال في اليمن.

وفي شهر رمضان فتح الإمام قراءة في الجامع المقدس بعد صلاة الجمعة في سنن الترمذي[1] ولما سمع بعض المبغضين القراءة في سنة سَيِّد االمرسلين لم يزل يدبّ دبيب الحيات ويسعى سَعي العاهات وهو من ذوي العاهات، وألقى في أذهان الرعاع والعامة ما يدخل فيها، وذكر لهم أن المولى حفظه الله قد أجمع رأيه، ورأى بعض العلماء على تقديم ذكر الصحابة في لخطبة، ولم تزل الأخبار تشتعل شعيل النَّار، وشاع ذكر ذلك في الأقطار، ولم يكن في ذهن الإمام من ذلك شيء، وكادت الفتنة ثائرة ونيرانها في الأقطار ساجرة، وكان البعض يدخلون الجامع لصلاة الجمعة والأحجار الطاهرة في جيوبهم معهم، وهم على أهبة الفتنة، ودفع الله ذلك، وظهرت الدسيسة وآثارتها[2] ممن في قلبه مرض، ولما عاقبه الإمام عاقبه عقاباً يسيراً وغَرّبه قريباً من نحو ستة أشهر.

وفي شهر شوال أنفذ الإمام المُصَّدقين[3] لقبض الواجبات، ورفع عنهم المظالم والدُّفَّاع التي قد كان صارت عادات، ولما بلغت الأخبار إلى بندر عدن أن الإمام قد طلب جميع القبائل للمخرج لإصلاح البلاد، كتب كبير الفرنج الذي في عدن إلى الكفار من الصابئين[4] الذين في بلاد الهند/وطلب منهم ألفين لحفظ البندر، فأجابوا داعيه إلى المنكر، واجتمع حزب الشيطان إلى عدن ولحج وأبين، وهذه الفرقة الذي استعان بهم الفرنج هم من الذين يعبدون النيران، ويغسلون وجوههم بأبوال الثيران، ولو قصدهم المسلمون إلى تلك البلاد كان فيها الرشاد، ولكنهم تقسَّموا فرقاً فالبعض منهم بغاة، والبعض مبغى عليه، والبعض مجاهدون وحزب الله هم الغالبون.

وفي شهر شوال الثالث منه خرجت الضَّربة المتوكلية، ووضعت على قانون لا تحّيل فيه، ومضت إلى الأقطار، وزافت الضَّربة المهدوية، وأمر المولى بكناسة الشوارع.

وفي شهر ذي القعدة خرجت بكيل بأجمعها يريدون ما كان يأخذون وإلاَّ فهم

---

(١) أحدى أمهات الحديث.

(٢) كأنه وأثارها.

(٣) الذين يأخذوا الواجبات.

(٤) في الأصل الصابين.

سيأخذون البلاد ويبغون في الأرض الفساد، وطرحوا في خارج الروضة فَعَرَّفهم الإمام بأنهم يدخلون في الطاعة ويسلكون مسلك الجماعة، وصاروا حائرين الفكر ليلتهم، فما أشرق الصبح إلا والإمام عندهم بجنده، والخيل محدقة بهم، وهم على غير أهبة بل في حالة سبار[1] الغدا وسلاحهم مطفيء؛ ففزعوا غاية الفزع وتيقنوا أنه بطل أروع، وأنه منهم أشجع، فدخل بينهم وأمرهم بالشِّداد ودخول المدينة، وفيها حزمت[2] أمره وتحصينه، وأجرى لهم الكفايات، ونالهم من كرمه العطيَّات، ووعدهم بالخروج لإصلاح البلاد، وأمرهم بالنُّصرة والجهاد، وعاهدوه على الطاعة والإنقياد، وقيَّدهم سيف عزمه، وصفدهم بجزيل نواله ورفده.

وفي يوم الجمعة سابع وعشرين شهر القعدة، خرج بعد صلاة الجمعة، وقد تقدَّمت الجيوش الجرارة، والعساكر المختارة إلى مطرح سَيَّان، وأمر بجرِّ المدافع الكبار المسماة بالأشرم، والقاضي، والجَرَّار، وتوجَّهت الكتائب قاصدة، وللأعداء طالبة، كتيبة بعد كتيبة، وقبيلة في أثر قبيلة، حتى وصل الإمام مدينة ذمار، وأقام ثلاث وتوجَّه يريم، ووافى عيد الأضحى[3] فقسم للمجاهدين الضحايا، وأجزل لهم الهبات والعطايا.

وثاني يوم الغدير، أمر الإمام بالتَّقدم على حصون بيت الأرياني، وتقدم الشَّيخ عبد الله العمري بجماعة من أهل تلك البلاد، وتبعه الشَّيخ حسين بن يحيى عُبَاد، بقبائل الأعماس ورعين، وتبعهم الشَّايف وشريان بذو حسين، وأحاطوا بالحصون من كل وجهة، وجرت المدافع حتى حاذت حصن إريان، وأخربت المدافع، ودخلت القوم، وأخذوها عنوة، وكانت مدَّة الحصار قريب من شهر، وضربت البشائر في جميع النوايف[4] والجبال، وأيقن أهل إريان بالنكال، وتقدَّم الإمام وقد قابله النصر والإقبال، حتى وصل بنفسه الحصن، وضربت الخيام وطاب الإستقرار والمقام، ووضعت جنود الحق على المفسدين الرّصاص كالسهام، وأظلم الجو من القتام، ونزل بهم رسول الحمام، وتزلزلت الأقدام، ولما أيقن من في الحصن بالزوال وهلاك الأنفس والأموال، كتبوا إلى الإمام يستمدُّون منه الأمان ويطلبون كريم عفوه والإحسان/فطلب الإمام خروجهم إلى الحضرة والدخول فيما دخلوا فيه

---

(١) إصلاح.
(٢) أي قوة دولته.
(٣) خ الأضحا.
(٤) الجبال المنيفة.

رعيته، وتخريب الحصن حَقّهم وهدم كل مانع، وتسليم ما عَيّنه عليهم، ولهم منه سلامة رؤوسهم وأهليهم، وحفظ أمتعتهم وخروجهم إلى القرية، فأسعدوا لذلك حيث لحقهم الضُّرر لما هنالك، لما علموه من عدم السَّلامة، وصاحت في دورهم البوم والهامة، ونعق غراب البين في وجوههم، وتخلل الغراب الأبقع في بيوتهم، فخرجوا من الحصن صاغرين، وسلكوا مسلك المساكين، بعد التّجبر والتكبر، وخاب ظنهم الباطل أن حصونهم مانعتهم من الله فأأتاهم من حيث لم يحتسبوا وسلط عليهم سلطانه وشد بقوة عضده وأركانه، وخرب الحصن، وقد كان وضعوه على أعظم أساس، وغرموا في الأموال الجزيلة، وافتخروا ببنائه على حصن الغراس، حتى صار أهل تلك الديار يشيروا إليه بالأصابع ويرونه كالكوكب الطالع، فزعزعت دوائره المدافع وذهب اسمه ومعظم المنافع.

ودخلت سنة ١٢٦٢:

ولما فرغ الإمام من حصن الأرياني وهدم الدور والمباني، ألقى إلى مسامعه الكريمة ما تيقن صدقه وتحقيقه، أن الشيخ حسين يحيى عباد، ظهرت منه الخيانة، وهو موضوع في محل الأمانة، فأمر بحبسه، وتحقق ذلك، فلما وصل الإمام قاع الحقل نظر إلى حصن شامخ البنيان مرتفع المكان، وأخبر أن ما وضعه ابن عُبَّاد إلا واستعد للمنع والفَسَاد فأمر بهدم ذلك المعقل، وأخرج أهله منه، فخرجوا بسرعة، واجتمع لتخريبه الرِّعاع، فما كان فواق ناقه إلا وقد نزلت الأحجار، وأظلم الجو من الغبار، ووصل الخراب إلى القرار، وتوجه الإمام ومعه العقال ذو محمد في السّلاسل، والأمر لهم بتفريغ المعاقل، فمن تاب عن البغى والفساد سَلّم المعقل الذي اغتصبه سلم، وتوجه من خَبان وعَمَّار وقعطبة، وطاف ما اغتصبه الشّايف من بلاد الأملوك وأسَرُّها في نفسه وهو مخلاف عظيم، كثير الغصب والنبات، وقد صار في يد الشنايف، وتوجُّه الإمام من شرقي جبل بعدان، حتى حاذى بلاد الحُمَر والشرمان، وقصد بلاد صهبان، والدعاء له بكل لسان، والرعايا في أمان واطمئنان، وأقام في بيت الشُعيبي نحو أسبوع، حتى صلحت البلاد، وتوجُّه من باب ميتم، ودخل مدينة إب، ولم يزل يتقصَّى أحوال البلاد، ويزجر أهل البغي العناد، وعفى عمن أخطأ وسَمَح عما سلف ومضى، وقرر الواجبات ومنع المشايخ والعمال من طلب المغلّبات، ولما شاع الخبر أن بني إبراهيم الساكنين في بلاد حبيش قد تمادوا على الطغيان، وقطع الطرقات في الشعاب والوديان، أرسل الإمام عليهم عصابة من العسكر وأهل البلاد، ليضبطهم وقبض على عصاتهم، وخراب

منعتهم وحصنهم، فغدروا بهم وهم نائمون، ولما قبضوا على الأحرار والعبيد سلكوا بهم في سلاسل الحديد/ووصلوا بهم إلى حضرة المولى ووقع تأديبهم وخراب حصونهم، وتابوا عَمَّا فعلوا وندموا على ما أسلفوا، وهم من موالي المشائخ آل علي سعد تناسلوا حتى كثروا في جيش.

وتوجه الإمام إلى بلاد حبيش، وأقام في مدينة ظَلْمة، وبعد نهض المخادر لإخراج بقية الخارجين من البخاري وكانوا في قرية عمقى وأكثرهم من آل ثروبة، وكانوا منتظرين وصول أصحابهم من برط لنصرتهم وتعاونهم على الباطل، فخيب الله آمالهم وأذاقهم سوء أعمالهم، ولما وصلوا بكيل حين أرادوا ينصروا أصحابهم الذي في البخاري، فلما وصلوا ريدة البون كتب الإمام إلى صنعاء إلى ولده سيف الإسلام غالب بن محمد، يأمره بالتجهيز على الأعداء إلى البون، فأمر سيف الإسلام الوزير الشّيخ أبو زيد بجمع قبائل أرحب وبني الحارث وهمدان والتوابع وسنحان، ووكل كل قبيلة تحفظ جهة، وحَشّد عمران وعيال سريح، بحفظ بلادهم، فلما تيقنوا إنحصارهم ومنع السبل من إجتازهم، طلبوا الأمان وتوسّط عقال هَمْدان، وقد كان مضوا إلى باب شبام كوكبان، بخيانة من عيال سريح، ورجعوا بلادهم خائبين وسلموا لهم قليل من المال، وأما ما كان من خبر البخاري، فلما علم الإمام تراخي المقادمة على الخارجين قدم بنفسه، وجرّت المدافع الكبار، ونالهم بسوطته أشد الحصار فزلزلت مقاعدهم وأوهنت مجالدهم، وصاح بهم رسول الحمام، وزلزلت الأقدام، وصارت آمالهم أضغاث أحلام، فَطَلبوا الأمان وكريم الصفح والإحسان وخرجوا إلى بابه السّعيد وسلكهم في سلاسل الحديد.

ورجع الإمام إلى صنعاء منصوراً مؤيداً ظافراً مشكوراً، وفَرَّق القبائل جميع وذو غيلان، وأمرهم بالرّجوع إلى الأوطان، وكان وصوله في آخر صفر من السنة المذكورة، وقد كمل[1] ما أمر به من إصلاح عمل في دار الطواشي، وتجصيصها حَتّى صارت زينة للنّاظرين.

وفي شهر ربيع أمر الناظر للوقف بتَجْصيص جميع المساجد، وفرشها لما تقادم عهدها، وهذه من المناقب التي لا يحصر حَمْدها.

وعند وصول الإمام صنعاء قبض على النّقيب محسن الشايف لحتى يطلق ما تحت يده من الأملوك.

---

(١) أكمل.

ونعد[1] إلى ذكر الشَّريف الحسين بن علي بن حيدر لما رجع من اليمن، وقد دَوَّخه وأزال البغاة منه، ودانت له البلاد، وذلَّت له الرقاب، وصل الحديدة، وطلب الشيخ علي حميدة صاحب باجل الوصول إليه، فبذل له كل ما يطلب ويعذره عن الوصول، فلم يعذره الشَّريف، وأمر التجهيز على علي حميدة، وخرج بالأجناد والمدافع، والعدّ والعديد، وعلي حميدة تجهَّز للقاء وجمع قبائله القحرا والجرابح، وقليل من همدان، ومن يام وحاشد، والتقى الجمعان في خبت أبي درعان، ووقع بينهم يوم عسير، قتل من الفئتين خلق كثير، وباتت الهزيمة في أصحاب الشَّريف حتى بلغ أول المهزومين الصُّليف، وأخذ أصحاب علي حميدة المحطة، وانتهبوا ما فيها من الميرة وآلت الحرب والخيام، ورجع أصحاب علي حميدة إلى باجل، وقد داخلهم العجب، وأرادوا قسمة ما انتهبوه فعند محاورتهم ومجادلتهم، وصل رجل ومعه نار فسقط منها على البارود فارتفع شواظها ولهبها حتى قتل منهم قريباً من ثلاث مئة ما بين رجل وامرأة وصبيان وبعد هذه/الوقعة قلبت البلاد للشريف ظهر المجن، وأخذت الأرض زخرفها، وعصاه أهلها، وتفرقت الجموع وتوجّه الحسين إلى بندر الحديدة وانغلق على الناس، والبلاد في يده على وهن، وقد عصاه الناس في السرّ والعلن.

وفي خلال ذلك أطلق الإمام النَّقيب محسن الشايف من الحبس، وهو أطلق ما اغتصب من الأملوك.

وفي هذا العام وقع وباء في تهامة وفنا، ومات منه خلق كثير، حتى تعطَّلت قرى، وبعد أيام من الله بالمطر حتى سكنت الأبخرة المتصعّدة من الأرض.

وفي شهر جماد آخر من السنة، جمع الإمام جميع الحكام إلى ديوان الشَّريعة في بستان السلطان، ورجح رأيه الصائب، ونظره الثاقب تولية القاضي العلامة الألمعي الصفي أحمد بن محمد الشوكاني للحكومة الكبرى، وكان الحاكم الكبير سيدي العلامة الجمالي علي بن عباس، وكان فاضلاً عالماً إلاّ أنه يعامل الناس معاملة واحدة لا يميز بين أحد فخلا المجال للأشرار مع عظم سيدي، حتى أن كل محكوماً عليه يجعل الحاكم خَصْماً له ويريد مرافعته إلى الإمام، ويرفع إليه شكواه ويظهر تظلّمه وفتواه.

وفي شهر رجب جاءت الأخبار بخروج الشَّريف الأجل، والسيد المبجل

---

(١) أي ونعود.

إسماعيل بن إبراهيم المغربي إلى تهامة قاصداً إخراج الإفرنج الذين أخذوا قطراً من اليمن، وهي فرضة[1] عدن وبلادها، ولم يجاهدهم أحد من المسلمين وهو من أشراف مغرب الجوان وقد استأذن سلطان الإسلام في ذلك وأذن له بما هنالك وتوجه إلى مكة ثم إلى الحجاز ثم إلى أبي عريش، وأقام في أبي عريش أياماً، وقد صحبه خلق كثير من أهل السُّيوف والعصا[2]، وكان من عادته تفريق أصحابه للغزا في القرى والبوادي، وأهل كل بلاد يضيّفونهم يومهم وليلتهم، وأخذ على أصحابه المواثيق أن لا يضروا أحداً، ولا يأخذوا من أحد شيء من الأموال، قيل أنه ظهر من كراماته أشياء كثيرة، وكرامات ظاهرة منها أن الشّريف الحسين اختبره ووضع له باروتٌ[3] في الأرض، ولم يخبره حتى قعد عليه، وظهر فَتَلا عليه، فصار ماء وليس ذلك من السِّحر والتّمويه، ومنها أنه كان يخبر أصحابه ما يصنع الإفرنج، وصار صحيحاً، ويخبرهم بما في (عدن: ويصفها، ولم يعرفها أبداً، وفيه من القناعة والورع والزُّهد ما لا يوصف، وبذل له السُّلطان أموالاً عظيمة للجهاد، فأباها وردُّها وبذل له الأمير عايض بن مرعي[4] كذلك أموالاً فردها، وبذل له الشّريف الحسين مالاً فرده، فلم يقبل من ذلك شيئاً، وتوجَّه من باجل قاصداً إلى عدن، ونجم نجم الهلاك على الكفار وأرسل الله عليهم العقوبات، ومنها الطوفان سبعة أيام، حتى هلك منهم خلق كثير، ثم سَلّط الله عليهم البعوض، خرجت من البحر، ودخلت آنافهم، ثم أصابهم الطاعون، وجاءت الأخبار المتواترة بأنه وقع هلاك في العالم، ونقص في الأنفس بسبب الطاعون، وقع ابتداءه من اسطنبول إلى مصر إلى السكندرية[5] حتى وصل الحَرَمين والحجاز الدّاخلي قيل أنها غلقت في مكّة مئة وثمانين بيت وفي اليمن مرض يسير، وأكثر الموت في تهامة.

وفي شعبان بلغ المولى خروج البغاة من بلادهم/فخرج أقام في الروضة، وكتب إلى كل قبيلة تحفظ طرقها ودركها ببلادها، ومن اجتازوا من عنده صار العقاب له والأدب عليه، فحفظ كل أحد محله، وتخادع آخرين، ولم يشعروا إلا بالبغاة في الكولة جنب الروضة، فلما تيقن الخديعة خرج بنفسه إليهم وخالطهم ووبَّخهم وأذلهم الله، فما قد أحد سبق إلى مثل إقدام هذا الإمام، فكلما خرجوا من بلاد

(١) انظر خبر قدوم الشريف المذكور إلى عدن في هدية الزمن ص ١٤٩

(٢) كذا في الأصل.

(٣) هو البارود وقد تكرر ذكره.

(٤) من أمراء المخلاف السليماني وسيأتي ذكره.

(٥) هي الاسكندرية.

خالهم كل من في اليمن من المشرق إلى المغرب، وما غريمهم إلاَّ الإمام الذي يريدهم ويريدوه، وهو يقدم عليهم منفرداً ويخالطهم متوحِّداً فلله دره ما أشجعه، وأدخلهم قدامه صنعاء في آخر شعبان.

وفيها توفي القاضي العماد يحيى بن علي الشوكاني، وقبر جنب أخيه محمد ابن علي الشوكاني في خزيمة[1].

وبقيت بكيل في صنعاء مدّة شهر رمضان.

وفي ذلك الشّهر وصل إلى الإمام شريف مغربي من أصحاب الشريف إسماعيل الذي قدم على الفرنج إلى عدن يستنظر بالإمام على الفرنج، ولعله قد تغيَّرت نية الشريف إسماعيل وداخله العجب بعد استئصاله لمن أرسل إليه الفرنج وهم الصبيحة فإنهم قدموا عليه، وهم خلق كثير فأسرهم جميعاً وصاروا في قبضته وبعد صلحوا، وكانوا من أصحاب نصرته، ولكن مع ما قد صارت فيه عدن من التّحصين صعب الأمر فعدل الشّريف لدى عبد الرحمن الفضلي صاحب (شقرة) وهو يطلب النصرة.

وفي شهر شوال، خرج المتوكل بمن عنده من ذو محمد والتّوابع على عيال سريح وعمران بسبب منعهم عن تسليم الواجبات من جملة البلاد وعدم إنعمالهم للحق، وتجبرهم وقد سبقت المدافع والخيام.

وخرج يوم الثلوث تاسع شوال، وبات في وادي ظَهر والعساكر في جربان، وتجهز همدان مع الإمام والسّبب ما بينهم، وبين عيال سريح من الإحن والطغيان، فلما نظر الإمام إلى أهل البلاد، وقد تَحزبوا للقاء وطلبوا فنزل عن راحلته وصلّى الظهر، ثم استوى على متن جواده، وأمر العساكر المنصورة بالحملة وحمل اللواء وتقدم أمام الجيوش بنفسه، وحمل الراية بيده وقد علته الشجاعة العلوية، فلما رآه الناس لم يتمالكوا أن حملوا بأجمعهم وهَوّلوا[2] بأصواتهم ورموا ببنادقهم وأشهروا أسلحتهم فما كان جولة الجائل إلا وقد انهزم المفسدين وولوا الأدبار فاستأصلوا ديارهم وقتلوا أبطالهم وغنموا أموالهم وما بات القوم المنصورة إلا في بني (ميمون) محل الخارجين وقد داخل بقية البلاد الفزع والجزع وقل ناصرهم وعلموا أن لا قدرة لهم على مكافحة الإمام فأعلنوا بالطاعة والسلوك في مسلك الجماعة وقطعت رؤوسهم وأرسلت إلى صنعاء إلى عند/سيف الإسلام، وصلبت في قصر صنعاء عبرة

---

(١) هي مقبرة صنعاء جنوبي صنعاء (انظرها في موضعها من المعجم).
(٢) صاحوا.

للنّاظرين، وحملت همدان الطّعام والأمتعة والمواشي إلى بلادهم ما أغني الفلبس[1]. وغنم بقية الجند مثلهم، وهذا ليس بغنيمة حقيقية، وإنما استعارة للإسم، وإلا ففيه ما فيه، وبعد أن ذهبت بني ميمون أمر الإمام بخرابها وتحريقها، وتوجه بيت الضلعي، وأودعهم سلاسل الحديد، وأذاقهم البأس الشديد، بسبب إيصالهم والفساد، وبقية أهل بلاد أجلوا عن أوطانهم، ورحّلوا مواشيهم وصبيانهم، وغاصّت القوم في البلاد، وجاسوا خلال الدِّيار، وأفسدوا الزّراعة وأحرقوا القرى، وأحاطت بديارهم الأجناد المنصورة وأشعلوا في أجوافه النِّيران المسجورة، ولم يبق من الديار محلولة غير سمين وذيفان وبني ميمون، بعد أن ذاق أهلها ريب المنون، وحلوا الشِّعاب ورؤوس الجبال، واستقر بقاء الإمام في بيت الضِّلعي إلى سابع وعشرين القعدة.

وفي خلال ذلك وصل سيدي محسن بن عباس من صعدة، ومعه جماعة من سحار، وأرسله المولى يصلح بين أهل كوكبان لشدة ما وقع بينهم، وهم سيدي محمد شرف الدين، وسيدي محمد بن عبد الكريم، وصلح شأنهما، ووصل سادة أهل شهارة ومن أهل السُّودة بضيافات للإمام، ويدرؤوا عن أهل محلتهم، ويعتذرون ويعلنون بالطّاعة للمولى والامتثال، وصلحت الأمور، وزال حرج الصُّدور ورجع المولى صنعاء المحمية.

وفيها توفي سيدي محمد بن عبد الرَّب، وكان حاكماً للإمام الناصر الحكومة الكبرى، وعزل بقيام الهادي.

وفيها توفي سيدي يحيى بن محمد الأخفش في تعز، وفيها [في] تعز من الوبا وقل من توافق طبيعته وقيل فيها شعراً:

تعز تعز بها بلدة   ولكن تعز بها العافية

وهي من مباني آل غسان[2].

ولما وصل المتوكل صنعاء بعد رجوعه من عمران وعيال سريح، نظر إلى ذو محمد الذي كانوا معه وإذا ما هَمّهم غير الفرار للفساد والبغي وأخذ المقاسم الذي كانت بأيديهم في اليمن، فأمر بالتّحريج عليهم في المدينة ومنعهم من الخروج من الأبواب، وراجعهم في نزولهم صحبته للجهاد في بلاد وصاب، فلم يسعدوا بل مكمنين

(١) أي المملس.
(٢) قلت تأسيسها يعود إلى زمن الأيوبيين.

العيب، فلما تيقن ذلك خرج في سابع وعشرين. القعدة وأمر الوزير ببقاء[1] البغاة في صنعاء إلاّ من رهن أخوة أو ولده، خرج من المدينة، وسلموا له زلاجة[2] وما يحتاج إليه من أمر الجهاد حسب العادة، وتبعه وعزم بنفسه، وليس معه غير الخدم حَقّه والخيالة وأمسى في جِزْيَز، فلما أحسوا أنهم غير مفلّتين ولا منفكين، فخضعوا للأمر الكريم، ورهنوا كل صِمْام زعيم، واستلموا ما يلزم للمجاهدين، وتبعوه يوم ثاني، وقد كان بقاء التّوابع والأمير لشيء في نفسه، ولعله حين رأى بكيل غير صالحين، ووصل ذمار وأدركه العيد الأضحى فعَيّد بها لإظهار الشعار، وفي ذلك التاريخ/طلب الشريف بن الحسين على قبيلة يام، وبذل لهم الأموال يريد يستأصل الشيخ علي حميدة، ولم قنع[3] بما وقع، بل صار همه ذلك، فلما علموا يام والمكارمة احتياجهم طلبوا منه المغلّبات فأجابهم ولباهم، وعقد شورهم بأخذ بلاد علي حميدة، ويقطعوا ما ورد عليه، وقطع ما خرج من لديه، وهجموا على بعض بلدانه بغتة، وقبضوا مشايخها، وتجَهّز الشريف للخروج للحرب، وتجهز علي حميدة، ووقعت بينهم حروب، وأصحاب الشريف حول قلعة باجل مُحيْطين بها وقد تهظهظت[4] القلعة من المدافع من خارج، وأكثر الضّر من مدافع علي حميدة كونها في القلعة لأنه ضرها عليهم، أكثر، كونها لديهم، فاحتاجوا خرجوا يجروها، وصاحوا في أصحاب الشريف، وتبعوهم، وكانت الكسيرة في أصحاب الشّريف، وتبعتهم خيل حميدة وفروا أصحاب الشريف، ووقع بينهم صلح ثمان، حتى يدفن كل قتلاه، وتعقّبت قتلة أخرى، وقعت الكسيرة في يام والمكارمة، وبعد دخلوا عقال يام بينهما بالصّلح التّام أن علي حميدة، يرد ما أخذ على الشريف من المطارح في القتلة السابقة من المدافع والأثقال، ويخرب الدّار الذي بناها في أكمة مُجَمّش خارج باجل، ويسلم للشّريف عشر خيل، وأخمدت نارهما، وأغمدت سيف فتنتهما، وما لان الشريف إلاّ بعد أن يئس من قبض علي حميدة، وإلا فكان مصّراً على أخذه وبلاده، ولكن ما للقحرى[5] والجرابح وطريق البندر إلاّ بيت حميدة ومن دام غير ذلك فقد أخطأ وبعد أرسل الشريف ولده إلى عند علي حميدة وهو وبعد ذلك ركن[6] على نفسه، ووصل إلى الشريف بنفسه وكسا كل منهما صاحبه.

---

(١) خ ابقا.
(٢) محتاجهاتهم التي يحتاجها في الخروج.
(٣) يئس.
(٤) أوشكت على السقوط أو تشققت.
(٥) قبائل في تهامة.
(٦) اطمأن أو وثق.

وفي تاريخ ذلك فإن سادتي أهل كوكبان لما أصلح بينهم[1] الإمام وخرجوا من عنده، فلما وصلوا قرب كوكبان، وشاهدوا أرضهم ووطنهم، واستشقوا نسيمها، وشاهدوا جبالها، عادت عليهم خواصاتها وهو الركزة[2] والشتم والربط لبعضهم البعض، وآلت[3] إلى الحرب والقتلى الكثير، فيما بينهم، وآخره أصطلحوا على ما فعله بينهم الإمام، وإنما سبب ذلك ما أصاب أسلافهم من دعوة الإمام القاسم ابن محمد وعمه الشهيد عامر بن علي عليهم السلام فلم يزل أمرهم بينهم شتى، ولا يستقرون على حال مع أنهم من أجلّ السادات قدراً وزينة القادات في المعالي ذكراً ألاّ أنه غلب عليهم حبّ الدنيا والرِّياسة فأزال ما بهم من المعروف والنفاسة.

ونرجع إلى ذكر مخرج مولانا المتوكل على وصاب، فإنه خرج من ذمار وسلك طريق (الدَّن)[4] و(بني مُسْلِم) وهم أشد أهل تلك الجهات وديارهم في شواهق الجبال العاليات، وقد منعوا الواجبات، وقطعوا الطُّرقات، فمكنه الله منهم، وأخرب ديارهم، وقد أنزل الله عليهم الرُّعب والذلة فهربوا وتركوا كلما يملكون، وغنموها المجاهدين وصاروا بها راشدين، وأخرب المولى جميع الحُصون حتى (المَدْوَرَة) وهي من أعظم الحصون لا يغلب في ظن أحد أنها تملك[5] أن تخرب، ورجعوا بالأمان وعين عليهم الأموال وقبض أشرارهم/ في الحديد وتوجه قاصداً (ريمة) ووجَّه الوزير عبد الرحمن محافظ على اليمن، لتفقد أحوالها وقمع أشرارها بقبائل ذو حسين [وتوجه الإمام إلى ريمة) وانتهت طريقه إلى وادي (النار) وحطَّ فيه، وقد أرسل إلى عند العامل علي يحيى المنتصر أنه يلقاه بالمحتاج من الدقيق والغنم والعلف وغيره، فتراخي تلك الليلة، وأمر أصحابه بإضرام النار، وما عندهم من الزاد ما يقيم ثلاثة أنفار وجاء الدوشان[6] يمدح الإمام وذكر في مدحه الإمام علي يحيى المنتصر، بقوله أبو غالب يابو غالب في الوطا وأبو غالب في الجبل، يعني المنتصر، فأسَّرها الإمام في نفسه ولا سِّيما كون قد المنتصر خَلاهم[7] بغير عشا ولا ضيفة[8].

---

(١) خ بينهما.

(٢) التعالي والترفع.

(٣) انتهت.

(٤) هي مركز وصاب

(٥) فضلا.

(٦) الدواشين هم جماعة تكون مهمتهم في الغالب حضور الحفلات والغناء إلى غير ذلك.

(٧) تركهم.

(٨) ضيافة.

ونـزل في يـوم ثـاني بأهـبة كـبيرة، ورجـع يـوم ثـالث نـزل بجـند واسعـة أكثر من جـند المولى وأولاده وأقـاربه، فأغلـظ له الإمـام الكـلام، وتوعّـده بالعقـاب بعد أن تلـقاه بالعتـاب، وقد كـان فَرّق الإمـام المشايخ أصحـاب المنتصـر عند وصـولهم عند ذو محـمد للقهـوة والإستراحـة، وهـو وأولاده عنده في الخـيمة، فـلما أغلظ له الكـلام قـام الإمـام من الخـيمة وأومـى إلى خـدمه بالفتـك بأصحـاب المنتصر نهـباً وأسراً لا قـتلاً، وأمـر من عنـده بالقـبض عليه وأقـاربه وأولاده، فأخـذوهم أخـذة واحـدة في ساعة واحـدة، وأمـر بالشّداد في تـلك الساع[1] لأجـل لا يـصير الخـبر إلى محـل المنتصر، وهـربوا الأمـوال والمنقول ورتـبوا الحـصون، ودَرَّك ذو محـمد بالمنتصر وأصحـابه، وقـدهم أسرى في الحـديد، وسيقـت الخيل، فـما وصـل أحـد قبل الخـيالة والإمـام واستولى على بـيت المنتصر، وقـبض على جـميع مـا يمـلك بـما لا يحـصر، من اللّك[2] وكـان حـول بيت المنتصر في الضّـلع قـرى المزاينـة وهـم نحـو خـمسمائـة، وكـانوا يحـملون السـلاح، وإذا أراد المنتصـر الغـزو غـزا بهـم، وكانـوا بـطانة المنتصر بـما أراد، وقد أخـافوا العبـاد وقـطعوا الطـرق وبغـو في الأرض الفساد، فأمـر بإهـدارهـم وبيوتهـم، حـتى صـارت بـلاقع، وأخـذ مـا معهـم، وبقي مع المنتصر حـصن الطّويلة، وهـو حـصن شامـخ، وبينـه وبين الظّلع مسير يـوم، وقـد نقـل المنتصر النفـايس والفاخـر وكـل ما غلى ثـمنه، وأهـله وأقـاربه ونسائه وأطفاله إليه، لعـلمه أنه مـا ينجـيه إلا هـوه[3] فـلما عـلم بـذلك الإمـام أمـر بالمحـاط علي حـصن الطّويلة، وجـرت المدافع، وضـربت الحـصون، ودخـلوه عنـوة، وقـد كـان تيقّـنوا بيت المنتصر أنهـم ما نعتهـم حـصونهم، فأتاهـم الله من حـيث لم يحتسبوا، وقـذف في قـلوبهم الرّعـب، فسبحـان من لا يبقي إلا مـلكه، وأمـر الإمـام بهـدمهـا حـتى صـارت البـوم في عرصاتهـا، وأرسل إلى الإمـام بخـمس مـئة جـمل من إبـل علي يحـيى، وفرقهـا في

وفي شهـر جـمادى جـاءت الأخـبار للإمـام أن وصـاب وريمـة في تَرَبُّش، ولـم يـقبلوا العامـل، فأمـر الإمـام بالخـروج من ساعـته، ومـا عنـده من الجـند غير أربـع مـئة عسكـر وخـمسون فارسـاً، ولـم يعـلم حاشيته أين يـريد فـلما وصـل ضيق (قعـوان) وقد خـرج معه عـلي مثنـى الجـرادي بعد إطلاقـه، ويـريد يرجع إلى مـا كـان بنظره من الولايـة في ذمـار وعنس، وقـد نقلت إلى مسامـع الإمام أن الجـرادي قد أضـمر الخـدع والمكـر،

---

(١) .الساعـة.
(٢) كأنها اللكوك.
(٣) هو

وقد كتب إلى أهل جهته وأولاده أنهم يلقون الإمام إلى قريب ذمار، ويكمنوا هناك، ويصل إلى لقيا الإمام أولاده، وبعض أقاربه، وقد لاحظه الطمع حين شاهد أصحاب الإمام في قلة فلما وصل أولاده ومعاهم[1] عشرين رجلاً فأركبهم الإمام على الخيل والبغال، ونصبت الخيام للغدا فتقوى[2] في بال الإمام الوقوع بهم وأوثاق الجرادي وأولاده في السّلاسل، فوقع بهم وأسرهم جميعاً، وأرسل إلى بيته بعشرين نفراً عسكر يحفظوا البيت وحفظ ما فيه، وجعل في ذمار، وفي يوم ثاني أرسل الكتاب وحصر ما في البيت ونقل إلى خزائن بيت المال، وهذا بدلاً عن ظلم العباد شعراً[3]:

إن الملوك بلاء أينما حلوا	فلا يكن لك في أكنافهم ظلُّ
ماذا تؤمِّل في قوم إذا غضبوا	جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا
فاستغن بالله عن أبوابهم كرماً	إن الوقوف على أبوابهم ذل

وفي هذا الشهر توفي سيدنا محمد بن صالح العصامي.

وفي ذلك التاريخ وصل سيدي إسماعيل المغربي المتقدم على بندر (عدن) بأهله وصرفهم الإمام في دار.

.ووصل إلى ذمار عامل مغرب عنس بثلاثة أنفار بغاة فضربت أعناقهم في ذمار.

وفي ذلك التاريخ أرسل إلى صنعاء إلى ولده سيف الإسلام ينبشوا حفاير في مقبرة البكيرية لأن فيها كنوز، فنبشوا وقيل وجدوا كنزاً وقيل لم يجدوا، وما هي إلا أرزاق مقسومة وآجال محتومة.

ونعد إلى ذكر الإمام المتوكل، فتوجه إلى يريم قاصداً إصلاح البلاد الخاربة، فلما علموا بقربه وأنه أخف مَن أحدهم، رجعوا إلى الطاعة، وأسرعوا إلى العامل بحسن الصِّناعة وخير البضاعة، وكتب العامل بذلك، فرجع الإمام صنعاء مؤيداً منصوراً في عشرين جماد آخر.

وتنبه بعض المفلسين[4] بكنز في تحت صوح مسجد النهرين[5] وأشعروا قبله

---

(١) معهم.

(٢) تحقق.

(٣) من شعر للإمام الشافعي انظر «ديوانه ١٠٦ ط الخفاجي».

(٤) كذا لعل صوابه المسفلين سيأتي.

(٥) من المساجد العامرة غربي أسفل صنعاء (انظر مساجد صنعاء ص ١٢٥).

خلق كثير بذلك فحفروا حتى انتهوا إلى مآثر قديمة، ولقيوا في تخوم الأرض مسجد ومطاهير، وسواقي ولعله المسجد الذي أمر بعمارته عمر بن الخطاب حين رفع إليه عامل صنعاء أبان بن سعيد بن العاص[1] أن السيل حفر حفيرة حتى ظهرت قبة وفيها قبر، وفوقه لوح مكتوب عليه أن صاحب هذا القبر[2] ابن سام بن نوح فجوب[3] عليه أنه يبني مسجد إلى جنب القبر ذكر ذلك الديبع[4] في قرة العيون والمسجد المعروف إلى الآن والمطاهر لعل ذلك حديثات البناء والله أعلم[5].

وفي سلخ رحب وصلت كتب مفزعة مقلقة من عامل ريمة الحاج عبد الله الجبابي، بأن جميع أهل ريمة محاصرين له في الظلع، فعزم الإمام من حينه، وجاءت طريقة الفرق السلطاني، ولها منقطعة مدّة من صيحان وحزّة تهامة، ودخل من حدود السّلفية وما باتوا إلاّ في الظّلع ببعض الجند من حين دخلوا حد ريمة، وقد كان أرسل خولان من طريق رمع، ووصلوا الظلع في وقت واحد ناس من حدود آنس وعتمة، والإمام وبعض الجند من حيث ما ذكر، فشلوا فشلاً عظيماً حين رأوا الإمام وسيره أقطع من سير السيل، ورجعوا عما فعلوا، وتابوا مما جنوا وسَلّموا ما طلب.

ورجع صنعاء سادس رمضان، وكان ذهابه وإيابه مدة شهر وستة أيام، وعَمَّل فيها القاضي أحمد بن حسين العنسي البرطي.

وفي شعبان خرج عايض بن مرعي أمير الحجاز على بلاد سحار وwادعة ووقع بينهما وقعتين الأولة في بيت الشّيخ بن مقيت في طرف الحجاز، والثانية في بلاد سحار، وسقط قتلى من الفريقين أكثرهم من جمَاعَة عسير، قيل خمس مائة ومن سحار ونهم وولوا منهزمين.

وفي شوال وصلوا بالسيد عبد الله بن محمد الأهدل، وكاتبه الفقيه أحمد وقد شَقّ العصا ولعله دعا وكَلّف خروج الإمام، وما ضبط إلاّ في شوال ضبطه العامل،

---

(١) هو أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي صحابي أسلم سنة ٦ ودخل إلى اليمن توفي سنة ١٥ هـ (انظر تاريخ صنعاء ص٤٦٣).

(٢) فراغ في الأصل.

(٣) فأجاب.

(٤) لم أجده في المطبوعة.

(٥) ذكر هذا الخبر الواسعي في فرجة الهموم ص ٢٣٦ ط ثانية عن بعض المشائخ الثقات، وذكر أنه وجد في تلك الحفرة صنماً من ذهب... إلخ.

وأرسله تحت الحفظ، وقد أيقن بقطع رأسه هو وكاتبه، فعفى المولى عنهما والعفو دأبهما، وعزل وصبغت أوجاههما بالحمرة وحبسا أياماً.

وفي شوال رجع الشريف إسماعيل المغربي لجهاد الفرنج إلى عدن.

وفيها خرج ذو محمد وذو حسين والحسيني أطاع وأقام في صنعاء على رأي المولى والمحمَّدي تعصّى وطلب المغلبات، وأرسل إليهم الإمام بخيل عقاير على قانونهم فقبلوها، ولم تعقر وصاروا مفاوتين، فألحقهم الإمام بكتب أنهم يتعسكروا في اليمن، وذلك مرادهم، فأسعدوا وطلبوا معهم سَيِّدي غالب بن الإمام وتبعهم وعهدهم حتى وصلوا تعز، وفيه القاضي يحيى الأرياني محاصراً لتعز ومن فيه من أصحاب الشّريف الحسين، ولم قد وقفوا على شيء، فأراد ذو محمد يتجملوا فقدموا وسقط منهم قتلى ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، وألقى إلى الإمام بعقايد يام والمكارمة، فطلب الفقيه أحسن بن علي القيري، ووقع به وأخذ ما معه وبعد ثمان قتله بحكم جميع الحكام وقيل أنه زنديق، وأنه يقول: أن الله ثانياً وقيل أنه من المطرفية[2].

ودخل شهر الحجة أمر الإمام بشراء الأضاحي وتَقسيمها حسب عاداتها، وبعد العيد خرج لزيارة قبور أجداده حتى انتهى إلى قبة جدّه المتوكل على الله قاسم بن حسين فرآها قد شرع في عمل فيها في المسجد الذي يليها بناه المتوكل أحمد المنصور وكان مرادهم يدخل الغيل الأسود[3] فيها فَسَبقه الأجل رحمة الله، فاحتاج مولانا أمر بتمام العمل والعمارة والقضاض[4] والحبش[5] وأدخل الغيل إليها وتمت محسنة[6] عظيمة وصارت القبة نبخة[7].

وأمر بالتّجهيز للخروج على الشّريف الحسين بن علي حيدر لما طال اغتصابه

---

(١) مختلفين.

(٢) مذهب نشأ في اليمن يقول أصحابه بأن العالم يحيل ويستحيل من ذاته (انظر بحثنا حول هذا المذهب المنشور في مجلة اليمن الجديد العدد ٣ نوفمبر سنة ١٩٧٧ وما يليه).

(٣) يمر بمسجد المتوكل ومسجد حجر السابق ذكره ثم يسقي بستان المتوكل ويخرج منه إلى شعوب شما في صنعاء ويروي تلك الأراضي إلى الجراف وقد دثر الآن وليس له وجود الآن (انظر بلوغ المرام ص ١٣٣).

(٤) هو نوع من التجصيص يعمل لمنع الماء من التسرب أو للزينة.

(٥) حجارة سوداء.

(٦) أثر خيري.

(٧) نبخة بالنون والباء والخاء أي ذات جمال وجلال.

على تهامة-واحتكر ما تحَصَّل من البنادر لبيت المال حيث الولاية إلى الأئمة[1] في أموال الله والشريف صار يصرفها في البغاة، ويحتكرها لمن بعده كأنها من مخلف آبائه وقد عَرَّفه[2] الإمام ولم يرجع منه ما يوافق الصَّواب، فعزم على الخروج عليه وطلب القبائل للنشور والمخرج فوصلت القبائل من كل جهة: همدان وسنحان وبني الحارث وبلاد الروس وبلاد البستان، ومن في الحضرة من ذو غيلان والتوابع، فخرج للنشور في موكب ما قد رأى مثله يسّر الودود ويغيض الحسود، وعرضت بين يديه تلك الأجناد والفرسان في ميدان[3] دار الطواشي، وأمرهم بالخروج وقسم الزلاج[4] وآلة الحرب يوم ثاني، وضربت المدافع، وخرج بجنوده مختارة وجيوش جرارة وفرسان كرارة حتّى ملأ الأفق وخرج أهل صنعاء لِزلّاجة إلى عصر، وقلوبهم معلقة به وألسنتهم لا تفتر عن الدعاء له. (شعراً):

مثال المعالي بالعوالي اللهاذم[5]   وكشف الطُّلا بالبيض لا بالطلاسم
وتحت ظلال المشرفية جنَّة   أرائكها منضودة بالجماجم

هذا وقد اشتعلت تهامة بالنِّيران، ونجم نجم الهلاك على أهل الطغيان، وقارن المشتري السّرطان[6] والبلاد تضطرب من سطوة الإمام وتوقع الفتك بهم. وانتظر في الحيمة بقية القوم فتتابعت جيلاً بعد جيل ولم يتخلف غير التوابع، وطلبوا المستحيل، ولعلهم داخلهم الفشل والخوف والوجل، وأغناه الله عنهم وأبدله خيراً منهم، وتولاه بالنصر والإسعاد، وسلك الفرق[7] السلطاني حتى وصلوا ربوع الخبت، وانتظروا وصول مشائخ تهامة و(برع) وداخل أهل (برع) الفشل، احتاجوا وصلوا وتبعهم الشريف حسن عامل برع، من جمعت[8] الشريف الحسين، وشكوا على الإمام ما نالهم من ظلم الشريف الحسين، وأرسل الرُّتب من عنده إلى برع، وهو النَّقيب علي الهمداني بقبائله، وعمَّل الجبل وهو أول الفتح، وعرف العامل بالعدل فيهم ورفع الظلم عنهم.

---

(١) خ إلا ايمه.
(٢) كتب إليه.
(٣) انظره في معجم البلدان الملحق بالكتاب.
(٤) محتاجات الخروج وقد سبق شرحه مراراً.
(٥) السيوف.
(٦) إذا كان المشتري في السرطان دل على عموم الفتن والجور وقلة المطر والغلا والهموم وكثرة الأمراض والموت وشدة الحر انظر تذكرة داوود ٢/٢٨
(٧) كأنه الطريق.
(٨) كأنه من جماعة (أصحاب).

ودخلت سنة ١٢٦٤:

وتوجّه من الربوع إلى تهامة، وقد قابله النّصر والسّلامة ومَرَّ من القصر و(لعسان) والظامر وخبت أبي درعان ووصل باجل، وطلب مشايخ العبسية إلى حضرته العلية، فتثاقلوا من الخوف لا من العصيان، ووصلت إليه قبيلة الجرابح وقبيلة القحرا أصحاب حميدة بقضّهم وقضيضهم وأسلحتهم وأزوادهم، وخرج الشيخ علي حميدة/وأولاده إلى مخيم الإمام سامعاً مطعياً باذلاً نفسه وماله وولده وبلاده وقبيلته، وأقاموا ثلاثة أيام، ويوم الخميس ضربت المدافع الرحيل، وقد أرسل المولى عيوناً يأتوا بخبر الشريف الحسين، فرجع الخبر أن الشريف خرج من الحديدة بجنود متكاثرة وخزائن وافرة، وقد استعجل شره الأجل فنهض الإمام من باجل، وبات في دير المدور، وحط هناك وبات الشّريف في (الهيجة)، واليوم الثاني توجّه الشّريف إلى (القطيع) ويوم السبت عاشر محرم أمر الإمام بالرَّحيل إلى (المراوعة) وليس عنده خبر أن الشريف قد دخل (القطيع) وحال بين الإمام والمراوعة وتوسط بمطرحه بينهما بين (دير المدور) وبين المراوغة، فلما ارتفع القوم من دير المدور وشدّوا أثقالهم بلغ المولى خير الشّريف فأمر القوم يبقوا على أهبة السّفر، ولا ينقضوا الشّداد حتى تعود الرَّسايس الذين عزموا يدُّوا[1] الخبر وقد دخل الوجل والخوف في قوم الإمام لما يبلغهم من قوة الشريف وخروجهم إليهم. وقاصداً لهم بنفسه وجنوده وحاشيته وعبيده ومدافعه وشدة بأسه وإقدامه على عظيم المعارك ومواقع المهالك، فلما أشرقت الشمس رأوا رايات الشّريف في الخبت[2] ورأوا سواداً عظيماً وعجاجاً قد سَدّ الأفق ومقبلاً إليهم، وسمعوا صياح القوم وضرب الطبول فضاقت بهم الأرض بما رحبت وأين المهرب في ذلك الخبت، وفي بطن تهامة وزئيرها وتهير[3] الحَمَا وهم ليسوا معاودين[4] لها فأنزل الله السكينة على الإمام واستوى على ظهر جواده وعَبَّأ أجناده تعبئة الحرب، ورتّب الصّفوف وحَرّضهم على القتال، ونظر إلى جند الشّريف وكيف تعبئته فغاير[5] بين الصفوف، وجعل مقابل كل صف من جند الشريف قبيلة غير قبيلتها حتى لا تحصل المخادعة، وفعل في جنده في الميمنة ذو حسين، وفي الميسرة قبائل خولان وبني جبر، وفي القلب

---

(١) يحضروا.

(٢) سبق شرحه وهو الفلاة.

(٣) شدّة الحرّ.

(٤) معتادين.

(٥) خالف.

قبائل حاشد ويام والتّوابع وغيرهم، وجعل أصحاب علي حميدة وراءه في المطرح لأجل لا يغدرهم العدو من ورائهم وبَقّا[1] العكفة حقه عندهم على الاستعداد للضّرب والجلاد ورفع شكواه إلى عالم سره ونجواه وأنشد لسان حاله:

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصا ولا زاجرات الطير ما الله صانع

فاستجاب دعاءه ربه ولبّاه فأمر الخيل بالحملة على إسم الله والصّوالة على العدو، وقد كان هم بالحملة مع الفرسان مع تجويزه بالسّلامة وشهامته وشجاعته فوقّفه نقبا القوم وجلاً على أنفسهم لو يقع به شيء ذهبوا فبذلوا أنفسهم دونه وأسعدهم وتأخر وهو على جواده لابساً/لأمة حربه فغار الفرسان وهم أربع مئة فارس، وصاحوا بالتّكبير على العدو، ولما نظر الشّريف الحسين إلى جند الإمام استصغرهم، وداخله العجب والكبر إستعظاماً لنفسه قيل إنه قال لقومه عليكم ثلث القوم وعلي الثلثان، ولقد لبس درعين وتقلد سيفين، وقدم مدفعه الذي أهداه له سعيد بن سلطان[2] صاحب (مسكات)[3] فوق القاري[4] قيل تقوده البغال ويسير على سيرة الخيول وإسمه فليفل وقسم الشّريف أصحابه فريقين، فريق في الميسرة مع المدفع، وفريق بإزاء جنود الإمام وأمر تسعة طباشية يرمون بالمدفع بسرعة والإمام وجنوده وجلون من مدفع الشّريف فدفع الله قيل إنه لما رمى بالمدفع إلى أصحاب الإمام ثلاث مرات في لحظة واحدة كأنه الرصاص، نظر في جهة بعيدة منهم، ولما غارت خيل الإمام خالطت أصحاب الشّريف ورمى جنود الشريف ببنادقهم إلى أصحاب الإمام حتى أظلم الخبت من ظلام الباروت لكثرة جمعهم، وجند الإمام متأنين حتى كملت تعشيرات جند الشريف، وفرغت بطون بنادقهم، وأسرعت جنود الإمام على أصحاب الشريف الذي فوق المدفع كأنهم الليوث العوابس، وأخذوا المدفع من أيديهم قَهْراً وقتلوا ثمانية طباشية فوقه صبراً وأسروا واحداً فما كان إلا جولة الجائل إلا والمدافع والرؤوس والأساري بين يدي الإمام وغار الشريف بصولة تهيل العقول، وهو من الكماة الفحول فدفع الله شره وكفاهم أمره، ووضعوا عليه سهام الرصاص فأصابته ثلاث رصاصات فوقف في مكانه في المعركة ولا يعلم بما فيه أحد من أصحاب الإمام، ودارت عليه خيلَ الإمام وهو يدافعهم، ولا أمكن يقاربه

---

(١) ابقا.

(٢) هو سعيد بن سلطان بن أحمد البو سعيدي سلطان عمان وليها بعد مقتل والده سنة ١٢٢٠ توفي سنة ١٢٧٣

(٣) هي ما تعرف الآن بمسقط.

(٤) العربة. محرف من الجاري.

أحد منهم لعلمهم بشجاعته وفروسيته، ولو علموا أنه قد أصيب لأسروه في تلك الحالة، ولكن ظنوا أنه يدافعهم حتى يتمكن من فرصة يريدها، وأصيب فرسه وأركبه الشّريف الحسن بن محمد على فرسه، وانهزم الحسين لما فيه من الشين فانهزم لهزيمته كل من ثبت من قومه حين نظروا إليه منهزماً ودمه يسيل، هذا وقد غارت جنود المتوكل كالليوث العابسة والأسود المفترسة وأحاطوا بجند الشريف وأخذوا أسلابهم وأسلحتهم، وأزوادهم، وخيامهم وزال ما كان بهم من الرِّيب والخوف والوجل لما هبَّت عليهم رياح النّصر والسعادة والإقبال، ولما نظروا أصحاب الشّريف إلى هزيمته داخلهم الخوف والوجل/والفزع والجزع والفشل، ولم يسعهم غير الفرار وولُّوا الأدبار، وتبعهم جند المتوكل، فقتلوا وأسروا وغنموا ما عليهم، ولم يفلت منهم إلاَّ من هرب وتفرَّقوا شذراً مذراً ولا يعلم الأول ما عند الآخر، وثبت مع الشريف الحسين بعض من الأشراف ومواليه وعبيده، وقليل من قبائل ذو غيلان حتى حملوه إلى القطيع، وقد أثخنته الجراحات قيل أن بعضها في فخذه وواحدة في عجزه، وكمنت ولم تخرج وقيل أنه ركب على الفرس الأولى(1) فأصيب، وركب على الثانية فأصيب، حتى سقط على الأرض، ثم ركب الثالثة وقيل على حمار، وقيل على فرس، ولولا إشتغال جند المتوكل بجمع الأسلاب، وثارت(2) عليهم شهوة الانتهاب، وجمع الأسلاب ما أنفلت الشّريف ولما علم الإمام أن الشّريف ما أسر ولا قتل تبعه إلى القطيع لعلمه أنه بَطَل، وأحاطت جنود الإمام بالقطيع كإحاطة (3) السور بالدور والنطق بالخصور، وتبعوا أصحاب الإمام من هرب في الجهات الأربع شرق وغرب وشام وعدن، ومن لفي (4) بأحد منهم أخذ ما عليه وهو كالشاة في يد الجَزَّار، ووقع على المهزومين الذلة والمسكنة والرّعب والريب على الهاربين إلى (القطيع) حتى أن البعض من أصحاب الإمام كانوا يصلون إليهم وينتظرون وصول الإمام ويظنّون أن الذي قبلهم في القطيع هم منهم لكونهم فشلوا ما زِدْ صدر منهم شيء إليهم، ولو تبعوا الشّريف من أصحاب الإمام، ولو نفر يسير من القوم المجاهدين الكماة لاستولوا عليهم وعلى القطيع، وبعد غروب شمس ذلك اليوم، يوم السّبت ما شعر أصحاب الإمام إلا بالرِّمي

---

(1) خ الأولا.
(2) خ ثارة.
(3) خ كاحطت.
(4) لفي قابله في الطريق.

بالبنادق من قلعة[1] القطيع، وقد زال ما بهم من الرّيب فعجب الناس لأنهم أخبروا بموت الشريف والناس اشتغلوا بالنهب ورؤوس القتلى والأساري، وكان كل من وصل برأس قتيل، قال: هذا رأس الشّريف، وبعد سماع البنادق أمر الإمام بزيادة الاحتراس على القطيع ليلاً ونهاراً، ويوم ثاني أرسل ببعض الرؤوس والمدفع فليفل إلى صنعاء، والبعض فرّقها في الأقطار، وكان لذلك موقع عظيم وضربت البشائر ثلاثة أيام، وأوقدت النّيران في رؤوس الجبال، وكانت هذه الوقعة من أعظم العبر لمن اعتبر. وإذا نزل القدر عمى البصر وهكذا الكبر عاقبته الذل والصغر فقد أكبر إلى غاية وسيأتي عاقبته والنهاية.

ولما استقر جأش أصحاب الشريف ونظروا إلى ما في القلعة من الأموال المجموعة للتّجار وإلى ما حلّ بهم من البوار وإلى خزائن الشّريف، حفظوا أنفسهم في القلعة، ورموا كل من وصل إليهم وأحرقوا العشاش[2] الخارجة في (القطيع)، ودخل بعض أهل القطيع السّادة القلعة وهرب بعض إلى (المراوعة) والشريف مثخن بالجراحات الواقعة لكنه يمنّى من عنده بالأماني الفاسدة ويعدّهم بالهبات[3] الجزيلة، ويوهمهم أنه قد طلب قبيلة من يام ،وقبائل الحجاز والشّام ولم يزل يتلدد[4] نحو الشّام ينتظر الغارة ولسان الحال ينشد:

فما لك والتلدد نحو نجد   وقد غصّت تهامة بالرجال

وكيف يمكن الغارة عليه بعد هذه الوقعة التي كوقعة بدر الكبرى والإستيلاء على القوم غنيمة وقد شاع ذكرها عند العباد، وسمعها من في أقطار البلاد (شعراً):

وسارت مسير الشمس في كل بلدة   وهبت هبوب الريح في البر والبحر

ومن المحال جبر الزّجاج بعد كسره وعوده كما كان في مبادىء[5] أمره واستمر الحصار من عاشر محرم إلى آخر صفر، وصبر من في القلعة صبر الجياد، وكله ولا مقاسات المدافع إليهم والجيف من الميتات المواشي والأوادم[6] وبعد كتب بعض

(١) خ قفعت.
(٢) جمع عشه وهي منازل تصنع من سعف النخيل.
(٣) خ بلهبات.
(٤) يعاود النظر الكرة بعد الكرة.
(٥) بادي أو بدايات.
(٦) جمع آدمي معروف.

من في القلعة إلى حضرة المتوكل وخرجوا إلى عظيم عفوة إرسالاً، خرج أولاً من عند الشريف ذو حسين، ثم البعض من ذو محمد، ثم السّادة أهل القطيع وذراريهم، وبقي عند الشّريف ووقع الاحتزاز والتحري لا ينفلت الشّريف مع الذي خرجوا، وكان في ذهنه الهرب متعذر، وأين المهرب، وبذل في ذلك أموالاً جمة لمن يحمله، فلما لم يتم له حيلة ضاق بمن في القلعة الخناق، وأيقنوا بالموت والفراق، فطلبوا من المولى الأمان، وخرجوا إلى كريم عفوه وصفحه والإحسان، وبقي الشّريف عند قبائل خوّلان هذا، وقد طلب الإمام التوابع وأميرهم من صنعاء المحروسة، فأجابوا داعية وبادروا إلى مناديه، واجتمع منهم ألف مقاتل، وقد تقدم الخروج في أعراضهم حيث تأخروا عن الغزو مع الإمام حتى خرج، وطلبوا المغلّبات وسارعوا في المسير، فلما وصلوا لقيهم إلى الطريق، ووصلوا بأهبة عظيمة، وبالغوا في الأرجاف والتّهويل لما بلغهم أن القبائل قد أضمروا الخداع، وبيع الشّريف بالمال وإبلاغه ما منه، وهذا غير مستنكر من القبائل، ولقد أجاد الشّيخ علي حميدة وأصحابه، ولولا قيامهم وعنايتهم في الاحتفاظ بالشّريف والصولة على القبائل لمآرب في نفوسهم، والنظر في عاقبة الأمور لوقعت من القبائل الخديعة والمكر والخيانة كما هو دأبهم، ولما نظر القبائل ومن في المطرح إلى التوابع، وعرفوا نصيحتهم وقيامهم بطلت عليهم الضمائر، وسلموا الشّريف إلى الإمام فضرب له قبة إلى جنب قبته، ولم يغيّر عليه شيء بل أنه وصل بخدمه ومواليه وسلاحه وخيله، إلا أنه محفوظ أشد الحفظ، لا ينفلت، وقد كان وقع صلحه في حال الحصار على أنه يسلم إلى الإمام المخا وزبيد وبيت الفقيه وللشّريف الحديدة وبقية البلاد، وقد كان أسعد الإمام إلى ذلك ووقع المكر من الشّريف، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، وذلك بأنها كتبت القاعدة في الصُّلح، ورفع الشّريف عماله، وتبعتهم كتب أنهم يحفظوا البنادر، ولكن فعل ذلك ليتخلّص من الحصار، وتوجّه الرتب إلى المدائن، فلم يفتح لهم منها غير بيت الفقيه، وأما زبيد والمخا فتغلب عليها العمال لما ذكر، وظهرت خيانته بسبب القبض على رسوله، والإطلاع على كتبه، فنقض الصّلح ورجع الحصار، كما كان وبعد تسليم الشّريف ووصول التوابع، استولى الإمام على ما في القطيع، وقسم المستحقة لبيت المال بين المجاهدين، وضمن للتجار بما ذهب من أموالهم مماحصل لبيت المال من تهامة، والشّريف الحسين مضمر الشّر ولا يعلم بأنها أحاطت به ذنوبه وظلمه الرعايا والكبر والعجب، كما قيل شعراً:

نؤمّل آمالاً ونرجو سلامة فتدركنا آجالنا فنموت
وما هو مكتوب عليك فكائن وما هو مكتوب فليس يفوت

ولما عزم الإمام على الرَّحيل من القطيع لفتح زبيد والمخا/لما بلغه أن رتب الشَّريف لم رضيوا[1] يفتحوا للجند وجَّه التَّوابع إلى زبيد وتوجه في أثرهم ودخل بيت الفقيه والشريف معه تحت الحفظ، وأقام فيه لإصلاح الأمور، وعَمَّل عليه الأمير توفيق الدّنوة وألزمه الإشفاق، والرِّفق بالرّعايا وتوجَّه زبيد وفتحت له، ودخلها وجنده وعَمَّل عليها سيدي الشرفي الحسين بن المتوكل أحمد، وهو نِعْم الكفؤ وبعد فتح زبيد حصل التساهل في حفظ الشَّريف الحسين بن علي حتى صار في يد قبائل ذو حسين، وتبعوا بعد الإمام من بيت الفقيه إلى زبيد، وطرحوا خارج زبيد في البيشية وأقام الإمام فيها إلى آخر شهر ربيع أول، وتوجَّه نحو المخا ببعض الجيش وذو حسين باقيين في زبيد والشَّريف لديهم والإمام مصطحب السلامة منهم ولا يعلم أنهم العصاة ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولما أشرفت راياته على بندر المخا وخفقت بلاده تلقاه أهلها بالسمع والطَّاعة، وخرج إلى لقائه التجار والمشائخ، وصالحوا الرُّتب القابضين لأدراكها من عند الشريف على شيء من المال، وسلموا الأدراك، ودخل المولى المتوكل دخله ما قد دخلها أحد قبله، ولا يزد يدخلها أحد بعده من باب الشاذلي، وغزلت[2] المظلة وقبض أدراكها وقرر أمورها ورتبها وكتابها، ووصل إليه الفرنجي الذي كان يتَّجر في البندر، وقرره على عادته وأمنه، وأمر بترتيب مدينة حيس، وأقام في المخا إلى سلخ ربيع آخر، والأمور منتظمة والبلاد صالحة، وجعل عِمَالة الزَّيدية بنظر الشيخ علي حميدة، ولم يبق في يد الشَّريف الحسن بن محمد غير بندر الحديدة، وبندر اللُّحية، وفي حال بقاء الإمام في المخا جاءت الأخبار أن الشمالحَة منعوا، وعقدوا الخلاف، فغزاهم الإمام ببعض الجند من التَّوابع والفرسان إلى موضع إسمه (الحكم) وهم آمنون، فصالحهم الإمام واستولى على بلادهم وبيوتهم ومساكنهم، وانتهب الجند مواشيهم وأسلحتهم وحليّهم وأمتعتهم، وقبض على مشائخهم، وقتل خلق كثير، ورجع إلى المخا مؤيداً منصوراً وكان لذلك موقع عظيم.

وفي نصف ربيع وقع خسوف قمري واستمر خمس ساعات، وقال أهل الفلك: أن لذلك حادث يحدث، ونحن نقول بخلاف ذلك كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ: أن ذلك الخسوف والكسوف الشمس والقمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد ولا للماته وإنما يخوف الله به عباده فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا

---

(١) أي لم يَرْضو من الرضاء (معروف).

(٢) دارت كالمغزل.

فما أضعف عقول من يقول أن النجوم لها تأثير، ولما كانت الدنيا دار كدر وامتحان لا يصفو عيشها لإنسان وقد جرت عاداتها أن إقبالها يتبعه إدبار وصفوها أقدار وحلاوتها أمرار وأنها سريعة الإنقلاب والاغتيار.

وبعد صلاح الأحوال وبلوغ النهاية والكمال للمولى المتوكل ظهر عليه النّقض والإنحراف من جميع الأطراف (شعراً):

إذا كنت تبغي العيش فاقنع بواسط فعند التّناهي يقصر المتطاول
توق البدور النقص وهي أهلة ويدركها النقصان وهي كوامل

فأول خلاف ظهر/بسبب إخراج ابن حامد وكيل الشريف الحسين على خزائنه وأمواله من حبس الإمام ومصالحته بنزر من المال، ولو بقي في الحبس حتى تتمهد أمور تهامة لكان الصّواب والذي توسط بخروجه عند الإمام هو من الذي لا خير فيه، وثانياً: خروج الشريف في أيدي ذو حسين حتى يسلم ما هو لهم عند الإمام يسلمه المتوكل وإنما هو على جهة الرهن وهو الوهن [ورأس الخلل بقاء الشريف في تهامة حتى قبضوه القبائل فيما هو لهم من عسكره، وقد أشار علي حميدة وغيره على الإمام بإرسال الشّريف صنعاء، وكان فيها النصر قطعاً، ولكن الحذر لا ينفع المقدور، والكبر والعجب هذا عقباه لأن قصد الإمام يبقى معه في كل محل لرؤية الخلق، فكان فيها النّجاح ولولا بقاء الله أن الإمام وأصحابه ذهبوا بسبب غدر البغاة لا رحمهم الله][1] ثالثاً: معاملة عامل بيت الفقيه الشيخ أبكر شرف بما لا يرضي به الإمام، فبعد خروج بن حامد من السجن وهو من الأسارى في وقعة القطيع! عقب الإفساد والفساد وإخراج الأموال من خزائن الشّريف، وأمر مصلح صالح الشايف يبث الفساد في تهامة، ويسعى إلى عقال القبائل ومشائخ البلاد بالأموال والنّاس أبناء الدرهم والدينار، لا ينظرون في العواقب فأحاطت به أعماله حتى أوقعته في الهلاك قبل بلوغ الأمل، ونقل خبره إلى سيدي الشرفي الحسين بن المتوكل أحمد عامل زبيد بأنه بات في الجّراحية بالقرب من زبيد، فأرسل إليه عصابة من التّوابع لضبطه فوافقوه في المحل الذي بات فيه، فلم ينضبط فقتلوه أشرّ قتلة ورجعوا إلى زبيد بعد قتله، وبعد ذلك والبغي من أصحاب الشّيخ أبكر شرف الذي كان عاملاً في بيت الفقيه، وقع منه المعاملة لمن تحته بما لا يرضي فنكفوا منه، وقطعوا الطريق في المطاحن، وانتهبوا جماعة من أصحاب الإمام وحمولة لبعض الجند، وقتلوا جماعة وأخافوا السبيل،

---

(١) من هامش المخطوطة.

ومع بعد الإمام في المخا، وضعف عامل بيت الفقيه، وقع السكوت عنهم فسَرَى الفساد والبغي في البلاد، وكان الشيخ علي حميدة محاصراً للحديدة حين خروج ابن حامد من السجن، فبذل الأموال وطلب قبيلة يام والمكارمة، فخرجوا بأجمعهم والشَّريف الحسن بن محمد في بندر الحديدة، وقد أمر أصحابه بانتهاب المدينة لظنه بالإجلاء عنها وعدم المراقبة لله، ولما وصل يام إلى قرب الحديدة رجع الشيخ علي حميدة باجل، وقد وقع بينه وبين من تقدم من يام حروب ورجع وطنه، وخرج الشَّريف الحسن بن محمد بمن عنده إلى المراوعة ينتظرون وصول يام، حتى وصلوا وأفاض عليهم من الأموال الذي جمع الشريف الحسين، وعقدوا الرأي على تخليص الشريف من يد ذو حسين الذي في البيشية خارج زبيد فصالحوهم على ألوف مؤلفة[1] وخانوا أمانتهم ونكثوا عهدهم وذمتهم، وفرحوا بالعاجل، ونهض الشريف أحسن بن محمد من المراوعة بيام، حتى وضعوا محاطّهم هنالك في الحما، وأقبلت إليهم القبائل العبسية والزرانيق، وأقاموا سَبْعة أيام في الحما خارج زبيد، والتساهل والتراخي وعدم الاحتراز كائن من عامل زبيد لزعمه أن البلاد في يد الإمام، ولا يعلم إن قد قلبت لهم البلاد ظهر المجن، وقد انحرفت قلوب الرَّعية، ومع قرب مطرحهم، من مطرح ذو حسين كلهم حول زبيد، استخلصوا الشَّريف وسلم لهم الشَّريف الحسن ما ضمن لهم من المال، وسلموا الرتب الذين في زبيد بالمال، وهم الذين كانوا في رتبة في المخا وبعض رتبه الشريف الذين كانوا في زبيد من قبل سحار وحاشد، فخادعوا البعض من أصحاب الإمام، وأضمروا المعونة للشريف وعقدوا الرأي على دخول يام من باب سهام، ودخلوا المدينة في شهر جمادي أول عنوة، واستولوا على جميع المدينة وخروج الرُّتبة من باب النخل، واصطلم الشَّر البعض حاشد في باب الشُّبارق وأفظعوا في النهب والقتل في أهل المدينة وفسقوا وقتلوا ونهبوا، وسبوا المحصنات عليهم غضب الله بما فعلوا/وانحصر العامل وأصحاب الإمام ومن هرب من المدينة في القلعة، وقتلوا من الأعيان والعلماء سيّدنا العلامة الحافظ محمد بن علي العمراني[2] الصنعاني، كان مقيماً في زبيد من أيام المهدي عبدالله، فلما دخل البغاة المدينة قاتل دون أهله وماله وقد قَتَل منهم كثير، واستشهد رحمه الله وختم الله له الخاتمة الكبرى، وقتل معه من أخلاط

---

(١) خ ما الفه.

(٢) هو محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شائع العمراني من العلماء الأجلاء ولد سنة ١١٩٤ وتلقى علومه على يد العلامة محمد بن علي الشوكاني وغيره وله مؤلفات كثيرة منها: شرح سنن ابن ماجه وغيره توفي سنة ١٢٦٤ قتلاً كما هو مشار إليه هنا (انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٧٢).

النّاس خلق كثير رحمهم الله، ولم تزل الرِّماية بالمدافع والبنادق من القلعة إلى المدينة، ومن المدينة إلى القلعة مدّة شهر وأصحاب الإمام ما زالوا ينتظرون الغارة من الإمام، ولما بلغت الأخبار إلى المخا، توجه الإمام بمن عنده من خولان وأرحب إلى حيس، وقد تقدَّم من أهل حيس البغي بقطع الطريق، ونهب الحمولة، وقتل بعض المسافرين بسبب ما وقع من خولان إليهم، وضابطه على الحملة أن رأس الفساد وخلاف تهامة وما صادر[1] الإمام وأصحابه بقاء الشريف في تهامة نلو وقع إرساله إلى صنعاء المحروسة انقطع اليأس، وما تغير من الأحوال شيء، وقد أشاروا على الإمام بذلك، ولم يسمع ما هنالك، وكل ذلك الكبر والعجب من الجميع، فالشريف أكبر وصار فيما صار، والإمام أكبر بعد قبض الشريف وبنا من نفسه يلوي[2] به على تهامة في النّعش ليصير عبرة للناظر[3] فوقع ما رقم، وكل ذلك قد سبق، وما ينفع حذر من قدر، ولما وصل الإمام حيس لم يقف فيها أحد من أهلها إنما ألقوا عصاة الهرب وحملوا أثقالهم وأولادهم إلى بطون الأودية ورؤوس الجبال، واجتمع المقاتلون إلى الجراحية والمشالحة، وحالوا بين الإمام وزبيد، وقطعوا السّارح والرايح، وفقد خلق كثير ومكاتبة أيضاً وكان بين حيس وزبيد الموت الأحمر، وأرسل الإمام لولده سيف الإسلام سيدي غالب وذو محمد من تعز والقاضي يحيى الأرياني في ذهنه يغير هو وهم على المحتازين[4] في زبيد، وما عاد عنده إلاّ شرذمة يسيرة والبلاد قد قلبت، فلولا دفاع الله لو ثبت على الإمام أي قبيلة كانت من البغاة وكانت القاضية، وصار في حيس بمن معه محتازين، وانقطع عليهم كل شيء، حتى وصل الشّيء اليسير من المأكول بعشرت[5] أثمانه، والدجاجة بريال وصادروا مصادرة شديدة وأيسوا من الحياة، وأيسوا من في زبيد، فمن له في نفسه ومن عنده. فلما وصل سيدي غالب وذو محمد عاذلهم الإمام بكل ما فيه الخير والصلاح، وكل ما يريدوا من حطام الدنيا وإذا قد في ذهنهم ضبط الإمام وابنه ويسلّموهم للشريف بمال كبير، ودارت بينهما هم والشريف المكاتبة، وبذل لهم الشّريف أضعافاً مضاعفة مما سلمه في نفسه لذو حسين حتى أجابوا على الشريف أن

---

(١) كذا في المخطوطة.

(٢) يدور. من اللّوي وهو اللّي (معرف).

(٣) خ لناضر.

(٤) المحاصرين. من الحوزة.

(٥) كذا في المخطوطة وكأنه يريد أن يقول بعشر أضعاف أثمانه.

ذو حسين باعوا أمريكني[1] يعنون الشريف أنه أمريكني واحنا شانبيع بز أبو حلقة[2] وصمّموا على [أن] يبيعوا المتوكل على ذلك، فلما فطن الإمام دعا أحمد بن صالح ثوابة كبير ذو محمد، وجعل له قطعة يريم وبلادها وجميع ما سلّموه المحابيس الذين في ناحية بلاد يريم، وكانوا مشايخ كثير فنظر أحمد بن صالح ثوابه إلى ما شاء يسلم الشّريف من المال العاجل، وإذا هو سيفني في أسرع وقت، ونظر إلى ما أقطعه الإمام، وإذا هو شاء يبقى في ذهنه الشقي إلى آخر الدهر، وما يعلم ما يأتي به اليوم الثاني، ولأن الدنيا كادت أن تكون دار جزاء والعقوبة من جنس الفعل، فأمر الإمام بالشّداد ولا يعلم أحد ما قد فعل هو وثوابه، وظنوا أنه سيغير على من في زبيد فقصد طريق (ربوع المقطع) أو المقصع/ودبيه والفلج، حتى ارتفع إلى يريم بعد هول أهْوَل من ذو محمد في الطرق، حتى كانوا ينهبون أصحاب الإمام في الطريق، وهم في حال السّفر خُبْره[3] في المساء والصباح، وأخذوا الشداد والسُّفر، ومن تأخر من أصحاب الإمام أو تقدم نهبوه ذو محمد جند الإمام، فما وصلوا مدينة يريم إلا بشق النفس، وقد كان أيسوا من الحياة الإمام وأصحابه، فلما وصل الإمام يريم أرسل لجميع القبائل المجاورين لها (الرياشية) و(صباح) و(الأعماس) و(عمار) و(عنس) و(خبان) يصالوا[4] إلى حضرته بأسلحتهم فوصلوا، فأول أمر طرد من في المدينة من ذو محمد إلى البر وطلب محبوس من وصاب الشيخ حزام شغاف يسلم شيء من المال يستفدي نفسه، ويخرج لأنه من المحابيس فَجَوَّب[5] على الرسول: الله يعافي النقيب أحمد صالح ثوابه في ذهنه الشقي إن قد هو قطعه وقد تبج لهم وفي أمانة ما عاده للإمام فأرسل له الإمام إلى تحت طاقته وضرب عنقه، وأمر أحمد صالح يصال إلى الحضرة فوصل يتشدق بالكلام فأمر به وقبض عليه وألبسه الحديد من ساعته وما خرج من عنده إلّا ونظر إلى حزام شغاف مقتول، فضاقت به الأرض وندم على ما كان منه حيث لا ينفع الندم، وأراد أصحابه يُخْربوا المدينة يريدوا إخراج صنمهم أحمد بن صالح فأمر تلك الأجناد بالخروج عليهم، فخرجوا لهم آلاف مؤلفة طايروهم في كل نجد فمنهم من نزل اليمن، ومنهم من طلب الأمان من الإمام ويرجع بلاد المشرق، وتوجه الإمام ذمار وأحمد صالح ما سور في يده وأمرهم

(١) نوع من البز يلبسه الفقراء.
(٢) كأنه نوع من البزور الفاخرة في ذلك الوقت.
(٣) زملاء. وهذه اللفظة أصلها من اللُّغة العبرية.
(٤) يصلوا.
(٥) فأجاب.

بحفظه، ورجع صنعاء ودخلها يوم الأحد ثامن عشر جمادي آخر.

وفي رابع وعشرين جمادي توفي القاضي يحيى بن علي الارياني وقدم على ما قدم.

هذا خبر الإمام المتوكل.

وأما خبر تهامة والشريف فإنه لما دخلها يام فعلوا ما ذكرنا من الفجور بالمحصنات والنّهب والقتل، وكان القتلى منهم ومن سحار قيل أربع مئة وقيل سبع مئة لأن الذي في القلعة قاتلوا قتالاً عظيماً حيث لم عادهم مظنين السلامة، ولما أيسوا من الغارة من الامام حيث لم وجد ناصراً اصطلحوا وخرجوا بأسلحتهم لا غير، في سلامة رؤوسهم ومن كان عندهم من أهل المدينة، حتى وصلوا حدود ريمة، ولما علم عامل بيت الفقيه الأمير توفيق بذلك، فعل كما فعل من كان في زبيد، وزِدْ سلموا شيء من المال الجميع، وتركوا جميع الأثقال وخرجوا كل واحد كيوم ولدته أمه من الفقر والاياس من الحياة فلا قوة إلا بالله، وهذه كلها مخادعة البغاة وبغيهم على الإمام فلو أقاموا الشجرة لأكلوا الثمرة، لكنهم قطعوها فقطعهم الله لا رحمهم الله.

ولما استقر أمر الأشراف في تهامة صاحوا بالأمان لأهل زبيد، فرجعوا جميع، وقد كان ذهب ما يملكون وبقي معهم ما نقلوه معهم وما دفنوه في بيوتهم وآبارهم، فلما استقروا بأهلهم وشرعوا يتسببوا[1] وأخرجوا دفائنهم أهدروهم الأشراف والبغاة مرّة ثانية، وقتلوهم ونهبوهم، وفجروا بنسائهم أصابهم الله كيف فعلوا وما ذنب هؤلاء الضُّعفاء، وكيف هذه المدينة العظيمة محط رجال العلماء والتُّجّار، ومربع الوعاظ والقضاة، ومحطّ الواصلين الذين للعلم طالبين، ومحل الصّناعات ومعدن المجلوبات النّفيسة والنّخيل ثمارها والزّهور رياضها والأنهار في جوانبها ريح المسك في أزقتها/ ذارية والغيد الحسان وبدورها كل مخلد من الولدان «وهذه المدينة اختطها عامل المأمون بن هارون الرشيد وأمر ببنائها وهي من أحسن المدائن في المخلاف السليماني (كذا) فوا أسفاه علي مثلها حين ينتهي حالها إلى هذا ويا كرباه على من هتك من العلماء والزهاد والأدباء والحكماء والوعاظ إلى الرشاد وهذا امتحان من الله لأوليائه وهلاك لأعدائه وحسن خاتمة للشهداء»[2].

---

(١) يدخلوا في الأسباب المعيشية.

(٢) هنا استطراد للمؤلف حول الوعظ والحرمان ونحوه

رجعنا إلى ذكر وقعة تهامة:

وبقي المخا في يد مولانا الإمام وفيه الخلاصة من التّوابع وقبائل يام إلى شهر رجب، وخرج البعض، وبقي الأمير فتح محمد، وخمس مئة توابع ووصل الشّريف الحسن وحاصرهم، وابتاعوا له بشيء من المال، وخرجوا في رمضان وركب الأمير والكتّاب وخرجوا إلى لحج ويام، رجعوا زبيد عند يام قبيلتهم والكلام بينهم.

وفي جماد آخر قبل تفريغ المخا بل وصول الإمام صنعاء، جاءت أخبار من صعدة بأن السيد أحمد بن هاشم الويسي[1] الكوكباني دعا إلى نفسه وتلقب بالمنصور، وأجابه من رذاذ الناس جماعة وقد بلغت قبل التاريخ ولكنها شاذة.

قال المصنف: وأنا نقلت ما قال برمته[2] ولا وجه لهذه الدّعوة وشقّ عصا المسلمين وإنما خيالات وأطماع وعقول ضالة لا ينظرون في العواقب ولا يميزوا بين الخطأ والصائب، وإنما وقع التّمالي بين جماعة من الطلبة، وبعض الفقهاء على الهجرة من صنعاء محل الشّريعة القائمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى بلد قد ظهر فيها وفي جهاتها الطّاغوت وما نقلت إلاّ ما وجدت من غير زيادة ولا نقصان، ولكن للتبيان أفهم ولا تظن بي السوء/وظهر الفساد حتى انتهى إلى روضة حاتم والسّبب وصول التوابع من المخاء فعاتبهم الإمام على البيعة وترك الأثقال والخيام

«وعلى ذكر الوعاظ: قيل أنه جلس نحوي إلى جنب واعظ يعظ فلحن الواعظ فقال النحوي: أخطأت ولحنت فقال الواعظ: بديهه أيها المعرب في أقواله اللاّحن في أفعاله لأجل ضمة رفعت وفتحة نصبت وجرة خفضت ووقفة جزمت هلا رفعت إلى الله يديك في جميع الحاجات ونصبت بين عينيك ذكر الممات وحفظت نفسك من أتباع الشهوات وحزمتها عن ترك المحرمات أما علمت أنه لا يقال لك يوم القيامة لم لا كنت فصحاً معرباً بل يقال لك لم كنت عاصياً مذنباً ولو كان الأمر كما ذكرت لكان هارون أحق بالرسالة من موسى حيث قال الله: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ فجعل الرسالة في موسى لثبات جنانة لا لفصاحة لسانه انتهى. والحق مع الواعظ لله درّه وما روي عن العلامة الزمخشري محمود بن عمر المعروف بجار الله أنه وقف على خباز في أيام جدب وقحط وظن أنه سيرى له حق لجلالة قدره فلم يقبل منه حتى سلم له الدراهم فقال شعراً:

عرضت على الخباز نحو المبرد ... وكتباً حسان للخليل ابن أحمد
وروْيا ابن سيرين وخط مهلهل ... وتوحيد عمرو بعد فقه محمد
وأنشدته شعر الكميت وجرول ... وغنيته لحن الغريض ومعبد
وما نفعتني دون أن قلت هاكها ... مدورة بيضا تطن على اليد

(١) أحد الأئمة وسيأتي ذكره.
(٢) يعني المؤرخ أحمد بن عبد الله الحرازي وناقل هذا التاريخ هو أحمد بن عبد الله الزبيري.

وفسح[١] لهم من العسكرة وأخرجهم من البيان[٢] فصاروا يعاقدوا البغاة من كل قبيلة من الحواز وتحكموا على المخترفين[٣] في الروضة من أهل صنعاء، ونهبوا وفعلوا كل قبيحة وعضّدهم أرحب وبني الحارث، وكل من في قلبه مرض، وطلب الإمام القبائل وقدم عليهم إلى الرّوضة ولم يتم شيء بل ازدادوا عتواً ونفوراً وهذا مما ذكرت لك أنهم قلعوا الشجرة ولو أبقوها وساقوها لأكلوا من حلو ثمارها.

وفيها خرج سيدي حسين بن المتوكل داعياً إلى نفسه في بلاد ذمار في (رَخَمة) وارتفعت المطارح من الروضة وأميرهم أبو زيد بسبب دعوة سيدي حسين، وكان سيدي حسين والياً على بلاد يريم، وعضّدة البغاة الذين في اليمن بسبب أحمد بن صالح ثوابة الذي في حبس ذمار، وما مقصدهم إلا ذلك وأكل أموال النّاس بالباطل ما يريدواالحق، وبعد الدعوة نهض لمحاصرة مدينة ذمار وعضّدة الجرادي علي مثنى الذي وقع به الإمام سابقاًوقبائله وطرح سيدي حسين في منزل ذمار فوق الغيل، وقطعوا الطّريق ووقع بينه وبين أهل ذمار حروب، وسقط قتلى من الفريقين، واستمر الحصار إلى عشر ذي الحجة ونقل سَيِّدي حسين إلى المواهب، وفارقه من كان عنده من كل بلاد لرجوعهم بلادهم للعيد.

وفي ثاني الغدير تقدّم سيدي المولى المتوكل على سيدي حسين إلى بلاد ذمار وسلك طريق جهران وأقام قليل من رصابة وسلك ضيق (قعوان) وطريق درب ذمار، وكان في الدّرب علي مثني الجرادي وقومه، فلما نظر المتوكل متوجّه نحوهم، ما وسعهم إلا الفرار ورتبه المولى، ودخل ذمار يوم الأحد ٢٣ الحجة وعند وصوله طلب رأس الفساد أحمد بن صالح ثوابة إلى خارج الحبس، وعاتبه فيما جرى منه من قبيح أفعاله، وأمر بقتله فوضعوا فيه السّلاح أصحاب الإمام، وقتل شر قتلة لا ضربت عنقه ولا رمية بندق وهذا حال من خان إمامه وكان لقتله في قلوب الناس رهبة لتجبّره ومكره وخدعه وسطوة سيدي فيه.

ولعل عامل ذمار أحمد بن حسين العنسي، قد كان إلى سيدي حسين وكاتبه، فما وسعه غير الهرب، هذا ما كان من خبر الإمام وسيأتي التمام بما تحب.

وفي صنعاء أخرج الوزير أبو زيد من خزائن بيت المال الكبريت والرصاص

---

(١) فسح له: أعفاه عن الخدمة، أو أذن له.

(٢) كشف المرتبات.

(٣) المصطافين من الخريف (معروف).

وباعه في السوق بأبخس الأثمان، وضمّ إلى القيمتين ما حصل من خراج الحواز، وأرسلها للمولى للجهاد، وقد بلغ الضعف في بيت المال غاية ولا زالت العمائر في صنعاء في الدوائر من اثنا قيامة إلا أن[1] لا قد كان هدمت جدًّا فجدد هادمها من المواثر[2] إلى الشرفات فجزاه الله خيراً، ونفقات العهد والمقررات مستمرة لم يقصِّر على أحد مما يعتاده من الخلفاء السابقين شيئاً ولم يكلف أهل صنعاء بشيء من المشاق ولا على التجار وعلى أهل الأسواق ولا أهل الحرف كمن مضى.

ودخلت سنة ١٢٦٥:

وخرج على أهل الحدا وطرح في نوبة ووقع قتلى وفعل الإمام عليهم شيء من المال ورجع ذمار وأما سيدي حسين بن المتوكل فإنه لما وصل المتوكل ذمار وقرّبه القرار فإنه سقط من يده وبطل عمله وخاب أمله وطفت جمرته وفارقه جليسه وفر منه أنسه وصار يمني بليث ويترجى بعسى وفر إلى رخمه قطعة آل المتوكل وتحصن فيها وبقي من رذائل/الناس شيء يسير، ووصل ذو حسين، إلى حضرة المتوكل طالبين معاش فنظرا إليهما فيما وصلوا فيه، ولو فارقهم ونفاهم عدلوا عند الضّرار، ففرقهم عند العمال في الأمصار، وجهّز المقادمة إلى رَخَمة وأمر عليهم الفقيه محمد بن أحمد العفاري، وطَنّبت الخيام حول رَخَمه، ووقع حرب بالنبادق والمدافع لأن سيدي حسين عنده مدفع أخرجه من يريم، وسقط القتلى من الجهتين، وكان يخرجوا من رَخَمه خَرْجة بعد خرجة ويرجعوا منهزمين، فجاؤوا ذو محمد إلى حضرة الإمام وتوسّطوا على دخول سَيِّدي الشّرفي إلى حضرة المتوكل للموافقة في ذمار، فدخل ووقع في عرض[3] سيدي الشرفي من السفلة والسوقه من التّفوه والكلام البذي كما هي عادة الغوغا في المدن، فبات سيدي الشرفي في ذمار بذل وصغار مما تألم من أهل ذمار، وتسلّل الصبح قبل الشروق على غفلة، وترك أصحابه، وصار كما كان لما سمع من ذلك الإيلام، وبقي عنده من الأشرار، وأخذ الإمام عليه المظلة وبدخوله إلى ذمار إلى عند الإمام انقطع عند النّاس منه الكلام، وحصل اليأس عند جميع الناس، واقطع سَيِّدي المولى أولاد أحمد بن صالح ثوابة قرية بضعة في البخاري وهي أحسن قرى البخاري في المخادر لخصبها وكثر مائها وثمرة القات فيها التي تباع بأعز الأثمان، وتوجّه سيدي المولى [إلى] رداع لإصلاح أمورها،

(١) كذا في المخطوطة.
(٢) جمع مؤثر هو الأساس.
(٣) أي نالوا منه بالكلام السيء.

ورجع ذمار وصلح شأن سيدي الشرفي، وشرط لنفسه بقاءه في وادي ظهر، فلما وصل الإمام صنعاء تبعه سيدي الشرفي وتوجه إلى وادي ظهر وقعد في دار الحجر، وعند وصول سيدي المولى صنعاء أمر بتسمير بيوت الذين وافقوا الداعي بصعدة السيد أحمد بن هاشم المتقدم ذكره.

واستفتح الدَّاعي في تلك الديار بلاد كثيرة واشتغل بها وأهل تلك البلاد الصَّعيدة وما والاها يتبعون كل ناعق ويهرولون بين يدي كل سابق لما يعلمون ممن قبلهم إن صعدة محط رحال الأئمة العظماء المتقدم ذكرهم من عند الإمام الهادي رضي الله عنه ومن بعده، وهيهات أن يوجد في زماننا مثل أولئك وإذا وجد وما أظن فما وجدوا أعوان مثل أعوان أولئك فإنما أعوان أئمة زماننا يأتوا قافرين[1] عاريين جاوعين فما قصدهم إلاّ شبع فاقتهم وسَدّ خلتهم، ويخبطوا خبط عشواء، ويوقعوا أمامهم في عَمِيَّة ظلما، ويضاروا عباد الله ويأكلوا مال الله ويتبعوا هوى أنفسهم، فإن وافقهم أمامهم فذاك مقصودهم وإن أنكر عليهم فَرُّوا ونكثوا عهودهم، وبقي حائراً، ويتبعهم نَل فاجر أو خاسر، فأين ذا من ذاك بل أنهم إذا لم يساعدهم شوّشُوا على الخاص، والعام وأدُّوا[2] فيه ما ليس فيه، وقالوا اختبرناه فلم وجدناه لذلك أهلاً وصاروا يدَوِّروا[3] على الذي سيوافقهم على فعلهم الشنيع، وركزوا[4] غيره وشقوا عصى المسلمين، وسفكت بسببهم الدماء، وهذه أفعال المتفيقهين[5] الأشرار وعلماء السوء أهل الضرار[6] والإضرار، هذا وقد فرضنا وجود القائم في زماننا المحق سواء كان هذا المذكور أو غيره، والنَّاس أنمعه[7] وعبدت الدراهم، فلا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم.

وفي ربيع آخر: وقع خلاف من بعض قرى بلاد البستان وخرج أبو زيد بالمدافع، وحط في بيت خَنْبَص وقربوا المدفع إلى بيت رجال، وأما تهامة فتغيّروا وفسدوا، وقطعوا الطَّريق ومنعوا الواجبات وتلاشى أمر الشريف الحسين[8].

---

(١) جائعين. وفي اللغة يقال فلان قفر: ذهب طعامه وجاع.
(٢) أي أتوا بكلام ليس فيه.
(٣) يبحثوا.
(٤) نصبوا.
(٥) مدعو الفقه.
(٦) الضر.
(٧) أمّعه.
(٨) هو الحسين بن علي بن حيدر الخيراتي.

وأما زبيد فتفرّقوا في البلدان بسبب ما نالهم والمدينة كثيرة المصائب فقد انتهبت من حين بناها محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن زياد[1] في سنة ٨٣ إلى التاريخ مرار عديدة وهدم سورها مراراً واحترقت مراراً/وقد ذكر صاحب بغية المستفيد في إخبار مدينة زبيد عدة وقائع وهكذا كل مدينة اختطها العباسية، فكم قد وقع في مدينة بغداد من وقائع الحريق والغرق بارتفاع دجلة نسأل الله اللطف.

وفي هذا الشهر وقع وباء وفناء وتقاربت آجال وهذا يسير بالنّظر إلى السنين المتقدمة وما أحسن ما قيل:

تنفك تسمع ما بقيت بهالك حتى تكون هو
والمرء قد يرجوا الحياة مؤملا والموت دون هو

وفي هذا الشهر وصل عامل حفاش الشيخ محمد الضّلعي تحت الحفظ بسبب ألقى ما ألقاه أهل البلاد إلى الإمام أنه استهلك متحصّل البلاد فأرسل الإمام همدان لضبطه فسلكوا به طريق الفرق بسبب تجمع عيال سريح وأرحب في طريق سارع ليتخلّصوه ولم يتم لهم مرام بل وصل وحبس.

وفي هذا الشهر خرج الإمام يتنفّس في الوادي وبسط شباك القنص لسيدي حسين بن المتوكل وقبض عليه حتى أدخله تحت الحفظ [إلى] صنعاء وحبسه وغلّظ عليه بسبب دعوته في (رَخمه).

وفيها جاءت الأخبار المتواترة أن سلطان الإسلام جَهّز الشّريف محمد عون[2] وتوفيق باشا[3] على أرض اليمن بسبب الشكاة من أهل تهامة الذين ذهبت أموالهم من أيام حصار القطيع ومما عاملهم به الأشراف سابقاً ولاحقاً وقد امتلأت السفن من الأتراك وليس الخبر كالعيان، هذا خبر ما سمعناه والله أعلم ما يؤول إليه الأمر.

ومن العبر: أنها تكاثرت الصّواعق في هذا الشّهر ولم تصب أحد من النّاس إلا أنها وقعت منها ثلاث في دور الإمام (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً).

وفي غرة جماد آخر خرج الشّريف محمد بن عون ومن معه من الأتراك والعرب

---

(١) هومحمد بن عبد الله بن زياد اختط زبيد سنة ٢٠٤ (انظر تاريخ مدينة زبيد ص ٣٩) بتحقيقنا.
(٢) انظر خبر دخول هذا الوالي إلى اليمن في تاريخ المخلاف السليماني ص ٥٢٩ ط أولى و ٤٨٣ ط ثانية وانظر اللطائف السنية ٣١٠
(٣) أي أعلنوا.

من أهل الشام[1] وفتحوا لهم بندر الحديدة، وضربوا[2] للنّاس الأمان ولم يصب الناس ضرر من معرّة الجيش وخيّموا في البريّة وهولوا على الناس بكثرة الخيام والمدافع وطلبوا الأشراف فوصلوا إليهم مذعنين وحفظوهم من حيث لا يشعرون، وطلبوا الشّيخ علي حميدة فوصل إليهم هو وأولاده وليّنوا له المقال وولوه على بعض المخلاف السّليماني وكتبوا إلى سيدي المولى المتوكل يستدعونه إليهم مثل من لديهم فأرسل إليهم القاضي عبد الله بن أحمد بن سعيد العماري[3] لأخذ الحقيقة وأرسل إليهم بنجائب من الخيل وأهدى إليهم هدايا لا يسع حصرها ونفائس وعزم وتلقّاه الشّريف محمد بن عون شريف مكة بأحسن التلقي وأقام عندهم خمسة أيام، ورجع بالجوابات وأتى بعده الشيخ علي حميدة وولده وإثنان من بطارقة الروم إسم أحدهما خرشد والثاني رجب وأمر الإمام وزير الشّيخ أبا زيد بن أحسن آغا والأجناد من أهل الحواز بلقائهم فنظر الأتراك إلى ما يهولهم وعلموا عدم قدرتهم على الإمام وقد كان لاحظهم الطمع، ولما وصلوا صرفهم الإمام إلى بعض منازل دار بستان السلطان وأفاض عليهم واسع الإكرام فأقاموا أربعة أيام في أهناعيش وإنعام وعزما على المسير فجّوب الإمام معهم بما جوّب وأهدا للشريف المظلة المسماة بالجرموزية (من المشاهير الذي لا توجد بين

مثلها وهدايا أخرة وعزم معهما عبد الله بن علي حميدة وأما أبوه فطاب له المقام جوار الإمام، وبقي الناس في هرج ومرج، وقال وقيل والبغاة متوقّعون لزوال البلاد من أيديهم وزوالهم من البلاد مع ما قد أكثروا فيها الفساد ولله في كل بلوى تصريف (شعر):

رب أمر يضيق ذرعك منه   لك فيه إلى النجاة سبيل

وتجهز الوزير أبا زيد بعصابة يسيرة لإصلاح بعض مشايخ الحيمة فلما وصل (بوعان) وافاه سَبْعة أكبرهم وأشهرهم الحاكم السيد إسحاق بن عقيل[4] والسلطان عبده من عقال عسير، وثلاثة أشراف من أهل مكة فأكرمهم ورجع معهم إلى (يازل)

---

(١) هنا هم أهل الحجاز ونواحيها.

(٢) هنا يخلط المؤلف بين المخلاف السليماني جازان ونواحيها وبلاد الحديدة ونواحيها.

(٣) من علماء عصره الأفاضل وهو الذي جمع ديوان الأديب محسن بن عبد الكريم وله كتاب في الرقائق ولم أقف على وفاته.

(٤) هو العلامة إسحق بن عقيل بن عمر السقاف عاش بمكة وشارك في سياسة عصره من مؤلفاته تعطير الكون في التعريف بذي عون توفي سنة ١٢٧٢ (الأعلام ١/٢٩٥).

وباتوا ويوم ثاني صار الحيمة وهم وصلوا حضرة الإمام، وأصلح الوزير عمله بعد مناوشة حرب بينه وبين أحد المشايخ، وصلحت الأمور، ورجع صنعاء، وأمر الإمام من يلقاهم إلى نقيل عَصُر وأرسل بمراكيب من خيل بيت المال، فوصلوا بأهبة كبيرة، وشاهدوا قوّة عظيمة في دولة صنعاء، ومواكب تهيل العقول وتسر أهل المعقول، فلما وصلوا حجرة الخلافة استأذنوا بالدّخول فأذن لهم، وتلقاهم وصرفهم في بعض مفارج[1] بستان المتوكل وأفاض عليهم فاضل الكفايات وعرف مقصدهم وما تضمنته كتبهم، وبعد أربعة أيام رجع البعض، وبقي السيد إسحاق، وقيل وبعد عزم البعض بالجوابات على الشّريف أرسل الإمام كتب الرسائل إلى عقال قبائل حاشد وبكيل وطلب قدومهم إلى حضرته وعادت جواباتهم بالامتثال[2].

وفي غرة شعبان بعد إنقضاء صلاة الجمعة ضربت مدافع الرَّحيل وتَوجّه الإمام بجنوده من التّوابع وهمدان والبعض من ذو غيلان نحو تهامة للقاء الأتراك، وأميرهم الشّريف محمد بن عون، وتقدم السيد محمد بن إسحاق، والشيخ علي حميدة قبل الإمام يخبرون الأتراك باللقاء للإمام إلى باجل حتى يظهر مكنون سرّهم فإن كان مقصدهم[3] القبض على الإمام ولن يسلطهم الله عليه، وإن كان مقصدهم الإعانة له كما زعموا في كتبهم فسيظهر أمرهم، والله غالب على أمره ولا راد لما قضى ولا مبدل لما حكم ولا يحيق المرك السيء إلا بأهله، فلما وصل الإمام إلى حدود تهامة وصلته كتب الشريف والباشا توفيق، ويطلبون قدومه إلى بندر الحديدة وأرسلا إليه بدراهم للجند الذين معه. وبقي في باجل يومين وتوجه إلى الحديدة بمن معه ولقيه العجم، وهَوَّلوا على من صحبه من الأجناد بكثير من الخيل، وظهور القوة وأمروا جند الإمام يحطوا في محل خارج الحديدة، ودخل الإمام وخواصه البَندر واجتمع بالشريف ودَوَّنواالأمور بينهم، ولم يظهر لغيرهم ما انطوت عليه ضمائرهم ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله» هذا ما قدمنا من سيرة المتوكل عملاً متولي السرائر.

وكان إماملاً لا يخدع رعيّته، ولا يخون أمانته ولا ينقض العهد من عنقه ويسلك مسلك الظالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولما فشي أمره وظهر مكره، وقاد الأتراك من تهامة، وظن العافية والسلامة والرياسة والزعامة معه الإقامة

---

(١) المفرج قال الكرملي في بلوغ المرام ٤٣٨ «وهو المنظر لكن النافذة فيه كبيرة العرض وتكون بعرض جهات المكان وهو غرفة جميلة تكون في أعلا طبقات المنزل.

(٢) خ: امتثال.

(٣) قصدهم. أو غرضهم.

في الحديدة/ ست ليال تجهز توفيق باشا ومعه من العجم نحو ألفين على اختلاف أنواعهم، وقيل منهم نصارى ومنهم مجوس، وإن منهم من يظهر الإسلام ولا يعمل فيه إلا بالإسم، وأعماله أعمال الكفار من قطع الصلاة وتحليل ما حَرَّم الله كما أجمع على ذلك من صحبهم وألفهم. وتوترت بذلك الأخبار والله أعلم، وأشعر عند ذلك أصحابه إن هذا الباشا وحده خبرهم سلطان الإسلام لنصرته وإعانته على حاشد وبكيل وشَدّ الباشا الجمع والأثقال والأموال نحو سبع مئة جمل وجَرُّوا إثنين مدافع، وجهز خمس مئة فرس، وأصحاب الإمام يظنون ذلك ولما وصلوا إلى باجل تقدم المتوكل وأصحابه وتأخر العجم وولده غالب وصنوه عبد الله بن يحيى، وسيدي الحمالي علي بن المهدي، وقد أضمر المتوكل أنهم رهائن بالوفاء للأتراك من وقع بينه وبينهم، ولا يعلم سادتي أنهم رهائن إنما ظنهم أنهم يصحبونه في الطريق والأتراك حافظون لهم من حيث لا يشعرون.

ووصل صنعاء يوم عشرين في شهر شعبان من السَّنة المذكورة فرمان[1] عن تشاور بين الشَّريف والباشا والمتوكل وذلك توطئة منهم وتمهيد وتغرير وتلبيس، وأمروا الشيخ أبا زيد يأمر الخطيب بقراءته يوم الجمعة على النَّاس تضمن أن السلطان أمر الشريف محمد عون والباشا بنصر المتوكل، وأن محكم البلاد إلى الإمام والولاية للسُّلطان بواسطة الشريف محمد عون[2] ففطن بذلك أولي الألباب، وبعد ذلك وصلت كتب من المتوكل إلى الوزير والأمراء بأمرهم بتفريغ القصر قصر صنعاء المحمية بالله للأتراك، وأوهمهم أنه يريد حفظهم عن مخالطة النَّاس لنفور الأنفس منهم فترددوا في ذلك وأرسل لعقّال الجند، ومن يرجع القول إليهم بنزر من الدَّراهم المقبوضة من العجم، وأمر بحفظ نقيل عصر من القبائل خوفاً من هجومهم على العجم، وحفظ ذلك همدان وجماعة من حاشد.

وفي يوم تاسع وعشرين شعبان وصل سَيِّدي الإمام صنعاء، وبسط للناس شباك الحيل، وأوهم كل أحد بإيهام على قدر عقله، ويقرب في ذهنه، وكل ذلك ترغيب للنَّاس وتحين لفعله القبيح بوصول الأتراك، وكثرة أموالهم وأنهم من أعوانه على البغاة بالأموال[3] والأنفس، والناس في وجل عظيم، ولكنهم يظنون صدق

---

(١) من الفارسية وهو كتاب السلطان يعطي للولاة ووكلاء الدول.

(٢) هو محمد بن عبد المعين بن عون أمير مكة سنة ١٢٤٣ توفي سنة ١٢٧٤

(٣) خ بل أموال.

المتوكل بوفائه لهم فيما مضى في مدة خلافته، وفيما يزعم لهم فأول[1] مصيبة إخراج من سكن القصر من بيوتهم والتزم[2] بتعويضه لهم في بيوت صنعاء، وتسليم الأثمان لهم وهو مضمر المطل، وخرجوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً.

وفي شَهْر رمضان: والنَّاس في هرج ومرج متوقّعون ما ينزل بهم، ولكنهم ظانين أن الإمام لا يخدعهم ويخون أمانته.

وفي خامس شهر رمضان تواترت الأخبار بوصول الأتراك في اليوم الثاني، وأمر المتوكل النَّاس بلقائهم إلى عصر.

وفي يوم الخميس سادس رمضان أشرفت رايات الأتراك على صنعاء من نقيل وعصر، وكَثَّر المتوكل سوادهم/بقبيلة همدان والبستان وأهل الحيمة، ولقيهم من صنعاء بالأجناد إلى وسط القاع الغربي، وعجب النَّاس من كثرة الأثقال وكثرة الجمال والخيل، واستشنعوا خلقهم ولبسهم، حيث لم يعرفونهم، وبعد اختلاط العرب والعجم، نظر المتوكل في الأصلح لكمال الخديعة، وأمر العرب جميع بدخولهم من باب قاع اليهود، وأمر بتغليق أبواب بئر العزب وصنعاء، ولما دخلت المدينة بأجمعهم يظنون أن الإمام وراءهم، وغلقت الأبواب وأمر العجم بدخولهم من عدني[3] صنعاء حتى يدخلون القصر، وتقدمهم الإمام بمن معه يقودهم إلى القصر، وهم يتبعون بعده ويهوّلون على النَّاس بكثر الأسلحة ورمي البنادق وإظهار الزينة والقوة، وتوفيق باشا متوسط بين الحمولة والرِّجال قد نصبت له مظلة مذهّبة وغزلوا[4] بها على رأسه كما يصنع أهل اليمن للخلفاء[5] وقد لبس من الثياب الفاخرة ما لا يسع بسطه، ونصب العمامة على رأسه، والخدم محيطون به، والخيل الكثيرة تقاد بين يديه وقادهم المتوكل، وأمر الوزير بتأهيب الأطعمة والعلف وجميع ما يحتاجوه، وعقيب وصولهم أمر المتوكل بجرّ المدافع الذي في صنعاء تقاد إلى القصر الكبير والصّغار، وقبض ذلك الأتراك حتى لا يبقى لأهل صنعاء عليهم سلطان، والله غالب على أمره، وضربت الخيام من باب البكيرية إلى قرب باب اليمن، لأجل التَّطويل والتهويل، وفيهن قليل ترك الكثير تفرقوا في القصر، وقد داخلهم العجب والفرح لأنهم ظانين أن ما يملكوا القصر، والناس لا يعلمون أن

---

(١) خ فا أول.

(٢) خ واللتزم.

(٣) الجهة الجنوبية.

(٤) سبق شرح هذه اللفظة.

(٥) خ للخلافا.

الإمام قد سلم لهم المملكة وباع الدُّور وأضمر لرعيته الخدع وباع دينه بدنياه، وظن السَّلامة وأمن مكر الله.

وفي ذلك اليوم نزل الأتراك إلى السوق[١] يشترون ما يحتاجون والعشي[٢] كتب توفيق باشا إلى المتوكل يأمره بتفريغ بستان السلطان وإخراج الأجناد الأصلية منها، فأخرج من في القصر، وأوهمهم بإيهامات يظنّون صدقها، ودفع لهم شيء من المال، ووعد الأتراك إلى يوم الجمعة بقبض الأدراك، وإخراج من فيها من التوابع، وأرسل الباشا للخطيب، وأمره يخطب للسلطان على منبر جامع صنعاء، وسلم إلى الخطيب خطبة قد ألفها من ألف.

وفي هذه الليلة نزل توفيق باشا بحاشية من الأتراك إلى بستان السلطان لتدوين أمور الدَّولة وتقرير المحتاج إليها في كل شهر، وأجمع رأيه ورأي سيدي المتوكل على أربعة آلاف مصاريف[٣] وجوامك، واعلم النَّاس المتوكل بأن أخواضهم[٤] إلى الباشا، ومن ها هنا تيقَّن كل من سمع من المتوكل صدق الأقاويل، وعلموا بخديعته لهم وخيانته لأمانته، واعلم النَّاس بعضهم بعضاً وعلموا أن الأمر صعيب[٥] عصيب، كيف وقد أدخلهم القصر، وهو المعقل الأكبر فوق صنعاء كالمنبر الشامخ المنيع الأشهر[٦].ولكنْ[٧] إذا نزل القدر عمي البصر والله في خلقه تدبير وإليه المرجع وإليه المصير:

ربما تكره النفوس من الأمر   له فرجة كحل العقال

ولما رجع توفيق باشا/ إلى القصر بعد تدوين أموره وتقريرها أمر الأتراك المخيّمين خارج القصر في البر برفع الخيام العدنية ووضعها جميع في ميدان البكيرية، فرفعوها ودخلوا من باب ستران وداخلهم العجب، وأضمروا دخولهم الدُّور الشَّامخة وإخراج أهلها منها، وأظهروا الكامن في صدورهم من حين وصولهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وأهل صنعاء ما حائرون الأفكار في الليل والنهار، لا يدرون ما يصنعون، وقد وقع الرُّعب في قلوب التَّوابع حتى أنهم لا يراجعون في

(١) خ إلى السواق.
(٢) المساء وهو العشية.
(٣) مصروفات.
(٤) شؤونهم. وفي اللغة خاض القوم في الحديث أفاضوا فيه.
(٥) صعب.
(٦) خ الا أشهر.
(٧) خ ولا كن.

تفريغ الأدراك إنما يتلقون الأمر بالسمع والطّاعة، وبات النّاس في ليلة نابغية وأحزان يعقوبية، متوقعون نزول البلاء بهم، فلما أصبح الصّباح يوم الجمعة خرج الأتراك يطوفون[١] في شوارع صنعاء، حتى انتهواإلى قاع اليهود، فقيل منهم من يشتري الخمر من الذميين ومنهم من يشتري ذبائح الذميين، منهم من يريد البغي والفساد، وكأنهم مستضعفون العرب واثقون بقوتهم وأموالهم وقوة سلطانهم، فلما أشرق النهار ثارت حميّة العرب وعَلَتْهُمْ الغيرة الإسلامية فصاحوا على الأتراك صيحة يشيب منها الوليد في لحظة واحدة من باب القصر إلى بئر العزب، كأن ذلك عن تشاور منهم وإلّا فكل واحد لا يعلم ما عند الثاني، فأخذهم بأس الله وهم يلعبون، فما كان غير ساعة واحدة حتى أتوا على آخر من في صنعاء من العجم، ونحروهم كنحر الجزور، فلعمري لقد قتلوهم شَرّ قتلة وضربوهم بالفؤوس والمعاول والخشب، وطعنوهم بالجنابي ورموهم بالبنادق، وغنموا أموالهم، ووثبوا[٢] علي خيامهم وخيلهم، وقطعوا الخيام التي نصبت في الكيرية قطعاً، ولم ينفلت منهم إلّا من فَرَّ إلى القصر، وامتلأت الشّوارع من قتلاهم، وأنزل الله عليهم الذلة والمسكنة، ولم يقتل من العرب غير القليل حال قتلهم، هذا وأكثر أهل صنعاء في دورهم لم يخرج منهم إلّا القليل من السفلة بل أن أكثرهم راقدون على حكم الصيام ما يقوم إلّا للظهر كما هيه[٣] عادة أهل صنعاء النوم إلى الظهر، وبيعت الخيل والجمال بأبخس الأثمان حتى بلغ ثمن الفرس خمسة قروش، وداخل من في القصر الفزع والجزع، ولو أغار من العرب حال الصيحة شرذمة يسيرة لأخذوا القصر ومن فيه لأنهم في تلك الحال مفشولين[٤] مبلوسين[٥] مسلوبين الحواس، ولم تستمسك أيديهم لأخذ السلاح والرمي بالبنادق، ولقد أخبرني[٦] من كان عندهم في القصر حال الصيحة: إنهم سمعوا صيحة كادت تقلع الأرض من تحتهم، وظنوا أنها قامت القيامة وأنا أخبرني خلق كثير يشهدون[٧] لله أنهم سمعوا صيحة من السماء لا كأنها من الأرض، وكلا منهم في ناحية من الذين أخبروني[٨] ناس في قاع اليهود، وناس

(١) يتجولون.

(٢) الأصل ثبتوا.

(٣) هي.

(٤) فاشلين.

(٥) يائسين.

(٦) أي المؤلف الأول، المؤرخ محسن بن أحمد الحرازي.

(٧) أي شهادتهم لله خالصة.

(٨) يعني المؤرخ الثاني أحمد بن عبد الله الزبيري (نفسه).

في شرارة، وآخر معروف باسمه كان في النَّهرين، وناس في البيوت، وناس في باب شعوب، وناس في الميدان، كل واحد يخبر بالصَّيحة ولا يدري من أين من السماء/ أم من الأرض ولا علم أحد من أين بدعت[١] ولا كأنها[٢] إلا في دقيقة صوت واحد ولا عن توالي[٣] ولا عن أمارة، ولا أحد يعلم ما عند الثَّاني فالحكم لله، وهو على كل شيء قدير، وبعد حين أغلقوا باب القصر وعندهم من العرب خلق كثير يبيعون إليهم المأكولات وغيرها، وحفظهم الله سبحانه من الأتراك حتى أخرجوهم اليوم الثاني، وبعد قتل من في صنعاء، وبعد ذلك ثارت العامة ثورة أشد ثورة وصاح الناس، وأهل صنعاء لا يدرون ما يصنعون، وأغلقت أبواب صنعاء وتحصن المتوكل في بستان السلطان، وثار بعض أشرار الخلق على بيوت القاضيين الفاضلين القاضي محمد بن محمد العمراني والقاضي عبد الرحمن العمراني[٤] وأفزعوهم وانتهبوها[٥] وأخربوها لأهويات نفسانية ونزعات شيطانية، وأخرجوهم من البيوت، بعد أن أخذوا جميع ما يملكون، وهتكوا أعراضهم، وكذلك الفقيه عبد الله وسيل الهندي صنع به الغوغا ما صنع ببيت العمراني، ونسبوا إليهم النَّصب وبغض أمير المؤمنين، ومعاذ الله أن يبغضه مسلم، وهذه مصيبة وفاقرة في الدِّين وقد كان هَمُّ الناس بعضهم بعض، وكادوا أن يتآكلوا فنعوذ بالله من الفتن وشرِّها وكل واحد حفظ نفسه في بيته والصَّعاليك يموجون في الأزقة، ولما سكن جأش الأتراك وقع الحرب بينهم وبين التَّوابع وأهل صنعاء، وكان أهل صنعاء يرمونهم من الصَّوامع والدُّور الشامخة إلى القصر، والأتراك يرمون بالمدافع من القصر، وخرج أهل السجون من سجونهم، ودخل الترك يُحْربون من الحبس لقربه من صنعاء، وكان يوم عسير دخانه في الهوى يطير، وغار أهل الحواز إلى خارج صنعاء، وقد أغلقت الأبواب وانكفت[٦] القبائل في الأقطار خولان ونهم وأرحب وسريح وهمدان، وسكن الرَّمي من قبيل غروب الشمس.

وفي ليلة السبت ثمان رمضان حفظ الأمير سعد يسر الأدراك، وأجمع رأي

---

(١) ابتدأت.

(٢) بمعنى وليس ما انها.

(٣) أي بغير موالاة ولا أمر.

(٤) من العلماء الأجلاء له مؤلفات منها شرح ورقات الجويني وغيره توفي بعد سنة ١٢٧٣ تقريباً انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ١٦٧

(٥) يقول الواسعي في فرجه الهموم ص ٢٣٩ «ذهب عليه في هذه النهبة خزانة عظيمة من الكتب والذي كان معه من أفخر الكتب ألف كتاب».

(٦) تداعت للحرب.

العقّال وأهل الحل والعقد على مبايعة سَيِّدي الجمالي علي بن المهدي، وتقليده أمر المسلمين، ونزلوا عليه إلى دار الذهب وعوّلوا عليه في القيام لدفع المصيبة النازلة وحفظ دمائهم وأموالهم وهو أبي من ذلك لأنه قد عرف ذلك مرّتين ويخذله أصحابه، فتحمّل المشاق وأسعد، وصاح صايح الأمان من الإمام، وأعلن بدعوته، فسكن ما بالناس من الفزع، وصرفوا هممهم إلى نزول الأتراك وإخراجهم من القصر.

وفي يوم السبت ثارت العامة على محمد بن يحيى[1] مَرَّة بعد مرة إلى بستان السلطان والرتب يدفعونهم، وآل الأمر إلى حبسه في دار الجنات، ثم لم يقنع[2] أهل صنعاء حتى أخرجوه إلى بيت السَّيد إسماعيل الأمير، وأوثقوه في الحديد، وحفظه السَّجانون وبعض من التّوابع، وندم حيث لا ينفعه الندم، كيف وقد زلت القدم، وجدع أنفه بكفه، وبحث عن جيفته بظلفه، وخدع رعيته، وخان أمانته، وقتل خلق كثير بسبب فتنته، وأخاف نفسه وأهله، وعزل عن ولايته وخاب أمله، فنعوذ بالله من الشقاوة وسوء الخاتمة/وكانت مدة خلافته أربع سنين وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً وأربع ساعات.

(ذكر خلافة سيدي علم الهدى الثالثة):

قام هذا الإمام داعياً ليلة السبت ثامن شهر رمضان سنة ١٢٦٥ لما وقعت فتنة العرب والعجم وثارت العامة وكاد النّاس يأكل بعضهم بعضاً، ا أجمع رأي العقلاء من الناس، وأمير الجند علي النزول على هذا الإمام والتّعويل عليه بتحمّل الأعباء، وتسكين الروعة، وتأمين النّاس بعد الأياس وفكر الحواس، وشدة الإبلاس، وقد كان انعزل في دار الذهب، وأضرب عن الخلافة صفحاً، وطوى عنها كشحاً، واشتغل بدينه ودنياه، وردَّ أمره إلى عالم سره ونَجواه، فدخل في هذا الأمر وهو لا يشأ، وأراد كف الفتنة وتسكينها، وقد دافع كل من وصل إليه لذلك القيام لعلمه بأبناء الوقت حيث لا بقي لهم دين ولا مروة ولا علموا أن قد وَفَّى[3] على الخلافة في قيام أود الجند بما يملكه خالصاً له بعد أن كملت بيوت الأموال، ولا أثَّر في القبائل والتوابع حتى كافوه[4] بكسر مغلقة[5] بيته وهدمه وهتكه، وهتك حريمه،

---

(١) هو الإمام المتوكل السابق ذكره.
(٢) أي لم يقتنع.
(٣) دَفَع من عنده.
(٤) جازوه.
(٥) قفل.

وهدم أطفاله، وأخذوا من بيوت الأموال ما لا يحصى، وما قصدهم إمام الحق إنّما النّهب والسلب، فأسعد بالقيام[1] للفرجة[2] على المسلمين والإسلام، وصاح للنّاس بالأمان من ساعته.

وفي يوم ثاني يوم السبت بايعه الأعيان وخرج من دار الذهب إلى البستان[3] والدّعاء له بالنّصر والإعانة على كل لسان، وقدم على أمر مريج والناس يموجون موج البحار، والمتوكل حافظ نفسه في البستان، والناس في خوف عظيم وخطباً جسيم خائفين من المتوكل وفراره، وفي كل وقت تشنّ الغارات عليه إلى باب البستان، ولم يسكن النّاس إلا بعد حفظه أولاً في بستان المتوكل، وبعد في بيت السّيد إسماعيل الأمير، وقيدوه بالحديد وأما القبائل[4] خولان ونهم وأرحب وجميع الحوازات لما بلغهم الوقعة أقبلوا حتى أحاطوا بصنعاء من كل جهة، وكانوا ظانين أن أهل صنعاء محتاجين لإعانتهم على من في القصر من التّرك وهم في غنية عنهم لأنهم لا يريدون إلا سرق البيوت والأموال والأبواب[5] مغلقة ولم يزالوا يدفعونهم بالرّصاص من الدّوائر وقد هموا يعبروا يدخلوا من فوق الدوائر، فلما رأوا ما صار بالترك من السّحب في الشّوارع وترديتهم من أعلا الدوائر للكلاب، فهالهم ذلك وعلموا أن لا قدرة لهم، ورجعوا على أعقابهم، ودخلوا عقّالهم إلى رعاع الناس، وولّوا الأدبار وقد وقع فيهم قتل من الذي رموهم من فوق الدّوائر، ولا عقول لهم ولا علموا أن صنعاء محمية بالله ومحروسة منه بعين العناية.

وأما الترك الذين في القصر فإنهم تحصنوا وعمروا المتاريس، ووجهوا المدافع على صنعاء والدّور الشامخة، ورموا صنعاء بالكبار والصغار والبنادق، وركنوا[6] بقوّتهم يفعلوا بصنعاء وأهلها أعظم مما وقع، فخيب الله آمالهم وعلى صنعاء حجاب ودافع، وأركسهم بعد أن كانت الرماية كالرعود، وخاف الناس من ذلك من أول يوم، ويوم ثاني دون، فلما تيقنوا الحِمَى والدّفاع من ربّ الأرض والسماء، أمنوا وفتحوا الحوانيت، وأهل المِهَر[7] في مهرهم، وأهل المساجد في مساجدهم،

---

(١) خ بلقيام.
(٢) للتفريج.
(٣) خ البستا بدون نون.
(٤) تكرر في المخطوطة.
(٥) اي أبواب صنعاء.
(٦) وثقوا.
(٧) جمع مهرة وهي العمل أو الحرفة.

وكل إنسان فيما هـوه[1] مـدة ما المحـصورين في القـصر وألفوا ولم يـبالوا كـما قيل شعراً:

انكـرت طـارقة الحـوادث مـرة   لما اعترفت بهـا صارت ديدنا

/ولكن هذا وقد خلصوا النيات وتضرعـوا إلى بـاري البريـات في جـميع الحـالات ودرسـوا[2] كتـاب ربهـم في البُكَرِ والعشـيات، ومَدُّوا أكفهـم بالدّعـاء في جـميع الأوقـات فاستجـاب دعائهـم، وله الحـمد ولم يؤاخـذهم بذنوبهـم، ويسلط عليهم عـدوهم، وكفاهـم بأس المـدافع، ولـطف بأهـل صنعـاء ألطاف ظاهـرة، وقـذف في قـلوب الأتـراك الرُّعـب وكـفاهم الشّر فـله الحـمد.

واستـمر تـغليق أبـواب صـنعاء إحدى عـشر يوماً ولـم يعهـد قـبل هـذا إن قـد أغلّقت هـذا القـدر، ومع هـذا والأسعـار مبسـوطة والطّعام موجـود، وجـميع المصَرّفـات موجودة، ولا عـلمنا بـشيء من الأشـياء مفقـودة، وبعـض الأيـام تـقع هـدنة وصـلح ويـسكن الحـرب، ثـم يعودون إلى مـا كانوا عـليه، وسـبب ذلك عـدم صـلاح النية في الواسطة، وكـل منهـم يـقصد هـوى نفسه ولو كانت الأعـمال من الوسائـط خـالصة لصلحـت الأمور، وخـرج الأتـراك بسرعـة عـقيب الوقعـة. وبعـد تغليق صنعـاء مـاذكـر، وصـل الفقيـه الماجـد محـمد بن أحـمد بن إسماعيل العفـاري، وكـان عامـلاً في ذمـار، وقلّده المهـدي الوزارة بعد وصـوله، وسعـى في الصُّلح والصَّلاح بنيـة خـالصة لله ورشـاد وفـلاح، فأول فتحـت أبواب صنعـاء ودخـل من بـقي في البـر من القبائل ورهـنوا من عقـالهـم في كـل ما صـدر منهـم إلى بـيوت صنعـاء وألزمـوا أنفسهـم النصر والإعـانة على قـتال الأتـراك ومحـاصرتهـم، وترتـبوا في الـدور الشامخـة حـول القـصر مع التوابع والرمـاة من أهـل صنعـاء، وقد كانوا هـموا بـفلس[3] دائر[4] القـصر وعجـزوا عن ذلك ووقـع من القـبائل التعدّي إلى نهـب فـراش المساجـد المجـاورة للقـصر وتلصّصوا لأخـذ الطاقات والأبواب حـق بعض الـدور من غير شعـور من أهـلها، ووقع من الأتـراك في بعض الأيـام الرَّمـي بالمدافع من بعد إنبساط الشـمس إلى وقـت العصر، وخـيار أهـل المدينة في المساجـد فأحـربوهـم بكتـاب الله والدعاء عليهـم بالخـذلان، فاستجـاب الله دعاهـم وكـفى النـاس شرَّهـم، وبـلغت رصـاص المـدافع في ذلك اليـوم إلى بـئر العـزب وإلى شعـوب، ولم تـصب أحـد، وفي آخـر نهـار ذلك اليـوم صـاح الصايح بـأن التـرك قـد خرجـوا من بـاب

---

(١) هـو.
(٢) أي تـدارسوه بالقـراءة.
(٣) خـرق وهـدم.
(٤) السـور المحـيط بـه.

ستران يعتلفون وينهبون، فغار أهل صنعاء كالجراد[1] المنتشر وخرج الناس بأسلحتهم من كل مكان يريدون الخروج إلى الصحرى لمقابلة الترك، فسمع من في القصر صيحة مثل صيحة أول يوم، فحارت عقولهم وأيقنوا بالغارة عليهم إلى القصر، ووقع رعب العرب في قلوبهم، وخرج القبائل من أرحب وخولان بأسلحتهم فنظروا إلى أهل صنعاء وقد خرجوا كأنهم الرمل، فخافوا على أنفسهم من استئصالهم، وأخذ أسلحتهم فتسللوا راجعين[2]: إلى مراتبهم، وقد هَمّ جماعة من أهل صنعاء بنهب القبائل فلينوا القول حتى خلصوا[3] فوصل أهل صنعاء إلى باب اليمن ولم يجدوا أحداً ولما علم القبائل في صنعاء أن لا قدرة لهم في صنعاء على شيء طلبوا الفسح وكتبوا عقالهم لأهل صنعاء أن لا قدرة لهم على شيء، وأخرجوهم من صنعاء، واجتمعوا أهل صنعاء يستعرضوا خروج القبائل لأجل ينظروا ما سيحملون مما/سرقوا من الأبواب والطاقات فلم يمكنهم يشدوا[4] شيء مما سرقوه هذا خبر البغاة.

وأما الأتراك: فكتبوا إلى الوزير محمد بن أحمد العفاري يريدوا موافقته، فأجاب عليهم أنهم ينزّلوا منهم من يفهم الأمور، فأرسل الباشا بطريقه[5] الأكبر بيرم آغا وثلاثة أنفار معه، فعقدوا الصّلح على أن أهل صنعاء يجلبون إليهم ما يقتاتون به هم ودوابهم، ويخرجوا من القصر، ووقع الصايح بذلك، وجلبوا إليهم يوماً واحداً، وبعد الجلب إليهم قلبوا ونقضوا الصلح وطمعوا أنهم سيتملكون، ووصلت لهم كتب من تهامة أن الشّريف محمد عون سيمدّهم بغارة وهي خيالات فاسدة، وصاروا يطلبون ما انتهبه النّاس عليهم، وما قصدهم إلّا المماطلة في المياعيد[6] وأطمعهم بعض أعداء الدّين أنه سيخادع لهم النّاس بالمال فصدقوا قوله الكاذب وأنشد لسان حالهم:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دوننا ... فظن بأن لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

ولما علم العرب أن العجم قد خدعوهم بجلب محتاجاتهم إليهم فأجمع رأيهم على

(١) خ كل الجراد.
(٢) خ رجعين.
(٣) سلموا. ونَجَوا.
(٤) يتحملون.
(٥) هو لقب رئيس في الديانة المسيحية وقد شبه المؤلف مندوب الأتراك بهذا البطريق سخرية منه وإلا فهم مسلمون موحدون.
(٦) المواعيد جمع موعد.

تشديد الحصار على من في القصر، والإحاطة بهم ورميهم من الصَّوامع والاحتراز من القبائل أرحب ونهم، الذين يجلبون إليهم جميع المحتاجات الليل، فلم يشعر من في القصر صبح اليوم الثاني إلاّ بالرمي حتى قتل خلق كثير منهم في القصر، وحفظوا الطرق لأجل منع الجلب إليهم، ووقعوا بناس من القبائل ومن صنعاء يجلبون إليهم فنهبوهم وحبسوهم، ورجع الترك على ما كانوا من الحرب إلى صنعاء بالبنادق والمدافع، والله سبحانه يدافع ولم تؤثر شيئاً فطلبوا الأمان والذمة وكفّ الرماية إلى القصر، وطلبوا من العلماء لتمام الصلح وتوسط المتوسط، ولم يتم شيء، وقد أصابهم الخوف والرعب والقل والذّل والشدة والجوع والمرض، وأتاهم بأس الله حتى هلك منهم خلق كثير من جيفة القتلى والميتات، وهلكت إبلهم وخيلهم، ولما اشتد بهم الحال ولم تؤثر مدافعهم ولا رصاصهم في صنعاء وأهلها شيء: كتب الباشا إلى الإمام سيدي المولى المهدي فصوّب الإمام ذلك وأمر الوزير بما هنالك، فنزل بيرم باشا وأربعة آخرون، وعقدوا الصلح، ورهنوا وطلبوا الطّعام والعلف، وأباحوا رهائنهم للقتل إن لم يخرجوا، وطلبوا ثلاث مئة وخمسين جمل لأثقالهم وإخراجهم إلى مأمنهم، فأجابهم الوزير وعقّال صنعاء، وعقال الجند والإمام إلى ذلك، ولما جلبوا لهم الطّعام والعلف رجعوا للمماطلة والمياعيد بخروجهم، فأطلق الوزير رهاينهم وردّهم إليهم، وأمر الإمام والوزير بحصارهم من خارج وداخل حتى ضربت خيام عليهم في مسجد نقم فلما تيقنوا أنه لا مفر لهم من الخروج كتب الباشا إلى الوزير وأرسل الرهاين / وطلب الجمال وبذل أكرياتهم وأهبّ لهم الوزير ما يحتاجون للطّريق، وما تم الخروج إلاّ يوم عيد الإفطار يوم الإثنين، ولم يصدق الناس بخروجهم لكثرة مماطلتهم وردّهم للجمال مرة بعد مرة والله غالب على أمره، واعتذروا عند خروجهم بمن في البرّ من القبائل، وخرج الفرسان أصحاب المهدي لضبط من في السير من القبائل، وأوثقوهم في الحديد، وهم نفر يسير، ولكن الطّمع تحت كل ظفر[1] وتارة يعتذرون أن الباشا أصابته رصاصة فلم يقدر على الركوب، ولا بأس أنه أصيب لكن ما تَمَنّع وقعت في يده وأوكرت[2] في فخذه، وما ذلك منهم إلا كانوا مناظرين لغارة من تهامة وزاد وزناد وخشية من العار عند أهل تلك الأمصار، واشترط الباشا رهن عشرة من التّوابع يكونوا بين محملهم فحتى يصالوا مأمنهم خوفاً من استئصالهم، فأسعد الإمام إلى ذلك لكف أذاهم وشغلت الناس بهم وخرجوا من القصر وقت العصر، والحمدلله رب العالمين .

---

(١) من أقوال العامة .

(٢) استقرت .

ولله در القائل:

ولـرب نازلـة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منهـا المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفـرج

وعند خروجهم من القصر ضجّ الناس بالتحميد والتقديس والمنة لله الذي أخرجهم صاغرين بعد دخولهم متكبرين .

ولقد شاهدت باشتهم عند دخولهم بما ذكرت لك ممّا عليه الملبوس والخدم بين يديه والمجانب تجر قدامه والمظلة الهمايلة[1] تخزل على رأسه والعمامة ولباسه الفاخرة، ونظرته عند خروجه هو وحفدته وعليهم الذّلة والقلة وقد أخذ الخوف بمجامع قلوبهم ويده معلقة إلى عنقه من الرصاصة وقد وضع على رأسه قلنسوة خلقه ما تساوي درهم ولبس أداة[2] رثاث ثيابه، وخرج خائفاً يترقب، وصار يرمق أهل صنعاء شِزْراً وهم فوق السور سور على سور، لأن قد أمر الإمام بتغليق أبواب المدينة لأجل لا أحد يخرج منهم، خشية من الرعاع وثورة العامة لأنهم خرجوا في أمان الله وأمان الإمام، وقد أدى لهم[3] وجهة وذمته وذمة العلماء والأعيان، فما يزد يمكن العيب والطغيان، والمؤمنون عند شروطهم، وخرج معهم الوزير ومعه مئتان من التوابع وعشرون من الفرسان، وقد كتب الإمام إلى همدان والبستان والحيمة أنهم يجتمعون إلى حضور لتأمين الترك حتى يبلغوا حدود البلاد، وذمة المسلمين واحدة وقد أمنهم الإمام وهو نائب عن المسلمين أجمعين ولما وصل كتاب الإمام إلى أهل الحواز عقدوا الرأي أنهم يحاصروا الترك حتى يسلموا لهم مالاً في أمان رؤوسهم فإن يسلموا سلموا وإلا هجموا عليهم وأخذوا أثقالهم، وبات الباشا والوزير ومن معه في قرية المساجد ليلتهم، وتجهزوا اليوم الثاني للرحيل حتى وصل أولهم قريباً من قرية مِنْد ونظروا/ الأسد من رجال وقد اجتمع همدان والبستان والحيمة ونزل من عقالهم ثلاثة رجال طالبين المال في تأمين الترك فراجعهم الوزير ومن معه فلم يرعووا[4] حتى ثارت الحرب، ورجع الأتراك وحمولتهم ووضعوا محاطهم في أكمة وأحاطوا بها ودفعوا عن أنفسهم بالمدافع والبنادق، وكتبوا إلى الإمام يستنجدونه بالغارة، فوصل الكتاب إلى الإمام وقت العشا ليلة ثالث شوال، وقد كان هم بالغارة تلك الساع وآل الأمر إلى التوقف إلى الصّبح، وفي تلك الليلة أمر المهدي بطلوع محمد بن يحيى إلى الحبس لأجل يأمن عليه من القتل، وكان طلوعه على حين غفلة .

---

(١) لم أقف على معناها ولعله تحريف همايون وهو لقب للخلافة العثمانية وسيأتي شرحه .
(٢) ملابس .
(٣) أعطاهم .
(٤) ينتهوا .

وفي يوم الأربعاء: خرج الإمام بمن معه من التَّوابع ومن دخل من قبائل سنحان وبني الحارث للنشور ولم يشعر من في المساجد إلا وقد أشرفت عليهم الرايات الأمامية، والخيل، وهم في مقاساة شديدة ولما تتابعت الجيوش أشرف عليهم الإمام وعليه المظلة وحوله الأمراء والكتاب فتيقن الترك والوزير السلامة وغار الفرسان من الترك على قرية المساجد السُّفلى ودخلوها عنوة، وغار التوابع على الحصن الأعلى ودخلوه عنوة، وقد كان رماة طباشية الترك بالمدافع وما أراد الأتراك بذلك إلَّا إظهار فعلهم، وقد أخبرني من شاهدهم بعد خروجهم من صنعاء قاتلوا قتال من لا يرجى السَّلامة، وذهب ما بهم من الخوف والخوف والذل، وما ذاك إلَّا عبرة لمن اعتبر فإنهم كانوا في قصر صنعاء في وجل عظيم وذل مستديم، وهم في منعة لا يماثلها في اليمن مماثل ولا يدخلها عنوة داخل. ولقد أخبرني من أثق به ممن سمع من كثير منهم أنهم كانوا لا ينامون ليلاً ولا نهاراً، ولا يقدرون على أكل شيء، ولو كان موجوداً حتى هزلوا ومرضوا وماتوا حتف آنافهم، وأنهم كانوا يشاهدون الموت الأحمر وإذا رماهم رام من صنعاء إصابت وتقتل ولو بفعِلٍ يسير، حتى كانت تقتلهم في المنازل، وأصابهم الجوع، وقد الطعام عندهم، وشرار الخلق كانوا يجلبون إليهم من وراء الدوائر، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب، وكتب عليهم الجلاء، ولطف بأهل صنعاء من حيث لا يشعرون، واستجاب دعاهم ولبّى نداهم حتى خرج العجم على أم رؤوسهم.

ولما نظر الإمام إلى القبائل من همدان والبستان وأهل الحيمة وقد تحزَّبوا للقتال، توجَّه بجيشه نحوهم، وهم في قاع سهمان[1] فسبق القاضي يحيى بن علي الردمي بإذن[2] الإمام يريد الصّلح والرفق بقبيلته وعشيرته، فوصل إلى عندهم وأمرهم يعشّرون ببنادقهم طاعة للإمام ويعقرون من بقرهم حتى يكفّ عنهم، ففعل من لا ذنب له من الرعية والآخرين انشؤوا الفتنة هم وبعض من أصحاب الإمام، فلم يشعروا إلَّا بالحرب والقتال، فعجب الإمام ومن أطاع من أهل البلاد من ذلك وظنوا الخديعة/ فانحاز أهل بلاد البستان إلى قومهم، وثبتوا على أصحاب الإمام حتى انهزم الأولون من أصحاب الإمام، ولما شاهدوا الإمام هزيمة قومه تعمم بردائه وغار كأنه الأسد الزائر، والليث الهادر، حتى خالط أهل بلاد البستان، وقتل فيهم قتلاً ظاهراً، وتراجع القوم، وانهزم قبائل هَمْدان إلى بلادهم، وكان موضعهم حال الغارة مما يلي بلادهم، فسلموا من القتل، وكانت الدائرة على أهل الحيمة، وبلاد البستان، وقتل خمسة عشر قتيلاً، وأسروا منهم نفراً كبيراً وتفرقوا يميناً وشمالاً ونَفَرُوا خفافاً وثقالاً ووضع الإمام خيامه ومطرحه في طرف قاع (سهمان بالقرب[3] من حصن مِنْد،

---

(١) انظره في معجم المدن (في ملحق الكتاب).

(٢) كذا ولعله بان.

(٣) خ بلقرب.

وأرسل بأربعة رؤوس من القبائل إلى الباشا توفيق، فعلم وتيقن أن الإمام وفي له في مقاله وصادق في أقواله وأفعاله، فمن حين رأوا الأتراك الفعل ذاك أمنوا على أنفسهم، وظنوا سلامة رؤوسهم .

وفي اليوم الثاني وصل مشائخ البستان إلى عند الإمام، وصلح شأنهم على شيء من المال يسلمونه أدباً عما أخطأوا وأمر الإمام الباشا بالعزم، وتوجه بمن معه إلى (مِتْنه) وبات فيها بعد فك المحنة والجيش في حصن (القَذَفْ) وقد كان وهب الباشا للإمام ستّ خيام واسترجعها عند خروجه فردّها له وهو أكرم من في الوجود وبعد ذلك وصل الشّريف هزاع أبو طالب بكتاب من الشريف عون إلى الباشا توفيق، ومضمون الكتاب يحرّضه البقاء في القصر، وأنه سيمدّه بالمال والرجال والزناد والعدد والمدد، فندم توفيق باشا حيث لا ينفعه النّدم، وذكر له إن إذا هلك في القصر بمن معه، فإنه أهون عليه من العار عند جميع أهل الأقطار، وكيف يبلغ خبره عند السّلطان أنه خرج من قصر غمدان الذي هو بغيتهم طول الأزمان، فجدّ له الأحزان وتشعبت الأشجان، وحزن لحزنه كل إنسان من أعوان الشّيطان، وما علموا السّفهاء أن ذلك فعل الرحمان جل جلاله سبحانه اما يستجيب دعاء الأرامل والولدان بما سمع تلاوة القرآن من أهل الإيمان اما تضرع إليه كل إنسان فمدّ كفّه نحوه وتحرك شفتيه واللسان فما ذاك إلا لجهلهم وبغيهم والطغيان، فأسَرَّ السّخيف الندامة في نفسه، ونسي ما كان في القصر، وقيل أنه كتب بالخروج بشرط إستخلاص ما ذهب عليهم من الخيل وغيرها يوم الوقعة، والرّأي الذي زعموا أنه من عند السُّلطان وأمروا بقراءته في المنبر في جامع صنعاء.

وإذا ذكرنا الفرمان فلنذكر لفظه حتى تتم الفائدة:

أوله تحت العلامة بلفظها:

عبد المجيد بن محمود خان[1] هذا فرماننا العالي السُّلطاني وخطابنا السَّامي الخاقاني، المنفذ حكمه بتأييد القوي الصّمداني[2] في الأقطار إلى القاصي والداني، صادر إلى افتخار الأعالي والأعاظم، مستجمع جميع المعالي والمفاخر، المختص بمزيد عناية[3] الملك الدائم المنصوب من طرف دولتنا العليا حاكماً على صنعاء الشّريف المتوكّل محمد بن يحيى دام علّوه عند وصول هذا التّوقيع الرّفيع السلطاني يحفظ[4] علماً إلى حسن سياسة

---

(١) حكمه من سنة ١٨٣٩ ميلادية إلى سنة ١٨٦١ (أنظر الحكم العثماني الثاني ص ٤٩٣).

(٢) خ السمطاني .

(٣) خ عنايت .

(٤) كذا في المخطوطة ولعله « يحيط » .

إقليم صنعاء هو من جملة ممالكنا الموروثة، وإراحة أهلية وقبائل العرب الذين فيه، ووقايتهم مستظلّين في ظل عدل سلطاننا برفاهيته مشمولين بالحماية والصيالة[1] والأمنية[2] أجل مركوب عند مكارم إرادتنا الملوكانية[3] وأعظم مطلوب له مراحيم[4] أسرتنا السلطانية، ولكونك أيها الحاكم المؤمى إليه من أرباب الدِّراية والمعرفة، ولك القول على أحوال تلك الجهات بأكمل صفة وفي كل حال تؤمِّل فيك حسن الخدمة واتصافك باللُّطافة / في كل أمر ومهمة فقد صدر من ديواننا الخاقاني، وموجب أمرنا السلطاني، هذا الفرمان الجليل القدر والشَّأن، وبعثنا به إليه معلماً بنصبك حاكماً على الإقليم المذكور، وموضحاً أموريتك[5] على وجه المسطور، فيجب عليك حين وقوفك على أمرنا أن تجري على مأموريتك وما فيها بمقتضى الدِّراية التي فطرت عليها، وتظهر مزيد اعتِنَا بحسن إدارة[6] الأمور في الإقليم المذكور برفاهة أحوال الساكنين والمستوطنين به مع رفاهات عشائر عربانه وقبائل عربه، معتمداً ما يفيدك هو، ويبلغك إياك أمير مكة المكرمة حالاً جناب الأمير الأمجد الأجل الأوحد المقتفي آثار أسلافه الأشراف من آبائه الغرّ الصناديد آل مناف وأجداد الحميدي السِّير الجميلي الأوصاف فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية المصطفوية المنتمي إلى أشرف جرثومة على عنصرها المنتسب إلى أنفس أرومة أعلى جوهرها زبدة سلالة الزهراء البتول عمدة آل الرسول المحفوف بصنوف عواطف الكون الشِّريف محمد بن عون دام سره، ويسعى ويصرف كمال الطَّاعة المندوبة لتحصيل الرَّسائل المرغوبة المؤمية في حقك زيادة توجهات أنظار مكارم سلطتنا السَّنية، مشتملاً من الجميع الدَّعوات الخيرية لدولتنا العليَّة وكن دائماً ممتثلاً أو أمرنا المنيفة واعتمد العلامة الشريفة .

حرر في اليوم السابع عشر شهر رجب الفرد سنة ١٢٦٤

انتهى بلفظه: وكان وصوله صنعاء المحمية وقرائته على الناس في جامع المحروسة يوم لعله ٢١ خلت من شهر شعبان سنة ١٢٦٥ وقدم ذلك توطئة وتمهيد عن توال وتشاور، وما أظن هذه الألفاظ من الحضرة السلطانية إنما هيه من النزعات الشيطانية ولله في كل بلوى تصريف .

وفي اليوم الثاني رجع توفيق باشا لقيه وهي الخيام الست الذي وهبهن للإمام

(١) كذا في المخطوطة وأظنها « الصيانة » .
(٢) كذا وفعله « الأمن » .
(٣) كذا ولعله « الملكية » .
(٤) خ أمراً حيم .
(٥) كذا في المخطوطة ولعل المكتوب في الفرمان مأموريتك فلم يستطع نطقها رحمه الله .
(٦) خ إرادة وأصلحناها من عندنا .

بالأمس[١] وردّهن الإمام له وهو علي المشهور بالكرم . فلا يفوقه في قرية بشر .

وأما الفرمان فقد طلب ردّه قبل خروجه من القصر وكذلك النشانات[٢] وهبها للمتوكل وولده تقلدونها وذلك من علامات رؤساء دولة الأروام[٣].

وتوجه الترك نحو تهامة وصَحْبْهم مشايخ الحيمة والوزير أحمد محسن الآنسي إلى صَيْحان واكتفل[٤] بتأمينهم المكرمي وأهل حراز، وصحبوهم إلى تهامة وذلك مأمنهم ومظنة سلامتهم من العرب .

ولم يزل النهب والاختلاس والتلّصص من العرب لأموالهم وأمتعتهم وخيلهم، حتى دخلوا تهامة . ودخل الشريف محمد عون مكة المشرفة وبقي توفيق في الحديدة يعالج جراحته .

ولقد أخبرني كثير من المتعلقين بعلم الأسماء: أن الجن سَكَنة جبال صنعاء في تلك المدة لمناصرة العرب بالإرجافات، حتى خافوا التُّرك وعدموا النَّوم من شدة ما شاهدوا، ولعلهم رأوا أموراً ما نعلم بها لما بقوا فيه من الحيرة والإبلاس، فلما خرجوا من صنعاء وإذا آراءهم[٥] وقتالهم كسائر الناس فصَحَّ أنه حصل لهم مالاً عين رأته العرب ولا أذن سمعته فلما رحلوا عن أوطاننا وإذا الجميع إخواننا، فما ذاك إلا بركات كتاب الله في الشهر الكريم قيل أن الموتى الذين ماتوا في القصر من المرض الذي وقع في فراشهم[٦] والقتلى الذين في المدينة والقصر ست مئة من عند خروجهم من الحديدة إلى أن رجعوا إليها لأن الوباء الذي أصابهم في القصر كان يموت الميت ويدخلوهم إلى أماكن فيبيتوا فيها ويجيفوا[٧]/ .

وكذلك المواشي فلم يستطيعوا يخرجوا إلى الصحراء شيء .

وأما خبر الإمام: فإنه لما رجع من (حَضُور) مؤيداً منصوراً والمشائخ بين يديه في الحديد، ودخل صنعاء سابع شوال، أودع المشائخ الحبس حتى يسلموا ما عيّن عليهم .

وفي يوم ثاني وصوله نقل إليه أن عمه حسين بن المتوكل أراد الخداع والمكر للإمام،

---

(١) خ بل أمن .
(٢) جمع نشان وهو النيشان من اللفظة الفارسية بمعنى وسام أو علامة
(٣) هم الأتراك والعرب يسمون الأتراك الأروام،نسبة إلى بلاد الروم التي استولوا عليها .
(٤) تكفل .
(٥) كذا ولعل هناك سقط في التعبير من عند المؤلف لأن هذه المخطوطة بقلم مؤلفها .
(٦) حيواناتهم سبق شرحه .
(٧) تنتن جيفهم .

ولقيوا عليه كتب إلى القبائل من ذو غيلان ويوعدهم إلى (رَخَمة) ويثني[1] الدّعوة لنفسه كما بدا بها في أيام محمد بن يحيى ، وطلبه الإمام وعرفه يدخل إلى السّجن يقل لمحمد يحيى يسلم ثلاثين ألف قرش في إصلاح ما تَسَبَّب به المتوكل من تخريب القصر، وتحريق أبوابه ففرح بذلك مقصده يسخر بمحمد بن يحيى لمَا صادرة بأنواع العذاب، فلما وصل إلى الحبس، سيدخل على ما عزم له زكنوا[2] به في حبس الإمام المهدي لأنه تبعه عاقل الركاب وأمر السجانون بما أمره به الإمام ، فأحاطوا به واحتوشوه[3] وأخذوا سلاحه وألبسوه الأجهم[4] - يعني القيد - ورجع إلى ما كان فيه، وما خرج من الحبسة الأوّله[5] إلاّ في الوقفة حق الترك ، وما بقي فالت[6] إلاّ شهر وعاد مكانه، وكل ذلك سوء المعاملة وخبث النية ، وكل من الخليفتين الذين حبسوه أحسنوا إليه غاية الإحسان من النَّفقات الفاضلات والخيل المسوّمات والدور الشامخات شعراً:

حبّ الرياسة أطغى الناس فافترقوا حِرْصاً عليها وهِم منها على حذر

وبعد ذلك أصلح المولى ما هدم الأتراك وتعويض[7] النجارات [8] وأمر جميع أهل المهن .

وفي شوال تحرك السيد أحمد بن هاشم الويسي ومن تبعه من الفقهاء والسادات، وبقي من بقي وبَثّ الرسائل إلى جميع الجهات والقبائل، وأوهمهم بإيهامات أنه داع لموكله، وأنه سيظهر صاحب السَّيف والقلم، ويملأ البلاد عدلاً كما ملئت جوراً. وعند أكثر الناس في حساب الملاحم أن المهدي المنتظر يظهر في هذا العام الذي تاريخه (غرسة)[8] سنة ١٢٦٥ فأجابوا داعية، وسمعوا مناديه، ولم يزل كذلك حتى وصل (حوث) وأطاعه أهل حاشد بالبون وكذلك سائر قبائل بكيل، وهم لا ينظرون محقاً إلاّ بما يعطون من الأموال[10] وقد أصابهم المسلمون بالدعاء حتى حامت عليهم طيور الخذلان .

وفي شهر ذي القعدة رحل من حاشد وتوجه نحو (عمران) وقد استقبله الشَّيخ مقبل

---

(١) يعيدها مرة ثانية .
(٢) عهد به إليه .
(٣) حاصروه .
(٤) كذا وصوابه الأدهم كما مر للمؤلف فيما سبق .
(٥) الأولى
(٦) مطلق سراحه .
(٧) إبدالها .
(٨) النجارة (الخشب).
(٩) أي ما يقابلها بأرقام أبجد .
(١٠) في المخطوطة تكرر لفظ « إلاّ بما يعطون من الأموال » .

الصَّعر وهو مطاع في قومه، حتى دخل عمران ومكنه[1] الزكاة المحفوظة عنده لبيت المال، وفرق لمن صحبه من القبائل ووعدهم إلى بعد عيد الأضحى وبقي عنده قليل فقهاء .

(ونرجع إلى تمام الأول) عزل الأمير سعد يسر، وفعل فتح محمد، ووقع بالوزيرين حق المتوكل أبو زيد ومحافظ، فأما أبو زيد فأخذ وجميع ما يملك من الظلم إلى بيت المال، وحبس في مدينة ذمار، وأما عبد الرحمن محافظ فصودر على جُعِلْ وسلم وأطلق

وفي شوال خرجت الضَّربة، وكان صرفها أربعة وعشرين مئة حرف[2] وصاح الصَّايح أن الأوله[3] حقّ المتوكل تكون ثلاثين مئة حرف فارتبشت الأمور، وعدمت المصرفات، ورجع صايح آخر أنهن على سواء وصلحت الأمور .

وفي شهر ذي الحجة وقع الإمام بسيدي الضياء غالب بن محمد، وعمّه عبدالله ابن يحيى ، وجميع أهل المتوكل، وولده وعمه في دار واحدة، وأخذوا من بيوتهم شيء كثير إلى بيت المال وكذلك وقع بالفتى[4] فيروز / وكذلك وقع بالفتى فيروز جمنه، وضرب بالسياط وعَزّر، وحبس جماعة من أصحاب المتوكل، وسبب ذلك كما قيل تواطئوا[5] على التّسبب لقتل الإمام سيدي علي وإخراج المتوكل من السِّجن والله أعلم .

ودخل عيد الأضحى ودخلوا[6] في العيد وشرى الأضاحي، وسَلّم الإمام ثمن الأضاحي ، ولم يمطل أحداً مثل من سبق وكل أحد قبض ما عنده من الحقوق، ولم يصل إلى بيت المال شيء بسبب فتنة السيد أحمد بن هاشم، وتغلبت البغاة على أكثر البلدان مثل اليمن[7] وآنس وحراز .

وفي يوم عيد الأضحى آخر سنة ١٢٦٥ قلب الإمام الدَّعوة من تلقب المهدي، وتلقب بالهادي وشاع ذكر ذلك في منابر الحاضر والبادي .

وبعد أيام الأضحى نفذت الطلابات[8] لقبائل خولان ونهم وأرحب إلى الحضرة، وأمرهم بالتَّجهيز للجهاد، وتتابعت القبائل، وأمر بإبتداء النهوض إلى عمران بسبب منعهم

---

(١) سلّمه. أو صرفه إليه .

(٢) عملة نقدية صغيرة وفي قانون صنعاء ١٩ صرف القرش الفراذضي حرفان وهي تختلف حسب الزمان .

(٣) الأولى .

(٤) خ بلغتا .

(٥) تآمروا .

(٦) أي دخل الناس .

(٧) هو اليمن الأسفل الجهة الجنوبية بين تعز وصنعاء .

(٨) الطلبات . بالإستدعاء .

عن تسليم الواجبات واستدعائهم السيد أحمد بن هاشم ومن صحبه من الفقهاء، وضربت مدافع الرحيل في يوم سابع وعشرين شهر ذي الحجة سنة ١٢٦٥ وبات أول ليلة في كولة العرج والثانية في جَرْبان ولقيه مشايخ عيال سريح طائعين في أنفسهم بالمكافآت لأهل عمران لما أسلفوه مع خروج المتوكل إلى عيال سريح .

ودخلت سنة ١٢٦٦ :

كثيرة الخصب والخير والإمام في سفره .

وفي يوم السبت ثاني شهر محرم أحاطت الأجناد بمدينة عمران، وخرج جند الدّاعي من المدينة وأشهروا السّلاح والزينة، وقصدوا مطرح الإمام وتلقاهم شرذمة من أصحاب الهادي وتلقّوهم بالرّصاص وهزموهم حتى أدخلوهم المدينة، وسقط منهم ومن عمران نحو عشرة قتلى من أصحاب الإمام ستّة من أخلاط النّاس، وغار الإمام إلى وسط المعركة بهمة سامية .

وفي يوم الربوع نقل الإمام بجنوده إلى مطرح آخر بالقرب[1] من قرية (دغوان) ففطن البغاة أن الإمام قد قصد الرجوع صنعاء ولاحظهم الطمع، وخرجوا من المدينة أكثر من المرة الأولى، ولحقوا بآخر القوم، فعطف عليهم بجنوده وانضمت كل قبيلة إلى أختها وغاروا كأنهم الليوث العابسة والنسور المفترسة، فانهزم جند الدّاعي وتبعهم الإمام وجنوده حتى أدخلوهم مدينة عمران، وقتل خلق كثير، وغنم القوم أسلحتهم ونعق غراب البين في وجوههم، وندموا حيث صدّقوا قول الفقهاء[2]. أفلا يسمعون بمن قد سلف من الذين يتوصلوا إلى الدنيا بالدين ويزعمون أنهم المحقون اللهم غفراً .

وفي ليلة الأحد وصل الهادي نصف الليل إلى صنعاء المحمية، وتبعه خمسة أنفار راكبين على خيلهم، وفزع من علم بوصوله وظنوا هزيمته أو أخذ محطته، فلما أصبحوا سألوا[3] قيل أنه رأى في رجوعه صلاحاً، وعزم القصر، وبات الجند والوزير والأثقال في (جَرْبان) وسبب ذلك أن القبائل قيل اضمروا الخدع والمكر، وتسللّوا راجعين أرسالاً ومن بقي أظهر عدم الجهاد وقيل نفذ المال على الإمام لأنه من بقيت ما عاد[4] وأما داخلاً فلا شيء، وأكثر القبائل المطالب، وقد كان انحصروا من في عمران في المدينة / وما صدقوا برجوع الإمام صنعاء . ولما وصلت الأثقال والوزير جاءت الأخبار أن قبائل حاشد وأهل

---

(١) خ بلقرب .

(٢) يعني أتباع الداعي أحمد بن هاشم وكان من العلماء وسيأتي خبر توليه .

(٣) خ. سلو .

(٤) كذا

عمران اشتجروا هم والسيد أحمد بن هاشم على ديات قتلاهم الذين قتلهم جند الإمام في القتلات المذكورة، وتفرق من عنده، وبقي الفقهاء يراسلهم بالكتب والرسائل شرقاً وغرباً[1] ووقع الظفر بفقيهين معهم كتب إلى عند ناس من صنعاء، فعزروا وطافوا بهم في شوارع صنعاء، وصلبوا في سوق الصيرفي فأسَرَّها شيعة الداعي، وفي نفوسهم من التوجع وخاف رسل الدَّاعي، وكف قلمه، وحال بينه وبين صنعاء عيال سريح وهمدان، ودخل عقالهم إلى صنعاء وعاهدهم على حفظ بلادهم وحفظ الطرقات وحفظ عيال سريح المدفع الكبير عندهم في (الورك) حتى يرسله الإمام أو يعودوا إلى عمران، وبعد رجوعهم من عمران خاف النَّاس وحفظوا نفوسهم في بيوتهم وظنوا عدم السَّلامة فكفاهم ما يتوقعون .

وفي ليلة وعشرين خلت من محرم سنة ١٢٦٦ بدا للإمام الهادي ضرب عنق المتوكل محمد بن يحيى فطلب عاقل الركاب قاسم بن أحمد اليمني وأمره بالزام السَّيَّاف بضرب عنق المتوكل في محبسه، وكتب فيه مكتوباً بهذا فراجعه مراراً فلم يقبل .

وفي صبيحة الأحد رابع وعشرين بعد صلاة الفجر دخل على المتوكل الخدم، وكان في مطبق من مطابق الحبس غير أماكن المحبوسين في السلايم، وهذه المطابق لأهل العظايم والجرائم الكبار، منهم من يبقى فيها دائماً، ومنهم من يبيت فيها الليل لأنها عميقة مقفلة محكمة البناء ما يتصور منها المفر، وأما الآن فقد تقلبت عادة الحبس إلى[3] قواعد أخرى، وما ذكر أول كان مشتهراً إلى آخر دولة[4] آل القاسم بل إلى عند وصول الأتراك صنعاء، فلما دخلا عليه الخدم وأخرجوه وأطلعوه على المكتوب القاضي بقتله فطلب الطهور، فَتَطهَّر وصلَّى الفجر وأسرع في صلاته، وقيل أنه قال للعاقل هل من سبيل للمراجعة فذكر له العاقل قد راجعت مراراً فلم يقبل الإمام غير القتل، فقال المتوكل: لو وقع ذلك القتل في ميدان البكيرية، فقالوا له: الأمر بالقتل ها هنا، فقال الشهادتين وتوجَّه إلى القبلة، وأمر الخدَّام، بربط عضدية بالعمامة[5] ففعلوا ولم يخاف القتل، ولا ظهر منه الفشل والجزع، وأمر السَّياف محمد البحري أن يضربه ضربة واحدة، فضربه أربع ضربات وما سقط إلَّا في الرابعة، وكان قتله في موضع خارج مكانه الذي كان محبوساً فيه، وانقطعت حياته ولقي ربه بعمله فلهفي على آل رسول الله ﷺ حين يضرب بعضهم رقاب بعض ولهفي على هذا الخليفة لولا ما تقدم من أمر الأتراك، ولعمري لولا ما تقدم من خبر الأتراك وهلاك

---

(١) أضاف المؤلف في أعلى الصفحة « فكن من استعجل زل ليتك قليل استنيت » .

(٢) أنتن .

(٣) خ لا .

(٤) خ دولت .

(٥) خ بلعمامة .

الأنفس والأموال بسببه لرثيته بأبلغ مرثية في زماننا .

ولما علم النّاس بضرب عنقه داخل النّاس الفزع والجزع، وحزن عليه أعداؤه وأحبابه، وبكى عليه أهل الأقطار، مع علمهم بمصيبته لهم بالأتراك وظلمه لبعضهم ولكنه[١] سبق منه من المجد، وخصال الخير ما لا يحصر ذكره .

وهذا الإمام المتوكل أول قتيل ضرب عنقه في قصر غمدان، وأول خليفة ضرب عنقه صَبْراً من أولاد الإمام القاسم عن نظر من الإمام الذي بعده علي بن المهدي، وبعد قتله نقل إلى (خزيمة)[٢] ودفن هناك في مقبرة آل المنصور عدني (خزيمة) .

هذا وولده سيدي غالب وصنوه عبدالله باقيان في المحبس، لكنهما لم يشعرا بقتله إلا بعد دفنه لتفرقهم / في المنازل ونسأل[٣] الله اللطف بحوله وطوله .

ومن هنا قد بنيت على الاختصار مما وجدت لأنها أمور طويلة من تغلب أهل الفساد على الدولة في كل بلاد وتربشت الأمور، وقطعت الطرق، ولم زِدْ بقي دخل للإمام شيء، إنما تارة يدَوِّر ما عاد في الخزائن، وتارة يخرج من ملكه دفعاً على عرضه من كل باغي من القبائل الخارجين والتوابع الداخلين لا رحم الله كل من بغى وتعدَّى، فما أظن ما نحن فيه خمسة وأربعين سنة إلاَّ بسبب البغاة ثمانية وعشرين سنة في كل سنة إمام، وكل أحد يذهب .ماعاد بقي من بيت المال، والآخرين خربوا الدور والقبائل تغلبوا على ما خلف السور، وآخرها عقّال ومشايخ وطاغوت، وسبعة وعشرين سنة ترك وطاغوت أحمر وقانون على خلاف الشريعة ومنكرات ظاهرات، وكل حركات الرّجل بفلوس للدولة إن قام سَلَّم[٤] وإن قعد سَلَّم وإن رقد سَلَّم وإن أكل سَلَّم، وإن شرب سَلَّم، وإن سافر سَلَّم، وإن عمر بيت أو رفعه سَلَّم، وإن دخل له شيء من ماله، وضابطه ما بقي من غير تسليم سوى النوم، وما أظن إلا أن قد بيسلم حق النور وهي الفرقة المسماة (بلوركين)[٥] وأما (الكيري)[٦] فعرفناه و (الميري) [٧] سَلَّمْنَاه، وما كان إلاَّ مثلاً قال كيري ميري وصلناه نستغفر الله من الذنوب والخطايا والأوزار آناء الليل وأطراف النهار .

---

(١) خ لاكنه .
(٢) مقبرة صنعاء من الجهة الجنوبية .
(٣) خ نسل .
(٤) دفع .
(٥) كلمة غير منقوطة وفي الفارسية بلورين: بلوري. أو كأنها من اللفظة وركى: ضريبة الأغنام .
(٦) ألفاظ تركية وفي الفارسية كيرو بمعنى حفظ .
(٧) الميري : ضريبة الأرض بالفارسية .

فبقي سيدي على المهدي في حيرة ما قد وقعت تَمَّ ما معه، وما في خزائن الخلافا[1] بنحو نحوه يذكر وما أحد له شكر، فهذا بذاك، نعم نرجع إلى ذكره .

وفي شهر صفر فسد أهل حضور واستدعوا جماعة من أصحاب السَّيد أحمد بن هاشم، وكان قد أهم الإمام بتجهيز جماعة من التوابع فامتنعوا، ومنعوا الإمام من خروجه لصلاة الجمعة، ومنعوا الأمير في القصر، وقد في بطونهم ما ذكرت لك من اللكوك هم البغاة وآخره أبسرناهم[2] وقد هم مع الترك مثل الخَدَّامين والغلمان وبيبزوا[3] لهم الأطفال، ويزقموا[4] لهم الحمير،ويمشوا خلفهم، وسموهم (زبطية)[5] بعد ما كان كل واحد لو قال[6] له الإمام يزقم[7] له الحمار أو الحصان لَهَمَّ بقتله فهذا بذاك .

هذا والإمام قد شرط على العسكر أن بيوت الأموال معطَّلة ما تصبروا على ما حصل ؟ فأجابوا التوابع أنهم سيصبرون سنة لحتى يفتح الله ولا عذر له من القيام فلما قام وسكنت فتنة الترك رجعوا لشغلته[8] حتى أنه أهم بالخروج على (حضور) فتراخوا، وأفسدت البلاد ورجع[9] الإمام باع من خالص ملكه في جوامك[10] وسلم لهم .

وفي خلال ذلك وصل النقيب محمد بن صالح الرويشان، يذكر للإمام تقطّع الطرقات، وكثرة الفساد وألزمه الحجّة بالخروج، وسيطلب له خولان أصحابه وعَهّده على ذلك، وخرج يدخل أصحابه، ودخلوا وسلم لهم الإمام الزلاج حقّ المخرج، وخرجوا وتخلّفت التوابع الذين قبضوا جوامكهم مما باعه من خالص ملكه، ونكص الرويشان، ورجع، وأخذ حصان من حقّ الإمام، وما وسع أصحابه إلاَّ أن تبعوه، ورجعوا بلادهم، وأعلنوا أهل حضور بالفساد، واستدعوا الأرحب ونهم فلما تيقنوا نهم خلاف البلاد، نقضوا الصُّلح فيما بينهم وبين الحيمة من الضغائن القديمة، وغاروا من متنه إلى رأس الحيمة يريدوا إستئصال الحيمة، ونسوا الإمام وتركوه، ووقعت بينهم وبين أهل الحيمة نحو إثنا عشر

---

(١) الخلفاء:
(٢) أبصرناهم .
(٣) يربوا الأطفال. وفي اللغة بزت الصَّبي أرضعته والبزي الرضيع .
(٤) يمسكوا .
(٥) ضباط .
(٦) خ أوقفه .
(٧) يمسك .
(٨) إشغاله وأذيته بالطلب .
(٩) عاد .
(١٠) مرتبات .

قتيلاً وأغار الإمام على أهل الحيمة وطـرح في بيت المفضّل، وصادر مصادرة شديدة من فساد جميع حضور، وقطعت الطريق إلى صنعاء والمطر استمر ليلاً ونهاراً، وقطعت المجلوبات إلى عند الإمام ولم بقي للجهاد مجال .

وفي آخر جماد رجع الإمام صنعاء وتأخّر الوزير والأثقال .

ويوم ثاني خرجوا أهل قرية (مِنْد) ومن عندهم من القبائل ونهبوا بعض حمولة[١] الإمام الراجعة صنعاء .

وفي جماد مات توفيق باشا في الحديدة وكان مضمراً الشر/ فأخذه الله .

وفيها دخلوا ذو محمد أخذوا يريم وانتهوها، وقتلوا من أهلها واحتازوا الباقين في القلعة .

وفيها جاءت سيول سيل شراع والخارد، وما قد عهد أحد مثلها في قادم الزّمان حتى سحب واجتحف ما على وجه الأرض في طريقه من صخور وأشجار وبيوت ومواشي، ومن جميع السباع، حتى وجدوا حنشاً ميت بين ما اجتحفته السيول يمكنه أكل الطواهش[٢] والسباع لكبره نسأل الله الحماية، قيل أن هذا السيل من البصرة واجتحف[٣] البدو بمواشيهم، وكل ما مَرّ عليه يسحبه .

وانتهى الفساد حق حضور إلى حَدّة لاتصالهم بصنعاء .

وفيها وقع الإمام بالوزير محمد العفاري، بسبب ذلك التَربُّش في جميع البلاد، ووقع[٤] أيضاً بعامل صنعاء الشيخ صالح بن محسن خليل، وعقد الوزارة للشيخ أحسن بن علي راجح الكينعي .

وأما السيد أحمد بن هاشم الويسي، فكان في عمران وهذه الفتن والفساد في حضور سببها هو، وطلب أهل البستان وصوله إليهم، فجمع من رعايا عمران نحو خمسمائة نفس، ومن الفقهاء نحو مئة، وخرج في ٢١ جمادي آخر، وبات في شبام كوكبان، ويوم ثاني وطرح في متنه وبَثّ الرسائل والكتب إلى كل أرض، فجاءت إليهم البغاة هدية لأجل يأكلوا حاصلات البلاد، كل أحد يمْنع على ما عنده، وسميت بين الدولتين وهم من إجابة دعاة الحق بمعزل، ولا يغتر بهم ذوعقل، ثم توجه من متنة إلى بيت ردم، واجتمع إليه بني مطر،

(١) خ حمولت.
(٢) الوحوش .
(٣) جحف .
(٤) أوقع .

وحضور، ورجعوا أهل عمران إلى بلادهم، وما قصدهم إلا إخراجه من عندهم لما نالهم، ولأجل يأكلوا حاصلات بلادهم، وقد هَمَّ الإمام وأرسل بالكتب إلى شيعته بصنعاء ويحرضهم بالخروج إليه[1] والمرسلات إلى عنده في صنعاء علقهن في أبواب المساجد، فما أصبحوا الناس إلاّ وشاهدوهن .

ووصل القاضي أحمد بن حسين البرطي، وكان عاملاً لسّيدي الجمالي في ذمار وآنس، ونكث البيعة، ووصل إلى حَدّة وقطع طريق صنعاء وبقي على ذلك مدة، وطلع إلى حضور إلى عند الداعي، ولم يتوافق الكلام علي ما كان يظنه وإذا ماله صنيعة عند الداعي، ورجع حدّة وقد أسرّ الندامة على نكثه البيعة والنّهب والقتل والبغي على بيت القاسم الذين فعلوا لهم القطع وأركبوهم الخيل وعمّلوهم البلاد .

فلما علم الهادي خبث نية البرطي أرسل إلى عامل قعطبة وعَمّار، وعامل حبيش، يأخذوا عليه القطع، ففرحوا بذلك، ووقع فندم حيث لا ينفع الندم، كيف وقد زل القدم، وما ذاك إلا بسبب قطع الطّريق وقتل الأنفس، وخرج البغاة لقطع الطريق في رجب، وعندهم أحمد بن حسين البرطي، ووقع الحرب في الحفا وهم نحو ألف والتّوابع نحو مئتين، ولا زال أحمد بن حسين هذا دأبه من قديم الزّمان ودأب آبائه من قبله يتديّنون ويتشيعون وما هم هنا قصدهم أنفسهم، إنما هو (صليت لك تقرب)[2] فياحياهم من الله ورسوله . فلما اشتد الحال بالضعفاء والمساكين واحتازت صنعاء، وقل مواد البلاد، وكثر فيها الفساد، توالوا[3] أهل الحل والعقد ، ومرجع الأحكام أن ينظروا للمسلمين إمام كامل الشّروط ،وسيدي الجمالي يتنحّى وإنما كلّفوه لإطفاء فتنة الترك، فجزاه الله خيراً بتصدّره في الوقت العسر. وتوالوا على السيد الكريم العلامة الفخيم عباس بن عبد الرحمن[4] من سادة شهارة، وقد طال مقامه في صنعاء المحمية وبلغ في العلم الغاية .

وفي آخر نهار الإثنين خلع نفسه سَيِّدي علي لسيدي الضّياء ورجع بيته (دار الذّهب) كما قبل[5] وهي الثالثة خَلْعَة، وفرح الناس بخروجه على جميل منهما فقد فعل مجهوده ببذل ما يملكه من خالص ما خَلَّفه آباؤه وأجداده في صلاح المسلمين، ولكن لم تقابله الأيام، ولم يرض به أكثر الأنام، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر ونصف ويومين .

---

(١) كلمة مطموسة .

(٢) من الأمثلة الشعبية يضرب للرجل يقوم بعمل لغرض آخر .

(٣) تشاوروا أو راجعوا أنفسهم .

(٤) من الأئمة تلقب بالمؤيد تولى سنة ١٢٦٦ ثم تنحى في نفس السنة للمنصور أحمد بن هاشم انظر اتحاف المهتدين ص ٩٤.

(٥) مثل قبل .

(ذكر الإمام المؤيد بالله العباس بن عبد الرحمن بن محمد بن حسين بن القاسم بن أحمد بن المتوكل على الله إسماعيل بن المنصور بالله القاسم وقد تقدم اتصال هذا النسب الشريف).

قام هذا الإمام الكريم ليلة الثلوث لأربع وعشرين خلت من رجب الفرد سنة ١٢٦٦ بعد أن التقت حلق البطان[١] وعول عليه العلماء والأعيان، مع سلامة صدره من قبله حيث ما يريد إلاّ ما يصلح المسلمين والإسلام، فتحمل أعباءها، وذلك مع تعيين الوجوب عليه وهو يبا[٢] من الدّخول في هذا الأمر، والتقمص له مع ما فيه من الخطر والضرر وذلك بعد خلو بيت المال وفساد الرعايا في جميع الجهات، وخلو المجال للبغاة وتحويزهم لصنعاء باتصال مستمر وطول عمرهم على ذلك، وزعمهم أنهم مناصرين للدّاعي القائم في حضور[٣] وما ذاك إلا ذريعة إلى التوصّل للبغي والفساد، وأخذ أموال الناس، وقتل النفوس التي حرم الله، وقد عرفنا أحوالهم وتحقّقنا أفعالهم أنهم لا ينصرون داعي، ولا يقوم بهم دين فلا مقصدهم إلا ما يعطون من المال وقد جرت عادة البغاة من قادم الزمان أنهم بمعزل عن الدِّين خصوصاً في هذا الأوان .

وفي اليوم الثاني خرج[٤] من بستان السلطان بموكب يسرّ الودود ويغيض الحسود، وعليه تاج الخلافة أمامه الألوية والبنود، وجرت نجائب الخيل، وصفّت الجنود قُدّامه، وتوجه إلى القصر السّعيد كما جرت العادة أن كل إمام يطلع القصر، وتقع البيعة هناك، ورجع آخر النهار إلى البستان والله يصلح كل شأن .

ويوم الأربعاء اجتمع سادتي آل القاسم وقامت حفائظهم على خروج الملك من هذا البيت إلى البيت الذي فوقه من أولاد الإمام القاسم بن محمد، وقد كانوا أثاروا فتنة صَمّاً وخرجوا إلى باب شيخ الإسلام الشوكاني، فتلقاهم بصدر رحيب وأدخلوه معهم قسراً إلى دار الإمام في بستان المتوكل، فتلقاهم المؤيد بأحسن تلقي، ولين لهم القول فلم يقبلوا إنما قصدوا الفتنة، فأغلظ لهم القول واجتمع إليه عصابة من الجند، فبطل أمرهم، وتفرق شملهم وكَفُّوا ألسنتهم فهو كان من القساورة لا يبالي بأحد من شجاعته، وعجبت من نكث بعضهم للبيعة ولسان حاله ينشد:

---

(١) يقال التقتا حلق البطان: اشتد الأمر وعظم الخطب .
(٢) يأبى .
(٣) يعني الإمام أحمد بن هاشم .
(٤) أي خرج الإمام .

قلت لما تحزبوا ومن أجلي تجمعوا   لا أبالي بجمعهم فهو جمع مؤنث[١]

ويوم ثاني نفر منهم جماعة وهربوا إلى سَيِّدي أحمد بن هاشم، ورضوا بدعوته، وخروج الملك من بيت القاسم بالكلية، فما وجدت لهؤلاء عقولاً كيف يفرُّوا من قائِم من آل الإمام القاسم بن محمد، وقالوا هو أعلى درجة ويريدوا خروجه بالكلية إلى رجل أجنبي[٢] بسبب غفغتهم وعدم الإقتداء بسلفهم، والباقي توقفوا في صنعاء وأسروا الندامة .

وفي يوم جمعة خرج البرطي من حدة بمن عنده يقطع الطريق ويمنعون عامل بلاد / الروس من المرور، فخرج العامل بعد صلاة الجمعة، وجَهَّز معه الإمام الأمير الأكبر فتح محمد، وعصابة من التوابع يحفظونه من البغاة، ولا يعلم الأمير وأصحابه بقدر أصحاب البرطي يظنون أنهم إلاَّ قدر مئة رجل، وإذا هم قد كمنوا في الأرض، وهم قدر ثمانمائة فلما وصل الحاج فتح ومن معه إلى قرب الجردا باشرهم الخارجون بالقتال، فثار الحرب واختلطت الخيل وانحاز التَّوابع وأميرهم في جبل مما يلي نقم، وانهزموا إليه واستمر الحرب، فلما علم الإمام خرج من فوره بهمَّة عالية بعد العصر، وخرج معه قليل من الجند نحو ثلاثين رجل، وقليل من الفرسان، فكان لخروج الإمام موقع عظيم في القلوب[٣] وتتابعت الجنود وراءه حتى وصل داع الخير وتبعه عصابة وافرة فغارت جنود الحق على الخارجين، فانهزموا وغار من سنحان جماعة من القرى القريبة مع الإمام، ورجع المنهزمين من أصحاب الأمير فتح محمد حين جاءهم البشير بوصول الإمام لنصرتهم، وأصدقوا الوضع وانهزم البغاة، حتى وصلوا قريب حده، وهم ذلك القدر الكثير والجم الغفير من الفريقين والذي من أصحاب البرطي أكثر، وهولاً أخذوا رأس من أصحاب الإمام، وأصحاب الإمام أخذوا منهم رأس يقال له ابن عبدالله وهبان من رؤساء القوم. وراقم هذا شهد على راية الإمام في الأبهر عند خروجه راكب على حصان أبيض كبير، وبيده رمح كبير من المزاريق[٤] الذي ما يحملهن إلا أهل المجدة[٥] والنَّخوة والشجاعة والقوة، وهو يهتري بصوته فلولا

(١) أصله قول الشاعر:

إن   قومي   تجمعوا   وبقتلي   تحدثوا

لا   أبالي   بجمعهم   كل   جمع   مؤنث

ينسب هذا البيت إلى الزمخشري. وقيل لأبي المختار العلوي انظر قول علي قول على قول ١٠ / ٢٥٥ .

(٢) لأن احمد بن هاشم من فرع آخر ينتسب إلى حمزة بن أبي القاسم من أولاد الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين .

(٣) خ فلقلوب .

(٤) نوع من الرماح .

(٥) النجدة .

خرجته لما رجع ممن سبق أحد فلله دره ما أمجده، ورجع بعد العشا مؤيّداً منصوراً والمشاعل منصوبة أمامه .

ويوم السبت لم يشعروا النّاس إلا بصيحة عظيمة من وسط صنعاء المحمّية سمعها أهل صنعاء جميع بل ومن خارج السُّور، وفزع الناس فزعاً عظيماً، وسبب ذلك أن ثمَّ ناس كثير يريدون قيام المنصور سيدي أحمد بن هاشم، ودخوله صنعاء، وقد أعانه منهم خلق كثير بأموال جزيلة وكساء جميلة، ولا زالوا يتسبَّبوا لإثارة الفتنة، وألقوا إلى أذهان الغوغا ما تقبله عقولهم، من أنه لا يتم شيء إلا بدخول المنصور، وهم أكثر أهل صنعاء حتى أن الغوغا يَدَّعوا التّشيع وما هو داري ما هو، ولا ما شروط الصَّلاة، ولا ما يحلها ولا ما يحرمها، حتى أن النَّاس من أهل السوق آلوا على نفوسهم لا يدخلون تحت طاعة الإمام وأن بعض منهم مد يده إلى خَدَّام الوالي بالجنبية فوقعت في رجل آخر، وسلم الرسول حق الوالي .

وفي ذلك اليوم وأهل صنعاء في تحشيد لبعضهم بعض، وفي ترتيب الصوامع[1] والسماسر[2] والبيوت الكبار، والإمام في تحشيد للجند والأدراك والحفظ للبيوت من النهب وما قَصْد الغوغا إلاّ نهب البيوت والسماسر، ولولا دفاع الله لكانت فتنة صَمّا .

وفي اليوم الثاني أرسل الإمام لعقال صنعاء والمتّهمين بالإغراء، وأوثقهم عنده في الحديد عند الجند، ووقع الضَّبط لمن أعلن باسم المنصور سيدي أحمد بن هاشم ولمن تعدّى وأثار الفتنة، فسكنت الأمور وألزمهم تسليم ما عين عليهم من المال وسكنت الأمور .

وفي شعبان وصلت إلى الإمام قبائل أرحب وعيال سريح، ورهنوا في العسكرة، وجَهَّزهم المولى إلى حضور، فأمال عيال سريح فرجعوا بلادهم، وأرحب عزموا حضور، وأطاعت القرى القريبة وأمَّر الإمام عليهم الفقيه أحمد بن محسن الحيي، وانتهوا إلى جبل النبي شعيب، وأخذوا قرية السِّرارة عنوة وأخذا ما فيها من الطعام والمواشي والأمتعة والسلاح، وقد كان وقع بينهم وبين جند الدَّاعي سيدي أحمد، وباتت الهزيمة في جند الدَّاعي سيدي أحمد، وباتت الهزيمة في جند الدَّاعي حتى أدخلوهم (بيت ردم) ولكن لما قد كانوا نهبوا قرية السرارة اشتغلّوا بذلك عن الجهاد، وما وقع إلاّ يرجعوا بلادهم لأجل الفود[3] الذي قد وقع لهم، ورجعوا يشتوا[4] رهاينهم وهي عادة أرحب إذا وقع له النَّهب فما يسعه غير الهرب ولو

---

(١) مآذن المساجد .

(٢) محل نزول الغرباء والأماكن الكبيرة .

(٣) النهب.

(٤) يطلبوا.

المرهـون أبـوه أو ولـده أو أخـوه، وأمـا هـمدان فقد كانوا عاهـدوا الإمام على الغـارة، وأمـر عليهـم توفيق الدنـوة، ولم يـصح منهـم شيء، ورجـع القاضي أحـمد بن حـسين البرطي يخـادع بني الحـارث.

وفي رمـضان وقـع حـرب بين أصحـاب الإمـام الـداعي، وخـرج الإمـام إلى الصافـية[1] وبـاتت الهـزيمة في جـند البرطي، ورجعـوا إلى حـدة، وفيه وقـع حـرب بين أهـل بـلاد الـروس، وبنـي مطر وعَضَّـد أهـل بني مـطر أهـل حـضور، وعضـد أهـل بـلاد الـروس سنحـان، ووقعـت حـرب واحـتزت رؤوس من كـثر القـتلى وأرسـلت إلى عـامل بـلاد الرُّوس سيدي أحـمد بن إسحـق، وهو أرسـل بهـا إلى صنعـاء، وصلبت في بستان السلـطان.

وفي آخـر شهر رمـضان أعـلن أهـل بني الحـارث بالفساد، وشيخـهم صالح بن صـالح دغيش العنجـري[2]، وألزمـوا أهـل الروضـة الفـساد، وبالبيعة لسيدي أحـمد بن هـاشم، وقـد كـان أحـمد بن حـسين خـادع نـاس من أصحـاب الإمـام على بـيع بستـان المتوكـل، وأسفـل صنعـاء للسيد أحـمد بن هاشم ، وخيَّـبهم الله، وأغلـقت الأبـواب دونهـم، وأثـاروا الحـرب في البـيوت الكـبار المجـاورة للدائر من نحـو شعـوب، واجـتمع أشـرار الخـلق من جَـدِر والرَّوضة وبنـي الحـارث إلى شعـوب، وبـقي الحـرب بينهـم وبين أصحـاب الإمـام مستمـر ليلاً ونهـاراً بالبنادق والمـدافع في الدَّواير والبـيوت.

وفي يـوم سـابع وعشرين خـرج أصحـاب الإمـام من بـاب الشَّقاديف على البـيوت في شعـوب المجـاورة للـدائر، وأخـربوهـا وأخْرَ بهـم الإمـام بنفسه بالمدفع الكـبير وغـيره، وقـتل منهـم خـلق كـثير بسـبب إهـدام[3] الضعـفاء والمساكـين، وقـطع السُّبلات وبعد ذلك اليـوم، زادت الحـوزة واشتـد الحـال، وغـلي الطَّعـام وارتفع سعـره، ونـزل جـند الدَّاعـي كـلهم إلى حَـدَّة وانحـصرت صنعـاء ومـن فيهـا، كمـا انحـصر رسول الله ﷺ في يـوم الأحـزاب ومنعـوا الإمـام من صـلاة العيد في الجـبانة.

وفي أول شهـر شوال نـزل أي لسيد أحـمد بن هـاشم إلى الصَّافيةالعدنية ومـعه قـدر أربع مـئة رجـل وست خـيل حـتى قربوا من دائـر قـاع اليهـود، وبـقي الكـلام والحـرب في ذاك المـكان يـومين ثـلاث، وأصحـاب الإمـام يحـربون داخـل السُّور وخـارجه، ومـا كـان يَفْرع إلاّ الليـل.

---

(١) تـقع في الجهـة الجنوبية من صنعـاء وأصلهـا كانت أرضاً لباذان فأصفاها عمر بن الخـطاب لأنـه بـلغه إنـه أسلم طوعاً(انظر تاريخ صنعـاء ص ٥٦٦).

(٢) أحـد المشايخ في عصره له ذكر في الحـوادث.

(٣) إهـدام وهـدم: إخـافة.

وفي سلخ شوال أمر أحمد بن هاشم جنده يكمنوا في ضبر الخولاني للخارجين الضّعفاء والمساكين، وللداخلين الجالبين للمساكين، فكمنوا وأغارت قبيلة قيل من سنحان وهزموا وأغار المبعدين وطال الحرب/ولما سمع الإمام المؤيد بالحرب، قد انتشر وقطع الطريق المسبلة، أمر أخاه قاسم بن عبد الرحمن فخرج على الفور، ومعه عصبة من باب خزيمة، وتَعَقّبه الإمام، وخرج من باب اليمن بعصابة نحو مئة، وضربت مدافع الرحيل، وتتابع النّاس، فلما سمعوا الخارجين بالمدافع فكان منهم الضّاحك والباكي، فأما أصحاب الإمام وسنحان ففرحوا بالغارة عليهم، وأما البغاة فضاقت عليهم الأرض وداخلهم الفشل والوجل، وقصد الإمام إلى المعركة بنفسه، وفرّق جموعهم وخرب متارسهم بنفسه، وأمر الأمير يرجع على غارة أهل شعوب فرجع عليهم بنحو عشرين نفر، وقع بينهم حرب كبير، ودخل الأمير من باب ستران لأن القبائل قد كثروا وقطع رأس رجل من كبارهم، ورجعوا شعوب مكسورين، وأما الإمام فاستمر الحرب من ضحوة النهار إلى أن أظلم الليل ورجع البرطي الباغي وهم نحو ست مئة وأصحاب الإمام نحو مئتين.

وفي شهر ذي القعدة رجع أكثر أهل الروضة إلى بيعة المؤيد بالله، ونكثوا بيعة أحمد بن هاشم، وثارت فتنة في سوق الرّوضة، وقتل الجمل قتله السّيد العياني وثارت بينهم الشُّغَل[1] وكفى الله الناس شرهم.

ويوم الجمعة دخلت هَمْدان صنعاء بجَلْبْ لأهل المدينة غَنَم وسمن وحب[2]، فلما خرجوا تلقاهم أصحاب الدّاعي إلى باب المنجل وأحمد بن هاشم أقام في باب فج عُطّان وذلك أنه لما اشتدت[3] الحوزة ما كان أحد من أفراد القبائل يصدأ[4] وحده، وعدم في صنعاء كل شيء فما بقي إلاّ أنهم الجالين يتجمّعوا ويدخلوا دفعة واحدة، فلما رأوا المفسدين السّفر[5] قد دخل قوتاً للضُّعفاء تلقّوهم عند خروجهم وقد معهم نحو ثلاث مئة من صنعاء من الهاربين من الضّيق والشّدة ضعفاء ومساكين فارّين وأرامل وأطفال، ووقع حرب كبير وهمدان البنادقية[6] نحو

(١) جمع شغلة: الأذية والمشاغبات.
(٢) قمح.
(٣) خ أشده.
(٤) يصدأ: يصطى أي يستطيع.
(٥) أي المسافرون المتسببون في البيع ونحوه.
(٦) أصحاب البنادق.

عشرين والمفسدين نحو ست مئة، فلما رأى الإمام ذلك خرج بنفسه ينفّس عن الجالبين هَمْدان، وعن الفارين المساكين، وخاض بين القوم بنفسه، وفَرَّق بينهما حتى أنفد السفر إلى مَذْبح واستمر الحرب إلى عشاء، وقتل من المفسدين، وجرحوا ورجع الإمام ظافراً منصوراً.

(ذكر دخول الإمام أحمد بن هاشم الملقب المنصور صنعاء وذكر نسبه)

هو أحمد بن هاشم بن محسن بن قاسم بن إسماعيل بن الحسين بن عز الدين بن مهدي بن ناصر بن مخارش[1] بن ناصر بن عبد الله بن أحمد بن حمزة بن أبي القاسم بن محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد بن حسين بن جعفر[2] بن أحمد بن يحيى بن عبد الله بن يحيى بن الناصر بن الإمام الهادي بن الحسين.

في ثاني وعشرين شهر القعدة دخل أصحابه على بستان المتوكل وهم أهل جدر وشعوب وبعض أهل بلاد البستان وبني الحارث، ودخلوا دار الإمارة في بستان المتوكل على حين غفلة من الموكلين يحفظها، ولم يشعر المؤيد بالله وأهل صنعاء إلّا برمي البنادق وأصوات المتسلّلين وداخل الناس الفشل والوجل بسبب الإرجافات، ومبايعة أهل صنعاء لأحمد بن هاشم، وأهل حضور وبني الحارث يتتابعون إلى البستان وما باتوا تلك الليلة إلا والقوم زهاء ألفين، وأخافوا النّاس في غربي صنعاء وفي صبيحة[3] يوم دخولهم، نزل المؤيد من القصر وأصحابه والباقين على بيعته، ووقع بينه وبين أصحاب ابن هاشم حرب عظيمة، وقتل النقيب قاسم الصوفي من أصحاب المنصور والنقيب عبد القادر من أصحاب المؤيد وجرح خلق من الطرفين، ورجع المؤيد القصر.

وفي يوم الأحد/دخل أهل (جَدِر) من الطاقة الذي فتحها أمير البستان، إلى بستان الطّبري في صنعاء المحمية، وما وسع الناس غير التّسليم وأعلنوا باسم المنصور ورضوا بإمامته قَسْراً، ودخل أصحابه صنعاء، وأعلنوا بالأمان، ولله في كل ساعة شأن، واستولى البُغاة على ما في الإمارة من النّفائس والأمتعة والبلّور والصّيني والملابس والحلي والفراش الرُّومية والنحاس والعطب[4] كل ذلك نقلوه إلى بيوتهم، وذلك مَقْصدهم والمرام، والتّشيع في أئمة الآل الكرام، وهتكوا أعراض الإما[5]

---

(١) في نيل الوطر ١/٢٣٤ واتحاف المهتدين ٩٣ «محارس» بالحاء والسين المهملتين.

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) خ صبيحت بالتاء المبسوطة كما هي عادته في كتابه الهاء فلا نطيل على القارىء بمثل هذه التعاليق النادرة.

(٤) القطن سبق شرحه.

(٥) خ إلا أما والأما جمعه أمه «معروف».

وحاموا حول الحمى، وقلَعوا الأبواب وغيروا القباب والمفارج، وبالغوا في الأفعال الشنيعة التي تذهل منها العقول، وقلعوا أبواب المساجد، وأخذوا فرشها وأمور لا يسع حصرها.

وأما المؤيد فإنه لما كان ذلك انحصر هو وأهله في القصر، وأميره ووزيره، واستدعوا من قبائل أرحب وغيرهم إلى القصر، وأثاروا الحرب، وخاف أهل أعالي صنعاء كما خاف أهل أسافلها.

وفي يوم الإثنين خامس وعشرين شهر القعدة دخل الإمام المنصور من سَنَاع، ولقيه الجند وأهل صنعاء وآل الإمام وقت المغرب، وقد داخله العجب وأظهر شيعته الكامن في قلوبهم، حتى خاف الناس منهم، ودخل بستان السلطان.

وصبح الثلوث بايعه الناس حذاراً من شره، ودخل معه رعاة الشياة، ومن معه من الحفاة العراة جياع الأكباد دار الإمارة، وعقد الوزارة لسِّيدي يحيى بن علي الشامي، وأحمد بن حسين البرطي، والسيد علي بن محمد عثمان، والسيد محمد بن أحمد المطاع[1] وعلق قاضيه أحمد بن إسماعيل العلفي[2] بالحكومة الكبرى، واقتسم شيعته الولايات، وأحدثوا المستنكرات مع عدم أهلّية واتخذوا العباد رعيّة، واستمر بقاء المؤيد وأصحابه في القصر إلى سادس شهر الحجة وردّه دينه وأمانته وعقله، ورأى المصلحة التّخلّي بالتّنحي عن دِسْت الخلافة، وطلب السلام لأهل صنعاء، وتسكين روعاتهم، وحفظ الأنفس، وهو كان في معقل عظيم ولكنه رأى المصلحة وشرط لنفسه مشاريط يسيرة اثْنتين فرسان[3] له ولصنوه، وأخذ لنفسه العهد والميثاق ولأصحابه الأمير فتح محمد، والوزير الفقيه أحمد بن علي حنش، وكل واحد أخذ عهداً وموثقاً لنفسه ما أخذه المؤيد عهداً صحيحاً لا يداخله عنوة في شيء، وخرج من القصر سادس شهر الحجة الحرام سنة ١٢٦٦ وكانت مدة خلافته خمسة أشهر.

وفي أيام التشريق ابتدأ الإمام أحمد ينقض عهده، وأرسل الحجاب يحفظوا المؤيد وأهله في دارهم، وكان يخرج لصلاة الجمعة وتمشية الإثنين في موكب

---

(١) من العلماء لازم المنصور أحمد بن هاشم وعمل حاكماً في بلاد سنحان إلى سنة ١٢٨٩ وحبس مع العلماء في زمن الأتراك وتوفي بالحديدة سنة ١٢٩٦ (انظر ترجمته في نيل الوطر ج ٢، ص ٢٢٩).

(٢) هو القاضي شيخ الإسلام أحمد بن إسماعيل العلفي لازم المنصور وألف سيرته وله مؤلفات انظرها في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي توفي سنة ١٢٨٢ بقرية جدر (نيل الوطر ج ١ ص ٦٧).

(٣) مثنى الفرس.

المنصور أحمد بن هاشم، ومالت قلوب أكثر الناس إلى المؤيد لسطوته وأهبته، ودخل في قلب الإمام المنصور وخواصه من هيبة المؤيد، ولم يزل يدبّر الحيلة للقبض على المؤيد والوقوع به، والمؤيد مستصحب السّلامة واثقاً بعهده الواقع له من المنصور.

ودخلت سنة ١٢٦٧

وفي أول يوم جمع أحمد بن هاشم أصحابه وخواصه، وأرسل للمؤيد على حسب عادته، وقد أهبو له البانيان[١] الصيرفي ورجل من بني الزهيري يرافعاه فيما ألزمهما تسليمه لبيت المال وأحضروه/أحمد إسماعيل العلفي، وقد كان دبّروا الحيلة وأبرموها، وأمر المدعيين يشرحا الدّعوى وأمر المؤيد بإجابتهم فأجاب أن ما أخذه منهما لبيت المال، فقد دخل في ضِمْن الصُّلح والإكتفال[٢] به من أحمد بن هاشم، فلم يقبل منه ذلك إلا الأمر[٣] بحسبه وأخذ سلاحه، فوقع بينه وبين أصحاب أحمد بن هاشم ما وقع، وهو يظن الوفا بالعهد والذّمام عملاً بظاهر الإمامة ولا يعلم بالخيانة ونكث العهد فلا قوة إلا بالله. وآل الأمر إلى الوقوع بالمؤيد وإخوته ومن يلوذ به والقبض عليهم، وإخراج أهله ووالدته الشّريفة الفضلى العالمة النقية شمس الحور من دارهم، والاستيلاء على أمتعتهم وقماشهم وإفزاع أطفالهم، وتسليط السُّفهاء عليهم، وما هذه[٤] بأول واقعة مع أولاد رسول الله ﷺ، وحبس المؤيد وإخوته في قصر صنعاء، ولما علم سيدي الجمالي علي بن المهدي خبث نية ضمائر المنصور سيدي أحمد بن هاشم وشيعته، وعدم المراقبة وتسلّقهم إلى ما في أيدي الناس، واختلاس أموالهم، خاف على نفسه وأولاده، فخرج في اليوم الثالث من شهر محرم هو وأهله إلى (ضَلَع) همدان وأرسل إلى عاقل هَمْدان النقيب علي الهمداني فوصل من فوره إلى ضَلَع إلى عند سيدي الجمالي، وتلقاه بأحسن تلقي وأكرمه وأضافه في بيته في طَيْبة وجمع قبائله، وأفاض عليهم ذلك فأجابوه أنه كبيرهم يفعل ما يريد وهم له أعوان على مراده بأموالهم وأنفسهم، وأجاب على سَيِّدي علي بما قرّت به نفسه وسكن به جأشه وقد كان تقدم إلى الوادي خلق كثير منهم القاضي أحمد بن محمد الشوكاني، وسيدي محمد بن زيد، وتتابعوا بعد سَيِّدي على أكثر الناس الموهومين والخائفين من المنصور أحمد بن هاشم، ولما علم المنصور

---

(١) كذا ولعله البانياني بيا النسبة وهم جماعة من طائفة الهنود الوثنيين.

(٢) الضمان والكفالة.

(٣) خ الأمر.

(٤) خ وما هاذه.

بهربهم، ولم ينل منهم ما أضمر أظهر مكتوم سرّه وأمر أعوانه بتَسْمير بيوتهم فسُمِّرت، وكان جماعة من الفقهاء الخلاصة[١] يتسللون إلى البيوت المسمَّرة بالليل، ويأخذوا ما فيها من الأمتعة والقماش والفراش، ويستصحبون معاهم[٢] النجارين والحمالين، ويوصلون نزر يسير إلى بيت المال وإلى بيوتهم شيء كثير، ولم ينكر عليهم أحد لشدّة سطوتهم وتسلطهم على الناس، بسبب إشتراكهم في الأمر والمهاجرة[٣] مع[٤] الإمام المنصور في الأقطار، وجَلْب الناس إليه، وبعد ذلك أمر المنصور بحبس سيدي الصِّفي أحمد بن عبدالرحمن بن إسحاق عامل بلاد الروس، وقد كان أمنه لأنه لم يجيب داعي المنصور إلا بعد أن خلع العّباس نفسه، فإنه بقي على بيعته حتى خلع نفسه، وكان يعين سيدي العباس بقبيلة بلاد الرُّوس على المنصور، ويغزيهم، وبعد حبسه خرج صِنْوه سيدي العزي محمد بن عبد الرحمن إلى بلاد الروس وأظهر الخلاف وتعاقدت القبائل أهل بلاد الروس وسنحان وهَمْدان وعيال سريح على أنهم يد واحدة، ولما شاع خبر خلافهم في الأقطار تخرَّب النظام على الإمام وشيعته وقلب الناس لهم/ظهر المجن ولم يبق على البيعة إلاَّ من تابعه وجاهد معه مثل حضور والبستان وبني الحارث وعمران، وصار الناس في ضيق عيش، ورجعوا إلى ما كانوا عليه من الحصار لصنعاء المحميّة بالله.

وفي شهر محرم سنة ١٢٦٧ جاءت أخبار بوقوع الطّاعون في مكة المشرفة، وهلك خلق كثير ابتدأ فيهم من الجبل[٥] ومنى وأكثر الموتى من أهل الشام والعراق.

وفيها استولى يام المكارمة على جبل عَايِز في طرف الحَيْمَة.

وفي يوم الأحد يوم عشرين خلت من محرم سنة ١٢٦٧ ظهرت دعوة سيدي الجمالي علي المهدي، وهي الرَّابعة بوادي ظهر، وتلقب بالمتوكل، وقد كان أضرب عنها صفحاً وألجأته[٦] الضرورة لِمَا رأى من الفقهاء، وما وقع لسيّدي العباس بن عبد الرحمن، وفرح بقيامه ناس، وضجر آخرين.

وفي آخر شهر محرم أمر المنصور بهَدْم بيوت من في وادي ظهر من الأعيان

(١) أي خلاصة أصحابه.
(٢) معهم
(٣) الهجرة في طلب العلم.
(٤) خ معا.
(٥) جبل عرفات.
(٦) خ الجئة.

والسادات، وبيع أبوابها وطاقاتها وأخشابها وأحجارها وقرارها، فعمد اليها شرار الخلق وغيّروا رسومها، وقطعوا أشجارها ومَحَو نقوشها، وأموال المسلمين معصومة بعصمة الإسلام.

وفي أول جمعة من صفر طلب التوابع جامكياتهم المعتادة وتعرّضوا للإمام المنصور إلى الطريق يريدون منعه من الصَّلاة، فوعدهم فلم يقبلوا، وأغلظوا له القول حتى أنزلوه من فوق الحصان إلى الأرض، وكادوا يقتلونه فكفاه الله شرهم، وقد كان تفرق أصحابه يميناً وشمالاً وبعد ذلك ضمن لهم أمير الجند، وركب الإمام فرسه وسار إلى الصلاة، وبعد ذلك صادر الوزير التّجار وأهل صنعاء بتسليم الجامكية للجند، وسلموها وأعينهم تفيض من الدّمع حَزَناً.

وفي خلال ذلك خرج المنصور الروضة لمعرفة ما ترك الخلفاء[1] في دار البشائر.

وفيها خرجت بكيل وكبيرهم النقيب محسن علي الشايف ووضعوا محاطهم في كولة[2] العرج، وخرج إليهم الإمام المنصور ووزيره أحمد بن حسين العنسي البرطي، ووعدهم بتسليم ما هو لهم وسلّموا لهم نزراً يسيراً واحتالوا لهم حتى أدخلوهم صنعاء.

وبعد خروج الإمام من الروضة انتشرت قبائل سنحان إلى باب اليمن، ولم يفضعوا في أهل صنعاء لظنّهم أنهم مائلون إلى الإمام المتوكل، وبعد دخول القبائل صنعاء بقيوا يماطلوهم حتى باعوا أداتهم[3] وجاعوا، حتى أكلوا القَضْب[4] في صنعاء والأبواب محفوظة محرّج[5] عليهم، وبعضهم في الحبس، وخرجت هَمْدان وسَنْحان وعيال سُريح على الإمام من باب المنجل[6] ومن عَدَني صنعاء حتى ملؤوا الفجاج، ودخل الرعب في قلوب الناس وخرج الإمام المنصور ببقية ذو حسين والتّوابع، وكانت معهم نحو سبعين عنان خيل، فكانت الدائرة على هَمْدان وسنحان

(١) خ الخلافا.
(٢) خ كوفت.
(٣) ملابسهم.
(٤) هو البرسيم للمواشي.
(٥) حرج عليه شدّد عليه في الشيء اي شدّدو على الحراس بعدم فتحها.
(٦) سيأتي ذكره في معجم البلدان الملحق.

بسبب الخيل التي مع أصحاب المنصور واحتزوا[١] منها القبائل نحو أحد عشر رأس، وقيل أنهم احتازوا[٢] في بيت، وخرجوا أسارى بعهود، وضربت أعناقهم صَبْراً، واحتاز جماعة في باب اليمن في وهب[٣] وبقي الحرب إلى بعد العشا، ومنع دفن جثث القتلى، وأكلتها السباع، وصلبت الرؤوس في بستان السلطان، وداخلهم العجب وكتبوا بذلك إلى جميع الأقطار.

وفي خامس وعشرين ربيع أول تسلَّل رجال من سنحان من جبل نقم إلى غيل الباشة[٤] وانتهبوا الغنم ثمان مئة رأس، وهربوا بها ومنعوا على أنفسهم/ولا زال الإمام يحرض الناس على الخروج للجهاد، ومن تخلَّف من السُّفلة والسوقة عوقب، وقد هابه الناس بعد قطع الرؤوس المذكورة والعقلا متوقّعون مايحدث الزمان به (شعراً):

إلا إنما الأيام أبناء واحد وهذي الليالي كلها إخوات
فلا تطلبن من عند يوم وليلة خلاف الذي مَرَّت به السَّنوات

وفي يوم سادس وعشرين ربيع أول مضى سَيِّدي محمد بن عبد الرحمن إسحاق من هَمْدان عازماً على المسير إلى سنحان، ومضى من باب المنجل وغربي صنعاء، فلما رآه المنصور طمع في القبض عليه والفتك به لقلة من معه فخرج الإمام وأهل صنعاء جميع والخَيَّالة والتوابع إلى صافية باذان، ودافعوا عن أنفسهم المارين بالرَّمي في حال السير حتى التجأوا إلى جبل الضبر، وغارت سنحان مع ابن إسحاق، ورجعت همدان وقتل منهم واحد من رَيْعان، وقتل من أصحاب الإمام الأمير خير من العبيد حق آل القاسم، واستمر الحرب إلى أن حجبت الشمس عن العيون، ورجعوا أهل صنعاء القهقرى[٥] لما رأوا[٦] غارت سنحان وما فرق بينهما إلاَّ ظلام الليل.

وفي شهر ربيع آخر جنحت شمس الدَّولة الوَيْسية[٧] للأفوال، وطلع بدر الدولة القاسمية ـقارب الوصول، ولاحت لوائح الفرج، وذهب الحزن والحرج، لشواهد ظهرت ومعالم نشرت.

---

(١) أخذوا واستولوا.
(٢) حوصروا.
(٣) من مساجد صنعاء سياتي.
(٤) لم أجد ذكراً لهذا الغيل ولعله المعروف ببئر الباشا انظر أئمة اليمن ٢/٥٠
(٥) خ القهقر.
(٦) خ لمارو.
(٧) دولة أحمد بن هاشم الويسي نسبة إلى ويس من قرى كوكبان.

وليلة الجمعة تاسع عشر ربيع آخر دخلت هَمْدان بئر العزب وقاع اليهود قبل الفجر، وكان سَبَق التَّشاور بين همدان وسنحان على أن سنحان يتوجَّهون إلى باب اليمن يوهموا دخلتهم منه الليل حتى أن أصحاب الإمام المنصور يشتغلوا بذلك، ففعلوا وهمدان دخلوا بئر العزب، بغتة، وذلك المقصد والأرب وقدرهم ثلاث مئة ومئة من عيال سريح، ووقع قتل كثير من همدان، ودونه من أصحاب الإمام والشَّريف خيران من الجوف، كان مع الإمام واستمر الحرب، إلى عقيب الظُّهر، وتتابعت القبائل من همدان وسَنْحان وسريح وبلاد الروس إلى بئر العزب وقاع اليهود.

قال المصنف أن أصحاب الإمام بَدَعُوا[1] بالنَّهب لبئر العزب والقاع، وبعد فعلوا القبائل كفعلهم، وما أظن إلاَّ العكس لشواهد ولم قد رأيت مثل هذه النَّهبة في سنين، وشاهدت أهل وادي ظهر ألبسوا نسوانهم[2] لباس الذّميات[3] من المقارم[4] واللَّوازم[5] واللوالي[5] شهادة.

وما بات يوم ثاني النَّقيب علي الهمداني إلاَّ في بئر العزب وتتابعت القبائل كل يوم يزيدون أضعاف اليوم الأول طمع في النهب، ولم تزل الأجناد المتوكلية إلى قوة وزيادة وجند الإمام إلى وهن، وقد كان هَمُّوا لدخول صنعاء بالسَّلالم، وحصل القلق في صنعاء من جميع القبائل الدَّاخلين والخارجين لأن ما قصد الجميع إلا النَّهب والسَّلب، فدفع الله سبحانه وسَلَّم.

ويوم ثالث أعلنوا بالطَّاعة والتَّنصيرة[6] من القصر وصنعاء.

ودخل يوم الإثنين ٢٢ ربيع آخر سَيِّدي المتوكل من عدني صنعاء وطلع القصر، ورجعوا يحاصروا أصحاب المنصور الذين[7] في البساتين، وصومعة قُبَّة المهدي العباس قد رتَّبوها وجعلوها معقل لهم، وفتحوا لها باب من بستان السلطان، وبايع النَّاس المتوكل، وكأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، وعفا عن ما مضى، ولم يعاقب أحد بما جنى وهذا كان دأبه السَّلامة وسعة[8] الصدر.

---

(١) بدؤوا.
(٢) نسائهم.
(٣) نساء اليهوديات.
(٤) قناع يوضع على الرأس.
(٥) ملابس خاصة بالنساء وشهادة بمعنى مشاهدة أو أشهد لله.
(٦) صياح علامة على النَّصر.
(٧) خ الذي.
(٨) خ سمعت.

ويوم الربوع رابع وعشرين ربيع آخر، خرج سيدي الإمام المنصور أحمد بن هاشم الويسي، وحاكمه العلامة القاضي أحمد بن إسماعيل العلفي، والنّقيب علي سعيد الشاوش، وخواص الإمام من بستان السُّلطان وغيّروا لباسهم، وخرجوا في اللّيل وشمّروا للهرب الذيل، وتولوا خلاص أنفسهم وفارقهم أحبابهم وأنيسهم، وفر المرء من أبيه/وفاق من غمرته كل فقيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه، ولما علم الإمام بتفرق أصحابه شذراً مذراً نظر لنفسه الخلاص ولات حين مناص وخرج على غفلة من العرب والجنود المحيطة بهم، حتى انتهوا إلى بستان العَلَمي، وربطوا بعضهم بعضاً بالعمايم والحبال، وخرجوا على أسوأ حال، وخلصهم الله، وانتهى بهم السّير إلى بلاد أرحب، واستجاروا بالنّقيب علوان العِذَرِيْ وكأن ما كان لم يكن شعراً:

فإذا النعيم وكلما يلهى به يوماً يصير إلى بلا ونفاد

وهذا من حقارة الدنيا تزّين الأمر وتحسّنه للدّاخل وتُقْلُب ظَهر المِجَنْ للخارج، وندم أعداء المنصور على إنفلاته وبقي منحصراً أحمد بن حسين البرطي، وبعض أهل جَدِرٌ فما وسع المتوكل إلا الصّفح عنهم كما هو دأبه. وخرجوا بأسلحتهم يوم الخميس خامس وعشرين ربيع، وكانت مدة خلافة المنصور خمس أشهر في ضمنها أخرب بستان المتوكل، وكان من الجِنان الدّنيوية فيه من الأشجار والعمائر، والدّور الشامخة الذي ترى إلى مسيرة نصف يوم والأكشاك[1] الذي الكشك مثل المكان الذي مخرّج من الدّار، والمنظر[2] الصّيني في أعلاها، وما أظن يدّي لهم ثمن خرابة مثل ما خرج على بيت القاسم من قيمه دِهْن القَضاص في المفارج[3] والمدابخ[4] وكان فيه شجر السلوة[5] مثل الصومعة[6] ترى، ولكن كون ما هو من [غير] مخّلف آبائه لم عوَّل به، وبعد خروجهم نزل المتوكل يطوف الدور، وما فيها مِمّا كان فيها من بواقي بيوت الأموال، فما وجد غير ما قال الشاعر:

كأن لم يكن بين الجحون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فعجب من أمرهم ومن اختلاسهم للجميع، حتى أخذوا من الطاقات

---

(١) الطاقة خارجة من البناء وهو من اللّفظ الفارسي (انظر محيط المحيط ٧٨٢).
(٢) المنظر هو المكان المرتفع من المنزل والصيني الزجاج (نوع منه).
(٣) جمع مفرج المكان النزه وهو كالمنظر وقد يكون أسفل البيت إذا كان أمامه حديقة وشاذروان ويكون محاطاً بالزجاج من جوانبه.
(٤) جمع مدبح وهو المطبخ (معروف).
(٥) شجرة كبيرة وهي شجرة السرو.
(٦) المنارة المئذنة.

والأبـواب، وأفسـدوا بعض العمايـر لغير حـاجة، ورجـع القـصر، وأمـر برفع القـبائل من بئر العـزب، وارتفعـوا وقد أفسـدوا وغَيَّـروا ونهـبوا وخـرّبوا وقتلوا، وأخـذوا فرش المساجـد والأبـواب والطّاقـات، وأخـذوا الخِتَـم[1] وأخـذوا كنـايس اليهـود وكتبهـم وتوراتهـم ولـم خـرجوا[2] وعاد فيهـا مـا يساوي ريـال فقبَّح الله القـبائل الذين ما قَصْدهـم إلا ذلك، وإنـما لا يبقع لهـم إلا قـصد نفوسهـم، وإنـما القيام مع الأئمـة[3] بسبب ذلك ومـا هم هـنالك، ومـا لهـم عـلم أن كـل شيء هـالك، وسيجـزي كـل فرد بـما هـو كـاسبه.

وفي يـوم ثـاني شهـر جـماد أول خـرج الإمام صنعـاء وقـد كـثرت الطلابـات[4] قـبائل من هـمدان وسنحـان وخـولان وأمسى[5] في جِزْيَـر واستعجـلوا القـوم وتوجـه معه النـقيب علي بن أحـسن الهـمداني بقبائـله قاصي ودانـي.

وقـد بنيت في هـذا المنقول على الاخـتصار جداً لمعالجـة صاحـب الأم لي ومـا كـان مقصودي من أول إلاّ ذكر السّادة ومـا وقع في ضمنهـا فهي الافـادة وأمـا في الأم فـإنه ذكرهـا مراحـل وأيـام وقتـلى وأفرادهـا ساعات ولكـن عاجـلني فاقتصرت على مـا ذكرت.

وأمسى في (سامـك) ووصلوا إليه أهـل آنـس وغيرهـا يشكون أن المنصور السّابق قسَّم الأرض إقطاعـات لـمن لا يستحـقها ووعدهـم بإزالتهـا، وعمَّـل الشيخ حـاتم بن يوسف على آنـس وطابت النفوس، وأمـنت السّبل بعد الخـوف، ووصلت إلى الحضرة كـتب من عامـل قَعْطبة الشّيخ عبد الله مثـنى فـاضل، وعَرّفـه أن بـكيل قـد تركت اليـمن أصلاً وطلعـت، وأنـه فـارغ ومعاقـله واستعجـله إلى يـريم وبلاد خُبَـان وللمشاورة في أمر بـلاد اليـمن، واستخـلاص الباقي فيه من القـطع والمقاسـم، ودخـل الإمـام ذمـار، وصـادف وصـول ذو غـيلان، وطلبوا الجهـاد معه، وبـذلوا أنفسهـم فأمرهـم بالرّجـوع بلادهـم حـتى يحـتاجهـم، وطـلب مشايخ ريمـة وعتـمة ووصـاب، ووصلوا وخـلع عليهـم، وعـفى عنهـم وصلحـت جـميع بـلادهـم ووقـع خـلاف من أهـل منقذة ووقـع التقدم عليهـم وأخـذوهـم، وصلحـت بـلادهـم، وذهـبت مواشيهـم وأثاثهـم بسبب البغي والفساد، وأطاعـوا وأرسل الهـمداني عـلى بـلاد الحيـمة، وقـد كانوا أنصار المنصور

---

(١) جـمع ختمة وهي مصاحف القرآن الكريم..

(٢) أي لم يخرجوا.

(٣) خ الأررمة.

(٤) الطلبات ـ الإستدعـات.

(٥) بـات.

فخافوا من السطوة، وأمنهم وصَلُحت البلاد، وأطاعت العِبَاد وسَلَّموا ما عُيِّن عليهم.

وفي نصف شهر جماد آخر خالفوا أهل قرية (القعمة) فتجهَّز وخرج بجميع الجند فلما رأوه/استدعوا[1] القيري صاحب اليمانية، وكان أحد أجناد الإمام، ولكنه فعلها له المنصور أحمد بن هاشم قطعة، فدخلها وأخرب ديارها، وحكم عليهم بتسليم شيء من المال، وجعل رؤسائهم في سلاسل الحديد، ورجع ذماراً مؤيداً منصوراً وصلحت غنس.

وفي عاشر رجب توجَّه بلاد خبان ويريم، وجاء طريق الشَّلالة، وضرب عنق رجل، وبات في التَّالبي، ووصل إليه عامل قعطبة الشيخ عبد الله مثنى فاضل، وعَلَّقه[2] الإمام بولاية خبان ويريم، ووعده بإصلاح اليمن الأسفل مفوَّضاً على عمال اليمن، وأنهم من تحته، وخلع عليه كسوة نفيسة حرير مذهبة، ووهب له خيمة وهو على حذر، فلم أمكنه يبيت في مطرح الإمام، وأذن له الإمام يبيت في مَطْرحه بين أصحابه، وتوجَّه مدينة يريم، ودخلها بقلب سليم، وقد جرت عادته بالسَّماحة، وصلحت الأحوال، ولكن مع ما ظهر واشتهر من عفوه وسماحته طمع فيه الجند، ورجعوا إلى ما كانوا عليه من طلب المغلَّبات مع علمهم أن الدَّاخل[3] حقير، ولكنه صار التصرف لثلاثة أنفار من عقال خولان محمد بن صالح الرويشان، وناصر بن علي شهيل الهيالي، وقاسم الصوفي، ولو أن الإمام فَعَل بهم شيء لزاد الفساد، ومع قلة ما في اليد وقد علموا بذلك طمعوا في الإمام، ولله في كل ساعة شأن، والفساد المستمر في عَمْران وحُفَاش ومَلْحان وخصوصاً حفاش استولى عليه أرحب وحاصروا العامل من جهة الإمام، واستغاث بقبائله ولم يجيبوه.

وفي شعبان جاءت الأخبار أن الأتراك الذين في مكّة وجدّة قَبَضُوا على الشَّريف محمد بن عون، والشَّريف الحسين بن علي بن حيدر، وأدخلوهم الأبواب السلطانية وانتقلت ولاية الحرم إلى بني المطلب[4].

وفيها توفي محمد علي باشا صاحب مصر وعمره مئة وعشرين سنة.

---

(١) فراغ في الأصل.

(٢) أعطاه أو كلّفه.

(٣) الدخل.

(٤) يعني به عبد المطلب بن غالب ولي إمارة مكة سنة ١٢٤٣ ثم عزل ثم أعيد سنة ١٢٦٧ فاستمر بها إلى سنة ١٢٧٢ توفي سنة ١٣٠٣

وفي شهر رمضان وقع انتقال سيدي غالب بن محمد يحيى من الروضة إلى سناع، وكاتب عقّال بلاد البستان، والسيد محمد علي الشامي، وبيت المطاع وأوهموه أنهم سيولّونه الخلافة ويقتصّون له من أبوه[1] وما مقصدهم إلاّ يجعلوه وصلة الفساد ويردّوا إمامهم المنصور أحمد بن هاشم الويسي المتقدم ذكره وذكر شيعته، وكاتب القبائل فمن كان يريد الفساد وصل إليه، ومن ظهر له الخوض[2] توقف. ولما علم أبو زيد التركي الوزير أرسل بالعقاير إلى القبائل، وأرسل معها بعض من آل الإمام ووعدهم إلى بعد رمضان. وفي هذا الشهر أمر الإمام بتخريب بقية بستان المتوكل والثمن يستلمه أبو زيد، ويسلّمه للتّوابع الذين في أدراك صنعاء المحمية فقد كثرت شُغْلَتَهُم.

وفي أول شوال قدم القاضي أحمد بن حسين البرطي، وأظهر الطّاعة وهو مضمر للخدع والمكر والتقى بعقال التوابع وعقّال القبائل، وخادعهم وأدخلهم في سلك الفساد والبغي لأن قد كان أجمعوا على المخرج على حضور، وما دخل إلاّ يماطل/ويخادع، وأظهر مكنون سره، وأجمع على دخول بعض العقّال إلى بئر العزب. ويصلح أمور حضور، هذا ما ظَهَّره للوزير، وقد وعد جميع القبائل لدخول بئر العزب، ويأخذوها لسيدي غالب، ويخلعوا سيّدي علي المتوكل، وأدخل العقال وواقفهم والليّل دخلوا جميع القبائل بني الحراث وبلاد البستان، والناس آمنين ما عندهم خَبَر إلاّ أنّه بيصلّح الأمور، ولم يشعر النّاس صبح الخميس سادس عشر شوال سنة ١٢٦٧ إلاّ بالصياح واللّياح وانتهبوا بئر العزب، وقاع اليهود في ذمّة أحمد بن حسين البرطي، وقتلت نفوس، وخاف الناس على صنعاء من كثرة القوم، وحفظوا الأبواب، ولم يزل الحرب ثلاثة أيام، ودخل البرطي صنعاء وخادع بقية الناس، وسلّموا الأمر، وأعلنوا بالطاعة، ورضوا بخلافة سيدي غالب وتلغى بالهاذي وخلعوا المتوكل وهو سيدي علي غالب في ترميم بلاد يريم، وأمر المسلمين وصلاح الدنيا والدين، ولم يبق على أمر المتوكل إلا أمير القصر كون أهل الإمام وحشمه وأولاده عنده، حتى يشترط لهم ولنفسه شرائط[3] وتعود له الجوابات من يريم بالطّاعة والتّسليم أم لا[4].

---

(١) أي من قاتل والده وهو المتوكل هذا المهدي سابقاً.
(٢) السر.
(٣) شروط.
(٤) أي أو عدم التسليم.

(ذكر مولانا الإمام الهادي غالب بن محمد بن يحيى بن المنصور علي بن المهدي عباس بن المنصور حسين بن المتوكل قاسم بن حسين بن المهدي أحمد بن حسن بن المنصور بالله القاسم بن محمد).

كانت دعوته يوم الخميس سادس عشر شوال سنة ١٢٦٧ وبعد [أن] خرج من في القصر أهل المتوكّل إلى وادي ظهر، وأبو زيد إلى المحاقرة، وطامش إلى الروضة وتقوّى في بال الهادي الخروج على الحمية لإخراج من فيها من المفسدين.

وفي ثامن القعدة ضربت مدافع الرحيل، وبات في بيت ردم وقام خمسة أيام، وقد سبقه السّيد محمد بن علي الشامي الوزير، وتعقب الإمام، ولحق الوزير وصلحت البلاد، وكتب لشيخ الإسلام القاضي أحمد بن محمد الشوكاني، وفعل له رأي[1] أمان.

هذا ما كان وأما خبر تهامة فإن الشريف الحسن[2] جمع جموعاً لا تحصى، وتقدم على الأتراك إلى خَبْت اللّحية، وخرج إلى الأتراك وكانت الدائرة على الأتراك، وغنم الشّريف الحسن محطتهم، وقتل منهم خلق كثير، وهربوا إلى الزّيدية، وقد غنم خيلهم وسلاحهم وخيامهم، فلما علم الباشا الكبير في الحديدة كتب إلى الشريف الحسن بأن فعله غير حسن، وقد هو على دخول الباب العالي وسيفرّغ له تهامة ويملكه البنادر، ولكنه استعجل، فلما وصله الكتاب طمع، وألحق الباشا إليه مكتوب آخر إنه يوافقه إلى محل كذا ويرد ما أخذ عليهم، ويردّ ما ذكره إليهم والميعاد يوم كذا، فلما دنا الوعد خرج الباشا بجنوده وأرسل من الليل من يكمن خلف مطرح الشريف من الجهة الأخرى[3] قوم وخيل، فلما أصبح الصّباح لميعاد اللقا، باشر الأتراك الشريف قبل الفجر وهم نائمون بالرّمي بجميع المدافع، حتى فشلوهم من كثر القتل، وأحاطت لهم الخيل وهم على أثر الليل وغنموا/أكثر مما غنموا وتفرقوا شذراً مذراً وكانت القتلى من أصحاب الشريف نحو ألف، وأدخلوا إلى الحديدة آذانهم وعلقت.

وأما الإمام فإنه عزم من بيت ردم إلى عِزّ الحيمة، ووصلوا جميع المشائخ وقابلته البلاد بالطّاعة، ولكن الوزير ظالم عيّن عليهم خمسة وعشرين ألف، وهي مثنية لأن المشايخ أظلم من الوزير، ومن سَلّم سَلِمْ، ومن راجع حبس وأدّب، ومن هرب

---

(١) خط أمان.

(٢) يعني الحسن بن محمد بن حيدرة.

(٣) خ الأخرة.

تبعوه وأخذوا قريته، ومن منع ورتّب قريته أظهر الفساد تركوه لعسرته[1] وشجاعته، وما وقع إلاّ على الضعفاء والمساكين، نهبت قراهم وآلة زراعتهم وذهبت مواشيهم، وكلما اشتكوا على الإمام تغافل، ووكلهم إلى الوزير، ووافى عيد الأضحى، وعزموا القبائل بلادهم يوصلوا ما قد نهبوا ووعدوا بالرجوع، وخرجت خولان ونْهم بأجمعهم، وتوجهوا إلى جهران فظن الناس أنهم قاصدون يريم لنصرة المتوكل الذي هناك، وإذا قِدْ رجعوا وتوجّهوا آنس، وأوهموا أنهم سيتبعون الهادي، فلما توسّطوا في الخَبْت بين الحيمة وحراز وآنس وريمه وسهام، فانتهبوا على أهل تلك الوديان جميع ما لقيوا من مواشي وغيرها، وأرادوا الرجوع إلى أوطانهم فلقيهم يحيى بن علي الشامي بطلاب من الهادي، يريد يغزوا بهم حراز، وحَلّل لهم الشامي ما أخذوه من الظلم، وضمن لهم على أخيه الوزير بأموال كثير، فرجعوا وقد الإمام في حصن بن مهدي عبد الله بن حزام بمن معه من التوابع وبلاد البستان، وقد هو في الحدّ بين حراز والحيمة.

ودخلت سنة ١٢٦٨ :

ففي غرة محرم توجه الإمام إلى حَراز وأخذ الرّاية وقدم إلى شرقي حراز، وصالح أهل لكمة[2] الكرف وهي من المصانع[3] المانعة، وفتح حصن بن زايد وبقي هناك قدر ستة أيام، وغزوا إلى مناخة، وأخذوا السُّوق والمسجد والمعاقل رالدّروب مع يام، والإمام قريباً منهم في قرية المقبل، ولم يشعر الإمام إلا بالنُّذر قد جاءت إليه تنذره بأن الوزير محمد الشامي ونهم وخولان قد ابتاعوا ووَلّوا الأدبار، وتركوا الإمام فريداً، وقد جرت عاداتهم بهذا فلا يستنكر منهم، فتحقق الإمام بذلك فوجده صحيحاً فأمر بالشّداد[4] للأثقال والمدافع، ورحل من حينه إلى بيت ابن مهدي في الحُجْرة، والجند فارقوه ورجعوا بلادهم بما انتهبوا من حراز ومن الوديان السابقة وبقي هنالك.

وأما الوزير الشامي، وأحمد بن حسين البرطي، فتوجّهوا إلى آنس وعُتْمة للفساد المعتاد ووصلت عند الإمام ذو حسين وأرحب، وحَلفوا له وتعهّدوا عهود أكيدة أنهم سيغزون حراز ويأخذوه عنوة، ففرح الإمام بذلك، ووصلت إليه كتب

---

(١) لعسارته (بأسه).

(٢) أكمة

(٣) الحصون فوق الجبال.

(٤) الشد.

من الشيخ عبد الله بن حسين المدّعي المباين للمكارمة[1] أنه سيفتح البلاد، ويعين الإمام بما أراد من طعام ودراهم وغير ذلك، ففرح بما هنالك، ورجع من فوره، وطرح في شرف بني عطا قريب بيت المدعي، وأخذوا تلك القرى المجاورة ومن أطاع أسلموه ومن تابع المكرمي أهدموه.

وفي خلال ذلك في محرَّم خرج الشَّيخ عبد الله مثنّى فاضل، يريد اليمن الأسفل لنفسه، وقد خاذل المتوكل وقطع تسليم الواجبات بعد أن تعهَّد ولكنه أراد تسويد[2] الرايات لنفسه، ولما توسط في البلاد سَلَّط الله عليه ذو محمد قتلوه غيلة وقتلوا من أصحابه، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

وفي ذلك الشهر وقع مسير سيدي الضياء عباس بن الإمام المتوكل أحمد من ضلاع/همدان إلى جبل ضَوْران، وذلك باستدعائهم له أهل الجبل، والفقيه أحمد بن علي حنش، وشاع ذكره في الأقطار وزَعَم النَّاس أنه دعا لنفسه.

وفي صفر وصل الباشا بيرم ومعه من الأتراك إلى عند حَضْرة الهادي غالب ابن محمد إلى حراز، ووقعت بعد وصوله حراز قتلتين بين يام وجند الإمام وراح[3] فيها قتلى من الطرفين، وفشل أصحابه وهربوا من حراز، ولما رأوهم بطانة[4] الهادي قد تفاشلوا كفعلهم، وبقي وحده فرجع إلى حجرة بن مهدي والباشا بيرم معه، وتبعه يام إلى هنالك، وبقي متردّ في أمره يرجع صنعاء أو يعزم [إلى] حفاش وملحان أو ينزل تهامة ويستعين بالأتراك.

وفي أول شهر ربيع ظهرت دعوة سيدي عباس في الدَّامغ في ضوران، وتلقب بالمهدي وبَثَّ رسائله إلى كل جهة، وبسبب الأمامين أرتبشت الطُّرق في كل جهة، ووقع النُّهب والقتل سِيَّما طريق ذمار، وارتفع سَيِّدي غالب إلى خميس بني يوسف قبلي الحمية، وتقوّى في باله العزم [إلى] حُفَاش هو ومن بقي في حضرته، والباشا بيرم بجماعته، وقطعوها من سائلة سُرْدد إلى أن انتهوا طرف بلاد حفاش وطلع إلى بيت السلاط في شرقي حفاش، ووقعت الدائرة على ابن مهدي صاحب الحيمة، وأخذوه يام أسيراً، إلى عند سيدهم، وأحْتَرَكَ سيدي الجمالي المتوكل من يريم يريد الرجوع إلى حواز صنعاء عند أهله في الوادي، فعارضه في طريقه على عامر

(١) كلمة مطموسة.

(٢) أي كتابة الرايات وهي مستندات التولية.

(٣) ذهب.

(٤) جماعته خاصته.

البخيتي صاحب الحدا الذي قد تربّى على إحسان سيدي الجمالي ولم قطع[1] عنده معروف، وطلب من سيدي علي المتوكل الحصان الذي ما عاد معه سواه، وهو راكب عليه، وطلب منه العمامة الذي على رأسه والمظلّة الذي فوقه والطُّهرة[2] الذي متقلّد بها والمرافع الذي بين يديه تضرب، والجارية الذي كانت مع سيدي في يريم، وهي من نسائه، وذلك لما استفرد به في الطريق وقَصْده[3] ينهبه في حد بلاده، ومع قلة ما في يده وعدم الجيش عنده قبّحه الله وأخزاه وبعد وقع الصلح على أن يرهن عنده ابن الوزير عبد الرحمن محافظ لحتى يصال[4] المتوكل وينظر له دراهم ويرسلوها إليه ويطلق الرهينة، وبعد ذلك فك لهم الطريق، وتوجه سيدي المجالي عند أهله وادي ظهر، واحترك سَيّدي عباس من الدامغ حتى وصل قرية اللِّجام في سنحان، وقد كان سبقه وزيره أحمد بن علي حنش.

وصنعاء كانت تلك المدة في يد سيف خلافة سيدي غالب وهو السيد أحمد شوع الليل من بيت أبو طالب حقّ[5] الروضة استنابه[6] الهادي سيف[7] في القصر وكان التوابع يشاغلوه يشتوا[8] جامكيتهم منه، ولم بقي مواد فما بقي يعانيهم[9] إلاّ من قيمة الخراب[10] حق دور آل القاسم، خرابة دار الصافية في بئر العزب دار مكلّفة وعرفناها قائمة محلولة جنّة من جنان الدنيا حتى أن فيها حمام، وكان يتحمّموا فيه الناس لحسنه، وخواصه وتمّم[11] بقية بستان المتوكل وأخرب دار الحمام في الروضة/.

وأما الهادي غالب بن محمد فدخل مدينة الصُّفقين في حفاش وصلحت أموره وأخرج البغاة وأخرب مآثرهم، وفرّقوا له ضيفة أهل حفاش ستة وثلاثين ألف قرش

---

(١) قطع اثر فيه المعروف.
(٢) سيف صغير.
(٣) غرضه.
(٤) يصل.
(٥) اي أصحاب الروضة.
(٦) اي أنابه.
(٧) السيف هنا اشبه شيء بالقائد العام الآن وهو الذي يلي الإمام مباشرة.
(٨) يريدوا.
(٩) يواصلهم أو يواسيهم.
(١٠) جمع خرابة البيوت المهدمة.
(١١) اي اكمل. أو أتى عليه.

حجر، وكتب إلى عسير وسحار يجوا[1] إليه يتعسكروا معه في حراز ومقصده إخراج يام من حراز، وسيدي عَبَّاس الملقب بالمهدي[2] رجع يحاصر صنعاء بقبيلة خولان، وقلق أهل صنعاء وأمروا بعضهم بعضاً بشراء البنادق لأجل يحفظوا نفوسهم من البغاة وهي أول عسكرتهم وستأتي آخرها وعضد خولان السَّيد محمد بن علي الشَّامي، وزير الهادي الذي خان أمانته في حراز. ومكر بخليفته سيدي غالب، ودخلوا نوبة السُّحولي في الصَّافية حق صنعاء بالقرب من باب اليمن.

وفي يوم الأحد ثامن جماد سنة ١٢٦٨ وقع الحرب بين أهل صنعاء والسَّيد عباس في المحاريق ووهب[3] وانهزم أهل صنعاء وأغلقوا باب اليمن، ويوم ثاني ما شعر الناس إلاّ بالمنارات[4] والصوائح والتَّنصيرة من بستان السُّلطان، وقعت من عند الرتبة فيه ابتاعوا لأن كان فيه السَّيد محسن الشويع صاحب ضلاع والتَّوابع الذي عنده من جنسه وعباس كان في ضلاع ساكن عنده، وإذا هم على توال بينهم وسَنْحان معهم، ورَتَّبوا صومعة قبة المهدي عباس.

ومعْ كبرها حَكَمت على أكثر صنعاء، ونال أهل صنعاء المشاق، وداخلوا البيوت ودخلوا في المدينة حتى انتهوا إلى نصف صنعاء وبقيت صنعاء نصفين، الجانب الغربي لعباس والجانب الشَّرقي لشوع الليل، وأهل المدينة في وجل لا أعظم منه، وأهل القصر شوع الليل ومعه بني الحارث وبني حشيش وأهل جبل صنعاء والتَّوابع وسَيَّدي عباس بخولان وهَمْدان وسنحان، ووقع في صنعاء كلام زويب[5] وحَرْب وضَرْب وطعن وقَتْل ونَهْب وسَرْق ما قَدْ وَقَعْ مثله.

وفي الجامع الكبير شوع الليل يخطب للهادي غالب بن محمد الذي في حفاش، وفي قبة المهدي يخطبوا لعباس وسيفين في جهاز[6] لولا دفاع الله لذهبت صنعاء، وطلب الأمان أهل صنعاء من المهدي عباس، فطلع صنوه أحس بالصايح له بذلك، ولم يظهر في شوع الليل ما يدّل على رضاه بعباس ولكن سكنت حركاته

---

(١) يأتوا إليه.

(٢) عند زبارة في إتحاف المهتدين ٩٤ المؤيد بالله عباس بن عبد الرحمن. دعوته سنة ١٢٦٦ ثم بايع لأحمد بن هاشم.

(٣) سيأتي ذكره في معجم البلدان لهذا الكتاب.

(٤) إشعال النار فوق المنازل.

(٥) كبير مقلق مفجع.

(٦) من أمثلة العامة.

وزفـراته، وأجـمع رأيه ورأي أهـل صنعـاء العـلاو[1] عـلى ترتيب السماسـر والـدور الشامخـة، والشـامي بـاقي في نوبـه السحـولي، وتقـوى في بـال المهـدي عـباس طلوعه إلى (دار المحـدادة) وهـي ملك لصنـوه إبـراهيم بن المتوكـل، فـطلع إليهـا ورتـب ما حـولها من الـدور والنـاس يموجـون موج البحـار من الخـوف والوجـل، خـصوصاً الويسـيه أصحـاب أحـمد بن هـاشم الويسـي المتقدم ذكـره ودعوتـه، لأنهـم لا يرجـون غيره إمام فعضدوا شـوع الليل، وأجـمع رأيهـم على الحـرب وقد كـاخ سكنـت الأمور، وفعل الإمام صمادين[2] عظيمين، وجـمع النـاس، وبعد ذلك تلّون أهـل صنعـاء تلوّن عـظيم لون الحـرباء فمنهـم من أطـاع، ومنهـم من عـصى ومنهـم من نـكث، ومنهـم من نـكص على عـقبه، ومنهـم من تمرّد، ومنهـم من رتّـب ومنهـم من أحـرب، ومـا شبهـت ذلك إلا بـميدان ملآن بـقر وغنـم وذيـاب وجـمال ودجـاج وحـمير وخـيل وأسود وأثعـل[3] ونـسور وغربـان وطـيور صغـار، والمـراد جـمع كـل حـيوان في محـل واحـد، كـيف يتصور ذلك وحـين يحـتاج كـل حـيوان إلى الأكـل والشرب، وامتـلأت صنعـاء من كـل قبيلة طالبين النّهـب والفسـاد ومـا لهـم مقصد غير ذلك كـما هو دأبهـم. . . وابتـدأ الحـرب من عند رجـل جوفي في السّائلة كـان يرمي هـو ومن عنـده/وحـذر النـاس من المـرور في السايـلة، وأصحـاب المهـدي يـرمون مما قـابله من البيوت الكـبار، وثـار الحـرب دائماً في سفـل صنعـاء، وكـذلك ثـار الحـرب من الطّواشي إلى دار المحـدادة، وسـرى أصحـاب المهـدي إلى سماسـر في طرف السّوق، وانتهـبوا منهـا أموالاً جـمة للجـميع[4] من التّجـار وردّوا مـا كان من أموال المطيعي[5] للمهـدي عـباس ولـم يـردوه ذكر المؤلف هـكذا.

وفي بـعض الليـالي أغـار سيـدي شـوع اللّيـل الصّفي سيـف الخـلافة للهـادي غـالب، وأهـل صنعـاء على رتـبة بيت خـليل فيه من أصحـاب المهـدي، لأن البـيت في صـلاح الـدين شغلة على أهـل صنعـاء في العُـلاو[6] وعـلى سيدي الصفـي أحـمد بن عبد الله شـوع الليل في القـصر، وأخـرجوهم منه وقـتل واحـد من هؤلاء وجـرح من هؤلاء.

وفي يـوم آخـر أغـار أهـل العلاو وأصحـاب سَيِّـدي الصـفي أحـمد بن عبد الله إلى

---

(١) أي العليـا.

(٢) أي سماطين مثنى سمـاط وهـي المائـدة توضع للأكـل.

(٣) جـمع ثعل وهو أنثى الثعلب معـروف.

(٤) خ: للجـيمع.

(٥) في الأصـل الكلمـة هـكذا «الميطيعي».

(٦) أي اعـلا صنعـاء ممـا يـلي قـصر السلاح في الجهـة الشرقية.

سـوق الحَلَقـة[1] ورموهـم أصحـاب عـباس من السماسـر، ومن دار المحـدادة، وقـتل منهـم رجـلين ومصـابين، ورجعـوا وفشـا القـتل، وأصـيب من لا ذنـب له من الضعـفاء والمساكـين مثل العتـمي المزيـن رمـي من دار المحـدادة إلى بـاب الجـامع قـرب حـانوتـه وقـتل، ودامـت على ذلك أيـام الحـرب من بـيت إلى بيت والفـلس[2] من بـيت إلى بـيت، وفي بـعض الليـالي لم يـشعر أهـل السّفال إلاّ بالتنصيرة وإشعـال المنايـر من أعـلا صنعـاء والأشعـار والصياح بالمنصور، فتعجـب السامعـون، وظنوا أن سيـدي أحـمد بن عبد الله شـوع الليل قـد دعا لنفسه وتلقّـب بالمنصور، فـلما تحـقق الخـبر يوم ثـاني، وإذا هـو عَقَدَ البيعـة هـو وأهـل العلا من صنعـاء لسّيدي شـمس الـدين محـمد بن عبد الله بن المنصور[3] علي في شهـر جـماد تـلك الليلة وقعت البيعـة للمذكور، وضحـك النـاس من ذلك، وبـقي ثلاثة أيـام وانحـصر في القـصر للعجـز عن القـيام بـذلك الأعـباء الصَّعـبة، ولـم يـزل الحـرب والأهـوال العظيمة والخـوف والنّهـب والقـتل أيـاماً، حـتى دخـل القاضي العلامـة الصفي أحـمد بن محـمد الشوكاني مغيراً على الضعـفاء والمساكـين، والنّقيب عـلي بن أحـسن الهـمداني معه، وكـلهم يـريدوا الخـير والصّلح وفكّ المحـنة، وبـقي سيدي أحـمد شوع الليل يتخـلّف عليهـم بالمواعـدة حـتى رجـع القاضي أحـمد الوادي وآثـار[4] سـيدي أحـمد يـماطل المياعـيد، وهـو بيكاتـب سَيّـدي غـالـب إلى حُـفاش ويستنجـده، ولـما ضـاق على أهـل صنعـاء الخـناق رهـنوا رهـاين منهـم عنـد النـقيب عـلي، واستمـرت المواعـدة والمماطلـة من عند سيّـدي أحـمد، وتحـرك سَيّـدي غـالـب من حـفاش، فأشعـر سيدي أحـمد بالبشاير ووصول الهـادي، وخـلع المنصور سيدي شـمس الـدين تـاسع جـماد آخـر، ومـدة خـلافته دون أسبوع، وهـي كـذبة وضَحْـكَة، ووصـل الهـادي ودخـل صنعـاء المحميَّـة بالله من بـاب شعـوب ومعه قـليل من بـلاد البستان أهـل حـضور، وطـلع القـصر ولقـيه النـاس، وفرحـوا به رجـاء للحـلة[5].

ويـوم ثـاني انتشـرت الرتـب حـق الهـادي حـتى وصـلت السائـلة، وأخـرجوهم من كـل بيت بحـرب وقـتل، وقد كـانوا حـول الجـامع وبـاب اليـمن، في بـيت الشاوش، ونـزل سـيدي الهـادي على بـاب اليـمن وبـيت بـولاد الـذي قد هـو لبيب الشاوش، وكانوا

(١) هـو سوق تباع فيه الأشياء الكمالية كالأواني الزجاج والسبح والسلاسل ونحوها.

(٢) خلع. سبق شرحه.

(٣) من هـامش المخطوطة بـقلم المؤلف «دعـوة سيـدي شـمس الدين وتلقبه بالمنصور وكـانوا في تـلك المـدة أربعـة خـلافاً شـمس الـدين وعـباس وغـالب وسيـدي علـي الـذي رجـع من يـريم هـؤلاء في وقـت واحـد».

(٤) آثـار هـنا في عـامية صنعـاء بـمعنى وإذا بـه عـمل كـذا «أي صنـع شيئاً في خـفية من النـاس».

(٥) أي حـل الأزمـة وانفـراج الشـره.

عندهـم رتـبة، وخـرج من البـيت صاحـب البيت النَّقيب لحاجة إسماعيل الشاوش، فـلما سـمع البيعـة رجـع بيته فـظنه الرتـبة أنه من أهـل الهيعة[1] فرمـوه وقـتل بـاب بيتـه، وانتهـبوا بيت الشَّوكـاني، وثـارت الحـروب من كـل جهـة، وأصحـاب عـباس الـذي في بستـان السلطان أفضعـوا في هَدْم الدُّور وخـراب القـصور، وهـدموا المفارج [في بستـان السلطان][2] الـذي غرم فيهـا المهـدي عبد الله ومن قـبله لكـوك كـثيرة، وكـان يـضرب بهـا المثل ويتحـدثون عنهـا في الشـام واليـمن وكـل[3] من وصـل إليهـا من الـذين كانوا يجـو عند الخـلفاء السَّابـقين من الأقطار النائية ما يُروَهـم[4] إلا مبهـوتين، وما كأنها عـمرت بِيَـد بَنَّـا إلا أنهـا خـلقت هـكذا فـلا حـول ولا قـوة إلا بالله.

وبـاعوا الأخـشاب والأبـواب والطاقات والأحـجار والزّجـاج والبـلور بأبخـس الأثمـان، وفعـلوا الأفعـال القـبيحـة مما لا يـسع حـصره من تـكسير الأكـشاش والسُّرر والنَّاموسيـات الـذي يقعـودوا عليهـا المـلوك، وهـدموا الحَمَّـام العـظيم، وفي آخـر الكـلام أخبرني من سـمع أن سـيدي عـباس بن المتوكـل وأصنـاه[5] أحـسن وحـسين كانـوا يكسّروا المرايـا حـق الطاقات والقَمَريَّـات، ويـقولون[1] يخـربون بيوتهـم بأيـديهـم وأيـدي المؤمنـين، فاعتـبروا يـا أولي الأبصـار، ومـا هو منهـم إلا حـسد لمـن بعدهـم، وحـيث لم سبر[1] لهـم الأمـر وآل الأمـر إلى المصـالحة عَقَد الصلح النُّقيب علي بن حـسن الهـمداني على خـروج سَيِّدي عـباس بشيء من المـال لـما فيه من الإفـلاس، وعـدم محبّته في قـلوب النـاس، وحـوزته في صنعـاء لأنـه تَخَرَّب عليه النظام عند وصـول الهـادي، وخـرج بقبايـله هـمدان وسنحـان وخـولان من بـاب خـزيمة، وتفرَّقوا كُـلا بـلاده، وقد وقـع سـلب ونهـب وقـتل، ولـقد أجـاد أهـل صنعـاء مـع الهـادي بقدومهـم معه مـرتين، المـرة الأولي إلى الأَبْهَـر لحـتى خـرجوا أهـل الأبهـر تـلقوهـم بالعقايـر، ووقـع الفـلس والكـسر والنَّهـب في أهـل الأبهـر وحـق بيت الشاوش وبـيت الشوكـاني نهـبو ما فيهـا، لحـتى قربوا لطاعـة الهـادي غـالب وعقـروا والثـانية إلى دار الجـامع وفـلسوا وكسـروا وخـربوا ونهـبوا لحـتى قـرب للطاعـة أهـل تـلك الجهـة، وراح فيهـا نحـو عشرة قـتلى، وأمـا السيـد محـمد الشامي، فـلم يـدخل في الصّلح لحـسن ظن المـام[6] بـه لـما

---

(1) الهيعة: سق وكانه هـنا بمعنى انه من اصحـاب الحـرب المشاركين.

(2) زيـادة من الهـامش.

(3) خ كـلمن.

(4) أي مـا يـروهـم النّـاس إلا مبهـوتين.

(5) اصنـاه إخـوته.

(6) كـذا يـأتي لـفظ الإمـام عنـد المؤلف وقـد اصلحـناه في كـل المواضع.

بينهما من الوزارة، وبقي في نوبة السحولي وهو وقليل أشرار عنده، فأخاف السُّبيل وقطع الطريق من باب اليمن، وقتل النفس المحرمة كما هي عادته، وأفسدوا جند الخليفتين وفعلوا أخس من فعل كل باغي والسَّبب عدم ضَبْطهم، وبَلْ قد هي عدم قدره عليهم، وسَيِّدي الهادي بعد خروج سَيِّدي عباس أظهر النَّخوة وسيدي أحمد السيف حقه تغيَّرت نياتهم، وخبثت ضمائرهم إنها قدرتهم ولا يعلمون أن الله فَرّج على عباده بسبب رجوعهم وابتهالهم وتضرّعهم إلى الله، وخلوص نياتهم، وصلاح طوياتهم، وجمعوا المام وسيفه أكثر أهل صنعاء إلى الحبس، والقضاة والحكام، وصادروهم مصادرة من لا يخشى العقوبة، وعَيَّنوا عليهم أموالاً، ومن سَلَّم ما عَيَّنوا عليه بقي في الحبس سالم، والذي لم يسلم وكُلوا به أبو زيد التركي، وبَقُّوهم[1] لديه للربط والضرب بالسِّياط، وباقي النَّاس هربوا البوادي خَوْفاً من ذلك، وأمر الهادي بأخراب دور كثيرات شامخات من ذلك بستان السلطان، وقد كان شرع فيه من قبله، وزاد هو ما حواه البستان، وبيت الفقيه حسن التَّاج الطبيب حق سيدي على الخليفة من قبله، وبيت الأرياني وزير والده، ودار المحدادة، ودار الحاج فتح ،ودارالقاضي حسين بن أحمد الحرازي في بئر العزب، وآل الأمر إلى نوبة السّحولي خارج صنعاء، ونوبة الغريب، وأمر الهادي في شهر شعبان بخراب دار الذهب حق سيدي الجمالي علي بن المهدي، ولما شرعوا في خرابها وأخذ بعض نجارتها[2] وصَلَت كتب من هَمْدان فيها إرعاد وإبراق كون سيدي علي عندهم، وهم يحبُّوه فتوقَّف وأمر برد ما قد كان أخذ من النِّجارة، وحول بيت سَيِّدي عباس المؤيد لأحسن ناصر الجوفي/وأمره بهدمه، ولم صدر من سيدي عباس في خلافته ما يوجب إلاَّ كل خير، ولكن لتعيُّيهم وطَعْم الحرام، وفيها عدمت المصرفات، وغلت الأسعار، والسبب صَرْف القرش لأن القرش كان صرفه ناقص يصحّ ثلاثين مئة حرف ست مئة كبيرة[3]، ولما ضرب سيدي الإمام قبلها من الذّمي الذي هي صنعته بقَبَال[4] كثير يسلمه الهادي ففعل القِبَال وعشرة أمثاله عشّاً فيها حتَّى انتهى الصَّرف للقرش خمسة وستين مئة حرف، ولا زال الذّميون يغشّوا المسلمين، حتى بلغ الصَّرف في آخر الشَّهر مئة مئة وعشرين مئة بزيادة ثلاثة أرباعه، وعدم كل شيء، وهذه المئة المئة عن الكبائر أربعة وعشرين مئة كبيرة

---

(١) أبقوهم.

(٢) اخشابها.

(٣) من العملات في ذلك الوقت وهي أقل من الحرف.

(٤) أي بما يقابله من الذهب والفضة.

لأنها كانت الكبيرة تسمى الخمسة الحروف كبيرة، والقبائل ما يعرفوا إلا حساب القرش والنِّصف والرّبع بالكبيرة، وأهل صنعاء بالحروف، وسَيِّدي قصده من دراهم من الذميين بلا شيء، ولم يتموا المسلمين أو يذهب الإسلام ولم أحد سطي[1] ولا قدر ينهي المنكر لتسلطهم على الجميع عالم وجاهل[2].

وفي شهر شوال نقل سيدي غالب بقية ما في القصر من بقايا ما خلفوه الخلفا السابقين إلى الروضة وكذلك أهله إلى الروضة وزعم أنه يريد يدخل بربط ينكف، على القبائل وفي شهر رمضان توفي السيد عباس مطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد وكان عالماً فاضلاً يحكم في أيام المهدي عبد الله وعمره نيف وسبعون سنة.

وفي شهر شوال: تَحَرَّكَ المتوكل سَيِّدي علي بن المهدي بوادي ظَهْر بعد سكوته ورجوعه من يريم كما تَقَدّم، وأشعر أنه باق على دعوته الأولى، وقد كان أضرب فما أظنها إلا دعوة خامسة والخامسة: والآتية هي السادسة، وشاع ذكره ذلك في الأقطار وحضر هَمْدان جمعته وجماعته، وخالفهم أهل قرية القابل، ولما تيقن الهادي صِحَّة ذلك تجرَّد لما قد كان أهم به من النكفة عند قبايل ذو غيلان وسائر قبائل حمير وبكيل وخولان، وأرسل النكف إلى القبائل وخرج بعصابة يسيرة من الخدم والفرسان جهة برط، وسلك طريق أرحب ووعدوه بالنّصرة، وكاتب حاشد ولقيه جماعة ووعدوه بالنّصرة إلى خروجه من برط، وسلك طريق الجُوف حتى وصل برط ورَحَّبوا به وأضافوه وعجبوا من وصوله إلى عندهم لأنهم لم يعرفوا وصول أحد إلى جهاتهم من صنعاء المحمية بالله، من بعد الإمام المهدي أحمد بن حسن بن القاسم ولم يزل ينتقل في بلاد المحمدي والحسيني[3] وهم يضيّفوه ومن معه وتزوج بامرأة من بني البحر، ووافى عيد الأضحى وهو هنالك، واجتمع أهل تلك البلاد من أقاصيها ودانيها للمفاوضة والمدابرة في شأنه، فأجمع رأيهم على أنهم يكتبوا إلى من بقرب صنعاء مثل خولان وحاشد وأرحب ونِهْم وسفيان: أنهم قد أجابوا الهادي إلى مقصده وإنهم يريدوا إصلاح أحوال الرعايا وإرجاعهم كما كانوا عليه لأنهم قد تغلّبوا وتمنّعوا ولبسوا السلاح وأظهروا البغي والفساد، ومنعوا

---

(١) أي تجاسر.

(٢) وفي حالة الضريبة وغشها في ذلك الوقت يقول القارة:

كلهم قاموا بغير ركب ... من ملك رطلين نحاس ضرب

والوقيد قالوا كبا وقصب ... وقشاش، لا إله إلا الله

(٣) أي ذو محمد وذو حسين.

الحقوق التي كانوا يعتادوا تسليمها، وقد كان سبقت نكف الهادي إليهم قصدهم بذلك سيدي أحمد بن عبد الله شوع الليل سيف خلافة الهادي، ونحر البقر في أسواقهم، وكانوا قد وعدوه بإجابته للنكفة في ظاهر الأمر، وفي باطن الأمر منتظرون بكيل ما يصح منهم، وكل القبايل متابعون لهم.

وفي آخر شهر الحجة خرج الهادي من برط راجعاً يقود القبايل من ذو محمد وذو حسين والمشارق، وتوجّه طريق المرايش وبلاد سفيان، وخرجت قبايل المرانات وسفيان مع الهادي، واجتمعت إلى خِمَرْ وكل قبيلة لا تريد الصلاح، وإنما قصدهم الفساد والنّهب والسلب.

لا ينظرون صلاح الدين والدنيا وإنما يقصدون صلاح أنفسهم ولا ينظرون محقّاً إلّا لما في يده «إن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون» وقد تقاسموا أرض الله فيما بينهم وصاروا يطلبون الزيادة، واقتسموا فريقين، فسلك فريق ذو حسين وأرحب طريق ذيفان لمأرب في نفوسهم، وفريق ذو محمد وحاشد طريق السود غربي بلاد عمران وطرحوا في جبل عيال يزيد ووقع بينهم وبين أهل الجبل حرب وسقط قتلى من الجهتين، وحزّت روس تسعة، وأرسل بها الهادي إلى صنعاء وعلقت في القصر، ولما علم أهل الحوازات فصنعاء المجاورين لها أيقنوا بالهلاك، واجتمعت نهم وخولان وبني جبر إلى خارج صنعاء، وكتبوا إلى الهادي بأنهم باذلين نفوسهم يأمرهم بما يريد فجوّب عليهم يتوجّهوا مع سيف الخلافة سيدي أحمد عبد الله شوع الليل نحو بلاد البستان وبعض همدان المطرف مثل ريعان ومسيب، والبلاد التي تَهَمْدَنت، وكانت بستان[1] فتوجّهوا وثارت الحرب، وهزموا جند الإمام، ثم تثنوا على هَمْدان وهزموهم، وحزّت منهم خمسة رؤوس، وأرسلوا بها إلى الإمام وانتهبوا خَرَابة محيب، وكاتب رئيسهم إلى مشايخ حضور فأقبلوا طائعين وسلّموا ما قالوا.

ودخلت سنة ١٢٦٩:

توجه الهادي إلى عمران ودخل المدينة هو وخواصه، وسرى الفَسَاد في البلاد من الجند، وذلك أن أرحب دخلوا بيوت في عيال سريح يحفظوهم من معرّة الجيش، وقبايل حاشد وبكيل صالحوا أهل عمران على مال يسلّموه لهم ويحفظوهم، ويقعوا في حفظهم من الإمام والقوم، فصَحَّ أن كل أحد يقصد غرض

(١) أي دخلت في ولاء همدان وكانت من أهل البستان أي من بني مطر.

نفسه ومصلحته، فتخّرب النظام على الدولة وخالفوا ما وقع الإجماع عليه.

وفي آخر محرم توجه الإمام من عمران، وعَمَّل فيها حسن بن محسن الآنسي، والقول للشّيخ مقبل الصَّعْرفي عمران وبلادها، وطلع مدينة ثِلا وأخرج الرُّتبة من الحصن الذين وضعهم النّقيب علي الهَمْداني، وفرّق على البلاد دراهم وطعام وغنم وعلف وتوجّه الإمام والقوم على مقصدهم، وهو وادي ظهر وطَيْبه مسكن الهمداني، وسيدي علي بن المهدي، ووصل إلى الإمام من هَمْدان المجاورة لثلا ناس وسلّموا ما عين عليهم، وقبلوا الخطاط[1] إلى لولوه[2] وطرح الإمام في بيت نعم في المطرح، وأما أهل الحصن حَقّ بيت نعم فبدؤوا بالحَرْب، وبعد صالحوا نفوسهم، ونزل الإمام إلى القرى الذي حول الحصن، وأجمع رأي قبايل من همدان ومن جند الإمام على الهجوم على الوادي، فلم يشعر أهل الوادي إلاّ بالقوم، فما وسعهم غير الفرار، وقد كان نقلوا من أمتعتهم ومواشيهم إلى طِيْبة وسَيِّدي الجمالي كان بدار الحجر/ولما سمع بأخذ أعلا الوادي انتقل إلى طَيْبة وأهله وولده، وترك أكثر ما يملك في دار الحجر وثوقاً[3] بمن فيها من الرتب الذين وضعهم النقيب علي، وكذلك أهل صنعاء، وأهل الوادي تحَصَّنوا في طَيْبه، والقاضي أحمد الشوكاني سَبَق إليها قبل النّاس بشهر، وحالت الرصاص بين أصحاب الإمام ودار الحجر، والرُّصاص من طَيْبه، وسيدي أحمد عبد الله شوع الليل أقبل من حضور، طرح في أسفل الوادي، وأخذ حافة إدريس، وأحاطوا بَطَيْبة كأحاطة العصابة بالرأس والخنصر بالبنصر، فأيقنوا بالهلاك، وضاق بهم الحال، وداخلهم الرُّعب والفشل، وضاقت طَيْبة بنفسها من شدّة إزدحام الخلق فيها، لأن ما بقي ماء يشربون لكثرة الخلق، فما وسع الهمداني غير بذل الأموال لذو غيلان، وقد كان في ذلك الزّمان قارّون وتلاحق القوم وأجبروا الإمام على الصُّلح لأن ما قد قبضوا المال دراهم كثيرة فما وسعه غير القبول، ونزل سَيِّدي علي بن المهدي والقاضي أحمد الشكاني وعبد الله بن ناجي الهمداني إلى عند الهادي، فلما رآه سيدي الجمالي ضَجّ بالبكاء، قيل إنه على ما ذَهَب عليه في صنعاء ودار الحجر، وتلقاه الهادي وسَمَحه من دم أبيه المتوكّل الذي قتله في فتنة التُّرك، وصالحه على إرجاع صوافيه، وضمن عليه القبايل في سلوكه، وضمنوا على النقيب علي الهمداني في الطاعة ووجّه ذو

---

(١) هو أن ينزل الإمام بجنده ويرغم أهل الناحية التي ينزل فيها هو وجنده على إضافته.

(٢) سيأتي ذكرهافي معجم البلدان الملحق بالكتاب

(٣) أي ثقة منه.

غيلان بالرهائن كل رهن ولده في الظَّاهر، وأما الباطن فلم يكن ثم رهائن وإنما القبائل قد أظهروا الخداع والمكر، ولكنها الطاف اللَّطيف حلَّها على المسكين والضعيف، وأهل القرية قد كان أحاطوا بدار الحجر من قبل الصُّلح وقطعوا نصف تالوقة[1] سوق الوادي لما بينهم من الشحناء القديمة والضغائن، وانتهبوا ما في الوادي جميع، أولاً شرعوا فيه أهله في حق أهل صنعاء، وفي ذهنهم أن سَلم الوادي ردوهم وجرُّوا من أهل صنعاء أجرة نقلهن، وأن تلف فقد أخذوا نصيب، فلما تلف بسطوا على ما قد كان أخذوا القبائل، أخذوا البقية مما في البيوت، وبعد أخذ الأبواب والطاقات والشِّرعة[2] حق الأعناب. وأشهد أنا أن الأبواب الكبار الذي لا يقدروا على حملها القوم حرقوها وأخذوا حديدها، وأما العنب فأكلته القراش وداسوه بالنِّعالات[3]، ولم قد رأيت العنب صلح مثل هذه السُّنة في السنين السَّابقة، وأمر سيدي الهادي بخراب دار الحجر، وأخذ أولاً ما فيها من النَّفائس حقّ سيدي علي والفراش والنُّحاس، والقبائل أخذوا النجارة والبلور والزّجاج والصِّيني، وحاصله أنها طامة خرجت للوادي، ولكنه قد كان قابل قبول ما أحد يعرفه من قبل، وكأنه إلاّ جنه وبعد كل شيء غيره.

وأهل ضلاع صالحوا[4] أنفسهم بمال، ولم ينلهم سوء وتوجه الإمام [إلى] الروضة، ونقل أهله وأولاده، وما قد جَمّعه إلى صنعاء إلى دار الطواشي[5]، وأهل بني الحارث دفع عنهم سَيِّدي أحمد عبد الله شوع الليل كونهم بطانته، وكونه ساكن بينهم، وما كان أحقَّهم بالعقوبة/لتماديهم على البغي والفساد.

وفي شهر ربيع أنعزلت قبائل ذو محمد ومن تابعهم وتوجُّهوا اليمن في مقاسمهم، ورجعوا للبغي والفساد وذو حسين انتهضوا من وادي ظهر، وقد كان أمر الإمام ببقائهم في بئر العزب هم وسائر القبائل حَتَّى يتوجه إلى مقصده، وأمر أهل بئر العزب وقاع اليهود بالتَّفريغ، ونقلوا ما معهم إلى صنعاء، وذهب البعض، وبعد

---

(١) شجرة كبيرة تقع في وادي ظهر وفي معجم أسماء النبات ٨٣ التالق هو شجر الجمّيز.

(٢) هي الأخشاب التي ترفع العنب عن الأرض.

(٣) النعال.

(٤) أي دارَوْ دافعوا على أنفسهم بمال.

(٥) يقول الواسعي في فرجة الهموم والحزن ص ١٣٩ ط ثانية أينما ذكرت الدور في صنعاء التي يسكن فيها الأئمة فالمراد بها القصر الخاص بالملك وحاشيته وإسم آخر في هذا الزمان بالسرايا والدور المشهورة بصنعاء الخاصة بمقر الملك دار الطواشي، دار الذهب، دار بستان السلطان، دار المحدادة، دار الجامع وغيرها وإن كانت الآن قد هدّمت.

راجع الإمام العقلاء وأخبروه أن إذا دخلوا المدينة أفسدوها، فرجع عن ذلك، وقد أصابهم بكشف أحوالهم وما معهم وذهب عليهم شيء كثير وطرحوا في نقم وظبر الخولاني، وفرق على بلاد البستان سبعة آلاف قرش، ووازر محمد العفاري، وقبض على السَّيد محمد الشامي، وكان هو المتولّي لمصادرة أهل حضور، وعزل سيدي علي بن عباس عن الحكومة الكبرى، وولاّها القاضي أحمد محمد الشوكاني، والقبائل حول صنعاء يَنْهبون ويقطعون السبيل، ويطلبون خروج الإمام لقصد نفوسهم للبغي والفساد فخرج الإمام إلى حدة، وأصلح أهلها، وعيَّن عليهم شيئاً من المال، ونقل أرتل، وأدخلوا الإمام وأصحابه للضِّيافة، فوثب كل منهم على البيت الذي هو فيه، وأخذوا الطعامات والأمتعة والمواشي، وجميع ما يملكوه فيها، وأدخلوا أهلها حبس صنعاء، ولا ذَنْب لهم إلاَّ ضيافة الإمام وفتح بيوتهم، وأهدروا أهل قرية شفث وسرى البغي، وصالحوا سَنْحان على شيء من المال، وتوجّهوا بلاد آنس. وَوَضع عليهم من المال، ثم توجَّه ذمار وحطوا خارج، ونهبوا وقطعوا السَّبيل ذو محمد، وقبض علي عامر البخيتي وعتيق المقدشي وحبسوا وصودروا، وهلك المقدشي في الحبس، وجاءوا القبائل وتفرَّقوا ورجعوا خائبين [إلى] بلادهم بسبب بَغْيهم، وبقي الإمام في ذمار، ولم يبق معه إلا نفس يسير من التوابع.

وأما سيدي علي فإنه توجه إلى حجّة مع النَّقيب يحيى بن يحيى الشايف في ذهنه باطناً يلقى قبائل عسير ينتصر بهم لما قد لاقاه من الرّعايا، وقد تَقَّدمت المكاتبة بينهما ووعدوه بالمناصرة، ولم يتم شيء، وأما الهادي فبقي في ذمار أياماً، وبعد قطعوا وأهل الحداء الطرق وأخافوا الناس بسبب حبس علي عامر البخيتي، وأطلق على شيء من المال، وارتحل الإمام على سر خفي النهار، وما صلَّى الظهر يوم ثاني إلاَّ في صنعاء تاسع جماد آخر، ووقعت بينه وبين سيفه شوع الليل وحشة، وخاف سيدي أحمد على نفسه لما قد ألقى الناس إلى الإمام من الشحناء، وكاتبه الإمام إلى الرُّوضة يدخل فلم يسعد فكان [أن] خرج إليه بنفسه، وكلما ذكر له الدّخول اعتذر، وقد ألقى الناس في ذهن الإمام أنه قد كاتب سَيِّدي أحمد هاشم المنصور المتقدّم وفرح الشيعة وتشجَّعوا برجوعه، وأشعروا بذلك، وخولان والسيد محمد الشامي يسعون في إقامته ويفسدون الرعايا حول صنعاء، وما قد كفاهم ما وقع بسببهم، وهلاك ما بقي في بيت المال، وهدم دور الخلافة، وعبر ذلك ورَدَّ الإمام للشامي القطع حَقَّه، وسكنت الضَّوارب، ودخل سيدي أحمد عبد الله شوع الليل صنعاء بموكب عظيم، وبقي في بئر العزب في سبع وعشرين رجب سنة ١٢٦٩ هـ.

وفي سابع شهر رمضان خلع نفسه سَيِّدي غالب من الخلافة، وطرحها طوعاً وتَنَحَّى عنها لسبب ما بينه وبين سيدي أحمد شوع الليل، وفي ظاهر الأمر الصداقة بينهم، وفي باطن الضَّغائن، وبني الحارث وأهل الروضة إلى سيدي أحمد أميل، وطلع/سيدي غالب القصر، ودخل دار الذَّهب حسب عادته، وهو مستصحب السَّلامة وإذا برتبة سيدي أحمد عبد الله شوع الليل الذي وضعهم في دار عامر قد حاصروا الإمام الهادي غالب بن محمد في الدار العليا دار الذهب.

فعجب من ذلك وكتب إلى سيدي أحمد شوع الليل الذي كان سيف خلافه معه إلى الروضة فوعده [با] الدخول، وفي عشية ذلك اليوم، أعلن من في دار عامر وهم رتبة سَيِّدي أحمد بخلع الهادي الذي حاصروه، وأشعروا بذكر المنصور سيدي أحمد بن هاشم الذي ذكرنا[ه] آنفاً، وظنوا أن من في صنعاء من شيعته سيتابعوهم، فلم يمكنهم من الخوف، وأخذوا مفاتيح أبواب صنعاء انتهبوها من باب القصر كما هي العادة أن مفاتيح صنعاء لا تبيت إلا في القصر عند الأمير ويقبضوها يوم ثاني بعد الفجر، فأصبح الصُّبح والأمام محصور، والمدينة مغلقة والناس في حيص بيص، لما هم فيه من الشّدة وغلاء الأقوات، ويوم الأحد دخل سيدي أحمد من الروضة ووصل إلى بيت فايع في صلاح الدِّين، واستدعى سيدي غالب إليه فنزل وشكى عليه ما وقع من الكلام الفاحش والسَّبب له من سفهاء العسكر، وآلا على نفسه أنه يتنَحَّى عن الإمامة، وشرط لنفسه مشاريط، وشدَّ جميع ما في دار الطواشي، وخرج من فوره بأهله، وفتحت أبواب المدينة في اليوم الثاني، وكانت مدة خلافته سنتين إلاَّ عشرة أيام. وقام بالأمر سيدي أحمد حتى ينظر ما يصلح لنفسه وللناس والقيام لموكله، ولم يشعر بلقب ولا دعوة إنما كفل صنعاء حتى يقوم قائم، وخطب الخطيب في منبر صنعاء لمااختاره الله، وعند الويسية[١] بأن القائم بالخلافة أحمد بن هاشم، ونفدت الحجوزات للزكاة إلى البلدان، وكان مريضاً يدَّعون شيعته أنه مسموم والله أعلم. قال المؤلف وما أظن إلا أنها إصابته دعوة مِمَّن وقع فيهم ما وقع في أيام خلافته.

وفي يوم السَّبت عشرين شهر شعبان[٢] توفي في دار أعلا، وهذا من فرج الله على النَّاس وعليه، وقد قدم على ما أسلف من خير أو شر، تغَمَّده الله برحمته وغفر له ولنا آمين، واستمر سَيِّدي أحمد شوع الليل إلى شهر شوال، وشاعت الأخبار في

---

(١) أي أتباع أحمد بن هاشم الويسي.

(٢) وفاته سنة ١٢٦٩

الأقطار بأن سيدي العلامة البدر محمد بن عبد الله الوزير[1] الساكن في السِّر من ذرية العلماء الأعلام الفخام، متأهب للقيام بالدَّعوة والتَّلقب بالمهدي، ولما انتشر ذلك بادر أهل الدنيا الغافلون عن الآخرة بالنُهوض إلى السيد أحمد عبد الله شوع الليل يرغّبونه في القيام وتحمّل أعباء الخلافة، ولما علم إحتياجهم إليه لمأرب في نفوسهم بَثّ مكنون سره وأخبرهم بالواقع، بأنه عامي فاجر كاذب فرضوا به وبايعوه وأكرهوا من تحت وطأتهم على القول بذلك، وأعلنوا بذكره وتلقب بالمهدي وتخلق بأخلاق الخلفاء وكتب إلى الأقطار وبث دعوته في البلاد وهي تحت أيدي البغاة جميع، ولم يكن له مسلك غير التِّجارة في رعيته بضرب النحاس دراهم ولا زيادة في الصّرف حتى بلغ القرش الحجر قدر عشرين أوقية نحاس[2]، ونال الأمة المشاق بالشدة والغلاء وعدم كل شيء بسبب القرش، وهذا ودعاة ابن الوزير تدرج في الأقطار والرَّسايل.

وفي شهر القعدة أظهر محمد بن علي الشامي مكنون سره وفشا أمره أنه داعي للسَّيد العظيم والشَّريف الكريم محمد بن عبد الله الوزير، فابتدأ بقبض النوبة الشامخة في الصافية تحت حدة وسناع، وأخرج من كان فيها من بني معياد وهي التي تحت سَنَاع وحدة، وبعد أيام يسيرة غزا أصحابه إلى الصافية العدنية، وقبضوا النُّوبة الهائلة نوبة علي زيد لحصار صنعاء، ولما علم أهل الصافية وأهل بئر العزب غاروا من فَوْرهم، وتبعهم المهدي وخرجوا إلى يد المهدي أحمد شوع الليل، وأدخلهم صنعاء وأمر أحد السوقة بضرب أعناقهم، فضربت واغتم لذلك خلق كثير.

---

(١) هو الإمام العلامة المنصور بالله محمد بن عبد الله بن محمد بن الهادي بن صلاح الدين الوزير ولد سنة ١٢١٧ ودعا ١٢٦٩ كما هو مذكور هنا وفي أول صفر سنة ١٢٧٠ أعلن دعوته ثم استقر بقريته في ناحية بني حشيش من السر توفي سنة ١٣٠٧ وفي مناقبه انظر كتاب جواهر الدر المكتون للمؤرخ محمد بن إسماعيل الكبسي وقد طبع أخيراً بتحقيق الأستاذ زيد بن علي الوزير.

(٢) بعد هذا الكلام كلام آخر فصّله بخط غليظ عن الأول ثم ضرب عليه ولا ندري ما السُّبب في ذلك وقد تبيناه بعد مشقة.

«ولكنها تعد عدًا وما بقي آخرها إلا أكبر من اللُّماع قليل والعدد فيها بلغ إلى ست مئة مئة حرف عن كبار مئة مئة كبيرة وعشرين مئة كبيرة صح الثمن القرش خمسة وسبعين مئة حرف عن كبار حمسة عشر مئة كبيرة وما عاد كان بعض الأمور إلا بالميزان وما بقي الناس إلا متفرقين في العدد وإذا قست عشرين أوقية وهي أكبر».

ثم كتب تحت هذا الكلام قوله:

«هذا العدد المذكور تحت الخط ما وقع إلا في دولة أحمد الحيمي وأما في دولة شوع الليل فما هو إلا ما ذكر من فوق الخط من أعلا الخط أعرف ذلك».

ووفي شهـر الحـجة لـم يحـدث شيء إلاّ تقوّي سـيدي العـزي محـمد بن عبد الله، وسيـدي أحـمد يتنقل من صنعـاء إلى الروضـة والعكسس، والشـدة كائنـة في صنعاء، وأمـا سيـدي غـالب بن محـمد بن يحـيى فبقـي في الروضـة إلى رمـضان وتوجـه [إلى] حـفاش وتـلقوه أهـل حـفاش بالسّمـع والطّاعة واستخـلصه[1] بنـفسه هـو وملحـان.

ودخـلت سنة ١٢٧٠ جـمع السيـد محـمد الشامـي غوغـا من الشّيعـة إلى سنـاع وأعـلن بـدعوته للسّيد محـمد الوزيـر، وتلـقب بالمنصور، وهو بـاقٍ في وطـنه في السّر، ودخـل شرذمـه إلى بـئر العـزب قـوم وأمنـوا النـاس، وقبضـوا النّـوبَ الغربية، وتبعهـم نـاس من عند الشّامي، فـلما عـلم بهـم المهـدي خـرج بجـماعة من آل جهـم زهـاء ستـون رامـي، وعصابة من التّوابع، وأخـرجوا المـدفع الكـبير وأخـرج المـال من الـذي جـمعه من ضـربته المشومـة، ودارت الحـرب من ضَحْـوة النّهـار إلى نـصف اللّيل، ولقد أبـلغ آل جهـم النصيحـة الـذي مـا عليهـا من مزيد، ووقـع قـتلى من الجهـتين، ولـما عـلم أصحـاب المنصور عـدم القـدرة على البقـاء خـرجوا من الجهـة الغربية، ورجعـوا سنـاع من شـدة الحـصار فـما وسعهـم غيـر الفـرار.

وفي عـاشر محـرم سنـة سبعـين، جـمع المهـدي جـموعـه وقـصد حـصار السيـد محـمد الشامـي إلى سنـاع وحـده، واستـولا على بيـت العفيف، واجـتمع أصحـاب المنصور إلى سنـاع وحـدّه وجاهـدوا في الله حـقَّ جهـاده ووقـع بينهـم وبين أصحـاب المهـدي وقعـات، ورمـاهم بالمـدفع يومـاً بعـد يـوم، وأنـفق أمـولاً كـبيرة مـما جـمع من حـقّ العبـاد واستمـر ذلك إلى شهـر صـفر، ورجـع المهـدي على عقـبه، واعتـذر أن أصحـابه خـانوه، ورجـع صنعـاء منفرداً وظـن أصحـابه عـوده، وجـلس يـومين، وخـرج أدخـل بـقية أصحـابه الرّتـب وأدخـل المدفع ورجـع، وتقوّى أمر المنصـور بهـزيمة المهـدي، ونـشر المَنْصـور دعـوته، وطـلعت شـمس بـدره، ولاح في الأفـاق عزّه ونـصره، ودَنّـت الدّولة المهـدوية للأفـول والغـروب، وكـانت مـدة خـلافته خـمسة أشهـر وثلاثة وعشـرون يوماً، ذكـر مولانـا الإمـام العـظيم والسيـد الأفـضل الكـريم بـدر الإسلام وزينـة السّادة الأعـلام من جـمع بين محـاسن الصـفات ومحـامد السمـات المنصور بالله رب العـالمين محـمد بن عبـد الله ابن محـمـد بن هـادي بن صـلاح بن هـادي بن عبد القـدوس بن محـمد بن يحـيى بن أحـمد بن إبراهـيم بن محـمد بن عبد الله بن الهـادي إبـراهيم بن عـلي بن المرتـضى بن مـفضل بن منصـور بن محـمد العفيـف بن مفـضل بن الحـجاج بن علي بن يحـيى بن القاسم بن الإمام الداعي يـوسف بن الإمـام

---

(١) واستخـلصته (في الأصل).

المنصور بالله يحيى بن الناصر بن الإمام يحيى بن الحسين/قام داعياً هذا الإمام العظيم أيده الله داعياً من وطنه وادي السرّ وتابعه خلق كثير، قام غايراً لله على العباد والبلاد، وقد انتشر الطاغوت في البلاد وتمسكوا ممن تقدم قبلهم بشبه باطلة: إقطاعات لا أصل لها ومنعوا حقوق الله، وأراد أيده الله تدارك ما فات أو كاد أن يفوت، فخرج من بلده عقب االدعوة، وقد اجتمع إليه من المجاهدين زهاء مئة رجل أو زيادة، حتى وصل القوسي، ولم قد فتح الحصن لا أحد من أيام الهدي عبد الله بن أحمد الذي جَدّد بناءه كما تقدم، وتوجه إلى الضَّبعات. بات ليلة والثانية في سناع، وتلقاه السيد محمد الشامي، وأهل تلك الجهات بما يحقّ له، وتزاحموا على بيعته وبايعه خلق كثير من أهل صنعاءسرّاً.

وفي يوم سادس شهر صفر أجمع رأي أهل صنعاء على قبض الأدراك حق المدينة، وأخرجوا من كان فيها من رتبة السيد أحمد شوع الليل المهدي المتقدم، وحاصروا من كان في القصر حتى أخرجوهم، وأوقدوا النِّيران، وأشعروا باسم المنصور، وكان شوع الليل في الروضة، فأغار إلى شعوب فلم ينفعه حذر، واستولى أهل صنعاء على مدينتهم، وعقّلوا عليهم الحاج أحمد بن أحمد الحيمي السويدي [وهو] هو ممن سكن صنعاء وأتجر فيها، وكان فيما مضى في الحيمة وانقادوا لأمره، وحفظوا الأدراك وأشهروا الأسلحة، وأخرجوا التَّوابع بالكره، وأمنوا على أنفسهم وعلى المدينة منهم فقد وقع لهم كل كريهة من المكر والخيانة، وبيع الأدراك وعدم النصيحة للخلفاء.

وفي اليوم الثالث دخل من لدى الإمام السَّيد الهمام علي بن محمد عثمان، وبعض الشيعة، وأقاموا في دار الطَّواشي يدعون الناس إلى الخروج للبيعة، وخرج العلماء والأعيان إلى حدّة وبايعوا الإمام على الشرائط الشرعية والرفق بالرعية وصلاح النية.

وفي يوم ثامن عشر من شهر صفر دخل الإمام صنعاء المحميَّة بالله وقت صلاة الجمعة وقصد الجامع، وصلى الجمعة، وخرج إلى دار الطواشي.

وفي اليوم الثاني طلع القصر، وأقام في دار الذهب، وواجه وطلب جميع الأعيان والسادة والعلماء والحكام، ووعظهم وأوجز وأغلظ وتَعَنَّت وتعتّب عليهم فيما مضى، وأجاب عليه سيدي العلامة البدر أحمد بن زيد الكبسي بما فيه كفاية وقطعاً للّجج وأبقى الحكام على عاداتهم، وحاكمه القاضي العلامة أحمد بن إسماعيل

العلفي، وفَعَل نائباً له السيِّد أحمد بن محمد بن عبد الله الكبسي[1] وقصد الإمام الخروج للجهاد وصلَّى الجمعة في آخر صفر في جامع صنعاء ووعظ الناس بعد الخطبة وأطال الوعظ، وصلَّى العصر وخرج إلى حدة، وأقام بها أياماً إلى أثنا شهر ربيع وسماها وكر الجهاد، وأتوا إليه أهل حَضُور، وعزم للجهاد لأجلاء البغاة الذين تملكوا الحيمة، وبات في متنه، ووصل إليه أهل البلاد، وشكوا من تغلّب البغاة على بلادهم، وأجابهم بما طابت نفوسهم، ونقل إلى يازل، وهو أول قرية من الحيمة، ووصل إليه بعض أرحب وخولان، وطلبوا المغلّبات وتفريغ الحصون، فلم يسعدهم الوزير، وتقدم وحاصر من في الحصون والمعاقل وكل من خرج وقع له شيء من المال، ويفرقها الوزير على تلك القرى المجاورة ولقد أجاد أهل الحيمة في بذل أموالهم وأنفسهم للجهاد، وإخراج أهل البغي، وقذف الله في قلوبهم الرعب حتى أذعنوا، وخرجوا منها أذلة وهم صاغرون، وآخر من سلم الحصون الشامخة والمعاقل الدافعة النقيب علي بن أحسن الهمداني، عاقل همدان وكان متغلباً على بني النمري/في الحيمة وسلمها طوعاً وكرهاً.

وفي خلال ذلك وقع السِّيد محمد بن علي الشامي الوزير بأهل عصر، وأخذوا القرية الخارجية، وانتهبوا ما فيها من أمتعة وسلاح وطعام ومواشي وصادرهم مصادرة على قدر بغيهم، وكان مدة جهد الإمام في الحيمة من شهر ربيع إلى آخر شهر رجب، وصلحت أحوال الحيمة، وأخرج من كان في حصن مفحق، وسلم أهل البلاد أموالاً كبيرة، وباعوا أحسن ما يجدوه، ونالهم مشاق عظيمة لأن الوزير كان يصالح البغاة بالأموال الجزيلة، ويجبر على أهل البلاد في تسليم ذلك، وأكثر الجهاد والحرب عليهم، والقتل منهم أكثر من غيرهم، ووصل الإمام إلى عرّ الحيمة، وأكثر بقائه فيه والوزير والمشايخ والقوم ينازلون البغاة حتى أجلوهم.

وفي هذه السنة من شهر جماد شاعت الأخبار في جميع الأمصار أنه خرج رجل في قرية ظبوة في سنحان من القبر، ودعا أخاه وأباه وقت المغرب، وأدخله إلى بيته وأخبر بأخبار عجيبة، وظَنَّ من لا عقل له صدق ذلك وكتبوا إلى عند الإمام إلى عر الحيمة وأجاب: أن مثل هذا واقع واستدل بحديث عزير الذي ذكره الله في سورة البقرة وغير ذلك من معجزات الأنبياء، فقويَ أمره واجتمع رعاع الناس وأولموا ولائم كثيرة في بيت الذي ادعا هذا الشّيطان أنه ولده، وكاد الناس أن يقطعوا

(١) من أفاضل العلماء، ولد سنة ١٢٣٩ وأخذ عن جمهور من العلماء وإليه انتهت رئاسة العلماء من مؤلفاته شمس المقتدى في المنطق وغيره وسيأتي ذكره مراراً توفي في سنة ١٣١٦ (انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٥٠١).

بصدق الخبر، وكان يخبر بأشياء موافقة، وأشياء مخالفة، والنّاس في هذا الزمان غوغاء لا يدعوهم داعي إلى الغي إلّا تابعوه، ولقد صَدّقَ عليهم إبليس ظنه فاتبعوه، فكتب إلى الإمام بعض العقلاء من العلماء بما يبطل ما وهموا وأزال الشك عما ظَنّوه واستدل بآيات قرآنية، وأدلة شرعية فوفّق الله الإمام إلى طلب هذا الرَّجل إلى حضرته لتحقيق خبره، فوجّهه بعض المشايخ ومن زعم أنهم قرابته إلى عر الحيمة إلى عند الإمام، وصرفه الإمام عند بعض الخدم فأخرجوا حقيقته، ومنهم من عرفه وتيقن الإمام كذبه وشرارته، وأمر بحبسه فانكشف أنه رجل من السّادة الكباسية قد بلغ في الكهانة غاية، وقد سبقت له متفقات، وصل إلى قرية ظبوه فلقيه رجل من الحرّاثين من أهل البلد فأخبره أنه يشبه ابن الرَّجل الفلاني، كأنه هو وأخبره أنه مات في هذا العام، وقد حزن عليه أبواه حزناً كبيراً، وأخبره باسم أبيه وإسم أمه وأسماء قرابته، وعَرَّفه ما يملك من الضّياع والمواشي، وعرّفه بأهل المحل، ولم يزل الكبسي يتردّد إلى الحَرّاث حتى عرف القدر المحتاج إلى الحيلة والفتنة، ووقف في بعض الضّياع إلى وقت المغرب، وقد عرف قبر ابن الرجل الذي مات وحزنه أبواه وأدخل رجليه إلى ركبتيه في القبر، ودعا أباه وعَمّه فأجابا، وقالوا: من أنت: قال: أنا فلان ابنكم، فلم يصّدقوه فأعاد الصّراخ ودعا قرابته بأسمائهم، فعجبوا منه ونزلوا إليه وهومنغمس في القبر إلى ركبتيه، وسألوه، فقال: أنا فلان بعثني الله إليكم عبرة للنّاس وتسلية لأبي وأمي، فأمسكوا بيديه، وأدخلوه بموكب عظيم، وكان يدعي كل أحد باسمه وخَبّر بالجنة والنّار وصَدَّقه من لا يعرف الشّريعة وإلّا فالجنة والنار لا يعلمها إلّا الله بقول كن، ولو فرضنا صحّة خبره لتوقّف على الخبر من البرزخ وأهل القبور/ونكير ومنكر، والشّريعة تمنع من إحياء الموتى قبل يوم البعث فهو الميقات الذي يحشر فيه الناس أجمعين بدليل القرآن في مواضع كثيرة، وأحاديث شهيرة لا يسع المقام بسطها.

ولنعد إلى ذكر الإمام بعد إرتفاعه إلى رأس الحَيْمة وبعد إجلاء البغاة وتخريب المعاقل وأقام في قرية عيدان، وفي آخر رجب توَجّه إلى حَضُور وأقام في مِتْنة وتوجه الوزير بالجُند إلى قرية شعبان البَرَوية، ودخلوا بيوت الرَّعايا وأكلوا طعامهم، وذبحوا مواشيهم، وحبسوا من أهل القرية جماعة، وعَيَّن عليهم الوزير أموالاً لا يقدرون عليها، حتى باعوا أموالهم وسِلاحهم، فحذر منهم أهل (بيت ردم) وقلبوا ظهر المِجَن، وكانوا من أنصار الإمام، وباينوا الوزير، واستدعوا جماعة من أهل المخلاف، وأجمع رأي الوزير، وعقّال القبايل من خولان وهَمْدان على غَزْو (بيت ردم) في شهر شعبان، فتقدموا وقت شروق الشّمس، وقد دبّروا الحيلة على أن الوزير

وبعض الجند والإمام يقفوا بأزاء أهل القرية، حتى يخرجوا من البيوت إليهم، وبعض الجند كَمِنُوا في الجهة الأخرى، حتى خرجوا أهل (بيت ردم) وقد غمسوا شميلهم[1] في الماء وتدرَّعوا بها من الطعن، وخرجوا خَرْجة رجل واحد، وهم لا يعلمون بالكامنين، ولم يشعروا إلاَّ بالصَّيحة من ورائهم، وقد أخذت أوطانهم وسكن القوم في مساكنهم، فرجعوا على أعقابهم، وماوسعهم غير الفرار إلى الحصن، وأخذ الجند البلد بما قد جَمَعوا فيه من بيت المال ومن أموال العباد وأموالهم، وهم يزعمون أنه لم يقدر عليهم أحد، وقد أحاطت بهم أعمالهم وسَلَّط الله عليهم بذنوبهم، واستمر الحرب بينهما أياماً وسقط قتلى منن الفريقين وحزت من القبائل خَمْسة روس وأرسلها الإمام إلى صنعاء وعلّقت في الأبواب ، وهدم القوم أكثر بيوت القرية، وآل الأمر إلى الصّلح وارتفع الإمام إلى الحصن، وأمر بهدْم مآثره[2] إلى القرار، وأدخل باب الحصن إلى صنعاء المحميَّة وعَمَروا به في الطَّواشي، وكان هذا الباب فيما سبق باب حصن الغراس، وفي بعض الأيام ضَبَطوا ناساً من أهل (بيت ردم) وضُربت أعناقهم في أعلا الحصن، وأوثقوا المشايخ وبعض أهل المحل، وأدخلوهم في سراة[3] الحديدة. وحبسوا في صنعاء في القصر، وعَيَّنوا عليهم أموالاً. وبعد نقل هذا الباب من الطَّواشي رَدَّه المتوكل محسن بن أحمد إلى الغِراس في سنة نيف، وثمانين وماءتين وألف، وبعد أن أخربوا التُّرك الغراس أرجعوا الباب وفعلوه[4] في العرضي حقهم وكذلك أبواب كثير كبار في العرضيات أخذوها من القصر وغيره، وكذلك أهل بلاد البستان فَرَّق عليهم الوزير أموالاً كبيرة وسلَّموها وقبض من القرى كهلا رهائن وأدخلهم قصر صنعاء.

وفي آخر شهر رمضان، توجه الإمام إلى حَدَّه وأمر الإمام أهل صنعاء بخروجهم إلى ميدان الألف عدني صنعاء وشرقي حدّة لصلاة العيد، واجتمع خلق كثير، ورجع الإمام إلى حَدّة.

وفي شهر شوال توجّه الوزير بقبائل خولان وقَصَد سَنْحان، وقد أخذ الناس منه حِذْرهم، فتوجَّه إلي مَطْرح سَيَّان، وأمر أهل المحَاقِرة والسَّادة يوافقوه إلى بعض القُرَى، فخرجوا جميعاً إلى لقائه، وقد كَمِن القَوْم في جهة أخرى من مَزَارِع القَرْية حَقِّ المحاقرة، ولم يشعروا إلاَّ وقد تَسَوَّر أصحاب الشامي البلد، ولم يكن فيه إلاَّ

---

(١) جمل شمله وهو رداء غليظ من الصوف يلبسه القبائل.
(٢) أساساته.
(٣) جمع سره وهي الحبل الغليظ.
(٤) جعلوه.

النساء، وقليل من الرِّجال، وقتل من في المحاقرة من القوم زهاء عشرين رجلاً، وقتل الذي قد شغل العباد والبلاد القاضي أحمد بن حسين البرطي المتقدِّم ذكره. ﴿وَمَا ربك بغافل عما يَعْمل الظالِمُون﴾ قتلته إمرأة، وكان عاقبة بغيه ومكره وخدعه وخيانته، ولما علم أهل المحاقرة عدم قدرتهم على محلّهم تفرّقوا في القرى المجاورة، وصاروا غربة[1] كالدَّراويش[2] وانتهبت القوم بيوتهم وأسلحتهم وأمتعتهم ومواشيهم/وجميع ما في البيوت من الطعام هذا ملكهم، غير ما هو من بيوت الأموال الذي أخذوها حين هَجَمُوا على المنْصُور علي بن المهدي، حين أقاموا النَّاصر محاسن ونفائس وأحجار فصوص لا تُعَدّ ولا تحصر، ولكن الحرام أذهب الحلال وكلُّه حرام من قَطْع الطرق وغيرها، ولكن أكثر من غَنَم ما في بستان المتوكل هُمْ، وأهل جَدِر، وتلقَّت القوم الزُّربفت[3] والحُلي والحُلَلْ، والسِّلاح، والسَّبايك والمُخْلَص، والذَّهب، والفِضَّة، والنَّحاس، والمَفارِشْ الرُّوم، والجواهر والفصوص، وهَدّم القوم دورهم، وأوثقوا من بقي في سلاسل الحديد، وقتلوا من الشَّرائف[4] والرجال من قتلوا، وأقام الوزير شهر القعدة في المحاقرة وقد سبق الإمام من حده إلى صنعاء في شوال، والوزير لحق ووافى عيد الأضحى والإمام والوزير في صَنْعاء، وقد أنفت قلوب الرعايا، وخافوا على نفوسهم من سَطْوة الوزير السيد محمد.

ودخلت سنة ١٢٧١:

ونشأت الفتن، فأول ناجم نجم دَعْوة سَيِّدي حسين بن المتوكل أحمد، دعا من الرَّوضة، وبايعته السَّبع القبائل، ووقع إبتداء الحَرْب في شعوب بين أهل شعوب وأصحاب الإمام وأرحب، ولم يقف الوزير منهم على شيء، وقد جَنَحَت الدولة المنصورية للغروب، وتغيَّرت نيَّات الوزير والأمير، تعللوا الأعيان وبعض الحكام وحبسوا جماعة، فرموهم بالسِّهام التي لا تخطى، وهو الدُّعاء لأنه ظلماً فسَلَّط الله عليهم الرعية، وخرج الإمام إلى حَدَّة أقام أياماً في أيام ثمارها، ولما علم الوزير بالعجز عن استئصال أهل شعوب، خرج إلى خَوْلان يجمع القبائل، وينكّف عندهم.

وفي حادي وعشرني صفر، دخل أرحب وهَمْدان وسَنْحَان وبني الحارث بئر

(١) غربناً.

(٢) جمع درويش: لفظة من الفارسية بمعنى الفقير والزاهد والمتصوف.

(٣) سبق شرحه.

(٤) النساء الشريفات المنسوبات إلى ذرية النبي ﷺ.

العزب، وخرج الإمام ووصل صنعاء، وقتلوا من القبائل في قاع اليهود خَمْسَة وحزُّوا رؤوسهم، ومن أهل صنعاءمثلهم، وأرسلوها إلى عند المتوكل، وتراكمت القبائل، ورجع الإمام قبل الظُّهر على عقبه صنعاء، وقد كان أهل بئر العزب نقلوا ما معهم إلى صنعاء، ولم يبق إلاَّ شَطْراً واستمر الحِصَار على صَنْعاء من صفر إلى رجب ستة أشهر سنة ١٢٧١ وصادر الناس أمراً عظيماً من إلزام الأعيان والعلماء والسَّادة من الحِراسة في الدَّوائر، وتحكم الحاج أحمد الحيمي وعيال السوق، وأصحاب الإمام على النَّاس، وأذلوا العزيز، ورفعوا الذَّليل، ووقعت وقائع بين أهل صنعاء والقبائل خارج صنعاء ما قد وقع مثلها، ولقد أجاد أهل صنعاء، وبذلوا رؤوسهم، وحاربوا القبائل حَرْباً يشيب منها الصَّغير على ما هم مترفين ما يعرفوا ذلك، وتَعَسْكروا جميعاً، ولم بقي عملهم إلاَّ التِّعِلاَّم[١] للزَّوامل[٢] والمغارد[٣] وهي لطف من الله، فلولا فعلوا ذلك كان الكل هالك، ولكن يحصل من لطف الله، وتسَيَّدهم لذلك عاقلهم، حتى أن أكثرهم فعلوا لهم أقباع[٤] وعِسْوَب[٥] ويعلّقوا البنادق في الدَّكاكين، وأما الوزير السيد محمد الشامي، فوصل إلى الظَّبر وتلاشى أمره بسبب عَسْكَرت أهل صنعاء لأنه طَلَب منهم المنصور دَراهم لبني ظبيان فلم يسلموا وقد أهموا[٦] بالوقوع بالوزير حقَّة القوم، وأخذوا بعض الخيام، ورجعوا بلادهم، وبقي الوزير في دار سَلْم أياماً ودَخَل صَنْعاء المحمَيَّة وفي شعبان، وقع الصلح بين الجميع خارجي وداخلي، كبير وصغير، وقاصي وداني، على خَلْع المنصور عن دِسْت الخلافة.

وفي ليلة سادس وعشرين شَعْبان دخل السَّيد العلامة محسن[٧] بن أحمد الشَّهاري صنعاء المحمية بالله إلى بَيْت حاكم المسلمين القاضي أحمد إسماعيل العلفي في الأبهر. وصبيحة يوم السَّبت اشتهرت دَعْوته وتَلَقَّب بالمتوكِّل وقد بايعه عقال القبائل، وعقدوا الصُّلح بينهم وبين أهل صنعاء على خَلْع المنصور، وإقامة إمام وخَلْع المتوكل حسين بن المتوكل، وقد/كان في داع الخير منتصب إمام، ورجع الرَّوضة وارتفع المتوكّل سيدي محسن إلى القَصْر ذلك اليوم، ودخل القصر

---

(١) التعليم.
(٢) هي أناشيد القبائل وأهازيجهم.
(٣) جمع مغرد وهو كسابقه.
(٤) جمع قبع وهو رداء مصبغ يلف على الرأس.
(٥) جمع عَسيب وهو غمد الخنجر معكوف الشكل يرشق وسط حزام يتمنطق به العامة يكون وسط البطن بخلاف الجنبية فهي تكون في الجانب الأيمن انظر جواهر الدرر ص ٥٢٩ لمحققه.
(٦) أي همّوا.
(٧) هو الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد بن محمد وسيأتي خبره.

ودار عامر وخَلع المنْصور محمد بن عبد الله الوزير، وبقي في القَصْر نحو ثلاثة أيام يجمع للخروج ما قد معه من الخلافة، وخرج من باب سِتْران بما معه وخَيْله، وكملت البيعة للمتوكل، وفي أيام الحِصار توفي السِّيد العلامة محمد بن محمد بن عبد الله الكبسي[1] في ربيع. وفي جماد توفي المفتي العَلاَّمة الشَّهير والبدر المنير وإمام المحققين السيد أحمد بن زيد بن ناصر الكبسي[2] رحمه الله، ولموته أظلمت الأرض وعمره بِضْع وستون سنة، وكان للمدافعة عن كل أحد وأحد زمانه، ويقدم على إمام، ويصير مقبول الكلام، بل يلزمهم الحجّة سيما التعللي[3] وينزِّه جانب العلماء وما ينسب إليهم الجُهَّال.

وفي آخر جماد توفي القاضي العلامة النّحرير اللُّغوي الصُّوفي أحمد بن علي العمراني، وفيه توفي سيدي حسين بن يحيى ابن مطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين بن القاسم، عُقيب خروجه من حَبْس الإمام أغروا به أنه ما يحبّه، وعمره ثلاثون سنة وقيل دون، ونرجع إلى ما نحن بصدده.

وفي رمضان لم يحدث شيء إلا أن أهل صَنْعاء توالوا على خروج المتوكل سناع من شغلة القبائل بعدما وقع.

وفي ثالث شوال تَحرَّك سَيِّدي غالب بن محمد بن يحيى، يقول وهو باقي على دعوته، ولقبه وليس من حين أخرجه سَيْفه أحمد شوع الليل، فنهض من الروضة إلى ضلاع، وتبعه أهل الرَّوضة وبعض من هَمْدان ونِهْم قدْرْ خمس مائة، وقد وقع التوالي بينه وبين سيدي حسين بن المتوكل، الذي خلع هو والمنصور في صلح فك حوزة صنعاء، حيث لم يتم وعده، ورجع يشاحن، وتابعهم سيدي عباس بن عبد الرحمن الذي كان المؤيد صاحب شهارة الساكن في الروضة، وبعد توجه سيدي غالب إلى حضور وأقام في جبل النبي شعيب، وكاتب الرعايا وأشهر دعوته وأجابه نواحي كثيرة لمحبتهم لأبيه وتوجّه سيدي المتوكل إلى ذمار بعد مبايعتهم لسيدي غالب وقلد عمالة يريم إلى الشّيخ عبد الله غالب صاحب الأعماس ودخلها، وأما سيدي المتوكل المحسن بن أحمد، فإنه لما تَحَقَّ بذلك أرسل الوزير السِّيد محمد الشامي إلى حَضُور ومَعه عصابة، من خَوْلان واستبقوا في البَرَوِيّة أياماً، ونهض

---

(١) من أفاضل العلماء ترجم له المؤرخ زبارة ولم يحدد وفاته (انظر نيل الوطر ج ٢ ص٣١٣).

(٢) سبق ذكره.

(٣) المتعلل بالحجج الباطلة.

لمناجزة سَيِّدي غالب، وكاد يغلب سَيِّدي غالب لدهايته[1] وفطنته وخدعه، ولكن غلب عليه خدعه، ونهض راجعاً إلى المتوكل، وذكر أن جنده باعوه وكادوا يأسرونه، ولعلّه ابتاع وأعماله تسوقه، ولما رجع عظم أمر سَيِّدي غالب وتوجّه إلى بيت ردم، وصالحهم أهل بني مطر والبَرَوِيّة على دراهم لهم.

وفي آخر القعدة وأوائل الحجّة وافى عيد الأضحى والمتوكل في سَنَاع، وعباس بن عبد الرحمن في عَمْران عامل من سَيِّدي غالب وسيدي غالب في بيت ردم والحاج أحمد الحيمي في صنعاء، وجميع أهل صَنْعَاء في يده وكلمته مقبولة لمحبة أهل صنعاء له.

ودخلت سنة ١٢٧٢:

والخير مبسوط حتّى أنه وصل سِعْر الطعام البِلْسن[2] قدراً لا نعرفه في سنيننا من كثْرته لأنها وقعتْ ثمرة زائدة ثالثة، وذَرَوْا في جميع النَّواحي بِلْسن، وكان يقول الغوغا «من حين جاء محسن صَلَّح البلسن» هَمَج رعاع، وقد طلب الوزير الشّامي القبائل، فلم يجيبوا وقد جَرَتْ عادة حمير وكهلان أنهم لا ينصرون الأئمة المحقّين إلا لما يعطوا، وقد علموا أنَّ المتوكل لَيْس في يده شيئاً ولا يرضى بفعل هذا الوزير الذي أهدر بعساكره العباد والبلاد، فتراخوا عن نُصْرة المتوكل، وقد صارت البلدان بأيديهم، ولعلَّ المتوكل قد لا يرضى لهم لذلك إذا مَكّنه الله فقعدوا في بيوتهم.

وفي شهر محرم وصل بعض من حاشدونهم إلى سيدي غالب وتوجّه على حين غفلة إلى سناع ودخلوا النُّوبة الذي فوق سَنَاع وهي كافله[3] للمحل لارتفاعها وتَسلَّلوا إلى بعض بيوت سناع ليلة الجمعة سادس عشر محرم/ووقع بينهم وبين أصحاب الإمام وأهل المحل حَرْب واستمر إلى نصف اللَّيل ليلة السبت، وأخرجوا بني جبر من الدُّور التي ترتبوا فيها، وخرج المتوكل من المحل مجرَّداً عن النَّاصب والجازم[4] وفر الوزير ومن عنده على أعقابهم، وذاق الوزير عمله، والإمام هوّ ومن معه توجه [إلى] صنعاء المحميّة بالله تعالى قُبَيْل الفجر إلى باب اليمن، فَرَدُّه من في الباب من الرُّتبة، وقَصَد باب سِتْران، فكذلك لم يفتحوا له، ثم إلى باب شعوب، فلم يقبلوه ولا آووه بعد المواثيق بينهم والبَيْعة منهم له والعهود، فما ذلك إلاَّ شقاوة

(١) لدهائه.
(٢) البلسن هو العدس. زاد في المخطوطة بخط صغير «ثمانية أقداح بقرش».
(٣) مسيطرة.
(٤) أي خرج بدون متعلقات.

عليهم، وما أظنهم يسلموا وبالها لأنها كبيرة، ولكن سيوقع فيها من لا ذنب ولا حجّة عليه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وتوجه إلى وطنه إلى (سعوان)، وأما الوزير الشامي وأهله فدخلوا صنعاء، وهذا أعجب واستولى سَيِّدي غالب على محطّة سيدي الإمام المتوكل وأخذوا الخيل وما يجدون من السِّلاح والآلات، وأخذوا الطُّهرة المتداولة بين الأئمة وأمنوا أهل سناع، ولم يذهب عليهم شيء، وما أظنها إلا مخادعة وبيعة لأنا رأينا من العجائب التي تدل على ذلك، فلا حول ولا قوّة إلا بالله، وأطاع النّاس وتتابعت الجنود إلى مطرح سيدي غالب.

وفي النصف الأخير من محرم من السَّنة المذكورة أمر الهادي جُنْده بالتَّوجه إلى الحَيْمة بعد محاولة أهلها وبذل شيء من المال، وأمرهم الشيخ محمد بن يحيى الرميم بالتّعصُّب والاجتماع إلى طرَف البلاد للإحالة بين جند سَيِّدي غالب وبين البلاد، وما ذلك إلا لأنه يشتي[1] يقبض الحقوق لنفسه، ويجعل غالب له آله، وفي الظاهر أنه من عند إمام، وهو بمعزل من الإتمام، ولم يسلِّم للإمام المتوكل من تلك الحقوق شيئاً، وقد جلس تلك المدة يحاوله ولم يسعد، وبالحال أنه إمام لإمام، وفيه كمال الشروط، ولكن قد بيِّنت لكم في هذا المجموع مِراراً أن رأس الفساد البغاة والمشائخ وقعت لهم فرصة وصارت لهم مِهْرة الخَدْع والمكر، وحبّ الدنيا، وما أظن أنه يصلح عمل ما دام ذلك وقد رأينا في زمَنِنَا هذا الأخير في أيام نقل هذا، ذهبت البغاة الذين كانوا يملكون البلاد تغلُّباً وصاروا شعباً فأما أكثرهم بغياً «...»، فأهلكهم الله بالقَحْط والشِّدة والغلاء ويبست أرضهم وجاعت بطونهم، وخرجو يطلُبون في الأقطار، وصاروا عِبْرة لأولى الأبصار، وملؤوا الأمصار، وأما غيرهم مثل أرحب وخولان ونِهْم وحاشد فهم أشدّ منعوا على نفوسهم وغلبوا عدوّهم، ونصروا على من قَصَدهم حيث لم يقدر غيرهم يمنع على نفسه يوماً وهم إلى هذا التّاريخ مانعين على نفوسهم، وتركوهم التّرك طوعاً سبعة عشر سنة، ولكنها بسبب من الله سبحانه وتعالى محبتهم لآل محمد ومآواتهم لهم ولا بأس أنهم يبتاعون لحب الدراهم وأما أنهم يتجاروا لذهاب سيدي بينهم فيأبى الله بل أن السيّد بينهم يمكنه بمدّ يده ويهتكهم ويتكلم على أكبر عاقل وما يجي منه إليه مكروه فلهذا منعهم الله من عدوهم.

وأما المذكورون معهم من «...» فقد سامتهم الدَّولة التركية سوء العذاب وخربوا بيوتهم مراراً وقطعوا أشجارهم، وقتلوا رجالهم قتلاً وخَنْقاً على رؤوسهم الخلائق/وبقت حَقّ المشايخ الله يفرج على العباد بإقامة الحق وخذلان الباطل

---

(١) يطلب.

بحوله وطوله آمين. اللهم[١] آمين ونرجع وهذا ووقع التشاور بين الحاج أحمد بن أحمد الحيمي عاقل صنعاء! وبين الشيخ محمد بن يحيى الزّميم في شأن الأول والثّاني فإنهم وإن كانوا متباعدين، فإنهم متقاربين وشَوْرهم واحد لأنهم من الحيمة جميع، وعاد أملاك الحاج أحمد باقية في الحَيْمة، وأكثر أهل الحيمة ما يقولوا إلاّ بقوله لأن صنعاء محبوبة فسرى حبها إلى حبّ من سكنها حَمَاهاالله، فعندما سَلّموا للهادي المال وَجّه جنوده واقتسموا من ثلاث جهات، وأخذوا في تلك الجهات بعد فعل وقَتْل فضيع، واحتزُّوا من رؤوسهم نَحْو إثنا عشر رأساً، وأرسل بها سَيِّدي غالب إلى الرٌّوضة وطَرّح في الرّصعة في أعلا الحيمة، وآل الأمر إلى دخول المشايخ وعقال البلاد تحت وطأته، وصالحهم على ثلاثين ألفاً، وقيل أكثر، وهم لا يقدرون على ذلك ولكن «من أراد أن لا يطاع أمر بما لا يستطاع» وهذا عَمَل المشائخ رَدَّ الله كيدهم في نحورهم، ولكنهم لا يفقهون زَاداً[٢] عموا معهم[٣] الضُعفاء بسوء عملهم وقبيح فعلهم، والعقوبة من جِنْس الفعل والعساكر بعد تلك الوقعة إلى زيادة قالوا في مثل العوام «إنجوا[٤] أهل الطمع قال حضروا» توالفوا من كل قبيلة حتّى زادوا على سبعة آلاف وملؤوا الحَيْمة وأكلوا ثمارها، وكثر الفساد منهم في البلاد بقوا يعوثوها[٥] بغير حِكْمة وأهل صنعاء مانعون على نفوسهم في طاعة سَيِّدي غالب ويزعمون أنهم باقون على بيعة المتوكل الحسين، وقد ردّوه من كل باب في المدينة بعد وقعة سَنَاع، ولم يأووه وقد فر إليهم كَوْنهم في مَنَعة، وأكثرهم معترفون بحقّ الأئمة ولكن الكلمة كانت للحاج أحمد[٦] والحكمة[٧] فيها له، وهو الرّاعي وهم الغَنَم، وسار الإمام المتوكل إلى سَعْوان، وبَعْد رحل إلى بَوْسان، وراجعهم شَيْخ الإسلام في حق الإمام وأنهم فعلوا معصية كبيرة بردّه من الباب، ولا يسلموا عقوبتها سواء في الدنيا أو في الآخرة، فرجعوا عن سَوْمتهم[٨] وصَحَّت عندهم هَفْوتهم، وكاتبوا الإمام يرجع إليهم ويدخل صنعاء لديهم، وقد أوغروا صَدْره، وما ذاك منهم إلاّ خوفاً من سَيِّدي

---

(١) كذا في عبارات المؤلف رحمه الله ما يخرج عن الوجه اللائق ولولا أن المؤلف له محمل ديني وعْظي حيث أنه كان ممن يمتهن الوعظ والخطابة وحرصاً على أمانة النص لكان من المناسب حذفه وهذا للتنبيه فيفهم.

(٢) زادوا.

(٣) الأصل (معاهم).

(٤) أي أين جاؤوا.

(٥) يعيشوا فيها.

(٦) أحمد الحيمي.

(٧) الحكم.

(٨) أفاقوا من غيبوبتهم.

غالب كونهم ما قصْدهم إلا الدُّنيا، ولو قَصْدهم الله والدَّار الآخرة لفتحوا له، وما جرى التقفوه وقد هو إمامهم والدّنيا زائلة والمراد ما يرضي الله إن عاشوا فسعداء، وإن جاهدوا معه وقتلوا فشهداء ولكنهم عن صِدْق العمل بمعزل. ومرادهم يستأثرون ويأكلون أموال الله، وهذا فِعْل كبيرهم الحاج أحمد، وقد ضَرَب الضَّربة المشؤومة أزافوها حتى بلغت العدد الكثير، وصاروا يتجّرون في الضعفاء والمساكين، وليس لأهل العلم ولا ضعفاء الناس قول ولا فعل، بل هو له متفرداً به، وحوله أربعة خمسة من سفهاء المدينة يزّينون له مرامه، وصِنْوه سعد الفريد[1] بصادر الناس، ويقابل ويواجه للخصومات، وهو كان مقبِّع[2] فريد، وقد وَضَعه في مقام سيف الخلافة، وهو مصدّر نفسه للعظائم، وأما الكلام الفاحش والأخلاق البذّية والتّكّلام فهي خُلُقه واللعن، ويقول: قالت أختي سُعده، وقالت أمي، وأما أراذل الناس وسفهائهم، فما يخاطبهم إلاَّ بكلامهم من الكعلام والأستام، ومن قال شيء فيه النَّجاة أو أمر بمعروف أو نَهى عن منكر عاقبوه، حتى أنه باع ناس من تُجَّار صنعاء من بني جبر في مالهم عنده من جوامك عَسْكَرَهُ فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي شهر محرم نفرت طائفة من السُّودان من الحديدة عسكر السلطان خالفوا على باشَتِهم بسبب قَطْع أرزاقهم، ونهبوا البانيان[3] في زبيد والخَزْنة حقّ السلطان، ثم ارتفعوا إلى بلاد وصاب، وأوجفوا على أهلها حتى طاعوهم، واستفتحوا البلاد، وظَهرت الفِتَن في جميع الأقطار، وعاثت القبائل في جميع النواحي وأخافوا الرعايا وسبب ذلك سقوط أمر الدولة/ .

وفي شهر صفر أعلن أهل صنعاء طاعة سَيِّدي غالب الهادي والسَّبب تقوّي أمره في الحيمة، وأخذه لها، وملك أهلها وقبض على مشايخها وأهم بإفساد شجرة البن حق الحاج أحمد الحيمي، وبيع الأراضي حَقّه من أهل البلاد أو يقطعها للعسكر المَشارِقة[4] فما وسع الحاج أحمد وأهل صنعاء إلا الطَّاعة لأن الحاج أحمد معه أملاك كبيرة لأنه قريب عهد بالبلاد، وصنعاء الغَنَّا بقي الملك وازداد[5] فلما تيقّن القاضي أحمد إسماعيل العلفي ذلك، رحل من صنعاء إلى جَدِرْ واستوطنها لأنهم

---

(١) الفريد هو الذي لا يرى إلا بعين واحدة (الأعور).

(٢) مقبع سق شرحه وهو يعني هنا انه كان قبيلياً

(٣) طائفة من هندوس الهند ومعناها التّاجر.

(٤) جمع مشرقي وهو يطلق في الغالب على أهل الجهات الشرقية لليمن كمارب والجوف.

(٥) في المخطوطة «وصنعاء العنا بقي الملك وأستاد».

يدَّعون التشيّع ويقع لهم فرص لأخذ أموال الناس وبيوت الأموال، وصار التَّشيع[1] مقنصاً لهم لما ذكر، وبقي عندهم وصَرّفوا زكاتهم له وولايتها إلى الإمام، وأقام أهل صنعاء بَدَله السَّيد أحمد محمد الكبسي، ولقَّبوه بشيخ الإسلام، وقام بمركز الشَّريعة، ولا قول له ولا فعل ولا حَلّ ولا عقد في الشَّريعة إلا بما يقول الحاج أحمد الحيمي، وإنما هو إسم لغير مسمّى، وكون الحاج أحمد الحيمي الخليفة في صنعاء واستمر شيخ الإسلام الكبسي ألى شَهْر ربيع، والهادي يحيل أمر الشَّريعة إلى القاضي أحمد بن محمد الشوكاني وهو باق في الرَّوضة، وجميع أهل أرض اليمن شَرْقاً وغرباً ويمناً وشاماً لا يَثِقُون بغَيْر الشوكاني، وأكثر أهل صنعاء عالمين بذلك، وإنما الشيعة يخرجون في حقّه وفي أحكامه، وفيه من العفافة ما لا يوجد في غيره منها، ما أحد قد سلَّم ولا شهد على تَسْلِيمْ شي له ولا ما يوزان مِثْقال حَبَّة من حين عُرف بالقضاء إلى أن توفي، وأسلافه من قَبْله مثله وأنا والله مِمَّن شارعت[2] عنده فرضي الله عنه، وأراد الحاج أحمد وعقَّال صنعاء على جَمْع الكلمة والائتلاف وجمع الشتات بين أهل المدينة والسَّواد[3] ودَفْع الإختلاف، فوقع منهم المكاتبة والمراسلة للشَّوكاني، وطلبوا دخوله صنعاء المحميَّة بالله، وهو غير واثق بهم لما تقدم من إباحة عرضه وخراب بيته، وخاضوا مع السَّيد أحمد محمد الكبسي بموافقة الشَّوكاني ويستنيب عنه في صَنْعاء، ويُتفقان على المعاونة وكون العمل لله ما ثَمّ نقصُ على أحد، المَقْصود رِضَا الله بإقامة الشَّريعة فامتنع السَّيد أحمد الكبسي، وعزل نَفْسه، وبلغ أنه أضمر في نفسه على دخول السَّيد محمد بن عبد الله الوزير أو السَّيد محسن الشهاري، مكافأة لمن قال له ذلك ويريدوا دُخول الشَّوكاني ووافقه بعض عُقَّال صنعاء، وقيل أنهم تمالوا على القَبْض على الحاج أحمد الحيمي ويَنصبون إماماً من الفقهاء بقيَّة شيعة الإمام ابن هاشم، وكتب السَّيد أحمد الكبسي إلى الحاج أحمد بن أحمد الحيمي، إنه ينزل إليه هو وبَعْض العُقَّال للمفاوضة في شأن الشَّوكاني، فنزل إليه مستصحب السَّلامة فلما خلا به هَمَّ بالقبض على الحيمي ولم يكن معه بطانة غير السَّيد قاسم بن حسين الحوثي المأمون عنده، فاستصغر الحيمي ووقع بينه وبين السَّيد قاسم والخدَّام[4] يوسف ما وقع في المغمغة[5] والمهاوشة[6]

(١) شرك أو أحبولة.
(٢) حاكم عنده.
(٣) أي سواد جزْيز من ضواحي صنعاء.
(٤) الخادم.
(٥) مَغْثة خَنْقة.
(٦) المهاترة أو ما يشبه معناها أو بمعنى الصّراع بدون إصابة.

وارتفعت الأصْوات حتى سَمع العقَّال الذي أوقفهم في الدِّيوان الأسفل وقد كان أخرجوه الحاج أحمد إلى مكان آخر للمفاوضة وحده والعقال في الديوان، فلما سمعوا أغاروا وقد أغلق عنهم باب الحاجز وحينئذٍ خلص وقفز أحمد الحيمي من طاقة لأن الذي بِيَغمِغُوه لمَّا سَمِعُوا نصع[1] باب الحاجز خافوا لا ينفتح، وأما الحيمي عندهم فقد هو محكوم عليه وسَهَوا عن الطَّاقة لربشتهم[2] وصَاح الحَيمي بعد خروجه من الطَّاقة بأهدار بيت الكِبْسِي فهقطت[3] عليه العامة، فما كان إلَّا ساعة فلكية حتى أخذوا جميع من في بيته، وأخربوا البَيْت وبيعت أبوابه وطاقاته في تلك السَّاع[4]/ وأخذت الودايع الذي عنده لجميع الناس، ووقع في السيد قاسم الحوثي طعنة في رأسه، وقبضوا عليه، وعلى الكبسي وأودعوهم الحبس، وألحقوا آخرين الحَبْس من المتَّهمين، وعزَّروا بنفرين حَوْمَروا[5] بهم في الأسواق وهم خدم في ساعة واحدة محمد رزقان ويوسف خَدَّام الكبسي، وقبض على بعض العقَّال الذين كانوا مشاركين في الخَوْض، ورجع الحيمي إلى موالاة الهادي بالضَّرورة لما رأى من الفقهاء، وكاتب الشَّوكاني وهو غير راض، ولما كثر التَّعويل عليه دَخَل في آخر ربيع آخر، وهو على حَذَر من الغَوْغاء لإعتقادهم أنه من أهل السُّنة، وقد ألقى في أذهانهم من تقدم من الأئمة وقضاتهم وفقهائهم الأشرار، وأنه مخالف لمذهب أهل البيت، ولو صَحَّ ذلك ورأوا[6] عليه حكم غلط لشنت الغارات لما هم مترقِّبين فيه ومتتبِّعين العشرات عليه، ووافقه رؤساء النَّاس وعلمائهم وحكامهم في دخوله، وأوهمهم بالبقاء ورَجَع الرَّوضة بيومه، واستناب القاضي أحسن بن زيد الصِّديق في مركز الحكومة على الحكَّام والمشكلات والمعضلات [التي] إليه تُرْفع مع[7] مع قربه من صنعاء.

وأما الهادي فأصلح أحْوال الحَيمة وعَيَّن على أهلها أموالاً يسلِّموها للعسكر، ولم يقف على شيء من حاصلها، إنما طعامه وشرابه وتَوَجُّه إلى مَفْحق، وأمر بإهدار من بقي من القبائل المشارقة لأجل لا يملكوا البلاد، وخراب البلاد، وخراب

---

(١) دق الباب او رجمه بالأحجار.

(٢) لاندهاشهم.

(٣) نهبوا.

(٤) الساعة.

(٥) أي أركبوهم الحمار من الخلف تعزيراً.

(٦) خ رو.

(٧) خ معاً.

الحصون، ونهض إلى حَضُور، وبلغه خبر من الهَمْداني وأرحب، فخرج على حِيْن غفلة وما بات إلاّ في الرَّوضة، وتبِعه أصحابه، ودخل صَنعاء بموكب عظيم، وبقي يتنَقَّل من صَنْعاء إلى الرَّوضة.

[مشاريط النصارى على السلطان وقيام الفتنة بسبب منع الأذان]:

وفي شهر ربيع جاءت الأخبار من الشَّام والحجاز بأن السُّلطان عبد الحميد صالح الماسكوه[1] الفرنج لقوّتهم على الإسلام على دخول بيارقهم[2] القُسْطنطينية بعد قَتْلى كثير من الكُفَّار والمسلمين على شرائط اشترطوها، منها: عمارة كنيسة في بلد السُّلطان، ومنها: ترك أذان المسلمين في أوقات صَلاتهم من الصَّوامع، وغيرها، ومنها: منع بَيْع العَبيد، وأجابهم إلى ذلك، وأمر عمَّالة والباشات في الأقطار وامتثلوا ذلك، وقتلوا المؤذن في مكة حيث لم يمتنع من الأذان، فثار المسلمون على الأتراك وقَتَلوهمم في مكة سنة ١٢٧٢ وبلاد الحرمين، وأجلَوهم منها وتعاضد المسلمون، وأعلنوا بالأذان وكلمة التَّوحيد، وغار الأمير عايض بن مرعي من الحِجَاز بجنود كبيرة، وقيل أنه استولى على جِدَّة وحفظوا حَرَم الله وحَرَم رسوله، وقيل أن الكفار قد ثارت وبَعْد ذلك سار إلى الشَّام، وقد رجعت الترك، ورجع الأذان، وأخبرونا ما آل الأمر إليه في تلك الوقعة فإنهم لما أطاعت مَكَّة للسلطان وجَدَّة استملكوها، تباغوا العرب عند الأتراك، من الذي أذَّن ومن الذي شرع[3]؟ في الحرب، ومن الذي قَتَل واستكملوا الأخبار وقَبَضوا عليهم جميع، كل أحد وحده، يحبس وما يدري الآخر ما مع الأول، وكأنها دعاوي أخره، حتى أخرجوهم من مكة نحو جدَّة وكانت الغلبة للإفرنج في جدّة والكلمة لهم، وما ظهر ذلك، وقبضوا على من في جدّة ممن نصر الإسلام، وقبضوا نحو أربعين نفر، وأخرجوهم من بين أظهرهم، وهم قد علموا أنهم ذاهبين للمَوْت والتُّرك قالوا لهم يجيبوا داعي السُّلطان واستغاثوا بالمسلمين فلم يغاثوا، واستجاروا فلم يجاروا، ودموعهم تَنْحدر، ودموع المسلمين كالماء المنهمر، وكبير التُّرك لا يرحم ولعله كبيرهم من الكفرا، ودخلوا البحر وآخر عهد ما أحد دري كيف قتلوا/ولا أين ولا زِدْ بأن لهم أثر، ولعل القابضين لهم والذي سافروا معهم، هم الكفّار غرماهم أقماهم الله وأخزاهم، ولا جعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً.

وفي شهر جماد تكاثرت جمود الرُّوم من المسلمين والكفار واجتمعت قبائل

---

(١) هم الروس نسبة إلى ماسكوف نهر في روسيا يحتاز موسكو.

(٢) أعلامهم.

(٣) شرع بتشديد الراء بمعنى شرع الفحصى بالتحريك.

العرب إلى مَكَّة ورَمْتهم الجنود الرُّومية بالمدافع، وكان الكفار يوجّهون المدافع إلى بَيْت الله الحَرَام، وذلك مقصدهم والمرام، وخَرَّبت المدافع في البيت العتيق، وأصابت الحجر الأسود رصاصة مدفع، وبذلوا الدَّراهم لبعض طغام الشام ويسلموا إليهم الرئيس الكبير الشَّريف عبد المطلب، ويقبضوا عليه وعلى أولاده، ويوجّهوه تحت الحفظ إلى الأبواب السلطانية وتلاشى، أمر العرب، وخلص الشَّريف عبد المطلب، وهرب إلى الطائف. ثم توجه إلى حضرة السلطان لأخذ الحقيقة وفيها توفي الشريف الحسين بن علي بن حيدر في مكة.

وفي جماد توجه السَّيد محمد الشَّامي إلى دار بناحية[1] سَنَاع، وقبض نصف المحل، ووقع بينه وبين السيد علي فارع حَرْب وصلح الأمر، ودخل صنعاء بأمان.

وفي شعْبان توجَّه عائض بن مرعي بجيوش متكاثرة، وقصد تهامة إلى أن وصل الزُّهرة، وأتاهم بأس الله الطاعون، ومات أكثرهم ومات الأمير عائض بن مرعي في تهامة قيل مسموماً وقيل حتف أنفه، ورجعوا على أعقابهم وأوصى بالإمارة إلى عبد الله بن علي بن ترابه ولم يقبلها، ورجعت إلى محمد بن عائض ووعد أجناده بالخروج إلى بعد عيد الأضحى للأخذ بثأر أبيه وخرج على الميعاد، وفي قلبه قبيلة وادعة، لما جرى أولاً ووَصَل إلى أبي عريش وأسَرَ أكثر الأشراف، وأخرب دورهم وجميع القليع[2] في أبي عريش.

وفي هذه السنة أصاب العنب في جميع الأقطار جائحة على صُورة الرَّماد أكلت الثَّمر وأحرقت سروعه[3] وفروعه، وبقي منه في بعض الجهات شيء يسير، وفي كل وقت والنَّقص فيه إلى زيادة في فروعه وهذه من العبر العظيمة.

وفي آخر شهر رمضان وشوَّال وقع التَّعَدِّي من أهل جَدِر ومن معهم من أشرار الخلق إلى حول صنعاء المحميَّة وأخافوا طريق باب المَنْجل واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم بسبب ضعف شوكة الدولة وقلة النَّاصر واضطر الهادي إلى مصالحة الشامي، وعقد له الوزارة، وأجمع رأيهما أن يتوجّها بلاد خولان للإستعانة بالقبائل والحَثّ لهم على المناصرة، ووصل الإمام إلى سُوْق الحَضَارم، وعقر عندهم فأجابوا داعيه بشرط يوجههم إلى بلاد عنس لشيء في نفوسهم، وتوجَّه بهم إلى خارج مدينة

---

(١) خ بنحية.

(٢) أي القلاع جمع قلعة.

(٣) مجموعة أشحاره. أو أصول الشجر.

ذمار، وكتب إلى أهل المدينة [إلى] الإعانة بشيء من المال، وحطَّ القوم في يفاع فأجابوا أهل المدينة بأحالة الخوض على أهل ذمار القرن، لعلمهم أنهم أبطال ليدفعوه عن مطلبه لأنهم قد تعتّوا وبغوا، وعرض الإمام الجَوَابات علي خولان فأغاروا من فورهم على القَرْن، وتوجّه الإمام وعصابة يسيرة معه فخرجوا وظنّهم أنهم قلّة ما هم في العين شيء، وأغارت خولان من جِهَة أخرى وملكوا القرن/وقتلوا واحتزوا رؤوس، وأرسلوا بها إلى صنعاء وخرج أهل مدينة ذمار سامعين طائعين مذعنين للأمر، وسلّموا معشور ما طلبهم سابقاً، وهذا حال أهل البغي والإمام مقيم في يفاع، وخولان أهلكوا القرن ولما غنموا القبائل من النّهب، وقد أقبل عيد الأضحى [ف] ما وسعهم غير الفرار بما قد جمعوا وبقي الإمام في قليل من القوم وهو على وجل من عَنْس والوزير يهادن الأمور.

ودخلت سنة ١٢٧٣:

فوقع في مكة فنا ثلاثة أيام، والخبر الحجاج بأن الجند السلطاني في مكة أكثرهم كفّار، ولكن تزيُّوا بلبس المسلمين، وحفظوا نفوسهم في القليع خوفاً من فتنة الحجاج، ووصلت قبائل إلى الإمام من حاشد ونهم. وأما صنعاء فحالات تارة تَسْكن الأمور، وتارة تثور، ولكنه سقوط الأمر. وحدث في صنعاء قتل البانياني وخبيره[١] في السَّمرة وسط السوق، وأخذ ما يملك وأكثره صار بيد الحاج الحيمي، فإنه إمام صنعاء في عَصْره، وأخذها الحاج أحمد أخذة واحدة وعادت بقية البيانئة[٢] وترك أموالاً واسعة، وما أحسن ما قال عبد الله بن المبارك[٣] (شعراً):

الله يدفع بالسلطان معضلة عن ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل وصار أضعفنا نهباً لأقوانا

ولما وصلت القبائل عند الهادي فرَّقهم في عَنْس، ليعلم المطيع من العاصي، فقبلوا الخِطاط، ووصل ناجي شَرْيان، وصل بقبائل ذو حسين، وما في قلبه غير الشّيخ حسين بن يحيى عُبَاد لما بينهم من الضّغائن والإحن على القِطَع، وأما مناصرة الإمام فما هي إلاَّ وصلة لكل أحد لما في نفسه، وتوجه يهم الإمام إلى بلاد يريم، وأحاطوا بمدينة يَريم من جميع الجهات، وكانت في يد رجل من أهلها من السّوقة اسمه ابن الشيبه، والسّيد محمد الشامي يدبِّر الحيل للإمام ويخادع ويمكر، حتى أنه

(١) زميله.
(٢) جمع بانيان سبق شرحه.
(٣) من التابعين الزهاد وفاته ١٨١ هـ. زاد في هامش النسخة «وقيل الفضيل عياض».

تواطأ هو وبعض رتبة المدينة أنهم يعشّروا بالبنادق إلى الإمام، ودفع الله عنه، وقتل رجلين قبل أن يحطّوا على المدينة، وأصاب الإمام وجنده برد شديد مدة شهر ونصف، حتى فُتحت المدينة ودَخلوها عُنْوة، والوزير في المخادعة، وعقد الإمام الولاية للشّيخ حسين بن يحيى عُباد، وعَيّنوا على المدينة وبلادها أموالاً جزيلة بسبب بَغْيهم وتَبيّن للإمام فعل الشامي وعزله؛ وباشر الأمور بنفسه، وهرب الشّامي إلى بني سَرْحه في المخادر، وأصلح الإمام بين النّقيب ناجي شِرْيان والشيخ حسين بن يحيى عُبَاد، وقد كان أراد البغي بعض الجند وانتهبوا سوق مدينة يريم، وضيَّق عليهم الإمام الأدراك ورَدُّوا ما نهبوا، واستمر بقاؤه في يريم إلى جماد ورجع صنعاء، وخرج الرَّوضة، وبعد رجوعه قَلَبت ظهر المِجَنْ، وطرد أهل مغرب عَنْس العامل ومن معه من القبائل، وسكنت الأمور، وفي ذلك الشهر توفي خطيب صَنْعاء الفقيه العامل الزّاهد الوَرع محمد لطف الورد[١] وكان إبن نباتة[٢] زمانه وعمره في عشر السبعين، وطلع الشّامي من اليمن، وعاد الإمام في يَريم وبقي في ذَمَار، ولما علم بطلوع الإمام هرب من ذِمار إلى قِطْعة البُخَيْتي في جَهْران ولا زال هذا دأبه البغي والفساد، ورجع يكاتب البغاة ويدوّر[٣] الشُّغلْ لجميع المسلمين، ويظهر التّشيع ويكاتب أهل جَدِر أنه يريد قيام المتوكل المحسن بن أحمد الذي خدعه في سَنَاع وقَصْده مَصْلحة نفسه وسَبَار[٤] دنياه والأعمال/ولما علم الإمام والحاج أحمد الحيمي بخُبث نِيَّة الشّامي ومَقْصده، خَرّج إليه جماعة في أول شهر رمضان وأوهموه بصُلح على ما يَرْضى به، وتتابع إليهم جند يسير من الرماة، وقد كان هَمُّوا بالقبض عليه، فخلص ولزم دار أولاد السَّيد علي بن أحمد بن حسين المطاع، فأحاطوا به وحفظوا ما حَوْله من البُيُوت، وخرج سَيِّدي حسين بن المتوكل، ومعه جماعة من الجند، وتبع الإمام والحاج أحمد الحيمي، وأقاموا ليله، وبعد ذلك أجمع الرَّأي أن عامل بلاد البُسْتان يُعَنّي به أعدائه أهل المحاقرة، وأهل مخلاف بني شهاب مكافأة له على ما فعل معهم في أيام المَنْصور محمد بن عبد الله، وسقط قتلى من الجميع، وانهدم بيت فوق أهل المحاقرة بسبب تخريبهم له، حتى قتل ثلاثة أنفار منهم، ورجعوا على أعقابهم، ووصلت قبائل من نِهْم إلى عند سيدي غالب الإمام وَوَافقهم في مَطْرحه وجَرُّوا المدفع وَرَمَوهم به وقد اجتمع من أشرار الخلق عند الشّامي وستمر الحصار والرَّمي

---

(١) من أفاضل العلماء له ترجمة في سيل الوطر ج ٢، ص ٣٠٥

(٢) نسبة إلى الخطيب المصقع اس نباته عبد الرحيم بن محمد المتوفى سنة ٣٧٤

(٣) خ يدو.

(٤) صلاح.

بالمدفع إلى الدَّار التي انحصر فيها الشامي ومن عنده، حتى أزعجوهم من الدَّار وانحصروا في النُّوبة والسَّمسرة، ولو كان في جند الإمام عناية أنهم استأصلوه وأخذوه عنوة وإنما صبر أشد الصبر.

وفي شهر شوال سنة ١٢٧٣ وفي شهر رمضان وشوَّال ارتفع صرف القِرْش وغُليت جميع المصرَّفات بسبب صرف القرش، ووصول العَدَدِي من بلاد الشَّرف، كان يفعلوا مثل دَرَاهم الحَيْمي كَوْن قَدْ هي مثل اللَّماع[١] وأما لو هي[٢] مثل حَقّ أئمة أهل البيت فما يمكن، لأن ما سَبَر لهم الغِشّ إلا أن القرش ثُمُن قَرْش، وما عاد فيها هيئة الطَّابع المحكوم باسم الخليفة، ورجعت العَدَدِي من جدّة ومكة لأنها كانت تمشي عندهم ويسمّوها دياوين فلما غُشّت رجعت[٣]، وقيل أن بعض الذّمّيين كان يفعلوها في بيوتهم لنفوسهم، حَتّى بلغ صَرْف القرش مئة مئة وخمسين حرف عن كبار ثلاثين مئة كبيرة، حساب القبائل، وأما أهل صنعاء فيما يَحْسبوها إلاّ حروف وهي الجملة الأولة، ولم نَسْمع بمثل هذا، وعاد ما هو أعظم سيأتي، وتوالت عاهة العنب «الذَّحَل».

وفي القعدة وصلت خَوْلان عند الشَّامي، ودخلوا المعقل، وقد تعدَّى ونهب حتى من بجواره غنم أهل عُطَّان وغيرهم، ولما تحقَّق شرارة الشامي وعدم القدرة عليه، كون داعي الفَسَاد مُجاب، وقعت المهادنة والصُّلح، وحمل الحاج أحمد الحيمي جوامك عَسْكر الشامي، ودخل الشَّامي صنعاء، وارتفعت المطارح التي لا ثمر لها، وفَتَح الحيمي دار الضَّرب، وزاد في الظلم مثيله وفَرَقَ[٤] على أهل صنعاء فوق طاقتهم على ما في حَالهم من الشِّدة، ولم يشعر الإمام إلاَّ بعد وقع الصُّلح وعقده، فأوغر صَدْره ولكن الحيمي مال إلى ذلك لكثرة المحتاج للمطارح والجند لغير ثَمَرة.

وفي آخر القعدة وقعت فتنة بين أرحب وهَمْدان، ووصلت أرحب إلى قرية الحَاوِرِي في هَمْدان، ووقعت قتلتان سقط فيها خَلْق كثير من القبيلتين، وكل أحد رجع ينكفّ في بلاده إلى بعد عيد الأضحى.

---

(١) اللماع شيء صغير على شكل مستدير شديد اللمعان تطرز به ثياب النساء وقد شبه به دراهم الحيمي لشدة صِغرها.

(٢) يُكتب دائماً هذا الإسم هكذا (هيه) والإصلاح من عندنا.

(٣) أي أعيدت من مكة لغشها.

(٤) طلب منهم قدر معين من المال.

ودخلت سنة ١٢٧٤ :

وفي محرم اجتمعت سَنْحَان وخولان ونِهْم وحَاشد وقَصَدوا أرحب إلى ديارهم لإطفاء الفِتْنة والصُّلح وعقروا عندهم عقاير/وتبعهم الهادي سيدي غالب، واستنصر بالقبائل وأجابوا داعية، وسمِعُوا مناديه يوجّههم حيث أراد.

وقد وقعت الوِحْشَة بين الإمام وبيْن الحاج أحمد الحيمي أولّها بِسبَب الصلح للشامي وانفذ الحيمي، كتب إلى السَّيد محمد الشَّامي، ولا أرب للسَّيد محمد الشامي، ولا له عمل إلا الفساد في الأرض، ومخالفة كل إمام الهادي وغيره، ولم يزل الشَّامي يتردَّد إلى عند سَيِّدي محمد بن عبد الله الوزير الذي كان إماماً، وإلى السيد يحيى السراجي يريد أن ينصب أحدهما إماماً ولم يسعده الزّمان إلى مقصده، ووصل إلى سَعْوان ثم إلى سايلة نقم، ووافق الحاج أحمد الحيمي، وقد كادت الفتنة أن تقع بين أهل صنعاء، وبين الحاج أحمد الحيمي، وسَكّنَّها أهل العقول، وبعد دخل الشامي صنعاء، ووقعت المشاورة بينه وبين الحيمي على الإرسال للسَّيد علي بن المهدي إلى ضلاع، والأمر له بالتأهّب للخلافة، وقد كان أعرض عن صنعاء وأهلها، وباع ما كان يملك حَوْلها، ولم يزالوا به حتَّى أسعدهم إلى مطلبهم، وقد تحمل أعباء الخلافة أربع مرات بل خمس، وخلع في كل مرة، وكان بيت المال والذّخاير والأموال التي لا تحصر في يده والدَّولة قائمة والسُّلطان للدَّولة في جميع الأقطار، فكيف قيامه في هذا الزَّمان، وقد نفذ بيت المال، وتغلّبت القبائل على جميع البلدان، وصارت الشَّوكة في صنعاء المحميَّة للحاج أحمد الحيمي ومن خلف الدائر[1] للعشائر كل أحد تغلب على جهة والحَيْمة إلى الحيمي والشمايخ.

وأمرُ الإمام لا يقدر ينفّذه إلا إذا رَضِي الحيمي حتى في تافه يسير، وليس لمن قام للخلافة غير الخطبة، وإذا ثَمَّ حَدٌّ[2] دَرَوْه[3] المشائخ بالدراهم لمن تآمر على صاحب الحد، وإذا هو حَدّ صغير في شيء يسير، وقد أجمع عليه الجَمّ الغفير استأذنوه الخليفة لأجل أبطله والأذن من الطاقة، ولو لم يأذن وقد بهم شَفّ أمضوه، وإن أذِن ومالهم رضا أخطوه، فكيف يرغب القائم؟ وكيف يقوم القائم فيا للعجب كل العجَب كيف إلى ذلك يَسْعى ويرغب.

---

(١) السّور: أي سور صنعاء المحيط بها.

(٢) أي حدّ من حدود الله.

(٣) أي داروه حذف المدّ لثقله على اللسان.

وفي يـوم الأربعاء ثـامن وعشرين محـرم أرسـلوا للسيد بالحـصان إلى ضِلاع، ومـا بـات إلا في دار سـالم[1]، ووقف هـناك ينتظر منهـم صِدْق القَوْل وكِذْبه، ويرتـقب الوقـت الـذي أمـره به المنجـم بالدخـول فيه إذا تَمَّ الأمر والسيد محـمد الشامي لم يقـصد بذلك إلا مآرب في نفسه قد أسَرَّه وأوهـم الحاج أحـمد الحـيمي أن الهـادي غـالب بن محـمد قد جـمع القـبائل ويـريد يـقبض الحيمة، ويستـهلك أمـلاك الحـاج أحـمد، وإذا ظـفر به فـلا يقيله، ودبَّر هذه الحـيلة، هـذا خـبرهما، وأمـا سيدي غـالب بن محـمد فقد انتظر القـبائل في الرَّحَـبه حـتى اجـتمعت، ودخـل بهـم الرَّوضة، وقد كـان أهـم بالنهـوض إلى الحـيمة ومـا يـليهـا من البـلاد، فوقعهـت الخـديعة من بـعض أهـل صنعـاء عن تـوال وتشاور بينهـم وبين الحـيمي والشامي، وأظهـروا الخـلاف على الحـيمي، وكـتبوا إلى سَيِّـدي غـالب الهـادي يستقدمونـه يدخـل عندهم صنعـاء وإنهـم متبرِّيـن من الحـيمي، وطـلع الحـيمي القَصْـر وكأنهـم محـاصرين له، فصَدَّقهـم سيدي بجـوادته[2] وأقـبل إلى باب شُعـوب، فبلغه أن أهـل صنعـاء قـد لبسوا جـلود النُّـمور وأجـمع رأيهـم والحـيمي والشامي على دخـول سَيِّـدي علي بن المهـدي إمـام، فوقـف في شُعـوب.

وفي ليلة الجـمعة سـلخ محـرم أعلنوا بالبشائر من أعـلا صنعـاء وأعلنـوا باسم المهـدي علي بن المهـدي، وسَيِّـدي غـالب وجـنوده في شعـوب يـرى ويَسْمع/خـبر أهـل صنعاء وقـد قتـل رجـل من أصحـابه، قـتله عَسْكـري من بـني جَبَـر من دايـر صنعـاء إعتبـاطاً، ولم يـكن بينهـم حَرْب وخَطَـبوا صَـبيحة ذلك اليوم لسَيِّـدي عـلي، وهـي الـدعوة الخـامسة بـل السَّادسة، ودخـل ولـده عبد الله من دار سَلْم لـصلاة الجـمعة، وسـماع الخـطبة وذكـر والده في الكنـية.

ويوم ثـاني غُرّة شهـر صفر دَخَـل المَوْلى المَهْـدي قـبل الظهـر ولَقـيه أهـل صَنْعـاء، ودخـل بمَوْكـب عـظيم، ووصَل دار الطُّواشي، ولم أسمـع بخـليفة قـبله دعا خَـمْس وبـايعه النَّـاس خـمس مـرَّات، وخـلع خَمْـس مـرات غير هـذا الإمـام، وقد ذكـر في هـذا الكتـاب خـمس مـرات، وكـانت هذه الدَّعـوة الخـامسة في سَلْخ محـرم سنة ١٢٧٤، وتَلَقَّب بالمهـدي وبَايعـه النَّـاس في دار الطُّواشي، ولمـا تيقَّـن سيدي غـالب الخـبر، نـفذ ومـعه النـقيب ناصـر بن علي بن سهـل الهَيَّـال صاحـب خـولان، نـفذ معه يَسْتَنـصر بخـولان وبني جَبَر، ويعقـر عندهـم وانتظر ما يؤول إليه أمرهـم، وأما أرحـب فَرَجعـوا بـلادهـم.

---

(١) هي دار سَلْم وقد تنطق هـكذا.

(٢) طيبته وسذاجـته.

ويوم الأربعاء خامس شهر صفر، توجّه سيدي علي المهدي الحيمة، ومعه عصابة يسيرة من القبائل والشّامي معه وزير غَدْر ومَكْر، والناس قلقين منه على الإمام وعلى نفوسهم، وأما سَيِّدي الإمام فالقلوب من جِهَته مطمئنة فهو بقية السّلسلة المتسلسلة فيهم الخلافة، ولما وصلوا رأس الحيمة، وصل المَقْدمي سعد بن أحمد الحيمي، ومن معه من بني جَبْر الذي كانوا في يازل منحازين، ووصل الشّيخ حزام الرُّميم ومعه خَلْق من الحَيْمة مطيعين سامعين للإمام، خاشين مذلِّين من الشامي، لعلم كل أحد بخَدْعه وخِيانته، وتتابعت الجنود وتخَطَّطوا في البلاد، وانتهى الإمام إلى الجدْعان[١] وتوجه إلى الخَضْراء، وأقام هنالك وفَرَّق أهل البلاد إقامة الجند، هذا خبر المهدي، وأما الهادي سيدي غالب فإنها تلاشت القبائل عليه، وطلبت خولان بلاد عنس لما بينهما من الأحن وعزم إلى معبر، وكاتب عنس وأصلح بني عنس وخولان وعزموا معه نحو أربع مئة وعزموا من بني مطر، وانتهى إلى قملان وكان مراده يحاصر بهم صنعاء فلم يسعدوا له وبقي في قملان في طرف الحيمة والشامي رتب أطراف الحيمة هذا خبر الإمامين، وأما أهل صنعاء، فصادروا مصادرة شديدة من الحَوْزة ممن بقي من أصْحاب سَيِّدي غالب حين عزم خَولان، والمصادرة من بني الحارث وأرحب، وبعد وقَعت المكاتبة والمخادعة من بعض أهل صنعاء، مكافأة للحاج أحمد الحيمي، وآل الأمر إلى إدخال جَماعة من أصْحاب سَيِّدي غالب من بني الحارث ومن تابعهم من رَذَاذ الناس، والبعض من أرحب، ترَتَّبوا في الصّافية العَدَنية، ورَتّبوا النُّوَبْ هم وأهلها، وأدخلوهم إلى القرية الجَديدة الذين خارج صنعاء من الجهة العدنية، مما يلي الخنادق العَدَنية الذي العرضي حقّ التّرك حقّ العسكر، عمروه بقعتها، وأنا[٢] عَرَفْتُ القرية الجَديدة عَامرة، وعَرَفْت حَوْزة صنعاء منها، وكان يَرْموا إلى باب اليمن، وتُصال الرُّصاص، ولكنها متربة[٣] ما كان يُصيب، ولكن قَطَعت الطريق، وما وقع إلا تغلق باب اليمن، وفتحوا للمسافرين باب أعلا منه من جهة الشّرق، قبال[٤] حوض سُكّره، وسموه باب الفرج، وأنزلوا له باب كبير من القَصْر لعلّه حق الباب الأوسط، واستمرت الطريق من تحت لكمة[٥] الزّبيب، وقبلي سواء سواء إلى الباب الجديد المسمى «باب الفرج»/وفي يوم

(١) اسم موضع سيأتي في آخر الكتاب.
(٢) أي المؤلف الثاني الزبيري.
(٣) أي باردة.
(٤) أي مقابل.
(٥) اللكمة هنا هي الأكمة وهذا يتكرر كثيراً.

ثـاني من دخـولهم القرية أكره شيخ بني الحـارث صـالح دغـيش أهـل بئر العزب على المتابعة للفساد أو يهـلك حرثهـم وزرعهـم فأجـابوه إلى الفساد ومنعـوا أنفسهـم ورموا «بـاب السباح» وأغلـق أهـل صنعـاء الباب وتغلق أيـضاً بـاب شعـوب بسبب شعـوب هـم أول الفساد وهـم من بـني الحـارث وداعي الفساد مجـاب وأغلق «بـاب اليـمن» بسبب القرية الجـديدة ولم يـبق إلا بـاب «ستـران» الـذي للقصر وبقت أربعـة أيام وخـرج أهـل صنعاء جـميع من بـاب اليمن مما يـلي الدايـر والرصـاص إليهـم كالبـرد لكنهـا لم تصـب ببركة كتـاب الله لأنهـم تفرغوا للتـلاوة والدعـاء والابتهـال فـدفع الله عنهـم كـل مـكروه وبعد طلب الحـاج أحـمد الحيمي بني جـبر لأجـل تباين أهـل صـنعـاء وعـدم ائتـلافهـم فيما بينهم فـكان بني جـبر يخـرجون عند الشـروق إلى طـرف القـاع العدني يـرفقوا السُفَّر الداخـل والخـارج ووصـل السُفَّر ودخـل من بـاب ستـران بجـميع المحتـاجات وزادوا أهـل صنعـاء لـمن جـلب في الأسعار فتواجـد كـل شيء ولم يعـدم شيء وفَرَّ من صنعـاء الضعـفاء والمساكين بأهـلهم وأطفالهـم إلى البـوادي لأن الخـير كاين والحـصاد في أوانه وأمـا الحـوزة فتكـت بالنـاس والمحـاريس والفرْق على النـاس في جـوامك بني جـبر وأهـل صنعـاء كانـوا كـفواً للبغـاة ولكـن التغاير بينهـم وعـدم جـمع الكلمـة وبعد ذلك وقع الداخـل والخـارج من بـاب الفـرج الجـديد أسهـل للنـاس لأن بـاب ستـران عـاده للقـصر وآخـر النهـار عند غـروب الشـمس يـدخلوا بني جـبر من البر وهـلم جـرا على ذلـك وزادت الشدايـد على صنعـاء وأهـلها من عند وصـول محـمد بن يحـيى بالأتـراك فمنهـا لم زِدْ أحـد أحد ارتاح واستمرت الفلتة[1] والمقابضة وأشد من ذلك كله الذي قد ذكرناه من عند وصـول الترك صنعـاء في سنة ١٢٨٩ فـما هي إلا عقوبـات ظاهـرة والسبب عدم الإعتراف بحق آل محـمد وعدم امتثالهم للشريعة وحـكم الطاغوت وقـطع الطرق في كـل مكان وقد مثـلنا لـذلك مثلاً يغني اللبيب عن التفصيل بالجـمل وهو اخـتلاط جـميع الـدواب والوحـوش وبني آدم والطيور جـميع في مـكان واحـد فأعـرف ذلك وصـوره في بـالك مـا هـنالك وكـان دخـول البغـاة من بنـي الحـارث وأرحب القرية الجديدة في تاسع صـفر.

وفي آخـر صـفر قبض الحـاج أحـمد الحـيمي على عقـال من أهـل صنعـاء مثـل عبد الله غنـيمة والسيـد حـمود المحـاقري والحـاج عبد الله العـذري والقبيـع والحـاج عبد الله الغربـاني وسعد قَرْضـه من السـوقة لكنهـم وقعـوا في هـذا الزمان مع ضعـف الدولة من أهـل الكلمة ومن أهـل الحـل والعقد وأودعهـم الحـبس وسكـنت المخـادعة من النـاس

(١) انفـلات الناس.

وشرع الحيمي في هدم بقية الدور الطُّواشي حق الدولة واستأذن من سيدي علي وما كان يحتاج إلى إذن لأنه الإمام في صنعاء ولكن كما قيل:

(لقد أجلك من أعطاك ظاهره   وقد أطاعك من يعصيك مستتراً)

وعاد كان بين المقبوض عليهم الغرباني الحاج عبد الله والقبيع بدل المحاقري/وكان بيعه لدار الطواشي من المخاربة بخمسة عشر مئة قرش ولعل القيمة هذه ما تقوم بقيمة الزرنيخ حق التزويق وهو الأصفر غير جميع الألوان وما كانت إلا في صنعاء لا يوجد مثلها في جميع الأقطار فقد رأينا أكثر البلدان والبنادر فما لها نضير وفيها أماكن ثلاث مئة وستون مكان وكان كل مكان[1] بحاجته فيه مما يليق به وهكذا كل دار وأما البساتين فما هي إلا جنات.

وفي شهر ربيع وقع فتح الباب الذي ذكرنا المسمى باب الفرج قبال حوض سكُّره ووقع إسم على مسمى لأن الصلح وقع عقيب تمام الباب وأصلحوه من في القرية الجديدة بدراهم وفرق على أهل صنعاء دراهم كبيرة وسلم لبني جبر الأربعة المحبوسين الذين ذكرنا ما خلا السيد حمود المحاقري فأبدلوه بالحاج عبد الله الغرباني والقبيع وشلوهم معاهم[2] إلى بني جبر لأجل تخليص ما يريد والسبب أنه اتهمهم الحاج أحمد الحيمي بمظاهرة أرحب وبني الحارث.

ودخل ربيع آخر وسيدي غالب باقي في قملان وجنود المهدي محيطة به والمخادعة كائنة من جند الأماميين وفي جند سيدي على ظهر الخديعة الكبرى والمصيبة العظماء وأدخلوا سيدي غالب الهادي إلى البيت الذي فيه المهدي سيدي علي ولم يشعروا إلا بالبنادق والصوايح واختلاط العسكرين وبعد ذلك اجتمع الخليفتان السيدان ولم بقي لسيدي علي ناصراً إلا الله سبحانه وأنزل الله في قلب سيدي غالب الرأفة والشفقة على سيدي علي لأن قد كثرت فعلاته معه وزادت عليه هفواته وقد ظفر به مراراً وأعظم الهفوات من سيدي علي قتله لسيدي المتوكل محمد بن يحيى أبو سيدي غالب ولكن لله در سيدي غالب فلقد ملك نفسه عند الغضب ملكة لا يقدر أحد عليها وآل الأمر إلى رجوع سيدي علي [إلى] ضلاع ووقع له نزر يسير قطعه ووقع التشعب بين الجند وكل جند يدعي أن لولا هو وقد قبا لهم أن كل أحد يقبض له معقل ويجعله قطعة ويتخذ أهله له رعية وأغار الشامي إلى جهة والهمداني إلى جهة

---

(١) خ ما كان.

(٢) معهم.

والهادي إلى جهة وأهل الحيمة حفظوا نفوسهم وامتنعوا من التسليم .

وفي آخر شهر ربيع دخلوا ثلاثة أخفار من التوابع إلى صومعة البكيرية وهم هادي الشاوش وعبد الله الحشيشي وآخر وثارت العامة عليهم ورمروا من الصومعة وكونوا ناس وخرجوا إلى قيد الأسرو جمع الحيمي الحكام وكان مراده يفتك بهم لتكون حاسمة .

قال المصنف ومن الحوادث والفتن دعوة السيد محسن بن أحمد الشهاري في كحلان بعد أن أيس من دخوله صنعاء وخلعه وكذلك سيدي حسين بن المتوكل ظهرت دعوته في اليمن الأسفل عن توال من القبائل ذو محمد وبعض أهل البلاد ولعل سيدي محسن بن أحمد المتوكل عندي باقي على دعوته ولكنه ترك صنعاء وأهلها وهذا عنده وأما أنا فلم أحقد[1] لصغر سني .

وفي آخر جماد أول جمع الحاج أحمد الحيمي آل الإمام وأعيان صنعاء والحكام ووقع من الجميع تجديد البيعة للهادي سيدي غالب وهو القائم في حواز صنعاء والمثاغر لمن دعا .

وفي جماد آخر قبض الحاج أحمد الحيمي على ناس من سنحان والصافية ولم يشعر البعض من أهل صنعاء الذين تحت الداير في خارج صنعاء إلا بالقبض عليهم وهم ضعفاء وأغلق باب خزيمة وقلق أهل صنعاء على نفوسهم ولم عاد كان يمكن زيارة الموتى في البر ولا الدفن للموتى فلا قوة إلا بالله .

وفي أحد وعشرين جماد آخر وصل سيدي غالب من الحيمة وفرج الله عن الرعايا ولم يقف على طائل وبقي الشامي والهمداني في الحيمة وارتفعوا في شعبان .

وفي رمضان اشتدت الأحوال بالعباد والسبب كثُر صرف القرش لأن الحيمي ما بقي معه إلّا دار الضرب ونحاس كثير وظلم كبير حتى انتهى صرف القرش إلى ستة آلاف كبيرة كل كبيرة خمسة حروف كما هي عادة صنعاء يحسبوا حروف ووقع الغلاء في جميع الأقطار لأن صنعاء المحمية أم الأرض وهي كالقلب في الإنسان إن صلح صلح جميع البدن وإن فسد فسد جميع البدن وسبب الغلاء فيه عدم القرش الحجر ولما تحقق أهل الأرض عن أسعارها حرروا عليها وما علموا بعلتها .

وفي شعبان من السنة أمر الحاج أحمد الحيمي بخراب القرية الجديدة التي آوت

---

(١) كأنه فلم أحزر.

البغاة وحاربت صنعاء وأهلها حتى صارت بلاقع واندرست ستة عشر سنة ولما دخل أحمد أيوب المشير بعد أحمد مختار وقاده الشيخ محسن معيض إليها وعرفه يبني فيها وصارت الآن عامرة وسميت العرضي وباب حصن الغراس فيها الآن.

وفي شهر القعدة توجه الهادي سيدي غالب بن محمد إلى تهامة ومعه جماعة من قبائل نهم وغيرهم حسب طلاب الباشا أحمد آغا وقد جمع الباشا جموعه إلى بيت الفقيه وقصده استئصال ريمه ولماوصل سيدي غالب إلى حَد بني سعد وتهامة في أطراف جراز انتهب أصحابه سوق في أطراف حد بني سعد وتوجه الجمرة سفل حفاش قريب باجل ولقيهم رسل الباشا بدراهم مصروف حتى وصلوا الحديدة ورهنوا عنده في الطاعة وقد تقدم من لديه حيدر باشا بقوم نحو ثلاثة آلاف من حاشد وسفيان والترك حتى وصلوا علوجه في سفل ريمه.

وقد كان وصلت رهاين مشائخ ريمة ولم يبق غير السيّد علي السعيدي وبني أحمد وقد جمع الجموع وحَزَّبهم للقاء الأتراك ووقعت بينهم حروبات آل الأمر إلى توسع الأتراك إلى بلاده وحال بينهم وبين مطرح الأتراك وحَوّزهم هناك. وبعد ذاك توسط الشيخ عبد الرحمن محافظ على المصالحة وأطلق السيد علي من عنده من الأسارى وأطلق الباشا من عنده من الرهاين وظهر الباشا الخيانة من حاشدونهم وعدم النصيحة لكراهتهم دخول العجم في البلاد ولكنها ألجأتهم الحاجة وأطلق رهاينهم وسلم جوامكم وفسح لهم وبقي عنده سيدي غالب وحده وقد أجرى له الكفاية ورجع الترك تهامة.

وفي الحجة نظر الله إلى عباده بالرحمة والمطر والخير ورخص الأسعار وكشف الشدة وقد كان سياكل بعضهم بعضاً.

ودخلت سنة ١٢٧٥ :

والأرض مخصبة والثمار متكاثرة والأمطار غزيرة وقد كان هلكت الناس والمواشي.

وتحرك سيدي محمد بن عبد الله الوزير الذي كان خليفة وتلقب بالمنصور وخلع بالمتوكل محسن بن أحمد وجمع بني حشيش وخولان وتوجه ضوران طلباً للصَّيد وبعض من آنس يرون يعتاشون وأقام أياماً في ضوران وتوجّه وأقام في أسلع أيام حتى لاحت الفرصة وتوجهوا إلى هجرة خرابة الحرازي في مخلاف جِمْير أزعجوا الضعفاء من بيوتهم، واستولوا على ما وَجَدوه من الطَّعام والمواشي، وتتابع بعده القبائل

مع الجَذْب والشِّدّة والأسعار هي مشتلّة[1] وخصوصاً مع صَرْف القِرْش حَيْث عدم لكَثْرة الدَّراهم، لكن بالنَّظر إلى ما قد كانوا هو أهون بسبب نزول المطر، ولم يزل يَتَنَقَّل في البلاد، ويفرق على أهلها وأهل الجهة يتّقون على أنفسهم وثمارهم بالدراهم، وكل ذلك طلب دنيا، وسيأتي ما يؤول إليه أمره، وأما المتوكل محسن بن أحمد فمقيم في كُحْلان يدعوا النَّاس وبلاد القبلة في يده يسوقون واجباتهم إليه وَسيِّدي غالب باقي عند الباشة في بندر الحديدة.

وفي الحوادث وصول الفرنج لعنهم الله إلى بَنْدر جدَّة وبقيوا في البَحْر يرموا النبدر بالمدافع، وداهنهم الأتراك وأمير جِدَّة محمود، وأمر أهل جدّة أن يكفُّوا عن الحرب عن الإفرنج من المدينة، وهو سيصالحهم وَضَبَط من أهل جِدّة جماعة قيل أربعة عشر من المسلمين، وقطع رؤوسهم صَبْراً رضاء للفرنج لعنهم الله جميع، وأرسل برؤوسهم إلى كبير النَّصارى، وهم المَعْنيين ممن تَقَدَّم ذكرهم فيما ذكرنا، من حين منعوا الأذان، وهرب أكثر أهل جدة إلى مكة من الخوف من الباشة، حين ناصر الفرنج على الوقوع بالمسلمين، وداخل الحُجَّاج من الوجل خوف عظيم وضَبَط الباشا من أهل جدة جماعة خَلْق كثير وكَبَّلهم في الحديد، وسَلَّمهم إلى النَّصارى، وحكَّمهم فيهم، وهذه فاقرة في الدِّين عظيمة، وداهية وخيمة، وانقطعت الزِّيارة لرسول الله ﷺ. من خوف الكفَّار أخزاهم الله، وسَبب ذلك ما تقدَّم في السنة الماضية من الأذان في مكة المشرفة ورموا بَيْتَ الله الحرام بالمدافع، ووقعت رِصاصة في الحَجْر الأسود، وثار المسلمون على الأتراك والنَّصارى، وقتلوهم في جِدَّة ومكة، وهذا في العام الماضي من الفرنج والتّركي محمود باشا بذاك لأن الترك خرجوا، وكانوا هم والفرنج يد واحدة.

وفي هذه السَّنة اشتد الغلاء والقَحْط في الأسعار وَعدم الطعام وَوَصل سِعْره نصف قَدَح أي طعام كان ولم عاد كان يوجد، وصارت هذه سنة خمس وسبعين تاريخ، لأن لم يعهد مثلها إلاّ نادر، وفوق هذا بِسَبب صَرْف القِرْش في صنعاء لأنها كثرت العَدَدِي حتى بلغت مبلغاً ما قد بلغت مثله، وتَرَبَّشت الأرض، وكثر الفساد، وقطع الطرقات، وجاع النَّاس، ووقع النهب في كلِ بلاد، ولم بقي دولة يَسْتَنِدُون إليها، وظهر كوكب في القبلة من طرف قوس قزح له نُور عظيم وذنب كبير، وكان يظهر بعد المغرب، وسيره إلى جهة العَدَن غير سير الكواكبَ، وقد ذكرنا مثله في سيرة الإمام شرف الدين في سنة خمس وأربعين وتسع[2] مائة وفي سنة خمسينَ ومئتين وألف،

---

(١) مشتلّة: مرتفعة.

(٢) قلت لم أجد هذا الخبر في السَّنة المذكورة في تاريخ الحرازي الذي وصلنا عن طريق صاحب هذا التاريخ المؤرخ الزبيري.

كل ذلك يظهر في شهْر صفر، وتبعه خَيْر وخصب عظيم، وذكر أهل الفلك أنه يَتْبعه فناء في العالم ووباء وقع في هذه السَّنة في كل جهة، وكان يقع في النَّاس عِلَّة البطون ويدفعون[٢] ويموتون بسرعة نسأل الله اللُّطف/ والدفع هذا ماء صافياً.

وفي ربيع: أضمحلت رؤية الكوكب وارتفع الطاعون، وقد هَلَك خلق كثير، وتغلقت قرى لأنه وقع في بَعْض البُلدان أكثر من بعض، والكثير في ضلاع همدان، ووادي الإجبار في سَنْحان، وغيمان وبعض قرى البستان.

وفي هذا الشهر جاءت الأخبار من بلاد كوكبان، بأن سيدي حسين الهادي خَرَج من صنعاء هارباً من الحاج أحمد الحيمي إلى وادي ظهر، وأقام في طَيْبة عند النَّقيب علي الهمداني أياماً، ولم يساعده إلى مطلبه، وانتقل إلى كَوْكَبان وتوجه إلى الطَّويلة وتلقاه الشَّيخ أحسن أبو علي من أهل الطَّويلة، وكان به مرض فداواه فبري واعتقد فيه البركة، وأطلعه الحصن حَقَّه المسمَّىً القرانع، وفوضه في ماله وبَثّ الكتب وأرسل إلى الناس يدعوهم إلى نفسه، وشاعت الأخبار أن الله مَكَّنه من كنوز الأرض وأنه قد استخرج كنوزاً فأقبلت الناس إليه يهرعون[٢]، وَوَعدهم بالنَّهوض بالدَّعوة في رجب هذا العام، ومن وصل إليه أجرى له الكفاية، وأظهر القوة والعمارة في الحصن، وأخبر أنه سَيضرب ضَرْبة فضَّة خالصة، ومن جملة ما عَمَر دار ضَرْب على ما قَدْ بالنَّاس من الشِّدة من الضَّربة هذه حَقّ الحَيْمي الذي ما قد سبق إليها في قديم الزَّمان، واضطر[٣] النَّاس بسببها، وعدمت الطَّعامات والمصرفات وما عاد كان تقع إلا بالوزن في المعاملات وأما هيه[٤] فمثل اللماع وأكبر، وبلغ صَرْف القِرْش سِتّ مئة مئة حرف، وكسر الحيمي المدفع الكبير وقلبه لماع وكان تَزِدْ تُورد مثلها من بلاد الشرف وسميت هذه شرفية، وهذه حيمية فاعتقد النَّاس في سيدي حسين لما قد نالهم، وطلب سَيِّدي حسين الهداي اليهود الذي بيضربوا الدَّراهم إلى عنده، واشترى لهم آلات للضَّرب وقد أجاب دعوته أهل المغرب، وأما الجند فَمَنْ وصل إليه ردَّه وطنه حتى يطلبه، ووصلت منه إلى صنعاء كتب، وتلقب بالمَنْصور، وطلب منهم البَيْعة، وأجابوا عليه أن قد وصلت إليهم كتب من كل إمام على انفراد، فمنهم ابن الوزير

---

(١) دفع: تقيأ.

(٢) وإليه أشار الأديب أحمد بن حسين شرف الدين القارة بقوله:

قالوا الحن قد حصروا ... في (القرانع) لبقر عقروا

وبشغل الكيميا سبروا ... كم ذهب لا إله إلا الله

(٣) أي أصابهم الضرر.

(٤) نوعها.

محمد بن عبد الله الذي تلقّب بالمنصور سابقاً ونزل في بلاد آنس، ومنهم المتوكل المحسن بن أحمد الشهاري، ومنهم قريب العهد القائم الهادي غالب بن محمد يحيى في تهامة، ومنهم أنت يا مولانا، وهم متوقّفون حتى ينهض منهم الأنهض، وهم سامعون مطيعون، منتظرون يخرج من أي باب، وأما أهل تهامة واليمن الأسفل، فهو عندهم مُعْتقد وأخباره لديهم ظاهرة، وكانوا يبقوا يسلموا عليه دائماً فلما بأن بعض أمره، قالوا: هو فلما قوي، قالوا: حَصْحَص الحق والذي لدينا في أرضنا صَنْعاء وحوازها كانوا يَسْمعوا من المفلكين[1] ما يبني فيه على أمر، وهو لعل له معرفة في الرَّمل والجمع والفَرْق[2] فلما ظهرت دَعْوته قالوا (شي لله) وقد وصل إليه بعض أهل المراوعة والأشياء بيد الله سبحانه.

وأما سيدي محمد عبد الله الوزير فأفسد أصحابه بلاد آنس، ولم يقفوا على شيء، وبعدما بانت أفعالهم، وتغيرت نِيّاتهم قلبت البلاد لهم ظهر المجن وتلقوهم بالحَرْب حتى أخرجوهم من البلاد، وتوجه ومعه شرذمة عتمة، وقد علم أهل عُتْمة ما وقع في الزُّيود في بلاد آنس الذين هم من مذهب هذا الإمام، فكيف شايقع بالذي هم على غير مذهبه؟ فلم يلتفتوا إلى ما طلب/منهم ودافع الضعفاء على أنفسهم، حتى تمنّعوا ولزموا المعاقل، وأظهروا الكامن في صدورهم من عداوة المذهب ودفعوا لأصحاب المنصور سهام الرصاص، ووقعت بينهم وقعة في سَمَاه وكانت الدّائرة على أصحاب المنصور، وانهزم حتى وصل الرُّبوع، وتوجّه بمن بقي معه نحو القَفْر وتلاشى أمره.

وفي ربيع من هذه السنة سنة ١٢٧٥ كثر الظلم من الحاج أحمد الحيمي لأهل صنعاء، وتمسك بالقبائل أهل الطاغوت على المصلين فأجمع رأي أهل صنعاء على الفتك به، ودفع الضرّ عن أنفسهم ويأمّروا عليهم غيره، فعلم بما أضمروا وهرب [إلى] القصر، وجميع أهله ورتّب على نفسه، وحصروه في القصر، ووقع بينه وبين أهل صنعاء حرب مِراراً، وآل الأمر إلى خروجه من صنعاء إلى الصافية العَدَنية على شيء من المال، وسلامة بيته وما يملك في صنعاء، وبقي في الصّافية أياماً قلائل، واجتمع إليه جماعة من الأشرار وتعدّوا الطريق المسْبَلة، وخرج أهل صنعاء لدفعهم عن الطريق، فردُّوهم بالرِّصاص المرة الأولى والثانية، وسقط قتلى من أهل صنعاء منهم الحاج سعد العلماني والقرش وغيره، ومن أصحابه جريح.

---

(١) المفلكين: أهل الفلك (المنجمون).

(٢) الجمع والفرق: ضرب من الأوفاق والسِّحر.

[دعـوة سَيِّـدي حـسين الهـادي]

وفي خـلال ذلك انتشـرت دعـوة الإمـام المنصور سيـدي حـسين بن محـمد الهـادي من حـصن القَرَانـع، وأعـلن أهـل المَشْرق والمغرب بطاعـته، وظهـرت كرامـاته ويَسَّر الله الفـضة، وضـرب السِّكة فـضة خـالصة، فسكـنت الأمـور، وانشرحـت الصُّدور وجـاء الحـق وزهـق الباطل، وشأرقـت الأرض بنـور ربهـا. وفـرج الله ولـه الحـمد.

(ذكـر الإمـام المـولى الإمـام والسَّيد الماجـد الفخيم محـي المعـالم والسنن ربيب السادات أولاد الحسن من كـشف الله بوجـوده عن العباد البـلوى وأفرج عنهـم غي البغـي والفساد وهـداهم إلى التقوى السيـد الحسـين بن محـمد الهـادي) قـام هـذا الإمام المبارك داعـياً في حـصن (الـقرانع) بالقـرب من الطّويلة، دخـل هـذا الحـصن وهو شامخ البنـيان، رفـيع المكـان، ولم يردّه من دخـول هـذا الحـصن راد، ولا دَفَعـه أحـد من العباد، وأودع الله هـيبته في القـلوب، واجـتمع إلى حـضرته أهـل الأقـطار، وأذعـن لهـيبته أهـل البـوادي والأمـصار، وبَثَّ الكـتب إلى أقـطار اليـمن، وأطاعـة النـاس في السِّر والعـلن، وأمـر بعمـارة دار الضّرب فعـمرت، وطـلب العمـلة من اليهـود وسَلَّم إليهـم صفـائح الفضّـة، وأخـذ عليهـم عـدم الغش للمسلمين، وأحـكموا الضِّربة وجعـلها أيـده الله من ثـلاث مـائة حـرف وعشرين حـرف، عن أربع وستّين كـبيرة، كـل كـبيرة خـمسة حـروف، قاعـدة صنعـاء حسابهـم الحـروف، بعد أن قـد كانت ضَرْبة الحـيمي ست مـائة مائـة حـرف مثل اللّماع، فالقائم في ذلك الوقـت بـما ذكـر، ما هـو إلّا من عند الله وبأمـره، فسبحـانه وفَرَجـه على عبـاده بتضرعهم إليه، فأجـاب سبحانه الذي لا ذنـب له ولا حجة عليه، فأوجـد هذا من العَدَم لأنـا نعرفه في المدينة ما يـملك قِرْش واحد، وخرج هارباً، من الحيمي خوفاً أن يحبسه، وأمر بإطعـام الطّعام على حـين قحـط وسنـة شهـباء أخـذت الخف والحافر، وأوجد الله له البُرّ والسمن واللّحم، وأكل من ورد إليه، وهـم من جميع أرض اليمن لأن الخلفاء المتقدمين كان لكل خليفة ناس يردونه ويوفدون عليه، وهذا جمع، وأطاع له الخاص والعام، ووفدوا إليه أهل قَيْفة ومراد وتهامة، وبني قيس، والبدو من كل فَجّ وقد كان انقطعت الطرق في [ ][1].

في جـميع النـواحي والأقـطار[2] من عـدم الـدولة، ومن شـدة السَّنـة الشهـباء فـما كـاد أحـد يقدر يسافر والمتقطعـين للطُّرق في كـل أرض وأكثرهـم من الجـوع، فلما قـام

---

(١) إلى هنا ينتهي ما الحق بتاريخ الحرازي (في المجلدة).

(٢) في المخطوطة «الأقصا».

هـذا[1] الإمـام[2] تصوَّر للخـاص والعام أن معه خـدّام[3] يخـبرونه بـما كـان، وتشاهـدوا[4] على ذلك خـلق كـثير، ومـا أظنـه كـما زَعَـموا إلَّا أن الله قَذَف في قـلوبهم الرعـب وفيه الهـيبة، ليقـضي الله أمراً كـان مفعولاً، ومـا ذاك إلَّا رحـمة من الله لعباده الضعـفاء، فقد كـان يأكـل الأخ أخيه والشِّدة في الحـال لحتَّى[5] ظنَّ النـاس أن ما عـاد إلا الذّهاب، ولكنهـم[6] رجعـوا إلى خـالقهـم ومدُّوا كـفَّ الرجـا، فأجـاب سؤالهـم، وكـان يحـضر المائـدة لـديه خـلق كـثير، وهـي شيء حـقير، ويقـومون وهـو باقي للأخـير، وكـان يرقى للآلام بشيء من كتـاب الله ويشفوا وأقبلت إليه النـذور من كـل مكان، وكـل من[7] وصَلَ من النـاس الـذين لا ينصـرون إمام ويوضّح لهـم إنهـم يرجعوا بـلادهـم، ولا حـاجة له بهـم، ومن وصـل إليه بأمـواله الدّراهـم[8] ردَّهـا عليهـم، ورجعـوا بهـا، وكـم نـاس ما أمكنهـم[9] يبقوا في بـيوتهم ولا يـصالوا[10] إليه ولـم أمكنهـم الوصول خـوفاً على أنفسهـم من القـتل، فـما وقـع إلَّا كـل أحد أوصـى، وتثبت ووصلٍ إلى عنـده، وهو غير ضـان بالحـياة بـل قاطع بالموت[11] فيردّه بماله الـذي أتى[12] بـه وتوكّـل على الله وكـفاه الله سبحـانه، وبـلغت دعوته لحـج وأبين، وأجـمع أهـل الملاحـم[13] إنـه الملك المغربي[14].

وفي شهـر رجـب سنة ١٢٧٥ خـرجت الضُّربة[15] المبـاركة وكـان لهـا في القـلوب موضع عـظيم، لأن النـاس قد أيسوا من وجـود ضربة فضـة خـالصة نقيَّة وحـملت إليه الزكـاة من كـل بـلاد، وفَرَّقهـا بين الفقـراء والمساكـين، ومـا كان يرجع كـل أحـد إلَّا بشيء

---

(١) خ هـاذا.
(٢) «المام» ويتـكرر هـذا كلـما جـاء ذكر الإمام.
(٣) أي أتـباع من الجـن.
(٤) أي شهد على ذلك.
(٥) في المخـطوطة «لحـتا».
(٦) في مخـطوطة «ولا كنهـم».
(٧) في المخـطوطة «كـلمن».
(٨) كـذا في المخـطوطة بأمـوال.
(٩) في المخـطوطة لا أمكنهـم.
(١٠) أي يـصلوا إليه.
(١١) في المخـطوطة (بـلموت).
(١٢) في المخـطوطة (أتـا).
(١٣) أي أهـل التنجـيم.
(١٤) لأن المذكـور ظهـر في جهـات المغارب من اليمن. والملك المغربي هـو سلطان الجـن.
(١٥) أي السكة.

وولو يسير أو يتبارك به واعتقد النَّاس العوام أنه يعلم ما في نفس كل أحد، وتحاكوا[١] بذلك وسمعنا من ذلك أشياء لا تدخل في ذهن من يعرف الشريعة، وأنا ممن سمعت أن الشيخ فلان صاحب اليمن تحاكى فيه بما ليس فيه، فما أصبح إلا وهو مربوط في سبلة[٢] الحصان حق نفسه، وآخر تكلم فيه بغير ما هو فيه وما أصبح إلا وأبواب حصنه مفتحة كلها، وإناسمعت شيخ صنعاء أحمد القمادي في قبة[٣] طلحة قال أنها جَتْ[٤] له كتب من الإمام ما يعلم من أدَّاها[٥] إنما قام وهَّية في شباك الطاقة حق مكانه وعندي أن هذا[٦] كله كذب ما يصح لعاقل أن يتكلم به، ولا الذي معقول أن يصغ في قلبه وعقله شيء من ذلك، إنما ذاك رَجْفة من الله سبحانه أقلق بها أهل الذنوب حتى لانوا وصَحوا من سكرتهم رحمة من الله بعباده، وكل أحد[٧] نزل به من الرعب بقدر ذنوبه.

وفي أول جمعة من رجب خرج بموكب يسّر الودود ويغيض المبغض والحسود، واجتمع فيها خلق لا يحصيهم إلاّ الله من كل[٨] فج عميق، وكان كفاية من وصل إليه منه ووصل إليه الحاج[٩] أحمد الحيمي عاقل صنعاء الذي هرب الإمام من صنعاء خوفاً منه، لأنه تجارى بالكلام إليه وأوجد عليه شيء مَعُوب[١٠]، وأرسل إلى صنعاء سيف خلافته السيد يحيى بن محمد الأبيض، ونفذت العمال إلى أقصى الأقطار، ووصلت جميع مشايخ البلاد النائية الذي لا يعهد وصولهم إلى خليفة قبلة، ومن الكرامات وصول أحمد الحيمي[١١] إليه وخروجه من صنعاء، وأحاط الله بالسَّيد محمد الشامي الذي عبث بأرض الله وخَدَع خلق الله، وحبس واستمر بقاءه في الحبس، وكان عنصره البغي والفساد.

وفي نصف رجب كثرت الشكاة بالحاج أحمد، وقد كان لديه له قدر نصف

---

(١) أي تحدثوا.
(٢) في المخطوطة سبلت والسبلة عامية بمعنى الذُّنب او الذيل.
(٣) في المخطوطة (قبت) ومسجد طلحة من مساجد صنعاء انظره في المعجم الملحق بآخر الكتاب.
(٤) بمعنى جاءت.
(٥) عامية فصيحة بمعنى احضرها.
(٦) في المخطوطة هاذا.
(٧) واحد وهذا يتكرر في المخطوطة.
(٨) في المخطوطة «كلفج».
(٩) في المخطوطة (أمه).
(١٠) أي معيب.
(١١) سيتكرر ذكره.

شهر مكرَّم مجلَّل معظم ما سمع فيه قول قائل، فلما أحاطت الذنوب بالحاج أحمد فكثر[1] الظلم منه لجميع الناس، داخله الشك ووجدت عنده[2] مكاتبات للترك، فهرب خوفاً من الإمام إلى عند سيدي محمد شرف الدين دولة كوكبان وهو في الرُّجم مستجيراً به فأجاره/ .

وفي آخر رجب رحل الإمام من حصن القرانع إلى مدينة ثلا وحزن عليه أهل المغرب، وفرح به أهل ثلا وعمران ووصلوا إليه أكثر البلدان، ودخل القلعة المسماة بالناصرة، وعمر في الحصن عمائر هائلة، وله دائر من أيام الإمام المطَّهر، وقلدوا الوزير عبد الله عزان أمور النَّاس، ووزَّع الأعمال بين أهلها، ورجعت الأمور مستقرَّها، وابتداء بعمارات دار الضَّرب في القلعة المطهَّرية[3] وانتظمت الأمور وانشرحت الصُّدور، وجاءت الأخبار أن الحاج أحمد الحيمي هَرَب من عند سيدي أحمد بن محمد، وقَصَد نحو تهامة لمكاتبة بينه وبين الباشا حقَّ الحديدة، وقد أمره بضَبْط التجار حقَّ صنعاء حتى يطلقوا قرابته الذين في الحبس، فضبطهم الباشا وانتظروا وصول الحاج أحمد الحيمي إليه فتعرض له جماعة من أهل حُفاش إلى حدّود تهامة وأسروه وجرحوه جراحات قاتلة وحفظوه في بلاد حفاش في (قَيْهَمة) عند السيد عبده لأنه المرسل لقبضه إلى الطريق وعَرَّفوا الإمام، فأرسل إليهم بجماعة من بني شَدَّاد ونَهْم يصلوا به إليه تحت الحفظ، فلما رحلوا به تلقاهم جماعة من أهل البلاد المائلين إلى سيدي غالب بن المتوكل، فلما علموا بهم حفظوا نفوسهم، ووقع الحرب بينهم وقتلوا منهم جماعة، واحترزوا ثلاثة رؤوس منهم، وأسروا منهم وتوجهوا إلى الإمام بالأساري[4] والروس، والحاج أحمد الحيمي المجروح، وهذا من النصر والتأييد، وآل الأمر إلى وصول الحاج أحمد الحيمي في آخر شهر رمضان.

وفي شوال صودر علي ما عنده من بيت المال والمظالم، وسَلَّم ما بقي، وهو شيء يسير وأطلق الإمام من في السِّجن بسببه، وأطلق الباشا من في سجن الحديدة، وهذا عاقبة الظلم، وانتهى الحال بالحاج أحمد الحيمي إلى غاية من الإهانة والهتك، وعدم الإحترام، وكادت الدنيا أن تكون دار جزاء.

وفي رمضان وقع الإمام بالوزير الفقيه عبد الله عزان، بسبب تربش حاله

---

(١) في المخطوطة فكثرت.

(٢) «عليه».

(٣) نسبة إلى الإمام المطهر شرف الدين.

(٤) (خ) بل أساري.

وخيانته، وأخذ الإمام ما في البيت الذي هو فيه في ثِلاَّ، وصودر على مال وسلمه.

وفي ذلك الشهر عَمَّ الله جميع العباد والبلاد بالأمطار والثمار والخير الواسع بعد الإياس وشدّة الإبلاس.

وفي شهر شوال وقع التَّربش من الرَّعايا وطرد أكثر الرَّعايا العسكر الذي[1] توجهوا مع العمال، وأبقوا العمال متوقعين ما يؤول[2] من الإمام هل يقّوى أمره أو يضعف.

ومن الحوادث خروج أحمد باشا من الحديدة بنحو مئتين رجل ترك وسودان، ومثلهم عرب، يقودهم سَيِّدي غالب على حُفاش وملحان، وأرجفواعلى أهل البلاد، وقتلوا منهم، واستولوا عليها وطرد عامل الإمام، والإمام منتظروصول عسير[3].

ومن الحوادث إنقلاب أهل الأسواق في صَنْعاء والسفلة والغوغا على أعقابهم في شأن الضربة، وأوهموا القبائل أن الضربة مغشوشة لا يبيعوش[4] إلا بالقرش[5] الحَجَر، وسرى ذلك في البوادي حتى امتنعوا من الجلب[6] إلى صنعاء، ومن قبول الضّربة ووقع الضّر الكبير على الضعفاء والمساكين وسكان المدينة، وأكثر ما وقع الإغراء للقبائل إلا من المبغضين، وأكثرهم المتشيّعين وعدم الطعام في وقت الحصاد، وعَدمت المصّرفات ما كان يلقاها إلا صاحب القرش الحجر، وامتنع البياعين من بيع كل شيء إلا بالقرش الحجر/وومن أين لصاحب الحرفة الفقير والضعيف والجاهل واليتيم والأرامل قروشاً حجر يشتري كل واحدة على انفرادها بقرش، فما هذه المصيبة فأوغر صَدْر الإمام بذلك، وصار الضعفاء يشتكون على الإمام مما نالهم من المشاق، وأهل الثّروات والتجار والأغنياء لا يعلمون ما نال الضَّعيف، وما نزل بهم من الضّر بسبب إغراء أهل البوادي فيما سبق بعد خروج الضربة، ومع اعتقاد القبائل أن أهل صنعاء أعرف وأحذق وأشطر بهذه القضية صَدَّقوا، وما ذاك إلاّ من تمام المِحَن، وما تقدم في صنعاء من الفتن، فإن الله وإنا إليه راجعون.

---

(١) تكرر بمعنى الذين وقد أبقيناه حفظاً لعبارة المصنف.
(٢) خ ما أول.
(٣) أي أهل عسير.
(٤) أي لا يبيعوا شيء.
(٥) خ قرش.
(٦) أي استجلاب البضائع أو ما يعرف في التعبير الحديث الإستيراد.

وفي ثامن وعشرين شوال، تَقَدَّم مولانا الإمام وتوجَّه صنعاء المحمية بالله، وضربت مدافع الرحيل ووضع في قلعة ثِلَا من يثق به، ولقيه هَمْدان إلى الطريق بالطاعة والعقاير، ودخل النَّقيب علي الهمداني في ضِمْن أصحابه سامعاً مطيعاً، وسار في ركاب الإمام إلى ضلع وأذن له ولقبائله بالرجوع إلى أوطانهم، ودخل صنعاء المحمَّية ليلة الثلوث تاسع وعشرين شوال، وفرح الناس بقدومه، ولقيه جميع أهل صنعاء.

وفي اليوم الثاني من قدومه واجه الناس، ودخل الأعيان إلى مقامه، وتلقى كل أحد بما يليق له، وطلب الحاج أحمد الحيمي، وعبد الله بن يوسف حويدر من الحبس إلى ميدان الطواشي، ونزلوا في زِنْجير حديد، وبقوا في الميدان وهما الخصمان، لأن حويدر هو الذي أخذ المَعْالة[1] في صنعاء بعد الحيمي، وانتصب لحرب الحَيْمي، وكان لا يتواجهان حتى تَحْت طاقة الإمام بل كل أحد وجهه إلى جهة أخرى، وبعد أن أرجعوهم الحبس.

وأول جمعة في صنعاء اجتمع خَلْق عظيم، وخرج في موكب يهيل العقول، بين يديه وخلفه نحو مئة عنا خيل، وقد أكثرها ملك بيت المال، ولم عاد كان مع بيت المال واحد عنان، وخرج في موكبه الأعيان الذي يعتادوا الخروج في موكب الدول السابقة، وأركبهم على نجائب الخيل الجياد، ولم يشهد النَّاس مثل هذه الجمعة إلا في أيام المهدي عبد الله، وظهرت آلات الخلافة والقوانين المألوفة، فله الحمد دائماً بدوامه محيي الأرض بعد مَوْتها.

وفي القعدة عدم الطعام في سوق صنعاء، وظهر الذحل في العنب ظهوراً كلياً وفسد في أكثر النواحي، وهيه[2] من العاهات التي لم تعهد مثلها في قديم الزمان[3].

وفي شهر الحجة الحرام أوجد الله المعدوم، وهو الطَّعام والغنم الكبار، ولم كانوا مؤملين[4] الناس بوجود المعاليف لشدَّة السَّنة، واشترى الإمام الأضاحي وقُسّمت للنَّاس حَسَب العوائد.

وفيها ظهر الوباء والطاعون في صنعاء المحمية بالله، وما حولها، وأصاب

---

(١) أي منصب عاقل صنعاء.

(٢) يتكرر في الكتاب وهي بمعنى وهي.

(٣) علق المؤلف بعد هذا الكلام بقوله «تحقيق عاهة العنب وإلا فقد كان به نحو عامين لكن ما ظهر إلا يسير فتحققت العاهة نسأل الله اللطف.

(٤) خ ما آملين.

الناس داء البطون، حتى يخرج خارج من أفواههم ومن دبرهم[1] فمن قد دنا أجله مات، ومن عاد فيه فسحة قام من مرضه، وكثير من الناس لم يصبهم شيء، وقد كادت الثمار تذهب من اليَبَاس، ومن الله سبحانه بالأمطار الواسعة.

ودخلت سنة ١٢٧٦:

والأمطار كثيرة والنِّعم جليلة خطيرة والشَّواهد[2] مباركة والأرض مُخْضَرَّة مثمرة، والنحوس آفلة والسُّعود طالعة والنُّفوس مستبشرة.

وفي شهر محرم رخص الطعام بالنظر إلى ما قد كان.

واستولى أحمد ناشه على ملحان، بعد انتظار أهل الجبل لوصول جند الهادي ومع[3] الشدة والغلا رأى الإمام التوقّف للمصلحة.

وفي محرم فشى الطاعون في صنعاء وحوازها ومات خلق كثير، ومنهم القاضي عبد الله محسن[4] الحيمي في الروضة، والقاضي محمد بن محمد الحرازي[5] في القرية، وعبد الولي الورد/في شعبان.

وفي صفر كثر الفناء في العالم، وكان من الآيات والعِبر، وكان الموت على الصفة التي قدَّمْنا، وتنقل في النَّواحي بلد بعد بلد، وما خرج منه لم يعد إليه، ولما حان الحصاد للثمار[6] ارتفع سعر الطعام والله القابض والباسط.

وفي الشهر المذكور، وقعت الخديعة من بعض خواص الدَّولة، والشُّور[7] بتغيير الضربة، وخرجت دراهم نحاس صَرْفها ستة عشر مئة حرف عن ثلاث مئة كبيرة وعشرين لا يرْضى بها أحد، وحمدوا الله على ما كان من الضَّربة السابقة حق الثلاث والعشرين، وأزافوا هذه الضَّربة المغشوشة، والناس لا يرضوا بشيء جرت عادتهم بهذا.

---

(١) أدبارهم.

(٢) بمعنى أيام الخير.

(٣) (خ) معاً.

(٤) من العلماء الأجلاء له الكتاب المدرج بآخر شرح الأزهار المطبوع المسمى بتبصرة ذوي الألباب في معرفة تحقيق النصاب ولد تقريباً سنة ١١٧٠ ولم يحدد المؤرخ زبارة وفاته (انظر نيل الوطر ج ٢ ص ٩٥ وكتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٢٤٠).

(٥) من علماء البيان والأصول أخذ علومه عن الشيخ محمد بن علي الشوكاني وغيره ترجم له المؤرخ زبارة ولم يحدد وفاته (انظر نيل الوطر ٢ ص٣١٣).

(٦) خ لثمار.

(٧) الشور: الرأي.

وفي الشهر وصل سيدي غالب بن محمد بن يحيى من حفاش بعد استيلاء التُّرك، وما هرب من عندهم إلا هربه، وافتدا نفسه بالبلاد[1] التي كانت في يده.

وفيه - أي الشهر - وقع الإمام بالفقيه محمد بن أحمد العفاري بسبب أشياء ظهرت عليه وأوغرت صدر الإمام، وقام بها بعده[2] علي بن عبد الله الآنسي، وكان قبل الوزارة عامل صنعاء.

وفي هذا الشهر خرجت بكيل، وباتوا حول صنعاء، وعزموا اليمن، وأرسل الإمام إلى عامل جَهْران الشيخ حاتم يوسف، وكان من سوء تدبير العامل تعريف البغاة للموافقة له، فلما التقوا في الوقفة لم يشعر إلا بالرِّصاص في ظهره، وكان سبب موته وفَرُّوا اليمن، زقمو[3] المقاسم.

وفي ربيع، وصلت ذو حسين، وذكر أنهم يريدوا الجهاد، فوعدهم الإمام بالخروج، وتوجَّه معهم وبات في وعلان، وخرجت جميع أهل المدينة لزلاجة، ولقيه قبائل سَنْحان بالعقاير والسَّمع والطاعة.

ويوم ثاني في معبر، وقد كان منعوا أهلِ قرية الواسطة عن قبول القوم للخِطَاط، وأحاطت بهم القوم، وقد شرعوا في النَّهب بعد أخذ القرية، ووصلت النِّساء والضُّعفاء يشكوا على الإمام، فخرج بنَفْسه يستَرْجع ما ذهب، وقبلوا الخِطَاط وعقروا في الطاعة ووازر الإمام محمد بن يحيى بن علي الإرياني، وتوجَّه ضوران، وطلع الحصن (الدامغ) وأقام فيه ثلاثة أيام، ورجع مدينة ضوران، ووصل إلى حضرته جميع المشائخ حق آنس سامعين مطيعين، وأودع عقَّال خولان الحبس وسلاسل الحديد لأجل خيانتهم ومكرهم، وجَهَّز الأجناد إلى المنار، وجَهَّز عليهم السَّيد قاسم بن محمد ابن علي، وقد كان اغتصبه محمد بن صالح الرويشان وعمر فيه معاقل، وفرق الوزير المعونات على مخلاف المنار الذي اغتصبه الباغي.

وفي شهر ربيع آخر لم يشعر السجانون في حبس صنعاء إلا وقد هرب السَّيد محمد بن علي الشامي، وتبعه البعض منهم وإحاطة به ذنوبه، فقبضوا عليه، وقد كان لبس لبس إمرأة وتشكَّل بشكلها، وردُّوه إلى القصر على تلك الهيئة المكروهة، وكان لقبضه وردِّه إلى محبسه موقع عظيم، فلو انفلت أشعل الأرض ناراً وأحرق بها

---

(١) بلبلاد.

(٢) أي الوزارة.

(٣) زقم الشيء: بالفتح والكسر أمسكه.

جميع اليمن كما هيه عادته، فكفى الله الناس شره وأوقعه في عمله وكتب السَّجانون إلى الإمام بما وقع من أمره، وعاد الجواب بضرب عنقه.

وفي يوم الأحد ثامن عشر ربيع الآخر طلبه سيف الخلافة إلى ميدان دار الذهب، وأمر أحد مفالقة الحطب يقال له أحمد شايع، فضربه ضربة أبان بها رأسه، وهذه عاقبة البغي والظلم، وإفزاع الضُّعفاء والمساكين، واستحلال الدِّماء والأموال، وقد وقف على ما أسلف.

وفي شهر جماد جاءت الأخبار بأن أهل ملحان وبعض أهل حفاش أخرجوا الأتراك من البلاد، وطلبوا عامل من جهة الإمام وجند قليل، وهم يستخرجوا الباقي في حفاش، وأما ملحان فلم عاد فيه أحد، ووصلوا من عسير نحو أربعين رجلاً، وذكر أن قبائلهم مستعدُّون للخروج يجاهدوا مع الإمام الهادي والله أعلم بالصِّحَّة.

وفي جماد وصلت كتب من المراوعة للإمام بأنه يتوقَّف عن كل عمل ،وهو لا يخالفهم وأمر بالتوقف [ ] وقطع رأس رجل من المقادشة حدّاً لبغيه.

وفي ذلك الشهر تحرَّك سيدي غالب بن محمد بن يحيى، وعضده من البغة[1] بيت العذري، وبن مرح من أرحب، والسيد محسن الشويع من ظلع همدان، عن مشاورة النَّقيب علي بن أحسن الهمداني، وهو مظهر الطَّاعة ومبطن البغي، والشيخ سعد صالح الحَوّاني من حَدّه، وصالح القَوْبري من دار سلم، وقليل من الأشرار، وانتقل سيِّدي غالب من الروضة إلى حَدّة، ومقصدهم إخافة السبيل، وقطع الطريق والنَّهب للضَّعيف والمسكين، ومحاصرة أهل صنعاء حتى يطيعوا أمر سيدي غالب ويبايعوه، وأكثر الأمة والرَّعايا وأهل صنعاء لا يرضون بشيء من ذلك إلا شرذمة يسيرة ممن تقدم ذكرهم، والخلق باقون على الطاعة تائبون من الفساد والبغي، فقد كفى ما وقع في السَّنة الماضية وأوائل هذا العام ما تقدم ذكره من البغي والقحط والشدّة والفناء والموت الفضيع ولعله لا يتم شيء من ذلك والأعمال بالنِّيات والله لا يصلح عمل المفسدين، وقد وقع في دولته ما تقدم ذكره من ارتفاع الضربة، واستيلاء البغاة على أرض الله.

وفي هذا الشهر جماد آخر دخل الباغي ظفران بن علي مظفر خليل قلعة ثِلاّ بسبب ما وقع من الرُّتبة من الخيانة، وهم موضوعون في محل الأمانة، وبسبب ذلك أنها وقعت المخاصمة بين الرتبة فيما بينهم، ودخلت الشَّحنا في قلوبهم حتى

---

(١) كذا في الأصل.

أخرج بعضهم بعض بخديعة، واستدعوا هذا وحاصره أهل المدينة في القلعة، وهو يرميهم إلى المدينة، وآل الأمر إلى إخراجه بشيء من المال[1].

وفي آخر الشهر جماد وصل عقال حَدّة إلى عند سيف الخلافة يخبرونه بأن قد حصروا سيدي غالب بن محمد ومن معه في بيت، وطلبوا خروج السَّيف سيدي العماد يحيى بن محمد، فتوثَّق منهم، وخرج بعصابة وخرج من فوره، حتى وصل حدّة وأحاطوا بدار الجَوّاني وما حولها، ودخلت الوسايط، وخرجت وآل الأمر إلى فك أسر سيدي غالب بن محمد عليه وعلى من لديه بالتوبة والعهود المغلضة والكفال عن أذية المسلمين والدخول في سلك المؤمنين والطاعة لله ولرسوله ولسيدي الهادي، وأعطاهم ذلك وأن لا يعود لشقّ العصا، وعاد سيدي العماد صنعاء، وقد ضبط الأمور وشكره على فعله الجمهور، وسيدي غالب رجع الرَّوضة بخفي حنين، وسيدي حسين الهادي كان في ضَوْران، وانتقل إلى المنار الذي قد كان بيد الرويشان، ورجع صنعاء، والأمور قد تلاشت، وبقي أياماً ما فيها طائل، وخرج مخرج آخر إلى آنس، وقد كل فرد من الرَّعايا عن إجابته متناعس، وسيدي يحيى ابن محمد الأبيض خرج معه إلى ضوران، وعدل سيدي يحيى كون مرامه له لم تَهَيَّأ وتوجه من بني سلامة، وجزع[2] طريق الفَرش ومعه علي سعيد أبو بكر من خولان، وتوجهوا الحيمة ووصلوا العر، وأذاقوا أهلها المر، لأنهم في مَصْلحة نفوسهم، حتى جمعوا لهم ما يريدوا من الحطام، وتوجَّهوا صنعاء وسيدي حسين الهادي بقي في ضوران أياماً ووصل إلى عنده الشّيخ عبد الرحمن محافظ، وعقد له الوزارة ونقلوا إلى سلع والجمعة وكان فيها الشيخ محسن بن علي راجح، ونقلهم معه إلى (دُمَام) وكان بينهم وبين البريهي حرب، ونقلوا إلى (الدومري) ولقيهم علي بن يحيى المنتصر صاحب (ريمه)، وأطلعهم إلى قرية (المزاينة) في ضلاع ريمة وقعد وهنالك، وتقدّموا على الغطاس، وقد كان دعا إلى نفسه، وأخرجه علي بن يحيى المنتصر في جهة لأجل تسكن الفتنة، وتجتمع الكلمة، وأخرجه الإمام على غفلة وقطع رأسه، وكان سبب تلاشي أمر سيدي حسين الهادي لأن [ ] علي يحيى ما فعل ذلك إلا تسكين فتنة، وسيدي أعترته النَّخوة وسرت إليه المحنة وتلاشى أمره، وشَدّ من هنالك، وتخطَّفت لهم الصَّعاليك في الطُّرق، واستيقظ وندم على ذلك على مخالفة علي يحيى المنتصر، وبقي كالمنحصر، ولما أمر بالشّداد عارضه أهل البغي

---

(١) من هامش المخطوطة للمؤلف «وبعد هذه الوقفة قاموا أهل أهل ثلاث جميع على الذي كانوا رتبة في الحصن وقتلوهم عن آخرهم وهم سبعة يقال لهم بيت جبهة».

(٢) مَرَّ.

والفساد، ونهبت من أثقاله، ومن المنهوبين الوزير المعارض عبد الرحمن محافظ، وقعت في يد علايه[1] ضربة سيف، وهو من جند الإمام، ورفقته والصّحبة، ونهب النقيب الماس علي، وهو من أصحباب الهادي، ودخلوا مدينة العبيد، وحمد الله على سلامة العد وذهاب العديد، ومضوا من الحمام حَمَّام علي، وطلع ضَوْران وقد ذهبت الحصَّة والسُّلطان، وبقي هناك كالحيران، فوصل إليه الشيخ محمد أبو جابر صاحب أعشار قبيلي مَقبَّع عامي، قد قطع الطريق ونهب وشغل الناس، لكنه قد تَعَنْهر[2] مع عدم الدولة، وما يشتهر في زماننا إلا[3] الأشرار، وإلا فهو رعوي كما قال السيد أحمد القارة[4]:

وأبو جابر وهو رعوي بيت إسحاق ويزره[5] وقوي[6]
عنه أنه عارض البغوي[7] بعلوم، لا إله إلاّ الله

فعقد له الإمام الهادي الوزارة وأطلعه، وطلع صنعاء وأبعد القشعة[8] ولبس محشة[9] ولم قد رضيوا به أهل صنعاء كونه شيخ قرية لقطعه الطريق، ومجاراته على البغي، فكيف يصلح وزير، ووقع الوزير هذا بناس من صنعاء وغيرها وصادرهم مصادرة كبيرة، وبعد ذلك نكفت قلوب الناس، وأكثر ما نكفوا أهل صَنْعاء من سيدي بسبب، توزيره أبو جابر، وتلاشى أمره وكاتبوا سيدي محسن المتوكل إلى السُّودة.

وفي خلال ذلك دخل الخمج صاحب أرحب الغراس، ودخوله عيب من الشّرط مكافأة للقسامي الذي كان فيه، وقتل الخمج، وخرجوا أرحب من الغراس، ودخله سيدي المتوكل برغبة من القسامي [وقد كان تهدم وخرب فعمره المتوكل وجعله دار إقامة] لما رأى من أرحب ودخل إلى صنعاء ورجع الغراس.

وفي خلال إقامته في الغراس.

---

(١) كذا فيا لمخطوطة.
(٢) تحبر أو تكبر.
(٣) في المخطوطة الأشرار.
(٤) اديب عرف بالنطم الحميني وفاته سنة ١٢٩٢ تقريباً (انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٣٥٨).
(٥) أي جعله وزيراً.
(٦) في الطرائف المختارة ص ١٢٢ فروى.
(٧) هو الحسين بن مسعود الفرا المعروف بالبغوي من كبار علماء الإسلام توفى سنة ٥١٠.
(٨) الجمة من الشعر.
(٩) عمامة حمراء مطرزة.

ودخلت سنة ١٢٧٩:

خرج السِّيد أحمد بن محمد الكبسي[١] المهاجر في برط من باطل[٢] عدم الشُّريعة في صنعاء، ووصل هو وذو محمد أجمع، وطلبوا العلماء والعقال، وذكروا لهم أن جهاد الباطنية يام الذين[٣] أخذوا الحيمة العام واجب على الخاص والعام، ولكن لا يستقيم ذلك إلا بإمام، وَنَسَوا ما في الغراس من إمام، ونزلوا إلى سيدي قاسم بن حسين، وأوجبوا عليه القيام فأبى عن ذلك، فدارت عقولهم فلم يجدوا أنهض من المتوكل المحسن بن أحمد[٤] الذي في الغراس، فتوجه البعض وكتبوا إليه وألزموه، وعنده ذلك هي المحجة البيضاء وهي عنده الحاجة التي في نفس يعقوب، وحمد الله على وجود الناصر في ذلك الزمان القاصر، مع أن ما أقعده عن الجهاد إلا عدم الناصر، وأما القيام فهو قائم وداعي للعباد إلى سبيل الرشاد، لكن قد غلب على قلوب الرعايا حب الدنيا والفساد، ! فنهض باسم الله وتوكل على الله، ودخل صنعاء المحمية بالله، ولقيه أهل صنعاء جميع، والقبائل وذو غيلان وضِيّع ورفيع، ووصل دار الطواشي الصغيرة الذي فيها الكبسي، وأما الكبيرة فقد خرجت، وعزموا على جهاد الباطنية يام، وخرج معاهم[٥] من الفاف القبائل، وعبد الله بن ناجي الهمداني، وصحبته من همدان، فلما دخلوا رأس الحيمة وَتَخَطّطوا القوم وفتحوا أهل البلاد [ ] وفرحوا أهل الحيمة فرحاً عظيماً، وأيقنوا بالفرج بعد الشدّة وإزالة الظالمين، وبقي الإمام في تلك البلاد محاصراً لأهل العناد، حتى سعى[٦] عبد الله بن ناجي الهمداني بالفساد، ورهن أولاده عند ذي محمد فيما قد التزم لهم من المال، وسلم ذلك وقد فوّضه لسيده الداعي، وعلم مولانا الإمام، فحبسه وهم بضرب عنقه وتحجّى[٧] عليه بكيل، لأجل لا يفوت عليهم ما قد ضمن لهم، وأخرجوه كَرْهاً أخزاهم الله، وشدوا[٨] من وسط البلاد، وهيه سامعة ومطيعة، فلم

---

(١) من كبار علماء عصره له مؤلفات في عدة علوم توفى سنة ١٣١٦ وسيأتي ذكره مراراً في الكتاب (انظر مصادر الفكر الإسلامي ص ٥٠١).

(٢) الباطل هنا بمعنى الجور والتعسف.

(٣) في المخطوطة الذي وقد أصلحناه ليتسق المعنى.

(٤) هو من الأئمة المتأخرين دعا سنة ١٢٧١ وتنقل في محلات كثيرة ولما وصلت الأتراك سنة ١٢٨٩ انتقل إلى بلاد حاشد وتوفى سنة ١٢٩٥ وسيأتي ذكره في هذا الكتاب (انظر أتحاف المهتدين ص ٩٥).

(٥) معهم.

(٦) خ سعا.

(٧) مانع عنه.

(٨) أي شدوا رحالهم.

يشعر المتوكل إلاّ وهو منفرداً وحيداً يخشى عليه وعلى حاشيته من الكفّار، فما وسعه إلا لحِق[1] البغاة إلى الطريق ودعا عليهم، وأجاب الله دعاه وسمع نداءه ولباه، وعن قليل رأى دعوته فيهم عياناً، وصار أكثرهم في الأرض متعريين جيعاناً بعدما وصل الترك، وأخذوا بالسِّنين حتى صاروا عبرةً[2] بين المسلمين، وأما الذي ابتاعوا فهم قايد بن حسين أبو راس، وبيت دُماج وبيت ثوابه، وأما بيت البحر فلم يسعدوا للغزو مع المتوكل، مقافاة بسبب سيدي غالب كونه متزوج منهم والنسبة باقيةً، وعزموا اليمن، ولما تيقن عدم الصَّلاح في سكون صنعاء، وصل إليها في رجب سنة ١٢٧٩ وقت صلاة الجمعة، وصلى في الجامع الكبير بصنعاء وعزم من ساعته الغِراس.

هذا خبر الإمام وبكيل ويام، وأما سيدي حسين بن الهادي(*)، فعزم ثلا وبقي فيها أيام مدة[3] المتوكل في الحيمة، وقبلها بأشهر، فلما سمع بما جرى من بكيل من الخدع ورجوعهم والإمام، أغتنم الفرصة لحصار صنعاء، ولما ناله من أهل ثلا من عدم الطاعة، وهو كان مؤمل أنها ستقوم الحصّة فلم يصح[4] منهم شيء، بل أنهم خلوه في بعض الأيام عند نزوله من الحصن يصلي جمعة في المدْينة، وعشّروا[5] فيه بالبنادق[6] ووقعت واحدة منهن في العاقل الذي يجنبه، علي بن إسماعيل اليمني في ركبته، وبقي أعرج، فرحل من ثِلا، وقد شاهد الحزن بعد السلا،[7] وصار عند بني بُهْلول ينكّف على صنعاء، وهم قبائل غُشم أعراب، وما علموا بما سيفعلوا أنهم سيحاصروا صنعاء المحمية بالله، وفيها المصلين وهم لكتاب الله وللأذكار محافظين، وللصَّدقات[8] باذلين وللزكاة[9] فاعلين وللأرحام واصلين وللشريعة منقادين ولكل قربة مودين وللعلم دارسين ولأهل البيت محبين ولأئمة الحق متابعين ولأهل الخلاف معاندين فأجابوا داعي سيدي حسين الهادي،

---

(١) ادركهم.

(٢) خ عبرتا.

(*) قلت هذا الرجل ممن تحيرت في شأنه العقول وقد الف في أخباره العلامة الحسن الديلمي رسالة بعنوان «در النادي في الكشف عن خبث حسين الهادي» اوردها المؤرخ محمد بن إسماعيل الكنسي المتوفى سنة ١٣٠٩ «النفحات المسكية» سيرة المحسن بن أحمد.

(٣) خ مدت.

(٤) يتحقق.

(٥) أطلقوا الرصاص دفعة واحدة.

(٦) خ بلبنادق.

(٧) خ الساو.

(٨) خ لصدقات.

(٩) خ لبزكاة.

ووصلوا جميع إلى ضَبْر الخولاني، وطرحوا فيه وشَرَع الحرب بينهم وبين أهل صنعاء، فزحفوا إلى (ماجل الدِّمة) وبقوا أياماً، وصار القتل في الجميع، وأكثره فيهم، وأما الذي في أهل صنعاء، فما هو إلاَّ فعلوا فعل الحمقا الجاهلية[1] الجهلا أن لقيوا أحد في طريق مسافر أو ضعيف أو غير ذلك نهب وقتل.

وذهن سيدي[2] من نومه، ورأى أمسه خير من يومه، وصار كل أحد من الناس يلومه، وصار الفعل كل يوم مقاتيل ومصاويب[3] إلى زيادة، فندم حيث لا ينفع الندم، وكيف وقد زَلّ القدم فَشمَّر للرَّحيل وعزم وشَدّ أصحابه بني بهلول إلى محلهم نادمين على فعلهم، وهو صار في قطعته[4] بني حجاج [ ] في عيال سريح عند علي عثمان، وما كسب إلاّ ما وقع وصارت[5] الحرشة[6] والفتنة بين أهل صنعاء وبني بهلول باقية، وكان يتقطّعوا لأهل صنعاء، وينهبوا ويقتلوا، ولم يحترموا أحد، بل في بعض الأيام لقيوا السيد فلان زبارة من أهل صنعاء كان متعيِّشاً في تلك الجهات، فقتلوه غيلة، ولا ذنب له، نعوذ بالله من الضلال والإضلال.

وبعد ذلك شبع علي عثمان مَيْمَمَة[7] له وحده يستقل بها دون غيره، وذلك من شفقته على الناس، وسماحته، فذكر لسيدي حسين طلوع ثِلا وأنه سيعينه بالمال والرجال، ويدخله ثِلا ويزيل بقيامه معه العنا والبلا، وطلع معه أهل القرية قرية بني حجاج إلى أن أوصله باب المدينة، فلما رأى ذلك عاقل ثُلا أغلق باب المدينة من حينه، ودخل علي عثمان إليه، وفشا له سر ما لديه، غير ما دبره لسيدي حسين كان لديه، وعول على أهل ثِلا وعاقلها علي أحمد حسين الزَّلْب: ما يضركم ليلة يبيت الإمام عندكم وفي صبح غد يرحل إلى شبام، فقد دعاه أهل كوكبان والطويلة وإن ما سوى تلك الليلة وهو يضمن وسيدي الهادي باقي خارج المدينة مراعي[8] يأذن له الشيخ علي الزلب، ودخل على شروط منها: أنهم لا يسلموا له شيء ولا يطلبهم حاجة[9] قرش واحد، ومنها أن لا يدخل الحصن ولا البيت الذي كان فيه أولاً،

---

(١) خ الجاهلية.
(٢) أي الحسين بن الهادي.
(٣) مقتولين ومصوبين.
(٤) خ قعلعته.
(٥) صاره.
(٦) المحارشة والتحرش بمعنى التقطع.
(٧) أي شبع إمامة.
(٨) منتظر.
(٩) بمعنى حاجة تصل قيمتها قرش.

ومنهـا: لا يقيم عندهـم غداً، وفتحـوا لـه البـاب وآووه إلى بـيت في جـنب المدينـة صغير فـوق بـرك جعـدان، وطلب بـما يـقوم به ليلتـه من عشاء ولقـراشه[1] وخـاصته، فطلبوا منـه القيمـة فرهـن عندهـم بندق هـايلة، وبعد دخـوله طلب شيخ ثِلاّ أهـل المدينة الـذي سلموا على سَيِّـدي عند دخـوله، وأدب كـل من سلَّم قـرش حـجر، وذلك تجـاري منه وهو أجْـوَره[2] ومـا أظـن إلا أنهـا عقوبـة[3] تحـويزه فصنعـاء.

ويـوم ثـاني تـوجه سيدي على الشرط شبام، فرحَّـبوا به وأبهـلوا وفرَّغوا له بيت السيـد حـسين بن يحـيى الكـبسي، وبـقي مـدة مـديدة، وضـرب ضربـة جـديدة، ووقع له فيهـا ربح كونهـا غير صحيحـة، ولكـن قيض الله لـه بهـا كفايـته، وبـقي يدعو النـاس فـلم يجبه أحـد، وتعذَّر نـزوله الطَّويلة لمـا قـد عنـده لأهـلها من ديـون، وأجلَّهـا للشيخ أحـسن[4] أبو عـلي فـإنه فتـح المدافـن في تـلك السنـة الشهـبا سنـة ١٢٧٥، وسـلم النقـد الحـاصل، ومـا ذلك إلا أن الله سبحـانه أغـاث العبـاد لشـدة مـا صادروا من القـل والفسـاد، وأظهـر أنهـا كنـوز وجـن وهـواتف ورواجـف كـما قـال القائل السيـد أحـمد القارة شعراً:

قـالـوا الجن قـد حـضـروا ... وفي القـرانـع للبقـر عقـروا
ولـشغـل الـكـيـمـيـا سـتـروا ... كم دسـوت لا إلـه إلاّ الله

هـذا خـبره.

وأما خـبر المتوكـل ومحـسن معيض، فالمتوكـل بقي في الغـراس، والشيخ محـسن في صنعاء يـريد يستقل بالأمـر[5] له وما يشتي[6] إلا قـوله، ولا يـكون فوق يـده يـد، وكـله حـبُّ الدنيا وبـقي يعوّل على سيدي يصلح بني بُهْـلول لأن قد شغلوا صنعـاء، ولا مـع سيدي من صنعـاء من الواجـبات لا قـرش من النقـد، ولا قـدح من الطعـام، وعرَّفه سيـدي أنـه يخـلي له جزية الذِّمـيين في قـاع اليهـود، فلم يـسعد الشيخ محـسن، بـل أراد يَسْتبـد بجـميع الحـاصل، والإمـام يـدافع مـا يحـدث على المـدينة وعـليه من النَّـوائب، وأمـا يسكنهـا أو يـصير له منهـا شيء فمعتـذر، والإمـام عنده (من جـباها حـماها)[7] والجـزية

(١) حيواناته.
(٢) أي أجاره.
(٣) خ عقوبت.
(٤) يسمي أهل صنعاء ونواحيها كل من اسمه حسن احسن بصيغة التفضيل وهذا يتكرر كثيراً في الكتاب.
(٥) خ بل أمر.
(٦) يطلب.
(٧) من الأمثلة الشعبية.

أدناها، والذين لا خير فيهم أدخلوا الشحنا بينهم، فقام الشيخ محسن معيض فعل[١] على طبيعته وشُغلْ[٢] يده إن قال له: قم قام، وإن قال له: أُقعد قَعَد، وقال له[٣]، يتأهب لوقت حاجته، وخلّاه مكانه واستوى فَرَق[٤] على صنعاء فرقة لا أكبر[٥] منها، واجتمع العلماء في صنعاء، وخرج منهم جماعة السيِّد أحمد بن محمد الكبسي، والقاضي أحمد المجاهد[٦] وجماعة، واشتروا عقاير وبعض كسوة، وخرجوا بني بُهْلول وعقرت العقاير، وقبلت، وقَطَعوا الشُّغلة[٧] وسلموا للكبسي من الفرقة قيمة بيته الذي أخذته العامة بهدار الحيمي، فلما أمن الضرر رجع أدخل الإمام المتأهِّب وهو سيدي حسين بن المتوكل من الروضة، وتكنى بالهادي، وناجي شريان أدّى[٨] الحصان، وأدخلوه إمام[٩] آلة لمعيض، ووصل القصر وفتحوا دار الضَّرب، وضربوا ضَرْبة مغشوشة مكافأة للمتوكل، وقاموا جميع السادة آل القاسم للحَزْبة[١٠] بين يديه وكان يسيروا معه قُدَّامه وخلفه بالبنادق والعمايم، وبقي على تلك المدة مدة يسيرة، وسيدي المتوكل أَحترك لحصار صنعاء، وهو محق في ذلك قَطْعاً لبغيهم ونكثهم لبيعته.

وفي خلال خلافة سَيِّدي حسين جمع معيض جميع أعيان صنعاء والسادة جميع، وعقال القبائل دغيش وعبد الوهاب مَرِح، وناس من هَمْدان وغيرهم عند سيدي حسين في صنعاء، وخلّاهم فعلوا تعاريف للتّرك وقواعد وطبعوا[١١] فيها وفي ذهنهم يرعدوا بها على المتوكل، وهي أول مصيبة كبرى وداهية عظمى وفعلة[١٢] صَمَّا وفتنة وعمية ظلماً وفتنة دهماً يهلك فيها الكبير، ويشيب فيها الصَّغير ويظهدهد[١٣] الضَّعيف، ويوضع الشَّريف، وتنجح[١٤] الأموال ويقوى الأنذال، ويوهن

---

(١) أي صنع.
(٢) أي صناعة.
(٣) خ قلة.
(٤) أي: جعل معونة.
(٥) أي بمعنى ليس أكبر منها.
(٦) من علماء وقته وسيأتي ذكره في الكتاب توفي سنة
(٧) المشاغلة. الأذية.
(٨) أحضر.
(٩) ح مام.
(١٠) الحزبة: بالتحريك التأهب والاستعراض.
(١١) ختموا عليها بأختامهم.
(١٢) خ فعلت.
(١٣) كذا في النطق عند أهل صنعاء يبدلون الطاء دالاً أحياناً وهي يضطهد.
(١٤) تنفذ.

الأبطال، وتقوى الأشرار، ويغنى الفجار ويهمل الأخيار فشيد الشّيطان ذلك وزَيَّن لهم ما كانوا يعملون، وكتبوا وطبعوا ونسيوا[١]، واشتد الحصار على صنعاء، وقبضوا أصحاب المتوكل في بئر العزب، نُوبة، ونوبة الزوّة في الخندق القبلي دخلها شندق[٢] وقتلوا ثلاثة من صنعاء مِسكه[٣] وخُبْرَتَهُ[٤] وما وقع العقوبة إلا من جنس الفعل، وكادت الدنيا أن تكون دار جزاء.

فلما اشتد الحِصَار لصنعاء، وكان الشّيخ محسن يشتغل بذلك لأجل يدرأ الحق بالباطل، وكان يستخف بسّيدي حسين المتوكل، حتى كان في بعض الحالات يجلس بلا عيش[٥] وفي بعض الجمع[٦] نزل يصلي الجمعة، ولم قد تَغَدى من عدم الطعام في صنعاء، وتعذّر القيمة والشيخ في أجل نعمة.

وكان يشتى سيدي يذكّر بأيام إخوته محمد، وعبد الله المهدي، من السّطوة والفتكات والبطشات التي كان فيهم، وهذا بَنَا من نفسه الهادي يفعل كفعلهم، وأين ذا من ذاك، وقس الدُّر بالحجر، وصلَّى جمعة سيدي ونزل بغير غدا، وقد أخذ جانب من صنعاء حق وَقعة مسكة، ودخل سَيِّدي حسين ببيت الشّريف علي الذي قد هو للطف عصيد[٧] وقد الذقن زاقمه[٨] الذقن/والجمعة الثانية طلعت السطوة العلوية والنخوة الهاشمية طلع من الصلاة من الجامع، ودخل القصر حسب العادة، فلما دخل مكانه فَرّق السادة إخوانه في الدار، وفي المراتب أعوانه، واستدعى بالشّيخ محسن معيض وتهدده، إن قد ازدادت الحوزة واشتدت الغاغة[٩] وأغلظ في الكلام وأساء في أخلاقه، واستدعى أخدانه[١٠] وأمرهم بالشيخ ويقيدوه، وبعض الناس مدّ يده، وبعض الناس هرب من الجبا[١١] لا يبسره[١٢] الشيخ، وخشية يرجع يعاقبه، وصاح الصَّايح من

(١) أ ينسوا.
(٢) إسم شخص.
(٣) إم شخص.
(٤) اصحابه.
(٥) اكل.
(٦) جمع جمعه معروف.
(٧) خ غصيب.
(٨) ماسكة أو متمسكة (وهو من الأمثلة الدارجة لأهل صنعاء).
(٩) من الغوغا وهي بمعنى الفوضى.
(١٠) اصحابه.
(١١) السطح سطح القصر.
(١٢) بمعنى أبصر يبدلون الصاد سيناً.

ميدان دار الذهب، وأول من صاح ورجم وقام مع الشيخ، رجل مصّيح[1] في غنم من أهل باب اليمن إسمه مُطَابِز[2]، وتبعه الغوغا وكسروا باب الدار، ورجموا الكشك بالحجار حق الإمام وتغلّق باب القصر، وقامت فتنة كبيرة أولها في محسن معيض، وآخرها على الإمام، وخرج معيض إلى بيته بعد أن أخذ أصحابه أداة[3] من حق أصحاب الإمام والعاقل والدويدار وغيره، وقد كان نزل عبد الله يوسف حويدر إلى السمسرة، وَبَنَا من نفسه المَعقلة بدل معيض لما في قلب كل واحد على الثّاني، وقد كان أمره الإمام يقع بدله.

وبعد ذلك نزل معيض وانجلت المعركة، ورجع معيض يلقّط أصحاب الإمام للحبس والسّادة، وخرج من صنعاء سيدي حسين [إلى] الروضة، وما هي إلا إرادة من الله للمعيض، الأوّلة[4] أنه تبرّى من المتوكل، وأدى[5] له على طبيعته، والثانية جواب لما سيأتي، لأنه خدع الإسلام والمسلمين بما ذكرنا من القواعد والطوابع في خلافة سيدي الشرفي[6] والله غالب على أمره (ويريكم آياته)[7] وصدرت تلك الكتب والختوم[8] من طرف[9] عبد الوهاب مَرِحَ في سنة ١٢٧٩ إلى مكة، وتَسَبَّب ذلك لما سيأتي إن شاء الله، وفرق الله شمل الظالمين، وفرّ معيض من صنعاء بعد خليفته إلى محل إقامته وهي الروضة، وعامل صنعاء علي الآنسي خرج هارباً إلى دار سلم، ودخل سيدي محسن المتوكل من الغِرَاس إلى جَدِر، ومن جدر وصل سَنَعْ ودخل صنعاء بعد خروج معيض، وسيدي حسين،، وقبض الادراك[10] حق المدينة، وعَمَّل فيها السيد محمد المطاع وفعل فيها سيف خلافته السيد محمد بن قاسم الحوثي[11] وفعلوا في باب شعوب حسين شندق، ورجع سيدي الغراس وبقي مدة وتسببت الأسباب، وقتل قتيل من ذوحسين من بيت الشايف في جبل عمران، وخرجت ذو

---

(١) كأنه سمسار.
(٢) كأنه لقب نُبز عليه، والمطابزة في عامية صنعاء النميمية والوقيعة بين الناس.
(٣) بمعنى أدوات. أشياء.
(٤) كذا في المخطوطة.
(٥) بمعنى أعطاه على طبيعته.
(٦) يعني به حسين بن هادي ويطلق أهل صنعاء ونواحيها على كل من اسمه حسين الشرفي أو شرف الإسلام.
(٧) من الآية الكريمة ٧٣ من سورة البقرة.
(٨) جمع ختم معروف.
(٩) من طرف بالفاء أي من جهة.
(١٠) موضع الحراسة.
(١١) من الدعاة في برط مهاجراً وكان من العلماء توفي سنة ١٣١٩ (أتحاف المهتدين ص ٩٦).

حسين على الجَبَل، واستدعوا المتوكل من الغراس، وعيال سريح، والجبل استدعوا الهادي حسين بن المتوكل، وخرج من الروضة، وبقي عندهم في ريدة، والمتوكل في الصَّيد، واقتسمت ذو حسين فريقين مع الخليفتين، ووقع حرب وسدُّوا[1] في القتيل، ووقع السَّبب المذكور بين المتوكل وعيال سريح، وأما سيدي حسين المتوكل فرجع الروضة، وثارت الحرب بينهما، وبقي سيدي المتوكل في الصَّيد أياماً ونقل إلى المنجدة، وعضدته حاشد، وبعد تغليق الأمور وانشراح الصدور، وذهاب البؤس وإزهاق الدماء وقتل النفوس، وصل سيدي إلى الغراس، ورجع جَدِر، وخرج سَيِّدي محمد بن عامر من المشرق، وهو دخل ينكّفه لسيدي محسن، وخرجوا معه ذو حسين، ولما دخل سَيِّدي محمد بن عامر لما ذكر، تبعه سَيِّدي غالب بن محمد بن يحيى ينكّفه لنفسه عند ذو محمد، وماكان القصد إلا التحريب على السيد محمد بن عامر والمتوكل، وعضد سيدي غالب أنسابه[2] بيت البحر لحتى أصلوه[3] الروضة، ووصل سيدي محمد بن عامر بذو حسين عند المتوكل، وَتَجَهَّزوا على مخرج آنس، وحطوا رحالهم في قرية (أسلع) أولاً وأطاعوا جلهم في/ جهران وتقدَّموا على قبة حثيث، ودخل ضوران، وطلع الجبل وزار الإمام وواجهة أهل تلك البلاد، ووزيره محمد بن إسماعيل الكبسي[4] وبعد تقدَّموا[5] الجند على بني خالد، وسيدي بقي مكانه، وأخذوها عنوة، وبقيت المفاوتة[6] بين عامر ابن علوان العذري، وبين أهل بَوْقة لأن عاد كانت أرحب مع سيدي، ورجع من العدوية وباتوا في جِزْيز، وبقي في حزيز، وفي خلال تلك الأيام ومعيض في الرُّوضة بعدما أخذ صنعاء أصحاب المتوكل، بقي يشاغل صنعاء معيض[7] وأهلها وخَلاَّ من يَدْخل يحرق بالباروت بيت الثُّور في المدرسة، ودَفَع الله وحَرَق من البيت جانباً، وسلمت النُّفوس، وزِدْ عَضَّدوا معيض عيال أحمد ناصر من شعوب، وعامر بن صالح دغيش، ودخلوا في شمس بيضاء[8] أذان الظُّهر أخذوا باب شعوب عُنْوة، وقتلوا فلان الحيمي باب بيته في المِحْوكة، وكان سيف الخلافة في القصر، ووقع فيه

---

(١) اصطلحوا.

(٢) أصهاره.

(٣) أوصلوه.

(٤) من العلماء له مؤلفات منها اللطائف السنية توفي سنة ١٣٠٨ (انظر مظادر الفكر ص ٤٥٩).

(٥) أي تقدم.

(٦) التردد أو الاختلاف في الترجيح.

(٧) أي وبقي معيض يشاغل صنعاء وأهلها.

(٨) أي في واضحة النهار.

إرجافة، وخرج منه بغير ضربة ولا طعنة، ولا قد أحد ناوشة حرب، ولم قد وقع غير أخذ باب شعوب، وترك القَصْر طوعاً، وعنده باقي التَّوابع، وعاتبه المتوكل أن لو أرسلت إلينا رسول لأرسلنا لك بألف أو يزون[1] ومحتاجاتهم، وما علم سَيِّدي محمد بن قاسم أن المتوكل طرح على صَنْعاء سنين حتى ملكها وقَصْرَها، والسيد تركها بمجرَّد بندق قَرَحت في باب شعوب لا غير، وهرب إلى جَدِر، فوصل وبلغ إلى سيدي الإمام فلم يأذن بالدخول، وذلك لتركه وهربه من ذلك القصر المشيد، وقد رأينا[2] خلق كثير يثبتوا في حروب في البراري والقفار، ويعلقوا نفوسهم في متارسهم، فكيف هذا الذي خرج من القصر، وعنده محتاجه، وهو سيف الخلافة، ولو أرسل رسول حال الوقعة ظهراً ما جاء العصر إلا وعنده قوم كثير من عند الإمام بزادهم، ولكن[3] هذا يَدُلُّك على جبانته، ولو رأيته وهو راكب على حصانه مدّور لعمامته يدلك فعله وحركته على أنه يصاد[4] ألف فارس في ميدان الحرب، ولكن كما قيل شعراً:

إذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا[5]

وحيث قد جاء ذكره على غير تأمّل فلنذكر دعوته الفاسدة، وتجارته الكاسدة فإنه لما خرج إسماعيل باشا بعد مدَّة مصطفى عاصم في أول سنة ١٢٩٧، أطلق المحابيس العلماء الذين[6] في الحديدة فوصلوا صنعاء، وقد أقسموا أن ما سيقف منهم أحد وأنهم سيهاجرون ويعظون[7] الناس، ويذكرونهم كونهم[8] القدوة وورثة الأنبياء، ولهم إمام قائم ولا سيما حيث قد جَرَّبوا الظلم في نفوسهم، وسببه تصاغيهم ومعاونتهم للظَّلمة فأراهم الله غبء فعالهم، فلما رجعوا تمّموا[9] وتحنّوا بالحنّا، وترفّهوا، وحسبوا ذلك إمتحاناً، إلاّ هذا العلامة السيد محمد بن قاسم فإنه بقي في صنعاء مدة يسيرة، ورحل للخريف[10] في السِّر، واستل على حين غفلة من جميع الناس وفرحوا

---

(١) كذا في المخطوطة ولعله أو يزيدون فسقطت على المؤلف.

(٢) خ رينا.

(٣) ح ولاكن وهذا يتكرر كثيراً مع كل ذكر لهذه اللفظة فلا نطول على القارىء بذلك.

(٤) كذا في المخطوطة وتقري يصادر (مختلطة).

(٥) من شعر المتنبي.

(٦) خ الذي.

(٧) يوعظون وفي المخطوطة بالضاد.

(٨) فصيحة تستعمل في عامية أهل صنعاء وهي تقابل الكلمة التي يستعملها الكتاب في وقتنا هذا وهي «حيث أنهم» أو لأنهم القدوة إلخ.

(٩) من التحمم وهو الاغتسال.

(١٠) الخريف بمعنى الاصطياف وهي فترة يقضيها أهل صنعاء في الضواحي المحيطة بالمدينة ويمضوا فيها مدة الخريف.

بـذلك العام والخـاص، له بالرحـلة مع السّلامة وإنـه سيعين القـائم بـأعباء الخـلافة الـذي دعا في سنة ١٢٩٦ وهـو الهـادي لـدين الله شـرف الدين محـمد، الـذي دعـا في الأهـنوم بعد وفـاة المتوكـل المحسن بن أحـمد، فـما تم لذلك السّيد من حـين أطلق من الحـبس نحـو سنة ويـزيد يسير، إلا وقـد دعا من بـرط لنفسه وتلقّب بالمهـدي، وترسَّل ونـسي أن الآخـر داعي، ولو أنـه اجـتمع بالهـادي، ورأى منه ما يخـل بالشروط، كان أثبت عند الله، وعند النـاس، ومـا لامه أحـد، لكـنه[1] لم يتواجه هـو وهـو، إنمـا على ما قيل من المبغضيـن، والنـاس لا يرضوا بحـال ولا بأجـد بـل يقـدحوا في كـل أحـد، وقد قالوا في آبـائهم، وكـان التأني والفحـص والتحـقيق أولاً [ ] ومـا ذلك منه حـيث كـان طالباً للخـلافة إلاّ حسداً منه للقائم، وإن هـو على ما ظهـر لنا وتحـقق لنا، فهـو مغرور لأن الفقهـاء والمصدقون الـذين كانوا مع[2] المتوكـل، كـان رحـمة الله مـطلق لهـم العنان، حـتى أنهـم أخـذوا حـقوق الأراضي لهـم، ومـا كان يرجعوا للمتوكـل إلا بشيء يسير، بحـيث أن بعض السّادة أرسل رسول من بـني حـبش بمئتـين قـرش حـجر، وكتب صحـبته كتـب منها للمتوكّل وصـدر للمتوكـل بأربعـين قرش، وكـتب إلى بيته ومـئتين قـرش، وتحـرا[3] الرّسول في ذلك لا يغلط بالكتـب وكـان الإمام في المِنْجـدة في حـاشد محـتاج، والجهـاد قائم على عيـلال سريح، ولم يـكن في تلك الحـال عنده من المال شيء لا نقير ولا قطمير[4] ولكـن الرسول صاحـب ديانة صادقة يعـلم أنها كـلّها لبيت المال، فما وسعه دينـه إلا ظهـر للإمام بصفـة[5] الواقع وقَبْضه[6] الكتـب جـميع، فـرامها في نفسه إن هو لحـاجتها وكونهـا بيت مـال أخـذها، وإن هـو لتنفير السّيد المصـدق ولما سيترتب على ذلك من الفساد، وكونهـم ما يـريدوا إلا مصـالح نفوسهم، فاحـتاج المتوكـل رحـمة الله تغـاضي وصـبر، وخـلاً كـل شيء على أصـله، فـلما قـام الهـادي شرف الـدين، وعنـده أخـبار الفقهـاء والمصدّقين تولّى كـل شيء بنفسه، وكـذلك من قَبَضَ الحـقوق يسلم أجـرته من يـده، فيبست أيـدي الفقهـاء، وراجعـوا الهـادي، فـلم يتراجع، بـل تولّى كـل الأمور لعـدم الثّقـة بالجمهـور، فمـالوا الفقهـاء إلى السّيد محـمد بن قـاسم المذكور، فأمرهـم السّيد بالبقاء[7] على عـاداتهـم أيتـم المتوكل، فقدحـوا في الهـادي عند الحـاضر والبـادي،

---

(١) خ لاكنه.

(٢) خ معـا وهذا يتكرر فلا حـاجة لإعـادته هـنا.

(٣) خ بـاأول.

(٤) من الأمثلـة الفصيحـة والنتنة في ظهـر النواة والقطمير القشرة الرقيقة حولها.

(٥) خ بـصفت.

(٦) خ قبـظ.

(٧) خ بلـقا.

ونصبوا السيد محمد بن قاسم الحوثي، وخرج من برط إلى[1] حوث وشق العصا وممن عضّده أهل حوث وأهل ضحيان وصعدة والعُنفي[2] والسيد محمد بن محسن المتوكل، ومقصدهم ما ذكر، وما آل من قيام المهدي إلاّ أراحت الأتراك والتخريب على الهادي، وتفرق العباد في جميع البلاد، وتعيّشوا المتفيقهون[3] وتركوا الهادي، وأقامه الله فإنه قام بعصاته لا يملك شيء، فأتم الله له أمله، وبلّغه مراده، وملك الخيل والمدافع والبنادق والشّاشخان[4] والعربيات، ومكّنه الله من جميع البلاد، وأحبه العباد محبّة ما أعلم من سِنّي أنها وقعت لإمام، وما قد رأيت ولا سمعت بإمام أجْمع على صحبته المخالف والموالف سواه، والباقي من المخالفين لا يعدون لأنهم نفس يسير في الإجماع، لأنهم طالبين مصالحهم، وما خلافهم إلا لهوى نفوسهم، ووالله ثم بالله ثم تالله لو زِدْ كمل الهادي بخصلة واحدة قد عرفته بها وليس هيه[5] قدح في حقه فأما هو فأكل جميع الشروط [إنما هي النصيحة مما يقرب النافرين والثقة للمؤمنين وعدم تولي الأعمال من لا يصلح لها وما كسب ذلك وقد شاع وأما هو فما والله أحد يبلغه في سيرته زهد وكرم وبخل على من لا يستحق وشجاعة وتدبير وهَكم ومداراة وصبر وتغاضي وعدم البادرة وجميع خصاله محمودة ودين ما في مسلم وخوف الله إلا في الأمور الذي تخالف الدين تخالف الشريعة فلا يخشى في الله لومة لائم هذا بإخباري له مسنين وأشهر ملازمة في جميع الأوقات] إن قد أصفى[6] اليمن ولا خرج من بيعته أحد، ولكن نقول ما قاله السّلف الصالحون لا حول ولا قوة إلا بالله[7] فذلك اجتهاده لنفسه، وكل مجتهد مصيب، فيكفي المسلمين منه إنتصابه للظالمين ومباينة[8] الفاسقين، والتصدر للأعباء[9] ورجع المهدي برط، ولا نتج من دعوته إلا إراحة الظّالمين، فأي جهاد فتح، وأي بلاد استفتح وأي صدر بقيامه انشرح، وأي ظالم بقيامه كَلَحْ، وأي مسلم أفلح.

---

(١) خ الا.
(٢) هو العلفي يبدأون اللاز نوناً مع كثرة الاستعمال.
(٣) مدعوا الفقه أو الفقهاء المتزمتون.
(٤) نوع من البنادق في ذلك الوقت واللفظة أعجمية.
(٥) هكذا في النطق وهي بمعنى هي.
(٦) أي جعل اليمن من صفاياه أملاكه.
(٧) استظهر هذه الخصلة التي عابه بها فيما بعد وهي عدم ميله للنصح والمشاورة.
(٨) خ مباينت.
(٩) خ للأاعبا.

ونرجع إلى ما كنّا بصدده:

وأماسيدي حسين الهادي الذي في شبام، فإنه بقي مدّة لا سياق إليه ولا عيش هني، إنما من شهر إلى شهر في وهين[1] وأخبر أنه مُنْتَظِر لأخيه[2] الرّعيني[3] يظهر من قرى جِمْير، فبقوا النّاسٍ منتظرين معه، فلما كان ذات يوم في رمضان سنة ١٢٨٠ أو إحدى وثمانين إلاّ وقد أخبر أن الرّعيني في ذلك اليوم يظهر فتهيّأ العباد لرؤيته، ولا سمعوا إلا المرافع تضرب من بابه والإشعار به، فتجاروا[4] من البيوت والأزقة حتى المرضى لرؤيته، وإذا هم برجل راكب على حصان لابس جَلاَيَهْ[5] ذهب وإذا هو الحاج عبد الله بن عبد الله حسين الزُّهيري صاحب ثِلا فتيقّنوا الذّهاب والبلا، وتفاقم الأمر عليه وجاع من لديه، وكان يركّب فوق خيله من لقي ليتسبّب الغلمان وتشبع الخيل، وضاق بهم الخِنَاق، ورحل إلى ضِلاع هَمْدان، وبقي فيه عند الغَشْمي، وضربوا ضربة، وأماالشيخ محسن لما أرسل أهل شعوب نحو عشرين نفر وقبضوا باب شعوب على مولاي سيف خلافة المتوكل سيدي محمد بن قاسم الحوثي. إلا من فر وقتلوا الحَيْمي وأمسوا[6] يومهم، وتبعهم الشّيخ محسن من الرّوضة في اليوم الثاني، ودخل من الخندق القبلي، ولقيه عبد الله حويدر، وفي ذهن محسن سيقيم في بيت حَوَيدر، ولكن عبد الله حويدر كان مقدام أمره بالطلوع صنعاء، فطلع وفرايصه، تَرْتَعد قطعاً، وكلما وصل إلى محل بَنَا[7] الوقوف فيه، وحويدر يجرّ بالعكسر حتى أدخل السَّمْسَرة الذي كان يجتمعوا فيها للباطل[8] ومع النفاق، وقد هرب السّيف محمد بن قاسم وأصحابه (خلا لك الجو فبيضي واصفري)[9] فخلا له

---

(١) وهن.

(٢) خ بل أجبه.

(٣) هو ما يشبه المهدي المنتظر وفي بعض الروايات يرد اسمه بالقحطاني وفيه الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير «. . . ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً يؤمر بعده القحطاني» انظر «الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة لصديق القوجي من ١٣٩ ط المدني.

(٤) أي أخذوا في الجري.

(٥) ثوب فسيح الأكمام مطرز بأسلاك من الحديد اللماع وكذلك الحصان يغطي بعضه حول عنقه. وفي قانون صنعاء من ٣٢ هي جبّة واسعة الأكمام من الثياب الحرير مقصب بخيوط بالفضة أو الذهب لا من غيره فتسمّى جلاية وإذا كانت من الجوخ فتسمّى جوخاً والشكل متقارب.

(٦) دخل عليهم المساء الليل.

(٧) قرر أو اعتقد في نفسه.

(٨) وهي المعروفة بسمسرة العتر.

(٩) من الأمثال الفصيحة وهو من رجز لطرفة يقول فيه:

يا لك من قنبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

الجـو ومـلك صنعـاء في لحـظة واحـدة، وبـقي مـدّة ورجـع سَيِّـدي المتوكـل لمحـاصرته حـسب عادته، فـرأى أن مـا يـقع إلا يفعل إمـام ويُسنـد الأمـور إليه، ويـكون منه وإليه مثلما فعل بحـسين بن المتوكـل، فكـتب لسيدي حـسين بن الهـادي، وأدخـله من ضـلاع ضَحْـكة[1] بين النـاس مثـلما ضحـك على من قبله، وما هـي بأول[1] فنقـل سَيِّـدي المتوكـل إلى بيت[2] سَبَـطان، وعـمر فيه حـصناً مانعـاً، واشتـد الحـصار، وضـاق بأهـل المدينة الخـناق، وطـلعوا للشيخ محـسن نـاس عقلاء، وقـالوا لـه: ما بينـك وبين المتوكل، فمـا قد صدر منه إليك شيء لفعـالك هـذا أهـلكتنا، وإنـما نحـن نَسْعـى بينـكما بما تقّر به صدوركـما، ومـع ما قـد نـاله من الحـصار وَسيِّـدي حـسين معه آله لا له ولا عـليه فأسعـد، وتشرط منهـا إقـامة الشَّريعة لا بـأس والرَّفع إلى الإمـام، وينصـب للإمام شيخ إسلام من لـديه، وإقـامة الحـدود تـرجع إلى الإمـام، ورفع الأحـكام والخـطبة للإمـام، وخـرجوا إلى الإمـام بـذلك، فـرأى الإمـام (حنانـيك بعض الشَّر أهـون من بـعض)[3] فأسعـد، ولو لـم يـكن إلا إقـامة الشريعـة، وسـلوك ضربـة المتوكـل، ومنـع كـل ضَرْبـة تظهـر عليهـا فباطـلة، وصلحـت الأمـور وارتـضى بـذلك الجـمهور، ولكن كـل واحـد لا يثق بالثَّـاني وإنـما الشَّريعة بالظاهـر، وأخـرجوا سَيِّـدي حـسين الهـادي من حـيث جـاء (وكـان لـم يـسمر بمـكة سامـر)[4] وفي خـلال ذلك قتـلت عبد الله حويـدر، تسبب لهـا الشيخ محـسن لأن ما عـاد كـان معه ضـد إلا عبد الله حويـدر، وفي قلب معيض من حـق حسين بن المتوكـل، حـين قـد كـان وقع به فـما كـان سيقوم بمعقـله صنعـاء إلاَّ حـويدر، وقد كـان شرع ساعة الوقعـة بمعـيض، ولعـله منـافس في ذلك، فـلما تمكّـن منه معـيض، خـلاَّ من هـجم عليه إلى بيته وقـبضوه وأطلعـوه الحـبس، وبعد يـومين أرسـله إلى سـيدي المتوكـل إلى جِزْيَز والسَّيـاف معه محـمد بن محـمد بن أحـمد نـاصر صاحـب شعـوب، وأخـرجوه من صنعـاء هـو وعـلي نَشْـوان ولُـطف سَرْحـان، فـما وصـل عند المتوكـل إلاَّ هديّـة وجـرادة إلى فحـم حَوَّاني[5] لأنـه كـان كـلما تنجـح عـليه الحـصة في صنعـاء يخرج إلى سيدي ويبايعه، ويتعهـد له، وإذا لقي مجـال في صنعاء نكث مـراراً عـديدة، فـلما وصـل ضـرب عنقـه في الحـال، بـسبب نـكثه مـراراً والغَوْغـا يقـولوا

---

(١) مهزلة.

(٢) تستعمل في العامية الدارجة بمعناها الفصيح.

(٣) من أبيـات لأبي خـراش انظر الزهـرة ٢/٥٥٠

(٤) ما بين المعقوفتين من الهـامش ولا يكاد يقرى.

(٥) حـيوان كالحـربا يأكـل الهـوام.

أنه قتله لأجل معيض كونه أرسل به ويريد قتله ويبا[1] الله ذلك أن سيدي يجابر معيض بقتل نفس فمعيض أكبر أعدائه] وبقي المتوكل في قلبه جهاد الباطنية ولا زال يسأل[2] الله التّمكين والنّصر بالفتح المبين ولا زال يدأب.

وأما سيدي حسين الهادي فأيس[3] من الخلافة، ورجع القَرْية وسكن وطَوى[4] عنها كَشْحاً وأضرب صفحاً.

وأما الغشمي فادعى أن له غرامة مع الهادي في قيامه، ورجع يطلب من أهل صنعاء غرامته، فلم يقف على طائل، ونهب حمولة كبيرة تجارية أكثرها لأهل الرَّوضة، وبينهم وبين هَمْدان ضغائن، فدخل أهل الرَّوضة إلى الشيخ محسن يتضرعوا عنده ويبذلون له/وقبضوا في صنعاء في هُمْدان نحو أربعين نفر، وأطلعوهم الحبس وحذروا أهل صنعاء الذين يعتادون السَّفر من المرور وَسْط هَمْدان، وكان الذين يَجِوْ[5] من بلاد كوكبان يخرجوا من شبام بلاد أرحب، والذي من تهامة يجو سهام فأيس هَمْدان من أهل صنعاء، فرجعوا على صاحبهم الغشمي، وكادت الفتنة بينهم تثور[6] فاحتاج وَرَّق[7] في ثمن الحمولة في ماله، وخرج فقير لا له ولا عليه، أعمى نظره بيديه، وسكنت الضوارب، وأيس معيض من كل قايم، فما حصل معه بذلك إلا المآثم، ولكنه أغواه الشيطان، وكان يرجع يعاقب بعمله ويتحقق له سوء فعله، فسبحان الباقي الذي لم يتغير ملكه.

[خروج المتوكل على يام إلى الحيمة مرة أخرى سنة ١٢٨٥]:

وفيها تقوى في بال المتوكل على النهوض على الحيمة لجهاد الباطنية، وطلب القبائل أرحب، فوصلوا كبيراً وصغيراً ونهض، وأمر الشّيخ محسن يهيىء له المحتاج من خَبّازين ونَجّارين ومُقَهْوين وجميع المهر، وخرج من صنعاء وغيرها للجهاد ناساً قليل أخلاط، ونهض الإمام من جِزْيز على بركة الله، وطرح في بيت ردم، وتقدمت القوم، وأخذوا رأس البلاد، وأرجفت يام رَجْفة كبيرة وأيقنوا بالهلاك ووقعت في الزيلة قتله يشيب منها الطّفل، وقد كانت الزيلة ملآنة من يام، ووقع المطرح

---

(١) كأنه ويأبى الله ذلك.
(٢) خ يسل.
(٣) خ فاايس.
(٤) خ طوا.
(٥) يأتو.
(٦) خ ثور.
(٧) أي كتب على نفسه في ذمته.

عليهم وبعض من القوم جَتْ[1] طريق جعلل وتحاصرت الزيلة محاصرة عظيمة، ولم أمكن أهلها يفتحوا لجند المتوكل، وما بقي إلا الهجوم على القرية وعلى من فيها، فهجم القوم، فلما رأوا رصاص يام، وهم قبائل طغام ليس مقصدهم إلاَّ النَّهب والسَّلب، وهو عندهم أكبر المرام، اكتسروا من القدوم وترازا[2] الحرب، فلما رأى ذلك السِّيد العلامة الهمام علم الإسلام سيدي قاسم بن محمد من آل الإمام، أخذ الراية المتوكلية، وجَرَى نحوهم، فلما رأى ذلك القوم داخلهم النَّقص في نفوسهم، وثارت الحمية في قلوبهم، فصَمَّموا بعده، وقفزوا وتهافتوا على القرية مهافتة السباع ودخلوها عنوة وجدوا، واجتهدوا وقاتلوا قتالاً ينبي عن ديانة وغيرة لله، فبعضهم أحرق الدور بالنيران، وبعضهم أَخْرَبَ في الدور، والبعض كفلوا المرافِصْ والشرط وأحازوا[3] يام في المحل، حتى لم ينفلت منهم أحد وصاحت (يام) بالأمان والإعلان بالطَّاعة، وكل من قتل احتزوا رأسه، ودخلوا على دار فيها نحو خَمْسين رجل من يام، ومن شدة ما نالهم وما رأوا أيقنوا بالهلاك، فاجتمعوا إلى ديوان واحد، ودخلوا قوم المتوكل ولم عد يجدوا فيهم متحرك، وسلموا سلاحهم، وقتلوهم قتلة واحدة حتى أتوا على آخرهم، وخربت البيوت المانعة، وإطاعة البلاد الشاسعة، وجمعوا جميع ما في الزيلة من أثاث وسلاح ومواشي وطعام، وجمعوا رؤوس القَتْلَى من يام وغيرهم ممن كان في القرية محارباً، وأرسلوا بها إلى عند الإمام المتوكل إلى بيت ردم والإمام/علق بعضها في الحصن عنده وبعضها أرسلها إلى صنعاء فوق جملين وأتانين أو ثلاثة، ووصلت وقت العصر إلى باب الشيخ محسن، وكان لوصولها موقع عظيم في قلوب الناس، وأيقنوا بنصر الإمام وإدبار يام، وبقي الشيخ محسن في وجل عظيم من المكرمي[4] كون الرؤوس وصلت إلى بابه لأن في قلبه مرض، وماله رضا بهذا الغرض، بل أنه مداهن، ولم يسعه إلا امتثال لطاعة الإمام بصلب الرؤوس في الأبواب وتسليم البغاشيش[5] للواصلين بها، ولعله كان مكاتب للمكرمي، وبعض التُّجار في صنعاء كما قال الله تعالى: **﴿ولكن أكثرهم للحق كارهون﴾**[6].

---

(١) جاءت.

(٢) هدؤا أو توقفت الحرب.

(٣) حاصروا.

(٤) نسبة إلى المكارمة وهم جماعة من الباطنية في اليمن.

(٥) جمع بقشيش وهو ما يعطي مقابل تسهيل مهمته وهو من الفارسي.

(٦) سورة الزخرف الآية ٧٨

ولما فرغوا من تمام قرية الزيلةتوجهوا نحو العر وما حوله، والمباشر والأمير الكبير على الأجناد العلامة الهمام محمد بن يحيى حميد الدين[1] طرح في الخرابة خارج العر، ودخلت القَوْم جميع البلاد وفَتَحُوا لهم البيوت وتخطَّطوا فيها، ودخلوا جميع البلاد، وأطاع أهلها ورأوا[2] إنصاف الدولة وعدلها، وفتح لهم الحاج أحمد المهدي وحتى وصلوا الحصن حقه، وصلت الجند المتوكلية إلى أسفل الحيمة حتى أرجعت حراز بمن فيها، وكانوا فرسان[3] الطاعة للإمام، فلما رأى ذلك الدَّاعي خشي على استيصالهم حراز ورأى[4] كم ذَهَب من أصحابه، فبذل الأموال وسَعَى أعوان الشَّيطان إلى أرحب، ورأوا ما قد جمعوا من نهب الزيلة، ولا غاية نصب أعينهم إلا بيوتهم فأرغمهم اللعين بالدراهم، وأكثر المصائب من عقالهم، فأخذوها ولم يلتفتوا إلى أمامهم والسَّبب سوء أعمالهم وقبيح فعالهم، وكروا راجعين على أعقابهم، ولطف الله كون الإمام بقي في بيت ردم.

وفي خلال ذلك كان قتل السيد أحسن سليمان قتل في القزالي وكان متعشِّي هو ومن قتله في بيت السَّيد محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، ومن جملة[5] القتال[6] عبد الله حسين الدفعي وكانت لقتلته[7] في صنعاء وحشة عظيمة، وخرج ولده وبعض السَّادة ينكفّوا في أرحب، وخرجوا ذلك المخرج، وضبطوا الدفعي صاحب شعوب، وسيدي محمد بن عبد الله على الشَّريعة عند الإمام في بيت ردم، وطلع الجميع إلى حضرة المتوكل وتشارعوا عنده.

ومن بعد تلك الوقائع والحروب وكثر الشغل والقتال وغيره، سكنت الأمور وصلحت المدينة صلاحاً ما قد سكنت وصلحت فيما مضى مثله، في آخر دولة بيت القاسم من دولة محمد بن يحيى، لأن من أيام الترك سنة ١٢٩٥ لِمْ زِد سكنت من الشُّغَل أبداً، إنما إمام يسير[8] وإمام يجيى[9] وحوزة تقدح[10] وحوزة تنجح[11] وفلتت[12] فلتة واحدة في جميع

---

(١) هو الإمام المنصور فيما بعد.
(٢) خ رأو.
(٣) كذا ولعلها قربة الطاعة.
(٤) خ را.
(٥) خ جملت.
(٦) قدر كلمة ضرب عليها المؤلف بالمداد الأسود.
(٧) خ لقتلته.
(٨) يذهب.
(٩) يأتي.
(١٠) تلهب.
(١١) تنتهي.
(١٢) تفلتت.

الأقطار، ولم أحد زد احترم أحد، ولا بلد سلم من دون بلد، وكثر القَتْل، وفشى الطاعون في جميع أرض اليمن، وترادفت عليهم، بسبب ذلك المحن من عاهة العنب، وقلّ الرطب، وموت العباد، وكثر الجراد، ويبس البلاد، وقلت الأمطار، وغلا[1] الأسعار وموت الأخيار وتسلط الفجار، وقلّ في الناس أهل الرُّشاد وكثر فيهم أهل البغي والفساد، ولكن مع صلاح/نية الإمام المتوكل سكنت صنعاء وحوازها من بعضهم البعض، حيث ما يريد إلاّ الصلح والصلاح، وسلوك طريق الرشاد والفلاح، كف عن أهل صنعاء الحوزة والحصار، لعلمه بضعفهم، وأن الغلبة فيها لعاقلهم، وإن هُوْ معيض فقنع[2] من الخلافا[3] لما رأى من عدم الثقة بهم والصَّغا، وقد وثق على نفسه بما وقع بينه وبين المتوكل، وإن هُـمْ القبائل أهل الحواز فما كان يسبر[4] لهم المجال إلا بخليفة يفعلوه ويدخلوه صنعاء، وأهل اليمن وأهل صنعاء قطعوا اليأس من جميع الخلفاء حق القبائل، وصنعاء المحميّة هيه أم أرض اليمن، فما يسبر لأحد شيء إلا، بها فأيسوا الجميع، وأطاعوا المتوكل الرفيع والوضيع، والمتوكل قَنع منهم بما ذكر، وهيه إقامة الشَّريعة ورفع الأحكام والحدود إليه والخطبة، وذلك شعار الإسلام، وانتظر للفرج من الله، فسكنت صنعاء وحوازها[5] ودخل فيها شيخ الإسلام من عند سيدي السَّيد محمد إسماعيل الكبسي[6] برضاء أهل صنعاء وأقيمت الشَّريعة المطهرة، وكان هذا شيخ الإسلام الكبسي رجل هائل[7] ديِّن عرف بواطن الأمور، ويكفيك من دينه إقامة الشريعة وختم الله له بالسعادة بنيته الصالحة، فصلَحت صنعاء صلاح ما قد صلحت مثله من عهد المتوكل محمد بن يحيى، لأن رأس الأمور إقامة الشريعة، وإذا استقامت فهي بمنزلة الرَّأس من الجسد، إن صلح الرأس صلح سائر الجسد والعكس.

وبعدها ضَرْبَة السكة حق الخليفة، إذا هي على أساس دين، فكله يصلح، فلما كانت ضربة المتوكل رحمه الله على أساس، صلحت جميع الأمور في المدينة والحواز، وكان صرفها أربعين[8] مئة حرف عن ثمان مئة كبيرة ولكن كانت فيها

(١) خ غلاالا أسعار.
(٢) آيس.
(٣) الخلفاء.
(٤) يصلح.
(٥) ضواحيها.
(٦) سبق ذكره.
(٧) عظيم.
(٨) خ ميت.

فضة، وليس على قناها[1] خسران، بل أنها كانت لا توجد بالقَرْش الحجر، لأن الذّميين[2] لما اختبروها بقيوا يلفُوها[3]: كونها مُخَوْرجة[4] مع كل أحد، ماهية[5] مثل حق الماضين، ما كان يجي[6] القرش إلا نِصْف قرش، وأمّا حق الحَيْمي وشُوْع الليل فما عاد كان يجي القرش إلا قدر ثمن قرش، فعدم كل شيء، وأما هذه فوجد بها كل شيء، ولا زِدْ عدم في صنعاء شيء من جميع المحتاجات حَبّ[7] وسَمْن وحَطب وقِشر[8] ولو يقع لأحد منها مئة قرش ما قلق، ولا أيقن بخسران فيها، فما ذلك إلّا رحمة من الله لعباده، لشدة ما قد صادروا[9]، وأحسن نية صاحب الضّربة القائم، حتى أنها بقيت يتسالكوا بها إلا بعد وصول الترك بأيام، لحتى أن الذي لا خير فيهم غَشُوها بدراهم ردية اسمها (شَرَفية) ولكن قد دخلت الذُّنوب على النّاس بعدم متابعتهم لآل محمد.

ولمادخلت الدراهم الشرفية بين حق المتوكل مَحَقت[10] على جميع أهل اليمن، لأن قد كان الترك عند وصولهم فرحوا بها تقع دياوين[11] لأجل البركة في المصرّفات،ولكن مع عدم معرفتهم للشّرفية البطّالة[12]كان التّركي يصرف القرش من الدّراهم، ويسير يتصَرَّف بها، وإذا قد أهل صنعاء بيردُّوها لهم، لمعرفة أهل صنعاءبالشّرفية من زمان، فبطلت بأصلها والسبب ذنوب، ولم زِدْ رأينا[13]يوم ناهي[14] بل كل ساع[15]دون الذي قبلها، وأما من عند وصول العجم فتنغصت كل الأمم،

---

(١) اقتناها.

(٢) هم اليهود.

(٣) يخفوها.

(٤) مربحة.

(٥) ما هي: لم تكن.

(٦) يأتي.

(٧) قمح.

(٨) هو قشر البن.

(٩) شاهدوا عاينوا أي لقوا من المصادرة.

(١٠) عطلت.

(١١) أي صغيرة حقيرة.

(١٢) الباطلة.

(١٣) خ رينا.

(١٤) جميل.

(١٥) ساعة.

وزالت علينا جميع النِّعم، ولا بأس أن أول وصولهم أليَن لعدم محتاجاتهم من أرضنا[1] فهي علينا أهون، ولم قد أمعنوا النَّظر فينا، وصار ضرّهم فينا من المطالب[2] وأما قبل وصولهم بنحو ثلاث أربع[3] سنين، وهي الذي ذكرنا أيام ما أيسوا أهل صنعاء والقبائل من الفساد، وتسوية[4] كل قبيلة خليفة، ودانت لسِّيدي المتوكل، ونفذت أحكامه، فما هي إلاَّ جَنَّة، والسبب صلاح نيته وصلاح طويته، وبالنَّظر[5] إلى ماقبل فما هي بجنب دولة الإمام النَّاصر رحمة الله والهادي والمهدي وما قبلهم، فما هي بشيء والسَّبب قوَّة شوكة[6] الإمام ببيوت الأموال، ولم قد دخلت أيدي القبائل في الدّول، والسبب قيام الشَّريعة، وتنفيذ الحدود فهي في قيام الدين غرة، وعلى أهل العصيان والفسوق مرَّة.

هذا في الأيام الأخيرة [ ] وما هي بشيء بالنظر إلى أيام المهدي أحمد ابن الحسن[7] والمتوكل على الله إسماعيل[8] وأما غرَّة الدنيا عند أهل الدنيا لا أهل الدين، فأيام المهدي عبد الله، وصنوه الهادي محمد بن المتوكل، فهي الغرة لترفيه المترفّهين وجمع حطام الدّنيا الفانية، ولا بأس إذا كان فيهم ناس موصوفين بالخيرية[9] من المحاسن والصدقات، وقضاء الحاجات[10]وإقالة العثرات، وتفريج الكربات.

ولكن الزمان تبَسَّم لأهل ذلك الوقت، والسَّبب أن أرض اليمن كلها في يد الدولة ببنادرها وَيَمَنها ورَيْمه وعُتْمة، وجميع الجهات، حتى أن التبن ينساق من أطراف البلاد فيما سبق من برط، وآخره في أيام المهدي من عَمْران تبن للخيل.

وكانوا جميع الخلق معتاشين مع الدولة، فإنهم أخبرونا من شاهدوا ما نذكره، وحال الرقم وعادهم أحياء يرزقون، فأول الأمر أن الخليفة منقاد للشريعة المطهرة، ولو على نفسه، وما يملكه، وكان شيخ الإسلام مهاباً لتنفيذه لكتاب الله وسنة رسوله

(١) خ أرضننا.
(٢) هنا قدر كلمة مضروب عليها بالحبر بقلم المؤلف.
(٣) يريد أن يقول بنحو ثلاث أو أربع.
(٤) خ تسويت.
(٥) خ بلنظر.
(٦) خ شوكت.
(٧) هو صاحب الغراس سبق ذكره.
(٨) حكمه سنة ١٠٥٤ ووفاته سنة ١٠٧٩ (انظر أتحاف المهتدين ص ٨٢).
(٩) بالصلاح.
(١٠) خ قالت.

ﷺ، ولم أحد يشهد عليه بأخذ نقير ولا قطمير من المتشاجرين، والسبب أن معه قِطَع مثل رصابه[1] والرونة[2] وغيرها تذّي[3] أقل ما يكون ألف قدح[4] طعام، ومثلها عدد أنصب غنم، وعاد معه من الحيمة مصروف في كل شهر نحو مئة قرش حجر، فيأكل معه كل من عَرَفه وجاوره، ولم يدخر شيء مما حصل.

وبعده سادتي آل الإمام مثل سيف الخلافة وأضرابه، قِطَع ومصاريف، وأكل معهم[5] كل من دخل عليهم، وعرفهم وعرفوه.

وبعدهم الوزراء خمسة ستة، كل وزير على بلاد، تهامة وزير، اليمن[6] وزير، آنس وريمة وعتمة وزير، البلاد الغربية وزير، الجمال وزير، الصَّوافي[7] وزير، العكفة[8] وزير، ووزير الختام[9] عند الإمام فوق الكل، وكل وزير يغرف من الدنيا كغرف المحر[10] فما كان يتوازروا[11] إلا سَنَتين ثلاث، ووقعوا[12] به ولقيوا[13] عنده أموال لا تحصر كما ذكرنا لك أول الكتاب، وكل وزير متعيشين معه خلائق لا تحصى، وتحت كل وزير عمالاً في الأراضي، مثل وزير تهامة تحته ثلاثة أربعه عمال من كل بندر، وكل مدينة، وكذلك وزير اليمن، تحته في كل مدينة عامل، وكل العمال بيأكلوا ويعتاشوا معاهم خلائق الكتاب والمعاريف[14] الأصحاب الخدامين حق الدولة، وحقّهم البّوابين حقّ الدولة وحقهم الوُفّاد والقُصّاد المتجوّلين إليهم، كذلك الأمراء خمسة سِتة وكبيرهم أمير القصر كل أمير عنده خلق فقهاء ومعتاشين.

هو لاء بياأكلوا معاهم أقل ما يكون عَشْرة أمثالهم في العدّ، وما تدور سنة

---

(١) مواضع في اليمن سيأتي شرحها.
(٢) مواضع في اليمن سيأتي شرحها.
(٣) تعطى.
(٤) قدر معروف من المكاييل معروف عند أهل اليمن.
(٥) خ معاهم.
(٦) الناحية الجنوبية.
(٧) جمع صافية وهي القطعة الأرضية والمخلفات العقارية.
(٨) رئيس الحرس الملكي.
(٩) جمع ختم وهي التواقيع.
(١٠) خشبة توضع على ظهر الثور لحرث الأرض.
(١١) أي يعين وزير.
(١٢) أوقعوا به.
(١٣) وجدوا عنده.
(١٤) الأصدقاء.

ثنتين إلا وقد تحوّلوا الوزراء والعمال والكتاب، وأتوا آخرين في أعمالهم، وقاموا معاهم[1] ناس آخرين كماكانوا مع الأولين، فاعتاشوا جميع الناس بسعادة بيت القاسم. الخدامين حق الدولة باب الإمام معاهم فَرْضَةْ، الداخل والخارج معاهم فيه مجال، ومعاهم الأوامر كل خدّام ما يرجع إلا بمئات فرانصى[2]. مرْشد الرَّداعي حصل له في أمر في دولة المهدي ستة عشر مئة، وآخر الأوامر في دولة محمد بن يحيى أن يِحصل في الأمر مئة قرش إذا كان لليمن أو غيره من البلاد النائية.

البوابين بكيلة[3] مقررة من اليمن، طعام نحو أربعة آلاف قدح، وثلث الأوامر لهم وثلثين للخدامين، وتقرَّر للبوابين من عند الحب المقرر إلى عند الشُركة[4] من المذبوح حتى الملح والحلبة في كل شهر، والحطب يومية[5] عيدان ضهيا[6] عدد والغدا والعشا مجرى[7] من الدار بسمنه بلحمه وقشره، لكل واحد ما يكفي أربعة خمسة، الغدا وقته من الدار، والعشا وقته، وذلك يكفيه هو وأهله، والكيلة والتقارير والأوامر ربح الغلمان، معاهم ثلاثة مذَابخ غدا وعشا وسمن ولحم، حتى شقاتهم[8] بتقارير ومصاريف وسبارات[9] وحقّ الركاب، حتى أن عاقلهم عنبه يتصدَّق ويأكلوا معه خلق كثير، وصدقات نافعات قروشاً حجر[10]لا سيما إذا ثم محتاج أو عزيز فما بالك بمن ذكر [ ] تقارير الأنفار من كل مخبازة غدا وعشا كل يوم نقي، للأمراء والخيَّالة وأهل العهد[11]جميع الذين يشلوهن مثل سلاح الإمام، أكله شربه قهوته حربات غَدَّارات[12] مضلَّات ما آذنة[13] شَوَش[14]نقبا تَوابع البساتين والقَصْر والأبواب، وجميع الدور بعَسْكر وبوَّابين، ولهم السَّبارات وللعسكر

(١) معهم.
(٢) هو الريال نسبة إلى فرنصا.
(٣) معاش من القمح وغيره.
(٤) اللحم.
(٥) أي كل يوم.
(٦) نوع من أخشاب الوقود جيدة. (وانظر أسماء النبات ٣٩).
(٧) مسبل.
(٨) جمع شاقي وهو العامل.
(٩) مقررات جارية.
(١٠) أي فضّة نقية شبهوها بالحجر لصلابتها أو لبياضها.
(١١) سبق شرحها.
(١٢) نوع من الرماح أو الخناجر
(١٣) جمع مؤذن معروف.
(١٤) جمع شاوش معروف.

الجامكية، والأوامر للجميع، وتوابع البرجامكية يسير من دون أنفار، ولكن ما يدخلوا إلا يوم الجمعة للحزبة[1] وأماالمرابطين فأكثر جامكية وأنفار، والجميع نحو أربعين مئة خمسين مئة، وما يصحُّوا[2] إلا ثلاثين مئة والباقي في بطون الأمراء والشّوش، والكتّاب، والوزير وكل واحد بيغرف دراهم والكسوة في السّنة لكل أحد من عند الخادم إلى عند المخدوم، ما خلا العسكر، فمالهم كسوة، وكل أحد ما يليق به الذهب والجيخان[3] والمصانف[4] والشيلان[5] والمحشات[6] والشيشان[7] والردون[8] والسبنيات[9] والقمصان والمحموديات[10] والدّسمان[11] هذا في رمضان، والطّاري[12] في جميع الأحيان، مثل يا وزير يا عامل يا أمير يا واصل، وعلى المُكْسي يَكْسي من جاء بها إليه، ويصرفه بدراهم، وأخبرني بعض النّاس أنه شَلَّ كسوة لوزير وأنه وقع له فيها ٢٥ قرش حجر.

وفي عَرَفة تقسّم الغنم لجميع أصحاب الدولة والمؤلّفين[13] والضعفاء والمساكين حتى إلى كل مسجد، وأنه أخبرني الذين في باب الإمام دائماً إن إحنا حسبناهن المقسّمات نحو خمسين مئة رأس بالمذبوح حق جميع الدور، أولاً المقررات نحو ثلاثين مية فيهم قَدْر الربع قد انقرضوا، وأما إذ عاد منهم أحد ولو مَكْلَف[14] صار لها ما كان لأهلها، وإذا لم يصلها شيء فعلت شكيّة والوبال على الكتّاب لأن التقسيم على بيانات قديمة، ومن قد انقرض ما يخدشوه[15] بل يأخذوه

---

(١) العرض العسكري.
(٢) ما يتحقق. أو مايصحّ في الواقع.
(٣) جمع جوخ رداء أشبه شيء بالعباءة من الجوخ المعروف.
(٤) رداء حريري يوضع على المنكبين جمع مصنف.
(٥) جمع شال رداء من صوف.
(٦) عمامة سوداء ذات خطوط حريرية.
(٧) جمع شاشة معرّوف وهي العمائم من الشاش.
(٨) جمع رداء معروف.
(٩) اظنها أردية منسوبة إلى سَبَن بلد من ناحية وصاب.
(١٠) ثوب يشبه العباءة مطرز بألوان قصيرة الأكمام.
(١١) شال يوضع على الرأس وقد يبدل النون بلام فيقال الدسمال.
(١٢) أي الذي يطرأ بدون مقدمات.
(١٣) أي الذي يعْتادون مثل هذا الإحسان.
(١٤) إمرأة. جمع مكالف.
(١٥) ما يضربوا على اسمه.

المحـوشين[١] وبعد تقسيم آخـر من الـدرح[٢] في الوقـفة والعيـد نحـو عشـر مـائة لك
يـريد الإمـام وهـن أكبر من حـقّ البيان لأنهـن من يـد الإمـام البـدع[٣] من عنـد
الخـلافة وشيخ الإسلام إلى عنـد الفقهـا حـقّ المَساجـد، وبعد مذبوح الدُّور جـميع
خـمس مئة، وحـق كوكـبان مئة، وأمـر الإمـام تقـسم نحـو مـئتين ونوافـل نحـو مئتير

وآخـر الكـلام يجـلس الإمـام بغير غـدا في أيـام معيض آخـر المـدة، وقـد أ
الكـلام ولكـن الشَّيء بـالشيء، يـذكر، فنحـن ذكرنـا غرّة كـل زمـان، إمـا إمـام دير
إمـام دنيـا، فهؤلاء التَّوابع والقـبائل الـذي بغوا على سـادتي بيت القاسم إلى أن د
الـدور وهتـكوا السـتـور، وآخـره قتـلوا إمـام الحـق عليه السَّلام والرضـوان، فـإذا سـ
المصنـف بالبغـاة فهـو إسم على مسمـى فمـا رضينـا وحَمَدنـا على ذلك حـتى أرانـا
هـو أعـظم، ومـاشكرنـا تـلك الأيـام أيـام المتوكـل المحسن بن أحـمد إلَّا كَوْنَـه[٤]
قوام الدِّين ومـا أحـد رضي به فـلما فقدنـاه وأيـن لنـا به، وحـيث أن نِيَّـته صـ
وسـبرت[٥] آخـر المـدة صنعـاء وحـوازهـا إلَّا لحـسن سيرتـه وصـلاح نـيته، فـلو
إحـنا[٦] مـا نـرضى بحـاله لـدانت له الحـواز والمـدينة، ولكـن الله بالمرصـاد لا :
صغيرة ولا كـبيرة إلا أحـصاها، [وقـد بنخـرج عن المقصود ولكن مـراد الرَّاقم يـذ
كـان سابقاً لأن قد انـدرس من صـدور النـاس، وقـد ماتوا أكثر النـاس السابـقين، مع
مـدة الأتـراك، ولو يـبقوا عشـرين سنة فوق ما قَدْ[٧] لأنـطمس ذكر بيت القاسم وآخره
يزد يلقوا من يخـبر بـما كـان، وما سيبقى مع الموجودين غير معرفة سيـرة الأتـراك ومـا
كـان شيء من بـيت القـاسم وحـسن سيرتهـم في العبـاد فـلا يحـصل لوم للحـقي
الكـلام الكـثير][٨].

ولكن حـال هذه السكتـة والكتـب دارجـة من عنـد الشيخ محـسن إلى عنـد

---

(١) المتجـمعن من قولهـم حوش إذا جمَّع (اللسـان ٦/ ٢٩٠).
(٢) هـو مواسـاة النسـاء من الضعـفاء والمساكين بـملابس وغيـره وكأن أصله الطرح بالطاء المهمـ
(٣) الابتـداء.

(٤) سبق شرحهـا وهي تقـوم مقـام حـيث أنه أولانه. وفي المعجـم الوسيط ٢٥٠ «يكثر استعمـال كون بمعنى بسبب وهو خطأ فجملـة (يسرني كونك ناجحـاً) معنى يسرني أنك نجحـت وليس يسرني لأنـك نجحـ
(٥) صـلحت.
(٦) نحن.
(٧) أي فوق ما قـد جلسوا.
(٨) من هـامش المخـطوطة بخـط لا يـكاد يقري.

أحسن بن صلاح إلى الحديدة تختلف، والرسايس[1] وصلت من الشّام من سنة سبعة وثمانين وصلوا ترك متغررين وطافوا صنعاء وتزيوا بزي الدّراويش، وأظهروا أنهم كانوا محبوسين في حبس السلطان، وصاروا يدعوا عليه وأنا مِمَّن سمعت منهم بل ورحمتهم وجَرَّيت[2] لهم خبز وخرجت رَّويتهم[3] الطريق، وترافقوا هم والشيخ محسن ليلاً مراراً، وأظهروا للناس أنهم يريدو يشكوه حالهم عسى يرحمهم ويدّي[4] لهم مصروف، قلنا لهم سيروا إلى عنده النّهار قالوا ما يمكن يشكوا حالهم بين الناس.

وأما في الظاهر فقد صَلَّح إلى جناب المتوكل وصلحت الحوازات، وكانت غرة آخر الغرة. ولم بقي معدوم في المدينة شيء، وصلح أحوال الدّاخل والخارج، وأقيمت الشريعة المطهرة [ ] وسكنت الأمور والذين في حبس بيت ردم عند المتوكل استمر حبسهم قدر شهر، وأطلقهم الإمام، ورجع عبد الله حسين الدفعي شعوب، والسيد محمد بن عبد الله رجع وادي ظهر، وهما في باطن الأمر خائفين.

وأما خبر المكرمي فاستمر بقاه في الحيمة بغرامة جائرة وعساكر ورتب، والإمام في بيت ردم يكفيه هو ومن عنده اليسير بلطف الملك القدير، وإلا فلو نظرت إلى[5] قوة الدّاعي وكثرة بيوت أمواله، وكثر جيوشه وعساكره وقوة أمره وكثر عدده وعديده، لما تَصَوَّر أن يقدر عليه أحد، والله غالب على أمره، وما جنح للصلح إلا أن الله أعجزه لما رأى قوّة نفسه وتكبّر على الله وجنده أعجزوه لم زِدْ قنعوا بشيء لما علموا حاجته إليهم، وسيدنا المولى ما معه عمل ولا قُبَاله[6] غيرهم.

واستمر بقاء الإمام في بيت ردم إلى شهر جماد سنة ١٢٨٧، ورجع إلى قرية حَزْيز والمكارمة رجعوا إلى الدّاعي في ربيع، وجَهَّزهم بمطالبهم، وغرم أموالاً في إصلاح طريقهم من تهامة والحجاز، لأن طريقهم المعتادة قد تغيَّرت عليهم بسبب ما وقع بينهم وبين سحار في الماضي[7]، وكانت من صَعْدة ولكنها قطعت ولم أمكن يعبروها، وما وقع إلا كَاتَب الدّاعي الأتراك وبذل لهم أموالاً، وكذلك الأشراف حق

---

(١) طلائع القوم.
(٢) أخذت.
(٣) اريتهم أي دليتهم على الطريق
(٤) يعطيهم.
(٥) خ الا.
(٦) أمامه.
(٧) خ فالماضي.

أبي عريش، وقد كان أضرُّوا بالرعايا في الحَيْمة وحراز، والمكرمي[1] بعد عزمهم نَجْران وهنت شوكته، وضعفت عزيمته، ولو استمر بقاء الإمام في بيت ردم، لكاد أن تزول دولته من الحَيمة بكثر غرامته، ورفق مولانا في إقامته وقرب أهل الحيمة [جهة سيدي] ولما فيهم من التّشيع والمحبة للإمام ولكن (على الإقدام أحكام).

وفيها ـ أي السنة ـ صَلُحت قليل شَجَرة الكرم قدر عُشُر ما يعتاد في أكثر المحلات بالنظر إلى ما قد كان أنقص، فوقع بعض الخريف في محلّات وظهرت شواهد الصّلح، وقد كان قلعوه في أكثر الجهات، وردوه مزارع وأشجار[2].

وفي السنة تأخر المطر ويبست المراعي، وهربت[3] النغم من قلّ المراعي.

وفي هذه السنة كثرت الفتن بين القبائل في كل الجهات، واشتعلت الأرض ناراً وفشا للقتل في الجهات، ومنها وقوع الفتنة بين هَمْدان وبني الحارث، وكان الحرب بينهما سجالاً تارة يسكن ويتخالطوا[4] في الطرق أفراد وتارة بيكفوا[5] ويتواعدوا اليوم ويفعلوا زيادة على ما يغضب الرّب سبحانه.

وفيها فتنة ذمار، والحال أنها مدينة العلم، ومحط المهاجرين، فافترقوا فريقين الحوطة[6] والجراجيش[7] وقسّموا المدينة، وثار الحرب فيما بينهم، وذهبت نفوس من الفريقين، وبقي ذلك أياماً وهلك فيها الضعيف والمسكين وهربوا من المدينة وما هو إلا أشراً وبطراً وكفراً لنعم الله ونَزَغات الشّيطان.

وكذلك خولان وبني بهلول وبني حشيش وهَمْدان وعيال سريح، وقعت بينهما وقائع كبيرة، وقتلات نكيرة، وكلما توسّط بينهم وسائط سكنوا أيام قلائل ويعودوا لما نهوا عنه، وقوي الطّاغوت نعوذ بالله منه ومن أعوانه وحزبه، بسبب عدم امتثالهم لأحكام الشّريعة المطهرة، سلط الله بعضهم على بعض إلا المجاورين[8] لصنعاء فلم زِد جرى شي بينهم وبين أهل صنعاء [ ] وما بقي إلا لطف الله على المسافرين،

---

(١) خ المكرمن.
(٢) يلاحظ أن انتشار القات لم يكن بهذه الكثرة المعروفة لنا الآن.
(٣) خ هلت.
(٤) يختلطوا.
(٥) يكفوا والبا زائدة تقوم مقام سين التسويف.
(٦) حارة من ذمار.
(٧) حارة من ذمار.
(٨) من أهل الضواحي المحيطة بالمدينة وفي المخطوطة وردت هذه اللفظة كذا «المجاوين».

فإنهم كانوا يسافرون في الطّريق، ولا أحد يأمن ان يمرّ قدماً، ولكن الله أمّنَ الكل بأمانه ولا غيّر[1] حال.

ووقعت المقابضة بين الناس كلما ذهب شي، قبضوا من أهل تلك البلاد، ومن لم يرضى بالحق سلّط عليه الباطل.

[وفاة سيدي علي بن المهدي]

وفيها السنة توفى سيدي علي بن المهدي بعد طول مَرَضه، وقدم على ربه بعمله، وما قد عهد في التّواريخ القديمة أن ملكاً أو سلطاناً أو خليفة تملك خمس مرات، وخلع خمس مرات، وكل دَعْوة يترتب عليها قتل نفوس ونَهْب وسلب وغير ذلك، وتولى موته ووصيته ولده الفخري سيدي عبد الله بن علي، وكان صالحاً زاهداً وقبر في بستان المسك[2] جنب أبيه وعمه وجدّه المتوكل بجَنْب قبة المتوكل على الله قاسم بن حسين.

وفي شهر ربيع وقع الخوض في دخول المذكور سابقاً سَيِّدي محمد بن إسماعيل الكبسي صنعاء، شيخ الإسلام للشّريعة بواسطة[3] القاضي حسين ابن إسماعيل جغمان[4] وولى الشيخ محسن بن علي معيض عاقل صنعاء، ودخل بحاشية من الكباسية[5] وتلّقب بشيخ الإسلام، وفعلوا له مصروف من صنعاء والْحَقْ[6] الإمام المتوكل الإجازة لما فعله معيض، ومرجع الأحكام والحدود إلى الإمام وصفة هذا المتلقب بشيخ الإسلام سَيِّدي العلامة محمد بن إسماعيل الكبسي، هو حاكم حضرة الإمام وملازماً في الحضر والسفر.

وفي شهر جماد وقعت المكاتبة بين الفرنج وعقال ذو محمد الذين في اليمن، وكلها الأطماع دخلت في قلوب الجميع، الفرنج أقماهم الله قَصْدَهم يدأبوا في بلاد الإسلام، والبغاة يشتو المال لأنها البلاد ما هيه إلا غَصْباً في أيديهم، وكان سبق من ذو محمد ناس إلى لحج وأبيَن، فلما وصلت الكتب إلى عقال ذو محمد فمجرد فتحها وهي مسمومة[7] سماً قاتلاً هلك منهم من هلك، والعقوبة من جنس الفعل،

---

(١) أبطل.

(٢) سبق ذكره.

(٣) خ بواسطت.

(٤) من أفاضل العلماء من مؤلفاته سلسلة المجاز، توفى سنة ١٣٠٤، انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٢٤٨

(٥) هم آل الكبسي علماء البلاد وصلحاؤها.

(٦) اتبع.

(٧) لعلها متفجرات فلم يتضح للمؤلف.

والسبب حيث يريدوا يذهبوا الإسلام رَدَّ كيدهم في نحورهم.

وفيما تجهز الأمير محمد بن عايض بن مرعي على تهامة[1] وقَصَد التُّرك، يذكر أن قد اشتهر شُرْب الخمور واستحلال المحارم والفجور، وأول ما أخذ القنفذة[2] ثم خرج إلى أبي عريش، وأقام فيه شهر رمضان ووجه المقادمة[3] واستفتحوا اللحية ومور وما والاها، والترك تجمَّعوا إلى الحديدة ووجَّهوا مدافعهم، وأحكموا حِيَلهم على اختلاف أنواعها، وكلها مسمومة قاتلة، وتوجَّه عسير إلى زبيد وبيت الفقيه، وقابلوهم أهلها بالسَّمع والطاعة، وواجه أهل باجل بيت حُمَيدة وأضافوا المقادمة حق الأمير، وظنُّوا أن عسير ستأخذ البلاد، فيكونوا متجمِّلين، فلما رجعوا عسير إلى الحديدة، قابلتهم الأتراك بتلك الآلات المسمومة فلم يكترثوا، وقد ذهبت مئتين من الترك، وثلاث [مئة] من عسير، فلما طلعوا السور، وأرادوا العبور، خادعوهم بالدَّراهم، وتقايضوا وتعاهدوا في جانب، والحرب في جانب السَّاحل، وافترقوا وباتوا وكل أحد مستعدّ للضَّرب والجلاد، فسرت الدراهم، ورجعوا إلى الأمير محمد عايض، وأظهروا له ما قد فَعَلوا، ولكن يخشوا ينثنون الأتراك لما قد فيهم، وما قد أعدُّوا الأتراك للقتال فلا مجال للرّجوع واقفوا[4] ورجع الباشا على بيت حُمَيدة كونهم واجهوا لعسير، وقبض عيالهم وأدخلهم الحديدة.

ودخلت سنة ١٢٨٨:

والنِّعم جليلة متكاثرة، والأمطار غزيرة، والأرض مخصبة، والله يصلح النيات ويضع البركات.

[سيرة سيدي أحمد بن محمد شرف الدين دولة كوكبان]

وفي هذا العام نزغت الشّياطين بين سادتي أهل كوكبان، كان الدولة[5] [سابقاً سيدي محمد بن عبد الكريم، فما تم له شيء، وقام بها سَيِّدي حسين بن محمد شرف الدين، فبقي سيدي محمد بن عبد الكريم، يتحرَّج ويدَوِّر تتبع الفرص، حتى

(١) خ تها من غير بقية الإسم وأصلحناها من عندنا.
(٢) من مدن تلك النواحي سيأتي.
(٣) في الأصل المقدامة.
(٤) تراجعوا.
(٥) الحاكم.

أنه نزل إلى تهامة يدعي[1] الترك في سنة ١٢٨٤ ولم تم له شيء، وتمت لسيدي محمد شرف الدين الديولة][2] فيها لسيدي محمد شرف وكان رجلاً فاضلاً ورعاً زاهداً نزيهاً ما في كوكبان أفضل منه، ولكن تغلَّب على البلاد في أيامه القبائل من أرحب وحاشد وذو محمد في سارع، وعجز سَيِّدي محمد من إخراجهم فقام ولده الصّفي أحمد بن محمد بهمَّة سامية وشمَّر للجهاد السَّاق وجدَّ للبغاة اللّحاق وهجر الوطن، ودخل المحن وخرج من كوكبان [ ] الخرجة[3] الثانية في سنة ١٢٧٩ وبدع[4] بإصلاح البلاد من حَبَابة[5] بعد أن أفسدوا وقتلوا، وقتل منهم السَّيد عبد الرحمن الحبابي كبير السَّادة وهلم جَرَّى، وكلما ما وصل محل أصلحه وأخرب جميع ما بناه البغاة في البلاد، وأخرجهم منها وهم كارهون، وختم[6] ببني مضمون الذين[7] في سارع، وسرى الجهاد معه إلى أن وصل بني العَوَّام[8] وحط فيه، وخالف عليه وزيره القاضي عبد الرحمن الصَّرمي، وطلع زقم[9] مصنعة المحويت، وتركه سيدي إلى أن تم أشغاله في بني العوام، وطلع له وحاصره إلى أن أخرجه إلى قيد الأسر[10] وبقي كذلك في البلاد إلى سنا ١٢٨٨، وقاموا له أهل كوكبان أغروا به عند والده لما يدخل فيه من الكلام، ومن جوادته[11] ودينه صَدَّق، وآخرته الذين حبسوه هم من نسل السادات الكرام، علي بن محمد، وعبد الله بن محمد، ولكنهم تخلَّقوا بأخلاق العوام، ولبسوا السواد وأطالوا شعر رؤوسهم، ولم يتوقَّفوا على زيِّ آبائهم العظام في اللباس والأدب والتَّمسك بالعلم، وأقاموا سَيِّدي حمود بن يحيى بن محمد في كوكبان دولة، وهو ابن بنت سَيِّدي محمد شرف الدين بَزِيٌّ[12] سَيِّدي أحمد بن محمد، وعَضَّدَه عمه سيدي محمد بن عبد الكريم، وجعلوا أمر الدولة إليه، وجعلوا الأمر المعوّل عليه، وأجمع النَّاس عليه في كوكبان ونَصبوا له المظلة،

(١) يدعو.
(٢) من الهامش والديولة: الدولة والحكم.
(٣) الخروج.
(٤) بدا.
(٥) بلد في كوكبان منها الأديب أحمد بن محمد قاطن المتوفي سنة ١١٩٩.
(٦) انتهى.
(٧) خ الذي.
(٨) من كوكبان.
(٩) أمسك.
(١٠) خ الأأسر.
(١١) سلامة نيته (طيبته).
(١٢) تربية أي نشأ في أحضانه ويقال لإبن البنت بزي.

وضربت النوبة في بابه، وتوالوا على تجهيزه على سيدي أحمد بن محمد.

وفي هذا الشهر محرَّم، وصل بعض الحجاج، وأخبروا بخروج جند عظيم من الأبواب السلطانية، ووصلوا مكة يوم التَّروية، وتجهَّز أحمد الأمراء بجند كثيف على الحجاز، حتى وصل حلي بن يعقوب، ومال إليهم خلق كثير من المخالفين على الأمير محمد عايض، ووقعت بينهم وقعة كبيرة سقط فيها خلق كثير واختلفت الأخبار في قدر القتلى وما أظن إلا أن دولة الأمير قد جنحت للأفول، وقد فطنها كثير من أهل العقول، ونسأل الله اللطف، والخوارج من البَحْر كائن مترادفة، مَرْكب بعد مركب، وجنود وخزانة وعَدْ وعديد، وقوم ما عليها من مزيد، ومحط رحالهم وخزائنهم في القنفذة، حتى قيل أنهم وَضَعوا الطَّعام في البرية مثل الآكام الكبار، وقد كان الشريف عبدالله بن محمد عون، أراد الصلح بين الأمير محمد بن يحيى عائض أمير الحجاز وبين البوش(١) الخارجين من السلطنة، فحمله الترك على غير السَّلامة ،وظنُّوا أنها خديعة كونهم جميعاً عرب .

وفي هذه السنة سنة ١٢٨٨ جاءت الأخبار المتواترة والنَّقولات المتضافرة بأن الباشا الأعظم وَسَمَّاه سعد السيد أحمد بن محمد رديف، المقدمي على بلاد عسير، تقدم ووقعت بين الباشا وبين عسير وقعات عظيمة، وسقطت بالقتل هامات كثيرة، فلما نظر عقَّال بلاد عسير إلى قوة التَّرك وتَيَقَّنوا عدم قَدْرتهم على قتالهم وفيهم نفور على أميرهم محمد بن عايض وأهويات ونفسانيات بسَطْوته وأمره النافذ، وأنصافه منهم من القوي للضَّعيف أرادوا مكافاته، تخادعوا وتفاشلوا، وطلبوا دخول الأتراك إلى بلادهم لما في صدورهم من الضَّغائن والإحن على الأمير محمد، وقبضوا من الأتراك دراهم كثيرة، ودخلواتحت وطأتهم، فلما تيقن الأمير ذلك اعتزل هو وقرابته وأهله وولده وخدمه إلى حصن مناظر، وحصن ريدة، وأدخل جميع ما يحتاجون إليه فلما علم الأتراك أحاطوا بحصونه كإحاطة النّطق بالخصور، ولم سكنت المدافع لا ليل ولا نهار، فخرج من في الحصون عليهم خراجاً لشدة ما نالهم من المحاصرة، وبعد خادعوا محمد عايض بالخروج إليهم، وضربوا له الأمان، فلما وصل إليهم تلقّوه بالقبول وحسن الأخلاق والبشاشة، فلما رأى ذلك الأخلاق والبشاش مال إلى الصلح فأسعدوه، وما علم على ما قيل شعراً:

ولا يغرك من تبدو بشاشته   منه إليك فإن السم في العسل

(١) جمع باشا معروف.

وجعلوا له ميعاد[1] للصّلح يجي[2] إليهم، ورجع مأمنه بين أهله وخدّامه، فلما وصل في اليوم المضروب للصّلح تلقّوه أحسن من اليوم الأول، وصَرَفوه في دار حتى يتفاوضوا فيما بينهم، وجعلوا عليه الحراس والغفرات[3] من حييت لا يشعر، وإذا نزل القدر عمي البصر، ولم يدر[4] عليه حسه[5] إلاّ وقد إحتوشوه[6] كالذّئاب، وأرسلوا جميع المطارح إلى الحصنَين حقه، وقطعوا رأسه خفية من حراسه، وقبضوا على أولاده، وكبلوهم في الحديد، وأدخلوهم السلطنة، واستولوا على جميع ما في الحُصْنين مِمّا قد جمعه هو وآبائه، ومن قبلهم لأن بيوت الأموال يتلقّوها من أمير إلى أمير، فقيل أن الدراهم برك[7] وأما المدافع والبنادق والسّلاح والباروت والرصاص والخيام والخيل والبغال، فما يقدر على إحصائها إلا الله وكأن لم يكن ملكوا جميع البلاد، ورتّبوا من الحصون ما يحتاج رتبة، وما فيه عليهم شغلة خربوه، وبقوا الأتراك في تلك البلاد، حتى كَتَبوا إلى السلطان، ورجع الجوابات بالتّهيؤ على بقية اليمن لما قد عندهم من المكاتبات، وضعوا لعسير حيلة بالقبض على ناس منهم لأنهم طلبوهم رهائن فلم يسعدوا، وساسوا لهم إلى يوم جمعة كبيرة وقد أظهروا الفَنْطَسيّة[8] أي الزينة حتى اجتمعوا إلى الجامع وأحاطوا بهم كإحاطة الخنصر بالبنصر، وألبسوهم ملبوسهم وأمنوهم، وجعلوا لهم مصاريف[9] واسعة، وجعلوهم شَوَش[10] وملازمين، وأخرجوهم معهم، أخبرنا بهذه الدّهاية ناس منهم، وأما راياتهم في الخدمة معهم فشاهدناهم، وقد كل واحد من عسير، كأحد الأتراك، وله ما لهم من الإقامة والخرج والبغال، وما يحتاج إليه، وعليه ما عليهم م بذل نفسه للسلطان وإقدامه على ما يرمونه منه، وتخلقه بأخلاقهم وجراءاته كجراءتهم، ولا زالوا يدبّوا في اليمن كالعقارب، ولهم في ذلك أمور ومآرب، وكم من مخالع لهم طالب رضاهم ومنهم راغب وسلكوا في الأرض لضعف المطلوب والطالب.

---

(١) موعد.
(٢) يأتي.
(٣) الجند الملازمون للحراسة.
(٤) يعود. أو يدور.
(٥) حواسه.
(٦) تجمعوا حوله.
(٧) جمع بركة (الحوض).
(٨) لفظة تركية شرحها المؤلف.
(٩) نفقات.
(١٠) جمع شاوش معروف.

وتوفى المصنف في تلك السنة في شهر رمضان سنة ١٢٨٨ القاضي العلامة النحرير المجتهد والمجد في الخير الأكبر والقدوة الفهامة الأشهر، وكان من أوعية العلوم العارف لمنطوقها والمفهوم القاضي محسن بن أحمد الحرازي (شعر):

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت   على عينه حتى يرى صدقها كذباً

وأما خبر صنعاء وأهلها فإن النعم فيها جليلة والخير والنعمة مبسوطة والأسعار كثيرة والأمطار متوالية غزيرة والشريعة قائمة بما ذكر آنفاً من شيخ الإسلام وإجازة الإمام، والضربة فيها ضربة المتوكل حق الغراس، صرفها أربعين مئة حرف، والناس يدوِّر لها، والقرش الحجر موجود فيها لأنها مَخْورجة[1] وما يخشى من نقصها ولا فيها من الغش، وكل شيء موجود بها لأنهم منعوا ما كان من غيرها الذي فعلوه عليها، والفاعل لها الشيخ محسن معيض، والمفعولة لأجله سَيِّدي حسين بن المتوكل، وهي بإسمه الهادي لكنها ردية مغشوشة، فلما امتنعت سبرت[2] الأمور واستقامت، وأهل صنعاء في تلك المدة في/أجل نعمة وأوفر قسمة بالنظر إلى ما قد مضى مَمَّا ذكرناه آنفاً، وما قد وقع من الحرب والقتل والنهب والقحط والغلا والشِّدة، وعدم المصرفات، فما قد سكنت الأمور في مثل هذه السنة وما قبلها نحو ثلاث أربع سنين، فتلك خمس ست سنين متوالية خِيْرت[3] ما قد عرفناه بعد الدولة الماضية القاسمية، فمن سنة ١٢٦٠ تغيرت كل التغيير كما ذكرنا كل وقت، وفيه كربة وبلاء إلى هذه المدة المذكورة، والسبب أن القبائل قنعوا من صاحب صنعاء لأمور شتّى منها أنه إذا انتهب صاحب صنعاء خارج أو تمنّع أحد عليه مما يستحقّه من غلّات أو ديون، قبضوهم في صنعاء، والحق ما ينكر، ومنها الشّريعة قائمة، ومن تمنع منها وقع القبض عليه يَحدُّه[4] أنه يأبى من القاضي، ويصرف عند حاكم آخر، والشريعة واحدة، ومرجع الجميع الإمام، ومنها أنهم القبائل لم يبقي لهم مجال ومَسْرح في الخلفاء مثل ما مضي، من لقي له سَبُّد فعله إمام، من جانب أنهم

---

(١) مخارجة. تكفي لسد ادحاجتهم.

(٢) صلحت.

(٣) بمعنى من أفضل ما عرفنا. أو خير من رأينا.

(٤) يحدّه هنا بمعنى غاية الأمر.

يشتوا[1] دواليب خلافة من بدعها[2] وَيَحنبوا[3] بما يقوم بأوده، ومنها أن المتوكل قطع تلك التَّشاعيب[4] بقيامه، فلم يبقي لأحد معه مجال في القيام والسَّبب أنه غير مكلِّف للخلق ما لا يطيقوه، فمن سلم إليه من الواجبات حيث مرجعها إليه سَلِمْ في الدنيا والآخرة، ومن تغلَّب عليها تغلَّب وقد قنع[5] من القاصي والداني بإقامة الشَّريعة، وتنفيذ الأحكام الذي هي المقصد والمرام، ومع عدم تكليفه لهم بما لا يريده، هانت عليهم دَوْلَته، وأما هو فبعد رجوعه من بيت ردم من المَخْرج الذي خرج على الداعي، فبقي في جِزْير تارة، وفي بيت سبطان أخرى، ولا زال يدعو العباد إلى ما فيه النَّجاة والفلاح والرشاد، وكتبه ورسائله لا تكف لأجل إيضاح الحجَّة وبيان المحجة، وما على الرسول ﷺ إلاّ البلاغ، وقد أبلغ الجد والجهد، وبذل النَّفس والنفيس، ولما تيقَّن الشيخ معيض أنه أي المتوكل غير عاذر له من الخطبة وإقامة الشَّريعة، وهوقد عمر حصن بيت سَبْطان لأجل المخالفة من أهل صنعاء، أذعن معيض لذلك، وعلم أنه إذا خالف فهو هالك، والمتوكل قَنع بالخُطْبة والشَّريعة لكونهن شعار الإسلام وإلا فقد رأينا من قبله الخلفاء[6] الذين فِعْل معيض وغيره، كان من فَعَلَ إمام تحمَّل به وبما يحتاج، وتَكَلَّف بما لا يطيق، وهذا ما يطلب منهم شيء بالقهر، لعلمه أنه إذا أجبرهم عَصَوْا فكان يطلب الواجبات كل سنة لتكرير الحجة على العباد.

وأما أخبار الأتراك فلا زالت تُشيع وتُذيع، وكل شهر أشهر، وكل يوم أكثر، حتى خرجت الخزائن من البَحْر مطبوعة[7] صنعاء على كل حمل وكل زاد وزناد.

وبقي عبد الله بن حسين الدُّفعي صاحب شُعوب يشغل أهل صنعاء، ويتبجَّح ويَتَشَدَّق بالكلام، ويمنع من تَسْليم ما تحت يده من أملاك أهل صنعاء إلاّ ما تَفَضَّل ويشاغل معيض ويحذِّره النَّاس، وظن أن لا قدرة لأحد عليه، وفوق كل ذي علم عليم وكما قيل (شعراً):

وما من يد إلاّ يد الله فوقها ولا ظالم إلا سَيُبلى بأظلم

---

(١) يطلبوا.

(٢) بدايتها.

(٣) يتورطوا. من الحنب وهو الأعوجاج.

(٤) جمع تَشْعوبة. الهواجس أو الآراء غير السَّديدة.

(٥) ايس. من القناعة (معروف).

(٦) خ الخلافا.

(٧) أي مكتوب عليها صنعاء بالمطبعة.

وبقي عامر بن علوان العذري صاحب أرحب يلاحظ شُغْلة الناس، ومَقْصده النَّهب والقتل، وكان يشتي[1] قاع اليهود قطعه له، وبقي هو ومعيض [ ] في (فحس ودحس)[2] وحتم بقي يحتم فيه ولكن من شرارة العذري أظهر التشيُّع، والمحبة للمتوكل مع أن المتوكل بيدور الفرج من أي باب، وكلما أراد من الشغلة، فكأنه كل قيامه لنصرة إمام الحق، وأظهر ذلك وأبطن الغَدْر والمكر، وهو عن نصرة الإمام بمعزل، ولا يريد إلا البغي والفساد، وآخر أمره جاء إلى لكمة الزَّبيب (عدني صنعاء) وقتل ابن التهامي من صنعاء، وخرجوا الناس ولم يفق بل فر، وأكثر البغي والفساد والتعدي وسيجزي فاعل ما قد فعل.

وقد كثرت الأخبار من الأتراك وصار الهرج والمرج، حتى أن محسن معيض، ومحمد جغمان الوزير طَلَبوا الناس يوم الغدير عاشر العيد سنة ١٢٨٨ إلى السمسرة وتبرَّوا ممن خرج من صنعاء في شهر محرم، لأن قد كثرت أخبار التّرك، وقد القبائل مبطنين للشّر، وأهل صنعاء في طنّان[3] ومعيض في وَيْنان[4] كيف يقع مع أنه قد بينه وبين التّرك أمور ومكاتيب[5] ومراسلات ومهادات، ولا يعلم أحد بذلك إلا أوهام، وما منع أهل صنعاء من الخروج إلا لشيء في نفسه قد هو أخبر به[6] وكان العذري، يطلب من الشيخ محسن معيض الشّريعة بسبب تشيّعه الذي قدمنا لدى الإمام لأجل القتيل الذي قتله أحمد شاكر في رمضان في سوق الحب، والقاتل عَسْكري الشيخ محسن، والمقتول أحمد الحبَّاري من سوق الحب، وخرج أخا المقتول علي الحباري يتجور[7] بعامر بن علوان العذري، وامتثل بالشّريعة محسن معيض، فطلب الإمام عشر رهائن من معيض، وعشر من عامر بن عَلْوان، وحضروا عند شيخ الإسلام الكبسي في صنعاء، وأجاب معيض أن الرهائن ليس من حكم الشرعية[8]، ولكنه باذل الظمان، فما أمكن العذري إلاّ جاء يقتل التّهامي وهو لا ذنب له، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ولا زال الشّيخ محسن معيض يماطل النّاس

(١) يطلب.
(٢) كناية عن الجدال والنزاع والفحس والدحس في العامة الدَّلك والسَّلخ.
(٣) استغراق في التفكير مع وحوم.
(٤) تفكير. ولعله من الوناء وهو التعب.
(٥) رسائل.
(٦) أعرف به.
(٧) يستجير.
(٨) كذا صوابه الشريعة.

والإمـام في كـل شيء، وقد هـو متوقع وصـول الأتـراك أن يَبْـدوا[1] وإلا فهـو كـاتم أمـره، مـا قد أظهـر سـرّه، وتـواترت الأخبار بخـروج الأتـراك من الحـديدة إلى باجـل فطـلب سيدي المولى الجهـاد عليهـم وكـتب الرسائل إلى كـل بـلاد، وبـذل نفسه متقدّم عليهـم، والمسلمين يتابعـوه، ومن جـملتها إلى صنعـاء رسـالة قريت في المَنْـبر حَـقّ جـامع صنعـاء بعد صـلاة الجـمعة في التحـريض على المسلمين بالجهاد للعجـم، وأنـه بـاذل نفسه وإن جهـادهم واجـب على كـل مكلّف، وأنهـم سيحلُون[2] ومـا حـرم الله، ويشربـون الخـمور، ويقـطعوا الصّلاة، ويـملكون عبـاد الله، وإن في قوانينهـم ذلك. ومنهـا أي القوانين. ومنهـا ومنهـا. عدّهن في رسائله، وأنـه طـالب من أهـل صنعـاء خَـمْس مئة يتهيّـؤا للجهـاد معه، ومن كـل قبيلة، وأجـاب الشيخ محـسن بـذلك كُهْـن[3] وكـذب وطِلّاس[4] وفُجـر، وطـلب أهـل صنعـاء و/فـتح عليهـم بمـا ذكر الإمام وخـلّا أهـل صنعـاء يتساهـموا في الأسـواق على الخـروج للجهـاد للعجـم، وصـار يحـتّ العجـم وقد السِّر بينه وبينهـم، ويحـرّضهـم على إسراعهـم بالوصول، ويذكر لهـم ما قـاله الإمام، وأجـاب على الإمام أن لا بـأس بالجهـاد، وهو الواجـب على كـل مسلم وقَدْ أهّبْنـا لـك خـمس مئة مجـاهد من أهـل صنعـاء بـكفاياتهـم، وفرّقْناهـا على القاعـدين للمجـاهدين، ولكـن يـا مولانـا حثّوا القـبائل للخـروج، فـما يستقيم إلّا بخـروج القـبائل، وأمـا أهـل صنعـاء فـلو تحتـاجوهـم الليل فقد تعيّنـوا بأسمائهـم منهـم بالمساهـمة بين جـميع النـاس وتعيّـن لهـم من المال مـا يـقوم بأودهـم، وأرسـل إلى عند الإمـام إلى حـزيز القـاضي حـسين جغـمان وجـماعة من الكـباسية، والعلمـاء يخـبروه بـما قـد فعـل الشيخ محـسن في صنعـاء من تأهـيب أهـل صنعـاء لجهـاد، ويحـثّوه على تحـريض القـبائل وأرسـل بضيفـة[5] للإمام وشَمْع وقـليل[6] دَرَاهـم معونـة، ومـا هـي إلا مواعـيد عرقـوب، وخـرجـوا المذكـورين إلى عند الإمام على روس الإشهـاد، ونحـن ننظرهـم، وذكـر لهـم أن هـذا الـذي يجـب علينا للإمـام، فما نـزيد على ذلك أنشدكـم الله، فصَوّبوا كـلام الشيخ وفعـله للإمـام، والإمـام عليه السلام عـارف أنهـا دهـاية من معـيض، وأنـه يـبدي أخـو[7] الكـلام، وحـال مـا قريت الرسـالة في الجـامع، أجـاب على الخـطيب فـلان الزيـدي

---

(١) يظهـروا.

(٢) يحـللون.

(٣) حـذق، خـداع وكـذب ومكـر.

(٤) تعمية.

(٥) ضيافـة.

(٦) خ قـيل.

(٧) أي الكـلام الـذي ظاهـره على غـير باطـنه.

الحدَّاد: إن هذا هو الصوَّاب، والذي يخرج من ذلك فهو الباغي، وناشد السَّامعين وكادت الأصوات أن ترتفع، وخشي معيض الفتنة مع ما في قلبه من المرض، فخلا من بجنبه يعلن بصلاة عصر أول، بقوله عصر عصر فمالوا النَّاس إلى صلاة الجماعة عصر، وتفرقوا على غير ضابط.

ويوم ثاني حبس الزيدي، وصار يستعجل الأتراك، ولما وصلوا حراز تَيَقَّن سَيِّدي المتوكل أن الغدر والمكر والخديعة كائنة من الشيخ محسن عليه، حيث أظهر له عكس ما في ضميره، وإخراج الكباسية إلى عند المولى بالضِّيفة والشمع، وزِدْ[1] أشهد الخارجين أنكم أشهدوا على المتوكل بالطَّاعة منا والامتثال إلى أمره، وما رأيتوه من تأهيبنا للمجاهدين معه من أهل صنعاء، وفرق محتاجاتهم وما خرجوا إلا يبينوا ويوضحوا للمولى طاعة الشِّيخ وامتثاله لأوامره، فإن يقبل وإلا فقد مشاهدهم للشيخ على المتوكل كفاه[2] الله بعمله. واحتاج صَبّر سيدي، وفي العين قذا، وفي الحلق شجا، وعنده أن هذا كله خدع ومكر، والحق في ذلك مع الإمام لأن الشَّيخ هو بيماطل الأمور، ويواعد، ويستعجل الأتراك، وإذا ما صح من الأتراك شيء ولم يقدروا علي الدَّاعي فهو على جميل من الإمام، وإذا لم يرضى الإمام فقد الخارجين إليه مشاهد للشِّيخ للفساد، وفي ذهنه يفعل أمام على طَبْعه، وحاصله أنه كان داهية من الدَّواهي الكبار، ولما وصلوا سفل حراز، وقد تكبر الدَّاعي وتعتَّى وركن على حصونه وخزائنه، وفي ذهنه مثلما فعل للإمام، ولم يعلم أن للمولى سهام وأن دعوة الإمام من المستجابات عند الله، وقد أجاب دعاه بسرعة، والله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته[3] وطرحوا الأتراك محاطهم في الحجيلة ولقتهم يام إلى العوارض الذي فوق الحجيلة ومِتْوح والحويط المطرح، وكان مقدمي عساكر الأتراك ولي الدين باشه من كبارهم، والمشير الأكبر ذو الحظ الأوفر أحمد مختار[4] ولكن بين الترك وبين/بعضهم ميلين، وبعضهم ثلاثة أميال، ودعوهم إلى السِّمع والطاعة، والدخول فيما دخلوا فيه الجماعة فمالوا إلى حولهم[5] وركنوا على قوتهم، وتَحَفَّظوا بحِفظ سيِّدهم وفي ذهنه وذهنهم أن[6] هذا من ذلك، يعني كما فعلوا مع المتوكل. وقد

---

(١) بمعنى أضف.

(٢) أي كافاه الله.

(٣) لم يتركه.

(٤) من ولاة الأتراك دخل صنعاء مع توفيق باشا ثم دخلها مرة أخرى سنة ١٢٨٩ (انظر المخلاف السليماني ص ٥٣٠).

(٥) باسمهم.

(٦) خ أنا.

وعـده الله تعـالى : ﴿لأنصرنـك ولو بعد حين﴾ كـما قـال في الحـديث القـدسي في دعـاء المظـلوم ﴿وكـادت الـدنيا أن تـكون دار جـزاء﴾ فـضربت في حـصونهم المـدافع فأرعـدتها من شـاسع ، فلمـا قـربت خـربت ومـا بـقي لهـم من دافع ، ولمـا قـربوا إليهـم ورأوا لوائح الصَّناجـق[١] وحـمرت البيارق ، وفعـل البنادق أيقـنوا بالمـوت سابقهـم ولاحـقهم ، فأخـربوا لهـم الدُّور ، ونقلوهـم من أعـلا القـصور إلى بـطون الأراضي وضيـق القـبور ، وأخـذوهم أخـذة واحـدة ، ولا بقي إلّا من فـر ، وهـلك الحـاضر وسـلم البادي ، وحـصحـص الحـق من متوح[٢] وخـربت عتـارة[٣] ، وخـرج الـداعي تقوده بزمـامه الجـنود المخـتارة ، وفـارقه أقـاربه وجـليسه ، وجـفاه أحـبابه وأنيسه ، وربـطت يـداه إلى مَواخِـره[٤] واحـتوشته العجـم ميمنـة وميسـرة ، وهـلك عنـد وصـوله البندر ، وكأن لم يـكن يتبخـتر ، بعد مخـادعة قـوم المتوكـل الإمـام الأشهـر ، وأخـذوا جـميع ما جـمعه الدُّعـاة السابـقون إلى النـار وبئـس القـرار ، ولم قـد جـمعت المـلوك مثلمـا قد جـمعه أمير عسير وداعي يـام ، في الأوائل في نحـو مـئات السنين[٥] وهـلك كـله في يـوم واحـد ، وأما دراهمهـم فمخـازين ، وأخـرجوه وطلعـوا[٦] مناخـة وفعـلوا كـما فعـلوا بعتـارة ، وكـان فيهـا ولد الدَّاعي أحـمد ابنـه ، فلما عـلم بوصول الأتـراك مناخـة داخـله الفشل والخـوف والوجـل ، وفـمع فـزعاً عـظيماً ، فـما وسعه غير الفـرار وتوليـة الأدبار وأخـذ باروتاً[٧] وقـرح[٨] بالخـزينة وبيت الحـكومة الـذي كـان فيه ، وجـميع مـا جـمعه فيه وقـرح قـارحاً عـظيماً حـتى أفـزع من في تـلك الجهـة ، ولم يـسع الكـل بعد ذلك إلّا الطاعـة .

هـذا خبر الأتـراك ويـام ، وأمـا خـبر سَيِّـدي المتوكـل ، فـلما عـلم بوصولهـم مناخـة نجَّـل[٩] جـميع ما عنـده من بـيت المـال ، وبـقي يـدعو النـاس إلى الجهـاد ويشهـد الله على النـاس ، ولم يـبقى عنده غير حـصانه .

وأمَّـا خـبر الشيخ فـلما تحـقق أن الأتـراك قد كسـروا شوكـة يـام والمكرمـي ، رجـع روحـه وعـلم حـقيقة رَجْـواه ، وتَيقَّـن السَّلامة ، ونـسي أن العاقـبة تقـود إلى النَّـدامة ، وأنـه

(١) الأعـلام.
(٢) موضـع في تـلك الجهـة. سيأتي.
(٣) موضـع في تلك الجهـة.
(٤) خـلفه.
(٥) خ سنـين.
(٦) أي توجهـوا إلى مناخـة.
(٧) بارود معـروف.
(٨) فَجَّـر.
(٩) نقل. أو شدُّ أمتعـته.

قد أضلّه الله والسبب بتكبره على الإمام بالعدامة[2] وأرسل من طَرفه[3] من يثق بهم، وأصحبهم الكتب، وحَرَّض فيها على الأتراك بالحثّ على المبادرة، وقد سبق إليهم كتب سابقة، وعَرَّفهم يعملوا بها ويحرِّروا إليه كتب بمعانيها وإن ما يستقيم له ولهم إلا إذا عملوا بما فيها، ومضمونها أنهم يرسلوا له بكتب وكأنها من عند السلطان يدعوه إلى الطاعة هو ومن في المدينة خاصة، وجميع أهل اليمن عموماً، ويرعدوا ويبرقوا لمن خالف، ويجعلوا سَيِّدي الضياء غالب بن محمد بن يحيى خليفة، ومرجع لأهل اليمن والشّيخ محسن عاقل لأهل صنعاء، والشريعة على عاداتها وينصبوا لهم حاكماً من أرادوا، وأنهم على عاداتهم لا يتغيَّر لهم حال، ولا يتكدر لهم بال مجلَّلين مكرّمين معظمين، وأنهم لهم السّابقة على الناس، ولا يدخلوا فيما دخلت فيه الرُّعايا لنزاهتهم ورفاهتهم، وأن العسكر الواصلين إليهم أمرهم إلى بشاتهم، وأمر العرب جميع إلى الخليفة الإمام الهادي غالب بن محمد، فأرسلوه وزَخْرفوه على ذلك، وفرح الناس بما هنالك فرحاً شديداً، والله لا يحب الفرحين، والذي أرسلهم الشيخ محسن إلى حراز، هم القاضي حسين جغمان والسّيد علي هاشم صاحب سَيَّان، وجماعة معهم الذي على سِرّه وإرادته، ووصلوا حراز وتلقاهم الباشا أحمد مختار أحسن تلقي، وبسط لهم وعَرَّفوه أنه لا يذكر لأهل صنعاء شيء من المذهب، وأن كل أحد له اجتهاد وفي ذهنهم أنهم/من المتحرِّين على أمور الدين ومشتغلين بصلاح المسلمين، وأن ما يريدوا إلا الملاحظة على ما يَنْفع المسلمين، وأظهر الأتراك ما قد جرى في اليمن، وتغلب القبائل على أهل المدن سيما صنعاء، فقد ضعفت وضعف أهلها بسبب القبائل، وأن السُّلطان ما أرسلهم إلّا غيرة لله على الإسلام لما قد أشرف على الإنهدام، وإن ما إرادتهم إلّا إقامة الشّريعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإراحة العباد وعمارة البلاد، وقمع أهل العناد، وتدمير أهل البغي والفساد، وصَرَّفوهم في دار وكَسَوْهم جيخان حمر من ثياب الشّهرة[3] والزِّينة، وسلموا لهم دراهم (وهي اللسان لمن أراد تكلماً وهي السِّلاح لمن أراد قتالاً) فزادت أشواق الخارجين إليهم وسبغ حبّهم في قلوبهم، وظنوا أنها الحاجة التي في نفس يعقوب، وما هي إلّا عن قريب كرب أيوب وأحزان يعقوب، وآخره الوقوف بين يدي عَلاّم الغيوب وإنصاف الطالب من المطلوب.

---

(١) رجل عديم ضيق العطن حمق.

(٢) من ناحيته.

(٣) هي الثياب المنكرة التي لا تليق بالرجال.

وأما خبر سيدي غالب، فلما وصلت كتب الباشا أحمد مختار المصَوَّرة من سلطان الإسلام إليه وإلى الشيخ[1] دخل من الرَّوضة إلى صنعاء، وتأهَّب للخلافة، وأضمر لمن خالفه أن ينكّله ويقطع أكتافه، ويغيظ حاسده، ويرغم آنافه، وضرب النُّوبة في بابه، وجاءت النَّاس إليه وكثر طلابه، ووصلوا إليه مشائخ الحواز يتسامحوا مما أجنوا[2] ويتقربوا لما يستأنفوا، وقامت الحجاب على الأبواب، وتهافت الأعيان، ورأيناذلك عياناً وبياناً، وجاء الشيخ محسن إلى بابه عملاً بطاعته، ومجيباً لطلابه وهو يضحك في باطنه لما رأى من الأمر الذي هو أضغاث أحلام، وما يعلم بتأويل تلك الأحلام إلا الشيخ الحسام[3].

وفي صبح يوم الخميس ثامن عشر شهر صفر سنة ١٢٨٩ وصل الشَّيخ الحسام إلى حضرة الإمام، وجاءت التَّوابع والخَيَّالة، وجميع الأعيان، وخرجوا للقاء الأتراك إلى عصر والمتوكل لما رجعت رسائسه من متنة وتحقق وصول الأتراك بعد خروج الَّذين لقيوا إلى حراز، ووقعت في صنعاء التَّنصيرة[4] وأشعلوا النيران في جميع المدينة، وصاحوا باسم السلطان، وعلقت البَيَارق في الدوائر والنُّوبَ[5] حق السّور حيث تَيَقَّن وصولهم، وذلك الإشعار والإعلان ليلة الثلوث ليلة سادس عشر صفر، عزم على إسم الله آخر الليل، وما صبَّح[6] إلَّا طرف بني الحارث، وأمسى[7] في بيت العذري وأرحب.

ولما وصل الإمام الهادي إلى عصر والمظَّلة تغزل[8] على رأسه، والمرافع والدَّواشين[9] حوله والسَّادات آل الإمام سادتي حافين به، وهو متبختر في دسته فوصلت الأجناد السلطانية بخيلهم[10] وطبولهم الغسانية، والبوش الخاقانية، أمروا من لقيهم بالمسير وحثُّوا السير، حتى وصلوا (ماجل الدمة) وأناخوا هناك، وقد رتَّبوا داع الخير

---

(١) يعني الشيخ محسن معيض.
(٢) جنوا.
(٣) يعني به الشيخ محسن معيض.
(٤) شعار النصر أصوات يطلقونها في لحظة واحدة.
(٥) جمع نوبة وهي بناية مدورة من طين تتخذ على شكل إسطواني للدفاع ويوضع في جوانبها فتحات للرماية (انظر صفحات مجهولة ص ٤١).
(٦) أصبح.
(٧) بات.
(٨) سبق شرحه.
(٩) جمع دوشان سبق شرحه.
(١٠) خ خليهم.

قبل وصولهم المطرح، فلما استقر سَاعة زمنية أدخلوا بعض الجند قصر غمدان، وأيقنوا على نفوسهم بالأمان، وصاحوا بنفيرهم لمن حولهم في البر، ببلوغ الأمل ووصلوا الوطر.

وفي صبح الجمعة خرجت كبار الناس للسّلام على الباشا والاستئذان لصلاة الجمعة فاعتذر أحمد مختار من الدّخول خشية من الفتنة، وكمال المعقول ووقت الصلاة خرج الهادي بالعذبتين[1] في عمامته بأهبة الأئمة السّابقين، واجتمع لرؤيته المتفرّجين، وخطب للجمعة الخطيب، وذكر السُّلطان على عادتهم والدعاء له، وذكر الباشا، وذكر الإمام الهادي كعادتهم، وخلعت الكسوة/للخطيب على رؤوس الأشهاد، وسمع الخطبة الحاضرون، فلما رأى من دخل من الأتراك ذلك الأهبة القاسمية، اغتاضوا وخرجوا، وأخبروا بشاتهم، ففطن لذلك، وأرسل للإمام والشيخ، وسألهم عما هنالك وعن تفريغ جميع الأدراك، وأرسل عساكره لقبضها، فلما قبضوها يوم الجمعة بعد العصر، وصاحوا أن قد تملّكوا أمر الباشا بعدم تلك الأهبة، وما دخل سيدي الإمام إلاّ منفرداً كواحد من السّادة.

ويوم السبت قطعت الأهبة، وقفعت[2] العذبة، ونسخت الكنية، وتنزل من أعلا إلى أدنى، ورعت منزلة الشّيخ من أدنى إلى أعلا، واستيقظ سَيِّدي غالب من الريا، وعَبَّر له الشيخ محسن: بخبر رأيت، وعامل تكون، وجلس مدّة يسيرة ووقع عامل في عمران.

والجمعة الثانية حزّبْ الباشا للصّلاة وطمس إسمه وإسم الإمام من الخطبة، وخطب القاضي حسين جغمان.

ويوم السبت عاشر وصولهم وثامن وعشرين من صفر، خرجوا قادمين على عبد الله بن حسين الدفعي[3] إلى شعوب، وكان الباشا متضَيِّفاً في بيت سيدي غالب ذلك اليوم، وقد سمعه الأعيان يقسم لا يتغدّى إلاّ وقد أخذ الدفعي، واستعظم لذلك الناس لما يعلموه من شدّة بناء نوبة الدُّفعي، ولما رأوا من حقر[4] مدافع الأتراك،

---

(١) أرخى ذوابتين من العمامة وهذا خاص بالأئمة في ذلك الوقت.

(٢) كناية بمعنى قطعت.

(٣) انظر خبر القبض على الدفعى المذكور بتوسع في فرجة الهموم للواسعي ٢٥٩

(٤) من الحقارة: الصِّغر.

لأنهـم وصلوا بإثنـين معاهـم مشدودات على البغـال، ولمـا قـد أكثروا القـبائل الهـرج، أنهـم سيغزوا التـرك بعد وصولهـم بيومين ثـلاث، وكـثر في ذلك القـيل والقـال، حـتى أن نهـار الجـمعة والسَّبت ثـالث يوم وصولهـم، خـرج سيدي غـالـب بسريره ومراقـده يبيت في مطـرح الباشا، واستنكـر الباشا ذلك وقـال له ليس[1] جـئت بالعفش[2] حـقّ النوم، قـال: أبيـت عندك اليوم لأخـبار سمعنـا أن سنحـان ستغزي، خـبر شاذ، وأمـا الخبر فلعـلهم أرحـب فضحـك الباشا في وجهه ووهـب له حـاجة[3]اقـيل ساعة وقيل ناظـور[4] إكـراماً لـه حـيث أكرم بنفسه له، وأرسـلوا خـيمة وعسكـر وغفـر[5] في لكـمة الهندي ورأوا معاهـم نواظير[6] تُبْسِر[7] في اللّيل إذا شي عاديـة من مسيـر ساعـتين ثـلاث.

فـلما أصبح يوم السَّبت والنـاس في هـرج ومـرج، وأرحـب بيجـمعوا يـريدوا الغـزو إلى العـرضي، خـرجوا وأرسـلوا للدُّفعـي نـاس يـدعوه يدخـل في الطّاعـة ويصـير من جـملة الجـماعة، ويحـقن مـاله ودمـه فزَقمـه[8] الكـبر، وبَنـا من نـفسه أن نوبـته ما نعته، وأن المـدافع الـذين خـرجوا بهـا عليه ما تخـرب محـراس[9] ولا ديمـة[10]جـرن، وقد عنـده نـاس من أرحـب، وغيرهـم، ومنـع من الطّاعة فرَمـوه بالمـدافع تـلك الصِّغـار إلى جدار الحـوش، ورمـى من عنده فصَوّب[11] نـاس، وقـد فتحـوا التُّرك الخـندق القـبلي، فداخـل أهـل صنعاء الشّـك من فتح الخـندق، وبقـوا فوق الـدوائر سِيِفَوتُحْـوا[12] للتّـرك بالنّصر على الدُّفعي لـما قد أذاقهم من الخَوْف والنّهـب والقـتل، ولمـا رأوا أهـل شعوب وبعـض أرحـب ومن في النوبـة فتح الخـندق داخـلتهم النّخـوة والشّجـاعة وبنـوا من نفوسهـم أن التـرك رِزْقاً لهـم ساقـه الله إليهـم، ونـسي عبد الله بن حـسين الـدفعي ما قـد فعل بالضّعفـاء والمساكـين من القـتل وغيره، وأمـن مـكر الله ولا يـأمن مكر الله إلاّ القـوم

---

(١) لأي شيء.
(٢) الأدوات.
(٣) شيء ما.
(٤) منظار.
(٥) عسكر.
(٦) جمع ناظور سبق.
(٧) تبصر.
(٨) أخله.
(٩) بنا صغير يكون فيه حارس الزرع أو النغم أو غيره.
(١٠) كسابقه.
(١١) صوّب: أصاب.
(١٢) يدعون لهم بقراءة الفاتحة وغيرها.

الخاسرون، فإنه قتل سَيِّد من حوث مسافر في الطريق ولحقه(1) إلى الحَصَبَة، وقتله بغير حق، وقتل ابن الرَّحبي صاحب شعوب، ولم أحد علم به وأدخله/إلى عند البيت وهو آمن تحت خشبته، وأدخله جرف في البير حق المسنا(2) وبقوا يُدوِّروا له مدة فلم أحد لحق له على أثر، والنفس لا تخفي نفسها، وقال رسول الله ﷺ: «بشر القاتلين بالقتل»(3) والمسرفين بالنقمة، وهذا الدُّفعي قتل سَيِّدي أحسن بن سليمان في صنعاء ليلاً وهو متعشي وإياه عند سيدي محمد بن عبد الله، وقيل خبر شاذ أنه مشارك في قتْله، وأنهم جماعة توالوا عليه وتعشوا وخلوه إلى نصف الليل ولَحِقُوه إلى القُزالي(4) وقتلوه، فهذه أسباب هلاك الدُّفعي، فلما رأى الباشا أحمد مختار تجاري الدُّفعي، وعدم اكتراثه بالعساكر(5) السُّلطانية والمدافع الخاقانية والبوش الشَّاهانية قدم بنفسه، وأمرهم بتقديم المدافع إلى قرب النُّوبة ورَمَى الباشا بالمدافع بنفسه، ونحن نُشَاهد، ورموا الطباشية على رمايته، فلقد شقوا النوبة نصفين كما يشق المفَلِّق(6) الخشبة اليابسة بالمعاول، وقدمت العساكر والخيالة إلى جدَار النُّوبة يحفظوا الخارجين من الهرب، ورمى أحد البوش الخيالة من النوبة وما دارت(7) أربع ساعات إلاَّ والدُّفعي ومن عنده يسحبوه الترك، وأهل صنعاء شَهَّدوا وهللوا وكبَّروا وحَمِدُوا الله، ودخل الدفعي وبن أخيه ومن عنده أذلة وهم صاغرون، والناس يلعنوه ويبصقوا إليه وبعضهم يضربه بالنِّعال، وأخذ ما في نوبته أخذة(8) واحدة وبَرَّ الله بقَسَم الباشا أحمد مختار، لأنه أقسم لا يتغدَّى إلاَّ وقد أخذ الدفعي، وهذا عاقبة الخدع والمكر والبغي والفساد ومكرو ومكر الله والله خير الماكرين.

[أخذ علوان العذري]

فلما رأوا الناس ذلك عظموا التُّرك في قلوبهم، ولكن ما هانوا عليهم، وبقي في قلب الباشا على عامر بن علوان العذري، لما قد أشعر هو وأرحب أنه سيعزو العرضي ولما قد ألقى في بال الباشا الشيخ محسن بن علي معيض من العذري وليس

---

(1) أدركه.
(2) السني معروف.
(3) قال السخاوي: لا أعرفه وليس بحديث (انظر العجلوني: 1/338).
(4) حارة ومسجد وسيأتي شرحه في الملحق.
(5) خ بلعساكر.
(6) هو المفلق للأخشاب.
(7) مرت.
(8) خ أخذتا.

ذلك من إلقاء الملقي وإنما وفي[1] المكيال وعدم مبالاته، فبقي الباشا نحو شهر من عند وصولهم، ودعوا صالح دغيش إلى عندهم يمسي[2] لديهم، وما يعلم أحد ما يريدوا منه فلما مضى من الليل ثلثه، خرجت البوش والعساكر والمدافع، وجرت طريق بيت عامر بن علوان يقودهم الشّيخ صالح دغيش، فما شرقت[3] الشّمس إلاّ وقد أحاطوا ببيت العذري من كل جانب كإحاطت العصابة بالرّاس، ونادى مناديه بالويل والثبور، وخربت القصور، وأخذ جميع ما يملك حتى الأبواب والطّاقات والسّلاح وآلة الزراعات والفراش والنحاس والطّعام حقّه وحق من حوله، وفرَّ بنفسه وصار يومه شر من أمسه، وكاد أن يقع في رمسه، وذلك عاقبة ظلمه وجوره، وصار بأهله غريباً يسأل الناس في البوادي ويطلب لأهله قوت[4] يوم وليلة، ويسترحم فلا يرحم، ويستغيث فلا يغاث. ويستجير من الترك فلا يجاران بطش ربك لشديد.

وفي ربيع أول جهَّز أحمد مختار العساكر والمدافع والأجناد والعد والعديد على جبل كوكبان، والسّبب سيدي الصّفي أحمد بن محمد شرف الدين، فإنها حملت عليه الشّجاعة العلوية واعترته النخوة الفاطمية وذكر مضارب أجداده الهاشمية وكان المقدمي عليه فضلي باشا بطل شجاع حاصره محاصرة من لا يخشى النّار ولا يرجي شفاعة المختار ولا الشرب من حوض علي الكرار إلاّ أنه فيه خصال محمودة لا توجد في أحد من الأتراك إلاّ فيه يعني فضلى باشا إذا تكلم بشيء وفّى به، وإذا وعد صَدَقَ وإذا استشير أشار بالصّواب، وإذا اؤتمن لم يخن، ففيه الخصال المحمودة ما لا يوجد في غيره في جميع الأتراك، فأول عمل بينهم طلبوا سيدي أحمد بن محمد إلى عندهم إلى العرضي، وقد أرسلوا إليه في اليوم الأول بالرتبة نحو مئتين تركي بآلاتهم وسلاحهم، وخرج إليهم صبح اليوم الثاني، وقد كان أرادوا القبض عليه والغدر به والسّبب نَسَبُهُ[5] وزوج أخته في الديولة السيد محمد بن عبد الكريم فإن الديولة كانت معه على كوكبان، وبعدما شَلَّها عليه سيدي محمد بن شرف الدين، لا زال يترقّب الفرص، ويسعى فيما ينغصهم ويوصلهم الغصص، فإنه نزل في أيام قبل الوقعة هذه إلى تهامة ودَبَّر للأتراك أموراً يبلغ بها مرامه، وعند وصول الأتراك صنعاء أقبل إليهم يسعى وذرى هذا المخرج على كوكبان، وأراد

---

(١) امتلا.

(٢) يبيت.

(٣) أشرقت.

(٤) ح قبوة.

(٥) صهره.

يجعلوا له الإمارة على كوكبان، ومع أتباع الهوى كان فيها دماره فإنه بقي في العرضي بين البَرْد والريح والمطر والشمس، وتعلق به رياح الفالج كونه كان مترفهاً وأدخلوه أهله في النعش إلى صنعاء يحمّموه ومات فيه رحمه الله، ولمابنوا الخديعة بالقبض على السيد أحمد، قبضوا أقاربه في مدينة كوكبان، وأغلقوا الباب، وكفلوا على التُّرك الرُّتب الذين عندهم فلما علموا الأتراك أن ذلك لا يتم أظهروا له البشر وعدم الخيانة وردُّوه إلى وطنه، وكأنه لم يظهر عندهم عليه شيء، فتغاضى وأظهر لهم أنه ما ظهر عليه شيء، وأنه سيدخل يصلح الأمور، ويعود فلما دخل تحصن وتزبَّن[1] وفلت العسكر الحانبين، وحشد أهل المحل، وأصدقوا العمل، وحقَّقوا للصِّفي ظنه والأمل، وضربت المدافع، وحال بينهما القطع الذي باب كوكبان، وكان عليه عَقْد[2] يمروا فوقه، فلما تيقَّن سيدي الصِّفي، أن لا يعذروه وقد هَمّوا بالعبور من فوق السُّور حيث الباب مغلق ولا يتكيعوا[3] من رصاص ولا من قتل، فما وسعه إلا أن أمر بهدم العقد في غفلة من الترك، فلما سمعوا بهدمه شدُّدوا الحصار من جميع الجهات، وانقطع الداخل والخارج، وقاتلوا قتالاً شديداً، وما بقي إلا من فيه محُبة لهم كان يدخلوا إليهم من الشرط[4] الليل يؤدّوا إليهم محتاجهم وفي بعض الأيام زَهِدوا[5] الترك الذين في نصف الجبل بالمارين بما يحتاجوا السادة فقبضوا بعضهم وقتلوه، وهرب الآخرين، وخاف الجالين إليهم لأن المطارح على كوكبان تكررت، أعظمها الذي فوق البريك[6] والعرضي، والمدافع هنالك، وأما الباقي فهم في العارضة[7] وضفران[8] رتب مدِّركين بالمارين في العارضة في نصف الجبل، وفي ضفران رتبة، وفي شبام وفي وادي النعيم وحول االجبل، وفي أول الحوزة[9] غارت حاشد قوم واسعة وصلوا إلى طرف الضِّلاع وطرحوا يستريحوا ليلتهم ويتعشُّوا والصبح يغيروا على أهل كوكبان، فباعهم الذي لا خير فيه، وعاد الغائرين غير خابرين بالأتراك، فما عرفوا حاشد قتالهم إلاَّ بعد أيام، فلما ذهب أكثر الليل سَرَت الترك إلى مطرح العرب،

---

(١) تمنع.
(٢) جسر.
(٣) يخافوا.
(٤) الفتحات.
(٥) تبين لهم.
(٦) جمع بركة سبق شرحها.
(٧) مواضع في كوكبان.
(٨) مواضع في كوكبان.
(٩) الحصار.

فمجرد وصلوا وأشرفوا عليهم من فوقهم وواقعهم بالمدافع والبنادق وهم نائمون، ففزعوا فزعاً شديداً وكادت تذهب عقولهم، ودهشوا فلما رأوهم على تلك الدَّهشة نزلوا إليهم فمنهم من قاتل، ومنهم من استسلم، ومنهم من قُتِل، ومنهم من تردَّى من الجبل، ووقعت قتلة كبيرة في الطرفين، لكن الغلبة للترك، وأدخلوا الرؤوس إلى صنعاء، والأساري، وفعلوا الروس فوق روس البنادق وكان لذلك موقع عظيم، فلما وصلوا إلى باب الباشا أحمد مختار، وكان جباراً أمر بضربهم بالسِّياط جميعاً، وبعضهم قد فيه رصاص مدافع في يده، وبعض الرِّصاص حق البنادق فلما وصلوا مدّوهم الأتراك تحت الطاقة في الميدان على رؤوس الأشهاد، ودسعوا[1] على رقابهم، ومنهم من مات في الحال، وابن الأحمر من رؤوس حاشد فيه رصاصة مدفع لكن أسلمت بدنه، وأخذت شطراً من يده، ومات بالقصر قبل دخوله الحبس، ولم زد أمكن الغارة على السادة، وبقي كوكبان في أشدّ الحصار، وكان يقدموا الأتراك في كل حين ليلاً ونهاراً إلى القِطَع ويريدوا العبور والتعلق بالسور، فيخرج أهل كوكبان إلى باب الحديد ويقاتلوا قتال من لا يرجو السلامة، ولو دخلوا لأذهبوا الجميع لأنهم كانوا يُقسموا لأن دخلوه عُنْوة ليذبحوا الجَنين في صَدْر أمه والناس في جميع الأقطار يتوسلوا لهم، ويدرسوا[2] اللَّيل والنهار[3] وهم في أضيق الضِّيق هذه المقادم[4] وأما أن الحرب من مطرح الترك سكن ساعة واحدة فلا، إنما البنادق تخدم والمدافع تقْرح ،وتعيوا[5] الأتراك بكل حيلة على الدخول فعلوا[6] مراكب من صِرَفْ[7] ومراكب من جلود، واحتاجوا جميع الصّرف، وجميع السرات[8] الحديد، وجميع السلب[9] حبال وكلما تقدموا إلى هنالك فالفعل فيهم من أهل كوكبان من البنادق والرَّجم، ومن سقط إلى القطع وذهب لا أحد يقدر على إخراجه، وفي كل مقدم يسقط في القطع خلق كثير، ودام ذلك وفي بعض الأيام وقعت فزعة شيطان في كوكبان تساقط

---

(١) وطؤهم بالأقدام.
(٢) يقرؤوا القرآن ليصرف عنهم البلا.
(٣) خ النار.
(٤) المعارك.
(٥) جهدوا.
(٦) صنعوا.
(٧) خشب.
(٨) حبال غليظة من حديد.
(٩) جمع سلبه وهي الحبل من الليف وغيره.

الحبالي[١] لأن الأتراك غدروا وجاؤوا على كوكبان من عدني محل يقال له المشير ودخلوا الأولين، ولا شعروا أهل كوكبان إلا بالهَيْعة، ودخلوا فتغاوروا كالليوث العادية، ورأوا الأولين قد دخلوا، ولكن أكرمهم الله بِحَوْص[٢] الطريق ما تسع إلا إثنين ثلاثة، فوصلوا إليهم أهل كوكبان وردوهم بالرماية والرجم والحجارة، وجِعْذَال[٣] الأكداف[٤] ودَهْف[٥] الرِّجال حتى المتردي يتردى على نحو مئة قامة وخمسين قامة واشتغلوا بتلك الشرطة، والترك خلوهم إلى أن مالوا إليها وقدموا من القطع كبيراً وصغيراً قاصي وداني ورفيع ووضيع بالمركب الذي جعلوه وجعلوا له جداراً من صرف ملبسه من حديد يرد الرصاص، وجعلوا له عجيل[٦] يمشي عليها، وهو كالمكان وجعلوا في مقدمة خشبة بطول القطع، إذا وصل القطع امتدت عليه، ودهفوه دهف، ولم يشعر أهل كوكبان إلاَّ بالهيعة من باب الحديد، ودخلوا[٧] دخلوا فتغاوروا كالأسود المفترسة وما وقع إلاَّ اختلطوا، لأن قد عبروا القطع بمركبهم ورده دَهْف، وسقط خلق كثير من الأتراك إلى القطع، والذي قد عبروا من السُّور بعد خروجهم من المركب عَبَروا لأن قد سبقوا الترك أخربوا السور بالمدافع، وسهل عليهم، وكل من دفعوه السَّادة فإلى القطع[٨] وحاصله أن القطع استغرق نفوس لا تعد، هذا وسيدي علي بن محمد شرف الدين معه من البنادق الشاشخان، وكان رامي هايل ما يخطي شي، فكان يلتقط الأتراك كما يلتقط الديك الحب، حتى أنه يرى من رأس الجبل إلى قاع شبام عربي وتركي مسنِّبين[٩] ومتسايرين، فيلقط التركي من جنب العربي، على بعد مسافة، وآل الأمر إلى بقاء الحصار على تلك الحال من أول ربيع أول إلى آخر شهر رمضان، وفي آخر يوم من الحرب يوم الربوع عدوا رصاص المدافع التي رموا بها كوكبان ثمان مئة وثمانين رصاصة في يوم واحد في رمضان، وخرج سيدي الصَّفي إلى يد فضلي باشا مستسلماً للأمر وما فعل/إلا لأنه رأى الملل من أهل كوكبان، وألجأتهم الحاجة لكل شيء، وإلا فكان مصمِّماً، ولكن خشي المحذور فأفدى بنفسه في سلامة أهل بلده، وقيل أنه صُلْح وقع بينه وبين فضلي

---

(١) جمع حبلى معروف.

(٢) ضيق.

(٣) تقليب الأحجار.

(٤) الحجارة.

(٥) دهفه دفعة إلى الأمام.

(٦) كذا.

(٧) جمع عجلة معروف.

(٨) الشقوق.

(٩) قائمين.

باشا، والصحيح الأول، ودخل صنعاء في آخر رمضان دخلة تزهق القلب الشّديد، وتذهب عقل البطل الصنديد، وصل صنعاء مغرب والأتراك حوله رجالاً وخيّالة محيطون به إحاطة الخنصر بالبنصر، ولكن هذا الباشا فضلي الذي خرج إلى يده ما أظهر ذلك بل اشترط له عندالباشا الكبير أحمد مختار شروطاً أكيدة لا تنقض بمعرفته لقوانينهم، فلهذا لم تنقض، وبقي في صنعاء من تاريخ وصولهم إلى تاريخ زبرهذا سنة ١٣٠٦ وهو باقي، الله يبقي عليه ولكن لو خلا تلك المجدة[١] إلى هذا التاريخ لكان أحسن، كما قيل (لا تعادوا الدولة في إقبالها فتدبروا) وجعلوا له مصروف[٢] في صنعاء وأدّوا[٣] له بيت، وأدخل ابنه في أعمالهم، ولكن سيدي علي صنوه الذي كان يتلقط الأتراك كالحب، وصل صنعاء يتمدّح بما فعل فيهم بذلك، وما علم أن المنية هنالك فأغروا به إلى الباشا أحمد مختار، فحبسه وفي بعض الليالي أخرجه إلى العرضي[٤] وأظهر أنه يحبسه في الحديدة وأمر الذي أرسله معاهم يقتلوه فلما وصلوا به إلى رأس الحيمة بين بوعان والخميس، وقتلوه عيباً وصار شهيداً، وكتب الله له السعادة والشهادة، وكتب له أجر المجاهدين والشّهداء الصالحين.

وهذا خبر كوكبان وأما من في صنعاء فلا زالوا يبثوا القوانين ويطبعوها[٥] في المدينة على أهلها ومن ورد إليها وما فعلوا إلّا أشياء يسيرة في كل شيء من ميري[٦] وغيره لأجل يسهل على الناس وكل شهر يحدثوا قانوناً، وكل سنة يرفعوا تلك الأشياء يسيراً يسيراً، حتى أن عرض[٧] الحال أول الأمر بِرُبْع الثُمن، فلما كان في التّاريخ قد هو بربع قرش حجر، وعلى[٨] هذا فَقِس في أضعاف ما طبعوه، وحتى فعلوا على المرأة إذا تزوجت البكر بشيء معروف، نحو قرش حجر، والثيب دون، وعلى الجَدرْ[٩] إذا عمر شيء يشير، حتى صار كبير، وعلى البياعين[١٠] للتِّتن[١١] نحو

(١) النخوة والشهامة.
(٢) نفقات.
(٣) أعطوه.
(٤) هو موضع العسكر.
(٥) هذانص أكيد على دخول الطباعة مدينة صنعاء في هذه السنة سنة ١٢٨٩ هـ.
(٦) سبق وهي بمعنى ضريبة الأرض.
(٧) الشكاية.
(٨) خ وعلاها فقسس.
(٩) الجدار.
(١٠) البائعين.
(١١) التبغ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ستة قروش حجر، على الجلابين، وبعد مدة سَرَت على الكسّارين[١] كذلك المبردقين[٢] وحتى أنهم كانوا يزنوا التراب بالميازين، ومن وجدوا في باب حانوته أو بيته شيء من التراب وزنوه، وعلى كل رطل شيء. وقد ذكرت ما قالوه عند مكاتبتهم أن ما يريدوا شيء غير صلاح المسلمين والإسلام، ومنعوا كل ما دخل المدينة من أي باب، ولو ربع رطل سمن أو نَفَر[٣] حب، ما يقع إلاّ وصوله إلى السّمسرة، ويأخذوا عليه شطراً منه، ويثمّنوا كل شيء بأضعاف ثمنه، لأجل يأخذوا جعل كبير، حتى أنه في أصله ربع عشر على القرش زلطة[٤] ويْبسة[٥] وصار في التاريخ نحو الخمس والسدس في بعض الأشياء وأرْفَق[٦] ما يكون فيما لا يقع فيه شيء فعلوا فيه العشر [وحتى النورة حق القضّاض[٧] والقص[٨] يصال إلى السّمسرة والرعادة[٩] حجار، وتسليط ما قد وقع مثله في تديم الزمان وحتى في بعض الحالات حبوب الوقف يصال السّمسرة، والملك[١٠] أعسر، والقاتل يحبس لا غير، والسارق والزاني والساكر[١١] واللوطي ما عليه شيء، وتعطلت الحدود والشّريعة لو تشارعْ[١٢] على قرش لا تخسر[١٣] عشرة، وما تقف على طائل إلاّ أنهم يدوروا على المطاولة لأجل يشِلّوا[١٤] ما في يدك أن دخلت أديت[١٥] وإن خرجت أدبت[١٦]] وقد هي جمالة[١٧] منهم ولا ذكر ذلك في كتاب ولا سنة، وأما الشريعة فلا يقدر الواصف

---

(١) الذين يبيعوا للناس بالتفرقة.

(٢) نسبة إلى بيع البردقان وهو مسحوق أصفر يصنع من نخالة التبغ ومواد أخرى.

(٣) قدر معين من المكاييل.

(٤) وحدة معينة من النقود ويقال للدراهم عموماً زلطاً واللفظة أصلها تركية (انظر بلوغ المرام ص ٤٢٧).

(٥) عملة صغيرة من النقود.

(٦) أشفق.

(٧) هو خليط من الحجارة الصغيرة والنورة يطلى به البرك لمنع تسرب الماء.

(٨) هو الجص المعروفمعروف.

(٩) الحجارة

(١٠) أي المال الملك غير الوقف.

(١١) السكران معروف.

(١٢) نحاكم.

(١٣) بمعنى لسوف تخسر.

(١٤) يأخذوا.

(١٥) دفعت.

(١٦) ما بين المعقوفتين من هامش المخطوطة.

(١٧) صنع جميل منهم.

يصف، ولا الراقم يرقم، إن دخلت سلّمت، وإن خرجت سَلّمت وسِرْ[1] وجِيْ[2] الشّهر والشّهرين والسنة والسنين ولا تزقم[3] على شيء، إنما تخسر إذا عاد في يدك شيء، وإن خرج لك رقم ما أسرع ما ينقض من غريمك، وترجع إلى ما كنت فيه، وتركوا الشّريعة أكثر الناس، ما بقي إلاّ أهويات وكل قاض/ يخرج من اسطنبول[4] حِرّاف[5] ما يجد شيء ولا تجيء مدّة السنين التي ضربت له، إلاّ وقد هو في لكوك، وجاء الثّاني على مثل ذلك حتى أن النّواب الذين كانوا يتحكموا في القضوات[6] مثل حراز وعمران والطويلة وحجة وذمار، تسلّموا ثمن ذلك مئتين قرش، وطبعت ظاهرة شاهرة، والنّواب الذين في النّواحي مثل ثلا وشبام والمحويت والمحويت والعر والحواز من خمسين وستين دفعة قُدْمَة[7] وأما أنهم يبقوا فما يخلوهم وإذا لم يبق يسلم ربما عزلوه، وطبعت بل أن الحوازات أكثر في بعض الحالات، والنواب الذين بيعزموا للقضا الله عالم أن أفعالهم أضرّ من العامة لأن ما المقصود إلاّ خَلْس[8] العباد، اشتراها شراء، يفعل ما أراد، وناس قد قِرى[9] وناس ما معه شيء، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله، وأما البعض فَيغنّوا[10] ويرقصوا ويَشْربوا التّنباق[11] ليس في ذلك بأس عند الدولة البأس، والضر عندهم الذي لا ينصح للسّلطان، ولا يتبع الشّيطان، وأما ما ذكر فما هي إلاّ محمودة، مع ما رأيت وسمعت وشاهدت عيني، وسمعته أذني أن بعض المأمورين اتّهم بسرقة وهو كاتب عندهم، وجاء إلى ذلك المحل الذي اتهم بالسرقة فيه، ورقد ما قاموا يوم ثاني إلا وقد أفتك الحرز، فأنكر وذكر أنه غيره الذي فكه، وأما فهو كان ساكر، والذي مدّرك في رياسة[12] العمل الذي شهد له أن حيث وهو ساكر، فلا يخاطب، وأنا أبسر وأسمع ذلك عياناً. وقاتل قتل ذكر أنه ساكر، فسقط عنه القود، وهو ساقط عندهم، ولكن حيث هو ساكر ما جرى عليه شيء من

---

(1) إذهب.
(2) آتي.
(3) تمسك.
(4) هي إستانبول عاصمة الخلافة الإسلامية.
(5) فقير والحراف أيضاًالفقر.
(6) جمع قصاء وهي الناحية.
(7) تقدمه تعطي لهم.
(8) تجريد.
(9) درس وتعلم.
(10) من الغنا معروف.
(11) التبغ.
(12) خ رياست.

حكم القاتل الحبس المصحى من السكر، وحال تاريخ هذا وقد ثمن حكومة العر مئتين قبضوها وهي إدارة في سنة ١٣٠٨ ولكن حال وصولهم لم ظهر للناس جورهم، بسبب أن القانون الذي وضعوه ما قد إلَّا الميري، وهو شيء يسير ماله عند النَّاس تأثير. والسبب الثاني أن جميع محتاجاتهم من حَبّ وسمن ولقمة وبقصماد[1] من داخل السَّلطنة، وإذا ما جلب إلى صنعاء فهو لأهلها. السبب الثالث أن الذين وصلوا أنهم عند وصولهم إلى مقدار سنة عسكر مُخِفِّين[2]، وكان أكثرهم يسيروا في المأموريات للحروب وغيرها وما في صنعاء إلَّا الرتب. والسبب الرابع أنهم عند وصولهم أغنياء كل فرد منهم. الباشا كان يسلِّم معاشاتهم ما يفوت[3] شهر واحد عليهم وذلك مخرَّج جميع المحتاج من أكل وكسوة ولحم ورز[4] وسمن وسكر وصابون، وعاد كان أحمد مختاري يدِّي[5] لهم دراهم زائدة لأجل إظهار القوة وتأليف قلوب الناس، وهم قد غنموا غنائم كبيرة من المغارب وآنس وغيره من بلاد عسير، ومن حَقّ الداعي، ومن بيت العذري، وفوق ذلك أن عادهم خارجين من بلدهم أغنياء كل فرد مِنْهُم حزامه[6] ملآن ذهب كان[7] براها عيان لأنهم ملقوطين[8] لليمن وأكثرهم أهل غنى، فلم يؤثر ذلك في أهل صنعاء ضُعْف بل أن أكثرهم عَيَّنُوا أنذال الناس معاهم لا سيما المتقبلين والمتقنطرين إنْ هم المتقبلين فبأشياء حقيرة، ومقصود الترك يطيعوا القوانين حتى انتهت إلى أضعاف أضعاف المضاعف، وفوق ذلك أهل اليمن، جميع والمغارب كان يِصَالوا[9] صنعاء بدراهم كبيرة، وعادهم آمنين الضرر، وكان يطرحوها في صنعاء جميع، فحييت الأسباب مع جميع الناس، ولم بقي إلَّا صنعاء[10] المحتاجات الناس وأسواق البلدان ضعفت وحييت صنعاء/مدة سنتين ثلاث هذا بدؤوا أمرهم.

وسيدي الإمام المتوكل نقل من بيت العذري قبل وصول الترك بساعة وقيل

---

(١) هو البقسماط خبز يابس معروف (انظر شفاء الغليل ص ٦٨).

(٢) أي خفاف غير مرتبطين بأسر.

(٣) يضيع.

(٤) هو الأرز معروف.

(٥) يعطيهم.

(٦) هو ما يشد به الرجل ملابسه.

(٧) هنا بمعنى كنا.

(٨) في الأصل ملقطوطين وملقوطين بمعنى مختارين.

(٩) يصلوا.

(١٠) أي ما بقيت إلا صنعاء مقصد الناس.

أنهم رأوا قِفَّايته [١] والله قد أقال عثرته، فعزم ذلك اليوم إلى أطراف بلاد أرحب إلى ابن علي وبقي أياماً، وانتقل إلى بلاد حاشد، وكانت دار إقامته، ولكنه كان ينتقل فيها، أحيان في الخَمْرِيْ إلى حوث إلى قفلة عَذِرْ ولا زال يحث جميع النَّاس على الجهاد للأتراك ولا سيما حاشد، فإنهم اللّيوث الأماجد، ولا سكن من شغلتهم ولا من الترسل إلى الأقطار، ولا من الغزو عليهم، ولو بنفر يسير، أدناه إذا لم يكن غزوات وحروب ظاهرات، فالنفر اليسير في البلدان، تسير ناس يقطع السّلك وناس يقطع الطرق على الأتراك لا غير، ويقتلوا وينهبوا، وناس يحرقوا في [٢] اليمن، وحراز وذمار، البيوت الكبار حق قائمين المقامات[٣] وبيوت الحكومة في القضوات، والغزوات في حالها [٤] وتحشيد الرجال للحروبْات، فإنه قدم على خَمِرْ مراراً، وعلى عفّار، وعلى حوث إذا كان في يدهم في بعض الحالات وفيها أخذ المدفع الكبير [٥] في محل السِّنتين من بلاد حاشد فإنه قدم على خمر وخرجت الأتراك ونهبوا التُّرك الذين كانوا في خَمر، وكان فيها من كبارهم وبُوشهم والبيَّاعين المشترين، حتى أنهم غَنَموا غنيمة ما قد وقع مثلها صَنَاديق مقفلة ملآنة [٦] حروف[٧] وبيعت بعضها في عمران بِيَسْ[٨] لقلّة معرفة القبائل بالحروف، وخرجوا إلى مطرح الأتراك في السِّنتين، ووقع حرب وقَتْل، ما وقع مثله، وأكثر القتلى من الأتراك لأن

---

(١) رآوه وهو مدبر.

(٢) هو سلك البرق.

(٣) ضباط الأتراك.

(٤) في أثنائها أو لشأنها.

(٥) زاد في الهامش.

[وفي سنة ١٢٩٠ رجع أحمد مختار من اليمن ووصل باشا بدله أحمد أيوب في سنة ١٢٩٠ وفيها وقع الخرجة على بلاد القبلة وعلى المتوكل لأن أحمد مختار ما فتح الخروج على القبلة لأنه شغل بالعذري وكوكبان وآنس وغيرها فلما وصل أحمد أيوب فتح باب قتال حاشد والمتوكل وفيها أخذ المدفع المذكور في دولته وخرج للمدفع إسماعيل باشا وما وقع إلا أنه بذل لهم الأموال الجزيلة وأما لو هو لمخرجه فما فعل شيء ولكنه هان على الترك بذل الأموال ولا العار عليهم في اليمن والشام وما أظنه رجع إلا بنحو اربعين ألف نحو شعرة لحاشد ونحو ثلاثين ألف عزام المخرج. وقد فعل مصطفى عاصم المذكور مخرج على سيدي قبل هذا المخرج المذكور ولم وقف فيه على طائل وما وصل إلا إلى قفلة عذر والخمري فرجع صنعاء غاضباً وجلس مدة وركب هذا المخرج الكبير الذي ما قد خرجه أحد في السابق إلى زمان].

(٦) خ ملاونة.

(٧) جمع حرف عملة صغيرة.

(٨) جمع بيسه عملة صغيرة.

حاشد لم كان يباشرونهم إلّا بالقفزات[١] والطّعن من اليد، وذلك الذي هو سمٌّ[٢] الأتراك، وأما الحرب من بعيد فما للأتراك ثقا لأن بنادقهم تبلغ ضعف بنادق العرب ومَدَافِعهم تتم[٣] العرب، وما كان يغلبوا العرب إلّا بذلك، فلما قدموا العرب على المدفع، أحاطت الأتراك بالمدافع إحاطت العصابة بالرأس خوفاً من العار وعندهم وعند بُوشِهِم، لو ذهبوا عن آخرهم كان أهون لهم من المدفع، فتغاورت العرب من حاشد من كل قائم وقاعد، وذهبت نفوس لا تعد، وذهب جَميْع من فوق المدفع من التُّرك وجرُّوه العرب ساعة، وأقبلت بقية الترك فعلوا كفعل الأولين حتى صاروا مثلهم مجندلين مقتولين، وصاح لهم بالنّفير أنهم يشلّوا شدادة[٤] الذي في سُفلة[٥] بلَوْلاب، فأخذوا شِداد أسفله وأخذته العرب قهراً، وامتلأت تلك الجبال والآكام من القتلى، حتى جافت[٦] وأنتَنَت، وبقوا الترك المقبلين بثيابهم ولم أحد زاد التفت عليهم، من كثرة ما قد انتهبوا، ومما قد صادروا، ورجعت الترك إلى الغولة[٧] مقهورين مغبونين، وهذا في دولة أحمد أيوب[٨] سنة نيف وتسعين ومئتين وألف، وبقي المدفع في تلك الجهات أوصلوه إلى عند المتوكل وحَيَّدوه[٩] من جبل شاهق ودفن، ونسيوه إلى دولة مصطفى عاصم كما يأتي ذكره.

وفيها السنة [سنة ١٢٩٠] وقع سَبَار[١٠] السِّلك[١١] خيط حديد وخَشَب وفي رؤوس الخشب كهيئة[١٢] القِفِيش[١٣] من طين في طيهّن مثل الخُطّاف الذي يَخْنَب[١٤] الخيط فيه، من صنعاء إلى الحديدة يسير الخبر ويرجع في مِقْدَار ربع يوم وما ذلك إلّا

---

(١) القفز الوثب.

(٢) الشيء الذي يخافوه الأتراك.

(٣) تنهي.

(٤) شداد المدفع: وكأنه قاعدته أو سداده بالسين المهملة.

(٥) أسفله.

(٦) جيفت انتنت.

(٧) موضع قرب ريدة من حاشد.

(٨) هو الوالي الثاني من الأتراك بعد أحمد مختار تولى حكم اليمن سنة ١٢٩٠ وعزل سنة ١٢٩٣ (انظر تاريخ المخلاف السليماني ص ٥٣١).

(٩) أي أنهم رفعوه إلى رأس جبل ثم رموا به من فوقه.

(١٠) إصلاح.

(١١) هو سلك البرق.

(١٢) خ كهيت.

(١٣) جمع قفشة وهي غطاء يوضع على رأس المداعة والمداعة هي ما تعرف في البلاد الأخرى بالنارجيلة.

(١٤) يدخل فيه ولا يخرج.

من/عمل الشيطان، لأن ما وجد في تاريخ أحدٍ من السَّابقين أجمعين أو من عَمَل اليونان لأن قد صارت الغَلَبة لهم في جميع الأقطار، نسأل الله أن يمد الإسلام بالأنصار. وعزم[1] أحمد أيوب، وعاد المدفع باقي في حاشد، ووصل المشير مصطفى عاصم[2] سنة ١٢٩٣ هـ، ولما أخبروا بوصوله قتل نفسه بعض الأتراك، مما يعرف من غضبه، ولعل بَيْنه وبينه شيء فهابه الناس هيبة عظيمة، وهو غضب من غضب الله، ولكن صنعاء مدمِّرة الظُّلم، من قادم الزَّمان فوصل وضبط الأمور وانقاد له الجمهور، وكان يهمّ بالوقوع بناس، ويستعظم الأمور، ويلغي وعنده إسماعيل باشا أكبر من يكون، ولكنه غفل عن صَنْعَاء مصطفى عاصم، وقد كانت العرب دَبَّروا حيلة على الأتراك، وكتبت بين العرب قاعدة بين الدَّاخلين والخارجين، وخرجت القبائل من نِهْم وأخلاط، وصلوا إلى حَدّ سَعْوان اللَّيل ويوم ثاني تنبرم[3] المباني، فبلغ إسماعيل باشا ذلك، فغزاهم آخر الليل على خفية من جميع العرب، وصابحهم فجر، وهم نائمون مثل حاشد الذين غَزَوا إلى ضلاع كوكبان على سيدي أحمد، فما شعر بهم الذين في حَدّ سَعْوان في الجُرف[4] إلاّ بضَرْب المدافع إلى عندهم إلى داخل الجُرُف، وهو جرف متسع، وفي ذهنهم دَخَلوا فيه لأجل يختفي أمرهم عن جميع الناس، ففزعوا فزعاً عظيماً، ووقع فيهم الأسر والقتل، ولا بقي إلاّ من طار، وأخذت أسلابهم وأثاثهم، وما جاء ظُهر[5] إلاّ وإسماعيل باشا داخلي[6] صنعاء بالجند القليل، وقد أشفا الغليل وسمع بذلك الحاضر والباد، ولما وصل صنعاء عاصم من الدُّورية الذي صار فيها يطوف البلادويخلّس[7] العباد، وصل بكبرٍ وعُجُب [من عند رجوع مصطفى عاصم بكبرٍ وعجب، وخرج للمدفع[8] إسماعيل باشا، وما وقع إلاّ أنه بذل لهم الأموال الجزيلة وأما لو هو لمخرجه فما فعل شيء ولكنه هان على الترك بذل الأموال ولا العار عليهم في اليمن والشام فما أظنه رجع إلاّ بنحو أربعين ألف نحو عشرة لحاشد ونحو ثلاثين ألف عزام للمخرج][9] وتجهز

---

(١) ذهب أو رحل.

(٢) هو الوالي الثالث ولي سنة ١٢٩٣ واستمر إلى سنة ١٢٩٥

(٣) يبرم الأمر.

(٤) هو المغارة في الجبل.

(٥) أي ما جاء وقت الظهر.

(٦) داخل.

(٧) يجرد.

(٨) أي المدفع الذي أخذه حاشد.

(٩) انظر بقية هذا الهامش في الصفحة الماضية ص ٣٠٩.

للمُخرج على سيدي محسن المتوكل، وجمع جموعاً لا قد أحد جمعها، وأخرج من الخزينة أموالاً عظيمة، وأرسل لجميع التُرك الذين في البلدان إلى صنعاء وأرصد عسكر عرب زبطية[1] من جميع الأرض حتى أنه بلغ بيانهم[2] الذي خرج العرب بهم إلى أربعة آلاف ويزيدون، والجمال الذي أكترى نحو ثلاثة آلاف جمل، وأخرج المدافع الكبار والصّغار وعزم[3] في سنة ١٢٩٥، ولما رأى النّاس خَرْجته من عمران نحو ريده أيقنوا بهلاك بلاد حاشد وأهلها، وسيدي المتوكل كان في قفلة عِذِر فتنحّى إلى المدان والأهنوم ودَقَّ البلاد مضى حتى حوث والخَمَري[4] والقفلة، ووصل البطنة[5] طرف البلاد، قَدْ هِيْ مُحَادة جميع الجهات النائية بين الأهنوم وحجور والحرف، وهي إلى البدو أميَل من جهة الغرب، ودارت البيعة[6] على المتوكل، حتى قبض من قبض من ثمنه، وطرحوا إلى نصف الليل وسرت السرية، وأحاطت به الأتراك من جميع الجهات، ووصله النّذير والترك في الطريق على الأثر، فيَحدُّه[7] خرج سيدي من البيت، وأحاطت به الجنودحتى أن بعض الجنود رافقوه في خروجه، وهم العرب الزبطية، ولم أمكنهم يخبروا الترك حفظاً من الله له، ودخلوا بيته في إثره وهو يراهم، وقد تنحى، ولكنه جاز[8] من طريق ما أحد يسلكها إلاّ في النّهار، إذ هو بصير وأكثرها بين هياج[9] وشوك، وسلمه الله، وقد كان أيقن الباشا يقبض المتوكل، والله غالب على أمره، ولا يصلح عمل المفسدين، فرجع الخبر للباشا بأنه لم تم المراد، فقام وقعد، وأرعد، وأبرق، وأكباده بالنّار تحرق، وقد حاصرت حَاشد الأتراك في البَطْنة محاصرة عظيمة شديدة، حتى عدم الأكل والشرب، وما كان يخرج للماء [الشرب] من الأتراك إلاّ الجَمّ الغفير، وأعدموا عليهم كل شيء، وما وسعه غير الرّجوع، وقد سهرت عيناه وقل الهجوع، وأشرفوا على الموت بالقتل والعطش والجوع/وهذا المخرج لم قد خرجه أحد، لأنه أنفق فيه أموالاً كثيرة، منها قيل أنها تفوق على مئة ألف قرش مَخَرَّج الباروت

---

(١) هم جند الترك من العرب الذين جنَّدهم الأتراك من اليمن.

(٢) القائمة المسجلة فيها أسماءهم.

(٣) توجه رحل.

(٤) قرية صغيرة قريبة من حوث وهي غير خمر المعروفة.

(٥) من قرى تلك النواحي.

(٦) أي بيع المتوكل للأتراك.

(٧) كلمة من عامية صنعاء تشبه قولهم ما كاد فعل كذا أو ما إن فعل كذا.

(٨) إجتاز.

(٩) أشجار ملتفة.

والرَّصاص والمعابر حق الشِّيخان[١] والجوامك حق العسكر والإكريات[٢] حق الجمال، أربعين ألف ريال حجر، وإلا فقد خرج هو بنفسه مَخْرَج على سيدي محسن قبل هذا، ولكنه دون هذا المخرج، وقَبله فلهذا لم نذكره إلاَّ في ضمن هذا، ومخرج أرسل فيه إسماعيل باشا، وخرج مع إسماعيل باشا علي البليلي[٣] وردّوا فيه المدفع المذكور الذي أخذه حاشد في عهد أحمد أيوب، وما وقع إرجاعه إلاّ بدراهم كبيرة لجميع حاشد، والعنانة مع الأتراك من طريق النقيب يحيى بن هادي أبو فارع، فإنه كان يحبّ الدنيا والدَّراهم، كلما رأى فيه دراهم مال إليها، وقد هلك وقد كان أُطْعَن في السِّن وذهب سمعه.

وهذه المَخْرَجين المذكورين هيه[٤] دون هذا فلم تؤثر لا في المال ولا الرجال فلهذا[٥] لم نذكرها، وأما هذا المَخْرج فتضَعْضَع[٦] الأتراك منه، ونفذت الخزائن حقّهم، وتعطلت، وفوق هذا أنها كانت مخازين ملآنة دراهم مقفّلة وزِدْ استدان عاصم من البيَّاعين المشترين، ومن النصارى، ولم زِدْ أفلح التُّرك بعد هذا من الركَة لأنها أثرت فيهم.

ولما رجع الباشا ووصل يوم عيد الأضحى ولم زِدْ انتظر لبقية الجيش، بل سبق شرذمة يسيرة، فلما لقيه أهل صنعاء، ورآهم على أحسن هيئة بأَوجاه[٧] رضية ملبَّسين منعَّمين ناسِمين[٨] وقد أضرَّ به البرد والعطش، والسَّهر والخوف، ولاقى ملاقاة شديدة، وقد تعلقت به علة من القَهْر والحَرَارة، فوصل حَبَس العلماء حق صنعاء لغير ذنب جري منهم، وإنما أطفى حرارة نفسه، وسكَّتَ الناس من القيل والقال، وهم السيد محمد بن قاسم الحوثي[٩] أرسل له من السِّر[١٠] عبد الله صدقة إلى هنالك، ومنهم السيد أحمد بن الكبسي[١١] الذي كان مهاجراً في برط في أيام الدِّين

---

(١) نوع من البنادق وقد يجمع على شاشخان.
(٢) جمع كرى معروف.
(٣) هو أحد أنصار الترك قتل سنة ١٣٠٩ كما سيأتي ذلك.
(٤) هي.
(٥) خ فلها والإصلاح من عندنا.
(٦) خ فتضيع ضيع.
(٧) جمع وجه معروف.
(٨) مستريحين من الأعمال وغيرها.
(٩) هو ممن سبق ذكرهم وقد دعا وتوفي في برط سنة ١٣١٩ (انظر أئمة اليمن ق٢ ص ٣٥٥).
(١٠) سبق ذكره.
(١١) سبق ذكره.

وإقامة الشريعة ولما تحولت وتبدلت رجع صنعاء، ومنهم القاضي حسين جغمان[١] ومنهم السيد العلامة محمد عشيش[٢] وقد كان مكفوف النظر، ومنهم السيد حسين غمضان الكبسي[٣] كان عامل الوقف من قبل وصول الأتراك صنعاء، ومنهم السيد محمد بن يحيى حميد الدين[٤] الذي تحكم في حجة في أيام الأتراك، ومنهم السيد محمد المطاع[٥] الذي كان عاملاً في صنعاء في أيام المتوكل، ومنهم السيد علي بن محمد الجُدَيري[٦] ومنهم زيد بن أحمد الكبسي[٧] الذي كان نائب الأوقاف الخارجية، ومنهم السيد أحمد الشامي، ومنهم ناس مُخْرجين من بني مطر، ومن قرية القابل محمد زاهر، وحُبسوا في القصر إلى شهر رمضان، وأخرجهم، وأرسل بهم حَبْس الحديدة، وما أخرجهم من الحبس إلاّ إسماعيل باشا، حين خرج بالأمر على اليمن، بعد رفع مصطفى عاصم، وقد كان أيقنوا جميع النّاس أن لو يخرجوا من الحبس، لمّا وقفوا في صنعاء بل يهاجروا منها لشدّة ما نالهم، ولكون[٨] قد تغيَّرت الشريعة، وهم من العلماء الذين الناس تَبْعاً لهم، ولكنهم رجعوا صنعاء بِنهمة[٩] للدنيا أشد مما كانوا، ولعل عاد كان مرادهم يكافوا بحبسهم ناس آخرين، والله غالب على أمره/. وفيها توفي المتوكل رحمه الله في سنة خمس وتسعين ومئتين ألف.

وفي أيام دولة الباشا المذكور، وقعت وقعة بني حبش في بلاد كوكبان، فإنّها لما كانت تقوى شوكة المتوكل بتلك المخارج على الترك، ويكثر القيل والقال، ويكثر الظلم على الرعايا، أرسلوا للهَجّام، وقومه أرحب وأفسدوا وأعلنوا باسم

---

(١) سبق ذكره.

(٢) هو العلامة الكبير محمد بن إسماعيل بن يحيى بن محمد عشيش. نشأ بصنعاء وأخذ عن جماعة من علماء عصره بالتحقيق والتدقيق له ذيل على البسامة توفى سنة ١٢٦٩ في حبس الحديدة (انظر نيل الوطر ج ٢، ص ٢٤٩).

(٣) هو حسين بن علي بن حسين غمضان الكبسي ولد بهجرة الكبس من خولان العالية سنة ١٢٤١ وأخذ عن جماعة من العلماء ورحل إلى صنعاء سنة ١٢٧٠ وكان من العلماء الفضلاء تولى أعمال الوقف وتوفى سنة ١٣٢١ (أئمة اليمن ص ٣٩٨).

(٤) هو الإمام المنصور فيما بعد.

(٥) سبق ذكره.

(٦) هو العلامة علي بن محمد بن حسين الجديري من العلماء الأفاضل وهو من المتوفين في هذا السجن سنة ١٢٩٦

(٧) سبق ذكره.

(٨) أي بمعنى لحيث قد تعطلت.

(٩) بشغف.

المتوكل، وخرجت عليهم الأتراك، وفعلوا قتلات كبيرة، وهربت أرحب واستولوا الأتراك على بني حبش، وصادروهم أشد مصادرة، ونهبت قراشهم وسلاحهم وطعامهم وأثاثهم، وباعوا أموالهم في الدراهم التي تعينت عليهم، وخربت بيوتهم، وصلحوا بعد ذلك صلاحاً لا فساد فيه، ولما كان إسماعيل باشا في صنعاء مع مصطفى عاصم، كان يصدر منه أمور تخالف الشرع فزفّره[1] مصطفى عاصم وصار منها طريداً، وضبطوا عليه مضابط على قانون الأتراك، وأكثرها حَرّض في ذلك عليه القاضي عبد الله الطرابزي الذي خرج مع مصطفى عاصم، والشيخ محسن علي معيض، فلما وصل إسماعيل باشا إلى إسطنبول تقبّل[2] اليمن، وخرج باشا، وبلغ خبره إلى مصطفى عاصم قبل الناس جميع، فلَفَّ[3] نفسه من حينه، وخفف أثقاله، وأظهر أنه سَيُطَوِّف البلاد وخرج من باب اليمن، ولم زِدْ عاد، ولا تواجه هو وإسماعيل باشا[4] خرج من الحديدة، وأطلق المحابيس العلماء في أول سنة ١٢٩٧ ووصل صنعاء، وقلبه ملآن على الطّرابزي، والشيخ محسن[5] فما كان[6] من الطّرابزي فعزل وسافر، وما كان من الشيخ محسن فحبس وصادر، وسَلّم أموالاً كبيرة، وقيل أنه سَمَّه ولم يعش بعد ذلك إلّا يسيراً، وقد كان الشيخ محسن معيض هَمَّ بأمور كبيرة لإذهاب الأتراك من اليمن بالكّلية، ولكنه عاجله الأجل ولقي الله بعمله.

[خروج إسماعيل باشا لليمن]

وصل إسماعيل باشا بأشياء نادرة منها كَبْس غُرْقة[7] شرارة، ومنها إسم الحميدية[8] أرصد من العرب كل أمرد، وسمّاهم بذلك وإنهم عياله، وكان يقال عيال إسماعيل، وقرّر لهم الكفايات الفاضلة، وسيّدَهم على الناس، وعلّمهم عسكرة النظام، ورماية المدافع والمزيّقة[9] والنّفير، وحَفِظوهن[10] في أسرع وقت، وكان

---

(١) نفاه. وهي من اللفظة: سَفّره لتناوب الذاي والسّين.
(٢) قبل ولاية اليمن.
(٣) جمع.
(٤) هو إسماعيل حقي وصل إلى اليمن سنة ١٢٩٥ وأنشأ عسكر الحميدية من أبناء اليمن (المخلاف السليماني) ص ٥٣٢
(٥) هو محسن معيض.
(٦) أي فما كان من أمر.
(٧) الغرقة الحفرة الكبيرة.
(٨) أنظر في ذلك الدكتور عثمان أباظة في الحكم العثماني في اليمن ص ١١٢.
(٩) الموسيقى.
(١٠) أجادوهن.

يَجْري بهم كل جمعة، وحسدهم عساكر الأتراك على ما هنالك، لأنه أباح لهم فعل المحرَّمات حتى أنهم فسقوا وقطعوا الصلاة، وأفطروا رمضان جهاراً، ولم زِدْ احترموش[1] وظنوا أنهم أولاده حقيقة، ولا بأس أنه أَلْيَن مِمَّن قبله، وأقل فضاضة[2] وأسلم قَلْباً وألين عريكة، ولكنه أرخى العنان للجميع، بالنظر إلى مصطفى عاصم، وجاء الذي بعده أرخى منه عِزَّت باشا في سنة ١٢٩٩ فأول أمره أزال الحميدية، وأخذ البنادق منهم بغتة، وداهن القبائل، وفتح بطنه للدَّراهم، وبقيوا العمال في الأرض يختلسوا له ولهم، وسَلَّطهم عليهم، وهو بمعزل حتى قيل أنه تَنَيَّلَت[3] كوفيَّته من مشاورة المشايخ له في الآذان مبالغة، وبقي نحو ثلاث سنين، وفَلَتت الدنيا وتَسلَّط القائمين المقامات، والمشايخ على الرعايا، ولي ولك يَغْفر الله[4] ووقعت فيه علَّة والسَّبب أنه لما تقدَّم على الإمام الهادي لدين الله شرف الدين بن محمد في أول سنة ١٢٩٩ فعل في دعوته مثل من سبق إلا أنه مقادِمَهُ أكثر وفعلاته بالأتراك[5] أكبر، مقادم ظاهرة، وحروب شاهرة وسطوة قاهرة/تقدم على ظفير حجة ودخله، وجلس أصحابه فيه مدة سبعة أشهر، واشتعلت الأرض بالنِّيران وأيقنوا الأتراك بالهلاك على أنفسهم، وتغادوروا الأتراك من كل الأرض للحرب والقتل مغصوباً وراضي حتى من مكة والقنفذة والليث وجدة، وأقبلوا إلى الظَّفير، وكان فيه حرب عسير، وقاتلوهم ببنادق شَاشَخان مثلهم، ولم بقي لرماية الأتراك حكمة مع رماية العرب، لكون السلاح سوى، والرصاص تلتقي في الهوى، وحق العرب في الأتراك تصيب، ورماية الأتراك في العرب لا تصيب، ولأن العرب مترتِّبين في المحلات، والتّرك في الخلوات، وكان يتخطَّفوهم في كل طريق، واستمر ذلك الحرب شهوراً متتابعة، حتى نفذت الخزائن من مؤنة الرِّماية المعابر والرصاص، وسأل عزت باشا من أين لشرف الدِّين بمؤونة معابر وبنادق وشاشخان، وبقي يقسم ويحلف ما يفعل كذلك إلَّا وهو معان من القرانات[6] الذين بينهم وبينهم عداوات، ولما طالت المدة وخشيوا الترك انقطاع المادة خرج عزت باشا من صنعاء وفي ذهنه أنه سيملك شرف الدين

---

(١) احترموا شيء.

(٢) خ غضاضة.

(٣) من النِّيل وهو صباغ تصبغ به الملابس ومنها العمائم الخاصة برؤساء القبائل وسمي أيضاً وسمه (انظر معجم أسماء النبات ص ٦١).

(٤) هذا المثل يقال عندما يتولى المسؤولون شؤون أنفسهم وترك الرعايا لشأنهم.

(٥) خ بالأتراك.

(٦) كأنها الدول الكبرى المعادية للدولة العثمانية. (القرناء الأنداد).

بالفلوس[1] لو يبذل وزنه ذهباً ما فلت[2] هَبَا[3] وقد كذَّب مقاله أولاً وعادهُ[4] في صنعاء، لأنه عمر عَقِدّ[5] وسط الطَّريق حق شرارة ممايلي بيت الميري حق البُوَش الذي فعَله إسماعيل باشا للميري من جهة العدن، غربي باب شرارة، قبلي باب النزيلي[6]، وحَدّثته نفسه والشَّيطان أن لا بد ما يفعل لشرف الدين مَعْلقا[7] في العَقْدِ للسائر والجائي، ويراه الحاضر والباد، وخيَّب الله آماله، وكذب في أقواله، وجزى بأعماله، وسَلَّم الله الإمام، فلما صَدَّق عزت باشا وصول الذين شَعَّبوا[8] له أنهم يقبضوه له، وأخذوا بيوت أمواله، عزم من صنعاء هو والشيخ عبد الله الضَّلعي وخَلسوا[9] الرَّعايا بغير سبب ولا ذنب ولا عطب وفعلوا للمشايخ جُعْل من ذلك، وكانوا سوى[10] تقاسموا وتخابروا[11]حتى في الرَّشوة، ولكن كان يأخذ الكثير، وهم جميعاً في اليسير، ولقيه إلى عمران صاحب خُفَاش ما أدري[12]يحيى ناصر الشويع، أو السيد عبده صاحب (قَيْهَمة) وراودوه في مشيخة يحيى عبده زايد صاحب راود، وأخذوا ما معاهم من الفلوس، قيل خمسمائة، وقيل أكثر، وفعلوا لهم الرأي وعزموا حتى وصلوا البلاد على أربعة أيام، فلما علم يحيى عبده أرسل ولده، فما وَفَتْ ثمان إلاّ وقد وصل، وأخذوا منه ضِعْف ما سَلَّم الأول، وفعلوا له الرَّأي، ومن هذه العجائب، والقليل يدل على الكثير، ولما قارب تلك البلاد القبيلة جاءت إليه ناس أشرار شَيَاطين قليل، وأظهروا له أنهم من حَوْل جِهَة الظفير الذي خرج لأجله، وأنهم سيخضعون له البلاد والرُّتب، وقد جرت، عادته مع الإختلاس أنه يوافق كل أحد وحده، وما يدري الأول ما مع الثَّاني، وأخذوا منه دراهم وسلاح، وخلوا ناس ضعاف عنده، وأوهموه أنهم سيصلون غداً إليه بمن عاد في

(١) خ بلفوس.
(٢) ترك.
(٣) سدى.
(٤) أي وعاده باقي صنعاء.
(٥) قنطرة أو جسر صغير سبق شرحه.
(٦) سيأتي في الملحق.
(٧) كأنها مشنقة.
(٨) ورطوه أو أطعموه بأوهام.
(٩) جردوهم.
(١٠) خ سوه.
(١١) أي ما أتحقق.
(١٢) استكملت.

نـفسه، وأوهـموا أصحـابهم بالفـرار على غَفْـلة في اللـيل، وبعد صَحَّـت[1] له البيعـة من طـريق الموقوع في عـمله، وخـرطوا الـذين في الـظفير وبـذلوا المـال الكـثير، والنـاس أتبـاع الدّرهـم والدينـار، فانخـرطوا وتعاقـبوا من الله بعـد ذلك بيسير، ورأينـا العبـرة مـا قدوقعـت على أحـد في البـائع، وأمـا في الساعـي فعن بـكرة أبـيه وكادت الدنيـا أن تـكون دار جـزاء.

وأمّـا سيـدي الهـادي فحَـمِد الله على ذلك الـذي أصـابه ببيعـة أصحـابه، ونـذر يـصوم سنـة شـكر لـما أصـابه من الإمتحـان، وهـذا شأن أهـل الإيمـان، وكـله سهـل حـين حـفظ الله البيضـة الإيمـان، ودخـلوا خَرّبُوا الظَّفير، ونهـبوه، ونهـبوا مساجـده، وأهـدموا صوامـعه ومشاهـده، وكـان فيه بناء مـا يُتَصَوَّرٌ أنـه يظهـر في البـلاد بـل وفي سـائر اليـمن، لأنـه أسـاس أئمـة أهـل البيـت الطاهـرين، ومحـط العلمـاء والخـلفاء الراشـدين الباذلين نـفوسهـم في الجهـاد/والاجـتهـاد[2].

فـلما انتهـى الخـراب إلى تلك المشاهـد والقباب، عدم الصَّواب، وتعلَّق به داء العـذاب، ورجـع إلى صَنعـاء، وقـد أحـس بـالمـوت قَـطْعـاً، وبـقي أيَّـام لاحـي ولا ميـت ولا هـو من الصرعى، وكـفى الله المؤمـنين القتـال، ومـات في صنعـاء، وقُبِر في قـبته خـارج قـبة البكيرية ملاصـقة لركـن القـبة المسجـد الركـن العـدني بغرب، وصـار الإمـام ناذراً يـصوم سنـة جـزاء لله على البلا والامتحـان هـا[3] أيـن هـذا من ذاك، ويـوم القـيامة تـرى ما قـدمت يـداك[4]. نسـأل الله اللطف والحـماية.

[ولايـة الباشا أحـمد فيضي علي اليـمن]

وتعـقبه بولايـة اليـمن الباشا أحـمد فيـضي، وصـل في سنة ١٣٠٢ لكـنه أحـسن من الـذي قـبله بأمـور منهـا أنـه حـازم، وحـزم البـلاد بعد أن كـادت تـذيع الفسـاد، ولو زِدْ بـقي عـزت بـاشا سنة كـاد أمـره أن يتلاشى لأنـه أَلَّف[5] جـميع القـبائل على الدَّراهـم، وكـل من أراد أن يفسـد أَمَرّ له أنـه لِلْفلوس يَسْتَعِـد، وأحـمد فيضي قـطع ذلك وأظهـر الصـميل[6] هـنالك فـكل من تحـرك للفساد تجهـز إليه بالمدافع والأجناد، فـيا لـه من

(١) تحـققت.
(٢) هنا استطراد للمؤلف يُخل بالموضوع تركنـاه.
(٣) كـذا.
(٤) كـانت وفـاة عزة بـاشا سنة ١٣٠٢ هـ (انظر المخـلاف السليماني ص٥٣٢).
(٥) عودهـم.
(٦) أظهـر القوة والصميـل عصـا غليظة تستعمـل في أعـراض متنوعـة.

بطل همام، يمشي إلى الباغي في الظّلام، فدوّخ أرحب ونحوهم، وللمسير أوجب أو سنّ سنّة، وللبروج أخرب، وأرسل سعيد آغه[1] إلى مراد وقيفه أخذ إبلهم، وأذاقهم رجفة وخيفة، كذا الحدا وخولان، فعل لهم ما فعل بهمدان، وكان يضرب بالسياط والعصي لأجل يحذر النّاس، ثم لا يزيد يعصي. وحق التّتن ما سواه لها تسبب ستة ريال قرّ[2] القرار عليها، ثم ذهب يا ويله من الله، ما أحد وجدها في الملل، ولا في أي مذهب حتى السّرق[3] في سعادته رأينا، وأيام غيره ما رأينا ولا فيما سبق سمعنا وأقبل الباشا من بعده عزيز اسمه وهو شبيه عجيب ما مثله بذمه وما أظن مثله في العجم بهمه وصار منها ما ظلم ولا ابن دمه.

وفي سنة ١٣٠٥

[عزل أحمد فيضي ووصول عزيز]

وصل الباشا عثمان الذي كان في مكة، ولعله أضرّ ممن سبق، ولكن قليل البصر، وكثير ما يخافه الناس ويحذر إلا أنه وقع في مدينة أزال[4] ولو كان في غيرها لأزال من فيها، وفعل رئيس البلدية يعني عامل صنعاء من الشّام الطُّغام وجمروك أظلم من الليل الظلام، وقاضيه أحمد بير ماله مذهب غير أكل الحرام، وإفقار العباد عندهم هو البغية والمرام/وأعوان كالأحدي[5] يوهموك بالأعين ويشبعوك بالألسن، ويخطفوا ما معاك بالأيدي، وتَسير وتِدّي وتَجي وتِدّي[6] هكذا دائماً سرمد، وإن ما معك شيء فما أحد يستمع لك شيء، وقد يرجع يُخَنْفِر[7] لك ويقول ما وضح لي شيء.

وفي سلخ سنة ١٣٠٥ وقع هذا الباشا المذكور عثمان بالشيخ عبد الله بن أحمد الضلعي[8] صاحب عيال سريح، وقد كان كبيراً، قد فعلوا له نيشان، ولقّبوه بعبد الله باشا، خرج له ذلك من اسطنبول، وكِسوة، وصار متزيّي بزيّهم ومُشَوْرِب[9]

---

(١) هكذا ينطقها أهل اليمن في ذلك الوقت وعند غيرهم آغا وكأنها رتبة عسكرية.

(٢) استقر.

(٣) اللصوص.

(٤) اسم لمدينة صنعاء.

(٥) جمع أحدية وهي الحداة طائر مفترس يعيش على الجيف وغيرها.

(٦) تعطي.

(٧) يصيح في وجهه بغضب وتجهم.

(٨) سيأتي خبر وفاته (وانظرحادثته مع الأتراك في أئمة اليمن ق ١ ص ٩٦).

(٩) أي مرخي شاربه كعادة الأتراك.

كشواربهم، ولـه من ابتـداء دولتهـم يخـدمهم أحـسن خـدمة، وكلـما صعـب عليهـم أمـر من أمـور بـلاد القبلة تصدَّر لهـا هـو، وأجـلاها حتى أن الأئمـة: الإمـام الـسابق المتوكـل محسن بن أحـمد، كـان كـلما تجهـز على الأتـراك وخـرج بحـاشد، وجُّهـوا له عبد الله الضـلعي بالجنود والمـدافع، ويخـرج معه للعسـكر أحـد الأتـراك كالآلـة، والخـوض عليه ويجـلُوْ تـلك الغَبْـرة، وبعد المتوكـل الهـادي شرف الدين خـرج مـراراً على خَمَـر مرتـين وعـلى (مسـور) وعلى (الظفير) وعـلى (السـودة) وكـلما خـرج سَيِّـدي شـرف الـدين أرسلوا لـه الأتـراك عبد الله بـاشا[1] فيفعـل مع الأئمـة كـما فعله أهـل القـرن الأول مع أئمتهـم، فوقع به عثمان بـاشا في سـلخ سنـة ١٣٠٥ وحـبسه في العُرْضي نحـو شهرين ثلاثة، وأرسـله الحـديدة وبعد إرسـاله إلى الحـديدة، أرسـلوا عسكراً إلى محـله، فقـام وكـيله راجـح بن سعد صـالح الميموني نسبة إلى بـلدة بني ميمـون في عيـال سريح نَجَّـل[2] مـا في البـيوت جـميع من سـلاح ومُدَرْهـم وفـراش، وقـراش، منهـن خـيل نـيف وعشـرين، وذخـيرة بـاروت، ورصـاص ومونـة شاشخـان، كـل شـيء من ذلـك أحـمال، أمـا الطعام فـلا يحـصر، غير الـذي في القـرى والمدافن في كـل قرية، وبـقية الأمـوال الأراضي في كـل محـلٍ، حـال الرقم وهو بـاقي على أصـله، وبعد ذلك خـرجت الأتـراك أخـربت البيوت حـقه، وأخـذوا بقية ما وجـدوا منهـا طعـام نحـو أربعـة آلاف قـدح، ومـا الرجـل الشّيخ عبد الله فـلم زِدْ تحـقق له خـبر حـال الرقـم، ومـا يـدري ما فُعِـل بـملكه والمَنَجَّـل إليهـم ذلك يعـلم الله كـيف يـكون بهـن، هـل يرجعين[3] أو يموتـين[4] وبعد حـبس الرَّجـل وتغريبـه أمـر البـاشا أحـد القـواد البـوش ممن تحـته، يقـال له أحـمد رشـدي[5] يتقدَّم على جهـة اليـمن، فعـزم فأول عَمَـل لقـيه مشايخ عَنْـس المِصْـري والشّغـدري وغيرهـما إلى خـارج ذَمَـار، فـما دخـل ذمـار إلاّ وقد وقـع بهـما وأنزلهـما من فـوق خـيلهما على رؤوس الأشهـاد، وحـبسهـما في عُرضـي العسكر في ذمـار، وصادرهـما مصادرة عـظيمة، وسلّموا فلوساً جـمَّـة، وكـذلك أهـل المدينة، ومـا خـرج منها إلاّ وقد قرَّب في آجـالهما، ودخـل يـريم، وجـرح كـل قلب سـليم، وصادر كـل واحـد على التسليم، وربـط وكَرْبج[6] في البـطون والظهـور، حـتى نـائب الوقـف في يـريم، طـلبه وربـطه بعمامـته وهـدَّه بـما لا يستحـقه.

---

(١) أي الضلعي.

(٢) نـقل.

(٣) يرجعـن.

(٤) يمتـن.

(٥) سيكون أحـد ولاة الأتـراك فيـما بعد.

(٦) أي ضـرب بالكـرباج والكربـاج السّوط من الجـلد واللفظ من التـركي.

[وبقي أحمد فيضي سنتين دوَّخ جميع البلاد وخرج على الحدا وقيفة ومراد، أرسل لهم سعيد أغه، وكان ظالماً غشوماً، وقد خرج إلى اليمن ثلاث مرات ويعزل، وفعل الباشا أحمد أربعة سمّاهم بُلَص[1] وكبيرهم السّيد علي بن أحسن صلاح فايع وفوَّضهم في أعمال القحاب[2] والسّكارى وكل مهرة[3] دنية فاستجذبوا الأمر الذي يقع فيه الدّراهم، وتعلّقت يد سعيد أغه من هذه المهرة الدّنية فنصب سعيد له ثمانية عشرة شياطين يشغلوا العباد، على هيئة السُّرق مكافأة للباشا والبلص، وكان يتخارطوا في الشّوارع، ويرجموا على النّاس، وأما السُّرق فهو يسير، لكن ما بان فعلهم إلاّ به بدعوا[4] بأمره وبعد مخارطة ورَجَم وشغلة[5] وسَهَّروا جميع النّاس النوم نحو شهرين، وعمروا جميع المحاريس، وكل من صاح زَقموه[6] وإن غار[7] زقموه، وإن أسرج[8] بيته حبسوه، وكأنّهم دوّارين في مصالح النّاس، وهم ضرّارين، وخرج تاريخ تلك السنة (طَفّي[9] ونمْ تَنْهَبَكْ ما لم طلعت الكاوش[10] ١٣٠٣)][11]

وسلم[12]دراهم وبعد أهل يريم وخبان، وزيادة على ما جَرَت منه العادة أخرب دُورهم وحصونهم، وشرد أطفالهم، وحرمهم، ولولا دفاع الله لأبادهم عن آخرهم، ولكن لكل شيء سبباً وكان الله على كل شيء رقيباً، والسيب/الذي فرج الله عليهم به أنه الوكيل حق عبد الله باشا الضلعي بعد تنجيله في مخلّف الضلعي، عزم إلى صعدة وضَيّق على الإمام الهادي في جهاد العجم، وهو في أكمل الكمال لم يغتر بالعرب، ولو قد اغتر بالعرب أن قد ذهب رَدّه وعَنّاه بفتح العمل، وأرسل ولده

(١) لعلها محرفة من اللفظة الإنجليزية (بوليس: بمعنى عسكر أو جند).

(٢) كذا في المخطوطة وكان الأولى بالمؤلف أن يترفع عن استعمال مثل هذه ولكنه هنا في موقف المنتقد للأتراك فرحمه الله.

(٣) حرفة.

(٤) بدأوا.

(٥) مشاغلة.

(٦) أمسكوه.

(٧) أغار

(٨) أي أضاء بيته بالسراج

(٩) أي أطفىء السراج.

(١٠) هو مركز الشرطة.

(١١) ما بين المعقوفتين زيادة بخط المصنف في هامش النسخة بخط دقيق لا يكاد يرى فضلاً عن أن يقرى وقد جاء بعد حديثه عن أحمد فيضي.

(١٢) من هنا الكلام تابع لما قبل المعقوفتين.

شرف الدين، من أول عمل إذا رآمنهم ما يوجب الخروج من البلاد الصعدية، فرجع محتديين إشارته أمسى في بني ميمون، ورسايسه ترس له ما يخرج من صنعاء للعجم، فخرجت قافلة نحو ثلاثين حمل أكثرها خزنة مؤونة بنادق ومدافع، ومعها عسكر وخيَّال من كبارهم فاستقربهم، وقتل الخيال، وفعل في العسكر، وأخذ الخزينة وشَرّد وتحرّكت حاشد حين تحرك فيها السبب، لأن قد أهملهم الأتراك مدة بقاء الهادي شرف الدين في صعدة، نحو خمس سنين، وما كان يزد يوقع لهم من الأتراك شيء لأن ما كانوا ينالوا من دنياهم إلاّ بسبب بقاء الأئمة بينهم، أولاً المتوكل، وبعده الهادي، فلما وقعت تلك الوقعة من وكيل الضِّلعي، فرحوا وتحركوا، فلما تحركوا أرسلوا الأتراك لأحمد رشدي الذي عزَّر بأهل اليمن، وفرج الله على أهل اليمن بحركة القبلة، فوصل على الفور، وحَطَّ الرّهائن الذي قد صادرهم في ضوران، وكان قَصْد الباشا الكبير يقبض عليهم لأنهم كلهم مشائخ ويرسلهم تحت الحفظ إلى الحديدة مثل الضلعي.

ومصطفى بيه متصرف تعز قبض المجاهد في تعز، لأنه مثل الضلعي في غناه وحظّه مع الأتراك، وقائم مقام حُفاش قبض على الشيخ المشايخ في تلك البلاد يحيى عبده زايد، وأرسله إلى الحديدة، وكان في ذهنهم يكلفوا اليمن بهم، فلما تحركت القبلة وصل الباشا أحمد رشدي من بلاد يريم، وأمسى في صنعاء ليلة واحدة، وخرج عمران، ونشأ حرب بينه وبين حاشد، ووقعت قتلات في قرية عقابات في عيال سريح، وكان العرب يغزو الأتراك إلى العُرْضي، ولما قبضوا حاشد ما يرضيهم من الترك، تفاشلوا أو ابتاعوا، وممن ابتاع معهم السيد[1] الوادعي وهلك عقيب ذلك، لعلها دعوة الهادي أصابته، وقبض أحمد رشدي، رهائن من عيال سريح، ومن الجبل لأجل سكون الفتن، ولكن بعدما بالموت قد أيقن، وما ذلك إلاّ جواب ما فعل بأهل اليمن.

وفي تلك المدة أرسلوا بالضلعي عكة[2].

ورأينا[3] مع هؤلاء الأتراك غير [ما سمعنا] من الأتراك السابقين في أيّام شرف الدين، والقاسم بن محمد، وطالعنا في سيرة الماضين، فلم وجدنا من ذلك شيء إنما قوانين

---

(١) بيض المؤلف لاسمه وكأنه لا يذكره حال الكتابة.

(٢) هي عكا الفلسطينية. أعادها الله.

(٣) خ رينا.

أخره[1] وملبوس آخر ومدافع أخره، وبنادق أخره. وذكروا الأتراك أن هذا السلاح فرنجي، وهو الصحيح، وما أظن ذلك كله إلّا كمثله، ولكن مـا فهـموه العرب، لأن الفرنج قد دخلوا في السلاطين، وشاركوهـم في الأمر، ولكن مع البعد ما تعقّلت إلّا بأشياء ظهرت، وإلا فهم متملّكين في المسلمين من سنة ١٢٧٢ لأن السلطان عبد المجيد صالحهم في تلك الأيّام على ثلاثة شروط، منها: أن يعمر كنيصة[2] في القسطنطينيـة، وعدم بيع الرقيق، ومنع الأذان في جـميع البلاد، وخـلُّوه يكتب إلى عمـاله بـذلك، وقتلوا مؤذِّن مكة، وثارت الفتنة في مكة، وقتلوا عسكر السلطان/والفرنج بينهم حتى رموا الكعبة بالمدافع، وأصابوا الحـجر الأسود، وذلك بغيتهم والمـرام إذهـاب الإسلام، وإخـراب بيت الله الحـرام. والثانية في سنة ١٢٧٥ خرج النّصاري إلى جدّة ورَموها بالمدافع، وكان فيهاالباشا محـمود، منع أهل جدة أن ينالوهم بشيء، بل إنه أخذ من أهل جدة نحو أربعة عشر رجل، وقتلهم وسـلم رؤوسهم إلى النصارى، وضـبط نـاس آخـرين، قيل أربعـة عشر، وقيل ستة وعشرين، وسلمهم بخيرين[3] إلى النصـارى، وآخـر عهد بهم ما أحـد لحق لهم بأثر فـما ذلك إلاّ تمويهاً علينا، وسمعنا منهم أن النّصارى شرطـوا أن الأتـراك الكـبار يلبسوا لِبْسَهـم غير العسكر النظـام، ولا بـأس أن كـله جُوْخ ولكن تفصـولا[4] آخـر لأجـل لا يظهـر، وذلك مشاهـد فإنّـا عرفناهـم قبل هذه المدة في حـفاش وملحـان وتهـامة وجـدة ومـكة والمـدينة، مـلبوس البـوش ملبوس آخـر وتفصولاً آخـر.

كـذلك القوانين هـذه ما عرفناهـا فيما مـضى، وذلك تمويهـاً وما تَعَقّـل[5] الأمـر إلاّ عنـد آخـرِ دولة مصطفى عاصـم، فـإنهـا جـاءت لهـم كـتب بقتـل السُّلطان عبد العزيز[6]، وحَزِنُـوا وأوْلوا[7] عـليه، وقلعـوا الذّهـب من أكمـام البـوش، وأخـبرونا بأنهـم قِرْيَـوا[8] لنـا فرمـان بهـذا المعنى، إن قد تَوَالُوا على الصَّدر الأعـظم، وكـان يقال لهـم أولاً البُوْشْ الثلاثة، أحـمد مخـتار، وأحـمد أيـوب، ومصطفى عـاصم في اللسـن التركي، وفي الفرمانـات المُـشير فـلان، ولمـا بـدأ إسماعيل بـاشا سَمُّوه والي ولايـة، والمجـلس الكـبير مجـلس إدارة الولايـة، وبعد مجـلس ولاية وتنفيذ المـراقيم والعـروض الحـالات والأوراق

---

(١) أخـرى.

(٢) كنيـسة.

(٣) متعافـين.

(٤) تفـصيلاً. خـياطة.

(٥) عقـل الأمر وعاه وأدركـه.

(٦) اختلف في قـتله قيل أنـه انتحـر وقيل مـات موتـة طبيعية بعد خـلعه.

(٧) لبسوا مـلابس الحـزن (الحِـداد).

(٨) قـرؤا.

بالولاية وبَدَل الكتاب العزيز والسنة الغرَّاء، كتاب (المجلة)[1] بالقانون القاتل يحبس لا غير، السارق مثله لكنه أقل الزَّاني والسَّاكر في حاله لا عليه شيء، المفلس يطلق لحاله إلَّا أن يكفيه غريمه، حبس الذي له المال، لهذه أحكام القانون بعينها، فما بقي من الإسلام إلَّا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، أين (ومن لم يحكم بما أنزل الله) ثلاثاً، وأين دين العلماء حقًّا، حسبنا الله ونعم الوكيل، وأين مذهب أهل البيت الذين ما كان يتحكَّم للقضاء ويتصدَّر له إلَّا كل مجتهد من هذه الذي يليه، فأنا سمعت من سيدي الفخري[2] من العرب لكنه باقي عند الحكام الخارجين من اسطنبول في حضرة خلق كثير، أنه أخبره القاضي الذي وصل هنا وتَصَدَّر للأحكام، أن فلاناً في إسطنبول كان خمَّاراً مداخلاً لأصحاب الدَّولة، واستدان له بعض المقرَّبين في المجلس حق الحاكم شيخ الإسلام في إسطنبول والذي استدانه من الخَمَّار قيمة خمر، فلما صارت نحو ثلاث أربع مئة ريال تقاضاه الخمَّار فأجاب عليه ما عندي فلوس لكن أجِرْ[3] لك من المجلس أمر تحصل فيه ثلاثة أرباع آلاف ريال، قال: لا بأس، ما يعلم ما هو[4] الأمر، فلما كان في بعض أيَّام جاء إليه بأمر له أن ينفذ حاكماً للشريعة في محل كذا، وسماه لنا، فقال: إني لا أعرف هذا الشغل، قال: وما عليك من بأس إفعل ما تقدر عليه بين الغريمين على أحدهم البيِّنة، وعلى الآخر اليمين، فعزم، فلما وصل إلى ذلك المحل بأهبة[5] قاضي تلقاه أهلها، فلما صاروا بين يديه، كان كلما أحد جاء إليه يقول له عندك بينة، قال: خوضي آخر جيت لكذا وكذا/ قال: عندك شهود، قال: ما جئتك لهذا، قال حيث لا يمين ولا شهود صِرْ في الحبس، فصار في الحبس نحو مئات لا لِدَعْوى، ولا غيره فصار أهل تلك البلدة إلى شَيْخ بلدهم يشكوا عليه بذلك، فعزم وقته لهذه الحادثة العجيبة، فوصل إليه، وقال له: أن أهل هذه البلدة صَارُوا في الحبس من لديك، وما لهم ذنب إليك، قال عندك شهور، قال ما جئتك مشاجراً جئت أخبرك ما جرى، قال إحلف قال جئت أخارج أصحابي، قال احتبس، وصار معهم، فلما رأوا هذه المصيبة كتبوا إلى شيخ الإسلام إلى إسطنبول بذلك الواقعة التي أصابتهم، فعرف الذي أخذ الرأي منه وهو الذي استدان من الخمَّار، فكتب إليهم أنهم يسلموا له نحو ألف أو

---

(١) هي المجلة العدلية قننت فيها أحكام الشريعة بما يوافق العصر ولا عبرة بقول المؤلف فهو لم يسمع بها إلا سماعاً.

(٢) كلمة مطموسة.

(٣) إسحب لك. والجرّ (معروف).

(٤) ما حقيقة الأمر.

(٥) خ باهبت.

الفين غرامة ما قد غرم في وصوله إليهم، وما قد صَرَف على نفسه، ومن معه لديهم، وهو سيرفعه، فسلّموا ذلك ورفعه من هنالك، فهذه أخبارهم.

[وقد سبق في أول الكتاب بخط النّاقل، من خط المصنف مثل هذه لكنها قصة أخرى حق السائح إلى بلاد النصارى، ولقاء القاضي النّصراني، وكلام المصنف حجة لأنه عالم][1].

ومرادهم خَلس الرعايا والسّلب لما في أيدي العرب، ومن ذَهَب ذهب.

وأما أخبار الوقائع التي قد وقعت في اليمن[2] والحروب، فلا تعدُّ ولا ثم فُسْحة لرقمها عن كل وقعة، لأنها قد تكاثرت، فإن هي أرحب فخمس ست وقعات، وإن هي خولان فمثلها[3] وإن الحدا فكذلك من ابتداء التشكيل، وإن هي آنس وضَوْران فمراراً وكل بلدة يستنصروا[4] فيها التّرك إلا بلاد حاشد، فما قد أحد فعل كفِعْلهم، حتى أنهم مَنَعُوا على نفوسهم، وأول الأمر قبل ما يختبروا بقتالهم، كان يسلموا عشور وعامل عليهم في خمر يَحدّه[5] إلى عند عاصم فما أحد وصل إلى أقصاها إلا هو في تلك المدة المذكورة حق البَطْنة مرة على المتوكل، ومرة على الهادي شرف الدين، وتغلق باب القبلة[6] ورفع العامل، ومنعوا على تسليم العشور، وطلبوا الزّيادة من الدولة، حتى أنهم جعلوا لهم مَعَاشَات في كل شهر، ومتى قطعوها الدولة دوّروا لهم أدنى شغلة[7] وهوّلوا بحركة أو مَخْرج إمام، ويستلموا ما لهم منن منكسر، ومثله وأمّا ما قد غنموا من الأتراك، فقد أكثر بلاد حاشد متسلحين تاشخان، ولم عاد فيهم يتسلّح البنادق الأصلية إلّا القليل وقد هو عندهم كالنّاقص بينهم، وإذا خرجوا في دورة[8] أو ملقى أو عيد أو سوق، فلا ترى فيهم إلّا كلهم بما ذكر، وذلك بمرئى وقد بهْ في أرحب ولكن ما هم مثلهم أمّا حاشد قلّه درهم. /

واليوم أخبرنا بعض الذي يشارعوا أنه احتاج بولة[9] لورقة قالوا ما تقبل الورقة

---

(١) من هامش المخطوطة.

(٢) خ فليمن.

(٣) خ فثملها.

(٤) أي تارة ينتصروا وتارة ينهزموا.

(٥) سبق شرحها.

(٦) الجهة الشمالية.

(٧) مشاغلة.

(٨) جولة.

(٩) هي ما تعرف الآن بالدمغة طابع صغير يعين بقدر من المال.

إلا بها وإذا هيه[1] بثلاثين قرش حجر، وقد طرح مثلها في شريعة[2] ولم قد وقف على شيء. وتوكل للشذّاري[7] وصرفوا من المحكمة عند قاضي الجهة الهجوة[7] واسترقم[4] وغَرم غرامةً كبيراً، ودخل غرم في المحكمة لحتى صحَّ الحكم، ورقَموا فيه بالصِّحة، وخرج غريمه عند قاضي الاستنطاق، ونقض ذلك كله، وأخذ دراهم من الغريم كبيرة، ورجع إلى المحكمة يراجع، فلهم زِدْ قبل منه شيء بعد أن جَرَّ كل واحد شويته[5] ورشوته، وآخره أقنعوا أن ما حَدْ يقدر يَعْترض الإستنطاق[6] وليس هو بشريعة، ولكن يراجموا[7] الغراما[8] إلى كل مجلس ومحكمة لأجل[9] تصال[10]الدراهم عند كل واحد.

وفي شهر رجب سنة ١٣٠٦ وصل باشه كبير من داخل سَمُّوه بصادق بيه، وبقي في العرضي قيل أنه وصل بقوانين منها تَسْليم دراهم على كل بيت في الشَّهر، وعلى كل حانوت، وعسكر نظام وهلك بوعده في العُرْضي فسبحان من له في كل ساعة شان.

وفي الشهرين الماضية قَلَبوا[11]الوزنات[12]حتّ مدينة صنعاء، كان كل رطل فيها فعلوه الأئمة السابقين سَبْعة عشر أوقية، وجعلوا تلك الوقية[13]الزايدة في الرطل وزن لأجل البركة، والأواق على حكمها، وجرت على ذلك مئات السِّنين، وهو لاء فعلوا الرّطل عشرين، وارتبش[14] كل شيء في المدينة وصارين[15] عينات منهن عشرين أوقية، ومنهن تسعة عشر أوقية، ومنهن ثمانية عشر أوقية، ومنهن ثمانية عشر أوقية وربشة، وقد زيدوا في الأسعار الرُّبع لأجل زيادات الرّطل، وفي الحقيقة ما زاد

---

(١) هي.
(٢) محاكمة.
(٣) أي من آل الهجوة لا تزال أسرتهم باقية إلى الآن. وهم من آل الكبسي.
(٤) استكتب.
(٥) القطعة المشواة من اللحم. ؤو الشي الخاص به من المغنم.
(٦) كأنه ما يعرف الآن بمحكمة الاستئناف..
(٧) أي يحولونهم من مجلس الى إمجلس.
(٨) الغرما.
(٩) خ الا أجل.
(١٠)تصل.
(١١)عكسوا.
(١٢)الأوزان.
(١٣)الأوقية.
(١٤) اختلط.
(١٥) صرن.

على الأصلي، إلا أوقية وهذا من الرّبش، وقلة البَصَر، وقلة البركة، وكثر الذُّنوب لا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي رجب سنة ١٣٠٦ تشارع سيدي علي بن محمد زبارة، والحاج حسين الغرباني على كِرَى[١] الحانوت، قال أنه ما بيسلم كل شهر بل بيتاعِبَه[٢]، وغرم الذي استرقم خَمْسة قروش حجر، والآخر أقل كون[٣] بيده شيء.

رجعنا إلى ذكر الباشا أحمد رشدي الذي عزر بأهل اليمن وأفقرهم وحبسهم وكَرْبجهم[٤] وخَرَّب بيوتهم، وأرسل الباشا الذي في صنعاء حين وقعت غَزْوَة راجح بن سعد صالح الميموني صاحب عيال سريح، وأرسلوا له فبادر إلى أمر الباشا سامعاً مطيعاً وفي ذهنه أن الكل يمن وكله دشمان[٥] ومنّاه أشعب بالخيال، وكَسْب الذّهب فلما وصل إلى عمران، وقع الحَرْب بينه وبين حاشد، وخادعهم بالأموال، وأرغم كل واحد على انفراده، وأخذ رهائن كذّابة من عيال سريح والجبل، وعزم على الرّجوع صنعاء، وبقي في نفسه السّيد محمد بن المتوكل محسن، يريد يخادعه بالفلوس، وإذا لاحت له الفرصة يَقْبض عليه فهو المراد، فخادعوه ناس من حاشد حتّى إلى عمران أدخلوه إلى بيت الصعر، وجاء أحمد رشدي إلى عنده وجلّله وعَظّمه وكرّمه، ورأى رجل مشكل، عجيب حاله مرضي، فِعاله مقبولة في كل المجامع، وهو شَاب بقي عند من يعرف حقّه ويوم ثاني أرسل أحمد رُشْدي للسّيد العزي يخرج للعَرض حق عمران، فخرج وبسط له شباك الخداع وسَلَّم له دراهم/ثلاث مئة قرش حجر، وقيل أكثر، وقد رأى الشّر في وجوه الترك يظهر، وسمع نفثات أقلقته وكتمها، ورجع عمران وفي الليل أنسل راجعاً إلى حاشد، وقد كان كتب أحمد رشدي إلى صنعاء بتقرير معاش لسيدي محمد المتوكل، فإن يعود إليهم أو يرسلوا بمعاشه فهم على المحبة والوداد، وهو والقبائل يشتوا[٦] الفلوس والزاد وإلاّ فزيادة في الفساد وأن يبدي غير ذلك، فلعل الخبر ما هنالك الذي لمحنا أولاً إليه من أن قد كان القبض عليه. وفي نصف رجب جاءت الأخبار من الجهة العدنية أن أهل كومان من الحَدَا غزوا قرية الجُبْجُب من مكتّب عنس ذمار، وأخذوا

---

(١) إيجار.
(٢) يتعبه.
(٣) حيث بيده إلخ.
(٤) ضربهم بالكرباج. قلت يكثر في العامية تصريف الاسم إلى فعل وهذا عام في سائر عامية البلاد العربية.
(٥) أغبياء أو أعداء واللفظة من الفارسية.
(٦) يطلبوا.

جميع ما فيها من كل شيء، ورجعوا، فلما رآهم أصحابهم من الحدا أهل بني فلاح نعق شيطانهم، وصاح، ونهضوا فوراً من الصَّباح، وتوجَّهوا على قرية أخرى من مكتّب ضَوْران وجَهْران إسمها عَشْروَس، فكتب المشير عثمان باشا لأحمد رشدي إلى عمران ما قد وقع في الجهة العدنية، فبادر بالوصول، ولا سيَّما كون قد سلمت منه لحاشد المحصول يعني لأشرارهم، فنهض من حينه ووصل صنعاء يوم الأحد بحينه[1] لأنه مسافر قريب المدينة، وبات تلك الليلة عند الباشا الكبير حقّهم، وسأله كبيرهم هذا عن تلك المحلات وحاشد، فقرَّر لأحمد رشدي النَّجابة والفراسة والسياسة بالنظر إلى من سبق، وكتب له الجمالة، وما وقع أخبار ذلك إلى بجميع حاصل البلاد في تسْكين أهل الفساد.

ويوم ثاني سادس عشر رجب وصلت الأخبار المفزعة للأتراك أن العرب قد قتلوا جماعة كبيرة وسلبوهم من الترك، وذهب سلاحهم وعفشهم[2] ودبشهم[2] يعني أصحاب رشدي بالأتراك وكل زبطي. وكبيرهم عثمان وسلم أحمد رشدي وصح المغزا والفعل فيهم، في خلال ذلك خَلَا من يرصد دكاكين صنعاء وما هو إلّا قبل الوقعة بيومين، فهذا بذاك لأنها أزال، ويريد يفعل على أهل كل بيت كِرى غير الكرى الأول ويصير إليه، فسبحان من ملكوت الأمور بيديه، وتعالى من لا شيء يخفى عليه.

ووصلوا الأتراك برأس[3] إلى صنعاء، ولعلها قد أدبرت عليهم قطعاً لأنا نسمع ونرى في أيام خلافة بيت القسام، كل ما وصلت الرؤوس من الأرض إذا كان الواصل رأس واحد الدُّبور بعينه، وبعد تفاقم الأمور صلحت بمصالحة رغْين وعك[4]، وهذا من ركة الأمور وإلّا فما كان الناس مظنّين إلا أنه سيصال أقصى القبلة بعد تمام ساشد، ولكن ضعف الطالب والمطلوب.

وفي سلخ رجب رجع الباشا أحمد رشدي بخفّي حنين والتُّرك باقين خوفاً غدرات العرب، وما وصل إلّا بقليل عسكر، وأربعة مشايخ، وأربع عقاير من عيال سريح، ولو ثَمَّ قوة وقدرة أن قد فعلوا بما يذهب بلادهم بعد رجالهم على قانون الترك، ولكن لله حكمه، ولو تمَّت للترك الكلمة، رجعوا على المدينة وأهلها،

---

(١) أي من الصَّباح الباكر.

(٢) متاعهم من العامية السائدة في سَائر البلاد العربية.

(٣) أي براس إنسان.

(٤) في الأصل وأدعك.

فـدفع الله عليهـا وعلى أهـلها بفعـل تـلك القـبائل الـذين ذكرنـا، ومـا تركَّـب على ذلك المخـرج إلاَّ خـراب البـلاد وكـثر الفسـاد، ولكـنه يحـصل من لـطف الله مـا لا يخـطر في البـال ولو انكشـف الغـطاء مـا اخـترت إلاّ الواقع[1] فالمتـولي لـدينا عثمـان أجـور من قـد مـضى، وعـدم البصر فيه لأن قد جـاء عاصـم في سنة ١٢٩٤ أعـسر منه ولكـن/ظـلم مـرتب وكـان يـفعل الأمـور على مـايـطابق الوقت، ولم وصـل إلى ما وصـل به غـيره. كـذلك أحـمد فيضي الـذي خـرج بـاشا في سنة ١٣٠٣ جـوَّاراً وضـع الجـور في مواضعه الـذي كـان يصير به مشكوراً عند أكثر العـرب، ودوّخ البـلاد جـميع، ولو بـقي أنه كـان أحـسن للرعايا لأنه تَخَلَّص المشايخ الكـبار، وأخـذ منهـم المـراد، ولم شعـر بالضر لأحـد والسيف مصلَّت والرفق حـاصل، والمخـارج والحـروب كـائنة، وكـان يـقع النَّـصر معه، بعـكس هـذا فشـاهر سيفه وكـل إنسان في خـيفة[2] والبـلاد في فسـاد، والرعايـا في عِنَـاد والنَّهـب والقـتل في كـل محـل، الشِّق[3] القبلي ما صلحـوا إلا بـدراهـم كبيرة من التـرك، والعـدني[4] يتقطعـوا في الـطرق، فـإنـه وقـع في رجـب هـذا في قـاع سهـمان أربعـة مقـاتيل، وفي بـاب ذمـار كـذلك، ووصلوا أهـل المجـد[5] إلى خـارج ذمـار، وخـرجت أهـل ذمـار اللَّيل ولم يقـفوا على طائـل، وفي ذراع الكـلب مقتول ومناهـيب[6]، وفي جَهْـران الليل نَهْـب على جهـة السَّرق، وهو في صنعـاء يتقـطع سمومـات[7] ويفقـس حـكم[8]بـاردة الـذي تذهـبه، لأن الخـلق لا زالوا في دعاء ليلاً ونهـاراً لمـا بلغهـم من حـركاته ونفثاته فلهـذا لم انتظم له شيء، وقـد قيل أنـه مطـلوب[9] فـإن صحَّ فـما هـي إلاّ (سهـام[10]الليل لا تخـطي، ولكن لهـا أمـد وللأمـد انقـضاء)[11].

وفي آخـر رجـب أوجـد الباشا عثمـان عـلى كـل عاقل في أي سوق يَرْصـد

---

(١) من كلام الإمام علي بن أبي طالب.

(٢) خـوف.

(٣) الناحـية.

(٤) أي الشـق العـدني. الجهـة الجنوبية.

(٥) تقـرى هـكذا وقـد تقرى الحـد.

(٦) منهـوبين.

(٧) أحـقاد.

(٨) أي أفكـار جـائرة.

(٩) أي مطـلوب وصـوله إلى تركـيا.

(١٠) الـدعاء عـليه.

(١١) من شعـر للشافعي.

حـناويت[١] سوقـه وقَبّـاض[٢] الأكـريات[٣] السيـد محـمد مفـضل، يـرصد في حـاله[٤] ويبـحث عن كـل حـانوت كـم كراهـا وأين بيصير وبقي يُبَيِّـن الحـر[٥] من الوقـف[٦] وأوهـموا بـرصد البيوت، فـكثرت الأخـبار وقلَّ الإصطـبار، وشـاع القـيل والقـال، فـناس ذكـر أن مـراده يـفعل[٧] على كـل دكـان نـصف قـرش، وبعضهـم قـال لأجـل معرفة[٨] النـفوس، وكـل أحـد بثَّ من الأخـبار ما وجـده، وقد أحـدثوا قلعـة شرقي القـصر داخـله فيه، ولولا تفاشـل حـاشد وعيـال سريح في المخـرج ما كـان في ذلك بـأس ولا حَـرَج.
وبعد وقفوا خـوض[٩] الحـناويت[١٠] واخـتلفت الأخـبار، فالـذي شـاع أن الباشا رأى في منـامه النّـار والله أعـلم، وبعد أيـام يـسيرة ترجـح للباشا رصـد حناويت صنعـاء جـميع، حـتى الأسـواق الـذي لم يـكن فيهـا فائدة، حـتى الذي بيُمْسُوا فيهـا البـدو، وطبعوهن بقطران[١١] مثـل الحناويت المحـلولات، وأثـبتوا كـل سوق كـم عـدد حناويته، وكـان ذلك على عنـوة بعض الأتـراك، وأمـا أول الرَّصد فخـلوا البُلَص الـذين سَمّوهـم بـلص، وهـم من صنعـاء، وعاقلهـم السِّيد علي بن أحـسن صـلاح فايع، والـذي رأيت بيرصد السِّيد علي الشامي من الضَّبعـات[١٢]أو من جحـانه، وإبن الشهـاري، ولعلهـم كـانوا ناكزين[١٣]خَلَـو العرب، فـلما رأوهـا بـرداً وسلاماً خَلُّوا تـرك، وكـان أحـدهم يرصـد والآخـر يكتب في البيانات بأيـديهم: حـانوت فـلان حـانوت بن فـلان، والآخـر يـكتب على كـل حـانوت عـددها الـذي وصـل العدّ عندهـا، وكـل سوق يبدع[١٤] يـكتب أول حـانوت ضربـة[١٥] واحـد بالهـندي[١٦] إلى ينتهـي إلى آخـر واحـدة، وكـل حـانوت تقابل في العـدد ما

(١) أي حـوانيت جـمع حـانوت معـروف.
(٢) مستـلم.
(٣) جـمع كـرى الإيجـار.
(٤) من جهـته لوحـده.
(٥) الـذي يـملكه أشخـاص.
(٦) هـي التابعة للأوقـاف أو المسبـلة لأمـور خـيرية.
(٧) يـضع.
(٨) هـو ما يعـرف الآن بالتعـداد السكـاني.
(٩) أي دخـلوا في مسألة الحـوانيت.
(١٠) هـي الحوانيت يقدمون النون على الواو وهـذا شائع إلى الآن.
(١١) مـادة سـوداء (معروفة).
(١٢) قرية قريبة من صنعـاء.
(١٣) مستوفزين.
(١٤) يبتدي.
(١٥) كتبة.
(١٦) أي الحـساب الأرقام المعروفة.

قبالها[1] مثاله أن الشّارع في السُّوق سكتين[2] عدني وقبلي، فأول واحدة عدني قبالها (١) قبلي (٢) قبالها عدني (٣) وعلى هذا إلى خمسين ستين مِئة كما صَحّ، والذي يكتب في الحناويت بدل القلم مسواك، وبدل المداد قطران، وقطْرنوا كل حانوت، والله أعلم ما ينتهي إليه الخوض هذا، وما أظن إلاّ أن ذلك لحكمة عندهم، ولهم فيها ارب[3] وإلا فسمعت من ناس عقلاء بيتحرّشوا الناس لأجل أو يحصِل من العرب فتنة أو منع أو أدنى شيء يدخلوا بها علينا لأن هذا الباشا عثمان ما قد جاء أغلظ منه إلاّ عاصم، ولكن عاصم السّابق معقّل[4] ما يضع كل شيء إلا في مواضعه، وهذا بيفعل بِقِلّة[5] قَبَله[6] وقلة بصر، وهذا الرَّصد في نصف شعبان سنة ١٣٠٦ وقد أمر أهل قبيلة سنحان يبرحوا[7] الطرق العَدَنية، وأشعروا أنه سيسير يتحمَّم في حمام علي في آنس، ومضوا ناس من تلك القرى السنحانية وهم/بيبرحوا الحجار والتراب في الطرق.

وفي شهر رمضان سنة ١٣٠٦ أطلقوا القاضي يحيى المجاهد[8] صاحب تعز من حبس الحديدة، بعد أن أخذوا عليه بمقدار ستة لكوك من كل شيء، ووصل صنعاء ألى الكاوش[9] ولعله كَفِل وخرج، ومراد الدولة في دخوله اسطنبول، ولعلهم أشاروا عليه ناس أنه يختار ذلك ويطلب الدخول، ودَقّ[10]في السلك لنفسه أنه يريد الدخلو.

وبعد رمضان سابع شوال، وصل السيد محمد المتوكل، وصنوه عبد الله بن المتوكل سيدي محسن إلى صنعاء إلى حضرة المشير عثمان باشا، ووصلوا بأهبة كبيرة، ولقيوهم جميع أصحاب الدولة، وجميع أهل صنعاء، ووقعت حَزْبه[11]وأهبة لوصولهم، والتدبير لذلك من حين خَرَج المقدمي الباشا أحمد رشدي إلى عمران،

---

(١) امامها.
(٢) جهتين من الدكاكين متقابلة.
(٣) خ ما ارب.
(٤) عاقل.
(٥) اي بغير قبول أو استحسان.
(٦) قبول. أي بقل قبول من الناس واستحباب له.
(٧) برح الطريق أبعد ما فيها من أحجار وتراب ووسعها.
(٨) هو يحيى بن أحمد بن علي المجاهد مفتي تعز وفاته سنة ١٣٠٩ (انظر لامية نبلاء اليمن ص ١٧).
(٩) محل العسكر.
(١٠) ضرب على السلك (البرق).
(١١) تجمع أو استعراض.

وصـل إليه السَّيد المذكور، وعقـدوا ذلك الرَّأي، ووصـلوا صنعـاء يـوم الخميس سابع شـوال، وفرّغوا لهـم بيت في بـئر العزب، وأهـبُّوا لهـم مـا يحـتاجوه من طعـام وشـراب ومـلبوس ومفـروش، كـل شيء زائـد على المحـتاج.

يوم السبت تـاسع شـوال أمر الوالي عثـمان باشا بالعَرْضـة[1] لجـميع الأجـناد الرُّومـية، وجـميع آلـة الدَّولة يحـضروا المـدافع جـميع، والقـواري[2] والبنادق، والعسكـر العربيةالمسمـاة بالزبـطية، ووقـع ذلك في العرضي الغربي، ووصل الباشا والسَّيدين المذكورين المفعـول لأجـلهما ذلك، وخـرجوا جـميع أهـل صنعـاء لرؤيـة ما هـنالك من ظُهْـرٍ[3] إلى عـقيب العصـر، وحـضرت جـميع الخيل بركـابهـا، عرب وعجـم، فـلما ازدحـموا الخـلق مـا وسع الباشا إلا دخـل من بـاب اليـمن، ونـزل بـئر العزب والسيِّـدان خـرجا من بـاب العُـرْضي. العرضي الغربي ودَقَّـا[4] على خـيلهما، وفلتـا بهـما إلى بـئر العـزب من زَحْـمة النـاس، وقـد لبسـا مـلبوس آخـر غير ما وصـلا به، والكسـوة من الدَّولة جيخـان حـمر على قـانون التـرك، وتَقَرَّر لهـما مصروف كـل شهـر مـئتين ريـال حجـر والجـاذب لهـما إلى صنعـاء أبو فـارع صـاحب حـاشد، والسيد أحـمد بن محـمد الكـبسي، وسعد[5] الشرقي، ومـا فعلا ذلك إلاّ محـبَّة للتـرك، وأوهـموا أن القـبلة في يـد السيد المذكـور، وأنهـا ستسكـن الضَّوارب، ومكافـأة للهـادي السيد شرف الـدين الذي في بلاد صعـدة، ومـا أظن إلا أنها ذنوب على العرب، وإلاّ فالمتوكـل رحـمه الله أبو السَّيديـن الواصـلين صنعـاء وأبوهـما خير منهـما قـاتل الأتـراك مقاتـل كـبيرة وغَرَمْ[6] الأتـراك بسببه نحـو مـئتين لـك من المـال كـما ذكرنـاه سابقاً، وأوصـى أولاده بعدم وصولهـما تحـت وطـأة التـرك خـشية عليهـما لمـا فعل معهـم[7] فخـالفا، وفعـلا مـا ذكر ليقضي الله أمـراً كـان مفعـولاً.

وأمـا شرف الدين الهـادي في صعـدة فـدانت له البـلاد، وواجهـت جميعهـا، ولم

---

(١) الاستعـراض.
(٢) جـمع قـاري: وهو العربـة تجرهـا البغال ونحـوها.
(٣) من وقـت صـلاة الظهـر.
(٤) ضربـاً.
(٥) هو سعـد بن محـمد بن عبد الله الشرقي ولـد سنة ١٣٠٥ وصحـب جـماعة من العلماء والأئمـة وبعد دخـول الأتـراك إلى اليـمن هـاجر إلى حـاشد سنـة ١٣٠٧ واستقـر سنـة ١٣٢٦ بقفلة عـذر مع الإمـام يحـيى وألّف سيرة كـبيرة لهـذه الإمام بعنوان قـلائد النحـور توفى سنة ١٣٣٥ (انظر كـتابي مصادر الفكـر الإسلامي ص ٤٦٢).
(٦) خ: غرمـا.
(٧) خ معاهـم.

بقي معه ضدّ فيها، وأرسل لزوجته التي كان مانع عليها صِنْوها[1] سيدي محمد ابن المتوكل الواصل صنعاء، وعزم معها أخوها الرّابع السيد علي، وهو الآن هنالك في حصن السِنّارة عند الهادي مجلّل مكرم في مقام أمين في الدنيا والآخرة والأعمال بالنيات. وبعد شهرين رجع عند أهله بلاد حاشد، وأما أخيها الكبير الفريد[2] أحمد بن المتوكل فإنه تهيّأ في هذه السّنة سنة ١٣٠٦ لدخول البيت الحرام للحج والسّفر على طريق صَعْدة من عند صِهْره السّيد شرف الدين القائم بأعباء الخلافة في الآن، وأما الذين وصلوا صنعاء فإنهم طبعوا[3] صورهم في اليوم الثالث من وصولهم يوم السّبت لعشر مضين من شوال، وما فعلوا الأتراك تلك الزّينة إلا لأجل تَصْويرهم، وإلاّ فما هم فرحين بنا، وأرسلوا بتلك الصور إلى اسطنبول، وهي صور جميع من حضر، يريدوا علوّ مرتبة لنفوسهم، ويفتخروا على سائر البوش الماضين، كونهم غرموا في إصلاح بلاد القبلة لكوكاً لا تحصر، ولم انضبط لهم منها شيء وأين هذا من ذاك، فإن والدهم المتوكل لو أراد وَزْنَه ذهباً من الأتراك ويصل إليهم ويسكن[4] من حربهم لبذلوا، ولكنه رحمه الله اختار الآخرة، وعاش سعيداً حميداً، ومات شهيداً، وأما أولاده الواصلين، فإنهم بذلوا نفوسهم للوصول لأجل المحصول ولكنها ألجأتهم[5] الحاجة، وهو بسبب مخالفتهم للإمام القائم، وإلاّ فلو بذلوا نفوسهم لله ولرسوله، وتابعوا القائم لكان حظّهم أوفر، وحاصلهم من الدُّنيا أكثر سِيَّما مع محبّة جميع الناس، والقبائل لهم، ولكن العناد أغواهم والهوى.

حب الرياسة أطغى الناس فافترقوا حرصاً عليها وهم منها على حذر

﴿وفي شهر شوال وصلت الأخبار أن ابن رشيد[6] من بلاد الشُّروق[7] محترك للخروج إلى الحجاز، وأنه في قوةعظيمة بخيل كثير ومدافع، وقد هو في طرف بلاد يام وعسير، وبعد ثمان وصلوا ناس من بلاد صعدة من عند الهادي سيدي

---

(١) أخوها.

(٢) سبق شرحه وهو الأعور.

(٣) رسومهم وهذا أول عهد لليمن بآلة التصوير. قلت: رأيت هذه الصورة بالمتحف العسكري بصنعاء.

(٤) يهدأ.

(٥) خ اللجاتهم.

(٦) هو محمد بن عبد الله بن علي بن رشيد أكبر أمراء آل رشيد حكم حائل وتوطدت لهم الإمارة وامتد حكمه إلى أطراف العراق ومشارف الشام ونواحي المدينة وما يلي اليمن وغلب على نجد وأدخل بلاد آل سعود في حكمه توفي سنة ١٣١٥ (الاعلام ج ٧ ص ١٢٢).

(٧) النجود أهل نجد.

شرف الدين، وأخبروا بوصول نَفَرين مكاتبة من عند ابن رشيد إلى عند الهادي على مطّيتين راكبين، وشاهدوهم ووصولهم بكتب إلى الهادي، ؛ أنهم باذلين له النُصرة والطاعة على ما يريد، وإذا مراده في خَيْل بركابها يجاهدوا معه أرسلهم، وكتب لهم الجوابات، ورجعوا إلى أميرهم.

وفي تلك الأيام عَزَمَ سَيِّدي عبد الله بن المتوكل محسن الذي وصل صنعاء وصنوه محمد إلى حضرة الباشا عثمان، ورجع خَبر سيدي عبد الله بيتطلع لتلك الأخبار، ويعرّف بها عثمان باشا، وبقي صنوه سيدي محمد.

وفي سلخ شوال سنة ١٣٠٦ وصل عزل الباشا عثمان[١] وأنّ ثَمَّ باشا آخر وصّال، وقد أرسل عثمان باشا مقدّميّة أحمد رشدي باشا إلى الجهة العدنية، يفعل كما فعل أولاً، والله غالب على أمره، ووصل للمشير العزل له من السلطان عبد المجيد بن عبد الحميد[٢] ظهر له[٣] أن قد في قلبهم عليه لما صنع، وفسح للسيد مُحمد بن المتوكل من صنعاء لأمر في نفسه، إمّا عداوة للسُّلطان حين عزله، أو وفاء منه للسّيد كونه أدخله بعهود ومياثيق[٤] ولأجل لا يصير به غَدْراً بمن بعده، ولكنه تَجَمَّل فيه مدة بقاه نحو شهراً أو دون كل يوم بالكفايات الفاضلة والمذبوح كل يوم، والخريف[٥] والسمن، وكل شيء كان يصير إليه من الشّيخ علي البليلي الجمروك من الميري حق السّمسرة، وأما الفلوس فمن الصّندوق، ولعلها تقوم في ألفين[٦] ريال حجر له ولأصحابه حاشد، الذين دخلوا معه، وكان عَزْمه إلى عند أهله إلى بلاد حاشد يوم الإثنين ثالث شهر ذي القعدة، وأما المشير فقد أخرج جميع أداته[٧] وأثاثه، وما قد جمعه من عَفْش ثقيل إلى السُّوق للبيع، ولله في كل ساعة شان.

وكان عزل هذا الوالي عثمان[٨] نوري في آخر شهر سنة ١٣٠٦، ولم قد ثَمَّ

---

(١) وصل إلى اليمن سنة ١٣٠٥ فاستحدث الرشوة واستؤنفت المظالم وكان عزله سنة ١٣٠٧ (المخلاف السليماني ص٥٣٣).

(٢) كذا وصوابه عبد الحميد بن عبد المجيد تولى الحكم سنة ١٢٩٣ وخلع سنة ١٣٢٧ هـ.

(٣) بان له.

(٤) مواثيق.

(٥) فاكهة العنب وغيرها.

(٦) خ الفيين.

(٧) أدواته حاجلته.

(٨) لعله اختلط عليه بعثمان نوري الآتي بعد عثمان باشا المذكور (انظر المخلاف السليماني ص٥٣٣).

باشا غيره كما يفعلوه سابقاً إن متى[1] وصل الثاني خرج الأول.

ووصلت مَرْكبين في ذلك التّاريخ نَصْرانية إلى بندر الحديدة، وأظهروا الخلاف على الدّولة، وركّبوا مرآه[2] في المركب في الليل البهيم في ظلمة عظيمة، حتى بقي البندر مثل الشّمس نصف النهار، فما وسع أهل الحديدة إلاّ ردُّوا البيرق حق النصراني الذي بَعّدوه في تلك المدة لأجل مغايرة بدأت من أحد المتجورين للنصارى، نسأل الله الحماية.

واضطربت أخبار الحُجّاج في ذلك الشّهر، فمنهم من ركب البحر مثل الفقيه العلامة عبد الرزاق[3] الرقيحي من صنعاء، ومن معه، وما يعلم كيف كان بهم، ومنهم ناس آخرين من الحَيْمة وحراز وبني مطر، وركبوا وساروا بهم إلى جبل الطُّور وأجاعوهم وأعطشوهم، وبقّوهم أيام حتّى ضاق بهم الخناق، وتمنّوا الفرار، وأرجعوهم إلى الحديدة، وما خرجوا إلا كالمولودين من شدة المصادرة من دون حج ومنهم أكثر أهل صنعاء وأرض اليمن رجعوا إلى محلاتهم بغير حج من شدة ما رأوا في المذكورين، بعد أن أقاموا في الحديدة إلى سلخ شهر ذي القعدة، والباقي منهم بقيوا في الحديدة الله أعلم ما يصح[4].

وخرج الباشا الآخر عثمان خيري[5] واشتكوا عليه جميع الحجاج/في البندر ما نالهم من المشاق، ومن الكَرْتنة[6] والقطيعة[7] فأجاب عليهم أنا تركتنت[8] ثمانية عشر يوماً مَنْ لي[9] في نفسي، آمنّاً بالله، ووصل صنعاء في خامس شهر الحجة.

---

(١) خ متا.

(٢) لعلّها الكهرباء المعروفة.

(٣) هو العلامة الخطيب عبد الرزاق بن محسن الرقيحي تولى خطابه جامع صنعاء مدة من الزمن ووضع مؤلفاً في التاريخ بعنوان تاريخ الزمان فيما استحدث بعد سنة ثمان توفي سنة ١٣٢٣ (انظر كتابي مصادر الفكر الإسلامي ص ٤٦٠).

(٤) ما يصح من الأخبار. ما يتحقق.

(٥) هنا اتضحت لنا الحقيقة في اسم هذا الولي وإن صاحب تاريخ المخلاف السليماني توهم حين سماه عثمان نوري وإنما هو إسم الأول وانظر لزيادة التأكيد (أئمة اليمن ص ٩٩).

(٦) هو ما يعرف الآن بالحجر الصحي يحجز فيه المسافرون للتأكد من سلامتهم من الأمراض المعدية.

(٧) التأخير.

(٨) كذا في المخطوطة ولعلّ صوابه أنا تكرتنت.

(٩) بمعنى من الذي سيدافع عني.

[وفاة السيد العلامة القاسم بن الحسين المنصور]

وفي ذلك اليوم توفي سيدي العلامة البدر نخبة[1] آل الإمام سيدي القاسم ابن الحسين بن المنصور حسين رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فراديس تجري من تحتها الأنهار، فكان لموته موقع عظيم في قلوب المؤمنين.

وخطب الخطيب في جامع صنعاء تلك الجمعة والثانية بثَلْم الإسلام، واستودع البيت الحرام، وحفظة من النّصارى اللئام، واستشهد بأبيات عبد المطلب، ومستهل الخطبة: الله المستعان في حفظ البيت الحرام، وعليه المعوَّل والتكلان في بقاء المشاعر العظام، ووعظ في جمع كلمة[2] المسلمين، والتآلف والتّعاضد، وتحشيد المسلمين في هذه الفاقرة العظيمة.

ووقع في ذلك التاريخ مطر عظيم ما قد وقع مثله إلى آخر سنة ١٣٠٦ في أيام الخريف، ونزلت سيول ما يعتاد واحد من الأحياء أعظم منها، وفعلت[3] في بيوت السائلة[4] فعل عظيم، وهرب منها أهلها، وخربت بئر مسجد النّهرين والبستان، ولولا مَنَّ الله سبحانه بذلك أن كل أحد هلك لما قد تتابعت الشّدة مدة سبع سنين، وانتهى سعر الشّعير في تلك السِّنين جميع إلى قدح وربع، والبر إلى ربع قدح وثمن، والذرة إلى نصف قدح. وأما في البلاد البعيدة فكان السعر أرخص قليل، ولكنه هَرَّب الناس الميري[5] الواقع في صنعاء، أصله ربع عشر، وكان يقع في بعض الحالات، وبعض المجلوبات إلى عشر كامل، ولم يعتاد على الحَبّ ميري في جميع أرض الشام، إنما عشر من المال لا غير، في اليمن عشر المال، والمخضر[6] يصح عشر ونصف، وبعد كان يَزِدْ[7] يفعلوا عطف على أهل الأراضي فيساوي الخمس، والفرق والغنم وأشياء ما تحصر، ما يحلها إلّا الله حتى خَلّسوا العباد وما بقي إلّا فرج الله.

ووصل الباشا المذكور يأمر الناس، وجميع الأتراك بالصَّلاة، والمحافظة على

---

(١) خ نخبت.
(٢) خ كلمت.
(٣) أي فعلت من الخراب.
(٤) هو مجرى السيل الذي بين صنعاء وباب السبح.
(٥) سبق وهي ضريبة الأراضي الزراعية.
(٦) الحضراوات كالبصل وغيره.
(٧) يزيدوا أو يضيفوا.

الجماعات، حتى وقعوا كلهم مُصلِّين وهم لا يعرفوها، ما أحد يدري ما عنده وما هو عليه.

وفي سلخ شهر الحجة وغرة محرم، وصلوا الحجّاج أهل الحجاز من الطايف، وقيل من الليث ردُّوهم الأتراك بغير حج، لعل شورهم[1] واجِدْهُمْ والنَّصارى إنَّا لله وإنا إليه راجعون، وكله[2] ولا المتأجِّرين الفقراء الذي قد استغرقوا جميع الأجرة في قضاء ديون ولعيالهم، وما رجعواش[3] من ذلك الأجرة والخطاب باقي عليهم، في ذمة الأتراك، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وما صَحّ[4] إلا أهل الساحل لم حَجُّوا، وأما أهل الحجاز فَكَرْتنوهم بيومين ونَشَروا[5] يوم ثالث مستعدِّين للشَّهادة خشية من فوت[6] الحج، فلما رأوا الأتراك فيهم الشرّ تركوهم، وبلغهم الله الحج، والزُّوارين لم قد بادى[7] منهم أحد.

وفي نصف محرم قطع الوالي الكنس[8] إلى القواري[9] وأمر ببيع الحمير وابتاعين، وقال كل أحد يخرج كنسه إلى البر.

وفي سلخ محرم قتل النقيب محسن بن داحش الهجام في بيته غيلة من ابن عمه، بدعوى قتل عنده (وأقول شام والمراد عراق[10] الذي بيره[11] من عند الباشا عثمان خيري الذي وصل يأمر بالصَّلاة إلى عند قائد بن سنان عاقل الضُّمان في أرحب، وهو سرّح ابن عمه داحش الهجام لاختباره بما بين أرحب، ولشيء في علم الله لعله فتح خير للعرب، وإلا فهو كان هايل لم رضي يدخل مدخول جميع العرب الذين دخلوا عند الأتراك، وقد بذلوا له أموال جزيلة وجامكية كبيرة في كل شهر، ويسكن من شغلتهم، فلم أسعد احتاجوا خرجوا عليه مراراً، وخربوا بيته، وما كان

---

(١) رأيهم.

(٢) أي كل شيء يهون ولا المتأجرين وهم الذين يحجون عن الناس بالأجر إذ لا يعطى أحدهم إلا نفقات حجة.

(٣) ما رجعوا والشين هنا زائدة تستعمل في العاملة للكثرة.

(٤) أي وما انتهى إليه الأمر إلا..

(٥) خ ونشرو التصحيح من عندنا.

(٦) خ قوة.

(٧) لم يظهر خبر منهم أو لم يأتي احد منهم.

(٨) النفايات.

(٩) جمع قاري العربة تجرها الحمير أو الخيول أو الجمال. وهي من الفصحى الجاري من الجري.

(١٠) يكثر استشهاده بهذا المثل وكأنه يريد أن يبين أن الخبر الذي يقوله ليس على ظاهره.

(١١) في المخطوطة الذريرة بدون نقط.

همّه إلاّ القيام مع أئمة الحق، وبذل نفسه بين أيديهم، وعلى رأيهم، وأكثر اجتهاده مع الإمام المتوكل المحسن بن أحمد، فلما كانت أيام الهادي انقطع معه المجال من الإمام مثل جميع الناس، فمال إلى حكم الطاغوت، وبقي يجور من استجاره، ويغير على كل أحد ويَقْطع الخَضْراء على من لَم يسير في قوله في جميع الجهات، وكان يحصل له في ذلك موادّات وأكثرها من الحيمة وحراز/ وكان مراده أن الهادي سيدي شرف الدين يواسيه ولو بربع ما كان يصير إليه من المتوكل السابق، وهو سيفعل له ما يريد، ويشفي له الغليل في جميع الأعداء في أرض اليمن، لكن لكل إمام اجتهاد، فلم أسعد له المولى بشيء، ولا مراده يدخل عند الأتراك وإلاّ فكان سيحظى عندهم لفعله الذي قد اشتهر، وصِيته[1] المختبر، فإنه شجاعاً معتبِر، ولعل مولانا غير قابلاً للنّصائح، فما فاته فهو أكبر، بسبب ذلك، فكم قد رجع عنده أسودٌ بسبب عدم قبول النصائح، وكم فاته من فتوحات، قد بان فيهن النّصر واللوائح، لا سيما إذا كان محبّاً ورأى شيء لا يصلح، فإن كان من أمور خارجة عن المقام سمعها ويحسبها سامجة، وإن كانت من أمور المقام والبزايا[2] والديام[3] الذي بها يتم القيام، ويعلو شأن الإمام، ألقاها إلى أهل بيته الكرام، وتعادوا بذلك الشّخص ولا تزدْ تُقْبَلْ له توبة ما دام في المقام[4] ويلقى السام، ويندم، وآخره ما يصدق أي وقت يفتسح[5] وكل من افتسح ورجع إلى محله، بقي ذلك المقام نصب عَيْنه وأمله، وكل جاء وسار سَلَّه[6] ولا هان عليه أحد تركه، ولكن يقال: «إذا رأيت ما يغضيك فارقت ما تحب» فكل أحد يسير منه وفي عينه قذا، وفي حلقه شجا، ومولانا حفظه الله لا ذِهِنٌ[7] ولا دَرَيٌ إنما مجلس في الغدا والعشا، والسياق من كل أرض، ما أحد يعلم كيف صار، ولا أين طار، فإن كان محفوظاً فبها ونعمة، وإن هو على ما ذكروا المعاودين[8] وبلغ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي غرة سنة ١٣٠٧ وصل رجل عجيب حاذق لبيب من اسطنبول، وأصله

---

(١) جاهه.

(٢) الخادمات. جمع بزيّة.

(٣) المطابخ. جمع ديمة.

(٤) محل إمام.

(٥) يخرج.

(٦) سَلاه نسيه.

(٧) أدرك الأمر.

(٨) المترددين. إليه.

مشرقي من بكيل، قد كان عند القاضي يحيى المجاهد في اليمن، ولما وقعت به الوقعة هو وعبد الله بن أحمد الضّلعي صاحب عيال سريح من عثمان نوري الوالي السابق، وعزم القاضي يحيى، وولده الكبير إلى أسطنبول، وخرج الولد وهذا الرجل العجيب اللبيب المذكور، وخَبَّرنا[1] شفاهاً، وأخبرنا ما في اسطنبول من العجب، وكيف وقع دخول الفرنج في الأمر السلطاني، وأخبار لعلّها صحيحة، كونها وافقت الواقع الذي تجِسُّ فيه والمحسوس الذي لا ريب فيه فأول ما خدعوا الإسلام في آخر سلطنة عبد العزيز[2] خادعوا الوزراء وجميع الكبار من بوش ونظار وحكام بالمال، حتى انخدعوا وأظهروا لهم قوة غير ما يعتادوا وقدموا بعساكر جرارة ومدافع مختارة وعساكر كرارة، وخلوا المسلمين إلى حال[3] صلاة العيد، وقد كمنوا لهم مكامن، وهم آمنين الضرر وإلاّ فقد كانوا متداخلين في المحل وفي كل بلدة، بيت ببيت وحانوت بحانوت، ولكن من دون إظهار الضرر وأما المخادعة فكائنة فهجموا على المسلمين في بلدة خارج اسطنبول مسير يومين، فقتلوا من المسلمين قيل عشرين ألف، وقيل أقل وقيل أكثر من تاريخ بعد الثلاثمائة والألف، والهاجم بعض القرانات[4]. الكفرية بدسيسة من بعض القرانات الذي قد سدّ[5] هو والسلطان، وغدر وخَلاَّ غيره لا منهم[6] ودخلوا على الصّدر الأعظم، وأهل مجلسه، وقالوا لهم مع ما قد أرغموهم بالأموال الجزيلة إذا لم تسعدونا على شروط نفعلها بيننا وبينكم، لا نَأخُذَنَّ[7] البلدة أخذة واحدة، وإذا حطّت المساعدة منكم تساعد بأعلى أمر يكون بيننا، قالوا لهم: إذاً لم يحصل من السُّلطان ما نفعل، وأما إحنا فلا قلق منا قالوا إذا لم يساعد السلطان قتلوه/فقالوا للسلطان هؤلاء الفرنج قد تمالوا علينا، وما يليق إلا نجيبهم إلى مشاريطهم[8] التي قد شَرّطوها قال وما مشاريطهم؟ قالوا: أن يكون جميع المأمورين في جميع القضوات منهم البوش والكتّاب وكل عمل ما خلا العسكر النظام، فمن المسلمين، الشرط الثاني أن يلبسوا هؤلاء المذكورين لِبْسَهم[9]

---

(١) اخبرنا.

(٢) هو عبد العزيز الثاني بن عبد المجيد حكمه من سنة ١٨٦١ م إلى سنة ١٨٧٦ (الفتح العثماني ص ٤٩٣).

(٣) أثناء.

(٤) الدول. (سبق).

(٥) تصالح.

(٦) كذا.

(٧) لنأخذ.

(٨) شروطهم.

(٩) لبساهم.

وتَفْصُولهم[١] الشَّرط الثالث أن يحجُّوا بيت الله مع[٢] المسلمين، وليس مرادهم الحج وإنما مرادهم دخول مكة، وقبضها أقماهم الله، الشرط الرابع أن تكون شَهادتهم مقبولة على المسلمين، الشرط الخامس: أن يتزوجوا من المسلمين ويزوجوهم كل بمن أراد، الشرط السادس مَنْع بيع الرقيق، الشَّرط السابع أن يكون جميع الأحكام الشرعية والنظامية متوقِّفة على قانونهم، وعدم إراقة الدِّماء إنما بالحبس القاتل خمسة عشر سنة، السارق كذا، المفلس كذا، وكل شيء بالرِّضا كائن، ما كان فلم يسعد إلى ذلك السُّلطان عبد العزيز، فهجموا عليه وقتلوه في أيام تولية مصطفى عاصم على اليمن في سنَة ١٢٩٤ ووصل الخبر إلى صنعاء المحمية.

وكسروا الزلط[٣] الحمراء، وكان مرادهم يُبطلوها فلم يسعد أهل صنعاء لعدم قدرة الضُّعفاء على الزُّلط البَيْضاء والصَّرف الصَّغير الفَضَة، وتراضوا على بقاها، ورقموا عليهم الدَّولة وتناها[٤] صرفها من ثمانية وأربعين إلى خمسة وسبعين مربوعة التي كانت قد بطلت والتي كانت ربعية، صارت نصف بيسه والتي كانت زلطة صارت بيسه، والقرش الزلط الكبيرة الحمرا صارت ربعية.

وتغير حال الأتراك وصاروا حزبين، وقلعوا الذَّهب من أكمامهم، كما يفعل النِّساء الموليات[٥] وخَطَبوا لمراد[٦] وتَسمَّى بالسُّلطان مراد، وقبل بعض الشروط وعضل[٧] عن بعض، فبقي مدة وخلعوه، لعدم قبوله جميع مشاريط الإفرنج، وقالوا: هو مجنون، وأقاموا على التَّخت هذا الموجود عبد الحميد خان[٨] فقبل جميع الشُّروط، ولم تنكف نفسه من شيء وصار الأمر في إسطنبول للنصارى في الباطن، وفي الظاهر أنه إلى الصَّدر الأعظم كما أخبرونا به عند عزل السُّلطان مراد، قالوا لنا قد تراضوا من في اسطنبول جميع من المسلمين والقرانات على الصدر الأعظم يحل ويعقد والصدر الأعظم في الحقيقة هو المطية وأتباعه وقريوا[٩] لنا ذلك الفَرِّمان في ميدان البكيرية، وصارت جميع الأعمال الكبار إلى النصارى والمتولين

(١) هيئة ملابسهم.
(٢) خ معا.
(٣) النقود.
(٤) انتهى.
(٥) الموليات المحدّات من الحداد. سبق شرحه وهو الحزن على الميت.
(٦) هو مراد الخامس حكمه من سنة ١٨٧٦ إلى سنة ١٨٧٦ (نفس السنة).
(٧) حال بين ما يريدون والعضل في اللغة المنع.
(٨) هو عبد الحميد الثاني حكمه من سنة ١٨٧٦ إلى ١٩٠٦ م.
(٩) قرأوا

لها، والملبوس والقانون، وجميع الشروط المذكورة، وإنما هي تمويهات، بسبب أن عاد هذا السُّلطان عبد الحميد معاهم كالآلة[1] قال السلطان، أمر السلطان، والحل والعَقْد والعَزْل والتَّولية إلى المذكورين، وأخبرنا هذا الذي وصل اسطنبول، وتاخم النَّاس وشاهد ما لم نعلم به، وأخبرنا أن السُّلطان معاهم آلة لا عليه ولا له، وإنه يسأل[2] الصَّدر في الأسبوع عن أحوال جميع البلاد ومن فيها من العباد، فلا يجيبوه إلَّا بالصَّلاح والسَّداد، وإذا وصلت مكتوبات فيها تشكُّر من أي جهة أعرضوها عليه، وكلما وصل مشاكي[3] أَهْمُوْهَا[4] عليه، وكل متولٍّي في الأقطار معه في اسطنبول من يلقف[5] له ما جاء من غيره تشكي منه، وكل أحد من/المتولين من قاض والوالي، وقائم مقام، ومتصرف وكاتب وكبير، وعسكر معه مرازح[6] هنالك، وما خَلَس واختلس أرسل بشطره لصاحبه الذي يلقف له ما جاء فلهذا ما بقي عزل وتوليه في كل أرض إلَّا من اسطنبول إلَّا أهل البلاد العرب، فلا يعبؤا بهم، وأمور شنيعة ما يحلها إلَّا الله سبحانه.

وفي شهر صفر سنة ١٣٠٧ ألغى الوالي عثمان خيري المحاكم الثلاث محكمة البداية ومحكمة الجزاء، ومحكمة الاستناف[7] وعزل حكامهن وأعضائهن جميع، وصاروا عِبْرة للنَّاظرين، وعظة للمستبصرين، وبعضهم قد أراد يستكري[8] حانوت، ولكن خشي العار، وما خشي النَّار يا ويلهم من لقاء الملك الجبار.

وفي أول شهرنا أرْسَل الوالي لخولان، وذكر أن المقطوعية الذي عليهم ما تقوم بعشر الواجب عليهم، وما يريد إلَّا فرز وتخمين الزكاة، فعضلوا ومنعوا، وأجابوا أنهم مفسدين، وأرسلوا عاقلين من طرفهم يخبروا بفسادهم، فلما رأى الجَدَّ منهم قنع بالمقطوعية الذي عليهم، ولكن أخرج خبره[9] لهم، وكذلك أرحب ذكر لهم ذلك قبل خولان، ولم قد بان منهم شيء فلله دَرّ خولان.

وفي آخر صفر حبس عقال نحو عشرين من صنعاء، وأطلق بعضهم إليها

---

(١) خ كل آلة.

(٢) في (خ) يسل.

(٣) كأنها جمع شكوى (معروف).

(٤) أهموها: أخفوها.

(٥) يتلقَّف.

(٦) جمع مرزح المتكيء أو المسند.

(٧) الاستئنافية.

(٨) يستأجر.

(٩) سره.

بيومهم[1] وذكر أن من عاد عنده بقية الفرقة[2] بقي في الحبس، ومن قد سلم طُلِقْ[3] وفي الباطن إن ما حبسهم إلا يجس ما هم عليه.

ووصلت أخبار من ريمة مزعجة بالفساد، والسبب أن أهل ريمة وصلوا إليه يشتكوا ظلم عليه جائر وعطف[4] وحبوس، ولا عندهم شيء بل مُوَفِّين، وغرموا في صَنْعاء غرامة كبيرة في مدة بقاهم للمشكى، فما وسعه إلاَّ ردهم إلى من هربوا منه تحت الحفظ، فما زاد قائم مقام الذي عندهم إلا أغلظ عليهم، وخاطبهم بأضعاف البواطل[5] وجعلهم في الحديد عنده في أحْرُزْ[6] والليل ينزل يضربهم، فأعلنوا بالفساد[7] فرجع يطلبهم إلى صنعاء، مقصده يعيدهم حين رأى الجد منهم، ولعله بيعَسْعِسْ[8] كل أحد، ومن وجده رَطِبْ[9] أدخل يده، والعَسِر[10] له جِنّي يشلّه.

ويومنا الثُّلوث سابع وعشرين صفر، نزل يَلوْي[11] في الأسواق، واستقر في سوق الملح[12] قدر ساعة يحدّث الناس جميع إن كل شيء بالرِّضاء وإن كل أحد يبيع بضاعته بِكَيْفِهْ[13] والمَرْجع في ذلك المحكمة، فلما سمعوا ذلك عيال السوق فرحوا بما هنالك، ودَعْوا له، وذلك بغيتهم، والمراد، وهو أكبر فساد على جميع العباد، سِيّما من لا يعرف الرُّشاد فاسأله اللطف وسلم لمولاك وقل يا سلام.

وفي شهر ربيع أول نزل الوالي الوَصَّال[14] عثمان خيري إلى السوق، واستقام[15] للخاص والعام في سوق الملح، وأخبرهم جميع أن كل شيء بالرضا، ولا إجبار، ولاإكراه على أحد في شيء، ودخل إلى سوق الحَبْ أخبرهم بذلك شفاهاً من

---

(١) في يومهم.
(٢) سبق شرحه وهي قسط من المال يوزع على الأهالي كالضَّريبة ونحوها.
(٣) أطلق.
(٤) مضافعة.
(٥) المأخوذ باطلاً.
(٦) جمع حر بفتح الحاء واسكان الراء وهو سرداب يقع أسفل المنزل خاص بالحطب والبهائم.
(٧) الفساد هنا الثورة.
(٨) يتحسس.
(٩) كناية عن الغنى.
(١٠) المعاند.
(١١) يتجول.
(١٢) من أكبر أسواق صنعاء القائمة الآن.
(١٣) بهواه.
(١٤) الواصل.
(١٥) قام.

لسانه، فلما سمعوا منه ذلك ارتاحوا بما هنالك، وهي الحاجة التي في نفس يعقوب، وكان سوق الحب ملآن من جميع ألوان الطعام حتى الرُّومي ،والدجرة والذي ما يعتادين[1] ولا أصبح يوم ثاني/وعاد من تلك شيء كل أحد أدخرها تجارة عن تراض، حتى انتهى بهم الحال قدموا إليه عَرَضْحَال يشتكون أن الناس بيشغلوهم، وهم بَيَّاعين مشترين في الطعام، مثل سائر الأسواق في صنعاء، مقصدهم يجيب عليهم في شكيتهم أنهم يراضوهم في بضاعتهم الطعام، حيث قد كل أحد بيدخَرُه ويرسلوا بالمئات والآلاف إلى كل محل، ولم زِدْ قَرْ[2] في السوق شيء إنما كل يوم يصال نحو مئة[3] جمل طعام واضعافها بهايم وآخرها يصال عند غروب الشمس، ولا يصبح شيء في السوق، وبالحال أن قد وقع صَيْف[4] ما قد وقع مثله في عشرين سنة إلا سنة ١٢٩٥، وقع قبال الزكاة حق قضا صنعاء هَمْداني وسَنْحاني حارثي[5] بستاني[5] بهلولي[5] روسي[5] بستِّين ألف قدح للدولة، وأقل ما يكون أن المشايخ والمدرين[6] يحطوا مثل نصفها ولو سلموا عشر المذكور أو نصف عشر العشر لآل محمد ما سَلَّط الله عليهم ما ذكر، فهذا بذاك ولا عتبان على الزمن.

وفي غرة شهر ربيع أول سنة ١٣٠٧ رفع الباشا القاضي أحمد بير، ووصل إلى حراز وتَحَيَّد[7] ووقع فيه جنايات بسبب ما جَنَى على الشريعة بأخذ أموال العباد، ووصل الخبر في البُسْطَة[8] حقهم، بأنه قد توجه قاضي آخر من اسطنبول لليمن، وقد توفي في البحر قبل الخروج إلى البر، ولعل نيته أخبث والله من ورائهم محيط. فما وسعهم إلا استنابوا في صنعاء المسمَّى بالمفتي على مذهب الحنفية أحسن بن أحسن الأكوع[9] إلى جماد أول سنة ١٣٠٧ وولَّوا قاضي آخر.

وفي تلك المدة كل أحد مَدَّ عنقه للتوظيف[10]فوصل عزل بقية المتوظفين ولم بقي إلا كاتب المحكمة سيدي عبد الله بن إبراهيم ، فإنه مَرَسَ في قانون الأتراك

---

(١) الأشياء غير المعتادة يريد أن يقول والأشياء التي لا يعتادها الناس في الأكل كثيراً.
(٢) استقر.
(٣) خ مئت.
(٤) محصول الصيف.
(٥) ضواحي صنعاء الأماكن القريبة منها.
(٦) كأنه المديرين.
(٧) تردى من فوق الجبل والحيد الجبل.
(٨) الوسطة (البريد).
(٩) من العلماء وفاته سنة ١٣٠٧ وسيأتي خبر وفاته في الكتاب.
(١٠) للتوظف.

وسايرهـم مسايـرة الأفـلاك بشطارة[1] وعـفة وحـفظ قـلم ولسـان، وصـار كاتبـاً وحـاكماً وترجـمان، وحـفظ جـميع القوانين، وحـفظ أيـضاً السبعـة الأقـلام بلغـاتهـا فـلم أحـد من العـرب قدر يـكون كمـثله، ولا العجـم لقيوا عليه ثـلمة.

وفي شهـر جـماد آخـر عـزم الباشا للرحـيل إلى تهـامة ونـصبت في عـصر للرحـيل خيامه وصـارت جـميع العـرب لـذلك مستـنكرة بسـبب أخـبار قتـرة[2] ولكنهـا بالله مستبشـرة ولفرجـه منتظـرة، ولكـن ما عـزم إلا وقـد بـان سِرُّه ومـا كـتم، فـإنه طـلب جـميع المشائخ وخـاطبهـم في تسليم جـميع البواقي المتقدمـة عندهـم وعند الرعايا وعند المتقبلين من ابتداء دولة أحـمد مخـتار، وأجـل الرعايا والضعـفاء مسلّمـين موفّين كونهـم لضعفهـم غير مركونـين، فشكـوا ذلك، ولم يـقبل مـا هـنالك حـتى الذمـيين طلبهـم المنكـسر من الجزيـة فبرزوا إليه بنـظر وفـاء بأيـديهم وكـمال فـلم يقـبل وعطـف عليهـم خـمسة وعشرين مـئة ريـال حـجر، وبـقوا عقـالهم في الحـبس نحـو شهرين، حـتى سلّموا وطلب من أرحـب وخـولان فَرز الثـمار كون السنـة مخـيرة[3] وتـرك الاقتـدا بغيره من قـبول المقطوعية، وحـبسهم نحـو شهرين هـم والقـوسي والبخـيتي عقـال الحـدا ووصـل في هـذه الخـطرة[4] إلى حـراز وترجـح له الرجـوع لشي في نـفسه كـان كامناً فخـشى ظهـوره، فـرجع وخـرج إلى الطّويلة وفي الرعايا فـضع[5] ودخـل عـمران، وصـل صنعـاء على ستة عشر يـوم، ووصـل يخـاطب جـميع المشائخ في تسـليم جـميع البواقي فمن سـلم سـلم ومن تـظلم حـبس وظلم وصـار أكثـر العُقّـال والمشايخ في الحـبس، فسـلموا ما ذكـر، وعطفوهـا على الرعايـا، فـلما امتثـلوا بـذلك وسـلموا ما هـنالك/لـقيوا مكاتـب في بياناتهـم عند الكـتاب قد انقرضوا أهـلها، ومـا عاد إلا ذريـاتهم فقـراء لكنهـم تقبلوا في ابتداء وصـول الـدولة في سنة ١٢٨٩، فـطلبهـم ما بـذمة آبـائهم، حـتى أنه وصـل عند كابعْ الدباغ وقُدْ لُهْ نحـو خـمس سنين من حـين انقـرض، وعاده عنده نحـو ريـالين من قَبـال سوق الوادي، ورأسـلوا لذريـة[6] هـادي كـابع الجـزار حـق شـرارة[7] أن عنده قـرش إلا ربـع، وهو مـات فقـر، وأولاده أيتـام أفقـر منه، وقد له من حـين مـات سنين، هـذه أخـبار

(١) بـبراعة.
(٢) كناية: سيـئة والقـترة التتنـة.
(٣) ذات خـير كـثير.
(٤) الزيـارة.
(٥) افضع.
(٦) خ لـذريت.
(٧) هـي المجـزرة القائمـة إلى الآن في بـاب السـبح.

هذا الباشا الظنين المصلي، وبعد هذا لما وجد الرعايا قد قل مجدهم وفُلِلَ حدُّهم، ولم يبقي فيهم قِرن، طلب من المشايخ تسليم ما صار في أيديهم من العشور من مدة سبع سنين من سنة الثلاثمائة بعد الألف، وأنهم يكونوا مجانين[1] كيف يقطعوا لهم عشر وهم خَدَم للسلطان هذا عدوان وبهتان. وحبس الجميع، وصاروا مخاطبين[2] في تسليم ما قد استهلكوه، ولعل الذي خص بلاد البستان من ذلك نَيّف وثمانين ألف، وحبسهم جميع إلا من امتثل، فأول من امتثل مشايخ البستان، منهم ثلاثة أنفار الأسد، وعَيَّاش والرِّماح وورَّقوا[3] على نفوسهم، وخَتموا في ذلك، فأطلقوا، والباقي منهم في الحبس، وبني الحارث وكبيرهم[4] دغيش وهم في الحبس، نحو ثمانين نفس، وأمر بذلك في جميع القَضَوات.

ويوم السبت ٢١ جماد آخر أرسلوا بأوراق للتجار، وألزموا كل أحد بتسليم قِرش وربع حجر، حق الأوراق ما حَدْ دَرَى ما اسمها، ولا بد يظهر ذلك، فوقعت المراجعة من بعض التجار الذي لم قد سلموا، فأجابوا عليهم أن ذلك معونة من سَلَّم فله الرضى، ومن يسلم فلا بد من القضا في الباطن، ومن قد كان سلم فما رجع له ما سلمه.

[وفاة الإمام محمد بن عبد الله الوزير]

وفي يومنا الجمعة سابع عشر جماد آخر سنة ١٣٠٧ توفى مولانا الإمام بقية الخلفاء العظام، إمام الجهاد والإجتهاد، المنصور بالله سيدي محمد بن عبد الله الوزير[5] رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار آمين، ودَرَسُوا[6] له في جامع صنعاء ليلة السَّبت وقبر في محلّه في السّر.

وأما الطريق الغربية، فصار العمل فيها التُّرك والعرب، الترك نحو أربعة طوابير باقين من ابتداء العمل، والعرب في السخري، كل بلاد تعمل في بلادها، ونحو خمس مئة قبيلي، كل يوم سخرة، وأخذوا أموال الناس، بَدَعوا من عَصُر غربي صنعاء إلى تهامة وعملوها في أموال الناس، وتركوا الجَادَّة ولا سيّما في قاع

---

(١) خ مجَّانين.
(٢) مطالبين.
(٣) أي كتبوا على أنفسهم سند بذلك.
(٤) مبيَّض لاسمه في الأصل.
(٥) انظر أخباره في أئمة اليمن ص ١٥ ومصادر الفكر الإسلامي ص ٦٣١.
(٦) قرأوا القرآن.

سهمان ويازل، وبيت المفضل، فأكثرها أموال على الغيول[1] اللبنة[2] تسوى[3] ثمناً عزيزاً، ولم أمكن أحد يتكلّم بشيء، فسبحان المذلّ لمن يشأ، والمعز لمن يشأ، وما ذلك إلا عقوبة للعرب، لتجاريهم على آل محمد صلوات الله عليه وآله وسلم. لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى عليهم الدّهر بالآفات والمحن.

وفي هذا الأسبوع أطلقوا القوسي والبخيتي من الحبس، ولهم فيه نحو أربعة أشهر. كفى بالزمان مؤدباً والدهر واعظاً والله سبحانه بالمرصاد. وبعدها أرخى الباشا لجميع المشايخ، وأطلقهم من الحبس، وفعل لهم مَرْحَمَه[4] على لغتهم، والسّبب في ذلك أنه لما احْزق[5] الجور عليهم، وحَسّوا في نفوسهم الإهانة وأيقنوا بذلك تقاعدوا[6] فيما بينهم، ودخل بعض العقّال، وأظهر للوالي الفساد، فما وسعه إلا إطلاق الجميع.

وفي شهر جماد أول من السّنة المذكورة، طلب الباشا عثمان عسكر عرب زبطية، فأقبلوا إليه من جهات متفرّقة وفيهم من جَدِر ناس كثير بقحامه وسخف نكير، فأرصدوا في البيان وأخذوا منهم الضمان، وذكروا لهم أنهم يسيروا يترتّبوا في حفاش وملحان، وأرسلوهم فلما وصلوا بهم تهامة وأدخلوهم الحديدة، وحلقوا لهم ذقونهم، ولبّسوهم كسوة النظام وأركبوهم[7] البحر، وأرسلوا بالكتب وكسوتهم القدية حق بيوتهم ووعِسْوبْهم[8] ومن يقل لهم في البحر يادقوناه فما أسخف عقول هؤلاء[9].

وفي عاشر رجب عزم الوالي بنفسه اليمن لشيء في نفسه والشيخ علي البليلي، وفيه توفى القاضي العلامة الضيا الصالح بن أبي الرجال وخرجت جميع أهل صنعاء من الساكنين فيها يشهدوا قبره وفي رجب عزم الوالي بنفسه اليمن لشي في نفسه

(١) جمع غيل وهو النهر الجدول والغيل في اللّغة الماء الجاري على وجه الأرض.
(٢) مساحة من الأرض معينة تقابل عشرة أمتال تقريباً.
(٣) تساوي.
(٤) رأفة.
(٥) ضاق.
(٦) حرروا فيما بينهم قاعدة يتعهدوا فيها بأمور.
(٧) خ أربكوهم.
(٨) جمع عسيب وهو ظرف من خشب يوضع عليه الخنجر، وقد سبق شرحه.
(٩) يصف الدكتور عثمان أباظة ملبوس هؤلاء بأنه عبارة عن عمامة زرقاء ورداء له أزرار فضية (انظر الحكم العثماني ١١٣).

والشيخ على البلّيلي، باقي في خولان بيخلّص خولان بنفسه وحده، وما معه إلا نحو ثلاثة أربعة أنفار لمخلص بلاد خولان جميع، بعد أن كانوا سابقاً في أيام بيت القاسم ما يسلّموش، إنما بغاة فساد بل يطلبوا منهم المغلبات، ويفسدوا، ويقطعوا الطريق، ويقتلوا النّفس وأخذوا فيروز عبد الهادي، وجميع ما معه بنحو مئة ألف بيت مال المسلمين، وهذا واحد فرد من سوق الحب الكيّالين عرفته ورأيته بعيني واكتلت من أبوه ومنه ومن جميع إخوته، وخرج بيتخلص هذه البلاد زأهلها، فسبحان المعزّ له والمذل لهذه القبيلة الذين كسروا كم دولة قاسمية، فهذا بذالك ولا عتبان على الزمن.

ولما عزَمَ الوالي أرسلوا التُّرك لأهل صنعاء، وخاطبوهم في الحارات والبيوت، وأظهروا لهم نصيحة وهي عَيْن الخديعة أنّ الفرقة التي بتسلّم في كل سنة هي على صنعاء بيوت وحوانيت، وما بيسلّموا إلا أهل اسواق، وأهل البيوت لم يسلموا شيء من الفرقة، وأوهموا التّرك أنهم يريدوا التّسوية بين العرب والإنصاف والعدل والأمانة، وعدم الخيانة، كيف يسلّم، وناس لم يسلّم، فيريدوا حصر الحارات، وعقال[1] منهم والكلام غيره، يُشْتُّوا ميري بيوت، وهو المثل السائر في السنة[2] الغوغا من قبل هذا الزمان كأن يقولوا كيري ميري، فالميري في السمسرة أوله بعشرة آلاف، واليوم في نحو نَيِّف وثلاثين ألف، وهذا قِصَاص الغيب وهم لا يعلمون، ولكن أقول (شام والمراد عراق).

وفي خلال ذلك يوم رابع عشر شهر رجب فَتحوا[3] التُّرك على العسكر المسمايين الظبطية أنهم يحلقوا ذقونهم ويكوِّفوهم[4] ويلبسوا لبسان وزنين[5]، ورضوا بذلك، وهو من بابين باب الصّميل، وباب الجميل، ولكن لا عيب في ذلك من بابين الباب الأول [إن خدمة الدولة شرف لا عيب فيها ولا شلل، والباب الثاني] أنهم كانوا سفهاء وأرذال، وقوم بغي وفساد، وسكر ولواط، وإن كان ثمّ وفيهم العشر أو نِصْف العشر من ناس فهم متحيّدين[6] قد ألجأتهم الضّرورة، والسبب خبث نياتهم، وعدم توكلهم على الله، وأما أكثرهم، وأجلهم عدداً فما نَعْرفهم، ولا لهم عندنا جِدٌ يُدْعى،

---

(١) كذا وتقرأ غفال.

(٢) خ اللسنت.

(٣) فاتحوا.

(٤) يلبسوهم الكوافي (القلانس). واللبسان جمع لباس: سروال.

(٥) جمع زنه قميص.

(٦) مضطرين.

إنما جلبوهم الأتراك من كل أرض مزاينة[1] ومهادده[2]، ومقهوين، وجزّارين، وقشّامين[3] وحجاميين، وقوادين، وديوثين، وأكثرهم هؤلاء أولهم جهال للخدمة واللّواط، ولم نعرفهم، لأنهم من غير صنعاء، ما نعرفهم إلاّ قِعَّاش[4] ونيل[5] ووزرة مرصّعة وسُكْر وزنا، وغير ذلك، وكفاهم بما قيل فيمن قبلهم الذين وقع بهم ذلك في الحديدة (من حلقت دقن جار له فليسكب الماء على لحيته) أخزاهم الله وأقماهم. [وليس ذلك سَبٌّ في حقهم، وإنما هو كائن فيهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذكرت الفاسق بما فيه لكي يحذره الناس[6] فلا بأس وما نريد نسب أحداً بما ليس فيه، ولكن هذا كائن فيهم، وما نعرفهم لأنهم كلّهم من غير صنعاء، ما نعلم من أين هم، وحتى البغايا في صنعاء أكثرهن من الدنيا ولكن تزيّين بملبوس نساء صنعاء[7]].

وقد استأذنوا من ساداتهم الذين دخلوا في خدمتهم إذا أحد ضحك عليهم أو غيرهم، فقد فسحوا لهم فيهم فمنهم من ضربوه ومنهم من هتكوه، وحاصله ما يحلّها إلا الله، اللهم بحقي عليك وبحق رسولك عليك أسألك بحل هذه العقدة وأن تفرج على أمة محمد فرجاً عاماً عاجلاً غير آجل فنحن بقضائك راضون ولعفوك راجون، ولم أحد أمكنه النظر فيهم خشية العقوبة/وأما الباشا عثمان خيري المسمى بالفقيه فهو عزم باشر أولاً قضاء آنس، ونقل ذمار، ولا بد من مروره على جميع الجهة اليمنية لخَلْس الرعايا كما فعل في صنعاء وجهاتها، وأما الشيخ علي بن محمد البليلي، فإنه رجع من خولان، وقد تخلص منها عشرين مئة ريال حجر،

---

(١) مزينين.

(٢) مهتدين يهود أسلموا.

(٣) جمع قشام وهو البستاني أو بائع القشمي وهو البقل.

(٤) جمع قعشة وهي الجمة من الشعر.

(٥) صباغ أزرق (سبق).

(٦) إشارة إلى قوله ﷺ: «أترعون عن ذكر الفاجر أهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس» أخرجه الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده «الأحياء ١٤٩/٣ وأما حديث لا غيبة لفاسق قال اسيوطي في الدرر المنتثرة ث ١٨٧ له طرق كثيرة وقال احمد منكر وقال الدار قطني والخطيب باطل ورواه البيهقي في سننه من حديث أنس بلفظ من القى جلباب الحياء فلا غيبة له وقال في إسناده ضعف وضعفه أيضاً أبو الفضل السليماني وفي الشعب من حديث الجارودي عن بهمز بن حكم السابق ذكره عن أبيه عن جده متى ترعون عن ذكر الفاجر أهتكوه يحذره الناس. وضعفه وقال الهروي في ذم الكلام هو حديث حسن ثم ساقه من طريق أخرى عن بهز بلفظ: ليس لفاسق غيبة.

(٧) زيادة من أسفل الصفحة.

وقطعا من مواشيهم، وأدخل مديرهم السيد يحيى الهَجْوة، بعد أن آلى على نفسه لا يدخلها ما داموا فيها فسبحان المذل لهؤلاء الذين أخافوا العباد وبغوا في الأرض الفساد.

وفي هذا الشهر رجب سنة ١٣٠٧ تَفضَّل الله الكريم سبحانه على عباده بالأمطار المتكاثرة في فصل الربيع في شهر شباط الرومي آخر سنة الرومية، ووردوا عليه ثمرة زايدة دثا[١] بلسن وسقله[٢] ولولا أنه تفضل سبحانه على العباد بذلك لما قد نال النَّاس فيما سبق من الشحة[٣] والغلاء لذهبوا فله الحمد كثيراً وله الشكر بكرة وأصيلاً.

وفي ثاني وعشرين رجب وصل الوالي، وقد مرَّ على آنس وضوران، وخرج إلى اليمن، ورجع إلى يريم وذمار، ووصل صنعاء على اثني عشر يوماً، فما أشحذ همة هذا، وما أسرع سفره، وأتم أمره وقيل أنه عارف بطريقة السِّحر والكهانة، وإن له في ذلك اليد الطولي، منها ما ذكرناه أولاً من أنه أرسل على البليلي وحده يخلص بلاد خولان جميع إلى حدود الأعروش وبني شداد، ولا أحد قدر يقل شيء، ومنها أنه أرسل تركي فرد وحده إلى بلاد الحدا يتخلص، وأجاب عليه التّركي كيف أعزم إلى بلاد الحدا، والحدا تحتاج طابور عسكر ومدافع، قال أنت مأمور أعزم أخبره بما أخبرتك وهم يسلموا ،فعزم إليهم بما أخبره، فما وسعهم غير التَّسليم بعد أن كان ينهبوا ويقتلوا ويقطعوا الطرق، حتى أن البخيتي كبيرهم لقي سيدي علي بن المهدي عبد الله وأراد ينهبه، وسيدي علي خليفة طالعي[٤] من يريم، فما وقع إلا رهن عنده ابن الوزير حقه عبد الرحمن محافظ فيما ادعاه، ويدل على ما قيل فيه إنه من حين وصل سأل عن المفلسين[٥] وكان يختلي بهم، فذا لا شك دجَّال من الدَّجاجلة حق آخر الزمان الذي أخبر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان هذا عقوبة آل محمد البررة الأخيار فهذا بذاك ولا عتبان على الزَّمن.

وفي سلخ رجب حبس الباشا السيد يحيى بن أحمد الهَجْوة مدير خولان، وقد هرب من صنعاء، وبعد خروج الشَّيخ علي البليلي إلى خولان أدخله معه وأمَّن له،

---

(١) دثا ثمرة زائدة في الربيع في غير وقته.
(٢) نوع من الشعير.
(٣) قلة الأمطار.
(٤) طالع.
(٥) كذا ولعله المسفلين وهم المخبرون بأمور الغَيْب والتنجيم ونحوه.

فلما وصل صنعاء حبس، ومضى الباشا إلى محل العسكر الضبطية المسمى الكاوش، وطلب مشايخ سنحان المحبوسين هناك، وأغلظ لهم الكلام، وتهدّدهم بكل أمر مخوف، لأجل أنهم ما ختموا[1] على ما يريده، مثلما ختموا مشايخ بلاد البستان، أجابوا عليه: ما نقدر في الرَّعية نِجِرْ[2] منهم هذه المطالب الشاقة، وإذا ختمنا أجابوا علينا الفرعية أن أحنا نسلّم الظلم مثلما ختمنا فيه قال لهم: لا بد من ذلك، فختموا على الباطل، والله أعلم ما يكون.

وفي غرة شعبان وصلت أخبار من الحديدة، أنه وقع في بَنْدر عدن مطر وريح ما يعتادوا مثل ذلك، حتى ذهب نحو مئة بيت وثلاثين، وقيْل بمن فيها، والله أعلم بالصِّحة، وأخبار أخرى، أنه وقع أعظم من ذلك في الهند، في سرات[3] وجهاتها، وأخبار أنّه وقع في اسطنبول برد، البردة مثل السّفرجلة شيء كثير، وذلك آيات الله يخوّف بها عباده[4] نسأله اللطف فيما قضاه علينا بحوله وطوله آمين/.

وفي شَهْر شعبان سنة ١٣٠٧ أشعرت قبيلة همدان بالفساد على الدولة بسبب كثرة مطالب الباشا المذكور المسمى الفقيه، ولعل بعض القبائل أغروهم، وتقاعدوا جميع على الفساد، وأرسل الباشا ناساً يفاشلوهم ويخوفوهم، منهم السيد محمد الشويع كبير هَمْدان، وأدخلوا ناس آخرين غير المتصدّرين للفساد، والباشا خلاهم وشأنهم، والله أعلم ما يكون، إلا أنه أخرج من القَصْر نحو ثلاثة آلاف قدح حنطة للطحنة، وكلفوا اليهود يطحنوها[5] في ثلاثة أيام، وصاروا الذميين يجأروا بالدعاء من شدّة الظلم الذي نالهم، لأنهم داخلين في أوائل عيدهم المسمّى عيد الفطير.

ومن شدّة ما شهر من الظلم ما تجمّل في الحساب، عند أهل بني بُهْلول، وليس عندهم له في الخارج وجود وغيرهم مثلهم، وأكثر، وليس عند أحد شيء من ذلك، إنما على حساب الباشا والمخلسين بني بهلول مئات تسعة وأربعين مئة قدح.

ومنها قرية عناقه ثلاثة مئة قدح، والحاصل عندهم في قريتهم زكاة ثلاثين قدح (فأين السّما من يد المِتْنَوِل[6]) ولكن أخرجوا لها تخاريص وأسماء عجمية منها

---

(١) ما وقعوا.
(٢) نسحب (نأخذ).
(٣) سورة مدينة في الهند.
(٤) خ نسله.
(٥) خ يطحنوها.
(٦) المتناول. وهو من الأمثال الدارجة ورد في شعر القاضي عبد الرحمن بن يحيى الآنسي المتوفى سنة ١٢٥٠.

(الصّرفية) الصّرف المتعامل به اثنين وخمسين زلطة وحقهم عشرين قرش زلط مربوعة وقصحّ ثمانين زلط، ومنها اسم آخر (سقنطه) وهو أنه يلحق كل ريال ثمن ونصف الثمن، وكذلك في الطعام، مثل النقد، وكلهم مخلّسين للعرب والعرب مخلّسين لبعضهم البعض.

وأما قوله بالرضا فما جاء به إلاّ هذا الوالي، ولكنه ضَرٌّ بالخلق، صار الرّطل البرقوق[1] بزلطة خمسين رطل بقرش الخبشة[2] تصح في قرش ونصف، ورطل شركة[3] بسبع زلط على حساب سبعة ونصف بقرش إسم، وإلاّ فالسَّرْق[4] أكثر وعدم إبعاد العظام حسب العوايد، فما تصح إلا ستّة أرطال بقرش، والسبب الرضا، وأجاب لي بيّاع[5] البرقوق واحد أصله جزار في سوق الملح، أنه مليح للمشتري الرطل بزلطة.

ونُصِّب الأوجَه سيدي عبد الرحمن بن يحيى زبارة ونحن داخلين نُصلي عصر[6] في المذهب[7] والحل أن قَدْ هو زمان خير دفع الله بهذا الخير؛ شر هذا[8] الذي قال للفلاحين بالرِّضا فلو عاد السِّعر مثل العام الماضي، الله يعلم لكانت القاضية على الضعفاء والمساكين، لأنه ما مقصوده إلاّ المغالاة المفرطة، ولا ضبط على أحد، فعجزه الله وخيَّبَ أمله، وبسط للنّاس الخير الذي لا قد عهد منذ إحدى عشرة سنة من سنة ١٢٩٥ .

وهذه السنة سنة ١٣٠٧ وصلت الذُّرة قَدَحين ونصف بقرش، ومنها قدحين وربع، ومنها قدحين الطّيبة، فيما سبق في الضّراب السعر دون هذا النصف والثلث، ولكن تكاثرت الأمطار في الربيع والصيف، حتى صار ما ذكر فلله الحمد في كل لمحة[9] ونفس عدد ما وسعه علم الله. وأما الحنطة فباقي على سعر

---

(١) المشمش وأصل اللفظة من اليونانية أنظر معجم أسماء النبات ١٤٨

(٢) وعاء من آدم كبير.

(٣) لحمه.

(٤) أي المسارقة مخالفة القانون المقرر.

(٥) بائع.

(٦) أي نصلي صلاة العصر.

(٧) مسجد انظره في معجم البلدان الملحق بالكتاب.

(٨) أي الوالي.

(٩) خ لمحت.

الصِّراب[1] والسبب أن عمل الترك فيه البُر نصف قدح وثمن، والشعير قدح ونصف وثمن.

وفي يوم الربوع حادي عشر شهرنا رمضان سنة ١٣٠٧ وقع صاعقة أخذت زِغَيِّرة[2] قَضاض من صومعة موسى[3] وجرت غربي أخذت الخشب حق السلك في طريق عصر مما يلي المِصْبَانة من شرق وغرب، حتى قلبتهن مثل الميازيب[4] أخبرني الثقة المشاهد لهن، وشاهد الترك يوم ثاني أخرجوا يُعَوضوهن[5] ولعلهن تتابعين صاعقات أخرات الله أعلم هن تعاونين[6] على الخشب أو صرفين إلى محل آخر، ولكن الخلاف في قدرالخشب الذّاهبات، أخبرني الفقيه علي بن علي الحارثي أنهن سبعين أخبروه القبائل وأخبرني القاضي الثقة على ابن محمد العمراني[7] أنهن نحو عشرين لأنهم خرجوا يوم ثاني إلى عصر يغرزوا[9]/ المخضر حق الوقف.

وفي عشرين رمضان أرادوا ناس من بني بهلول يفعلوا لهم صِيت[9] عند القبائل حيث قد سمعوا أن همدان أهل الجاهلية مفسدين الذين شيخهم دودة، فعزموا بني بهلول على أن يبنوا لهم إشارة، وكان المدير يعني العامل عليهم سيدي حمود بن غالب، وخرج هو وإثنين خيالة معه يتخلصوا منهم ما هو[10] للدّولة، فقام منهم رجل وعضدوه آخرين، ضربوا ذلك الخيَّال، وما رجع إلاّ مغور[11] على العامل سيدي حمود، ولعل الشّيخ حقّهم يريد يوقعهم في الشبكة «...» فأرسل العامل والشيخ إلى صنعاء وخرجوا نحو ثلاثين نفر، ووصلوا إلى المحل، قبضوا القبائل، وذبحوا أغنامهم وأكلوها، وأخذوا من أدوانهم[12] وكتفوهم رباط وأدخلوهم مربطين نحو ثلاثين، وفرحوا بذلك الأتراك، وحَصَل معهم من شدّة الكبر

---

(١) هو حصاد القمح.

(٢) صغيرة قطعة.

(٣) من مساجد صنعاء سيأتي في الملحق.

(٤) جميع ميزاب معروف.

(٥) يبدلوهن.

(٦) كذا.

(٧) هذا الإسم ضرب عليه المؤلف بالمداد الأسود.

(٨) يغرسوا.

(٩) هذا اللفظة تقري المخضر المخفر.

(١٠) الذي.

(١١) غائر.

(١٢) ملابسهم.

الإشراك[١] وخرجوا في رابع وعشرين إلى طرف السِّر وأول نِهْم إلى محل قرية يقال لها بيت العنب، بسبب أنهم أظهروا الجيعال[٢] بغير سترة[٣] ونَهَبوا البدو من المشرق يسافروا بالملح، فخرجوامثل الأولين نحو أربعة خيالة ورجالة، فهربوا بيت العنب فنهبوا بيوتهم، وأخذوا من مواشيهم، وأحرقوا بعض البيوت ورجعوا يوم ثاني، فهذه عاقبة الذنوب وإلاّ فالذين بيخرجوا ما يجوا مثل طشّة[٤] في بحر، ولكن الذنوب سَوّاقة، والعقوبة من جنس الفعل، ولله في خلقه نظر[٥] ولعل الفترة كائنة والأسباب متفاتحة للأبواب، بلغ من العدل المختبر المتاخم لأهل المظالم: أن ناس من أرحب طلعوا إلى حضور في خواتم[٦] رمضان، وجلسوا عند الشيخ فلان شيخ القلاض، فتلوه عَيْباً، ومَيِّت مات، وقد عرفنا أفعال هذه الدولة ورقمناه[٧] بمعناه، إن كان الحق لهم فلو كان يسيراً، بل لا قيمة له، تبعوا فيه وأخذه وشطرا من مال من كان اليسير لديه، وأن كان بعد دهور وأزمان، وإن كان فيما بين العرب فكالنّجم إذا غرب سواء في مال أو عرض، أو نفس، وكم قد فات وذهب في هذه المدة اليسيرة، وفوق هذا إجاء المشتكي بغريمه تغابوا[٨] وأخذوا ما بقي في يده، وتغابوا سِرْ وارجع أتوقع[٩] الشهر والشهرين، والعام العاملين، وفيما بين ذلك أن دخل سُلِب، وإن خرج نُهِبَ، فتقطّعت بذلك الأسباب، وضاقت قلوب أولي الألباب، وفاتت أموال الجّلاب أن تفلس أحد ما حكم عليه، وإن سرق سارق فلا أحد عليه، وإن زنا ولاط، فلا بأس عليه، وإن المفعول باقياً لديه، فسبحان الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، وخالف الكتاب والسنة حيث مرجعه الله سبحانه/وتعالى.

وفي يوم عيد الفطر قطع الوالي العرضة المعتادة عند البُوْش السابقين وخرج صلّى في البكيرية حسب عادتهم، وطلعوا الأعيان من الناس، والسادات والعلماء يسلموا عليه وكلما وصلت جماعة إليه رفع من لديه.

ويوم ثاني العيد خرج إلى العرضي، وخرجوا المذكورين عالم وجاهل وسيد،

---

(١) الشرك بالله.
(٢) العناد.
(٣) قدرة.
(٤) القطرة من المطر.
(٥) خ نضروت.
(٦) أواخر.
(٧) كتبناه.
(٨) ادعوا الغباء.
(٩) انتظر.

وفعل العَرْضة المعتادة في يوم العيد، في العرضي ودَعَّابهم وفَوْتح لهم حسب عادته في كل موكب معهم، السيد العلامة والبدر الفهامة سيدي أحمد بن محمد الكبسي وأمَّنوا جميع المذكورين على دعائه، وجرت المدافع جميع، والخيل جميع، والخيالة العرب، وضربت المدافع لإشعار العيد حسب عادتها، من عصر الوقفة إلى ثالث العيد عند كل أذان إحدى وعشرين ضربة، ووقع العيد والصوم عند المخالف والموالف في يوم واحد من غير خلاف ولا شك.

وفي ثامن شوال أرسلوا الدولة العمال يأتوا بالجمال سخري لأن الوارد إلى صنعاء ما يكفي، فخرجوا سخروا القبائل، وأتوا بالجمال، وأخبرني حسين بن محمد أن قرية الجحشي زاد جِنَبوا في إثنين جمال لم زد وجدوهن، فاحتاجوا دخلوا يستكروا من صنعاء من جمال العصارين جملين بخمسة عشر ريال حجر، وهذا من شدة التسليط على العرب، فوق كل مطلب، وقيل سيعزموا تعز وقيل هَمْدان وأرحب، والله أعلم ما يصحّ.

ويوم ثاني سخروا البهايم جميع حق أهل صنعاء والقَشَّامين والقبائل الواصلين بالجلب[1] إلى صنعاء من كل شيء، ولم بقي شيء، والذين علموا قبل دخولهم المدينة تَحَيَّر[2] في أطراف البراري، وشرحوهن[3] خارج صنعاء، وحملوا مجلوباتهم فوق أظهرهم حتى كادوا يهلكوا من التعب، والذين أخذوهن لم عزموا بهن بل بقوهن للجوع والعطش، وما قدر أحد يصال إلى قارشته، والأشرار المعتاشين بالسخري لاحت لهم الفرصة كل من رأوه حَنِج[4] بقارشته، أخذوا منه دراهم كبيرة، وكل من بينهم وبينه عداوة سببُوا عليه وعزموا[5] له إلى بيته وأخرجوها قهراً، حتى أنهم كانوا يسيرون إلى عند من يعملوا أن معه قارشه[6]، جاؤوا يبايعوه فيها، ويغتلبوا له ثلث ثمنها زيادة، ويأخذوها سخري، نسأل الله اللطف فيما قضاه، وآخر الأمر أرسلوا أعوانهم إلى حدود سَنْحان والرُّوضة وباب المنجل، وأخذوا القراش من البيوت ومن الأموال الذين بَيَشْغَبُوا بها ويَصيَّفوا عليها، وأدخلوها، ومن استفدى حماره وحَمَّله بالقروش فَلَّتوا، والذي ما معه شي وصلوا به

---

(١) الوارد.
(٢) تأخر.
(٣) أودعوهن عند ناس.
(٤) مشفق.
(٥) قصدوه.
(٦) قارشة بهيمة.

عند الترك، وأخذ من البهايم غرتهم[١] والذي مالهن قدرة أطلقوهن من العرضي، وأما البغال والجمال، فأخذوها جميع ذلك بما قدمت أيديهم[٢] وإن الله ليس بظلام للعباد، وجر الزبطية وأتراك معهم إلى الرُّوضة أخذ القراش حقهم قهراً، والذي ما فتح لهم بيته هم يأخذوا مرادهم بكسر باب بيته، منهم أحمد بن القاضي عبد الله السِّرحي، كسروا[٣] باب بيته في الروضة، وأخذوا[٤] بغلته، ومنهم أبي عبد الله فاخر بل أنهم زِدّ ضربوه[٥] على حقه [و] بيت العزي بن القاضي/أخذوا قراشه، وأهل البوادي القريبة كل أحد تخبّى، ناس بين المال، وناس[٦] في الجبا[٧] وناس سرحوا له إلى بين ماله وحطّوا من فوقها آلة[٨] الزراعة، وخلوا أهلها يفِرّوا في البر مثل الظباء[٩] .

هذا في عاشر شوال، ولكنها أزال أجاب الله دعاء الضعيف، ما جاء يوم سادس عشر إلاّ وقد وصلت أخبار متواترة أن ابن الأحمر صاحب حاشد، غزا إلى حصن عَفّار من بلاد حجة، وأخذ أحد الأتراك الكبار وأصحابه من الزبطية، وقيل وقع من المأخوذين قتلى[١٠] وسار بهم نحو بلاده، وأخذ سلاحهم، ولعله هذا ابن الأحمر [هو] الذي أخذ قايم مقام[١١]فيما سبق، وساقه إلى الإمام السابق المتوكل على الله المحسن بن أحمد وبقي عنده أيام، وأفاض عليه المتوكل كل الأنعام، وعَمّه إحسانه والإرغام[١٢]وبعد أيّام أطلقه، ووصل إلى صنعاء، وكان الباشا فيها مصطفى عاصم، فكان يسأله عن أمر الإمام فما كان يجيب. إلا أنه ربي نبي فيعيروه ويتفلوه ويرجعوا يسألوه فلا يجيب إلا أنه ربي نبي.

وفي خلال ذلك تقدموا من ذمار أتراك آخرين على قريتين في بلاد عنس

---

(١) أفضلهن.
(٢) خ أيهم.
(٣) خ كسو.
(٤) خ أحد.
(٥) خ ظربوه.
(٦) خ. نا من غير سين.
(٧) سطح المنزل.
(٨) خ آلت.
(٩) الضبا.
(١٠) هنا قدر كلمة بيض لها المؤلف.
(١١) أحد ضباط الأتراك.
(١٢) كذا ولعله الأنعام.

الهجرة وحورور وأخذوا ما فيها، وباعوا الطَّعام بأرخص من ثمنه الثلثين وقيل[1].

وفي ثامن وعشرين خرجوا الليل أتراك كثير يريدوا الغزو على أبي دودة شيخ وادعة هَمْدان.

والصُّبح خرج الباشا وكبار الأتراك، وأهل المجالس، وأعيان من العلماء ورئيس العلماء السيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي، ونصبوا الخيام يودّعوا الحجاج وأجاد مولانا العلامة الرئيس في ذلك اليوم بالدعاء للسلطان عبد المجيد ابن عبد الحميد خان خادم الحرمين الشريفين، وبعد دعائه قام الأمير، على أهل الحجاز السيد محمد غمضان، ودعا كما دعا الرئيس، وأكثر الحجاج عزموا الحجاز[2] خوفاً مما نالهم العام الماضي، وأكثر الحجاج، عزموا قضاء عما عليهم حيث أرجعوهم النصارى في العام الماضي، وهم نحو خمسة عشر مئة، وقد كان نفدت عليهم الفلوس المأخوذة، فبعضهم باع ما يملك، وبعضهم أعانوهم أهل الإجارة[3] وبعضهم توكل على الله بالشيء اليسير، ومنهم ناس باقيين في مكة من العام الماضي، وهذا كله بسبب قوّة النصارى، وضعف الإسلام بضعف أركانه، وما صار منهم طريق البحر إلاّ اليسير خشية من التعسير والكرتان[4] الضَّرير[5].

والذي غزوا ابن دودة ليلة ٢٢ شوال ما أذَّن الظهر إلا وقد رجعوا صنعاء لأنهم ما وصلوا عنده إلاّ وقد أنذرته رسايسة، فضرب النكف في تلك الحال، وأشعل النار فما نجحت[6] النار إلاّ وقد امتلأت القرى من المغار[7] أسرعوا الغارة إليه، وكل أحد طلب الثأر من العجم بما قد صار في كل قبيلة من العار، فلما ظهر[8] للعجم ذلك توالوا[9] أن لا طاقة لهم بما هنالك، فقالوا ما نريد إلاّ صلاح العباد ودفع الشرور، ودخلوا بيت الشيخ، وقد كان شرد، فلم يجدوه، وأخذ بعض أشياء من بيته فأمرهم كبيرهم بإرجاع ما أخذوه، فأرجعوه، ورجعوا على الفور، ما أذَّن الظهر

(١) فراغ بيض له المؤلف قدر نصف سطر

(٢) خ حجاز.

(٣) المؤجرون لهم للحج..

(٤) هي الكرنتينة.

(٥) الضار.

(٦) انتهت.

(٧) كذا ولعله المغاوير أو المغارين.

(٨) بان.

(٩) اتفقوا.

إلاّ وهم في صنعاء، ولو رأوا أنها لهم لما عذروهم من النَّهب والقتل، والأسر، ولكنهم رأوا أن الدَّائرة تكون عليهم، والقبائل قد كان أضمروا العيب، وكمنوا بعيداً من القرى، ونيتهم متى ذهب النهار، وأقبل الليل أقبلوا كالجراد المنتشر، وأحاطوا بالعجم إحاطة العصابة بالرأس، فدفع الله الشرور، وسلم الجمهور، وسكنت الأمور/ورجعوا كما ذكر آنفاً والله يصلح الشأن/ويقيم الحق ويهلك أهل الشنآن.

ويوم رابع وعشرين وصل من اسطنبول رَفِع[1] المشير المذكور بخلاف كل مأمور من البوش، فإنهم يقيموا سنتين حسب القانون حَقَّهم، وهذا سنة واحدة، فما ذلك إلاَّ أنهم ضاقوا منه أكثر الأتراك لأنه عزل منهم خلق[2] وبُدِّل وحُوِّل، وظن أنه عن أزال لا يتحول، فسبحان الدائم الذي لا يزول، وما هي إلاَّ بركة المدينة، وبيان ما فعله مع الموتى، وبرهان، فإنه أمر بإجلاء ما بين العُرضي الغربي والشرقي قبلي السَّعدي[3] وأخلوا آثارها، حتى كأنها لم تكن مقبرة، وحفروا في شرقيها ساقية غريقة[4] قدر قامة، وأخرى في قبليها، واثنتين وسطها من باب العرضي الغربي إلى باب العرضي الشرقي، قدر فوق القامة بذراع، وجعلوا في تلك الأخاديد غرائس[5] سَيَّال[6] وأثل وتفجرت جميع اللّحود حتى الأموات في القبور، وكلما أجروا الماء لتسقية الغرايس، دخل إلى اللحود، وحال النبش لتلك الأخاديد ظهرت للأحياء المارين بقية الأكفان والعظام والرؤوس والأيدي والأرجل في اللُّحود، واغتمت لذلك القلوب، واقشعرت لما هنالك الجلود، حيث وصل ضُرّ الأتراك إلى العظام الرمام[7] وأكثر القبور أخذوا أحجارها، وأما المقبرة السَّابقة التي شرقي وهب وعَذْني السجزرة، ومسجد النور[8] الدَّاخلات في صنعاء إلى ما يحاذي بئر سكره، ولكنهن خلف الدائر من داخل والمقابر من خارج، ولكن مع ما قد أحدثوا في وهب ما وقع تخدود المقابر إلاّ في المدينة، وإلاَّ فكان وهب محل الجذمان من عهد بيت القاسم، وكان فيه بور[9]

---

(١) عزله.

(٢) يقول المؤرخ العقيلي عن سبب عزل عثمان نوري أنه لم يكن ضليعاً في جمع ولاة الأتراك باليمن وقد لقب بالفقيه لتدينه وكثرة صدقاته فلم يرق عمله لبقية رجال الدولة ورأوا فيه القضاء المحقق على مآربهم ومصالحهم فرفعوا مضبطه إلى الباب العالي بأنه ضعيف إرادة سيء الإدارة لا يصلح لولاية اليمن فكان عزله سنة ١٣٠٧ (مخلاف ص٥٣٣).

(٣) هو مما يلي الصافية من الجهة الجنوبية لصنعاء وكانت أكثرها مقابر.

(٤) عميقة يعرق الإنسان فيها.

(٥) مغروسات.

(٦) شجر معروف.

(٧) الرميمة.

(٨) سيأتي في المعجم.

(٩) جمع بئر معروف.

وديام[1] ومساكن من بيوت صغار وغيرها، وكان لهم تقارير[2] وقيمين[3] عليهم بمحتاجاتهم، وصار (وهب) الآن عرضي محل للعسكر والمدافع وبساتين، وما حوله من المقابر، صارت طرق ولم بقي للمقابر أثر، حتى كأنها لم تكن، وهذه المحدثة الآن المذكورة أعلا صارت خالية الأحجار، ولعلهم قد سيبدعوها بساتين وقد بدعوا بالغرس المذكور، وقد بخشوا[4] بئر، عدني نوبة المدفع، خارج باب اليمن بدعت لتلك البساتين.

[وفاة الإمام شرف الدين رضي الله عنه]

وفي نهار الأحد ٢٧ وصلت الكتب من مدينة صَعْدة من الحصن حقّ السُّنارة قضت بوفاة مولانا أمير المؤمنين. وسيد المسلمين الهادي لدين الله رب العالمين رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار، فلقد أجاد وجد، واجتهد وجاهد العرب والعجم، وأذاقهم سُوء العذب، ودمرهم تدميراً، وكان وفاته يوم الأحد ٢٠ شوال سنة ١٣٠٧، ونقل إلى المدان من بلاد الأهنوم لعله بوصية منه، وقدكان السَّيد إبراهيم الهاشمي ذكر أنه سيحفر له في مدينة صعدة جنب قبر الهادي يحيى بن الحسين رضي الله عنه/ .

[هذا الصفح خليناه بياض لترثية الإمام الهادي رحمه الله][5].

/ووصلت الكتب إلى صنعاء يوم الأحد سابع وعشرين شوال بالخبر، وما أجمع عليه من كان حاضراً عند المرحوم، وهم الأعيان من السَّادة والعرب، منهم السيد العلامة العماد يحيى بن قاسم عامر، صاحب الأهنوم، والسيد العلامة الصفي أحمد بن قاسم حميد الدين[6] والسيد الصارم إبراهيم الهاشمي، والسَّيد الضرغام الحسين بن علي دولة صعدة، والعلامة الفخري عبد الله الشماحي[7] صاحب ذمار

---

(١) منازل صغيرة تخصص للحراسة وغيرها

(٢) مقررات.

(٣) قائمون.

(٤) بخش البئر :حفرها.

(٥) كتب هذه الجملة ثم ترك الصفحة فارغة لإثبات ترثية الإمام ولم يكتبها ولعل الأجل باغتة أو لعله لم يقف على الترثية فإنه عاش بعد هذا التاريخ نحو عشرة أعوام.

(٦) من مشاهير عصره ولد سنة ١٢٧٧ وله مع أتراك جولات توفى سنة ١٣٥٣ (تحفة الإخوان ص ٥٢).

(٧) هو القاضي العلامة عبد الله بن أحمد الشماحي ولد بذمار سنة ١٢٥٣ وهاجر إلى صعدة مع الهادي وقام بالتدريس في شهاره توفى سنة ١٣٢٦ (انظر أئمة اليمن ج ٢ ص ١٣٤).

والسيد العلامة الزاهد الفهامة محمد بن عبد الله الضحياني، وسيدي سيف الإسلام العزي محمد بن الإمام المنتقل إلى دار السّلام، فأجمعوا الجميع على الإرسال لسيِّدي البدر محمد بن يحيى حميد الدين، فلما وصلت الكتب إليه وعَوَّل بعض المؤمنين عليه، فنهض من حينه، وتوكَّل على الله سبحانه ناصره، ومعينه، فعز صبح الإثنين ٢٨ شوال، وبقي ذلك اليوم في شعوب، وقد شغفت بحبه القلوب، وتحدثت بذكره جميع الناس، وزال عنهم ما كان بالأمس من الأبلاس، وما بقي هناك من شعوب إلاّ تستراً من أهل البغي والنفاق والعصيان والشقاق، وعزم على بركة الله مفوِّضاً أمره إلى الله صبح الثلوث بعد صلاة الفجر إلى غولة زندان، وأمسى ليله، وعزم إلى بيت الصّباحي، واجتمع هو وعقال أرحب والقاضي محسن العلفي، وعزموا معه جماعة من العقال في أرحب، منهم الحاج شريان مرح، ومن بيت الهَجّام وغيرهم، ووصل إلى الحرف، وعرف الناس بما في النفس، وتلاحق معه من أرحب نحو سبعين نفر، ووصل إلى الصّفرا في بلاد صعدة، لكنها ترجع إلى قبيلة وادعة همدان بن زيد، وأقام بقية يومه، وقد سبقت منه الكتب إلى حصن السنارة محل أولاد الإمام السابق، ولقيوه يوم ثاني ملقى كبير ببقية قبيلة وادعة إلى محل يقال له آل عمار من تلك القبيلة، ومعهم خلق من سحار، وبعض من سفيان والجبل، وأركبوه على فرس سَيِّدي محمد الإمام الهدي المسمى الثريا، ورجعوا بالجمعُ الغفير والسرور الكبير، ولم أسعدهم يدخل معهم الحصن لشيء في نفسه وبقي في محل يقال له بيت الزنامي، وبقوا يختلفوا إليه جميع الناس أرسالاً، وكتب إلى جميع الجهات الأربع شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً، يريد جمع العباد ولم شعثهم وجمع كلمتهم وإبطال أهل الشقاق، ونفي أهل النفاق، وكتب إلى برط إلى سيدي العلامة العزي محمد بن قاسم الحوثي بالوصول لجمع الكلمة، وعدم الفُرق، ولتكون كلمة الله هي العليا، ولفتح باب الجهاد الأكبر، وهو جهاد العجم وكان وصوله إلى بلاد صَعْدة سابع شهر القعدة سنة ١٣٠٧ ولما وصل إلى محل يقال له (الخانق) راجع إلى قبيلة وادعة هَمْدان، وبقي هنالك ذلك اليوم، ويم ثاني وهم يختلفوا إلى عنده، وأجمع رأيهم على أن يفسح لبعض أصحابه، ففسح لهم، وبقي قدر ثلاثين في ذلك المحل، وطلع الحصن محل الإمام الهادي رحمه الله هو وولده/سيدي العماد[1] ولعل حب الدنيا العاجل داخل الجماعة السابقين، مع ما قد بيدهم من سحار من الهجر، فلم أمكن يقَبِّضوه بيوت الأموال، بل أنه استقرض من بعض المؤمنين نحو مئتين قرش حجر،

---

(١) هو الإمام المتوكل على الله يحيى. فيما بعد.

وقد كـان بيـده من الحـرف قدر مئة ريـال على جهـة القـرض، الـذي كـان ينفق له ولأصحـابه في الـطريق، وعند وصـوله ولعـل أن زوجـة الإمام الهـادي الـذي بيدهـا كـل شيء هـي (المخّربـة) للأولين والآخرين، وأما سيدي العزي محـمد بن الهادي الإمام، فـلم يظهـر منه خـلاف، ولكن يقـال في المثـل (من روحـه بيـد غيره مـات معـذب) ويقـال (المخـرِّب غلب ألف عمَّـار) هـذا مـا ظهـر بوصول المُخْـبِر الثقـة في يوم عشرين القعـدة.

وفي يوم ٢١ القعـدة عـزم من صنعـاء المشير المعزول في شـوال، ولعـله أحـسن من غـيره بأمور ظهـرت، وهو عـدم المجاهـرة من الجـند بالفسـق، ومحـافظته على الصـلاة إلاَّ أنـه مَحَق[1] المدينة لـما أرخـى العنان للسّوقة أن كـل أحـد يبيع بـضاعته بـرضاه، وصنعـاء المحـمية بالله لم يـصلح فيهـا إلاّ ما وضعه بيت القـاسم بالتَّسْعـور[2] والمفاقـدة والانتبـاه على أولاد السـوق وزجـرهم وضبطهـم وتأديبهـم كـلاً بـما يـليق به، ولكـن الله يفعل ما يشاء ويختـار.

وفي شهـرنا القعـدة ظهـرت الجـراد، وبـقيت أيـاماً متتابعة وهـي مترادفة، ولكـن الله سلَّم الثّمـار القيّـاض[3] قد روَّجـوه[4] والـذرة الكـبرى[5] سـلمت والصغرى فعـلت قليل، ومـا غير الله حـال في خـوض الطعـام مع البسط، والأمـطار المتكاثـرة في أول السنـة وإنـما المخـضّرات مثـل القـضب وجـميع أنـواع الخـريف، فعـلت اليسير في الثّمرة البـلس[6] والفرسكة[7] والعنب، وغيره، وأمـا الورق فأخلت جـميع الورق في كـل ثمرة حـتى أنك تـرى الشجـرة ما عاد فيها شيء من الـورق إلاّ حـبوب والكسوة والريش، وبعد تغيرت الثّمـار ولحقهـا التغيير والنقص، وليقضي الله أمـراً كان مفعـولاً. وليرى عبـاده آيـاتـه وعـدم رجوعهم إليه ولزوم بـابه نسأل الله يلطف بنا في قضائه.

ويـوم الخـميس ثـالث وعشرين القعـدة، وصـل البـاشا إسمـاعيل حـافظ[8] الـذي سبق ذكـره، وكـان قد تولّى اليـمن سابقاً في سنـة ١٢٩٦ ووصـل قـبل الظّهـر في موكـب

---

(١) افسـد.

(٢) بالتسعـير.

(٣) مـوسم الثـمرة.

(٤) بـاعوا بأسعـار رخـيصة.

(٥) خ الكـبر.

(٦) هـو التـين.

(٧) الخـوخ.

(٨) هـو إسماعـيل حـافظ حـقي أحـد ولاة الترك على اليـمن ومؤسس الحـميديةتوفى بصنعـاء سنة ١٣٠٩ (أئمـة ص ٩٤).

عجيب، وسرٌ بوصوله خلق كثير لا سيما النّصارى الذين في صنعاء، فإنه بيظهر من أمورهم، ولم يمكن أحد من البوش يسانعهم[1] ويخلّي بينهم وبين ما يريدوا في المدينة من أجراء قوانينهم، وإظهار فواحشهم، وأظهروا له زينة كبيرة في أسواقهم وأذهبوا[2] الأثل حق الملاك أهل صنعاء، ولكل زينة يفعلوا ذلك قطعاً، ودخل إلى الخيمة المنصوبة في عصر، وقد كانوا مراعين[3] له فيها أهل مجلس الإدارة والرئيس، حق العلماء والنظّار، حق الأوقاف، وضربت في باب الخيمة النوبة والطّبول والمزامير للأتحاف، ولم ينكروا على ذلك كونه لم قد وصل الباشا، عاده في النّقيل، ولكن وقع لهم في ذلك رغبة، وهي شدة المحبّة للباشا، لأنه الذي أطلقهم سابقاً من حبس الحديدة، وبعد ذلك دخل وأقاموا قليل وتدعّى[4] لهم الرئيس وداخل في الدعا المجانسة كمجانسة الموافقة، حتى قال أن ولاية هذا إسماعيل لعلها من عند الله كونه/قد هيه الثالثة[5] خرجه إلى اليمن، وما قد وقعت لأحد هذه المزية من قديم الزّمن وما ذلك إلاّ أن الله قد رضي على العباد، واختار هذا مضمون الدعا، وأما فهو فكثير لا يحصى ولا يستقصى، فلله دره من عالم نحرير، حيث يأتي في كل موكب بكلام موافق، فما هو إلاّ من علم غزير، ومعه - الباشه - امرأة قالوا هي مَرَتْهُ[6] وراكبه على حصان ويتماشيا معاً، وهي متبرجة غير متستّرة وتتكلم من فوق الحصان بكلام ليس لها فيه حاجة، من جملته[7] أن حصان الشيخ علي البليلي ركض العبد وتخبّث فتكلمت الولاية[8] من فوق الحصان، وقالت: لعله عطشان اسقوه ماء، ومن قبل وصوله عند الخيام المنصوبة له، كان هو وهي راكبين في العربية معاً، ويتناقلوا. وفيما سبق في ولايته السابقة هي كانت معه، وما تطلع إلى هنا إلاّ في ولايته وتجلس قليل وتسافر، ولو كانت كما قيل ما تغيب عنه، وتَنَافَرُوا وبعد خرجت من خيمتها، ودخلت صنعاء بوصايفها، ودخلوا صحبتها الخَيّالة والخدم والمزّيقة[9] وأكثرتها[10] دولتها ممن له معرفة، ما خلا كبار العرب وأهل المجالس المتسلّقين الأبالِس،

---

(١) سانعه داراه.
(٢) أفنوا.
(٣) منتظرين.
(٤) دعا لهم.
(٥) خ الثالثة.
(٦) امرأته.
(٧) أي من جملة كلامها.
(٨) أي الوالية زوجة الوالي.
(٩) الموسيقى.
(١٠) وأكثرها.

وأوصلوها إلى نَعْمان[١] ورجعوا من سوق البشامق[٢]. وخرجوا لقيوا الباشا من باب اليمن بالأهبة والمزامير والطبول والبوق وجميع أنواع الملاهي، ودخل باب اليمن، وطلع الحكومة وبعد رجع إلى نَعْمان وأمّا هيه[٣] فدخلت بموكبها وأهبتها من باب قاع اليهود، وباب شرارة وباب السّباح.

وتلك الليلة فعلوا النّصارى زينة كبيرة وركّبوا البيارق وشَرّعوا[٤] السوق من عند سوق الحرير إلى باب القصر بالأثل، والفوانيس والنّوارات[٥] واللّنبات وَخَيّموا وشرعوا الدكاكين بكل ملهى ومحَرَّم، والتصاوير عيّنات[٦] وأكثرهن بنات فيا حياهم من باري البَريّات، حيث كل أفعالهم سيئات، وظهر الخمر من تلك الليلة.

أخبرني من هو بينهم ومنهم، وطلع الوالي سلم على النصارى إلى كل دكان، ومر عليهم جميع، وقد أظهروا كل أمر فظيع، وكلا على انفراده وميعاده، وكان يجلس عند كل دكان قدر ساعة، وأذهبوا أموالاً في تلك الإضاعة، فيا خسارتهم وبِئس البضاعة، ولا زالت المزامير والمزّيقات والشّبابات والنوبة إلى أن أكمل السّلام على أشرار الأنام، والمخربين للإسلام، وشريعة سيد الأنام، وكبراء العرب يتهافتون ولا ينكرون، لأجل حطام الدنيا، فإن كل واحد منهم بالحرام مفتون الله يرزقناالحلال ويقنعنا من هذا الجنون. ودخلوا الناس في عيد الأضحى، ونَسوا القيل والقال والإثبات والإمحا إلا أنه وصل تجار أخبروا بِرَبْشَةٍ في تهامة، ووقع معهم فيها نهب وقتل، وأفعال في بعض التُّجّار والمسافرين، قيل أنهم الزّرانيق وقيل غيرهم/ .

ووصلت كتب ورسائل من صعدة من عند سيدي المولى، وقد تكنّى بالهادي كنية الإمام الهادي السابق، واجتمعت الكلمة لسيدي المالك العلامة العزّي، وكذلك لسيدي العزي محمد بن قاسم الحوثي، فإن السّيد القايم أرسل إليه جماعة من أهل صعدة وضحيان، وكتب من لديه في التّضييق عليه في الجهاد، فما وسعه إلاّ خلْع نفسه، وتسليم الأمر لسيدي الإمام القائم في هذا الأوان، والكتب والرسائل بالحثّ على جميع العباد في الجهاد، فلما وصلت ظَهر للأتراك ذلك، فقاموا وقعدوا، وأرعدوا

---

(١) حارة من صنعاء.
(٢) جمع بشمق وهو الحذاء والكلمة تركية.
(٣) هي.
(٤) أثبتوا الأعمدة في السوق من خشب الأثل وغيره.
(٥) سرج تعلق من زيت وغيره.
(٦) أنواع.

وأبرقوا، وأرسلوا الخيَّالة إلى جميع الحوازات للجمال سخرى إلى عمران، واشتعلت الأرض طولها والعرض، من أخبار سيدي المولى، لما قد نال العرب من الضِّيق، حتى قيل أن قد هو في حاشد، ولعله لم قد احترك من صَعْدة لما هو فيه من ترميم الأمور، وإصلاح تلك البلاد، والجمهور، وما أشبه قيام هذا القائم بقيام جدّه القاسم، حين اشتعلت بقيامه الأقطار وتمنّوا المنافقين الفرار، ولعل الترك مختلفة أهوائهم ومتشعبة، ففريقاً جروا مجرى إسماعيل باشا الواصل، وبعضهم لم وافق مرامه مرامهم، وحتى أنه قطع معاشاتهم في آخر الشهر، ولم يسلم لأحد شيء، واستنكر الناس منه أشياء منها أنه ركز[1] البيرق السلطاني المعتاد في كل جمعة وعيد، ولم قد اتفق مثل هذه العجيبة، فزعمت طائفة أنه منافس في أمر النصارى لما يعتاد من فعله وكلام سابقاً وزعمت طائفة أنه ظهر أن ما ينشر البيرق إلاّ في المحل الطائع وأن صنعاء مُفْسِدة على السُّلطان كون الدُّعاة بيخرجوا منها قائم بعد قائم، وأن أهل صنعاء عالمين بذلك ومنافسين فيما هنالك، وفعلوا مضابط وطبعوها بذلك والله أعلم.

وفي يوم الربوع ١٣ ذي الحجة قَطَع السِّلك في وسط المدينة، قيل أنهم قطعوه أعداؤه من الأتراك، والله يحق الحق ويبطل الباطل بحوله وطوله.

وفي ٢٤ شهر الحجة، وصلوا ناس من حاشد بِطِلاب[2] من الباشا إسماعيل حافظ، وقد طلب عقال القبائل، فناس وصل، وناس مطل[3] وأما حاشد فالواصلين نحو ثلاث مئة نفر، وما قصدهم إلاّ المعاش، وهو[4] الباشا مقصده المناقضة على سيدي القائم المدعي، وعيال سيدي محسن المتوكل بيتسلم لهم معاش من حين دخلوا العام الماضي، يومنا هذا يسلم لهم سبع مئة ريال حجر، ولعل أحدهم يصال، وحاشد لا بد يستلموا فلوس كبيرة، وما شاء يصح من مناقضتهم شيء، بل أنهم ما يريدون إلا الدّنيا، وأما أنهم يضروا السادة فلا، وإنما هي استخراجات أموال الأتراك لشيء يعلمه الله. وأما ابن سعد صالح المتقدم ذكره، فأصلح نفسه عند الأتراك، ودخل عمران ودخل صنعاء بأمان.

وأما سيدي القائم فواجهت/ له جميع بلاد صعدة، وعلماء ضحيان الذين خالفوا الإمام السابق سيدي شرف الدين، وسيدي العلامة العزي محمد بن قاسم

---

(١) نصب.
(٢) طلب.
(٣) أمطل.
(٤) كذا في المخطوطة والصواب وأما الباشا إلخ.

الحوثي، الذي دعا في برط وتكنّى بالمهدي، واجه للقائم سيدي محمد بن يحيى المذكور آنفاً، واجتمعت كلمة جميع الزَّيدية من صعدة إلى طرف اليمن الأسفل عليه، ولم بقي مخالف، وما بقي معه إلاّ الأتراك، ومقصده الخروج عليهم، ولكن ثبَّطه من لا خير فيه، وأحبطه في صعْدة، ولكن الله يسلطه عليه، فقد عذب أكثر المؤمنين المجاهدين، وصاروا من الباطل نافرين ولا زال يماطل سيدي القائم ويَحْلَبْطِه[1] ويثبطه، وصاروا الآن يقسِّموا مَخَلَّف الهادي الحلال، لأنه تحرَّى على نفسه رحمة الله، وأوصى بثلث ما خلَّف فبيت المال، والذي بيقسم بينهم القاضي إسماعيل الفضلي[2] الذي كان عامل في رازح من طرف الهادي، ولم قد قبض سَيِّدي الإمام القائم من بيت المال إلاّ شيء يسير وفرَّقه على المجاهدين في المقام، وكساهم جميع من الخادم إلى المخدوم، وصار المقام بالخلق ملآن، الخبَّازين يخبزوا لِمَنْ وفدوا للعسكر، والخدم وسفرة سيدي من بيت الإمام السابق، بيجتمعوا فيها نحو ثلاثين أربعين نفر، واستقامت الأمور، وصلحت هنالك أحوال الجمهور، وعمَّل البلاد جميع السَّيد محمد عامر مكانته القاضي إسماعيل الفضلي في جبل السِّنارة، وسيدي أحمد بن قاسم حميد الدين جبل خولان، والغالبي[3] صعدة، وسَيِّدي محمد بن الإمام الهداي المرجع، ولعله سيبقى في الحصن المعمور بالعدل، حصن السنارة فوق رحبان صعدة، هو وسيدي محمد بن عامر، والله سبحانه يصلح الشأن، ويدفع الشنآن بحق محمد وآله.

ويوم حادي عشر شهر الحجة توفى سيدي محمد بن حسين بن إسحاق من بيت المهدي أحمد بن الحسن صاحب الغراس، وقيل أن القاضي أحسن بن أحسن الأكوع فعل مكتوب صبح موت سيدي محمد بن إسحاق المذكور قبل دفنه إلى ناظر الأوقاف الفقيه أحسن العمري، بأنه يوَضِّفْ ولده محمد بن أحسن في ما كان بنظر سيدي محمد بن إسحاق من الأوقاف في سَامك وغيره، وهذه عادة الدنيا الأطماع خَلَّت عقول الرجال مجانين على كل دقّة ولون.

وفي يوم تاسع وعشرين الحجة سنة ١٣٠٧ توفى القاضي أحسن بن أحسن

---

(١) يحبطه. أو يعرقله.

(٢) هو القاضي العلامة إسماعيل بن علي الفضلي الآنسي أخذ العلم بذمار ورحل مع الهادي إلى صعدة وتولى القضاء بخولان وفي جبل رازح توفى سنة ١٣٠٨ (أئمة اليمن ص ٣٠).

(٣) لعله إبراهيم بن عبد الله الغالبي من علماء ضحيان كان متبحراً في العلوم حتى أنه سمي طبري اليمن توفي سنة ١٣٢٧ (انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ٢٥١).

الأكـوع، وخـرجـوا لتشييع جـنازته من صنعـاء الأكـابر وأصحـاب الدولة والقـضاة، وكـذلك خـرجوا من صَنْعـاء لتشييع جـنازة سيدي محـمد لأنهـما توفّيا في الـروضة، وكـانا ركـنين من أركـان الدَّولة، القـاضي، أحـسن كـبير أهـل مجـلس الإدارة ومفـتي الحـنفية ورئيس مجـلس قمسيون[1] الأوقـاف، وحـاوي كـل الأطـراف، وسيـدي محـمد كـبير مجـلس محـكمة[2] الاستئنـاف مـدة عشرين سنـة، وكـلما عـزل قـاضٍ إن كـان من محـكمة الشرعـية على قولهم، استناب القاضي حـسن، وإن كـان من الاستئنـاف استنـاب سيدي محـمد ويأخـذوا (   )[3] ومـا هو للقاضي فوق ما لهـم.

ولمـا تـيقن سيدي القـائم بأفعـل المضارين للعبـاد من أيـام من سـابق، قـلب الكنـية، وتكـنى بالمنصور بالله لأن الطَّوابع[4] حـق الهـادي قد مـلأت الفـضاء بغير رضـا منه، ولـم تيـقن ذلك، ولا صـح له ما هـنالك من المهـالك على كـل سـالك/.

وفي هـذا التـاريخ كـثر الهـرج، والأخـبار اضطربت، وصـارت شغـوف كل أحـد يدخّـن من رأسه من سيـدي القـائم، حـتى كان يخبروا بوصوله حاشد، وتنفيذ المقادمة إلى كـل جهة، وحـتى نَجَّـل بعض النـاس من بئر العزب إلى صنعـاء وناس هرب من صنعـاء خشية الحَوْزة، وحـتى ألغوا الخـطبة للسُّلطـان في قـرية القابـل مسيـر ساعتين من صنعـاء، وخـطبوا للإمـام المنصور بالله في عيـد الأضحـى، ويوم الجـمعة في خـطبة الغـدير سلخ سنة ١٣٠٧ وبعد أرسـلوا لهـم الأتـراك، واخـتفى الخـطيب عبد الرحـمن ابن محـمد زاهر، وأدخـلوا صنوه يحيى زاهـر، وهو شيخ القريـة، وحـبس يومين وخرج وسَلَّموا دراهم، ومن شـطارة الأتـراك ما زِدْ قالوا لأحـد شي ولا هـدموا[5] حـد، ولا حـبسوا أحـد، ولا قد جرى في أحـد من الشِّيعـة شيء، ولا تكلموا في مـا يملكـه سَيِّدي المولى شـيء، وذلك من فـضل الله وإحـسانه بأهـل صنعـاء لأن أكثرهـم شيعـة ومحـبِّين «. . .».

وفي خـلال هذه الأيـام، والهـرج كـائن، أرسـل البـاشا إسماعـيل حـافظ لقبائل حـاشد على ما ذكرنـا، ومـا تمـسك[6] منهـم بـضابط[7] وقد افْتَتَنُوا بعضهـم البعـض على الدراهم، وقد عـزم أكثرهـم البـلاد، وبـقي القـليل كأنَّهـم عقـال يـريدوا أكثر الأمـوال،

(١) كأنـه مكتب أوقـاف.
(٢) خ محـكمة الاستئنـاف.
(٣) فـراغ في الأصـل.
(٤) الأختـام.
(٥) ارعـبوا.
(٦) أمسـك.
(٧) بشيء يـقرر عليه موقفهم.

لأن الـذين قد عـزموا ما وصل عند كـل نفر إلا نحـو قرشين ثـلاثة، والله سبحـانه يصـلح أحـوال أمـة محـمد صـلى الله عليه وآله وسـلم ويـقيم الحـق ويخـذل الباطل ويعمي أبـصار الظلمة عن المؤمنين ويشغـل كـل ظـالم بنفسه.

وفي سـلخ شهـر الحـجة طـلب الباشا جـميع العَسَاكـر السُّلطانـية إلى ميـدان البكيرية والمـدافع صحـبتهـم إلى هنـالك، وطـلب القبائل الباقين من حـاشد إلى هـنالك، وأراهـم ذلك الحـزبة، وبعد خـرجوا جـميع من بـاب شعوب، وفعـلوا تمشيـة كبيرة إلى ظهـر الحـمار[١] بتلك الأهـبة، والمـدافع وقـصدهم الإرهـاب والإرعـاد والإبـراق، وأن يـرى العرب ذلك.

ويـوم ثـاني الشهـر شهـر محـرم سنة ١٣٠٨ نـزل سيل من سعوان ما قـد أحـد عرف مثله، ودخـل الرّوضة وحَصَـل فيها جعث[٢] كـبير وخـراب كـثير بيوت، وأمـا الأعنـاب فأكثـر جـدراتهـا ذهبت، وإلى فوق العيدان تَدَارَبت[٣] حـتى أخـبرني المشاهـد إنهـا قـدر ثلاث ساعـات الـذي كـانت الجـدر مثل تغْشيـرة[٤] البنادق، وأكثر ما وقـع ذلك في الجـانب العـدني، وأما الغربي فهـرب أكثر أهلهـا إلى عنـد أصداقهـم[٥] المتنزهـين، والـذي أخـبرني من الـذين هـربوا بِغَدَائهـم عجـين، وتركوا كـل ما كان ظنين، ونَجـوا بنفوسهـم وذلك في شـارع المخـالف[٦] عند الحَـمَّـام الصغير، وضـربت الطّيسـان للغوايـر على بعضهـم بعض، وقد دفع الله مـا هـو أعظم، بوصول السيل الصبح، فـلو نـزل ليل لذهـبت البيوت بـمن فيهـا، ولكـن لطف الله، وكـذلك في الوادي سيـول وخـراب أعنـاب كـثير، ولكـن ماشي في البيـوت، وأما السُّيول متتابعـة نحـو وعـدين[٧] ما انقطعـت وفي [كـل] محـل كذلك لأن الأمطار عَمَّـت جـميع الأمصار، ونـزل من جـبل اللُّوز سيل دون هـذا، ومـضى من صنعـاء إلى الـروضة نسأل الله اللطف في قـضاه والعافية في بـلاه/.

وفي شهـر محـرم سنة ١٣٠٨ وصـل من اسطنبول الجـماعة الـذين دخـلوا يقرؤوا[٨]

---

(١) هـو ظهـر حـمير والعامـة يسمونه ظهـر الحـمار يقع في الجهـة الشرقية من صنعـاء.

(٢) فوضى.

(٣) تساقـطت.

(٤) سـبق ذكرهـا وهـي أصوات البنادق دفعة واحـدة.

(٥) أصدقائهـم.

(٦) من شوارع الروضة يـقول الخـفجي في ذكر هـذا الشارع:

ومـن مضـى من شـارع المخـالـف ... يـلقـاه غـولـى فـي الـظلام ممـدد

(٧) الوعـد هو الأسبوع.

(٨) أي يـدرسوا وكأنها أول بعثة دراسية تـرسل من اليـمن.

في أقلامهم، وهم عشرة أنفار، والذين رجعوا [في] هذا التاريخ عيال سيدي عبد الله موسى[1] الذي قتل أبوهم في ضوران وهو في عمل مع الأتراك وقد مات أحدهم ورجع الثاني وابن الضبي محمد، بن الحاج يحيى وابن السيد محمد زبارة وابن عبد الواسع وابن حجر، وعاد ابن سيدي محمد الخُبَاني باقي هنالك يعلم الله ما سَبب تَحَيُّره، والذين وصلوا قد فعلوهم ياروات[2] على لغة الترك يعني واسطة بين العرب والعجم للكلام، وفي ذهنهم مقدّمات لقانون النظام ويحكم الله الملك العلام.

وفي نصف محرم سنة ١٣٠٨ أمرو الدولة بإظهار الزينة في جميع المدينة، ويسمونها فَنْطَسِيَّة في لغتهم، وفعلوا البيارق، ونَهبوا اثْل الناس، وما عندهم في ذلك إثم ولا بأس، وألبسوا الخشب بأنواع البندارة والصُّحن[3] مخيَّطات وأسرجوا دكاكينهم والحارات، وأدخلوا العساكر بين العرضي جميع للحزبة، وتأهبوا بكل الأهبة، وضربت المدافع حال الدّعاء، وابتهلوا كل الابتهال، وأمنوا جميع الحاضرين من الرجال، والذي تَدعًا[4] بهم رأس العصابة الزيدية، وكبير الفرقة الكبسية السيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي، أطال الله بقاه في الطاعة، والعلم خير بضاعة، ورجعوا يلعبون بالخيل، واجتمعت جميع الفرسان كالسُّيل، والباشا إسماعيل وجميع المأمورين كبير وصغير، وتفرقوا[5] وفي كل سنة يفعلوا مثل هذا ويخبروا العرب يفعلوا مثلهم، ويزيّنوا دكاكينهم، ويسّرجوا، وهذه المرة لم فعلوا أهل صنعاء شيء من ذلك، وأما الأمر فقد أمروهم بما هنالك، ولم أحد فعل شيء، ولكن به شيء والله يحق الحق ولو كره الكافرون.

وفي ثامن عشر، وقع مقتولين في صنعاء اللّيل في سمسرة سوق البهايم، ما قاموا إلا وهم مقاتيل أحدهم ذبحاً وآخر طعناً، وهم نيام غدراً من آخرين، ولم قد ظَهَر لا القاتلين ولا المقتولين، وحبسوا السُّمسري وسماسرة آخرين.

وفي ذلك اليوم وصلت كتب للأتراك أن ثم قتله فيهم في سوق شَرِسْ، سببها وجدوا بندق شيشخان من حقهم مع رجل من بيت قدم، فطلبوها منه فلم يسعد يسلمها، وطلب الثمن منهم الذي سلمه، فأخذوها قهراً فَطَعن الآخذ لها التركي

---

(١) هم أحمد ومحمد ابنا عبد الله بن موسى (أئمة ج ١ ص ٦١).

(٢) مفردة ياور، وهي كلمة تركية بمعنى المساعد والمعاون وفي المصطلح العسكري تعني رئيس أركان حرب.

(٣) نوع من الثياب يميل إلى اللمعان.

(٤) أي دعا لهم.

(٥) بياض في الأصل.

والصَّوت[1] سَبَّرْ، فقيل راح نحو ثمانية عشر، وقيل أقل وقيل أكثر، وسخر جميع الجمال من صنعاء، حتى حق البدو، وعزموا للغارة يوم ثاني، والله أعلم مايكون، ولما رأوا أهل تلك البلاد أن لا طاقة لهم بتلك الأجناد وتعذيبهم من العجم على روس الأشهاد، نَجّلوا أهلهم وأطفالهم، ورحلوا من تلك الديار، وتعاقدوا هم والبدو على إسعار النار، والمغازي ليلاً ونهار، وبقوا يتخطَّفوا الطرقات، ويقتلوا العجم وأما العرب فما صار إليهم شيء.

هذا في نصف محرم مفتتح سنة ١٣٠٨ ولم قصد وصل خبر من حجّاج بيت الله أهل البحر، فوصل أهل السَّاحل والحجاز، وأخبروا بفناء عظيم، وأكثره في أهل الشام، وسبب تَحَيُّر أهل البحر، دين النصارى حبسوهم سبعة عشر نهار، ويسموها كرتنة نصرانية، الله ينصر دينه، وكيف حال من قد شاهد تلك المواقف، وذلك الفناء والتعب والسهر، والغربة عن أهله ووطنه، وقلت ما في يده، وعند وصوله إلى الحديدة أو كمران، وقد هوه في آخر جزء من الحياة، لما قد شاهد من الفناء وغيره، ويحبسوه سبعة عشر يوم، ومن مات أخذوا فلوسه، وأحرقوا أداتِهِ، وأوجبوا استاناف[2] الكرتنة بكل من مات أقماهم الله، ولا قدرة للحجاج وهم/يشاهدوا بندر الحديدة ونسيم بلاده، ولا يقدر على النّهوض، وأكثرهم فقراً ما يتم آخر المناسك إلاَّ وهو سك ويقولو أنها مصلحة في دينهم من المعاداة[4] فهو خلاف الشريعة قال صلى الله عليه وآله وسلم (لا عدوى ولا طيره في الإسلام)[5] وإذا مات أحد الحجاج في مدة الحبس، يعني الكرتنة أضافوها مثلها واستأنفوها من أولها، فإذا زِدْ حدث موت آخر، وقع ذلك، فلعن الله من خالف شريعة رسول الله، وبعد وصل من أهل البحر نبذة آخر الشهر، وكان فيما سبق قل وصول الأتراك أرض اليمن، وقبل ظهور هذا الدّين المكَرْتن، ما يستهلوا الحجاج شهر محرم إلا في حجّة أو في مناخة، ونحن ممن حَجَّ سابقاً واستهلينا محرم في حجَّة وكانت هي البيضاء والمحجة.

وفي آخر محرم قطع السّلك في عَصر، وأرسلوا لأهل عَصِرْ وبئر العزب، وجعلوا عليهم الطريق أدب ثلاثة أرباع ريال، والمقصود تعذيب العرب، وإلا فقد كان أهل عصر قبضوا الذي بيقطعه وأدخلوه إلى عند الترك، فحبسوه مدة، وأخرجوه،

(١) أي اشتدت المعركة واستوت.
(٢) استئناف.
(٣) كناية عن فراغ اليد.
(٤) العدوي.
(٥) حديث صحيح عن أبي هريرة ونصّه «لا عدوى ولا طيره ولا هامة ولا صفر».

ومـا يـفوت عليهـم مما هـو لهـم، ولو مثقـال حبَّة من خـردل، وأمـا فيما هـو بين العـرب، فـلو ذهـب أكثرهـم لما زادهـم إلا شوقاً وأفرحهـم، ففي تـلك المـدة في محـرم، وقـع حـرب بين العـرب، وقـتل كـثير فيما بين بني حـشيش والسر ونهـم، وفيمـا بين بني بهـلول، وخـولان وفي الحـواز، وقطع غَيّـار، من بعضهـم البعض في الثّـمار، وتغـاضوا عن ذلك الأشـرار.

وفي أوائـل شهـر صـفر سنة ١٣٠٨ أخـربوا التـرك الدايـر[١] المحـاجي[٢] على بـاب اليـمن من جهـة العـدن، وقـصدهم يخِـلْوه فهـو من دون حـاجي، وهـو خـلل على المدينة، مصلحـة لهـم أو لا يكـلفوه من العرضي حـق المدافع، ويحـكموا الداخـل والخـارج، وإذا وقـع في المـدينة شيء فهـم كافـلين البـاب من العـرضي، ولـو يبقى بـدون عسكـر في البـاب، وأخـرجوا منه أحـجار حَبَش[٣] ومواثـر[٤] حـبش إلى تخـوم الأرض، وكـان باحَتـه[٥] فسـاح[٦] وكـله عمـارة حِجَـار نحـو عشرين ذراع وجَـدْر[٧] في أثـر جـدر كلهـا أحـجار، وما تعـدم الرسـوم كـما رأينـاه في الـذي خـربوه، بـاب السبح وبـاب شرارة. وفي خـلال ذلك حـميت الوَقْزة والأخـبار، حـتى أنهـم أمروا[٨] بالصائح أن لا يخـرج أحـد إلّا بفانـوس من مغـرب، فضاقـت أحـوال الضعـفاء الـذين يتَصرَّفوا بعد المغـرب، وأيـضاً ضاقـوا المصلِّين، كـيف يخـرج يصَلِّي مغرب وعشاء بفـانوس، فطلعـوا إليهـم وصَيَّحـوا[٩] مـرة أخـرى أن لا يـكون ذلك الجِرَّاج[١٠] إلا من ساعتـين[١١] في الليل، وصايحـين في نهـار واحـد لا لشيء، ولكنها رجفـة من الله سبحـانه.

وفي نـصف شهـر صـفر عـزم الشيخ علي البليلي، والسيد حـسين بن عـلي غمضـان لِصـلاح البـلاد العدنيـة الحـدا وجهـران ومـا يـليها، لأن قد ظهـر للدولة ضِيْقة[١٢] جـميع

---

(١) السـور.
(٢) المحـيط.
(٣) حجـار سوداء متينـة.
(٤) جـمع مؤثـر أساس البنـاء.
(٥) الباحـة السـاحـة.
(٦) واسعـة فسيحـة.
(٧) جـدار.
(٨) خ أمـر.
(٩) صاحـوا.
(١٠) التأكيد والتّشـديد على النـاس في عـدم الخـروج.
(١١) أي من السـاعـة الثانية بالتوقيت الغروبي.
(١٢) ضائقـة.

العباد وإن قدهم على رأس الفساد، فالأول يدّي[1] للقبائل وجهه وعهوده، والآخر يَعِظهم، ويذكرهم سَطْوة الدولة، وبما يقرّبهم إلى النار، وعزم صحبتهم طابور صغير ومدفع كبير، وحب الدنيا فتنة ورأس كل خطيئة وحسبنا الله ونعم الوكيل/ .

ويوم سادس عشر صفر صحَّ الخبر بأن سَيِّدي المنصور، وصل (المدان) ثاني شهر صفر.

وفي ذلك اليوم ما شعر الدّولة[2] إلاَّ بمقتول تركي في صَبْل[3] في الطّواشي غبطه[4] القاتل له في البندق، وأخذ البندق، وهرب الليل، ولعله من القبائل الذين عرفوا قدر الشّاشخان وتسّلحوها، ورجعوا حبسوا أهل الصَّرْحة نسأل[5] الله اللطف فيما قضاه علينا.

وفي التاريخ وصلت الأخبار المتواترة، والكتب المتكاثرة[6] من لدى مولانا القائم إمام الزمان وحجة الأوان، وصل جبل الأهنوم ثاني شهر صفر المظفر، ولعله قد خالف عليهم الماحق بلاد الشام، وتعلقت الحمَّى بالجميع «. . .». ولما تحقق الخبر حق المرض في أكثر أهل مقام الإمام من الحمى.

وأما سيدي المولى حفظه الله فعارضه مع الحمى مرض آخر، وهو حرقة دم مفرطة مع حرارة جائرة، حتى انقطع عن النّاس خبره، وعدمت رؤيته عن الأبصار، حتى قيل إن قد انقرض، ولله في ذلك مصلحة وغرض في علمه تعالى، ولعله كتب إلى سلطان الإسلام قبل، وإلى سلطان العجم، وما ذلك منه إلا تثبيت من الله وإظهار الحجة على السُّلطان وإيضاح ما جرى من عساكر العجم، من تعطيل الشرائع والأحكام، وشرب الخمور، وهلاك الرعايا، والفسق والمجاهرة بالمعاصي، وعدم الضَّبط، وعدم إمضاء الحدود، فإذا تحصَّل من السلطان انتباه، فقد أبرى عذره عند الله في قتل العجم وإن تحصل انتباه فلحقن دماء العرب والعجم، والله الناصر والمعين.

وفي رابع عشر ربيع أول وصلت البَسطات المنقطعة منذ شهرين، والسبب كَرْتنة

---

(١) أي يقول لهم أنتم في وجهي (على مسؤوليتي).

(٢) خ للدولة وإصلاح من عندنا.

(٣) اصطبل.

(٤) حسده.

(٥) خ نسل والصرحة· الساحة.

(٦) خ المتاكثرة.

المراكب في البحر والفناء الواقع في الشام، وقيل لربش في اسطنبول، ولعل فيها إن شاء الله إفادة للمسلمين، وأما الجوابات لسيدي المولى أو للصلاح لجميع العرب/ .

وفي يوم ثاني عشر ربيع أول وصلوا الزُّوار الذين سلموا من الفناء وتعذيب النصارى من التحروج[1] والكرتان في كمران، والقطيعة في جدة لعدم الركوب نحو أربعين يوم في البندرين المذكورين، وأما في المدينة المشرفة، فما خلوهم يدخلوا المدينة الدَّاخلية إنما خلوهم برا[2] أقماهم الله، وما رجع إلاَّ القليل، فأحد العصَبْ الذي فيها بيت السياغي وبن سلام، وناس من المغرب، وقاسم العرشي توفوا جميع، وهم إثني عشر، وعلى هذا فقس وأما جدة ومكة، فخلت بيوت، وراح آلاف نسأل الله اللطف.

وفي ذلك اليوم وصل سيدي حسين بن علي غَمْضان، والشيخ علي البليلي من جهران، بعد أن أهلكوا الرَّعايا وأخذوا ما معهم وهم كارههون، وأما قرية هجرة منقذة فأخذوها قهراً، وما فيها من طعام وقراش، وأحرقوها بالنار، ورصابة كذلك ولعلها ذنوبهم «. . .» وقد وقع بعض حرب، وراح من الترك نحو أربعة، ولعل أنه أهل الحدا أغزوا إلى مطرح الترك إلى معبر ووقع منهم بعض قتل ونهب، ورجعوا بليلتهم، ورجع أهل منقذة يقطعوا الطرق، ويتخطَّفوا، ولم زِدْ لقوا الرعايا ما يسلموا لهم، قطعوا قراشهم للمُقْدمين المذكورين، ووصلوا بهم صنعاء يريدوا بذلك عند الباشا رفعَة وصُنْعا.

والأتراك عزموا بلاد آنس يفعلوا أشد من ذلك قطعاً ، والله يحكم بينهم لديه عند الرجعا ، ووقع في آنس أعظم ، كونهم رعية ضعفاء ، فأول أن شيخ بكار العسودي ، قتلوه أهل قرية من جهران ، لكنهم مواخيين[3] للحداء ، وطلعوا عيال العسودي المقتول يستغيثوا بالدولة، فما وقع المخرج إلاَّ لينتصروا لهم من عدوهم بالحق، فلما أحسُّوا أن لا طاقة لهم بمناقشة الحدا سيما وقد بادروهم بالمغزى إلى معبر ، فعدلوا[4] فتكوا بالضعيف ، وتركوا المقوي[5] وهذا دأبهم مع الضعيف ، فخلسوا أهل مخلاف آنس ، وحتى أهل المقتول ، وأخذوا جميع ما يملكوا ، وغزوا على محل آخر قرية خشران وغشام ، طلبوا منهم

---

(١) التحرج.
(٢) خارج المدينة.
(٣) مواخين متحالفين .
(٤) خ قعد ولو .
(٥) القوي .

المغلبات ، فأجابوهم أنهم مُوَفُّون للدولة بجميع الحقوق حتى أن قد أهل ذلك المخلاف هربوا يتعيشوا في . . .[1] من شدة ما قد أخذوا ما بأيديهم برضاهم ، عاد عندكم بقي لديكم ، فضاق بهم الحال هربوا قالوا هم مفسدين ، ودخلوا قريتهم أخذوا ما فيها جميع ، وصاحب الحدا وخولان الذي لديهم الحقوق ما قدروا يكلموهم فحسبنا الله ونعم الوكيل/.

وفي سلخ ربيع أول ارتشبت الزُّلط وكثرت البيضاء العدنية[2] ، ضربة الإفرنج ، وقلت البيضاء والحمراء ، ضربة سلطان ، حتى صارت الفرنجية ثلاث أرباع والحمراء والبيضاء حق السلطان الربع وعدم القرش الحجر ، حتى لم زِدْ لقي له أثر ، وضاقت أحوال الناس ، وعدمت المصرفات ، وكثر الإبلاس ، وأشعروا أنهم سيزيدوا في صرفها ، وفرحوا الضُّعفاء وتسالكوا بتلك الزيادة قبل تنبيه الدولة ، فلما طلعوا إلى المشير إسماعيل بتلك الحكاية ، ركبه الهوى ، ولبس الغواية فلم يسعدهم بالزيادة ورأوا الشر في وجهه إلى زيادة ، فرجعوا بخفي حنين ، فلما علموا أولاد السُّوق رجعوا إلى العدم الخفي ، ووجد المصرفات بزيادة ، وكثرت فيما بينهم الحَنْبَاتْ[3] وكل واحد من الأنذال والسفهاء أخرج الطامات ، وصاحب الدين لم أمكنه ذلك ، بل رَدَّه دينه من الشغلة للناس والأذيات ، ولاحت الفرصة لأهل سوق الحب ما يكيلوا إلَّا بالقرش ، والأحَبّ فاتر[4] ما فيه لقمة ، فهم أعظم النقمة ، في صنعاء وقاموا المفاودة[5] يستكيلوه ويفادوا فيه بقولهم ، ولا أحد انتبه كل أحد نفسي نفسي ، غيري المَعَنَّى ، فقليل الدِّين وصل عندما يتمنَّى ، وصاحب الدين ما زد لقي راحة ولا تهنَّى .

وفي سلخ الشهر وقعت الزلط ، والصرف أثلاث الحمراء ، إثنتين وخمسين والبيضاء عَيِّنتين السلطانية ستة عشر بقرش حجر والنَّصرانية ثمانية عشر بقرش حجر وسكنوا الناس قليل مما كانوا فيه ، والقرش الحجر معدوم .

وسمعنا أن والقاضي إسماعيل ، من الحاج الفاضل الثِّقة يحيى بن أحمد في حراز ، أن قد مراد الدولة يَغْرِسُوا على جميع الناس غَرِيسَة ، وقد شرعوا فيها في مناخه ، وهي أن كل من يسافر من بلد إلى بلد من العرب ، يلقوه الزبطية وفتِّشوه ، وما وجدوا معه من

---

(١) كلمة مطموسة .

(٢) نسبة إلى عدن .

(٣) المشاكل .

(٤) ضعيف .

(٥) الذين يبيعوا للناس من تجار الجملة .

تعاريف[١] من العرب إلى العرب من بلد إلى بلد ، حبسوه وأدَّبوه ، ولو ما فيها شيء ، إنما لما بينهم ، ولو تبليغ السلام في الكتاب ، يريدوا أن يفعلوا العرب في كل كتاب بولة[٢] بنصف الثمن ، ولو ما في الكتاب شيء ، وبعد تتناهى البول مثلما ذكرت لك في كتابي آنفاً أول ما ظَهَر البُوَلْ من زلطة ، وانتهت إلى خمسين قرش حجر ، في الأشياء العظام ، وهذا ما قد وقع في اليمن وقد بدعوه[٣] في حراز ، وآخره ينتهي إلى جميع أقطار اليمن ، والبدع وقع في ربيع أول سنة ١٣٠٨ في جملة ناس منهم سَيِّدي هاشم الشامي والي وقف حراز ، كان في صنعاء فاحتاج يَعَرِّف أهله الذين في (مناخة) أنه بخير سيصال عقيب المكتوب الصادر ، وصَدَّر ثلاث كعد[٤] عَطَلْ[٥] حق شرب ماء فلقيوا الرَّسول بذلك الكتاب ، وكتب غيره من ناس آخرين ما فيها ما يوجب إنما مثل ذلك ، فلما لقيوا الرسول الزُّبطية في نقيل[٦] الشَّجة حق مناخة هتكوه وحبسوه نحو شهر ، فنزل سيدي هاشم إلى هناك ، فلقيه الزبطية في المحل ذلك الذي يتلقفوا[٧] فيه للمسافرين ، فأخذوا سيفه ، وطلبوا تسعة قروش حجر جزاء نقدي على لسنهم[٨] كَونَه لم فعل ذلك / الكتوب السابق فيه الكعد الذي قيمتهن بقُشْتَيِنْ ثلاث بُوَلْ ، ولا أرسل به في البُسْطَةْ[٩] المقصود نصف الثمن ، ومرادهم تُطْبع[١٠] على النَّاس جميع ، هذا ناظر الوقف ، سَيِّد من بيت النبي ، كيف يساير الناس يأخذوا حقه حلال عندهم ، ولا بأس ، وقد كان أمر قائم مقام مناخة ، بحبس السيد المذكور ، فرأى أهل مجلس مناخة أنَّه نقص في جناب السيد ، فأخذوا سيفه وطلبوه تسعة قروش حجر ، فأرسل السَّيد هاشم رسول إلى صنعاء بكتب يغور[١١] على المعاونين له ، والسادة الكباسية ، فعزموا إلى الوالي مغورين معَوِّلين فيما صدر في جناب صاحبهم ، فضحك في أوشاهم[١٢] فأجاب عليهم هذا قانون .

وكذلك وقع مع ناس آخرين ، مثل ذلك ، حتى ذُمِّي وذُمِّية خرجوا من صنعاء يريدوا

(١) رسائل

(٢) طابع بريدي أو طابع دمغة . واللفظة تركية .

(٣) بدؤا فيه .

(٤) جمع كعدة وهو الإناء من الخزف يوضع فيه الماء أو القهوة أو غيره

(٥) فارغة .

(٦) العقبة .

(٧) يستلموا .

(٨) كلامهم .

(٩) البريد .

(١٠) تعمم أو يعتادها الناس .

(١١) يغيروا .

(١٢) أوجاهم على عادة بعض أهل صنعاء في نطق الجيم جيماً شامية.

دخول بيت المقدس ، فلقوهم[1] ذميين آخرين من القاع ، فأرسلوا معهم بتعريفين[2] صغار في كل واحد كلمتين ، إلى أنسابهم[3] إلى مناخة : أنهم بخيرين مستريحين مُشَجَّنين[4] عليهم ، فأخذ الكتابين الزَّبطية المذكورين ، وحبسوا المسافرين وجَرُّوا من الذي التعاريف إليهم إثني عشر قرش حجر ، جزاء حيث لم يفعلوا فيهن بُوَلْ ولا أرسلوهن في البَسْطَة الذي تسير مع الزبطية ، وأجرتها للدَّولة وإذا دانت لهم الأمور وسكنت الضوارب ، فلا بد يَفْعلوا ذلك في جميع اليمن ، ولكن الله غالب على أمره ، وهذا ما رقمته إلا ليتعجب الآخرين من فعال هؤلاء العجم ، وإذا فرج الله سبحانه بعد ذكرنا ذلك وأدَمْنَا الدعاء لمن هنالك كما تراه إن شاء الله قريباً فعند التناهي يقصر المتطاول ، وهذا الظلم الجاري المذكور والأفعال الشنيعة ، وبطلان الشريعة ، بالمشاهدة ، غير أنهم لم صرحوا لنا بذلك ، ولا أرخوا لنا العنان بما هنالك ، إن إذا مراد العرب في شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتشارعوا بين ما شاؤوا ، ولكن مرادهم الإبطال من حيث لا نشعر به ، فلهذا إن كل مشارع يجلس سنة وسنتين ، ويغرم مثلما بيشارع عليه ، ولا يقف على طائل ، ولا يتمسك بحكم جازم ، إنما إذا قد حازهم[5] المشارع ، وقد شا[6] يفضحهم ، فعلوا له رقم بمخرط[7] وأوهموا غريمه يقدم عَرَضْ حَالْ ، ورجعوا يثنوا الشريعة الطاغوتية الحمراء ، ومع هذا والعرب والعلماء يتهافتون على أبوابهم كالبهايم الذكور بعد الإناث ، الذي يمتدح فيهم يمتدح والذي يشعر يشعر ، والذي يعظ على مقتضى ما يريدوا يعظ ، والذي يطلب أعمال يطلب ، والذي يتقبل يتقبل ، ويشغل أمة محمد بالمغالاة يتقبل ، والذي يتقنطر ، والذي يترجم يترجم ، والذي يزين لهم أفعالهم يزين كالشيطان زَيّن لهم ما كانوا يفعلون ، والذي بيسبب على الناس والذي بيهادي بالمكولات[8] بيهادي ، والذي يجلب كل مليح ، ويحرم كم من فاضل وسيد يطلعه لهم طلباً للدراهم كذلك[9]/ .

وهذه قصيدة قالها بعض السادة في الوالي إسماعيل حافظ يوم وقعت الزينة على قيلهم « فنطسية » وقد سبق في أيام قصيدة للقاضي حسين جغمان في عزة باشا . وهذه في سنة

---

(١) التقوهم .

(٢) كتابين رسالتين .

(٣) أصهارهم .

(٤) من الشجن بمعناها الفصيح .

(٥) حاصرهم .

(٦) شا تقوم مقام سين التسويف في الفصحى .

(٧) ربط يسهل إبعاده .

(٨) لعله المأكولات.

(٩) فراغ في أصل .

١٣٠٨ والأولة قبلها بنحو أربع خمس سنين فيظهر لك نفاق العرب وسبب التسليط عليهم .

تهنا أيها الوالي الهمام … بعيد تم فيه لنا مرام

بعيد جامع للخلق طرّاً … ومن في الخافقين له مقام

بعيد للسعادة كان بابا … ومنهاجاً تفوز به الأنام

بعيد جلوس سلطان البرايا … ومن للمسلمين غدا إمام

بعيد مولى التاج عبد الـ … حميد الفارس الندب الحسام

بعيد جلوسه من فوق … تخت رقاة قبل آباء كرام

بعيد جلوس من ملك الأقاصي … من الدنيا وتم له النظام

أمير المؤمنين وخير قوم … تذل له الأكاسرة الطغام

أمين الله حامي دين طه … بسيف لا يفارقه ائتلام

مبيد المشركين بكل واد … بعسكره الذين هم الحمام

مليك ليس في الدنيا مليك … سواه عاجل كهف همام

ولو لا أنه قد قال هبلي … سليمان وتم له المرام

لكان مثيله في الملك إن لم … ينل ملكاً تطاوعه الغمام

لأن الله خالقه حباه … بملك لا يحيط به الكلام

فهذا اليوم عيد أي عيد … ببعض سروره طاب الغرام

ولما إن طلعن كليث غاب … على أسد لواحظها سهام

وخلفكم الأكابر كل شهر … هم أركان دولتك الكرام

وقد غصّ المقام بحاضريه … كأن هناك ركن أو مقام

وقامت للسلام صفوف جند … توالت لا يخال لها انصرام

وخيل تحتها تحكي بروقاً … إذا ركضت وقد كثر الزحام

ولا عيب يرى فيهم ولكن … بأيديهم منيات وسام

وإسياف مهندة صقال … رقاب المفسدين لها طعام

ومدلجهم يعيد الليل صبحاً … فلا تحتار إن هجم الظلام

وإن أمروا بأمر أي أمر … لأمرهم أطاعوا واستقاموا

نعم وغدت ترنم باحتفال … وأنغام يقارنها إحترام

رجال اتقنت فيما روته … هو فغدا يقلده الحمام

فاستعرضتهم فرداً بفرد … ونالهم ببهجتك السلام

وبعد دعا من العلماء شريف … بدعواتٍ يناسبها المقام

لمولانا المليك يطول عمر … وتأييد يلازمه الدوام

وأمّن حاضر الميدان طرا | وبالدعوات ابتهل الأنام
وأطلقت المدافع معلنات | ببشر للزّمان به إغتنام
وبالتبريك قد وافيت كلا | خصوصاً منك كان بها الختام
وصار نهارنا يزهو بحسن | وشاق لا يكفيه النظام
ومن فرح عيون السحب جاءت | بدمع والهواء به انسجام
وأشرق بدر ليلتنا لكيما | ينل قبساً يعوجله التمام
فمن خجل توارى حين مدت | بجانبه من السّحب الخيام
وكل نجومه غابت فغارت | وقد بهتت وداخلها الملام
فإن الأرض قد ملئت نجوماً | وبالأزهار فتحت الكمام
وديباج النبات لها فراش | وُذاك الدمع كان لها مدام
وحسبك أنه قد زاد زهواً | وبأنوار البها ما اختط سام
على الأقطار حتى لو رأتها | لغطت وجهها مصر وشام
وإني في النظام قصير باع | ولم يك قد تعلق بي غرام
ولكنى علقت بحب مولى | بحسن ثناه قد لهج الأنام
هو الممدوح في حضر وبدو | مليك دام يخدمه السلام
ودام بتخته والأرض طرّاً | بقبضته ودام لها إمام
وصلّ ذو الجلال لكل حال | وسلم ما تجاويت الحمام
على طه وآل ثم صحب | صلاة طيبها مسك ختام

تمت لله در قائلها فلقد أجاد فيهم غاية

وفي ذلك التاريخ رعمت[1] خيل المدافع ، وهلكت ، وأشار بعض العرب على إسماعيل باشا أنه يأمر المشايخ حق العرب بإعانة خيل للدّولة ، فكل أحد جَدَّ واجتهد ، وشروا خيل نحو عشرين رأس ، وصارت في العرضي للتعليم .

وفي شهر ربيع آخر مضت بغلة قاري من حق السّقائين ، واستطرقت[2] رجلْ محمد النّعاميْ رجل شاتب شيعي يبقي بيهتف بعلي بن أبي طالب صَلَوات الله عَلَيه فكسرتها ، وبقي نحو أسبوع أو دون ، وتوفى رحمة الله مثل من مَضَى قُتِلَ بالخيل مراراً / .

ويوم الإثنين ١٩ ربيع آخر وقعت آية سماوية وقت الغدا ، سمعنا قارح[3] في الهواء

(١) الرعام مرض يصيب الخيول وهو يشبه النزول .
(٢) داسته .
(٣) إنفجار .

معلي[1] ما أحد يقدر يمثّله بشيء ، لا بمدفع بل ، هو أشوع[2] وسمعوه خلق كثير ، كل أحد في محله ، وبقت الرّعدة حقه بعده مدة قدر دقيقة ، والشمس في تلك اليوم في القلب[3] لها ثمان ، وحَصَلت لها رجفة في قلوب الناس ، فسبحان القادر المقتدر الذي بيده ملكوت كل شيء ، المخوف لعبادة بآياته .

وفي شهر ربيع أخر وصل رجل فلان[4] الأخشر من ثلا ، ومزدوج الآن من ثلا من بيت الريص سادن الجامع حق ثلا ، ولنا به معرفة ، ووصوله من المغرب ، من بني العوّام والعريف ، وأخبرنا بما صار في الرعايا في تلك البلاد ، مما قضاه الله على جميع العباد ، في تولية المائلين عن الرشاد ، والمتولي في ذلك التاريخ ، تركي يسمى محمد عارف ، والكل منهم للشّرع والرسول والحق صارف ، فمما رأى في تلك الخطرة إن هذا المتولّي خرج على الشيخ يحيى صالح صاحب جبل نمر من بني العوام ، وربطه في زنده بحبل شدَّه ، وخَلا جَزّار من جزارين حجه يصيح به في السوق بين الناس كما يفعلوا في أسواقهم ويسموه بالحراج[5] يُحَرِّجْ به يا شاري الحمار ، يا شاري الكبش ، من يعطي ثمن هذا المشار[6] فيهرب المشايخ الكبار ، ويستقيم الفجار ، ويعطوا فيه ثُمنْ قرش ويضحك من ذلك الهمج الأشرار وخرج على شيخ آخر يسمى صالح القحمي أصله مشرقي مستوطن العريف[7] فخرج عليه إلى بيته ليلاً على حين غفلة ، فدَهمه بغتة فبهتة ، ومعه أربعين نفر من الأتراك ، فقبض عليه وذبحوا غَنَمه عشاً لِلمَنْ[8] معه ومن لحق ، وكفل جميع المشايخ ، وتهدَّدهم بالقتل ، فأيقنوا به حيث لم يجدوا معيناً ، ولا ناصراً ، فأخذ منهم نحو عشرة ألف ريال لنفسه ، واستخلص يقبضهم الحقوق ، الذي عند الرعايا في جميع البلاد ، ومثيلها نحو مئة وأربعين ألف ، غير العشرة حقه الذي في سلامتهم من الموت ، وهذا من التسليط ، وإلاّ فليس له قدرة ، وقبض الميري حق أسواق حجة بنحو سبعين ألف ريال ، هذا كله في شهر زمان ، وهو الرجل المذكور مشاهد لما ذكر ، وبمثل هذا أخبر عبد الله بن صالح كحيل صاحب الحيمة ، بما جرى في الحيمة سواء سواء ، إلاّ إن عاد فيه زيادة ، إن

---

(١) مرتفع .
(٢) أشد والشوع القبح
(٣) من أسماء النجوم الزراعية .
(٤) يقال فلان كذا أي أنه لا يذكر إسمه بالضبط .
(٥) المزاد .
(٦) أي المشار إليه .
(٧) مركز بني العوام .
(٨) خ للمي .

العام الماضي ، وقع عندهم بكار وهو في ثلث ثمرة البكار[1] الخراج المضروب عليهم ، فلم رضوا يسقطوا لهم شيء فاشتكوا إليهم ، وبكوا والضعفاء صارت عيونهم بالبكاء تسفح وتدمع ، ولا قبول لشكاياتهم ، ولا مسمع ، فَبَاعوا ما يملكوا وكادوا أن يهلكوا فلا قوة إلا بالله .

وفي هذه السنة المذكورة لم صح عندهم من ثمرة البن شيء ، والسبب البرد ، ولا أحد تمسَّك من الثَّمرة لا قليل ولا كثير ، وكذلك الذرة أخذتها الجراد في آخر سنة ، فلم يحصل لهم شيء ، ولا بعض الصِّيب[2] فاشتكوا ، فأجابوا أن ذلك بالنصيب سلموا ما عليكم ، قبل خروج العساكر ، تأخذنكم وتصيب ، وفي بلاد الطويلة أشد من ذلك ، وأكثر وأشنع مما ذكر وأضر .

وفي سلخ جماد الأول فتن بلاد ذمار ، منها تتل جمروك ذمار قتل فيها إثنين زبطية التقوهم القبائل . وشلوا بنادقهم ، وطعَنوهم ، وأما فيما بين القبائل فحروب كثيرة وقتل وفتن غبارها يُطير / ومنها أي من الفلتة والفتن بين خولان ، أهل قروي ، وبني بهلول فتنة كبيرة من أجل مُزَينْ من بني بهلول في قروي ، فنزغ الشَّيطان بينهما ، وقالوا بني بهلول أن أهل قروي قتلوه عيب ، ومع عَدَامَتَهُمْ[3] المشهورة وكل أحد يعدُّ نفسه ذيب ، تَقَدَّموا على خولان ، ووقع قتلى من الطرفين نحو سبعة غير المفاعيل من الجانبين .

ومنها في اليمن حول الشِّعْر في بلاد العود حَبَسُوا الدولة شَيْخ العود أبي فاضل في تعز حتى توفى ، وشَيَّخُوا عليهم إبن الزبير من الشِّعر ، فأفسدوا فقدم عليهم ابن الزبير بنحو خمسة عشر مئة من العرب والترك ، معه نحو طابورين ، فاقتتلوا وكادت الهزيمة تقع في أهل العود ، فأغار أهل سفل العود ، وهم رجال قطَّاعين[4] مشهورين في الحروب ، فثاغروا العرب ، والعجم ، وباتت الكسيرة[5] في العرب والعجم ، وراح منهم نحو ثلاثين قتيل ، ورجعوا أهل العود بالجمالة ، وشيخوا[6] لنفوسهم شيخ آخر ، من بني فاضل ، ولم يقفوا منهم على طائل لعسرتهم[7] .

ومنها في حجة غزا محمد عارف قائم مقام في حجة على الحمران يريد ابن الأحمر ،

---

(١) الثمرة المبكرة من الصراب .
(٢) بذور القمح .
(٣) العدامة عدم الفهم مع تصميم على الرأي الخاطي .
(٤) أبطال .
(٥) الهزيمة .
(٦) أي نصبوه عليهم شيخاً .
(٧) أي لبأسهم .

مبخوت[1] الأحمر ، المناصر لسيدي القائم المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين ، ولعله أخرب بيته ، وأخذ عليه طعاماً جَمَّاً ، ومبخوت لما أحسن أن لا طاقة له في تلك السَّاع[2] شرد[3] مختفياً ، واصطحب له جماعة من أصحابه ، وغزا إلى حجة مكافاتاً لقائم مقام ، فوصلها ليلاً بعد أن هدأت العيون ، وعشر إلى العرضي هو وجميع من معه ، فوقعت الهيعة والفزعة التي لا مزيد عليها ، حتى ظن من فيها إن قد أخذت ، وبقيت الفتنة إلى قرب الفجر ، وشردوا ، ولم أحد لحق له على أثر ، ولعله راح فيها نفوس نحو ثمانية من الأتراك ، وقيل أكثر ، وقيل أقل ، ولكنها لم تظهر أمور العجم على العرب ، وهذا الذي في هذا الصفح في شهر جماد آخر سنة ١٣٠٨ ، وسيدي لا يزال يكاتب العرب إلى كل جهة ، والوفود إليه من كل بلاد بالمال والرجال ، ولا ظهر على أحد ما في ضميره ، وكل ضمير مستتر ، وبذلك إن شاء الله القلب يقر[4] ويبلغ ما يسر .

وأما الأتراك الذين في آنس فعبثوا بالرَّعايا ، ونالوا منهم جميع البلايا ، وقبضوا من عزلة بني خالد أربعة عشر ألف ريال ، حجر ، وما سَلِم إلاّ من قائم ولا ملجأ منهم ولا مفر ، أموالهم تحت أيدي مشايخهم ، وأخافوا جميع النَّاس ، ووقع في الرعية الإبلاس إلاّ جهران إلاّ صاحب المنار ، فإنهم أرسلوا إليهم نحو أربعين خيالة عسكر ، وهو رَتَّب محلة ، وأظهر الفساد ، ولهم ظهر وأجاب عليهم أن مرادهم في المعتاد رفعوا محاطهم ، وما هو لهم يصال إليهم بالميعاد ، وإن[5] / فهو له البغية والمراد ، فلما رأوا جدة بذلك ، رفعوا المطرح من هنالك ، وأرسل إليهم بما عليه من غير ، أن يصالوا إليه ، وهذا أدَّى لهم السهل، والمسكين يهلكوه، والعسر والمتمنع يتركوه ، فإنه بقي الطعام في أجران ذمار في الصِّراب نحو شهرين أو ثلاية لم أحد قدر يكيل منه حبة ، لأنهم طلبوا منهم العشر ، صبرة[6] جايره مثني على ما عليهم ، فتركوا الرويح[7] من الأجران ، وبقيوا يراجعوا ، ويطلعوا إلى صنعاء يشتكوا ، وغرموا غرامة كبيرة ، فلم يلتفت إليهم ، فما قتلوا الجمرك المذكور ، قنعوا منهم بالعشر ، وروحوا طعامهم .

وفي ذلك الشهر أي جماد آخر ، تَقَدَّم الطابور حق قعطبة على أهل العود لأن شيخهم

---

(١) أحد أبطال اليمن الأشاوس ناهض الأتراك حتى زمن خروجهم من اليمن .

(٢) الساعة .

(٣) هرب .

(٤) يستقر .

(٥) أي وإن أرادوا الحرب .

(٦) دفعة واحدة .

(٧) الذهاب لتحصيل الثمرة وجمعها.

أبي فاضل حبس في تعز حتى مات في الحبس ، وشيخوا الزبيري فظلم غاية الظّلم حتى أن المتقبلين للزكاة عطفوا على الرعايا على كل قدح أربعة أقداح ، فمن عليه قدح زكاة صار عليه خمسة أقداح ، زكاة والسبب أن السنة الماضية سنة ١٣٠٧ تقبلوا بثمانية عشر مئة طعامهم عزلة أزال ، وكان السعر غالي فربحوا المتقبلين ربح كبير ، وفي هذه السنة سنة ١٣٠٨ زادوا في القبال[١] أربع مئة ، ووقعت مُدَرهم[٢] إثنين وعشرين مئة فوقع السعر من قدحين ، ولحق كل قدح ريالين عطف ، والريالين بها أربعة أقداح ، فكلف لما ذكر من الفساد والقتل الذريع ، وهذا وقع على كل رعوى[٣] القدح بخمسة أقداح ، غير ما هو عليهم من ميري ووركي[٤] يعني فَرْقَة ، وأغنام ومخضّر ، وقات ونحل عسل[٥] ورسل وخيالة ، وغير ذلك ، نسأل الله اللّطف فيما هنالك ، ومما يشهد لذلك سَيِّدي فلان الكبسي ، قد كان حالّي[٦] هنالك يَقرِّي[٧] ويقيم المسجد ، وقد معه قليل من مال الوقف يترعوي فيه لأجل قيامه بالمسجد والدُّرسة ، وقد قرَّروا عليه الزكاة أربعة أقداح ، وسلّمها طوعاً فلحقه العطف أربعة ريال ، ثم أربعة ريال ، ثم أربعة ريال ، وحاصروه في ذلك فسلَّم وترك اليمن ، ورجع الكبس ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومما سمعناه يقيناً ممن لا يكذب ولا يتصور في حقِّه كونه عند الدولة مقرَّب ما يريد إلا علو كلمتهم ، لأنه من محكمة الشّرعية ، يذكر لنا يوم جمعة رجب سنة ١٣٠٨ أنه خرج من أسطنبول في هذه المدة الماضية حاكم شريعة منصوب لمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهبط الوحي ، وجلس سنة كاملة في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وأنه لا يقري القرآن ، ولا يعرف منه شيئاً ، وبقي يحكم سنة ، وأجبنا عليه كيف يكون ذلك ، فحكي لنا ما قرَّ في بالنا ، وشهد به عليه الهنا أن كل حاكم يحكم بمكة بكتاب المجلة حقهم على القانون ، عندهم كل دعوى ، وفيه كذا ، وأما والحدود ، فما سوى الحبس ، وكل حكم في بنود ، منها ، والحاكي لنا المتولي جميع أحكام اليمن ، فظهر منه ما كان بطن ونسي قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ ثلاثاً وعزم القاضي من المدينة ولم ظهر لأحد سوى الكاتب حقه في المدينة ، فحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله/ .

---

(١) تقبل الشيء .

(٢) أي بالدراهم .

(٣) المواطن من الرعية .

(٤) كلمة تركية فسرها فيما بعد ومعناها أصحاب الأغنام أنظر «المجتمع الاسلامي لجب ٢/٧٦» .

(٥) لعله عسل نحل .

(٦) أي حال ساكن .

(٧) يدرس القرمان .

وفي هذه السنة ١٣٠٨ كثرت الغيول في جميع أرض اليمن ، حتى أن كل غيل زاد على عادته بمقدار النصف ، وبعضها أكثر من النصف ، كغيل الصافية العدنية حق صنعاء ، رأيته بمقدار ثلاثة أرباع[١] ما نعرفه في السّنين الماضية ، وظهرت غيول أخرى[٢] كثيرة ، منها ما يعتادوه في سنين الخير ، وما يعرف إلاّ في هذه السنة ، في كل بلاد سهل وجبل ، فسبحان الموجد ذلك للعباد ، وله الشكر دائماً ونسأله الرضا والتوفيق إلى أحسن طريق بحوله وطوله .

وفي شهر رجب مرض الباشا إسماعيل حافظ مرضاً شديداً ، وبعد انقطعت عواده ، ولم يعلم له على خبر إلاّ أول شعبان ، حال الرقم ، ولم يظهر له موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً .

وفي شعبان تعافى[٣] وفي رمضان أبدى ما هو على المدينة أفجع ، وأضر مِمَّا ذكر وأشوع أمر بخراب نوبة المدفع في باب اليمن من خارج وبابها من داخل ، المسعى يفتح من نصفها لأن فيها قدر النِّصف عمارة متصلة زوابير[٤] قدر ثلاثة سقوف من الأرض بلا أخشاب ، ولا سقف ، لأجل الوثق[٥] لأن كان بيت القاسم رضي الله عنهم كان يخلوا بعض المدافع الصغار فيها ، ويرموا بهن من وسطها أيام الأعياد ، وأيام البشائر الواصلة من البلاد النائية ، والعلومتين[٦] على حكم البنا سقوف ودرج إلى عُلوها ، وفي رأسها أخشاب خارجة كبار ، نحو عشرين خشبة ، من كل جهة نافذة ، قدر ذراعين ، وطاقات مفتّحة ، وكان يعلقوا فيهن الرؤس التي تقع في القتلات في البغاة المخالفين ، مثل قتلة أصحاب الفقيه سعيد وغيرها ، وآخر ما علق فيها في سنة نيف وثمانين ومئتين وألف رؤوس يام في قتلة الزيلة في خلافة المتوكل على الله المحسن بن أحمد. لأنها وصلت إلى صنعاء نحو مئة رأس، ولم أمكن خلافة الشيخ محسن لذلك يدفن، لمعاونته ليام خشية من المتوكل رحمه الله؛ وكان المقدِّمين في ذلك المخرج، وتلك القتلة سيدي العزي محمد بن يحيى حمد الدين القائم بأعباء الخلافة في التاريخ بعد وفاة الإمام الهادي، ولم يكن في تلك النوبة ما يَغْبَط الأتراك لخرابها كأحجار وأخشاب، وإنما لضعف المدينة من الزبن[٧] لأنها كانت كبيرة، في قدر ستة سبعة سقوف، وقاهرة على العرضيين الشرقي والغربي، لو بقي حَمَيَّة في أحد، ودخلها ومَنَع على نفسه فيها لما بقي في العرضيين حركة ولا سكون، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

(١) خ أربعاع.
(٢) خ فاخرة.
(٣) برىء من مرضه.
(٤) الزابور التراب الجيد.
(٥) القوة.
(٦) العلو: الارتفاع.
(٧) التحصين .

وفي شهر رمضان وقعت فتنة في بلاد الحدا بين القبائل ، وقتل من عقال الحدا نحو خمسة قتلى ، ولم أمكن الدولة يحاكوهم[1] بشيء كُلُّه عرب[2] وإنما ذلك لهم المراد ، والله يصلح أحوال العباد .

وفي عاشر شهر شوال سنة ١٣٠٨ تحققت الأخبار أن قد افتتح الجهاد بين سيدي الإمام المنصور بالله، وبين اسماعيل باشا، وقد كانت المهادنة كائنة فيما بينهم من العام الماضي، من حين خرج سيدي من المحمية في آخر شوال سنة ١٣٠٧ وهذا الفتح في بلاد الشرف، ولعل قد عزموا ناس من حاشد من طرف سيدي، على كتمان، والترك احتركوا من حجة محمد عارف/مع أن كل من الفريقين محترك ومترقب للآخر، من دون فتح عمل، فما نوى أحدهم إلاّ والآخر مراعي[3]، وذلك العمل لذي فتح في بلاد الشرف قيل في الشاهل[4] وقيل في قفل شمر[5]، ولعلهم تسابقوا كالأسود المفترسة، وقيل أنها وقعت تَنْصيرة في جميع البلاد المذكورة، ولم قد تحقق ماهيه[6].

وفي ليلة الأحد ١٦ شوال وقع كسوف في القمر من عقيب صلاة العشاء إلى قرب ثلث الليل ، أوله سواد ، وآخره إحمرار حتى غمر جميع القمر ، وأظلمت الأرض ، وضَجَّ أهل المدينة فيها ، وخرجوا من بيوتهم أجل[7] أهل المدينة إلى الجامع المقدس ، وتكررت صلاة الجماعات زمراً زمراً كلما انقضت جماعة قامت أخرى ، وجأروا بالدعا والأستغفار ، وخرجوا جميع الناس بعد الوعظ والتذكير إلى أزقات[8] المدينة وإلى جبانة[9] سوق القضب ، وهي جبانة العوام ، ولم نعلم ما دليلهم فيها وإلاّ فكان البقاء في الجامع أفضل وأشرف ، وبعد تجلت بمنِّ الله ورحمته « . . . » .

وفي ذلك التاريخ وصلت أخبار من بلاد الشرف مما وقع بين الإمام المنصور وبين من هنالك من العساكر الشاهانية ، وإنما هي غير مشاهدة لكنها متواترة ، قيل أنهم قدموا الأتراك من قفل شمر إلى الشاهل ، ووقعت قتلة ، واختلفت الأخبار في قدر القتلى من الفريقين

---

(١) يحدثوهم .
(٢) أي أن الأتراك تقول كلهم عرب .
(٣) منتظر) .
(٤) من بلاد الشرف .
(٥) سيأتي ذكرها في الملحق .
(٦) ما هي .
(٧) أكثر .
(٨) أزقة .
(٩) هي جبانة سوق القضب والتتن والمنجارة .

والتّواتر بأربعة من أصحاب الإمام ونحو[1] من الأتراك ، ووصلت رؤس منهم إلى عند الإمام إلى الأهنوم ، وغار محمد عارف القومندان وهو على أربعة طوابير ، نزل من حجة نحو القفل ، ووقعت قتلات متعددة ، حتى أجمعوا على أنه قتل القومندان[2] بنفسه في تلك القتلات ، وبعد ذلك شنت الغارات من صنعاء وغيرها إلى تلك المحلات .

ويوم الثلوث ٢٥ شوال بقي إسماعيل باشا في بيت السّلك طول يومه ، وترك الإدارة في مجلسه المعتاد يوم الإدارة ، وبقي يدق إلى أسطنبول من صنعاء إلى الحديدة ، ومنها إي تعز ، ومنها إلى هنالك ، وإلى عدن بأن اليمن مفسد كله ، وإن قد قتلت العساكر ورئيسها محمد عارف الذي كان في حجة قومندان ، وذهبت الخزنات[3] فإن يأتوه برجال وذخيرة ومال ، وإلّا هو سيرتفع إليهم بنفسه ، ومن بقي[4] أرادته الحث والتحشيد ، واستعجل من بقي في البنادر ، وريمه وآنس وتعز إلى الوصول إلى صنعاء ، ويرسلهم

ويوم الربوع أخذوا جميع الجمال الذي في صنعاء والحوازات للسخري .

وعزموا جماعة يوم الخميس ٢٨ شوال ، ومعهم كبير من كبار الترك ، جعلوه بدلاً عن الذي قتل ، وطلبوا من جميع الحوازات عسكر زبطية لأن الأتراك قدهم قليل ، وخائفين على جميع المراكز في اليمن خشية من الإمام لا يغدرهم بأخذ المعاقل ، وصاروا في حَيرة كبيرة ، وطلبوا أيضاً زبطية من أهل صنعاء ، ولله في خلقه غارات يقيل بها العثرات نسأله[5] اللطف / وقد أرصدوا[6] نحو مئتين نفر ، ولو يقدموهم إلى تلك المعارك لقالوا أين المفر «كلّا لا وَزَر إلى ربك[7] يومئذ المستقر» ولكن ذكروا أنهم شرطوا أن لا يخرجوا من صنعاء ، وهذا الشرط يلغي قطعاً .

ويوم الأحد ما أصبح إلّا والسّلك مقطع ، وثلاثة أيام ولم قد رجع من شدة من في عمله قد فظع .

ويوم الإثنين وصلوا ناس من أرحب بالبشارة للوالي إسماعيل باشا ، أن المقادمة قد

---

(١) بيض له المؤلف .
(٢) أنظر خبر قتله بالتفصيل في أئمة اليمن ص١٨
(٣) الأموال .
(٤) أي ومن بقي معه .
(٥) خ نسل .
(٦) أثبتوا أسمائهم .
(٧) سورة القيامة الآية ١١ .

وصلت من جهة الإمام إلى جهاتهم ، ولم يكن لهم قدرة لدفعهم ، فسكت ولم يحرك ساكن إلى الآن .

وليلة الثلوث ، قاموا ناس من صنعاء ضربوا صاحب العربية الذي بيطلع بها وينزل يجرّها حصان ، ولكنهم كانوا يتأذون من ذلك خشية على البيوت ، واشتكوا ولم ينتصفوا منه ، فقاموا له وضربوه ، وقطعوا حبّال[1] تلك العربية ، وصار يشتكي هو ، وكان ظن الناس أنهم سيحبسوا شهرين ، فحبسوا ساعتين ، وأطلقوا ، ولم قد نال أحد من أهل صنعاء شيء من جهة الوالي فلله دره ما أعقله.

وبعد ثمانية أيام طلبوا الدولة من الزبطية المذكورين المرصودين أن يأتوا ببنادق لنفوسهم من بيوتهم ، وأما الدّولة فما معهم لهم بنادق ، فمنهم من تَدَيَّن[2] بنادق عربية ، ومنهم من معه لنفسه ، مثل بعض القبائل ، والأكثر طمسوهم من البيان ، وأظن ألا أنها حكمة من الدولة ، جردوا[3] بها عقول العرب ، وكان لم يسمر بمكة سامر .

وثالث شهر القعدة أرسلوا الشيخ مقبل دغيش وإسلام أفندي ، وبعض خيالة وزبطية يكمنوا في بيت زُهْرة[4] للمقدمي حق الإمام السِّيد أحمد الشرعي ، ولم قد صح ولا يصح شيء ، ولا يمكن دُغيش يقول لا ، ولا يمكنه يزقم[5] المقدمي ، ولو كان قادر ، لكان منذراً خوفاً من العواقب وإنما أطاع الأمر ، وتوكل على الشّيطان . كما يقال .

لقد أجلك من أعطاك ظاهره وقد أعطاك من يعصيك مستتراً

وخامس الشهر قامت القيامة من مغرب ، وأرسلوا للعريق شيخ بيت ردم وأرسلوا معه زبطية ، وأرسلوا لأهل قرية عصر ، وحبسوهم حيث لم يحفظوا السّلك في الليل ، وقد كان عَنوهم سابقاً حتى قبضوا الذي بيقطعه من خولان من بشار ، وحبسوه مدة وأطلقوه كونه من قبيلة عسرة[6] ورجعوا على المتاربة يحفظوه ، ولا زالت تلك الليلة أشد بلاءً على أهل تلك الجهات ، وعلى الزّبطية والخيالة طول اللّيل في جرى ، لأنها جاءت أخبار للدولة أن أرحب ستغزي على السّلك يقطعوه كله ، لأن الليلة السابقة ما راح منه إلاّ قد مسير نصف مرحلة

---

(١) حبال معروف وكان أهل صنعاء يتأذوا من مرور العربات لضيق بعض الشوارع .
(٢) إستدان .
(٣) جردوا استغفلوهم .
(٤) موضع يلي صنعاء من الجهة الجنوبية الغربية.
(٥) يمسك .
(٦) شديدة البأس .

وقطعـوا بعض الخـشب حـقه، وأخـذوا من القفيش والبـواري[1] الـذي في رؤس الخـشب، ووصلين إلى عند سيدي القـائم.

[قتل محمد عارف قومندان]

وفي التاريخ وصلت تحقيق خبر القتلات[2] وقتل محمد عارف بصفتها / قيل أنه قدم من حجة إلى القفل حصن في طرف بلاد الشرف، وهو محل مركزهم فيه ذخيرة، وكل ما يحتاجوا ولولا ذلك الحصن ما تَدَوَّلوا[3] بلاد الشرفين، والذي أنزله أن أهل البلاد لما كثر عليهم الخطاب كما في جميع جهات اليمن، ولكن أهل الشرف ليسوا مثل أهل اليمن، ما سلَّموه للدَّولة يحسبوه واحد، بل أنهم يحسبوه تقوة[4] ويسلموا واجبات أخرى إلى كل قائم، أعظمها في أيام المرحوم[5] الهادي شرف الدين، والأتراك من قانونهم لا يحنّوا على أحد سيما إذا كان ضعيفاً فعلوا عليه ضعيفين، ما على غيره، فنزل يتخلَّص، وقد كانوا قبضوا أهل البلاد حصن الشاهل، وهو دون القفل، فطلع من هناك يريد الشاهل، فمنعوه، ودار الحرب بينهم ثلاثة أيام مناوشة الفعل قليل من الجهتين، لكنهم كسروه[6] إلى القفل، فطلع إليهم قبيلة بني كعب يريدوا إعانتهم على الأتراك، ويغزوا جميعاً إلى القفل، فلم يجتمع لهم شور، فلما فارقوهم أقبل محمد عارف القومندان كبير الأتراك في حجة وبلادها لأنه على أربعة طوابير حيث قد الخبر عنده من الرسايس أن العرب سيغزون، فأقبل يغزوا بهم على غفلة من الليل، فلما توسط في الوادي بين البين، أحسوا به الرصد[7] من أهل البلاد، ومن أصحاب الإمام، فتناوشوا بما في جوف البنادق، فسمعوا أهل بني كعب، لأن عادهم قريب، لم قد أقفوا[8] فرجعوا من وراء محمد عارف والأولين قدَّامه، ففعلوا كما فعلوا الأولين تراموا بما في بطون البنادق، وكَبّروا بكثرة واحدة، وقفزوا فوق الأتراك هالكين أو مالكين، فكانت الدائرة عليهم ليلة الأحد النصف الثاني من شوال سنة ١٣٠٨، فوقع في القومندان كون[9] مسلَّم، فهرب نحو ميل، فتبعه ثلاثة سادة وفقيه،

---

(١) جمع بوري وهو ما يوضع على رأس المداعة.
(٢) خ القلات.
(٣) ما أسسوا دولة.
(٤) تقوة: أي مدافعة كالرشوة.
(٥) لفظة المرحوم من بقايا كلمات الأتراك التي أدخلوها وهي وإن كانت فصيحة إلا أنها لا تستعمل هنا.
(٦) هزموه.
(٧) المراقبون.
(٨) أدبروا.
(٩) إصابة مأمونة.

فبعضهم غرزة[1] بعود الآخر طعن وضرب جرد[2] حتى خلص[3] وقطع رأسه ، وفيه جزء من الحياة ، وهو ينظر ، وراح معه من كبار البوش واليوزباشاه والملازمين ثلاثة عشر نفر ، كلهم من كبارهم ، ومن العسكر مئة وأربعين نفر ، من دون نقص غير من هرب ، وفيه من الرصاص والطعن ما فيه ، وذهب روحه في الطرقات ، وغير من وصل مطرحهم ومات ، وأخذت بنادق المذكورين أجمعين ، وجميع ملبوسهم ، وجميع سيوفهم ، ما خلا من هرب بروحه ، وحمل سلاحه ونجا بنفسه ، فما بقي إلاّ من طار ، ولزموا منهم خمسة أساري أربعة عسكر وأفندي كبير اسمه أسعد أفندي ، من جرأته على الله وخشيته من العار عندِ خبرته[4] ، بذل ثلاث مئة ريال حجر ، ويحزوا رأسه ، ولا يأخذوه أسيراً فأبوا ، وقالوا لو بذلت وزنك ذهباً فلا يجوز عندنا قتل الأسير ، ووصلوا به عند الإمام ، وخبرته الأساري إلاّ واحد أو إثنين فإنهم ماتوا في الطريق حتف آنافهم ، من دون ضربة ولا طعنة إنما فجيعة ، وهم الآن في الحبس عند الإمام .

وأما في صنعاء ففي النهار أخبار وأعلام ، وفي الليل مِحراس ، ودور وقلق عظيم بحيث أن العرب يرقدوا والأتراك لا يرقدوا / من شدة الخوف ولا يعدوا أنهم يصيحوا ، وما وسعهم إلاّ حبسوا من أهل صنعاء نحو خمسين رجل ، من كل سوق ، ولكن وقعوا جميع المحابيس من الذين لا يعبأ بهم ، ولا خوف عليهم لأنهم أفراد من الأراذل ، كلهم ما فيهم من يُخشى عليه ، ولا هم من المسمائين ، لأنهم ذكروا الدولة أنهم يريدوا حبس الذين يتكلّموا من الأمام ، فوقعوا المذكورين دفاع لمن يصلح حبسة من المؤمنين المحبين ، والله سبحانه يخارج هؤلاء المذكورين ويعمّي[5] أبصارهم من المؤمنين بحوله وطوله ، وبفضل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وبقيوا في الحبس نحو أسبوع وأطلقوا .

[أخذ ظفير حجة]

وفي عشرين القعدة تواترت الأخبار على أن الإمام ، أنفذ مقادمته على بلاد حجة ، ورئيس القوم مبخوت الأحمر ، والمقدمي سيدي محمد بن الهَادي من بلاد شهارة ، وأخذوا الظُّفير ، ظفير حجة الذي أخذوه أولاً مدة الهادي شرف الدين في سنة إثنتين بعد الثلاثمائة وألف ، في مدة عِزّت باشا ، والآن دخلوه سلاماً بسلام ، وأخذوا معه الشراقي في بلاد

---

(١) خ غَر زهو .
(٢) مجرد عن الملابس .
(٣) إنتهى انقطعت أنفاسه .
(٤) جماعته .
(٥) يعمي يغطّي .

حجة ، وقيل أنهم زِدْ أخذوا معه اللومي ومبين ، كلهن هنالك ، وصارت الأرض تشتعل ناراً بالأخبار كل أحد على ما يوافقه والله الموفق .

وفي سلخ الشهر، صح عزل إسماعيل باشا من اليمن ، وأجمعوا على أنها توجُّهت ولاية اليمن لأحسن أديب باشا ، وذلك خبر السلك ، ولم قد باد بادي[1] ، والمحاصرة لحجة باقية ، ولا سائر ولا راجع ، إلا إذا شيء كتب مع ناس متغرِّين[2] وأما أن أحد يمضي عسكر أو زبطية ، فلا ، والذين خرجوا غارة من صنعاء الوعدين[3] الأولة باقيين في عمران ، حليفين[4] الأحزان ، ولله في كل ساعة شأن .

وفي سلخ الشهر أخبر الأتراك أن ثَمَّ رؤس ووصاله شبيك[5] من العرب لأنهم فعلوا للعرب دبارة[6] وبقيوا الناس بين مصدق ومكذب ، وطلع بعض الناس من أصحابهم المصدقين من باب اليمن ، أخبر في سوق النضارة[7] أن قد وصلت الرؤس ، فتجاروا[8] الغوغا ينظروا إلى باب اليمن ، فلما رأوهم الترك لما قد فيهم من الخوف والوجل يتجاروا على عجل ، فأغلقوا باب اليمن ، وافتشلوا فشل عظيم ، وتداعوا بالنفير من الباب إلى العرضين الغربي والشرقي ، فأقبلوا فزعين مرعوبين ، وكانوا يسألوا العرب إيش فيه يا عرب إيش فيه ، ففطن أحد العرب ، وأجاب أن ما ثم شيء إلاَّ جئنا ننظر الرؤس الواصلة ، فرجعت أرواحهم ، وسكن ما بهم من الوجل والفشل ، ولم أمكن يقولوا ما بهْ شي رؤس ، بل قالوا قد هن في العرضي ، وقد وصلت ، وهذا وجه ليل[9] الصبح تنظروها عياناً وبياناً ، فما أصبح الصبح إلاَّ وقد اشتعلت الأرض ناراً بتنصيره واحدة بدعت من بلاد أرحب ، وجَرّت إلى عيال سريح ، وجرت إلى همدان السفلى الجاهلية والحَطّاب وجَرَبان إلى العرة التي جنب الروضة وجبل بني جرموز ، وأعلنوا بها جميع يا منصوراه ، ودخل السيد محمد الشّويع الليل ، يخبر الأتراك بذلك مقصده ينجب[10] نفسه من شرارته ، وإلاَّ فلعله منهم ، ولكن كما يقال (إن جاد مولانا قلنا يا إمام القبلتين ، وإن جادوا أصحابي فأنا من حصن

---

(١) بدأ بادي .
(٢) متنكرين .
(٣) الأسبوعين .
(٤) محالفين .
(٥) جمع شبكة (معروف) وهي التي يوضع فيها التّبن .
(٦) خدعة .
(٧) سوق المفرشين (ويعرف بسوق المبساطة) .
(٨) من الجري معروف .
(٩) أي نحن على وشك الليل .
(١٠) يبري نفسه .

الظبيتين)[1] وهـذا بالحـالتين وهو من تَغَيّر النية ، والله يصلح أحـوال العباد ، ويختار للعباد ما فيه الخير والصّلاح .

وفي هذا الوعد وقع من الذنوب الحرب بين الشيخ قايد الأهجري وبين أهل رِجَام حرب كبير ، وهم أهل بلاد واحدة ، وداعي الجميع واحد ، الجميع بني حشيش ، وقد ذهبت منهم نفوس ، ووقع الفعل في أهل رجام ، وكذلك بين أهل سعوان والرّونة وكل ذلك الذُّنوب وعمل الشّيطان والقتلى في سبيل الشيطان ، فنعوذ بالله من الشّيطان ، وأفعاله وأعوانه وأتباعه .

وقيل وصلت بسطـة من محمد بن المتوكل إلى المشير ، يحرِّضه على أهل صنعاء أنهم لا انقطعوا[2] من عند ابن حميد الدين ، دائماً من حين قام ودعا ، وإن الطُّرق والمحلات مستمرَّة منهم إليه وكذلك عامل أرحب بن سنان ، فعل ما يقارب هذا ، سأله المشير عن أحوال أرحب ، وأنهم لا زالوا يتهيَّؤا للخروج على الدولة ، فأجاب أنها وَقَزات وإرجافات في صنعاء من أهلها ، فَتَحَمَّل المشير بأهل صنعاء ، وحَمَلهم على غير السلامة ، ووقع ما ذكر من التَّحريش والتَّحريض على أصحابه ، وإن الخوف من صنعاء ، وأهلها فلزمهم السَّهر ، حتى لا كان يناموا أبداً في الليل بعضهم - الترك - يدور في المدينة وبئر العزب ، وبعضهم الزُّبطية والخيالة من خارج السور إلى حمرا علب ، وإلى عصر وإلى ضَبْر الخولاني ، وإلى نقم طول اللّيل ، وأهل صنعاء نيام ما عندهم شيء من ذلك إنما يحدّه هرج ومرج في النهار ، والليل سكون ، وقلق فزاد الغيظ في قلب الوالي فهم بالقبض على ناس من الرؤساء والتّجار ، فظهر من فَحْواه ما في هواه ، فاجتمع رأي السيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي ، والتجار على الخروج إلى عنده إلى بئر العزب ، فخرجوا ثالث أيام العشر ، يوم الخميس ، وتكلّموا بما في مرادهم أن حالنا وحالكم واحد ، وإن أخْنا يا أهل المدينة من القبائل أخوف ، وإن الولد والمكّلَفْ[3] واحدة ، وأنا يد وساعد على من نازعنا ، وأن لا يدخل في قلب مولانا المشير على أهل صنعاء شيء ، فهم ضُعَفا ولا يتصور أنه يقع منهم أو بسببهم شيء من الفَساد ، وأن المغري أكل ولده[4] ، ومن يسمع يخل[5] . فأجاب

---

(١) من أمثال قبيلة خولان وهو من شعر ملحون لشاعر خولان احمد بن سنبل أنظر الأمثال اليمانية ٢٣٣/١ .

(٢) لم ينقطعوا .

(٣) الزوجة والمرأة .

(٤) من أمثال صنعاء المغري المرء الذي أغري بغيره (الأمثال اليمانية ١١٤٩/٢) .

(٥) من الأمثال الفصحى (أنظره في المستقصى ٣٦٣/٢ وتمثال الأمثال ٥٦٤/٢) .

عليهم بما يحق لهم ، وأظهر الممنونية[1] وحمد فعلهم ، وشكلاً سعيهم ، واطمأن خاطرهم الجميع ، كما يقال : (حنانيك بعض الشر أهون من بعض) وأما أن القلوب والضغائن فيهم باقية ، فلا تزول ، يَحُدّه أن تلك الليلة ما رقدوا إلى الصُّبح أشد من كل ليلة ، فإنهم سمعوا بعض بنادق في الحواز ، لعلها حريوه[2] كونها ليلة الجمعة[3] فتجاروا[4] من كل عهده ، وخرجوا جميع الخيَّالة والزَّبطية نصف الليل ، ضربوا في الأربع الجهات شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً ، حتى طلعتْ الشَّمس يوم الجمعة ، وما أظن إلاَّ أن هذه رجفات حلَّت بهم ، وترادفت عليهم ، حتى أنهم بيتسمَّعوا ما يقولوا الناس في الأسواق ، وخلوا ناس ما عملهم إلاَّ ذلك يأتوهم بأخبار ، وحتى نسوات يَدُوْرين[5] في البيوت يتجسَّسين الأخبار في الحَمَّـامات .

والذين في حجة باقين محتازين الآن ، وكذلك من في عمران أحتازوا بعد تلك التنصيرة الواقعة في أرْحب وهَمْدان .

وجاءت أخبار أن الذين في قَفْل شمر، قد خرجوا قيل هربوا، وقيل إلى القتل، وقيل إلى الأسر، والله أعلم بالصِّحة، وحاصلة أن ما لها إلاَّ الله سبحانه .

وفي يوم الجمعة بعد أن نزلوا إلى الوالي يُطَيِّبوا[6] نفسه بما ذكر، ظهر ذلك حتى في الخطبة في الجامع المقدس ، فإنه الخطيب زاد في مَدْح السلطان غير ما يعتاد فيما مضى ، والله يصلح أحوال العباد والبلاد ، ويختار لعباده ما فيه الصَّلاح ويجلي هذه الشدة آمين / .

وفي أوائل أيام العشر قد كان قد تهيَّأت الأمور لصلاح جميع الجمهور، ووصل أوائل المسافرين من كل ناحية إلى المدينة المحمية، فوقع رأي أهل الحل والعقد، على قبض الجمال الواصلة بالأحمال من غير إمهال ما ينقض الجمل ، إلاَّ والعسكر مناظرين[7] والخيالة طرشوا[8] بخيلهم إلى كل جهة من جهات صنعاء ، لأجل لا يتعالموا بالسخرى ، ووقع التَّحروج على بعض القبائل في الأبواب ، ما يدخل من الباب إلاَّ طريق الحبس ، وما مقصدهم إلاّ قبائل أرحب ، وقبائل وادعة هَمْدان ولكن مع الذنوب والتسليط ، كان كل أحد

---

(١) من عبارات الترك بمعنى المنة .
(٢) عروس تزف ليلة عرسها .
(٣) يتيامن أهل اليمن بليلة الجمعة فتكوب أكثر اعراسهم فيها من ظهر الخميس .
(٤) جروا .
(٥) من الدوران معروف .
(٦) يسترضوه .
(٧) منتظرين .
(٨) أسرعوا .

يدرأ من الزُّبطية بما يتقرب ، فكان يفزعوا المطلوب وغيره ، بل كان بعض القبائل يفدي بنفسه ، شيء من المال لأجل لا يوقع في الحبس .

وفي خلال ذلك قد حبسوا جميع مشايخ بلاد البستان ، فصّح عند جميع القبائل لا حاجة لهم في دخول صنعاء ، فرجع من الطُّرق من رجع ، ومن لم قد وصل بقي في محله موقف لم يصل متوقف ، واستكفوا عن دخولها بأسواق بواديهم ، وأما أهل القبلة ، فأجمع أكتع[1] استكفوا بسوق الروضة ، وحُيِيَت الرَّوضة حياة كبيرة في البيع والشراء ، وكثر الجَلَب إليها من كل شيء ، وما كان يدخل صنعا إلاّ الضعفاء الذين لا يرجى خيرهم ولا يدفع شرهم ، ولا ذنب لهم ولا حجة عليهم ، ، بل كان يزدْ يقع معهم بعض إمتحان كما ذكر لي بعضهم ، رجل شائب مسكين من جبل عيبان فوق حدَّة : أن الزبطية قبضوه في باب السَّبحة وأخذوا جنبيَّته ، وأطلعوه إلى القصر ، وما كان مقصدهم الزبطي القابض له إلاّ مرجي يأخذ منه فدا نفسه ربع قرش أو غيره ، وقال له أنت من أرحب ، فلما جاؤا ناس من بلاده يخارجوه من مشايخه ، ظهر ذلك وفي كل الناس كذلك ، وكان يخبرون أن السّخرى في جميع القراش حمار وجمل ، فأما الجمال فانقطعت ، وأما البهايم ، فكل من كان له أتان ردَّه البلاد ، ودخل بغير زاد فقلَّ كل شيء من المصرفات ، وكثرت الحوشات[2] على كل مجلوب من سمن وسليط ، وكل ما يحمل على الدُّواب ، سيما الحطب فغلي غلاء لا يعتاد مثله ، حتى وصل حمل الحمار قرش إلاّ ربع ، الحطب المليح كونه عيد كل أحد ، ما زِدْ فند[3] ولو بقرش ومع الوَقْزة بالفساد ، والحوزة ، فصاحب القرش الذي سيستغني به حطب ، كان يشتري بأربعة قروش ، ولا سيما أصحاب الدولة ما كفاهم شيء ، مستعدين لما ذكر ، فضعفت صنعاء في البيع والشراء ، ضعف ما قد وقع مثله وقل البيع والشراء وكل أحد مستعد لغير ذلك ، ما خلا الطعام فبحمد الله ما جرى فيه شيء ، والسبب أنه مجلوب دائماً من كل جهة، والخير فيه متتابع، وانقطاع الجبال هو مقدار أربعة خمسة أيام، والبهايم كائنة في كل محل، طعام واصل، والعذاب في الميري، كان يأخذ المتقبل حتى على بعض الأملاك ميري، وما زاد رعى في أحد ذمَّة ولا حرمة، وكان الذين يخرجون الرَّوضة يسلّموا له ميري على أغنامهم المعلوفة في بيوتهم، ما قد أحد وصل إلى ما وصل إليه هؤلاء وهم المتقّبلين، وسيم، وخليل، ترك، وحماد من عرب بئر العزب، ومات في تلك المدة المذكورة وهو في تلك العهدة المدبورة/وحاصله أن وقع للعرب عذاب ما يعرفوه من حين

(١) من عبارات الأجرومية في باب التَّوكيد .
(٢) إحتواش النَّاس تجمعهم لأجل الحصول على محتاجاتهم .
(٣) بيِّن أو ميِّز .

خُلقوا، ولكنها بقدر الذنوب، وهو في القبائل أكثر بقدر أعمالهم، لأنهم قد بغوو عبثوا وعاثوا في البلاد، ولا زِدْ رعوا في أحد وأكثره بغيهم على سادتي آل القاسم، فإنهم منعوهم تسليم الواجب، وقطعوا الطرق، وقتلوا النفوس، عبثاً ورأيت في بعض تلك الأيام السابقة أن ما يدخل القبيلي صنعاء إلا يتحرَّش الناس، ويفاتن في الأسواق، ويطلب المغلبات من الدولة القاسمية فإن سانعوه[1] بمراده، وإلا فعل ما ذكرناه من البغى والفساد، وفي الآن ما يدخل إلاَّ ويأخذوا منه في كل باب رَهَن فيما دخل به، ولو ربع رطل سمن، ولو نفرين[2] حب، ويرسلوا معه من الباب من يمسكه، وبيد الماسك له ورقة فيها مكتوب ما دخل به، والمرسل معه جاهل[3] في نحو خمس ست سبع سنين، ولو كانت نقيب الدَّاخل أو شيخ، ما قدر يخالف، ولا ينفر، ويصال إلى السَّمسرة وإذا ما وصل صار عليه أضعاف ما كان لديه.

ورأيت يوم في هذه المدة ما طلعوش[4] التُّرك السَّمسرة ولا حَقَّهم المُمِير العطاب، فكان يصالوا من الأبواب بالقبائل، ويدخلوهم السمسرة ناس محمل على ظهره، وناس على جمله، وناس بهايم، حتى وقع وقت الغدا، وقد امتلأت السمسرة من كل المجلوبات، خريف[5] وقات، وطعام، وعَلَف، وحطب، إذا معه شيء يسير مما يمير عليه أخذوه إليها بحطبه وعلفه، ولا قدر أحد ينفر، ويخرج يبيع ما جلبه، فهذا بذاك ولا عتبان على الزمن، والمؤمن في الألطاف، وإن قد غثي[6] وتعب وخاف، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وهو اللطيف الخبير.

يوم العيد خرج الوالي المتعين لليمن، ودقُّوا في السِّلك إلى صنعاء بخروجه هو وأحمد رشدي المذكور سابقاً، الذي عبث بأهل اليمن الأسفل، فما رجع إلاَّ وقد رفعوه درجات على قانونهم، حتى صار فريق، والمتعين أحسن أديب، وصحبتهم الباشا[7] وصحبتهم عسكر، وقبلهم عسكر قد كانوا وصلوا حراز، وبعد أجمعوا أصحاب الدولة أن الباشا الخارج من البحر عزم على طريق حجة وهو عسكره، وقد أجمعوا في الأخبار أنها وقعت في حجة قتلة كبيرة وأخذ العرب[8].

---

(١) سايروه على ما يريد.
(٢) مثنى نفر: مكيال صغير كالمدّ.
(٣) صبي.
(٤) ما طلعوا والشين للكثرة.
(٥) خريف: فاكهة الخريف كالمشمش والتين والعد، ونحوه.
(٦) استاً
(٧) بياض في الأصل.
(٨) بياض قدر سطر ونصف تركه لتحقيق هذا الخبر.

والعسكر الذين قد كانوا في حراز وصلوا صنعاء المحمية بالله في ١٧ شهر الحجة سنة ١٣٠٨ وخرجوا من صنعاء يلقوهم لقية كبيرة ، ووصلوا وصلة عريضة طويلة ، وهم خمس مئة سلاحهم بنادق مَرتْ[١] جميع ، تبلغ ضعف البنادق الشيشخان ، والشيشخان تبلغ في مرماها ضعف البنادق العربية ، واقتسموا فريقين ، فريق طلعوا القصر من وسط صنعاء ، ونصفهم خرجوا من باب خزيمة ، ودخلوا العرضي .

ويوم ثاني اجتمعوا الجميع ، وفعلوا عراضة كبيرة ، وجُرَّت المدافع التي وصلوا بها إثنين كبار مثل المدافع السابقة الذي في صنعاء وأدخلوهن عرضي المدافع وقد كان أطلعوا[٢] من العرضي إلى القصر بعض المدافع ، وكان يدفّعوا في أيام التَّشريق من القصر والسبب الونش[٣] والقلق / الكائن .

ونسموا[٤] يوم الجمعة وخرجوا يوم السبت لا يدروا أن يتوجهوا لأن البلاد قد نصَّرت للإمام ، وزاد فوق ذلك أخذوا أصحاب الإمام بعض قرى في حضور في ذلك اليوم الذي وصلوا فيه العسكر الشاهانية ، ولعله كان مرادهم في العسكر الواصلين يهجموهم الليل في متنة أو بعض البلاد ، فما وصلوا القبائل إلاَّ والعسكر واصلين ، وأصبح الخبر في صنعاء صبح الجمعة ، يوم العرضة المشهورة ، وقد نَصَّروا في الحيمة وأشعلوا النيران في تلك البلدان ، في بلاد القبائل ، وفي بني النمري ، وبلاد الشيخ[٥] قطيع ، والأتراك قابضين الجمال المسخورات من بين الخمسين ، فإن يبقوا في صنعاء ، فسيضعف عليهم الأمر قطْعاً ، وأن يخرجوا فهو أولى بهم وأحرى ، وعمران قد تغلَّقت طريقها بسبب تنصيرة هَمْدان السفلى ، وعيال سريح ، فخرجوا صبح السبت في ذهنهم أنه يوم ثبت ، فخرجوا من باب[٦] شعوب متلفتين من الزوب[٧] ومعهم أصحابهم المزلجين لهم ، وصحبتهم المدافع ، وحزبة كبيرة نحو مئة وخمسين ظهر جمل وبغال وخيل ، فوصلوا إلى جبل الجراف ، وقد سبقوا بعضهم ينفضوا الطريق خشية من المضيق ، وطلعوا رأس الجبل المسمَّى بجبل القرعة فوق وادي الحربي المعروف ، حق أهل الجراف ، وعمروا فيه المتاريس ، وقعدوا فيه ينتظرون ، كأنها قد أتتهم الليوث العوابس ، وما به ما يوجب لا أسَد ولا فارس ، وطلع الحاج العماد

(١) نوع من الأسلحة يقول المؤرخ زبارة وكان أول خروجها إلى اليمن في عام ١٣٠٩ (أنظر أئمة اليمن ص٧١) .
(٢) خ أطعـوا.
(٣) التشويش .
(٤) إستراحوا .
(٥) بياض في الأصل تركه لأسم المذكور .
(٦) خ با من غير با أخرى .
(٧) الخوف .

يفعل دوره من الجراف إلى وادي الحربي، ويلتقط له قليل بَلَسْ ومعه فقيه واحد فَلَقَّطوا لهم رطل بَلَسْ، وطلعوا إلى رأس الجبل ، فكل من رآهم من الأتراك أبلس ، فلحقهم بعض الأفندية ومعه عشرة عسكر ، فلما وصلوا إليهم تخبروهم ما طلع بهم وما شأنهم ، وما في بلادهم ، وسلموا عليهم سلام العرب مصافحة وتقبيل ، فأخبروهم أن ما بِهْ قلق ولا ثم ما يوجب إصفرار الألوان والعرق ، وقعدوا في مقعدهم وأرسلوهم طريق خبرتهم يخبروهم ، أن ما ثم شيء فعزموا في الحال جميع الرجال نحو القاع ، وأرسلوا بعضهم ينفضوا لهم الطريق ، فصعدوا على جبل الكولة كولت العرج بين الروضة وجدر ، وقعد وارجعوا أصحابهم المزلجين لهم نحو صنعاء ، ومعهم مدفع رجع ، وقعدوا هنيهة حتى رجع من العرب الذين سبَّق يجس الطريق ، فقيل أن بلاد همدان قاطعة للطريق ، ولم قبلوا الرشوة ، وقيل أنهم سمعوا هيعة[1] في جدر ، فأجمع شورهم وشور من معهم المديرين لهم ، وهم الشريف محمد الشويع ، والشيخ حزام بن صالح دغيش ، على أنهم يطلعونهم من نقيل ذهبان إلى ضلاع ، فطلعوا بما معهم ، وهم من شدة الخوف صراع[2] وفي صنعاء على تلك القاعدة ، ما يرقدوا في الليل شيء ، بل يدوِّروا كل ليلهم ، وأما في السائلة من الخندق القبلي إلى الخندق العدني ، فقاعدين في أبواب البيوت إلى الصبح ، كل ليلة ، وجميع أهل صنعاء رقود في حمى الرحمن الودود ، فسبحان العالم بما يكون قبل أن يكون / فلما أوصلوهم إلى بيت نعم ، وقد زالت عليهم النعم ، أمسوا وفي قلوبهم الهم والغم ، فلما أصبحوا ولدوابهم شدّوا ، ولا شعروا إلَّا بتعشيرة من رأس النقيل ، فسقط من أيديهم الخفيف والثقيل ، وصعدوا الجبل وقد هم في غاية الوجل ، فما وصلوا إلى وسط القاع إلَّا وقد كل أحد متحيِّر ومرتاع ، وهم قريب المنقب ، وإذا القبائل للقتال تتحزب ، فأقبل أوائل القبائل بالمهاري والعوايق ، ومن وصل عشر إليهم ، حتى أظلم الهوى وثار العجاج ، حتى ملأ النجود والفجاج ، وبقوا على تلك الحال طولْ يومهم ، يوم الأحد عشرين الحجة ، وليلة الإثنين أقبلت الغواير ، وقامت حفيظة كل قاعد وساير ، ولعلهم القبائل قد تقاعدوا ، ولذلك اليوم المشهور تواعدوا ، والسَّبب أنها ظهرت تلك الليلة ليلة الأحد منارة في رأس جبل نقم ، قيل أنها بينهم العلامة ولم قد تحقق ما جملة القتلى .

وصلت إلى الدولة يوم الأحد أخبار وكتب ، بأن الحيمة قد نصَّرت للإمام ، وإن أصحابهم الذين في العر محتازين[3] في المنصورة حق العر ، فأجمع شورهم على إرسال

---

(١) الهيعة : تكررَّت لغة الصوت المفزع (أنظر فترة الغوص ٩٥) .

(٢) صرعى .

(٣) محاصرين .

بقيّة الضبطية ، فجمعوهم ، وأمروهم بالتّأهب للمسير ، وعزموا فجر يوم الإثنين وصحبتهم الميم[1] باشا كبير الزبطية ، والله أعلم كيف آخر القضية ، وأما الرماية بالبنادق والمدافع فلم سكنت لا ليل ولا نهار ، عند الذي في المنقب لأنهم نحو ثمان مئة ، والمدافع كذلك تخدم كالرعود ، وهذا مما يدل على أن قد نجمهم قد تحول من السعود ، وصار في النحوس ، والسقوط ، بعد أن كان البلك منهم ثمانين نفر يسوق القبيلة ، وهي نحو آلاف . وتقول أين المفر كلا لا وزر فسبحان المعز المذل .

وبعد عزموا على المسير من المنقب ، وشدوا صُبح الثلوث ، وفي ذهنهم أنهم يريدوا الغارة على أصحابهم إلى حَجّة ، ويمروا من عمران ، فتعذر المرور من طريق وادعة ، فلم يمكن فطلعوا تلك الطريق ، فلما مضوا قاع المنقب إلى أن وصلوا حجر سعيد ، وحضرت منايا القريب والبعيد، ووقع يوماً عبوس، وتقاربت آجال النفوس وجُزّت الرؤوس، وتقارب الجيشان ، وفر الجبان، وتصادم الشجعان غزاهم السيد أحمد الشرعي ، وفعل مثل ما فعل في اليوم الأول في المنقب ، وهو وأصحابه أعظم من ضرب فيهم ، وعلى قوم العرب عوّل ، فما وصلوا شبام إلّا على أشرّ حال ، وصعدوا عند أصحابهم الذين في كوكبان ، قيل أن قائم مقام كوكبان منعهم من الدخول / خوفاً من الحوزة ، وقيل أنها بقت العرب تغزيهم في الليل ، وصاروا[2] حائرين الأفكار في الليل والنهار ، حين لم صح من غارتهم شيء لا على عمران ولا على حجة ذو الفقار ، وانقطعت عليهم الطرق ، حتى من البَسطات[3] بعضهم البعض ، وكل أحد احتاز مكانه ، ولا عد[4] يمكن غارة المئة ولا المئتين هو لاء نحو عشر مئة ، وقع ما ذكر ، فكيف بالقليل في قاع الضلاع ، وبكروا خولان عزموا برهاينهم إلى الإمام ، رهاين مختارة ، ثمان من بني جبر ، ومن بني شداد ، ومن الأعروش وبني ظبيان والسهمان ، وقد هم على أوان الرجوع ، وأصحابهم في البلاد مازِدْ هنيهم[5] لا حركة ولا هجوع ، من شدة الشوق للقتال والضرب والنزال .

وفي خلال هذه الأيام عزم الشيخ علي بن محمد البليلي إلى بلاد خولان ، يسكُن الدُّهما ، ويتقرب عند البوش والسلطان ، فلما وصل قَرْوي عند صاحب له الشيخ[6] الهزامي ، ووقف هناك حائر الفكر ، لأنها جاءت له النّذر أنهم سيضبطوه وقيل رجع إلى

---

(١) اسم أحد العرب وأظنه تَحُرف عليه من حاميم.

(٢) خ صار .

(٣) جمع بسطة البريد .

(٤) عاد بمعنى صار (معروف) .

(٥) لم يهنؤوا من الهنا معروف

(٦) بياض تركه لأسمه .

الكبس عند السيد يحيى الهجوة ، وبينهم عداوة ، ولكن هجمهُ إلى بيته فما وسعه إلا السكون في أمره ، ولعله متوقع ما يرجعوا به الذين عزموا إلى الإمام ، لأنه بقي أهل الحصن الظبيتين ما رهنوا مع من رهن ، والسبب السيد يحيى الهجوة ثبّطهم عن الملقى مع أصحابهم ، والسبب أنه متوقع لما يصح ، والمثل السائر ما وقع إلا من بني الصوفي (إن جاد مولانا قلنا يا إمام القبلتين وإن جاد أصحابي فأنا من حصن الظبيتين) وبين الشيخ علي البليلي ، وبني الصوفي مروّات ، وبيت الصُّوفي إلى الأمام[1] أميل ولكن متوقعين لما يبدي .

وفي هذا اليوم شردوا الخيالة المسمائين بالسوارية من صنعاء بخيلهم ، وأخذوا البنادق حق الدولة معهم ، وهم نحو عشرة ، والسبب كثرة الأخبار المفزعة من حركة كل القبائل وإعلان الفساد .

وفي يوم الجمعة ٢٥ الحجة ما أصبحوا إلا والسِّلك مقَطَّع من حدود الحيمة إلى بلاد البستان ، عَمَل قوم كبيرة ، ما قد وقع تقطيع مثله أبداً ، وأخرجوا له حملين جمال جَرْو بوادي ومن شدة الفزع في أهل صنعـاء، ناس يهـرب من صنعاء إلى البوادي وناس بيهرب من البوادي إلى صنعاء والأتراك بينّجلوا من بئر العزب إلى صنعاء ، وإلى القصر ، والقبائل بيلتفّوا فيما بينهم بين ، وحاصله أن هذا شهر الحجة الحرام ما قد وقد وقع مثله في الخوف والفزع ، وجميع الناس يتحاشروا في صنعاء على المصرفات ، جميع مستعدين لحوزة كبيرة ، مع قوة الأتراك ، والله له في كل ساعة شأن يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ومتى عظمت الشدة قرب الفرج فياغوثاه بالله نسأل الله أن يلطف بنا والمؤمنين ، ويحفظ المدينة ومن فيها من المؤمنين بحوله وقوته وبحرمة الفاتحة / .

وفي هذا الوعد[2] بدت[3] من الأتراك خرافتين ، الأولة أنهم طلبوهم إلى عند الميم باشا ، وذكروا لهم أنهم الدُّولة يريدوا يسلموا لأهل صنعاء بنادق شاشخان ، يتسلحوا بها في بيوتهم ، ويحفظوا نفوسهم ، وبيوتهم من ثورة العامة ، وتواعدوا[4] للجواب إلى يوم ثاني ، وطلعوا ، وقالوا الدولة ما ثَمَّ حاجة لما ذكر بالأمس ، وإنما المقصود كل واحد يحفظ نفسه ، ويوم ثالث أرسلوا لهم وطلعوا ، وذكروا أنهم يريدوا أن يعرفوا من معه بندق من صنعاء ، ومرادهم يعرفوا منهم الذين يملكون البنادق العربيات .

---

(١) خ الإتمام فيحقق .

(٢) الوعد الأسبوع (كناية) .

(٣) بدأت .

(٤) اتفقوا على ميعاد .

والثانية : أنهم أرسلوا لهم من البلدية أنهم يريدوا يقطعوا جميع الأثل الذي حول صنعاء من جهة القبلة ، ويخربوا الجدرات الذي خارج صنعاء بالقرب[1] من الدائر ، لأجل القبائل لا يجوا يكمنوا بين الأثل أو خلف الجدرات .

والثالثة: رأوا سراج باهي في داع الخير، ولعلها لَنْبَة[2] في مكان في الدَّار العدنية، فأرسلوا لمعياد صاحب الدَّار الليل ، لأنه كان في صنعاء مِمْسي في بيته وما أطلعوه إلاَّ مربوط الليل، ففشل من ذلك وسألهم[3] ما السَّبب قالوا: إنهم رأوا في بيته في داع الخير تنصيرة، فرجع روحه، كونه عالم أن ما ثَمَّ شيء، فكفل في عدم ذلك، وأطلقوه بعد أن أفزعوه لا لشيء.

وأما خبر الشيخ علي البليلي ، فإنه عزم خولان مصلح من طرف الدولة ، كونهم قد أظهروا الفساد ، وأرسلوا برهائنهم إلى عند الإمام إلاَّ أهل قَرْوى وبيت الصوفي فلم يرهنوا ، والسبب السيد يحيى الهجوة ، فلما وصل إليهم أظهروا له إنه ساقه الله إليهم وأقبلوا بني شداد ، وناس من بني جبر يريدوا يلتقوا هم ، وأهل قروى ومسور ، لكن قَصْدَهم الجمالي[4] يريدوا قتله ، وقَعَّدوا للإمام في الطاعة ، وبذلوا بقية الرهائن للإمام ، وما تَمُّوا المجمع إلا وقد ختموا ، وطبعوا جميع خولان ، وجميع سادة الكباسية ، والشيخ علي يرى ذلك ويسمع ما هنالك ، وتموا وتحاكوا في خوضه[5] فلما علموا أهل اليمانية والسَّادة أن ما قصدهم إلاَّ المشار إليه ، إحتاجوا أدخلوه المسجد، وتحجوا[6] عليه كونه في ساحتهم ، وفي ذمة السَّادة الهَجر ، وآل الخوض[7] على الإحتراس عليه خوفاً منه من الهرب ، ومن قتله غفلة لأن بني شداد نفروا من المجمع ، وخلوا خمسة عشر رجل يتعنوا به ، ولعلهم عَرَّفوا إلى الإمام في خوضه ، ومقصد الهجوة قبضه لحتى يصال ولده من حراز ، لأنه حاكم في متوح من طرف الترك ، وفي ذهنه لا يقبضوه ، فقبضوا الشيخ من طرفين، وإلى آخر شهر الحجة وسو باقي .

وفي غرة شهر المحرم سنة ١٣٠٩ ارتفعوا الزبطية / من العر قيل أنهم طلبوهم يترَتَّبُوا

---

(١) خ بلقرب .
(٢) سراج يضاء بالزيت واللَّفظة اعجمية .
(٣) خ سلهم .
(٤) أي علي البليلي .
(٥) في شأنه .
(٦) تجمعوا حوله ودافعوا عنه .
(٧) إنتهى .

في متنه في بلاد البستان ، لأجل حفظ الطريق ، وقاع سهمان ، وحفظ السلك من التقطيع الذي بيـقع فيه ، وقيل أنهم خافوا على نفوسهم في الحيمة ، كون قد هيه متابعة للإمام ، فلما وصلوا إلى متنه ، تحققوا إن قد بلاد البستان متجمّعين لهم يريدوا الفتك بهم في متنة تلك الليلة ، وعاد شيخ بيت[1] ردم العريق مجد[2] مع الأتراك يريد الفخر عندهم والمروة لهم ، فوصل أنذر الزبطية وشلّهم عنده تلك الليلة وعَشّاهم ، وآخر الليل شلهم ، ورفقهم بجماعة من أصحابه إلى أن وصلهم بيت عذران فوق عصر ، ووصلوا إلى عصر صاغرين مذلولين ، لا زقموا مرتب الحيمة ، ولا ثبتوا في متنه ، وقعدوا حتى أذنوا لهم بالدخول صنعاء ، ودخلوا بين المطر متفرقين لا كما خرجوا بالزامل[3] والبرع[4] بين يدي كبيرهم الميم باشا وجنابيهم في أيديهم تلوح ، وكل أحد يبترع وبالزامل ينوح ، فسبوح سبوح كيف تبدّلوا في ثمانية أيام حسوماً، ودخلوا يوم الخميس .

وصبح الجمعة وصلت الأخبار الصحيحة بأن مُقْدَمي بلاد البستان الحاج منصر خصرف ، هجم إلى قرية يازل في طرف البستان ، ورأس الحيمة ، وفيها نحو عشرين نفر خيالة بخيلهم وبنادقهم ، وقتلوا بعضهم ، وأسلموا الذين استجاروا بهم ، وأسلموا الذين استجاروا بهم ، وسلّموا سلاحهم في سلامة رؤوسهم ، وأخذوا الجميع أخذة واحدة ، وسلبوهم جميع ما معهم من سلاح وخيل ورصاص وبنادق وثياب ، ومن قاتل منهم قتلوه ، ولم سلم أحد منهم ، أما أسراً أو قتل ، وشرد منهم إثنين في آخر الليل[5] ووصلوا صنعاء مخاليس ما عليهم إلا ما يستر عوراتهم بعد أن أمنوهم ، ولكنهم هربوا ولم شعروا بهم ، والقصد منهم قد أخذوه ، ووصلوا بالأخبار الصحيحة ولولا هربوا وواصلوا الخبر ، ما كان أحد يصدق .

ووصل ذلك اليوم بقية الترك الذين في ذمار، وهم مقلة[6] ومعهم الخزنة والمدفع الذي هناك ، ولم بقي أحد في ذمار ، وما وصلوا إلا على أشر حال ، خوفاً من القتل والدمار ، لأنهم كانوا مظنين أن خولان سيلقوهم إلى الطريق ، ولم بدا من خولان شيء ، مع أنهم قد أشعلوا الأرض ناراً ، وأعلنوا بالفساد جهاراً ولكن في بيوتهم لأن لهم نحو شهرين يريدوا الفساد .

---

(١) خ رم فيحقق .
(٢) لا يزال في صفهم .
(٣) نشيد جماعي خاص بالقبائل .
(٤) نوع من الرقص .
(٥) بياض في الأصل .
(٦) قليل .

والوعد الأول قبل سلخ السنة بثمان ، مضت الدراهم حق الدولة طالعة من اليمن ، وظنُّوا أكثر الناس أنهم سيأخذوها عنوة ، وتوقعوا بها الدَّولة في اليمن مدة وبعد في الطريق ، فمضت وهي أحمال جمال ، المكثر بعددها يقول ثمانين ألف ، والمقلل لها يقول أربعين ألف ريال حجر ، فعدوها الشيعة هاتين من خولان هفوين[1] .

وأما السّلك فما أصبح يوم الخميس غرة محرم إلا وقد قطع جميعه من بَوْعان إلى عَصر ، وقلعت أخشابه ، وكسرت البور ، وكأن لم يكن في ليلة واحدة لأنهم كان يقطعوه فيما مضى قطع سليمة وإلاّ يأخذوا منه من الجر[2] قدر ذراعين ثلاثة ، وهذه المرة لم قد وقع منها إلاّ في أيام فساد الزرانيق في تهامة ، في أيام سابقة ، فاحتاجوا الدولة تجهزوا للمخرج يوم السبت ٣ شهر محرم سنة ١٣٠٩ ببقية الزُّبطية الذين رجعوا بالأمس ، وأتراك وخزنة ومدافع ، والله المدافع والعالم بما يكون من البستاني[3] ، لأن المخرج عليه ، وطلعوا من عصر إليه وهما منها لأحدهما أو عليه[4] .

وخرجوا صبح ذلك اليوم يوم السبت ثالث الشّهر ، فوصلوا إلى عصر ، وطلبوا رهائن يصلحوا كلما مروا عليه ، ويأمنوا في مسيرتهم ، وبذلوا الرهائن وطلعوا بيت عذران ، وقبضوا منهم رهائن كذلك ، ومضوا الجعادب وكذلك ، ورجعوا إلى الخُسّمه قرية فيها قليل رعية يسموا بيت المغربي ، وطلبوا مبهم رهائن ، فلعلهم تراخوا عن الوصول بذلك المأمول أو خوفاً منهم كانت المراخاة ، فقلبوا لهم المدافع التي خرجوا بها ، قيل ثلاثة وقيل أربعة ، فأخربوها ، ولزموا من أهلها أربعة أنفار ، وقتلوا منهم كذلك أربعة ، واحتزوا رؤوسهم ، وفي ذهب الأتراك والزُّبطية تقع له جمالة عوضاً عما فعلوه القبائل بالأمس من قتل الخيالة ، وقتل المدير السيد عبد الكريم بن يوسف صاحب كوكبان ، فإن له عندهم نحو ثمانية أيام ، ولم أمكن إطلاقه وبعد أمسى عند بن علي ناجي[5] وزَلَّج معه ثلاثة أنفار رفقه يوصلوه مأمنه ، فوصلو به إلى الطُّريق ، ووقع فيه تعشيرة بنادق ، وقتل بالأمس يوم الجمعة ثاني محرم ، ومقصد الترك من عار العرب يفعلوا ما ذكرنا بأهل الخُمسة ، وغارت بعض قبائل من القرى القريبة ، وقد كان دخلوا الترك القرية ، فوقع بينهم حرب يسير إلى أوان الظهر ، وأقبلت أوائل القوم الذين في البلاد ، فكسروا الترك إلى أن ردوهم إلى رأس نقيل عصر ، فخرجنا ننظر فرأينا حرب ما أشد منه ، المدافع تخدم الترك ، والزبطية ترمي بالبنادق أسرع من طرفة عين ، ولكن إذا عمي القلب عمي البصر ، وأقبلت باقي القبائل النائية قبل الغروب فمغنى تعاشير كالرعود القاصفة

---

(١) كذا في الأصل .

(٢) السلك .

(٣) أي صاحب بلاد البستان .

(٤) كذا في الأصل .

(٥) بياض .

تعشيرة بعد أخرى، حتى إنا سمعنا أحدهن ونحن في صرحة[1] الأبهر، فمن شدة وقعن أجمعوا السامعين أنها في القصر، ووقعت فزعة عظيمة في صنعاء، سيما في الأسواق، لكل أحد غَلَّق[2] دكانه، وجرى يدور محتاجاته من حَطَب وقشر وسليط، حتى لم زد وجدوا شيء من قَفْرة[3] الأسواق، واستطال الحرب إلى أن غلب عليهم الليل، والظلام بقدرة الملك العلام، وإلاَّ فهي كانت كيوم أحد، وتبعوا الترك القبائل إلى وسط القاع، إلى فوق الماجل الذي بين عصر وقاع اليهود، وافترعوا[4] الليل وكل أحد رجع محله، والذي في بئر العزب دخلوا صنعاء جميع، وغلقوا أبوابها من قبل الغروب، ورجعوا الترك متفرقين بعضهم دخلوا من باب السباح، وبعض القتلى معهم على البغال مغَطّايين، والذين هم أهل الحرب والطعن والضرب، رجعوا مع الداير نحو العرضي، ولا زِد أحد سمع لهما جميع العرب والعجم، لا حركة ولا سكون، حتى أضاء الصباح وأشرق بنوره ولاح، ولم قد يعلم كم قدر القتلى ولا غيرهم، والله سبحانه يفرج على عباده، ويحل هذه الشدّة ويحفظ المؤمنين والمدينة بحوله وطوله، بحق محمد وآله، وبحرمه الفاتحة إلى روح النبي صلى الله عليه وآله وسلم / .

ويوم ثاني ما شعروا الناس إلا بفجيعة[5] في الأسواق كبيرة قيل قد القبائل ملأت الفجاج من العجاج، وقد أولهم في شعوب، وأقبلوا أصحاب الدولة عساكر ومدافع كبار يجرونها من وسط السوق بالخيل الجياد، وتلاحق العسكر والزبطية بعدهم، قاصدين قبائلاً وشعوباً، فلما وصلوا الباب، قيل أن القبائل جرت نحو عصر، فَجَرو نحو عصر، واستقاموا خارج باب القاع، ورموا بثلاث جليل[6] مدافع إلى نقيل عصر، وبقوا هنالك إلى العصر، ودخلوا خَيَّموا في الباب المذكور، وبقوا هنالك، وأهل الأسواق نقلوا ما في جميع الحناويت إلى البيوت، وإلى المخازين التي في السَّماسر وبقيوا على تلك الحال، ينقلوا مدة يومين ثلاث سِرّاً وجهراً، والمصرفات عدمت سِيّما الطعام، واشتد الحال، سيما بالضعفاء، الله يفرج على المؤمنين.

ويوم الأحد إجتمع القبائل في ذهبان بني الحارث، والجامع لهم سيدي أحمد الشرعي، وحملت أمورهم جميع على الخلاف على الأتراك حتى الروضة وشعوب، وبلغ

---

(١) باحة .
(٢) أغلق .
(٣) فراغ .
(٤) انفصلوا .
(٥) خ فشيعة .
(٦) قذائف خاصة بالمدفع جمع جلّة وهي القلة من الفخار شبهت بها.

المتصدِّر إسماعيل باشا وكيل المشير إسماعيل الوالي لولاية اليمن ، وأرسلوا لأهل شعوب وطلبوا منهم رهائن ولعلَّهم لم أسعدوا ، وأرسلوا لبيت معياد وأهل داع الخير ، وطلبوهم الرهائن ، فأجابوا أن مالنا القه[1] بالبقاء في داع الخير ، سندخل لديكم صنعاء ، فلم يسعدوا الدَّولة وحبسوهم .

[وفاة الباشا إسماعيل حافظ في محرم سنة ١٣٠٩]

ويوم ثاني الإثنين توفي المشير إسماعيل باشا ، وأطلعوه قبروه إلى جنب قبرة عزة باشا في باب البكيرية .

ووصل الشيخ علي البليلي من خولان نهار الإثنين ، وقرَّت به من أهله العين ، وقد كان أشرف على الهلاك في محَبة الترك في خولان ورأى الموت عياناً .

ودخلت قبيلة سنحان فيما دخلوا فيه جميع الأعيان من القبائل ، وعم الفساد على الدَّولة جميع البلاد ، حتى حَدَّة وسناع ، وبيت سبطان .

وقد وصلت عسكر من الحديدة ، وتَحَيَّروا في الخميس خميس مذيور ، من كثر القبائل في بلاد البستان ، والذين في كوكبان نفذوا نحو حجة ، وهم الآن متحيِّرين في وادي السيل بين كوكبان وبيت عذاقة .

والوالي الجديد أحسن أديب نفذ من تهامة إلى الشُّغادرة تحت بني العوام ، وتحت حجة وكل أحد حائِبٌ في مكانه ، فسبحان المفرق لما جمع والجامع لما تفرق .

ولا زالت الأرض تمور بمن فيها ، والأخبار تضطرب شغوف ، كل أحد بما يوافقه ، وتقطعت الطرق من الريبة ، وإلاَّ فما ثم خوف ، بل أن ما قد ذهب على أحد من العرب شيء في هذه المدة في جميع الطرقات ، وإلاَّ من معه شيء من الكتب والبسطات ، والله يفرج ويحل هذه العقدة والشدة آمنين / .

وفي هذا اليومين فَرَّقُوا الدولة البنادق لخلق كثير ، أولاً لبيت معياد أهل داع الخير ، وأدوا لهم زانه[2] ولجميع الرَّسم[3] لأهل بخار البخاري البياعين المشترين ، وللمحرجين

(١) ثقة سر أو قدرة .
(٢) ذخيرة .
(٣) العسكر .

في الأسواق ، وللنصارى ، ولناس مخصوصين ، ومن أراد من أهل صنعاء وطلب بندق أدوا له الدولة ، وتركوا ما كان بنوا عليه من أنهم يأخذوها غصباً ، وصيحوا بالأمان ، وفعلوا للناس أوراق وعظ وتوبيخ ، من أن كل أحد يحفظ نفسه وبيته ، ولا يصدر منهم مغايرة ، واطمأنت القلوب قليل من الطرفين ، وإلا فكان كل فريق في قلق من الآخر ، أهل صنعاء وَجِلِين من الدولة من طَلب المغلبات ، والدولة وجلة من ثورة العامة ، والله سبحانه يدفع البلاء بقدرته ، فقد ضاقت أحوال الجميع ، وكل أحد مترقب الفرصة ، وأما أهل صنعاء الأصليين ، فيأبى الله أن يصدر منهم شيء ، وإنما قد فيها حي[1] كثير بسبب الدولة ، حَلَّلُوهم في المدينة ناساً لا يعرفهم أحد ، ولا هم ممن يخاف الله ، ولا لهم أمنه ، ولا عليهم ركنه ، ولكن جلبتهم الدولة أولهم عيال وشقاة[2] وخدم ، وآخرهم زبطية ، وأهل بيع وشراء ومعاشات ، وهم المترقّبين للفرصة إذا لاح لهم شيء وثبوا عليه ، ولو حراماً فما بالهم ما بيترقبوا .

وأهل شعوب نَجَّلوا من شعوب خوفاً من المدافع ، والله المدافع .

ويوم الربوع لَقَّطوا من الفرع[3] النَّجع[4] المذكورين نحو مئة ولا زالوا يلقطوهم ، صبح ذلك اليوم ، فلقطوا إلى الظُّهر نحو المئة ، وطلبوهم الدولة إلى البكيرية ؛ وأقبلوا أصحاب الدولة كل أحد زقم له واحد إثنين ، هذا يقول هو عندي شاقي ، وهذا يقول هو خَدَّامي ، وهذا يقول هو في البيت عند الهانم بِيبْـزي ، وخرجوهم مما قيل فيهم ، والسَّبَب أنهم جَلُوبَتُهم وتربيتهم على ما يريدوا ، وقائمين مقامهم في بيوتهم ، أفهم ولولا ذلك أنهم سيلقطوا منهم نحو ألفين أو يزيدون ، وهم المترقبين لهم كما يقال في حار[5] ألما يقول دائي مني قال الشاعر :

فلذا صار تسبيحي مثل تسبيح حارا لما

وطلبوا في ذلك اليوم الحدَّادين والنجارين والسياقلة[6] وأعطوهم بنادق ، كل سوق خمسة وعشرين بندق ، وألزموهم بالمحراس والأحتراس ، ولعل أنهم أعطوا ناس من شعوب قليل وناس من الرَّوضة بنادق ، وما أخذوهن الأولين والآخرين إلا بالنيتين[7] .

---

(١) ناس كثير .
(٢) إجراء .
(٣) الفارغين . المتسكعين . أو أراذل الناس .
(٤) الفقراء .
(٥) أي الماء في فورانة .
(٦) الصياقلة صناع السيوف والخناجر .
(٧) بين أن يصدقوا أو لا يصدقوا .

أما من شعبان أو من رمضان أنهم كيف يصير التدبير في التدمير ، أنظر بتدبير علي باشا الذي خرج في آخر الحجة يريد عمران ، وبعد جاء طريق ضلاع ، ووقع ما وقع إلى عمران رجع نزل من وادي السيل ، بعد قتلات كبيرة في كل مطرح ، ووقع وصوله عمران على أربعة عشر يوماً ، واليوم يريد يرجع صنعاء بعد أن أيقن بالهلاك قطعاً ، وصار قتالهم اليوم للحواز طبعاً ، كما قيل (إذا أراد الله أن يقضي أمراً سلب ذات العقول / عقولها حتى يقضي أمره تعالى)(١) .

ويوم الخميس ٨ محرم ، وقعت [في] النّهار فزعة في المدينة بسبب أنهم رأوا القبائل في نقم وفي قاع صنعاء العدني ، مع أنها قد وقعت بالأمس تعاشير وتحاضير منهم في شعوب ، والصبح في جرف مبارك في الجانب الغربي ، والنهار ما ذكر في نقم ، ومقصد القبائل يجروا الترك إلى البر للحرب ، والترك إلى الآن كالحميان(٢) للزرع والعنب يقال في المثل (حامي العنب أدرن)(٣) فلم أمكن منهم الخروج في تلك اليومين ، بل تصاغوا ورموا بالمدفع ضربتين أو ثلاث ، وأرسلوا الزبطية زقموا لكمة الزبيب ، وكان يرموا منها ، والقبائل رقموا من لكمة الجزارين إلى سارقة(٤) نقم إلى الجرف حق المتغربين ، إلى الجويلي محل الغيل المعروف ، وكان يعشروا هنا أجمعهم ، حتى يظلم الهوا من كثرتهم ، ويحضروا بمرافعهم ، ويهوّلوا ويصوتوا إلى بعد المغرب ليلة الجمعة ، ولولا المطر لكان لهم خبر .

ويوم الجمعة ، وما يوم الجمعة على الجبان ما أفجعه ، بَدَعوا القبائل بالتّعشيرة من عرض نقم تعشيرة كبيرة أفزعت من في المدينة ، ونزلوا إلى القاع ، وأقبلت القبائل بعرنونها المشهور كما يقال في مثل العوام (عرنون بني بهلول) فيوم الجمعة وقع عنوتهم ، وآخر النهار لحقوهم ناس من سنحان ، وطال الحرب من بعد الصلاة إلى بين العشائين ، ولم أمكن الترك يخرجوا من القصر ، ولا من المدينة ، ولا من العرضيات ، وإنما كانوا يرموا بالمدافع من باب العرضي ، ومن القصرة من الجربة ، ويرموا بالمرت والشيشخان ، والقبائل بالبنادق العربيات ، ما يصلح رمايتهم إلا من قريب ، واحتاجوا قربوا إلى الهشاش(٥) وإلى المسجد ، وإلى لكمة الهندي ، وإلى المخلصة وأما في القاع فالمواجة

---

(١) حديث أخرجه الدَّيلمي من حديث ابن عباس به مرفوعاً وفيه سعيد بن سليمان بن حرب وهو متروك وفي الشهاب ٣٠١/٢ عن ابن عمر مرفوعاً وفيه محمد بن محمد المؤدب قال الذهبي لا أعرفه أنظر (الشهاب ٢٠١/٢ وتمييز الطيب ١٤) .

(٢) حراس الزرع .

(٣) الدرن هو ثقل السمع .

(٤) لعلها سائلة

(٥) موضع سيأتي ذكره في الملحق .

من الصافية العدنية إلى حمراء العلب ، ولكمة الجزارين ، وإلى الغُول حق نقم ، وإلى الجويلي ، حتى قاربوا المقابر ، ولا زالت الرِّماية من عند كل أحد ، حتى أظلم الهوا ، رأي العين ما هي أخبار مبالغة وغوى[1] وكان تقع رصاص المدافع من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن إيمانهم ، وعن شمايلهم ، ومن فوق رؤوسهم بالقرب ، ولا تكَيَّعوا منها ، ولا بقيوا في متاريس كعادة الحرب ، وإنما يمضوا كأنهم في طريق سمحة سهلة ، وهذا غاية الإقدام ، فإذا صادف مع ذلك حسن نيات ، فياسعدهم بالنصر ، للأحياء وبالقصور في أعلى الجنات للشهداء والأموات ، وإن قَصْدهم الطمع فيا شر عاقبة لمن يرى ويسمع . كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ليقال جرى أو يقال شجاع »[2] .

وأقبلت آخر النهار قوم وصلت الجراف ، وعَشَّروا فوق الجراف في الجبل الذي فوق الجراف من جهة الغرب ، وعشروا آخرين تحته من عدني بالقرب من الحَصَبة ، وكان يرموهم من بئر الغرب بالمدافع ، وتصال إلى هناك وتقرح قارح آخر ، كما نرى في الذي في الجانب العدني كل ذلك / مشاهد .

وأما القبائل الذي في الروضة وحدودها ، فقد أعذروا وأنذروا الناس جميع وما تعدوا أحد نحو ثمانية أيام ، والآن بدعوا في من جلب إلى صنعاء أو دخل شيء ، ولو لنفسه ، إلاَّ من خرج فأمن ، ومن دخل أمن بشرط لا يدخل بشيء ، ولعل قد أخذوا في الروضة بيت الحاج محمد بن صالح السنيدار لأنه من الأنصار .

ومن الداخلين من الروضة بيت غمضان ، نهبوهم في الطريق قوم آخرين غير مسمّيين ولا منحصرين .

وليلة الأحد أقْبَل كل واحد محتد[3] وقد كبسوا من الليل جماعة قليل في نقم من الليل ، جلسوا يشاغلوا أصحاب الدولة إلى القصر ، ولم خلوهم يهجعوا بل بقوا يرموا من القصر بالبنادق ، وثلاث ضربات بالمدافع الأخرى أوَانْ التسبيحة[4] الثالثة فما صدقوا القبائل أي حين[5] أضاء لهم الصُّباح ، وأشرق بنوره ولاح ، نزلوا إلى القاع لطلب الحرب ، فلما خرجوا الزُّبطية تبعوهم الأتراك إلى القاع والمدافع ، تخدم في القبائل ، ولكن الحمى معهم كالحايل ، وإلاَّ فعلى ما نظرنا وشاهدنا أن المدفع الواحد وعشرة عسكر

---

(١) خطأ .

(٢) من حديث عن أبي هريرة مرفوعاً أخرجه مسلم في صحيحه ١٥٦/١ .

(٣) متحمس .

(٤) أي دعا آخر الليل من المآذن .

(٥) خ إيحين.

من الأتراك يقوموا مقام خمسة ألف ، لأن البندق تبلغ مقام أربع عربيات[١] من حق العرب ، والمدفع كأنه في أيديهم كالبندق ما يخطي شيء ، ولولا الدّفاع ، وظاهر الحمى لا خلوهم هَمّاً[٢] واكتسروا القبائل من القاع رأي عين وإجماع ، وبقوا ناس في مترس في نقم ما حالوا منه ، وتهافتت عليهم العرب والعجم ، حتى انجلت على ثلاثة أنفار منهم ، قتلوا من الذين احتازوا في نقم احتجزوا رؤوسهم ، ودخلوا صنعاء وعندهم ، إن قد أحسنوا صنعاء والرؤوس في البنادق ، وقدرهم حول المئتين والزبطية نحو مئة ، ولا زالوا يَعّيقوا[٣] ويتبرعوا[٤] على الرؤس ؛ ومتأبطين شر من البر ، والشيخ محمد البليلي ممن يتبرع ، إلى أن وصلوا القصر قبل الغذاء ، ورجعوا الزبطية يتحارشوا[٥] البياعين المشترين يُوَجِّدُوا[٦] لهم حاجاتهم ، وسمعت أضعف الخلق منهم مسعد الصاحب من شقاة سوق الحب صورته كالثعل[٧] وقد لبس لبس الزبطية لأن عادته بكوفية ، يقول للقشّار[٨] يُوَجْدْ له قشر لأنه بيضُمّ[٩] رأس القشّار وغيره ، وإلاّ أطلعه إلى مخزانة[١٠] يفتش عليه إذا ثَمّ معه قشر ، ولو سلموا فضيحة[١١] العرب بسبب عيفاطهم[١٢] والكسيرة ما شَوْرَبُو[١٣] فوقنا ، وأنهم في حيرة ولعل الحقتلي كثير ، لأن ما نفعتهم بنادقهم ، بل كانوا يقتلوا من مسير مسافة بالمَرْتْ والمدافع ، وهذا من عيفاط الرّعوى كما يقال شعراً :

إذا ما خلا الجبان بأرض قوم طلب الطعن بسوحها والنزالا

ولله در قبيلة حاشد اليوم عشرين سنة ولهم على الدولة المِنّة والسبب تدبير الحرب والشطارة (وعدم تدبير الحروب تظهر العيوب) .

وأما السيد الضرغام والأسد القمقام والبطل الهمام أحمد الشرعي فهو غَفَل الآن من

---

(١) أي بنادق عربية تشعل بالفتيلة .
(٢) همى طمسه وأخفاه .
(٣) يصرخوا .
(٤) يرقصوا .
(٥) يتحرشوا .
(٦) يوجدوا .
(٧) الثعلب أو أنثاه .
(٨) بائع القشر .
(٩) يحفظ يحرس .
(١٠) محزنة .
(١١) فشلهم .
(١٢) من العيفطة الجلافة .
(١٣) شورب كشر في وجهه .

هذه الجهات ، ولعله صار يترقب للحصار على من ذكر ، وهو علي باشا وأصحابه السابقين معه ، والذين في تلك المراكز لأن خبره شاع أنه سيرجع صنعاء بالمذكورين[1] لأنها أصل الديولة في اليمن ، فخشي السيد أحمد رجوعه ، واشتداده بما في صنعاء من الخزائن وصعبها في الأخذ والحصار ، والقصد تفريق الشتات / منهم وإلّا فلو كان قريباً في الحواز ما وقع من ذلك الفعل شيء ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء ، وقد صاروا ملاقين أعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر الأعمال بالنيات من كان قتاله لله وفي سبيله وابتغاء مرضاته فقد لقي عمله ومن كان قتاله يريد إلا أداة فويله من الله ومن لقـاه.

وفي أوّل الوعد هذا عَلّقوا أوراق مكتوبة وعظاً وترغيباً وترهيباً للناس وتسكين .

واليوم الإثنين ١٢ محرم عَلّقوا أوراقاً أخرى أن الوالي أحسن أديب قد أصلح بلاد حجة وما يليها ، وأطاعت ، وعلي باشا أصلح بلاد عمران وما يليها ، من جميع البلدان ، وإن قد كسرها بسطوته وقتل من أهلها بجبروته ، وأطاعت ، ونصره الله والله أعلم ، هذا خبر الأوراق المعَلّقَة والمنادي في السوق ، إن من قَرّح ببندق أو فَرْد[2] من بعد المغرب من يهودي أو نصراني أو تركي أو عربي فهو هدار[3] ولعل تحت هذا الصّائح خبر عندهم مكتوم .

وأكسفت من هذا اليوم شمس داع الخير وبيت معياد ، وقابلهم النحوس بعد الإسعاد ، فلما أنجلا حرب ذلك اليوم وكثر القتلى من القبائل نحو العشرة فما فوقهم ، رجعوا أهل القتلى أوصلوا المقاتيل إلى جرن[4] بيت ميعاد ودعوهم وزكّنوا عليهم بهم ، وقطعوا عليهم الغيل لأن العين حقه من عندهم ، وقيل غيروا عليهم من الذرة ، وأصبحوا بين ميعاد ينجلّوا إلى صنعاء خوفاً من سنحان ، وقامت قيامة سنحان على بيت معياد ، والسبب أنهم كانوا متقاعدين هم وإياهم ، وبعد دخلوا بيت معياد جَرُّوا لهم رتبة من عند الدولة زبطية ، وقيل مدفع ، فلما هبت الكسيرة في سنحان رموهم الزبطية من داع الخير ، وخلّوهم[5] يخرجوا يحتزوا رؤسهم ، فقامت الفتنة بينهم .

ويوم الثلوث وصل علي باشا ، وأدرهم باشا ، ومصطفى باشا الذين عزموا من صنعاء في آخر شهر الحجة ، ووقعت طريقهم المنقب وكوكبان ، وقد كان راسلوا [إلى] صنعاء خفية أنهم يلقوهم إلى الطريق ، فخرجوا من صنعاء ليلة الثلوث ، ووصلوا إلى عصر ،

---

(١) خ بالمذكورين .

(٢) مسدس .

(٣) أي دمه مهدور .

(٤) محل حصاد الحب .

(٥) خ فلوا .

وعلي باشا خرج من عمران يوم الأحد ، ووقع في حاز وصبح الإثنين وعزموا من حاز وكانت طريقه من قاع المنقب ، وخرج إلى قاع سهمان ، ونزل من عصر ، ولكن ما سكن الحرب والقتل رليل ونهار[1] من حين خرج من عمران إلى أن وصل صنعاء ، ولم دخل عيونهم النوم ، وما وصلوا إلاَّ وكل واحد منهم كالغوم[2] وكذلك الأكل والشرب ، من شدة الحرب ما سكن قارح البندق ، والمدفع ساعة واحدة ، كلما مضوا من قرية خرجت عليهم بالطّعن والضرب ، واحتزوا سبعة رؤوس ، ووصلوا بها ، وآخر عمل في عصر مَحْرَبْ[3] أظْلَم منه الأفق ، وتلاقت الأبطال واضطربت من قارح المدافع الجبال ، وتلاقت الرجال ، وما وقع إلا أحربوا عليهم أصحابهم الذين خرجوا من صنعاء من المصبانة حق عصر ، والواصلين نازلين وقدهم مضعفين من السهر والجوع ، وما سكن قارح البندق والمدفع إلا حين دخلوا من باب القاع / وما وقعت طريقهم من حيث ما ذكر إلاَّ أنهم لم يجدوا غيرها ، وبالحال أنه وقع فيها عند خروجهم ما وقع ، ولو جاؤوا من الطريق المعتادة إلى عمران لكان أشوع ، لأن العرب جميع كانوا مراعيين لهم في عيال سريح وجَربَان ، فخرجوا على حين غفلة وجاؤوا على وسط همدان ، والسبب أن المدبر لهم السيد محمد الشويع ، ووصل معهم وأصحابه معه والنقيب[4] بن سنان صاحب أرحب ، وأصحابه معه ، وإبن أبو فارع صاحب حاشد ، وجملة العرب الواصلين معهم نحو المئتان ، كل ذلك لحبّ الدنيا كما قيل « الأطماع خلت عقول الرجال مجانين على كل دقة[5] ولون » ووصلوا يخبروا جميع الناس بالتّنصيرة لهم والمحراس ، وقسموا صنعاء أرباع ، كل ربع يحرس في الداير الذي يليه ، وجعلوا لهم أربعة عقال لك ربع عاقل ، الربع العدني بغربي قاسم بن محمد هاجر ، والربع العدني بشرقي[6] ، والربعين الآخرين القبلية السيد علي الشرفي ، ومحمد بن عبد الله غنيمة ، وصارت المطالبة لكل أحد أما سَلَّم ثمن قرش ، وإلاَّ وصل يشل حصّته في الداير ، وسبر المعاش لكل ظالم وجاير ، وقد صار أكثر الغوغا بنادقية شيشخان من الحرس والسماسرة وشقاة العصارين[7] والجَزّارين وغيرهم ، وأما شقاة الترك والخضراويين[8] الذين يسنوا[9]

(١) خ نها .
(٢) الظل أو الخَيَال .
(٣) حرب .
(٤) بياض في الأصل .
(٥) جنس .
(٦) بياض .
(٧) أي عصارين السمسم .
(٨) كأنهم عمال البساتين .
(٩) السنا سبق شرحه .

لهم في البساتين ، فجميع بنادقيه وجميع النصارى بنادقيه ، وكل من يريد بندق أعطوه ، بل قد أعرضوهن على الذميين ، وحاصله ما لها إلا الله سبحانه بجاهه وجاه سيد المرسلين يُحلها عاجلاً .

ويوم الخميس ١٥ محرم وصل الشريف الأفضل والسيد المفضل محمد الحتري صاحب الجوف إلى الروضة ، وبان للناس فضله أظهر الأمان ، وعدم الظلم والجور ، وهذا هو الغاية والمراد .

وصحَّ خبر قبض مدينة العر المحروس ، وقبض حصنها المعروف المسمى بالمنصورة ، وخروج جميع الزُّبطية الذين فيه من دون ضربة ولا طعنة ، بل في سلامة رؤوسهم إلى يد الحاج الفاضل منصر خصروف صاحب بني مطر ، فإنه المباشر لذلك عنوة ، وهو مقدمي بلاد البستان ، وهم الزبطية الذين كانوا فيه خمسين أو يزيدون ، وسلموا الحصن بما فيه من الخزنة ، وجميع ما هو محتاج الدولة فيه ، وسلموا أيضاً جميع بنادقهم إلى يد المذكور سلاماً بسلام ، وفعل لهم أمان في وصولهم إلى الأمير الذي فوقه السيد أحمد الشرعي ، وهو في الطَّريق الذي في قاع سهمان ، فلما وصلوا إليه فَلَّت هو منهم نحو الربع ، ونحو الربع الآخر قد شرد قبل وصولهم متغرِّرين بعد تسليم السلاح ، وبقي نحو النصف قبض عليهم وأرسلهم إلى الإمام وإلى بلاد الأهنوم محروس المدان ، وقد كان ذلك بيومين قبضوا على القاضي العلامة عبد الرحمن بن أحمد المجاهد[1] حاكم العِر من طرف الدولة ، وقبضوا معه أيضاً على المدير تركي[2] وأرسلوهم جميع إلى حضرة الإمام .

وصح الخبر أن الباشا الخارج من الباب العالي لولاية اليمن أحسن أديب ، وصل حجة ، وطلع من (الشغادرة) والله أعلم بالصحة لأن طرق جميع الجهات منقطعة لا داخل ولا خارج .

وفي هذه اليومين تواترت الأخبار بوصول سيدي محمد بن المتوكل محسن بن أحمد ، وأنه مقدمي لخولان[3] .

وفي خلال تلك اليومين وقع القبض على الحصن الذي في رأس نقيل سمارة ، قد كان وصلوا ناس إليه يريدوا القبض عليه ، وإخراج من فيه من الزُّبطية عسكر الدولة الله أعلم من أين هم ، هل من خولان ، أو من الخدا ، ولم يتم لهم مأرب فطلع إليهم الشيخ محسن

---

(١) من العلماء الأفاضل له أخبار مع الأتراك توفى سنة ١٣١٦ (أنظر أئمة اليمن ص ٢٧٢) .

(٢) بياض .

(٣) خ لخوالان .

عامر صاحب قرية ضاف ، وتحيل للزبطية أنكم ستذهبوا هبا ، ولكن الشُّور إنهم يسلموا السلاح إلى يده ،

وفي خلال تلك اليومين وقع القبض على الحصن الذي في رأس نقيل سمارة ، قد كان وصلوا ناس إليه يريدوا القبض عليه ، وإخراج من فيه من الزُّبطية عسكر الدولة الله أعلم من أين هم ، هل من خولان ، أو من الحدا ، ولم يتم لهم مأرب فطلع إليهم الشيخ محسن عامر صاحب قرية ضاف ، وتحيل للزبطية أنكم ستذهبوا هبا ، ولكن الشُّور إنهم يسلموا السلاح إلى يده ، وهو يورق[1] لهم فيه ، وفيما في الحصن ، ويرفقهم إلى ضوران يطلعوا يستريحوا ، ويضموا[2] رؤوسهم ، وهيه منه دهاية إذا تم الأمر فقد أخذ شويته سهلاً ، وقبض الحصن ، وأوصل الجماعة ضوران حليفين الأحزان لا يملكوا شيئاً ، ولا يستطيعون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً .

وأيضاً تواترت الأخبار بقبض حصن مفحق ، بعد أخذ الخزنة التي في المطرح الأسفل من مفحق ، ولكنها بداهية[3] قيل من الشيخ[4] الرازقي صاحب بني مطر ، هو والحاج منصر خصروف والمخبر ابن المساجدي الذي نزل بالبسطة[5] من صنعاء إلى مناخة وابتاع ، وأسروه وأطلعوه إلى العر ، ورأى منهم الموت الأحمر ، وكانوا يهددوه[6] بالذبح كل حين ، وهذه عادة أهل الأطماع ، ولم قد سلموا له أجرته فحال الرقم وهو يلاحق[7] لها ولا شك أنه ظالم لنفسه مبين .

يوم السبت سابع عشر محرم خرجوا الدُّولة من صنعاء قادمين على سنحان وأخرجوا جمال كثير يشدوا فوقها الطُّعام الذي سيأخذوا ، فوصلوا إلى خلف حمرى العلب ، فَجَرُّوا المدافع على قرية القلفان وهيه بيتين ثلاثة ونوبة رهيفة[8] ، وأخربوها وأخذوا الزُّبطية منها عجيل[9] المساني وقليل أصابيع[10] خراب ، ورجعوا حطوا على قرية الجردا ورموها ، حتى

---

(١) يكتب لهم سنداً في البنادق المذكورة .

(٢) يستكنوا .

(٣) حيلة ودهاء .

(٤) بياض .

(٥) خ بلسطة .

(٦) خ يهدّوه .

(٧) يتابع .

(٨) رقيقة .

(٩) جمع عجلة معروف .

(١٠) جمع أصبع وهي أعواد رقيقة يسقف بها البيوت .

أيقنوا أن قد أجلوا أهلها منها ، وألزموا الزبطية بالهجوم عليها ، فلما قاربوا أطلقوا من فيها الرماية الذي لا تنكف[1] ووقع ما وقع في القادمين أكوان وقتلى ، ورجعوا عنها ورموها ثانياً حتى تخيل لهم أن القبائل بعد تلك التعشيرة قد شردوا ، فأمروا أصحابهم بالهجوم ، فلما قربوا منها وقع مثلما وقع أولاً ورجعوا ، فعلوا مثل ذلك ثلاثاً حتى تعدَّدت القتلى من الفريقين الهاجمين الترك والزبطية ، وأجادوا القبائل في تلك القتلات المفجعات مع ما مع الأتراك من المدافع الكبار والبنادق المرت والشيشخان ، فما يواجه تلك الآلات إلاَّ من بغض الحياة وإشتاق إلى الجنات والأعمال بالنيات ، إلى أوان الظهر ورجعوا على قرية وراقة ، فعلوا لها قليل ، وقيل إنتهبوا منها الزَّبطية قليل أثاث ، وأما ما كان قصدهم فلم يصلوا إليه ، ورجعوا وقد سقط منهم خلق كثير ، والبنادق تشهد محملة على البغال ، وتركوا القتل والقتال ، ودخلوا مدينة أزال وقت الزوال حق المغرب ، وأدخلوا معه رؤوس قيل عشرة وقيل ثمانية ، ولم يسكن قارح البندق من القبائل بعدهم من نقم ومن ظهر الحمار ، إلى أذان العشاء الآخرة والله سبحانه يحلها على جميع العباد ويحق الحق ويبطل الباطل بحوله وطوله آمين / .

وهذا فعل الأبطال الجياد قبيلة بني شداد من خولان وسنحان ، وأمالوا على قبيلة خولان الخارجية ما كان ، وأخبر المشاهد هجام[2] فإنه كان مع الأتراك حاضر مشاهد ، أنهم زادوا تحيَّلوا بحيلة للمعونة لهم على حرب عدوِّهم ، كون لم يكن معهم سلاح مثل سلاحهم ، فإنهم لما رموهم بالمدافع سكنوا حتى أيقنوا الأتراك يخلُّوا القرية ، ودخلوا متسابقين يريدوا الطمع ، وباب القرية مفتوح ، وما قد فرضته[3] المدافع في الداير ، فخلوهم إلى أن دخل البعض ، وأطلقوا الرماية من داخل وحكموا على من سبق بالدخول ، وقتلوهم بسرعة ، وأخذوا سلاحهم ، ورجعوا يحربوهم به ، ولكن قد اقتسموها عنوتين ، بعضهم قام للداخلين ، وبعضهم ثبت مكانه للخارجين ، وعشَّروا فيهم ، وخرجوا إليهم طعن من اليد ، وأخذوا البنادق ، والمؤنة التي فوقهم ، ورجعوا عند إخوانهم ، وقد معاهم نحو أربعين بندق شاشخان ومَرْت ، وبعد لاحت لهم بغلتين زانه مَرْت وشاشخان ، وصلت من المطرح إلى عند العسكر الذين بيحربوا القرية ، فخرجوا غلمة[4] كبيرة أخذوها ، ولما قربوا بها من القرية ذهنوا الأتراك فتبعوها فثيتوا لهم الذين داخل القرية بالرماية ، وعطفوهم ودخلت البغلتين بحملهن مونة ، هذا خبر المشاهد المرموز على إسمه أعلا .

---

(١) لا تنتهي .
(٢) إسم شخص .
(٣) خربته .
(٤) غلمان فتية .

وأما نقم فلم زِدْ خلي لا ليلاً ولا نهاراً ولا سكن منه قارح البندق ساعة وأما واحد منهم أو إثنين فجلسوا في لكمة الهندي وفي المخلصة شرقي القصر ببنادق شاشخان يَتَبندقوا إلى القصر ، كلما أشرف أحد من الداير حق القصر ، أو ظهر في وسطه رموه ، وقد فعلوا إلى الآن فيهم كفعل الجان لا يرى لهم صورة ، ولا يظهر منهم جنان ، وإذا ظهر في القصر أحد أطلقها كالعنان للفرسان .

ويومنا وصلت رصاصة إلى باب حمام الميدان لعلها مرت .

ووقعت تنصيرتين في الروضة في ليلتين متتابعتين ليلة الثلوث ١٣ وليلة الربوع ١٤ محرم ، وأعلنوا فيها باسم المنصور .

وبالأمس أرسلوا الدُّولة الشيخ علي بن محمد البليلي يشتاط[١] لهم من شعوب ، وخرج لم أمتثل أحد له بشيء .

وبعد غصبوا الوشاح أدّى لهم ما يسدّ به عرضه منهم ، ومن بيت معياد كذلك شياطه فوق الخطاب الذي عليهم وهو سبرة الرتبة الزبطية ، وزادوا فوق الزبطية رتبة السِّيد محمد الشويع صاحب ضلاع وأصحابه ، فهذا جرى في بيت معياد حين أطاعوا الدولة ، وخالفوا أصحابهم ، ونسوا أمثال القبائل (بين إخوانك مخطى ولا وحدك مصيب) فما مطيع للدولة إلاّ وهم وما[٢] يليهم من أهل الصافية العدنية الذين بالقرب من صنعاء ومن أهل شعوب من بالقرب من الداير مطيع .

وألزموا[٣] جميع السوارية الباقين يطلعوا عندهم الكاوش يمسوا ، فلم يسعدوا وبعد طلبوهم تسليم البنادق الذي لديهم ، فسلموها ، وأرسلوا زبطية من أرحب يترتبوا في شعوب ، ولعلهم لم زِد بقي معهم ألفه[٤] على جميع العرب ، وصاروا يتحدثون فيما بينهم أن العرب كلها خيانة حتى أحجار صنعاء خيانة ، ظهر ذلك منهم علينا ، وتركوا المحاريس الذي أوجبوها على أهل المدينة ، والسبب أنها صارت معاشات للفَرَع ، وأولاد السوقة الأنذال وكانوا[٥] يَخَلُّوا صبيان في الدواير واسترجعوا بعض البنادق من الذين أمروهم يحرسوا بها وخلُّوا البنادق عند الذين يحربوا بها معهم وقد توجهوا ناس من العرب القبائل إلى جهة حراز للمحاصرة لمناخة

---

(١) يشتاط القمح يشتريه .
(٢) خ ومالهم .
(٣) خ اللزموا .
(٤) ثقة أو إطمئنان
(٥) خ كان .

وأما صنعاء فزاد فيها الضِّيق والغلاء في الأسعار سيما الطعام فإنه في العشر في العيد الطعام قدحين والحنطة قدح إلاَّ ربع وفي الآن في نصف محرم وآخره الطعام قدح إلاَّ ربع والحنطة نصف قدح تعجز[١] هذا في شهر والسبب المفاودين[٢] وعدم الضبط لهم نسأل الله اللطف بحوله وطوله آمين .

ويوم / الثلوث صار مصطفى باشا المقدمي حق حرب يوم الجردا ، تحت الإستنطاق[٣] كيف أذهب عسكر السُّلطان وأذهب خزنة البنادق والمدافع لغير حاجة ، لأنه رمي الجردا بأربع مئة ضربة بالمدافع ولم صح منها شيء ، قيل كل ضربة عليهم بذهبية[٤] وكل ذهبية بسبعة ريال ، وكذلك مؤنة البنادق أربع بغال ، غير ما فوق جميع العساكر العرب والعجم كل أحد فوق قدر ما يحمله ، وذَهَبَ ذلك كله ، وذَهَبَ من العسكر العجم خلق منها بلكين[٥] الذين دخلت القرية حين أمرهم بالهجوم ولم خرج منهم أحد ، ومثلهم خارج القرية قتلى ، ومثلهم مصاويب[٦] ومكاوين[٧] ولعل ما قد وقع مثل يوم الجردا[٨] لا في حاشد ولا في الحدا ، وفعلوا ذلك اليوم مجلس خاص بهم ، ما حضره أحد من العرب ، إنما خاصة العجم ، يتراجعوا فيه ما سبب فساد جميع اليمن في وقت واحد من الزمن ، وتراجعوا فيه يومهم ، وترجَّح لهم ما هو السبب ، وهو الواقع الذي كلف ذلك ، وما يرد ما هنالك ، وبقيوا حائرين الأفكار .

كيف يكون ذلك وأمره سبحانه بين الكاف والنون ، وإذا أراد أن يقضي أمره بين عباده سلب ذات العقول عقولها ، فالله سبحانه سلب عقولهم ، وما ظهر لهم إلاَّ حين حان أجلهم ، كيف يشارع[٩] المشارع السنة والسنتين ، ويغرم أكثر مما تشاجر عليه ، وما يتمسَّك بشيء منهم ، وكيف يصال الضَّعيف من أطراف الأرض يستغيث بهم ممن ظلمه وأخذ ماله قهراً ويرجعوه إليه ويغضب عليه ، وعذبه وجعل عليه أضعاف ما كان لديه ، وكيف

---

(١) أي نصف قدح وأقل أو بالكاد .
(٢) سبق شرحه والمفاود هو الذي يبيع بالتفرقة من تجار الجملة بالربح .
(٣) التحقيق في مسألته .
(٤) من عملات الأتراك .
(٥) فرقتين .
(٦) مصابين مجروحين .
(٧) جمع مكون سبق شرحه كسابقة . .
(٨) توسع المؤرخ الحسين بن أحمد العرشي في تاريخ هذه الوقعة في كتابه بهجة السرور (أنظره بتحقيقنا) وذكر فيه أن امرأة واحدة قتلت أربعين من جند الترك .
(٩) يحاكم المحاكم .

يصال المسافر إلى صنعاء من حين يدخل الباب يصير فيه الهتك واللعن والعذاب ، من أنذال لا يعبأ الله أن يعذبهم في النار ، ويجعلوا عليه في السمسرة ميري أضعاف ما هو عليه من الباطل ، فإنهم طبعوا الميري على القرش زلطة وبِيْسة ، والآن أربع زلط خمس ست أينما قدروا ، وأولاد السوق يسرقوه ويمطلوه[1] ويهتكوه ويلعنوه ، وهم لا ينصفوه ، والآن عرفوا وندموا حيث لا ينفع الندم ، كيف وقد زلَّ القدم ، وقامت جميع العرب على العجم ، وصارت جميع الحوازات حول صنعاء ملآنة قوم من كل أرض ، بحيث لا يقدر أحد أن يقدرها لسعتها واختلافها ، ناس يسير وناس يجيء ، وكل يوم تعاشير وصَّالين في كل قرية مئات ، وكم قرى من عمران إلى خولان وسنحان ومن حراز إلى طرف البستان ، وكل ذلك عليهم وعلى صنعاء بسببهم ، وهلك الضعيف والمؤمن بذنبهم ، وكيف بهم ، وقد دخلوا عليهم إلى صنعاء ، وكيف حال المدينة ومن فيها من الضعفاء والمكالف[2] والأرحام والصبيان والأيتام والعكبان[3] والعرجان ، مع أن معرة الجيش صعبة على أهل البلد كما قال الله سبحانه : ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزَّة أهلها أذلة ﴾ ومع أن هؤلاء المحاصرين للمدينة أكثرهم جاوعين قافرين ما يريدوا إلاَّ السَّلب إلا القليل منهم مخلصين لله ، ومجاهدين في سبيل الله ، وهم القليل ، وأما أكثرهم فما قصدهم غير السَّلب والنهب ، أللهم أسألك بجاهك وجاه رسولك صلى الله عليه وآله وسلم ، وبفضل جميع الأنبياء والمرسلين ، وبفضل الكتب المنزلة عليهم من عندك أن تحمي وتكفي / ويجعل لكل موذي كافي ، ولكل ظالم منتقم ، وأن تحفظنا وأهلنا من فوقنا ومن تحتنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ، وتحفظ اللهم صنعاء ومن فيها من المؤمنين ، بحق إسمك الأعظم ، وبفضل لا إله إلا الله ، وبفضل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبحرمة القرآن، وبحرمة البيت الحرام ، وبحرمة الفاتحة : ﴿ قد ضاقت الأحوال ، وقل الاحتيال ، وخابت[4] الآمال إلاَّ فيك يا رب العباد ﴾ .

وفي الروضة خَطَبوا هذه الأيام للإمام أول جمعة يوم ٩ محرم ، أغلقوا الجامع في الروضة ولم أمكن يعلنوا فيها بإسم أحد خشية من الخبر لا يصال عند الأتراك ، وخشية من العرب الذي قدهم في الروضة ، فأغلقوا الباب ، والجمعة الثانية ١٦ محرم والثالثة ٢٣ محرم أعلنوا فيها بإسم المنصور ، وما تعدَّوا محظور .

---

(١) من المماطلة معروف .
(٢) النساء .
(٣) العكب الخبل الكساح .
(٤) من قصيدة حمينية مغناة للأديب عبد الرحمن يحيى الآنسي المتوفى سنة ١٢٥٠ .

ويوم الخميس ٢٢ محرم خرجوا الأتراك من صنعاء إلى داع الخير ، ولكنها تَضَمَّنت خرجتهم لأمور شتى الأولة كان مرادهم يتمموا قرية الجردا في ذهنهم أن قد أجلت العرب ، والثانية إذا ظفروا بمن في نقم من العرب ، لأن قد كثروا في الجبل الرتب ، ونالهم منهم الخوف والرِّيبْ . وثالثة تمشية كأنها لهم صافية[1] عافية ، فها نحن أسود قد خرجنا من المدينة إلى البرية ، ورابعها أنهم هربوا من داع الخير والصافية بعض نَفرات[2] من الزبطية وأخذوا البنادق ، وخرجوا طرحوا مكانهم من العساكر الشاهانية رتبة بجنب الباقين ، وطرحوا مدفع صغير يحموا العرضيين والقصر ، وفسحوا[3] للزبطية الذين أصلهم من البرية وما خلوا إلَّا من حِلالَه[4] في المدينة المحمية أو من كان كفيله منها ، لأن قد تقرر عندهم خيانة العرب أجمع أكتع[5] وتفوَّهوا بذلك أن جُدُرُ عماير صنعاء وأحجارها خائنة ، وأن لا ألقه لأحد في هذه الكائنة ، وأرسلوا الشيخ حزام دغيش ، والشيخ علي البليلي إلى الروضة يصالحوا القوم بما قدروا من الفلوس ، ولو يعقد صلح في مهلة[6] شهر لحتى ينظر ما يكون ، وما أظهروا الضعف إنما هو لأجل الضعفاء لا يذهبوا وهو (أقول شام والمراد عراق) يريدوا يشتاطوا لهم طعام ، ويستعجلوا من في مراكزهم النائية ، وقد أتاهم الحمام ، واسترجعوا البنادق الذي قد كان سلموها من أجل أهل صنعاء ، وعذروا المحاريس عن أهل المدينة خوفاً من الخائنة منهم ، ما هو إشفاقاً عليهم ، فلو يقع لهم ينظموهم ، ولكن الله سبحانه نظر إليهم لضعفهم .

ووصل بعض الحجاج في التاريخ[7] وأخبروا أنها وقعت رحمة[8] في مكة دون العام الماضي ، ولعل الزوَّار ما ستقع طريقهم للزيارة إلَّا من طريق جدة بَحْر ، لأن البر مربوش[9] والسبب أن الدولة طلبوا شريف مكة[10] يصال إليهم إلى إسطنبول فمنع ، وأحرقوا بيوته الذي في مكة ، وهرب إلى البر إلى حَرْبٍ وهذيل ، وصار فيه الحصار ، ولعل بالشَّام ما باليمن فيما بين العرب والعجم .

---

(١) بمعنى سهلة ياردة .
(٢) نفر .
(٣) سمحوا .
(٤) من سكنه في صنعاء .
(٥) كلهم .
(٦) إمهال .
(٧) أي في هذه الآونة .
(٨) أمطار .
(٩) من الريشة وهي الأزمة والخوف .
(١٠) بياض .

وهذه الثمان[1] لم زِدْ أمكن الأتراك التحرك من البلد ، ولا أحد زِدْ خرج من الباب خوفاً ممن في نقم ، فإنهم باقين فيه ليلاً ونهاراً ، ولا زالت منهم الرماية مستمرة سيما على من في القصر ، فكل يوم ولهم فيه جرحى وقتلى .

وأما يومنا الإثنين ٢٦ محرم فإن الدولة أمروا أهل المدينة بإظهار الفنطسية يعني الزينة والتنصيرة ، وضربت المدافع ، فلما سمعوا من في الجبل أكثر الرماية وأقبلت الغارة ، وشنت من كل بلد من الحواز ، تَصَوَّر لهم خروج الترك على أصحابهم ، فوصلوا من كل شرذمة ، وأنسوا الدولة ما هم فيه من كثر الرماية ، حتى كان تصال الرِّصاص إلى الكاوش ، وإلى بيت الحكومة ، وإلى بعض الأسواق وإلى الشوارع وإذا[2] العِشا ضربت رصاصة منهم في جدر صرح الجامع ، ورأوا ذلك وسمعوا أكثر الناس ، وما كان يقع الرماية إلاّ تعاشير يعني دفعة واحدة / والعشي[3] تنصيرة في المدينة بأمر الدولة ، ما لها رأس ، وإنما قصدهم إختبار الناس ، وإدخال الشُّحنا فيما بين القبائل وأهل صنعاء ، حين علموا أن ما قصد القبائل والقائم إلاّ هم ، وتيقنوا أن الإمام لا زال يحرض جميع الأنام بعدم مضاررة أهل صنعاء ، فإنهم محكوم عليهم تحت وطأة الأتراك ، فزادهم ذلك عليهم إغاظة وتأليماً .

ولا زالت المطارح حول المدينة باقية في كل قرية مئات ، وأما المشير الذي بيهتفوا له ، وبوصوله من حجة ، فلم بدا منه بادي ، ولعله من نفسه في شغل شاغل أشغل من مشغوله ذات ألخ[4] ولعله قد سلّم فلوساً ، وابتاع له بعض المقادمة ، حتى خرج منها ، وتوجه غرب نحو تهامة ، من حيث لم تم له مراد ، وأتوه خلقاً آخرين يحاصروه وكل محل فيه العجم محاصر ، وكل محاصر[5] وأما الضعفاء في البلد فما في يدهم نفد ، وأكثرهم منها قد شدَّ وشرد إلى الحوازات ، وأرسلوا الدولة للأغنياء في الروضة ، وعرفوهم أن من اعتذر من دخوله ، فقد أباح ماله وسيفتحوا بيته ، فدخلوا ناس مثل محمد بن يحيى مكي ، والعنسي ، وأجبروهم على أن يخرجوا الطعام الذي معهم للفقراء والمساكين بالقيمة ، وأنزلوا معهم من يفتش عليهم بيوتهم ومخازينهم ، وأخرجوا الطعام ، فما كان من حنطة فأخذوه لنفوسهم ، وما كان من علس[6] وقلاً وعدس فللضعفاء والمساكين بالقيمة ،

---

(١) الثمان الأيام .
(٢) كذا في المخطوطة ولعله أذان .
(٣) المساء .
(٤) المثل هو « اشغل من ذات النحيين » وهي إمرأة كانت تحمل قربتين سمن وعسل فجاء أحدهم إلخ أنظره في المستقصى ١٩٧/١ .
(٥) بياض في الأصل .
(٦) نوع جيد من البر .

واغتصبوا جميع الأثل الذي في شعوب وغيره حُر[1] ووقف ، وقطعوا ، وتركوا الشذب حقه والهمل للمساكين ، وشدوه إلى بيوتهم وأفرانهم ومطابخهم ، فمن لاحَقَ[2] للقيمة وعزم أعطوه عشرها ، ومن تراخى عَدِمِها ، وأخربوا الجدرات التي بالقرب من الدوائر ، ليتحصنوا في المدينة ، وأما الخروج فمستحيل ، والله سبحانه يفرج على عباده ، ويجلي هذه الشدة فقد بلغت القلوب الحناجر .

ولما شاهدنا فعالهم في إستخراج الطعام من البيوت والمخازين ، وإذا قصدهم صلاح نفوسهم ، ولكن ما بيظهر إلاّ صلاح المساكين ، وفتحوا بيوت الناس والمخازين ، فلما فتحوا بيت العنسي ، وأخذوا منه نحو مئة قدح ، بعضها شعير وبر ، وبعضها قِلّا[3] يوم الثلوث ٢٠ محرم ، بعد أن أخرجوا قبله حق بيت محمد مكي وجعلوا الجميع يطلع إلى السمسرة ذكروا أن طلوعه مصلحة ، وأنه بيقع مغادرة[4] في سوق الحب من المفاودين ، ومظالمة بين الناس فأهْمَوا[5] في السمسرة عند وسيم الجمروك حق بيت مكي الحنطة ، ووعدوا المساكين ليوم ثاني وقصّدوا[6] بينهم بعض القلاّ حق العنسي . ويوم ثاني أهْموا حتى الحاج علي السنيدار سَمْراء وشعيراً ، وفرّقوا للمساكين بقية القلاّ ، وخلوا لهم جميع الشعير والحنطة ، وطلعوا جميع المساكين يشتكوا على إسماعيل باشا الذي نصبوه والي بعد موت إسماعيل حافظ ، فأجاب عليهم بما يشفي قلوبهم أن كل ما أخرجوه من البيوت ، فهو لهم ، وإن الدولة مستغنية ما قصدها إلاّ إصلاح أمور الضعفاء والمساكين ، وأرسل معهم الياوار يقنع الجمروك من أخذ الحب ، وأنه يصير كله للمساكين ، ونزلوا جميع ووصلوا السمسرة فلم يجدوا وسيم ، فصار يدوّر له الياوار في بئر العزب ووعد الناس إلى يوم ثاني ، وهو في سوق الملح وسيم موجود ولكن (أقول شام والمراد عراق) جعلوا المساكين وصْلة وسبباً لأخذ الحب ، ولا زالوا كذلك ونحن مشاهدين ، ويفعلوا كذلك ونحن حاضرين .

وليلة السبت نصّرت جميع الحوازات شرقاً وغرباً يمناً وشاماً . قيل لأخذ مَفْحَق مرة أخرى ، لأنهم أخذوه العرب أولاً وتركوه خالياً بعد أن أخذوا ما فيه كما ذكرنا سابقاً ، وهبطوا إليه الأتراك نحو مئتين نفر ، ورجعوا العرب ورئيسهم البطل الهمام المقدام / السيد أحمد

---

(١) المال الحر الذي لا يملكه الوقف .
(٢) تابع .
(٣) عتر يابس .
(٤) غدر .
(٥) أخفوه .
(٦) قسطوا .

الشرعي ، رجع عليهم وسمَّ[1] الماء الذي لديهم ، حتى خرجوا إلى قيد الأسر ، وسلَّموا جميع سلاحهم إليه ، ونزل بعضهم قيل إلى حدة وهذه الأخبار . والمزبور[2] من أول شهر محرم إنما هيه أخبار متواترة ، لأن قد انقطع لداخل والخارج إلاَّ نادراً يدخل ويخرج متغرراً[3] والمكاتبات انقطعت داخلة وخارجة ، ولا سيما العرب فإنهم حرَّجوا غاية التحريج على كل من خرج ببسطته ، ومن دخل إلى صنعاء ومعه بسطة ، ويعذبوه غاية العذاب ، ويعزروه أشنع التعزيز ، فمن جملتهم سيدنا حمود ، كان إمام في صلاح الدين[4] وبعد صار عند الكبارات من الجلساء والأدباء ويحفظ الغرر من الأشعار ، ويجالس أهل المجالس الكبار ، وخرج ببسطة ولقيوه في الروضة ، وضربوه وعَزَّروه وما نَصَروه ، وتكرر ضربة مراراً حتى تمنى الفرارر وعقبه[5] رجل مسكين[6] محمد بن محمد المسوري المنحِّس يشتغل بالنحاس ، وخرج ببسطة ولقيوه في (حدة) ووقع له بضعفه وفقره وقل جهده ، وآخره حَلَقوا ذقنه ودخل صنعاء على تلك الحال ، وحسين حبلة حارس في صنعاء من حرس السوق ، وأصله من الروضة وقد لقيوه مراراً ، ويطلقوه وآخره ربطوه وضربوه أشد ضرباً .

ويوم الجمعة سلخ محرم قَرَّبوا أحد العرب الذين في نقم ، ورموا إلى عرضي المدافع وقتلوا ، فغضبوا الأتراك وأرسلوا الزبطية على من في نقم ، وصادف أنهم كانوا في ذلك اليوم مقلة[7] في الجبل ، قيل أنهم نزلوا يصلُّوا في جامع الروضة شوقاً لجمعة آل القاسم وسماع الخطبة لأن قد كان يسعوا إليها من كثير من الجهات ، مثل شعوب وسعوان والجراف وغيره ، وعَقِب خروج الزبطية خروج الأتراك فتعلُّوا[8] العرب إلى المنظر حق نقم ، قيل لقلهم ، وقيل أنهم كانوا يريد الغدر بتوسيط الزبطية ، وأقبلت الغارات من كل جانب ومكان ، ولما نظروهم الأتراك بالنواظير صفروا[9] لأصحابهم بالنفير ، فرجعوا ودخلوا من باب سِتْران قبل الصلاة حق الجمعة ، وكان يرموهم بالمدافع ، والله المدافع إلى عصر ، وكف الحرب ، ولا زالوا الضعفاء من أهل صنعاء يفِرُّوا إلى البوادي بأهليهم وأولادهم لعدم

---

(١) سمم .
(٢) المزبر المدون زبر الكتاب كَتَبه .
(٣) مغرر به .
(٤) من المساجد سيأتي ذكره في المعجم الملحق بالكتاب .
(٥) لحقه .
(٦) كذا .
(٧) قليل .
(٨) ارتفعوا .
(٩) أطلقوا أصواتاً من صفارة .

كل شيء في صنعاء ، وقل ما في أيديهم ، والله يلطف بالجميع ، ويفرج على كل أحد رفيع ووضيع ، أنه سميع قريب .

ولا بقي في هذه الأيام للأتراك عمل إلّا يترقّبوا إلى أهل صنعاء الفرص ، ويجرعوهم الغصص ، ويحرجون عليهم في الأبواب لا يخرج أحد من الباب ، حتى الجنايز عسرت عليهم الخرجة للمِقْبَارْ ، حتى قالوا في بعض الأيام لا يخرج مع الجنازة إلّا أربعة . أخبرني الذي قيل له يحيى الرضي ، وأما الداخل فأشد إذا كان هو صنعاني جاء من الحواز ، بعضهم يفتشوه ، وبعضهم يردُّوه ، وبعضهم يحبسوه ، وبعضهم يضربوه ، وبعضهم يتهدّدوه[1] ويأخذوا منه فلوساً ، كل مختلس على انفراده ، وعلى كم ما مراده ، فإنه دخل من الوادي الحاج محمد العيني ، وأحمد الصايدي ، وبقوا يومين في صنعاء ، وخرجوا وقبضوهم في باب السباح ، وأخذوا ما معهم من أداة ومصروف ، وأطلعوهم الكاوش وما وقع إلّا إطلاقهم آخر النهار إلّا بخمسة قروش حجر ، للميم باشة ومن حوله ، وربع ثمن للبوّاب ، غير ما أخذه عليهم بنحو قرش ونصف تِيْنْ وقشر وحوايج وأبي[2] لطف الصوعي ضربوه ، جاء من الجهة العدنية ، ولا له ذنب ولا أيّة[3] وحبسوه ، وحبسوا الفقيه العلامة عبد الله الحضوري وغيره من غير لا حجة ولا ذنب / .

وصبح الإثنين ٣ صفر وما يوم الإثنين كأنّه يوم حنين في لقاء الجمعين خرجوا الأتراك بعد أن ضبطوا وختموا على الخروج للقدوم على الروضة وقد سبق الأعذار والأنذار لمن فيها من الجيش والمخترفين[4] وكانت طريقهم الطريق الغربية طريق الجراف ووصلوا إلى جبل القرعة الذي غربي الجراف وحطوا فيه وجسُّوا الطرق بالنواظير وسرحوا قُدَّامهم[5] الخيالة والجواسيس فلم يجدوا هنالك حياً ولا أنيس ، ولم يهمكوا[6] على القدوم إلى ميدان الموت وخوضه ، ولا ما ختموا عليه من الوصول إلى الروضة ، وكانوا يرموا من ذلك الجبل إلى الجراف وخربوا فيه بيوت . وبعض نُوَبْ وتسامعت الرتب من العرب ، وكل بطل للحرب وثب ، ولما تقرر هنالك في حيد الجراف الحرب أنشأوا العرب محرب آخر ، من حمية في نقم ونزلوا إلى لكمة الزبيب وإلى الهشاش ، وإلى مسجد نقم وجَرَوْا إلى ظهر الحمار ،

---

(١) خ يتهدوه.
(٢) من عادة أهل صنعاء وغيرهم من أهل اليمن أن يقال للرجل المسن أبي تقديراً له وإجلالاً .
(٣) لا له ولا عليه .
(٤) المصطافين سبق شرحه .
(٥) أمامهم .
(٦) يجرأوا .

والتقوهم الأتراك بالرماية بالمدافع من العرضي والقصر والبنادق من هنالك ، ولم أمكن الخروج من المدينة ولا نفر ، وكان ذلك لهم المستقر والذين في الدواير القبلية بيرموا على حالهم إلى ظهر الحمار ، وإلى كل جهة يحموا على من في البر ، ولم سكن القارح دقيقة واحدة حتى أظلم الهوا وأغبر ، من حمرى العلب إلى نقم ، إلى صنعاء إلى شعوب ، إلى الحشيشة إلى الحراب ، إلى قاع ذهبان والكولة هذا محط الحرب في ذلك اليوم ، والتحاضير والصَّولة ولم بلغوا المأمول بما أشعروا به إلى الرَّوضة من الوصول لكثرة القوم ، وإقدام الفحول إلى أذان الظهر والقبائل مرجِّين[1] هجوم العساكر الشاهانية حسب القاعدة الخاقانية أنهم يرموا بالمدافع مدة ، فإذا لم يجيبهم أحد هجموا على المحل مثل ما وقع في الجردا ، فلم زِدْ لَهُم تأتي ، وأقبلت الغواير من كل جهة وقدموا لهم إلى جبل القرعة فزحفوا عدني ، وزقموا مكانهم ، ولا شعروا إلا بتعشيرة كبيرة من نقم نحو تعشيرة الألف ، ولعلهم عرضه واتصلت آخرها بأولها ، ففزعوا جميع السامعين وتخيل لهم ، إن قد القبائل دخلوا القصر وزحفوا القبائل نحو الأتراك إلى غربي الحَصَبة ، وتقارب الجيشان ، وترائى الجمعان رأي عيان ، ولم بقي بينهم إلا بلغ الميْضاف[2] وقلقوا الأتراك على المدافع ، فجُرّتْ نحو صنعاء ، وبقي الحرب بالبنادق وغزرت العرب نحو العجم وباتت فيهم الكسيرة ، ولحقتهم العرب إلى السَّواد الذي غربي شعوب ، ولكن العجم بيحربوا في حال المسير ، وكلما مضت زمرة تبعتها زمرة أخرى ، ودخلوا صنعاء عقيب العصر ، وحرب نقم في حالة بعد تلك التعشيرة والمدافع تخدم ، ما سكنت دقيقة واحدة من كل مكان من القصر والعرضي ونوب الدوائر إلى باب الروم ، كلها فيها مدافع والذي خرجوا بهن قيل ستة مدافع ، وقيل أربعة ، وجملة القوارح بهن نحو ألف قارح ، قيل إن كل ضربة بذهبية بستة ونصف [قرش] وإذا هية بستة آلاف وخمس مئة / .

ووقعت تلك الليلة في جميع الحواز العدني والقبلي وغيره تناصير كبيرة لأنها وقعت الغالبة للعرب في المحرب ولو علموا أن الترك على عدم الهجوم قد ختموا لما فلتوا بل هم كانوا منتظرين الهجوم إلى وسط الجراف فلما تيقنوا ذلك عقيب الظهر سارعوا جميعهم إلى هنالك ، حتى التقوا وتراؤا عياناً ، ولما رأى الأتراك من العرب تلك الوثبة صَفَّروا بالنفير للمدافع ، بالهربة لأنها عندهم أظن من نفوسهم ، ولولاهن ما بقيوا في اليمن ، بل ما دخلوه

---

(١) منتظرين .

(٢) وهو النضف آلة يستعملها الزراع لإخافة الطيور .

من أول الزمن ، ولكن الفِعْل لهن كيف كان يرموا بهن ، من دواير صنعاء القبلية ومن القصر إلى الحشيشية ، وإلى السَّواد وإلى جبل القرعة ، والسبب النواظير معهم ، مع كل مدفع يرى القوم من حيث لا نراهم ، وكيف هذه الرماية الذي لا تخطي ، لولا من الله سبحانه الحماية لما يفوتهم أحد ، فلما صفروا لهم بِجُرتْ المدافع هربوا بها الطُباشية ، نحو المدينة من حيث ما خرجوا ، حتى أنها وصلت المدافع باب الروم ، وعاد الترك عند القوم في الحَصَبة ، وحَرَّجوا على جميع المتفرجين ، لا يخرج أحد ، ولا يطلع منهم إلى الدواير أحد لشيء في نفوسهم ، أما لا يظهر ما وقع منهم من قتلى وجرحى ، أو لا يقع غدره في غفلة ، لأن القلق حاصل معهم من صنعاء وأهلها ، وما ذاك إلاَّ كتاب الله ، وإلاَّ فصاحب صنعاء مثل حاله كما قيل « إنها تجمعهم طاسة[1] وتفرقهم عصا » ولكن قد صار أكثرهم الآن ملازمين لتلاوة القرآن ليلاً ونهاراً في جميع المساجد ولا سيما « يس » في كل مسجد بعد صلاة المغرب ، والله سبحانه لا يضيع عمل عامل ، سيما الأيتام والأرامل ، وأحربوا في ذلك اليوم معاهم النَّصارى ، وقيل أنه راح منهم من النصارى غير ما هو من الأتراك ، ولكن مع ما وقع من اليساك[2] ما ظهركم القدر ، فإنهم كان يدخلوا الجرحى إلى الأستخانة[3] وما يظهر إلاَّ لهم ، والقتلى يدفنوهم مكانهم حسب عادتهم حتى قيل أنهم إذا وجدوا أحد جريح ماعد يرجى سلامته دفنوه مكانته خشية العار ، وقد كان أجمعوا أهل مجالسهم ومشوراتهم أنه يكون الحرب ثلاثة أيام مستمرة لأجل يتبين الصَّلاح من الفساد ، فلما وقع ما ذكر الغوا ما أجمعوا عليه ، وقنع كل أحد بما كان لديه ، وتبين العجز من ذلك اليوم بعدم الهجوم المعتاد والمعلوم ، وما دخلوا المدينة إلا بشق النفس ، لأنه لما تبين للقبائل عدم الهجوم هجموا القبائل على الأتراك إلى الصحراء ، مظهرين السرور والبشرى ، والأتراك حسُّوا أن مالهم منهم مكابرة[4] هربوا بالمدافع أولاً وبقوا يحربوا في حال الكسيرة ، وما زِدْ حموا عليهم إلاَّ من الدواير حق المدينة بالمدافع ، ومن القصر ، ونوبة الزوة ، ونوبة الخندق ، وباب الشقاديف ، وباب الروم ، وهؤلاء كانوا يرموا جميع بالمدافع والأتراك يهرولوا جرياً نحو الباب ، وقد عمي منهم الصواب ، واشتاق لهم الطلاب ، وأكثر ما جَرَّأهم على الكسيرة عدم إكتراث العرب من فعل المدافع ، وحملوا عليهم كالسوافع ميقنين أن الله المدافع للمدافع ، ولما رأى كبيرهم إسماعيل باشا الوكيل عن المشير ، حملت العرب أمر أهل

---

(١) الطاسة طبل كبيرة على شكل طاسة .
(٢) منع التجول وهي لفظة تركية .
(٣) كأنها المستشفى .
(٤) قدرة .

النفور في بئر العزب أن يَصِيحُوا لهم الهرب الهرب ، ولعل إن قد أثرت فيهم تلك الوقعة قيل ذهب فيها بُلُكْ[1] دفعة وقيل ستة من العرب قتلى وقيل أقل وقيل أكثر فيهم ابن دهره من بني الحارث ، شيخ والباقي من جدر ومن أرحب[2] .

وليلة الربوع وقع في الجراف والروضة تنصيرة أخرى ، وشاعت الأخبار في صنعاء أنها أخذت حجة ، وقيل أخذ قفل شمر ، وقيل أخذ أحمد رشدي وكل أحد يخبر بهواه .

والله أعلم / ولكن العسكر الذي في الجراف ، والروضة من العرب بيشغلوا الطُّرق ، والناس من بُدَّة[3] غيرهم ، فكل العساكر الذي في جميع الحواز سليمين الشر ، كثيرين الخير ، لم قد ظهر منهم ما ينفر العباد ، بل سعيهم صلاحاً في البلاد ، إلَّا شرذمة من هؤلاء، فقد لاحت لهم الفرصة في النَّهب والذَّرب ، ولعلهم أفراد أشرار ، وغالبهم في هذه المحلِّين أخيار ، ولكن الأعمال بالنيات ، لا بد يوقعهم الله في أعمالهم ، والإمام والمقادمة لعلهم لا يرضون بذلك ، ولكن معرَّة الجيش تأتي بما هنالك ، فأنهم لا يصير يوم إلَّا وقد صدر منهم غير ما يرضي الله والإمام ، وقد أخذ بيت عرهب بما فيه من نجارة ، وحب وزِدْ فعلوا في صاحب البيت وفي ولده فعل ، وأخذوا أيضاً نجارة بيت النّعماني بعد [ما] جلسبوا فيه ، ولما فعلت فيه المدافع بعض الخراب أصَّلوه إلى الذهاب .

ويوم الجمعة قد كان شرع المحرب[4] في نقم بين أصحاب الإمام والأتراك ، وضربت المدافع من العرضي والقصر ، وخرجوا جميع الزِّبطية ، وطلعوا إلى مكان أصحاب الإمام إلى لكمة الهندي ، لأن الذي كانوا في نقم من أصحاب الإمام شيء يسير ، ولكنهم لا زالوا كل يوم يشاغلوا من في القصر والعرضي بالرماية والقتل ، وضميرهم أنهم يشتوا الزِّبطية يوسطوا ، لأن أكثر الأفعال الشنيعة منهم ، فلحقوهم الزبطية فصعدوا الجبل ، وأقبلت لهم الغارة بسرعة ، فلما حَسُّوها الزبطية رجعوا القهقرى ، وسكن الحرب بعد أن كان نشا ، ونحن نشاء والله يحكم ما يشاء .

وليلة السبت طلعت القبائل إلى رأس نقم للصِّياح والصوايل وبقوا يحضرٍّوا[5] بالمرافع[6] ويجددوا من الغوائر ويعشّروا بالبنادق ، ويغيضوا عدوهم من فوق رأسه من الشواهق ، ولم

---

(١) مرة واحدة .
(٢) بياض في الأصل .
(٣) من دون .
(٤) الحرب .
(٥) يضربوا .
(٦) طبل صغير .

يجيبوهم لا بالمدافع ولا ببنادق ، ولكنه فعل للأغاضة موافق .

وليلة الثلوث وقعت تَنْصيرة في جميع الحوازات في القرى ، وفي بعض الجبال في السَّواد الغربي ، والسواد العدني ، فيه نحو ثمان تناصير ، كبار متقاربات كأسنان المشط ، وبعد هذه التناصير ضربت عندهم المرافع ، وبدعت بالبنادق التعاشير الذي لا زِدْ كَفَّت[1] من محلين من حمرا العلب ، ومن رأس نقم ، حتى ظننا أن قد سيدخلوا المدينة بسلام ، وبعد ضربت نحوهم المدافع نحو ست ضربات من القصر والعرضي[2] وحال تلك التعاشير ، رأيت مثلها وكعددها ، قام الذخير[3] من رأس جبل عصر من غربي ، ولكن ما سمعت لذلك الذّخير قارح أبداً ، ما أدري ما السبب ؟ وما أظنها لا إمارية بين القوم الغربية والشرقية ، ولم قد ظهر حال الرقم ما هوه لأن الرقم عقيب التعشيرة ، والأخبار مقطوعة ، وهذا الوعد اشتد الحال على جميع الناس سيما الضعفاء ، وعدمت أنواع الطعامات ، وغلت الأسعار وصل الشعير قدح إلاّ ربع ، غير موجود ، والحنطة ربع قدح ، وأربعة أنفار خمسة أنفار ، والبلسن والذرة نصف وثمن ، والعلس قدح إلاّ ثمن ، وكل ذلك ينقص الربع في الكيل إذا كان الكيَّال من سوق الحب ، ومع كثرة الناس والحاجة ما بقي وسواس مع أحد إذا وصل عنده عيد ، لا حول ولا قوة إلا بالله .

وأما خارج صنعاء في كل الجهات فنعم متواليات ، وأسعار مترخِّصات ولكنَّ المذنبين بمجاورة . .[4] وقد هربوا أكثر الضعفاء غير المحترفين والهاربين السابقين ، وقفرة[5] الأسواق ، ما بقي في كل سوق فاتحين إلاّ العشر ، وقدر الغافلين[6] نحو النصف أو يزيدون ، نسأل الله اللطف فيما قضاه الله علينا وأمضاه واختاره لنا بسبب ذنوبنا وارتضاه/ .

ومن أول صفر ظهر من قلوب العجم كل ما كان مضمر ، وبان منهم الحوب والإِحَنْ القديمة التي في القلوب على جميع العرب ، سيّما أهل صنعاء فأنها خيمت وعمتهم منهم الكرب ، وتشعّبت لهم الآراء ، وبعضهم عدم الكرى[7] وما بقي معهم ولا قَصْد[8] أعينهم

(١) انتهت سكتت .
(٢) بياض في الأصل .
(٣) إطلاق النار .
(٤) فراغ في الأصل .
(٥) أي أصبحت كالقفر فارغة .
(٦) المتغيبين .
(٧) لذة النوم .
(٨) أمام .

إلا هُم ، حتى أنهم يِّسكوا[1] عليهم في المدينة لا أحد يخرج منهم من باب لا دُوَّار ولا ''بويه زوار ، ولا من المدينة إلى الحواز فرار ، وبعد هول وشفاعة الشافعين فسحوا للمساكين من الجوع بالفرار ، ولكن كان يعذبوهم بالفِتَّاش[2] عليهم في الأبواب ، وكل من وجدوا معه قليل مصروف[3] أخذوه ويقولوا « هو سَيَخْرجه للحرامية » يعني القبائل ، وكل من أتى من بادية من أي من أي جهة قبضوا عليه وحبسوه ، ولو كان أهله في صنعاء وهو ما سار[4] إلَّا يأتي لهم بما يسد رمقهم كونه جاء من عند القبائل ، والسر الغامض عندهم تعذيبهم لكون ما أحد من القبائل بينا لهم بشر ، بل أن جميع القبائل في البوادي متسخرين لهم بالعطاء ، وأكثر العسكر الذي في الطرق جميع بيزد يعينوا الخارجين بحمل أولادهم رحمة لهم إلَّا قليل من في حواز الروضة من أشرار وفجار ، من « . . . . » فأنهم إذا لاحت لهم الفرصة في نهب شيء نهبوا . قبحهم الله .

والسبب في ذلك تحري العناية منهم للضعفاء . . .[5] وفي ذهن الترك أنهم العرب جميع على شور[6] واحد وأهل صنعاء منهم كونهم ما بينالوهم بسوء ما كان يرضيهم إلَّا نهبهم ، ويأبى الله أن القائم[7] .

ويوم الثلوث حادي عشر صفر نزلوا جماعة من الأتراك والرئيس يسمَّروا الحناويت[8] والمخازين حق أهل الجراف ، ما كان قصدهم إلا أخذ ما معهم فيهن وأن القانون : من قرح المدفع إليه فقد استحلوا ما معه ، وعاد الخوض في أهل صنعاء الذي كانوا مخترفين في الجراف ، الترك يريدوا ذلك ، وأهل صنعاء بيراجعوا فيهم كونهم مخترقين لا ذنب لهم .

وأما الذي في لكمة الهندي فقد كثرت أسمائه ، كل أحد يسميه العايد[9] والمعتكف والمتصيّد لأنه باقي على تلك الحال من أول الحوزة لا يبرح من ذلك المكان إلا إذا كان الليل ، وما يجيء الفجر إلا وهو هنالك ، وكل يوم له قتلى في القصر والعرضي حتى أن قد

---

(١) من اليسك هو حضر المشي وهي لفظة تركية .
(٢) التفتيش .
(٣) نفقات . زاد .
(٤) ذهب .
(٥) بياض في الأصل .
(٦) رأي .
(٧) بياض .
(٨) الحوانيت سبق ذكره .
(٩) ذكر هذا الرجل المؤرخ العرشي في بهجة السرور بتوسع وانظر في كتاب المؤرخ زبارة أئمة اليمن ج١ ص٤٤ .

خلاهم يتجوبوا[1] القصر بتجاويب لِبِن[2] وأملوا آلاف الأكياس تراب متاريس لما بيصال من الرِّصاص وفي هذه الثلاثة الأيام الخميس والجمعة والسبت ، خرج من صنعاء نحو الرّبع من الضعفاء والمساكين ، لأنه وقع تنبيه أن من مراده يخرج فما عاد لهم أمان سواها ، فخرج كل من لم يَجِد ، ومع رحلة الناس توجّد قليل الحطب ، وأما الحب والسمن والقشر فقليلاً جداً ، وأكثر ما كان يقع بدل السمن سليط الجلجلان[3] للمتمكنين[4] وأما المساكين فإذا قد وجد الحب ، فهو البغية والمطلب ، وبعضهم كان يبيت طاوياً ، لا حول ولا قوة ، والآن البر ربع قدح ونصف الثمن والشّعير مثني ، وإذا قد وجد سهل فمهني

وليلة الجمعة أقبلت العرب أول الليل ، بعد أن مضَتْ ساعتين ، ووصلوا إلى الهشاش[5] وإلى المسجد حق نقم وغيره ، وعشروا تعشيرة كبيرة وبعد بقيوا يرموا إلى القصر وينظروا ما عند[6] من فيه ، هل من خروج ، وهل فيه للدخول لهم من فروج ، ولم أمكت الأتراك أن يتحركوا / من مكانهم وإنما كأنهم أموات وعظاماً رفات ، ولا رموا بشيء إلّا آخر العمل رموا برصاصة مدفع ، بعد أن قد رجعوا القبائل .

وليلة ثاني ليلة السبت نصف شهر صفر أقبلوا جميع كل بطل وغضنفر ، حتى ملأوا نقم وجميع الآكام والمشهد، وظهر الحمار، إلى لكمة الزبيب والغولة ، ولعلهم كان يريدوا دخول القصر ، وقد مضى من الليل ثلثاه ، وبقوا يحربوا من جميع تلك الجهات المذكورة ، ورايات التّرك قدهن منكوسة ومدبورة ، أنزلوا نحو ستة سبعة مدافع وعساكر من النظام ، ونزلوا إلى الزّمر ، وملأوا تلك الحارة ، ولأهلها أفزعوا ، وجلسوا في المحوكة إلى باب شعوب ، ووجهوا تلك المدافع نحو الباب في ذهنهم أنهم سيدخلوا عليهم الباب ، وأملوا الدواير القبلية من العساكر السلطانية ، وما قصد الأجناد الأمامية إلّا أخذ القصر ، هو المشار إليه بالبنان والمضمر بالنية ، وأما أنهم أجابوهم أو خرجوا نحوهم ، فلا إلا ضربة مدفع واحدة كما في الليلة الماضية ، إلى أن أصبح الصبح ، وأما التناصير فأكثر الليالي في الرّوضة ، وجميع الحواز ، ولكن مع قطع المسافرين الداخلين ، فلم يظهر لنا خبر إلّا أخبار ما يمكن رقمها لاختلافها وبعضها تصح وبعضها لا تصح ، وأما الكاين والمجمع عليه ، فقد أعظم القتال الآن في الحيمة وحراز وحجرة بن مهدي ، والسّبب أن الأتراك الذي كانوا في

---

(١) التجاويب هي زوايد تبني على النوافذ .
(٢) طوب من تراب .
(٣) السمسم .
(٤) الأغنياء .
(٥) موضع قريب من صنعاء .
(٦) أي ما عندهم من القوة .

حجة رجع بعضهم تهامة وطلعوا نحو حراز ، كان مرادهم الغارة إلى صنعاء فحالت بينهم الحجب ، وتهافتت نحوهم أكثر العرب ، من عند سيدي محمد بن الإمام المتوكل من سنحان ، ومن عند أخيه من الروضة ، ومن كل جهة ، فحازوهم في الحجرة ، ووقع بينهم قتلة مغبرة ولعلهم وصلوا بالفيد والغنائم والملازيم إلى الروضة ، وأما الجهة العدنية فقد أجلوا من فيها ، آخرهم قائم مقام ذمار ، والحاكم القاضي أحمد بن حسن الصديق قيل رحلوا بهم نحو الإمام ، وقيل بقوهم في سنحان عند سيدي محمد بن المتوكل ، وأخذوا ما في ذمار من الطعام والنقد ، وكذلك يريم كفل ما فيها السيد[1] نجيم ، وآنس كفلوا معقلها أهلها ، ووصلوا مجاهدين إلى الحجرة ، وأما الباشا الذي خرج أحسن أديب ، فلم أحد زِدْ وقف له على خبر ، وما عدلوا من حجة نحو تهامة وطلعوا حراز إلاّ بعد أن قدموا على الطريق الذي من شرس ، يريدوا عمران وصنعاء ، والتقوهم في شرس ، ووقع بينهم قتلة لا تعد قتلاها ولا تحصر ، ورجع الباقين حجة يحاصر ، وأما الخارجين من صنعاء ، فلم كان يخلوهم الأتراك يخرجوا بشيء من المصّرفات ، ولو كان قليل نحو وقية تتن أو وقية قشر ، أو وقية سليط ، وما هي إلاّ عداوة وغضاضة[2] للعرب كان يغيضهم كون أهل صنعاءبيخرجوا عند القبائل والمقادمة ولا أحد ينكّيهم[3] بشيء أو يدخلوا من عندهم شيء فيستغيضوا من ذلك ، وما مرادهم إلاّ يقع بأهل صنعاء من القبائل ما بيقع بهم ، وكيف يقع ذلك ؟ والله سبحانه رؤوف بهم، وهم المغضوب عليهم، ففعلوا بهم ذلك والله فوق كل ذي علم عليم/ .

وليلة الأحد وهي الثالثة ليلة ، وصلوا نصف الليل على عادتهم مصمّمين على الدخول ، وصلوا تلك المحلات المذكورة في الليلة الأولة ، وناوشوا من في القصر بالحرب ، فلم يجيبوهم ، فقربوا حتى طرحوا في لكمة القاضي ، التي بالقرب من باب سِتْران وفي ظهر لكمة الطاحون ، وفي المقبرة القبلية التي مساوية للبكيرية من شرقي المشهد ، وفي باب شعوب حيثما يبرم النجار الفتلة ، فلما رأوا ذلك الأتراك فزعوا فزعاً عظيماً وأيقنوا أنها القاضية عليهم فرموهم رماية من لا يرجى الحياة ، من الدواير والقصر والصوامع الأربع صلاح الدين والمدرسة والمرادية والبكير ، وكذلك بالمدافع ، ولولا الله سبحانه مدافع ، لما منهم أحد براجع ، واكتف[4] الحرب فجر إلى طلوع الشمس ، وخرجوا الأتراك متأبطين شراً ، وصعدوا إلى الجبل إلى لكمة الهندي والمخلصة

---

(١) بيض المؤلف لإسمه .

(٢) لعلها فضاضة .

(٣) سبق شرحه .

(٤) إنتهى .

والهشاش ، وظهر الحمار ، مكان ما يقعدوا القبائل وفي ذهنهم كسرناهم[1] والقبائل مقلة صعدوا إلى المنظر حق نقم ، واستجروهم بحرب ، والغواير[2] أقبلت من كل نايف من يمناً وشاماً ، واستطال المحرب من صبح ذلك اليوم إلى بين العشايين ، إلاَّ أنهم اكتسروا الترك والزَّبطية بين الظهر والعصر ، الكسيرة الأولة الخيالة ، والزبطية المدفع الصغير ، خرج بهم علي باشا ، ورتبهم في ظهر الحمار ، فأقبلت غارة سعوان فقشعوهم[3] من ذلك المكان ، إلى أن أدخلوهم من باب سِتْران ، والغارة الثانية أقبلت من الجهة العدنية ، من لكمة الجزارين ، وكان يرموهم بالمدافع من العرضي والقصر ، فلم يرتابوا ، ودخلوا غولة الجويلي ، وأجلوا من في الهشاش والعدني ، وبقي الحرب عند الذي في مسخنة ، فنزلت غارة نقم ، فأجلوهم عصر ، ودخلوا جميع صنعاء ، وقد فيهم من القتل ما فيهم عرب وترك ، من العرب الذي ظهر حالاً مانع الخولاني صاحب بير العزب ، إسمه عند العجم بلك أمينة وآخرين غير مسمايين عندنا هنا . . .[4] ومن العجم قتلى وجرحى وغير ذلك . . .[4] وما كان يقع الحرب الضرير إلا من صنعاء في حال المحرب بالمدافع من كل مكان من القصر ، ومن العرضي ، ومن الدواير يَحَمْوا بهن على أصحابهم ، وإلا فلولاهن لهلكوا الخارجين من العرب والعجم ، ولاقوا القبائل في ذلك اليوم الأحد أشد ما لا قوة المسلمين مع رسُول الله ﷺ في يوم أحد ، وثبتوا وصبروا صبراً لا يوصف ولا يُحد وأبانوا من أنفسهم كل الجلد ، فوالله ما سكن قارح جميع المدافع والبنادق دقيقة واحدة من الصبح إلى عقيب المغرب ، ولا سمعناها ورأيناها إلاَّ تعاشير من المثاة فما فوق ، لا تسكن ، ولما أدخلوهم من الأبواب ، نزلوا القبائل نزلة واحدة حتى قبضوا أماكنهم ، الأولة لكمة الزبيب والهشاش والمخلصة وظهر الحمار ولكمة الهندي ، وما بقوا يحربوا الترك إلا من صنعاء ، وخلوا البر قفر للعرب ، وبقت الحرابة من الدواير والبيوت الكبار ، والصوامع الأربع ، والقصر ، والعرضي بالمدافع والبنادق إلى أن أظلم الليل ، فسبحان المعز لمن يشاء والمذل لمن يشاء وهو على كل شيء قدير ، وما أصبر هؤلاء القبائل على ذلك الحال ، وما أشد رؤيتها على المشاهد كيف الملاقي لها ، ولا سكنت العوائق[5] والتحاضير[6] من العرب ، بل أن عند كل ضربة مدفع يتلقوه بالقفزات[7] وضرب المرافع ومتيّقنين بالشهادة ، وأن الله

(١) هزمناهم .
(٢) النجدة .
(٣) زحزحوهم .
(٤) أسماء أشخاص بيض لها المؤلف لعدم تحققه بها .
(٥) الصراخ .
(٦) الضرب على الطاسة سبق شرحه .
(٧) الوثب .

المدافع ، ولا دخلوا الأتراك بشيء من الجمالات لا راس ولا لزيم من فضل العلي العظيم .

/ وفي هذه الأيام لاحت الفرصة لأولاد السوق والأراذل والسفلة المقربين عند الدولة في شغلة جميع الناس ، العالي والسافل ، وخصوصاً الأماجد الأماثل ، إلى فتح بيوتهم سواء كانوا حاضرين أو غائبين ، وإخراج الطعام على ما ذكرناه أولاً إسماً للمساكين ، وقوتاً للشياطين ، حتى أنهم كانوا يفتحوا كل يوم خمسة ستة بيوت ، وليس يقنعوا بدخول محلات الحبوب كالطبيق[1] بل في آخر هذه الأيام يدخلوا كل مكان حتى بيت النار[2] وأماكن الفراش ، ويعتذروا أن العرب بيفعلوا الحب في الوسايد والفرش ، ويقلبوا الفراش من مكانه ، وقصدهم بذلك أنهم سيلقوا ، إما كتب أو كسوة أو مونة تدل على هلاكهم بالكلية ، وآخر يوم وقع الفِتاش في داود[3] في بيت أحسن لطف الثور ، وبيت الحاج يحيى بن عبد الله الكسَّار ، وزد وقع فيه دلكمة[4] من بعض الأشرار ، وما يعزم لذلك الفتاح إلا جماعة كبيرة منهم الريس ، وبعض البلصات[5] والجمروك ، في بعض الحالات ، والكيالين بالغراير[6] والآلات ، ولا بد من نَجَّار صحبتهم لما عسر فتحة ، والسُّبب سعد السقا وجنبه إثنين ثلاثة أربعة زبانية وثلاثة أربعة من زبانية سوق الحب ، ولكنها جزعت على طغام الشام ، حقيقة لأنهم ختموا على نفوسهم بأوجاد الطعام من صنعاء ، وختموا معهم أهل الإدارة ووقعت هذه البِخيِّقة[7] فنزل أهل صنعاء إلى عند رئيس العلماء السيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي ، وأجاب عليهم بما يشفي صدورهم ، ويذهب غيض قلوبهم ، يوم الثلوث ثامن عشر صفر أنهم يلقوه غداً صبح الربوع إلى شَرَارة ، ويدخلوا عند الباشا جميعاً ، فوقع ذلك فأجاب عليهم إسماعيل باشا الوكيل للولاية في المشيرية ، بأن هذا ما لنا به رضاً وأن أصحابكم الذي ختموا بهذا في الإدارة منهم أهل الإدارة حَاضرين ، فأجابوا إنا ختمنا على فتح بيوت المحتكرين لا بيوت المُعْوِلين[8] ، وعَصَرْها سعد السقا وأهل سوق الحب ، لأن المحتكرين هم من سوق الحب ، وأهل سوق الحب هم الخلاصة ، وهم المقربين ، وهم المتقنظرين ، وهم أهل الفلوس ، وهم أهل الخيل والسلاح ، والخروج

---

(١) جمع طبقة وهو موضع يوضع فيه الحب .
(٢) المطبخ .
(٣) حارة ومسجد في صنعاء سيأتي ذكرها في الملحق .
(٤) لكمات .
(٥) جمع بلص سبق شرحه .
(٦) جمع غرارة معروف .
(٧) التافهة .
(٨) أي أصحاب العوائل .

للقتال كنحو بيت البليلي ، ما تقرح بندق الحرب إلا وهو وأخوه وأولاده السابقون ، وفيهم الحاج سعد الزُّبيدي الذي كان إسمه . . .[1] ولأن شبهوه لِحالة المنصور في وجهه لأنه ضَيَّف ناس وغَدَّاهم في مكان ، وقهواهم في مكان آخر وأدكوا[2] في مكان وعشاهم في مكان آخر ، وسَمَروا في مكان آخر ، فشبهوه الكلاب بذاك ، حمولة الملح تصال مثتين ظهر ، ويسلم ميرتها وينقضها في بيته ، وكلما وصل طعام جيد السوق أخذه لنفسه ، وهو المتقنطر لهم الحنطة والسمن ، ولم أمكن يحاكوا هؤلاء ، ولا يفتحوا لهم بيت كونهم النصرة ، وأعوان السلطان ، ومنعوا تلك الشّنشنة الشنيعة وزدْ منعوا معها تلك السَّاعة فتّاش الناس الخارجين في الأبواب مدة يومين ، ورجعوا يفتشوا والسبب أن ما وجدوه أخذوه لهم ، وما عِلّتَنا سوى العرب المحوشين[3] الجو خلي لهم ، كما قيل (دائي منّي وهو تسبيح حار الماء) .

وليلة الأحد وقعت تنصيرة كبيرة / في جميع الحواز قيل وصلت ثلاث جمال روس [إلى] الروضة والله أعلم وما هي إلاّ عيّنات[4] من العجم ، وقعت القتلة في الحيمة خرجوا من مناخة مصرِّين على وصولهم صنعاء حيث قد تعسرت عليهم جميع الطرق ، فخرجوا ووصل أولهم إلى حول العجز والخميس ، وتغاورت عليهم الغواير ، والتفت الأسود من جميع النجود ، حتى كأن له يبق على وجه الأرض حي إلاّ ما ورد المعركة تلك ، واستحلقوا جميع من بقي من أهل السلاح الشاشخان والمرت ، وغنموا غنيمة كبيرة من السلاح وآلته ، وأعز الله المجاهدين بقوله : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾[5] وتحققت الأخبار في هذا الوعد من العرب ، بل ومن العجم سمعته أنا من تركي كبير باشة يُخْلُوا الجهة العدنية من الأتراك ، وتوليتها من لدى الإمام آنس نفذ إليه الحاج سعد الشرقي نايب ، وذمار السيد[6] ابن أحمد المطاع ويريم السيد . . .[6] الشامي ، ودخلوا المدن ، وواجهت لهم البلاد ، وأجابوهم جميع العباد ، وأخذوا ما كان فيهن من بقية آلات الأتراك من خيام وطعام وذخيرة وسلاح وغير ذلك ، حتى ذكر لنا الأفندي فلان أنهم أحرقوا جميع ما وجدوه في ذمار من الدفاتر والأوراق ، وبقية الأثاث إحراق[7] وصاروا جميع من لدينا يخبثوا علينا ، والله سبحانه

---

(١) كلمة نابية .

(٢) أتكوا .

(٣) المتجمّعين .

(٤) نماذج .

(٥) سورة الروم الآية ٤٧ .

(٦) بياض في الأصل .

(٧) بياض في الأصل قدر سطر .

معنا وبالعناية ناظر إلينا لا يضرنا كيد من آذاناً وهو معنا ، وتقرر عند العجم إن كل من كان من أهل صنعاء غائباً من قبل الحوزة الذي خرجوا للخريف ومن بعد الحوزة الذين هربوا ، المسكين والضعيف إن ما خرجوا إلاَّ محاربين ، وما خرجوا إلا برضا الجالسين ، وإن شور الداخلين والخارجين بدوي وحضري إمام ومأموم ، على ولاء وتدبير ، وهذا رأيهم لهم به إن شاء الله التدمير كلما أهموا[1] بأهل المدينة سوءاً زادهم الله بؤساً « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين »[2] وهذا دأب من أراد بها سوءاً كما ذكرناه من فضلها أولاً لما ورد فيها من أرادها بسوء كبه الله ، ولا زال الدَّرس والتلاوة في كل مسجد بعد كل فريضة وهو السميع العليم وأما الناس فآخر صفر المظفر قد رحلوا قدر ثلاثة أرباع ، وما بقي إلا نحو الربع ، ولا زالوا الباقين يهمُّوا بالخروج والله سبحانه يجعل للجميع من لديه فرجاً ومخرجاً إنه قدير على ما يشاء .

وفي هذين اليومين تحرّكوا الناس لشرف[3] الذرة وصرابها[4] خضرة يكوبوها[5] خشية عليها ، فما كان[7] من أهل بير العزب في جانب الغرب ، فقد مدوا أيديهم إليها في القاع ، ولكنه صدر كلام فاحش من ابن حمَّاد إلى القبائل ، فمنعوا عليها ، وخرج حماد وجماعة معه ، فلم يخلوهم يصلوا إليها ، ووقعت بينهم حرابة يسيرة ، ورجع حماد خائباً ولم يعينوه الدولة بشيء إلاَّ برماية المدفع ، نحو خمس ست ضربات من الداير ، وما كان[6] من أهل داع الخير ، فقد مدوا أيديهم ، ولعله صدر منهم إلى القبائل ما يَغشِّهم ، فمنعوهم ، ودخلوا إلى عند إسماعيل باشا يستغيثوا ، فأغاثهم ببلك ترك ، ومدفع ، فلم يمنع ، وما كان من أملاك[7] أهل صنعاء فوقع من القبائل الأمان لهم إن لا مانع لهم ، فمن له ملك خرج له ، فخرجوا ناس ، وصربوا ورجعوا ، ولكنها عاد هيه خضراء إنما تلافوها خوفاً من الذهاب وللحاجة .

وأما الرماية من نقم فما سكنت ساعة واحدة في هذه الأيام جميع ، لا ليلاً ولا نهاراً ؛ ولا سيما المسمَّى بالمعتكف في لكمة الهندي ، فمن فجر الحنفي[8] إلى عشاء الشافعي لا يسكن ساعة ، وتلك البقعة صارت له كالحانوت والبضاعة ، وإذا لم يحصل له بقارح بندقة

---

(١) هموا .
(٢) سورة آل عمران الآية ٥٤ .
(٣) إزالة أوراق الذرة .
(٤) حصادها .
(٥) يكوموها يجمعوها
(٦) فأما ما كان .
(٧) الأراضي المزروعة .
(٨) من عادة أهل المذهب الحنفي تأخير صلاة الصبح حتى بزوغ الضوء وكذلك الشافعية يؤخروا صلاة العشاء .

قتيل ولا جريح / فهي عند إضاعة وبئست البضاعة فلِلّه دره ما هذه الصناعة[1] .

وفي يومين قامت حفيظة النّاس للصراب ، وليس قد هو أوانه لأن عاد أكثر الذرة مارحة[2] وإنما ملاقاة كون الفتنة قارحة فما كان من الملاك الضّعفاء فَضَربوا بهول وخوف ، وما كان من أهل الصافية وبيت معياد وبير العزب ، وحماد فإنه لقي أشد العذاب ، والبندق قارحة من الجهتين والمدافع من القصر والعرضي تحمي على الصرابة ، والقبائل لم يكترثوا فيها بل بيأخذوا من جانب ، والملاك من جانب .

ويوم الجمعة لعلها وصلت قوم لم سكنت التعاشير من الجهة العدنية ، والعشي ليلة السبت أقبلوا يعشروا من حمراء العلب ومن نقم مراراً عتيدة[3] وكانت تلك الليلة عند العجم ليلة شديدة وكما قال إبن مطحن[4] « وكل باشة يكاد قلبه يطير فهو جدير » فهذه الأيام صَحّ قوله ذلك ووصلنا أكثر ما ذكره هنالك .

وقد أهموا[5] بالخروج يومنا السّبت سلخ صفر ، فلما ظهر ما ذكر من القوم والتّعاشير الليل ألغوا الخروج من ذلك اليوم ، ومالوا إلى الأعتكاف في المحل والصّوم .

وفي هذا اليوم العبوس يوم السّبت سلخ صفر ، شمل وعم المؤمنين البؤس بما تحقّق من الخبر من وفاة السيد الهمام الشهيد الشّريف الغضنفر من جمع الله له بين السعادو والشهادة وغمره الله من فضله بالحسنى وزيادة السيد الشهير والأمير في الجهاد الكبير من لزم الحق المرعي السيد أحمد الشرعي[6] رحمه الله رحمة الأبرار فأصيب بسم ، وقيل سهام في قدومه على حراز في القتلة الكبيرة التي في نصف صفر في حجرة بن مهدي من حراز والحيمة ، وكتب الله له جوار آبائه ، الكرام السابقين له إلى دار السلام بمثل عمله المبرور ، وفعله وإقدامه المشهور لا يتأخّر عن مصاحبة البيرق المنشور في سبيل الله العزيز الغفور ، فإنه أجاد بنفسه لله وفي سبيله ، وإبتغاء لمرضاته حيث رأى جمع العجم الكبير وتحشيدهم للجمهور الغفير ، وإقدامهم جرأة على من قدامهم من العرب ، ومقصدهم بذلك الأقدام

---

(١) خ الصنعاعة .

(٢) مارحة بالحاء المهملة الذرة دون النضوج .

(٣) لعلها عديدة .

(٤) شاعك شعبي وجدت له ملحقة بمجلد تاريخ الحرازي خط المؤلف ملحمة قال فيها هذه قصيدة أنشأها ابن مطحن من بلاد وصاب كما تواترت الأخبار من المختبرين المسافرين إلى ريمة ووصاب أنه أنشاها في سنة ١٢٧٣ وتوفى سنة ١٢٨٠ وهي ملحمة غريبة الوجود وقدرها ثلاثمئة بيت أخرج منها صنوه حسن البعض وكتم الباقي إلى أن تنقضي الأولة ويخرج الباقي حسب وصية صنوه المنشي لها كونها وفيها أمور عجيبة لما كان مستقبلاً إلى آخر الدهر.

(٥) هموا .

(٦) هو أحمد بن محمد الشرعي توسع المؤرخ زبارة في ترجمته (أنظر أئمة اليمن ج١ ص ٨٥) .

بلوغ الأمل والأرب ، ووصولهم إلى عند أصحابهم إلى صنعاء اليمن ، ولو وصلوا إلى مقصدهم لكان فيها نصرهم ، ووهنوا فيها العرب ، وكسرت شوكتهم ويأبى الله ذلك حيث قد زالت أيام إقبالهم ، وحانت منهم أيام أدبارهم ، فبرز إلى ميدان الحرب بنفسه الكريمة طالباً لكسر شوكتهم اللئيمة ، طالباً للفضيلة العظيمة ، فأمده الله بجنود أهل قلوب من الجبن سليمة ، فثبتوا جميعاً ثبات من لا يخشى فراق الدنيا ولا الفوات ، وعقلوا نفوسهم في مواطن الجنان العاليات ، طالبين أعلا مقام فيها ، وما شملت مما أعد الله للمجاهدين من الحور العين ، وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فسعد في ذلك اليوم من سعد ، من القوم وشلت يداً من رماه بسهمه ، وعوجل إلى نار يقاد برغمه ، ونقل إلى حضور للمجارحة وبعد صُلي عليه في قرية القابل ودفن بها .

/ وفي ذلك اليوم خرج الناس من صنعاء أهل الأملاك لصراب أملاكهم الذي في قاع صنعاء حول داع الخير وحمرا العلب .

وقد كان مدُّوا أيديهم في الصِّراب ولم أعترضهم أحدٌ من القوم ، لعلمهم بضعفهم وحاجاتهم ، وقل ما في أيديهم ، وخرج الشيخ علي البليلي ، وبعض الأتراك في ذهنهم يحموا على بيت معياد يصربوا[1] حقهم كونهم أنسابه ، وعندهم رتبة من عند الدولة أتراك وعرب ، فلما رأوا القبائل فعل ذلك الأتراك وخروجهم عليهم ورمايتهم بالمدافع والشاشخان والمَرْت تجارر الحرب وأقبلت الغواير من كل ناحية ، وصار يوماً عسير غباره في الهوى يطير ، حتى أنها ما سكنت البنادق والمدافع دقيقة واحدة ، من الصبح إلى العشي ، وحتى المدافع التي في قبلي دواير صنعاء كان يرموا بها إلى طريق سعوان والسواد ، والسبب أن النواظير كان تَقَرِّب لهم رؤيا الغارة ولم اكترثوا القبائل من تلك المدافع بحيث أني شاهدت بعيني كان تقع الرصاصة حق المدفع بين القوم ، وتقرح القارح الآخر ، ويصيحون حولها بالعوايق فرحاً بها ويأخذونها في تلك الساع حامية ، وأقبلت غارة سعوان كالوعد الأول ، والزبطية في ظهر الحمار ، فشَردوهم شذراً مذراً ، حتى ألجؤهم إلى المشهد ، وبعد خرجوا منه إلى بين الأثل الذي حوله ، وحول فَرْوَة وباب شعوب ، والذي في نقم ثبتوا ثبات من لا يريد الحياة ، وخرجوا أكثر الترك وتقابلوا إلى عصر ، والمدافع ترمي عليهم من كل محلّ ، من العرضي ومن القصر ، ومن الدواير ، والشمس إلى وجوه القبائل كونهم مواجهين للغرب ، ودخلوا الأتراك والزَّبطية عصر قبل الغروب ، ونزلوا القبائل ثبتوا مكانهم في لكمة الزبيب والمسجد ، ولكمة الهندي ، والمخلصة ، والهشاش وغيره ، وما بقي الترك يحربوا

(١) يحصدوا .

إلا منْ الدَّواير والقصر ، ودخلوا برأسين في رؤوس السناجك[1] فرحين بها لأجل لا يقال أنهم دخلوا مكسورين ، فلما وصلوا قرب الباب وإذا الرأسين من أصحابهم .

وقيل واحد والآخر ثاني ، وإذا هو من بير العزب ، رأس ابن المدعي عسكري مع حماد ببندق حماد والآخر قيل إبن عمه من بير العزب ، وقيل آخر فتخازوا أمرهم وطرحوا الرأسين في العرضي ، ودخلوا أهل بير العزب يشتكوا على إسماعيل باشا على أن الأتراك قتلوا أصحابنا ، ونحن منكم وفي طاعتكم ، وهذا لا يليق فأجاب عليهم بما يسكنهم في تلك الساع ، ونزلوا إلى باب اليمن ولقيهم نفرين من صنعاء ابن الناظري وابن الخميسي ، ولعلهم آلموهم[2] بكلمة أو كلمتين ، فتهاوشوا وقام مع حماد زبطي لعين يقال له حلوسن ، قد بيعد نفسه المقدار أو عنتر ففعل في إبن الناظري فعل ، وفي الخميسي فعل بالجنبية ، وكانت ستقع فتنة ، ولكن دفع الله وأقبل الليل ، ولكن قد أهدر الشيخ علي الـذرة[3] حـق قاع صنعاء جميع ، فخرجوا جميع المحتاجين والجاوعين، أخذوها أخذة واحدة ، وعيون أهلها تدمع عليها ، وقدلهم سنة مراعين[4] ومقصد الشيخ الجمالي إهدار حقه وحق بيت معياد في الظاهر صَدَقة للمحتاجين ، وفي الباطن إعانة للأتراك لأن القوم ما كان تليح[5] لهم الفرصة في القتال الشّديد إلاّ بدخولهم بينها ، وإذا زالت من القاع انكشف الغطاء ، ولكنها ذهبت حق من لا ذنب له ولا حجة عليه ، وكان يبصر أخذها وهو يبكي لأنهم أذهبوها في ذلك اليوم ، أكثرها فما كان من حق بيت معياد ، والغني فلا بأس ، وما كان من حق الضّعيف وباقي الناس فمصيبة ، وذهبت جميع لازِدْ تبين الحلال من الحرام فلا حول ولا قوة إلا بالله / وسرت تلك القضية في جميع الثمرة من ذرة وشعير وبر وغيره ، لأنها ثمرة عظيمة صراب قبل حصاده ، والعادة أن الناس يخشوا على الثمرة في الصِّراب من برد سَبْت السّبوت ، وهذا وقع قبل سبت السبوت بأيام ، فتبين لك أنها أحصده في غير أوان حصادها ، وما هي إلاّ الذنوب .

وأما الأتراك فأمَّروا على من في المدينة ، ومن بقي حولها تحت وطأتهم ، أن كل أحد يسلم إليهم نصف ما حصل له من ماله شيا[6] منهم بالفلوس والعشر ، وذلك مما حصل في الصافية وشعوب لأهل صنعاء والقبائل ، فتبين أن لك أن المحتاز في المدينة [ليس] إلاّ

---

(١) روس البنادق أو الإعلام .
(٢) الموهم .
(٣) علي البليلي .
(٤) منتظرين .
(٥) تلوح .
(٦) شاط الحب شراه واكتاله .

الضعيف ، وحَرَّجوا على أهل صنعاء وغيرهم لا أحد يخرج من المدينة ، وقد كان ثم ناس باعوا ما يجاد معهم في المدينة من طعام وحطب وغيره بناء منهم للفَرَّة . فلما وصلوا إلى الأبواب ردُّوهم ، ورجعوا يشتكوا على إسماعيل باشا فلم يفدهم ، وبقي يواعدهم بالفسح أيام ، وهو منتظر وصول عسكر من أسطنبول ، فلم يصل أحد وبعد وعدهم يصبروا إلى يوم الخميس خامس محرم وإلا خرجوا ، فبقوا يبيعوا من أدوانهم[1] في إقامتهم إلى ميعادهم ، فلما جاء يوم الربوع عزم إليه بعض السّادة أحمد إسحاق إلى العرضي ، في ذهنه من التحيور[2] صبح الخميس وينظر الإفادة على الميعاد بمراده ، فأجاب عليه أن لا بأس قد زَكّنا[3] على البوابين في الأبواب بعدم التحريج على الناس ، فدخل في تلك الساع إلى بواب باب اليمن الكلابي ، فذكر له أنه جاءني أمر حال[4] الساع أن لا يخرج أحد ، فرجعوا جميع يشتكوا فوقع لهم إذن في ساعات حياءً من خلف الوعد ، ولما قد عَوّلوا عليه أن هؤلاء ضعفاء لا يضروا ولا ينفعوا ، فخرج خلق كبير من دون عير ولا نفير ، ولكن بروسهم وأحدهم معه حمار مشدود[5] سيدي فلان بن قاسم بن علي صاحب باب اليمن ، فحيروه وامتحنوه ، وكاد أن يردوه ، ولكن صادف وصول سيدي علي بن أحسن فايع البلص ، قام معه في الباب حتى ملص[6] وإمتحان عظيم على الداخلي[7] والخارجي[8] ولا يزالوا يقسموا الأتراك أن من خرج لا رجوع له إلى البلد ، فالجالس نادم ، والخارج نادم ، وكثرت هذه الأيام الأخبار والقيل والقال ، وكل أحد يخبر بما يريد ، والظاهر أنها قد وقعت قتلتين أو ثلاث في الحيمة ، والسبب الباشا أحمد رشدي المشهور ، بيغصب العساكر بالقدوم من جبل حراز ، وتلتقيهم قبائلاً هناك معدين للجلاد والبراز فيقع قتلات كبيرة منها الأولات الذي في نصف صفر بحضرة المرحوم السيد الهمام الغضنفر. . .[9] (ومنها بعد في آخر ربوع في صفر ، ومنها في أول يوم في محرم السبتُ إلى الأحد ، وكل أحد يخبر بما يوافقه أصحاب الأتراك يخبروا أنها راحت من العرب آلاف كبيرة ومن العساكر الشاهانية الشّهداء شرذمة يسيرة ، والعكس في العكس ، وأما حقيقة فليس ، وكل أحد محتاز مكانه ، القفل

---

(١) حاجاتهم .
(٢) لعل في الجملة نقص .
(٣) أكدنا .
(٤) وقت .
(٥) مسرج .
(٦) خرج بخفية أو سرعة .
(٧) الداخل .
(٨) الخارج .
(٩) بياض في الأصل ولعله الشرعي السابق الذكر .

محتاز ، حجة محتازة ، عمران محتاز ، كوكبان محتاز ، مناخة محتازه ، ولا أحد يدِّي[(١)] خبر من أحد حسبنا الله ونعم الوكيل

والـذي في صنعـاء الأتـراك جـالسين منتظرين لما يِدْيْ لهم من البندر لأن الباشا الـذي ذكر رجع من حـجة إلى الحديدة وبـاقي يـدق في السلك من الحديـدة البحـر إلى عـدن ليلاً ونهـاراً دائماً عشية وإبكاراً بفسـاد اليـمن وإنه مستعفى إلاَّ تصـاله[(٢)] قـوة وخـزنة منهم. وسيدي بـاقي في المدان مكانه، وكـل يوم يخبروا الأتـراك بوصول القوم قدهم في بوعـان قدهـمْ في الخـميس قدهـمْ في حـراز.

وأما الآن خامس محرم ، فلم قد خرج أحد إلاَّ الذي في حراز ، وأحمد رشدي فهو بيقدم بهم المرة بعد المرة ، والكرة بعد الكرة ، ويرجعوا إلى مكانهم حراز ووقعت الحجرة ومفحق محل البراز[(٣)] .

وفي يوم الثلوث فسحوا الدُّولة لبعض الزُّبطية الذين أرصـدوا آخـر الوعد ، وأخذوا منهم البنادق والمعابر ، وقد صاروا الترك البوش الذين في صنعاء فريقين من طريقين الأولة أن بعضهم يريدوا المصالحة والسَّلامة ، وكونهم أهل نساء وجهال وتكليف ، وبعضهم يقول لا بل نقاتل حتى نذهب عن آخرنا، والطريق الثانية أن بعضهم يقول لكبار الزُّبطية يعني الميم باشا، ومن فوقه أنهم يختموا[(٤)] في المونة الذي بيدهم، لأن قدهيه شيء كثير أكثر من الذي احتاجوا جميع الأتراك، والزُّبطية ومن فوقهم لعلهم بيبيعوها، وهؤلاء الذين ذكروا، يقولوا للبوش يختموا في السِّلاح الذي ذهب من الدبابة، لأن قد ذهب سلاح كثير، ما أحد دري كيف وقع به ولا ان[(٥)] صار مصيره، فصاروا فريقين من طريقين، وصنعاء قفره[(٦)] من أهلها ما بقي إلا اليسير فيها، الله يحفظها، ويحفظ المؤمنين، ففيها الآن عجائب يضحك السفهاء منها، ويبكي من عواقبها الحليم.

وليلة الخميس ، أقبلت القبائل أول الليل إلى نقم ، وعَشَّروا تعشيرة كبيرة ، ولم يجبهم الأتراك بشيء ، والآن قد كان أخبروا أنهم سيقدموا على الرُّوضة والمراد سعوان ، لأنها جاءتهم ، أخبار أن قد القبائل تَرَوَّحوا[(٧)] بلادهم يشرفوا ويقلموا ، فلما سمعوا تلك

---

(١) يأتي .
(٢) أي إلا أن تصله .
(٣) المبارزة القتال أو المواجهة .
(٤) يوقعوا .
(٥) أين .
(٦) خالية .
(٧) راحوا ذهبوا .

التعشيرة انحلوا عن القدوم ، وتلك السِّيرة ، وأما المناير والمشاعيل فأكثر الأيام ما يقطعوها في عيبان ، ورأس جبل عصر والجراف ، غير التناصير التي تقع في الأسبوع أو دونه أو فوقه ، بل هذه مناير بينهم بل أماير[1] وخرج من أهل صنعاء في تلك الساعات المعلومة يوم الخميس خلق كثير فارِّين من القِل والعدم وكل عسير ، وما وقع إلا بفتّاشهم[2] في الأبواب وتكشافهم للحريم والجهال ، حتى أنهم بيفتشوا عمائم الخارجين وأقباعهم ، والله سبحانه يعاملهم بأعمالهم .

وفي ذلك اليوم خرجوا ناس من صنعاء يريدوا يصربوا[3] ، ولكنهم طماعين غير مالكين عادهم يشتوا من بقية الذي هَدَرَه الشيخ الجمالي علي بن محمد البليلي ، فقبضوهم القبائل ، وهم نحو أربعة أنفار ، يقال لهم أحمد مرشد وابنه الذي كان يفرق القات ، وعيال سعد عبده المقاوتة[4] وابن اليمني الخدام المتزيِّي بزبطي في البلدية ، وبيت الهبل خرجوا يصربوا من قاع صنعاء فقبضوهم القوم وشلُّوهم إلى حدة وسلموا خمسة قروش / وعاد البهيمة مقبوضة ، والحاصل له نحو خمسة وعشرين قدح له وللوقف ، والدولة تخاطبه الآن في مثل ذلك الحاصل زكاة وشياطه ، وذكروا له أنه يسلّم قسام الوقف إليهم لأنهم أبدا[5] من أهل الوظائف ، والقاضي عبد الرحمن المجاهد ، وصل له طلاب من الإمام هذه الأيام ، وعزموا به من دار سالم[6] وصحبته من يحفظه ، واختلف الخبر الحقيقي في القاضي أحد الصديق ، قيل باقي في ذمار عند أقاربه والأصهار ، وقيل في الحواز ، وأما السلاح حق عسكر ذمار وجميع الخزنة وما في الشونة[7] فصار إلى عند ابن الإمام المتوكل إلى سنحان .

والمصرفات في صنعاء تغالت ، حتى وصل السمن رَطل وربع وفي الروضة ، والوادي ثلاثة ونصف ، والقشر في التاريخ[8] ثلاثة ونصف بقرش ، وفي الروضة ثمانية ، والبر ربع وثمن قدح تعجز[9] نفرين بقرش ، وخارج[10] فوق القدح ، والشعير قدح إلا ربع يعجز . وخارج قدحين ، والقشر الضعيف الذي كان يبتاع من نصف الثمن ابتاع من ربع

---

(1) علامات .

(2) بتفتيشهم .

(3) يحصلوا .

(4) بائعوا القات .

(5) أقدم .

(6) توسع العرشي في خبر أسره أنظر بهجة السرور .

(7) مخزن الغلة (أو السلاح) .

(8) أي حال كتابة هذا .

(9) يعجز بمعنى غير إلا كذا أو ينقص .

(10) أي خارج صنعاء المحاصرة .

يعجز ربع الثمن، قيل أنه كان مع شعلان السنحاني قشر كثير فوق ألفين رطل، شراه من ستة وباعوه له من ستة عشر قرش، والذي شروه كسروه[1] من خمسة بقرش المية بعشرين نحن ممن شرى منه.

والآن صاروا الدولة يفرقوا[2] طعام على كل زارعي صنعاني وشعوبي، ومن في الصّافية شرى منهم شياطه بأثمان وافية.

ويوم الخميس والجمعة سادس ربيع أول وقع اليسك بلغة الترك يعني المنع لمن دخل إلى سوق قاع اليهود، وجعلوا غفراة[3] يعني على قاع اليهود، ومن وصل إليها لحاجة ردّوه من الصلبي[4] كاين من كان، حتى أن القاضي علي بن حسن المغربي خرج يريد يبدي[5] إلى عند ذمي يجرّ بشمق[6] كانت مَعمَّلة[7] فمنعوه، وبعد خَلاَّ ذمي آخر ينفعه يصير إلى من هي عنده، ويردّ له جواب من الذمي، وما أحد دري ما السبب لذلك، وما بقي مع الأتراك إلاّ الحكمْ كل يوم يبدوا[8] للعرب بحكاية، وفي كل باب يسك بل وفتاش، حتى للزائرين للأموات، حتى كرهوا أكثر الناس الخرجة من الأبواب من سبب هذا الحِلْباس[9] ولو نرقم جميع ما وقع وما شاع من كل خبر، لطال الكلام، ولا احتاج إلى مجلّدات في بعض الحالات، ولكن ما أطرف[10] لنا رقمناه وما كثر تركناه خشية الإطالة، ولو عاد الأرض مفتوحة لكان أخبارها مشروحة هنا، ولكن ما معنا إلاّ خبر ما كان لدينا في المدينة وإلا ما صح وتواتر والله أعلم[11].

ويوم الجمعة إجتمع القبائل للجراف ورجع كل أحد مرتبه[12] عصر، وبقيوا يعشّروا كل فرقة في قريتها المترتبة فيها، وكان نسمع التعاشير إلى الجامع الكبير، ورجعت شرذمة من أرحب نحو ثلاث أربع مائة إلى بلادها، وقد كانت في مفحق قيل أنهم كسروهم الترك

---

(١) أي باعوه من هذا السّعر.
(٢) يوزعوا عليهم شراء طعامهم منهم.
(٣) غفر عسكر.
(٤) المحل غير المزروع وهو ما يعرف الآن بالقاع.
(٥) يأتي إليه.
(٦) حذا سبق ذكره واللفظة من التركي.
(٧) أي مصنوعة من أجله.
(٨) يظهروا.
(٩) ويقال أيضاً الحلباط بالطاء وهو التأخير في الأعمال.
(١٠) أي ما كان طارف. قريب.
(١١) ملت أخبار هذه الفترة فلما كان خارج سور صنعاء فصّله المؤرخ الحسين بن أحمد العرشي في كتابه السرور وبتحقيقنا).
(١٢) موضع رتبتهم المكان المسلحين فيه.

إلى الخميس ، وقيل إبتاعوا ، وقيل شغلوا أهل الحيمة سرق ونهب ، وبعد فسحوا لهم المقادمة ، ووصلوا إلى بلادهم ، ولكنهم شرذمة يسيرة ، والمطارح حول المدينة باقية وقارح البندق ما يسكن ساعة ، ولا سيما المسمى بالمعتكف في لكمت الهندي ، ونقم ملان حتى في الغول حول الجويلي ، ومسخنة والذي قبضوهم من نقم هو من تلك الغول ، لأنهم ما هدّروا إلّا الذي في القاع الثمرة ، وهؤلاء المقبوضين هكموا[1] إلى غول نقم / فقبضوهم ونهبوهم ، كونهم أقدموا إلى ما لم وصله غيرهم ، وأما بيت الهبل فهم كانوا في الحفاء حق حدة ، وأهل بير العزب المقبوضين إثنين من فج عطان .

وصبح يوم السبت وما يوم السبت فلا أعظم من قتاله ، ولا أشد في ما ذكر في هذا التاريخ ، ولا في سنّ راقمة أبداً فإنهم خرجوا أصحاب الدّولة من صنعاء فجر ذلك اليوم نحو طابورين ومدقعين، ووصلوا إلى فج عطان غربي بير العزب ، وقد عندهم خبر بوصول العسكر الشاهانية ، والمشير أحسن أديب باشا ، والباشا السابق في سنة ثلاث وثلاث مائة أحمد فيضي ، والقومندان أحمد رشدي ، ولكن العرب جميع غير مصدقين بوصول أحد لكثرة القبائل في تلك الجهات الغربية في الحيمة وحضور ، وكون قد لهم نحو شهرين يوصّلوهم ، فأيسوا ولكن يقال في المثل « أستعلم الدولة ولا تعلمها » فما خرجوا إلّا وعندهم حقيقة ، وقيل أنهم سمعوا المدافع من الليل ليلة السّبت ، فبدعوا الخارجين من صنعاء رموا بالمدافع إلى جهة عُطّان من باب الفج إلى نصف الصبح ، واستولوا على السّنينة قرية ضعيفة زمّنه مهينة ، ووصل المذكورين قوماً كبيرة ، ومدافع كثيرة ، والعرب المتخططة[2] في الحواز آمنين الضرر، راكنين على من في الجهة الغربية، ولعل قد انخدعوا الذي لا خير فيهم ، « . . . . » قيل أنهم ابتاعوا بفلوس كبيرة « . . . . » لأنهم وصلوا راجعين بلادهم في اليوم السابق وقد معهم قليل نهب من الخيمة ومضوا من الروضة بالأمس وكان يسألهم من لقيهم ما جاباكم[3] قالوا كسرنا الأتراك وقاتلناهم حتى ردّيناهم من الخميس إلى حراز ، ونسير ونعود ، والأتراك المذكورين الواصلين أقبلوا في أثرهم . أرحب أمسوا ليلة الجمعة ، وليلة السبت في الروضة ، وخلفها والباشا وقومه في متنه ، فما أصبح يوم السّبت إلّا وهم قرب مِنْد ، ولما علم المقادمة الذي في حدّة والروضة والحوازات ، فعزموا من ساعتهم صبح السبت أو ليلته ، فما وصلوا بيت عذران إلّا وهم يتراون عيّان فقيل أن القوم العرب دخلوا بيت عذران قرية فوق عصر ، وحطوا عليهم الأتراك هناك ، وركّبوا جميع المدافع عليها ،

(١) جرأوا .

(٢) المفرقة في البيوت لضمان أكلهم وشربهم .

(٣) ما الذي جاء بكم .

والباشا ونحو طابور دخلوا صنعاء وبقت الحرابة في بيت عذران بالمدافع جميع ، والبنادق كالرعود القاصفة لا تسكن دقيقة واحدة ، ولا نسمع نحو خمس ست أو ثمان عشر بنادق في قارح بل مثل تعشيرة المئة في قارح واحد ، في الدقيقة الواحدة نحو ألفين قارح ، مقلل وإلاّ فأكثر ، وهلم جرًّا على تلك الحال إلى أوان الظهر ، ووقع مثل ذلك في السنينة بنادق ومدافع وبقي ذلك في المحليـن / إلى قبل غروب الشمس ، وسكنت سكنة واحدة ، والله أعلم هل وقع القتل طعن من اليد ، واختلط العرب والعجم ، أو سكنوا وإن شاء الله يتحقق ونذكر ما كان .

وبعد العشاء أمروا الدولة بالتّنصيرة في المدينة ، ودرج المصيّح والمُعِلْم بها في أزقة المدينة بالصائح لأنه فاتهم التنبيه في الأسواق بالنهار ، فقاموا جميع وأشعلوا النار ، وصاحوا باسم السلطان ، وأغاظوا بذلك قبائل هَمْدان وسنحان والبستان ، وسكنت القوارح نحو أربع ساعة ، وإذا قد سمعنا ضرب المرافع العربية ، فطلعنا وتحققنا ، وإذا هي في رأس جبل نقم في الفرضة ، وسكنت المرافع ورجعت القوارح ، وفعلوا العرب تعشيرة كبيرة من الفرضة ومن حمراء العلب إغاظة للدولة ، والمشعلين النّار من العرب في صنعاء ، وأما في الغربي في بيت عذران والسنينة وعصر ، فلم زِدْ سمعنا شيء من قبل الغروب ، والله يفرج الكروب ، وصَحَّ الخبر أنهم احتازوا جم غفير من العرب في بيت عذران ، وفيهم ناس من المقادمة وهمدان ، ولم زِدْ وقع من عندهم رماية كانوا مظنين أن العساكر السلطانية سوف تهجم عليهم ، وذلك الهجوم بغية العرب لما يقع لهم فيه من الأرب كما ذكرناه أوّلاً ، فلم يهجموا بل أحاطوا بهم كإحاطة العصابة بالرأس ، وبقيوا مكانهم محيطين ، والعرب داخل القرية حانبين[1] ومنتظرين أن تلبّهم[2] القبائل بالغواير لذلك العار عندهم الثائر ، وجاءت القبائل تعشّر من نقم تلك الليلة كما ذكرنا آنفاً تعشيرة (لا خَنْج ولا مَنْج ولا لها قَبَل ولا رنج[3] ولم زِدْ رموا بشيء ، لا من داخل ، ولا من خارج إلى آخر الليل ، وهَرَبوا جميع من في القرية من أهلها والعسكر الذي فيها وكانوا كحادث ومادث ، ودخلوا إليها الأتراك صبح يوم الأحد ، ولم زد وجدوا فيها أحد فأخذوا جميع ما فيها من الطّعام الذي لا أكثر منه في قرى الأنام ، والعفش والنفش والمواشي من جميع الأنعام والحمير ، وآلة الزراعة ، وأدخلوا ذلك إلى صنعاء ، وأما الطعام فأعدموا القراش في صنعاء ، حتى بهائم القشّامين سخّروها لشداد الطعام ، مع ما قد كانوا فيه من الحاجة لذلك ، وبقوا يرحلوا الطعام ، فوق جميع القراش حقهم ، وحق الناس أهل صنعاء بغال وحمير ، ومضى الأحد

---

(١) مورطين لا يستطيعوا الخروج .

(٢) أي تلّبيهم .

(٣) بمعنى شيء ما له سبب ولا فائدة والخنج والمنج بمعنى اللطافة والقبول .

والإثنين وهم على ذلك الرحيل ليل ونهار ، ورتّبوا القرية ، ونفذوا العسكر ظهر الأحد إلى جهة باب المنجل ، فأقبلت الغواير من القبائل جميع ، وخرج من صَنْعاء نحو طابورين وثمانية مدافع ، واحتربوا حتى فرّوا القبائل من تلك البقاع ، ونفذوا الأتراك إلى جبل القرعة المشرف على الجراف ، وطرحوا هناك ، وفرّقوا المدافع قبلي فوق مواجل صالح ، وفي ذلك الجبل شرقاً وغرباً ، وبقت تخدم المدافع كلها إلى الجهات كلها ، وإن رأوا قبائل رموهم ، وإن استتروا القبائل رموا إلى الحشيشة وإلى الحشيشة وإلى الجراف فوق / ما قد ناله من المحرب السابق في شهر صفر والقوم العرب تفرقوا شذراً مذراً .

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفاء أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وما ذلك من الباشا الأفخم والقمنطار المفخم إلاّ توطئة وتمهيد لأهل الروضة بقاء العساكر في جبل قرعة والرّماية شرقاً وغرباً وإلاّ فما المقصود إلاّ القدوم على الروضة ، ولكن قد أخبر أن فيها أهل صنعاء وضعفاء ولم يكن لهم طاقة بالهروب والرحيل ، وأنهم غير راضين بالفساد ، ولكن غلبت عليهم تلك القبائل ، وأهل البلاد ، فبقي يروضهم عسى يرجعوا عن غيهم ، وأمسوا أهل صنعاء تلك الليلة حلفين[1] الأشجان ، كثيرين الأحزان تالين القرآن خوفاً على من في الروضة من الرّوضة من أهلهم وأصحابهم والجيران ، لأن أكثر الناس في صنعاء وأهله خارج ، وناس أصدقاه وقرباه ومن لا ذنب له ولا حجة عليه ، فدفع الله ولم يقع تلك الليلة شيء من العساكر لا رماية ولا قدوم ولا هجوم ولا غير ذلك ، بحيث أن بعض الناس من العقلاء أهل المجالس كان يبكي في صنعاء بين الناس ولا يتأس كون أهله خارج ، ولاحت الفرصة للغوغاء والذميين في ثمرة عصر . وأيضاً هي كلها وقفاً لله الغريم فيها الله ، فأخذوها آخذة واحدة كما سبق لثمرة القاع العدني بحيث أنهم كان يتلافقوها[2] ملاقفة بالبهائم وغيرها ، وأخذوها جميع في يومين ، السبت والأحد ثامن ربيع أول . الذرة والنضايا[3] جميع كون قدهم آمنين بالعساكر الشاهانية حيط الطريق لهم مستمدة .

وصبح يوم الإثنين وصلوا ناس من صنعاء الساكنين في الروضة إلى الباشا أحمد فيضي متظلمين كونهم تحت وطأة القبائل ومحكوم عليهم في الروضة ، وعقروا عنده ، وأظهروا له الطاعة والأنقياد ، ونصبوا البيارق للسلطان ، وفعل لهم الأمان ورجعوا إلى بيوتهم بالأمان والأطمئنان ، وسكن ما بهم من الخوف ، ودخل الباشا المذكور إلى الروضة وتوجه إليها

---

(١) حليفين .
(٢) لقف الشيء أخذه بسرعة .
(٣) محصول من البر والشعير يأتي في الصيف .

بجميع أصحابه والمدافع والمزيّقة ، بعد أن سمع من أهل صنعاء صحة الأخبار بإجلاء القبائل ، وخلّوها وما بقي إلاّ أهل الطاعة والأخيار ، وجرت العساكر الشاهانية والمدافع الكرخانية إلى جهة جدر ، وحطوا هناك ونصبوها إلى المحل ذلك ، وبقت تضرب طول النهار من عقيب العصر إلى بعد المغرب ، وسرى الهدار[1] إلى الجراف ، ولاحت الفرصة للأنذال والجِرَافْ[2] فأخذوا ما فيه أخذة واحدة ، من حب ، وأبواب ، وطيقان ، وبقية أثاث ، حتى وصلوا ناس بحطب من الشّرعة أحمد الدريني[3]، وخرج ناس غير محتاجين إنما الأطماع خلت عقول الرجال مجانين على كل دقّة ولون . السِّيد يحيى بن محمد باب نوبة ، والسيد محسن الشامي باب بيت ، وجميع السّماسرة والفلاتين[4] من القبائل ، وكل من له رغبة في الحرام ، وكان ناس يخلّوه يدخل من الباب وناس يردّوه ، وناس ما جابه[5]؟ يأخذوه في الباب ، وصارت كمثل بيت عذران ، فيا سبحان الله ما هذا الخذلان / لو كان الطمع بيد العساكر الشاهانية لهان لأنهم أغراب ديار ، ومحتاجين وباذلين رؤوسهم في القتال ، ولكنه بيد كل بطال والإسم أنه صاحب صنعاء وليس إلاّ الوبال .

وبقيوا أهل جدر ومن عندهم من القبائل في المحل إلى نصف الليل ينتظروا هجوم العساكر الشاهانية ، في ذهنهم يتجمّلوا بين القبائل لا يقال أجفلوا ، فلم يهجموا فاحتاجوا شردوا في الليل ، وما أصبح فيها أحداً من أهلها ، فدخلوها الأتراك صبح الثلوث ، وأخذوا ما وجد وأحرقوا ما لم ينقل ، وكانت مثل وقعة بيت عذران ، نسأل الله سبحانه الأمان .

ودخل الباشا أحمد فيضي من الروضة بعد أن كمل لهم الأمان ، ورجع من كان هرب في اللّيل إلى صرفْ وغيرها مما يلي جهات الرَّوضة لأنه حصل لهم من الله سبحانه لطف كبير بهجوم الأتراك في ساعة واحدة بغتة ، وما كان ظن أهل الروضة أنه سيقع ذلك ، فوقع من الله لطف بما هنالك ، لأنه لو دخل الباشا من بيت عذران إلى صنعاء بتلك العساكر الجرارة والمدافع المختارة ، وهيأ الخروج من صنعاء ، ومن قاعدتهم يسبقوا أولاً الإعذار والإنذار ، فكان مجرَّد سماع القبائل بذلك أمد يوم يومين يأخذوا جميع ما في الروضة القبائل ، كما هي عادتهم مع كل قائم ، ولا سيّما حيث يقال في المثل[6] ولكن نزل الباشا

---

(١) هدر الشيء أباحه .

(٢) الفقراء .

(٣) أي من شرعه عنب أحمد الدريني والشرعة أعمدة من الخشب .

(٤) الفالتين .

(٥) أي يقولوا له ما الذي جاء به .

(٦) بياض في الأصل وكأنه كتب هذا المثل ثم محاه بالماء ، لعله لفحشه وهكذا تجدنا معذورين في حذف بعض الكلمات النابية من الكتاب لأن المؤلف كتبها وهو في حالة انفعال وكان سيحذفها لو أنه عاد إلى هدوئه .

من بيت عذران بين الصَّلاتين ، ووصل جبل قرعة فوق الجراف أذان العصر ، ووقع ما ذكر من الحرب ، وضربت المدافع شرقاً وغرباً وتوطئة لهم وتمهيد ، وفعلوا إلى الروضة نحو أربع ضربات أحدهن في بيت النّاشري وخرقت وطرحت في باب بيت شريان ، والثانية في بيت العنبسة فوق العنفوشة[1] وثنتين في بيت محمد الحميدي[2] ، وشردوا القبائل من حينهم ، وما زِدْ ملكوا نفوسهم بل الجيد من لف[3] نفسه ، ولكنها كانت تلك الليلة ، ليلة الإثنين تاسع ربيع أول أشد على من في الرّوضة من الموت ، لأنهم فشلوا فَشْلة كبيرة ، كون الوصول إليهم من التّرك بغتة فناس هرب ، وناس بقي ، وناس فلّت بيته وما يملكه وهرب بنفسه ، وناس هرب بعائلته .

وصبح الإثنين أجمع شورهم على من يعزم إلى عند الباشا ، فممن عزم محمد بن أحمد الرّداعي المسمى بالشغدري ، وعلي بن محمد الجنداري ، وسيدي[4] ابن القاضي ، وقطعوا من عمايمهم بيارق في رؤوس الأعصي[5] ومضوا إليهم ، وكان ما ذكر من الأمان فلله الحمد على سلامة من ذكر ، ودخل الباشا من الروضة ليلة الثلوث إلى صنعاء بغتة ، وبقت العساكر في الرُّوضة وفي المطرح الذي على جَدِر ، ورجع النهار وأمسى .

ويوم الربوع وصلت عقائر القرية وقبلوها ، ورجعوا الواصلين من القرية ، وتبعهم خيَّالة ، وطلبوا الحاج سعد الزّبيري ، ووصلوا به الروضة ودخل صنعاء صحبتهم ، وأودعوه وولديه الحبس ، وحبسوا سَيّدي إسماعيل حميد الدين وولده كل ذلك ليلة الخميس / وآخر من بيت حميد الدين من بئر العزب ، وتلك الليالي الثلاث الماضية كان يَجْوا القبائل الذين في دار سلم يعشّروا من رأس نقم ، ومن حمراء العلب .

وفي صبح الخميس طلبوا النّاس إلى مَيْدان القصر ، واجتمع الرتيس والمرؤوس إلى الميدان ، وقرأوا الفرمان السُّلطاني لحضرة القاصي والداني ، أولاً قرأه رجل من الأتراك بالتّركي للأتراك ، وبعد قرأة الجمالي علي بن محمد الجرافي بالعربي للعرب ، وسمعوه جميع من حضر ، وبعد افتتح بالدعاء والوعظ والترغيب والترهيب ، سيدي العلامة أحمد بن محمد الكبسي ، ودعا للسُّلطان ، ووعظ جميع الأنام بالطاعة والإنقياد ، وعدم المخالفة والفساد ، والإكثار من الحمد والشكر لله على صلاح شأن العباد ، بالغارة عليهم من سلطان الإسلام ، من أطراف البلاد بعد أن فشى الفساد في هذه البلاد ، من أهل البغي وبين الناس خبث عقائد أهل الفساد ، حيث كان

(١) موضع في الروضة .
(٢) بياض في الأصل .
(٣) أخذ نفسه (هرب) .
(٤) بياض في الأصل .
(٥) جمع عصا معروف .

يقولوا في تحاييهم يا شوقاه للبيب[١] والدقق ، وأن أعمالهم غير صالحة ، والله لا يصلح عمل المفسدين [وبعد تمام ذلك الوعظ أخرجوا له نشان[٢] كأنه من السلطان على رأي البوش والأركان ، وضربت المدافع بين أيديهم في الميدان][٣] .

وهذه الثلاثة الأيام بقوا الأتراك جميع في صنعاء مع سعتهم ، فأحطموا[٤] الخبز والرِّجيز[٥] وكل المأكولات ، لأنهم كانوا في سعة من الفلوس ما كان يبالوا بها مع ما قد همّ فيه من الحاجة للمأكولات[٦] مع عدم معرفتهم بالأثمان ، ولكن قد يسَّر الله قليل طعام موجود في السُّوق من النهب وغيره ، ودخلوا النَّاس الذين كانوا في البوادي أفواجاً ، ولكن الذين دخلوا ما قد يجوا النصف ولا الثلث مما قد هربوا ، لأن عاد الأمور كالمتلاشية ، والقبائل عادهم زاقمين العسرة[٧] وأما ناس فقد دخلوا قليل يجلبوا من الوادي ، ومن مذبح ، وعصر ، والسنينة ، وهم على وجل مما قد جرى فيهم من الفشل .

ونهار الخميس يوم ثاني عشر المحرم قبل العصر تهيؤا الدولة للمخرج على سَنْحَان وبدعوا بالحرب في دار الحيد ، وبقت الرِّماية مستمرة بالمدافع الثمانية والبنادق من الطَّرفين كالرعود القاصفة إلى / أذان العشاء الآخرة وهدنت[٨] البنادق ، وبقت المدافع دون ما كان إنما ساعة ونَسْمَع قارح واحد ، ولعلهم تقاربوا في القتال من اليد بالحد ، وكل أحد إذا جدّه وذكر الجد ، وذلك القتال وقع في القرية السَّابقة المسَمَّاة بالجردا ، وعاد كان فيها بقيت حسبه لمن وفى أجله ، ولقي ربه ، وسلمت القرية التي كان محّط القوم ، وابن المتوكل فيها ، وكانت المركز الذي يخشى عليه لشيء يعلمه الله ، ولأنهم نصبوا بيارق ، الطاعة للدَّولة ، والباشا أحمد فيضي بصيراً بالأمور من أظهر الطاعة قبلها منه ما عَوَّل على أحد ، ولا فجع أحد ، ولو قد جرى منه ما هو أعظم ، وهذه من الدهاية[٩] لأنه لو عاملهم بما جرى منهم ما دخل في الطاعة أحد ، بل قبل منهم ما أظهروه ، وترك ما بطن ، ووقعت الواقعة في

---

(١) جمع لبة ودقة وهن حلي خاص بالنساء .
(٢) نيشان .
(٣) من حاشية الكتاب بخط المصنف .
(٤) أفنوا .
(٥) هو التمر المهترس .
(٦) خ المكـلولات .
(٧) القبيلة الشهامة .
(٨) وقفت .
(٩) الدهاء .

دار سلم والقلفان والجردا ، حتى أخربتهن المدافع وبعدها خراب وحريق ونهب وسلب ، ووصلت العقائر من تلك الجهة جميع وادي الأجبار إلى حد بيت حاضر وبيت نمير ونصبوا بيارق الطاعة وسلموا جميع الجماعة بعد ذلك ، والخير فيما هنالك ، والله أعلم بمصالح عباده وبلاده وقد فعلوا العرب بقدر عقولهم ، ولقيوا أعمالهم ، وسيحشروا بنياتهم إلى ربّهم من كان هجرته إلخ[1] .

وكذلك جميع البلاد الحزة[2] وغيرها من الحواز دخلت في الطاعة وسلكت مسلك الجماعة ، ووصلت العقائر من كل محل ، حتى من الحيمة وبلاد البستان ، ما خلا بني مطر ، ونصبوا البيارق هؤلاء المذكورين جميع ، من بستاني وسنحاني وروسي وسعواني وحشيشي وسري وحارثي وهَمْداني ، القريبين كالوادي وضلاع ، وواجهوا للصّميل والدين ضاع ، وأما الفشلة والخوف والدهشة فعمت الحاضر والباد من وصل الحرب عنده ومن لم يصل ، كمثل حرب يوم الجراف ، فشل من في الروضة من القوم ومن أهلها والمخترفين ، وهربوا جميع إلى كل ناحية ، ويوم حرب جَدر هربوا جميع من فيه ومن بجوارهم كالقرية إلى الوادي وثقبان وذهبان إلى ضلاع والعرة وعلمان بأهلهم وجهّالهم[3] حتى قيل أن في هربتهم من الروضة إلى جهة السر وغضران وصَرِفْ ولدين[4] أربع نسوان في الطريق الليل ، لا حول ولا قوة إلاّ بالله . ويوم حرب الجردا وقع الفشل في جميع السنحانية والحرزة كسنع[5] وحده وبيت سبطان وبوس وحمل وارتل وشردوا المقادمة جميع أبناء المتوكل وغيرهم / وجميع أهل وادي الأجبار إلى حد بيت حاضر هرّبوا نساءهم وصبيانهم ، كذلك عَمّت تلك الفتنة جميع البلاد ، وفشلت كل العباد بدعت من الحيمة من هربة أرحب وهلم جرا .

وأصبحوا يوم الجمعة وقد خلصت الحواز ، وبيرقت ونصّرت وعقرت .

شعر :

كأن لم يكن بين الحجون ومكة ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وقال آخر :

---

(١) كذا والحديث مفتتح صحيح البخاري ج١ ص٢ ونصه « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمريء ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». إلخ.

(٢) القرى المحيطة بصنعاء كسنع وحدة وبيت سبطان وغيره .

(٣) أطفالهم .

(٤) وضعن .

(٥) هي سناع .

كأن لم يكن بين الهشاش إلى الحفا[1] قبيلي ولم يحزب بحزيز حازب

وكان مراد الباشا أحمد فيضي يمر إلى جِزْيز والمحاقرة لشيء في نفسه ، ولو قد أظهروا الطّاعة، ولكن قيل بدا لهم أمر مهم مكتوبات مزعجة من الجهة القبلية، فترك الجهة العدنية ، ودخل صنعاء مؤيداً منصوراً نهار الجمعة ، وطويت الخيام وشدّوا والعساكر الشاهانية تجهزت والمدافع الكرخانية على الخيل جرت ، وخرجوا صبح السبت ١٤ ربيع أول ، وخرجوا من باب شعوب ، ومن باب الشقاديف ، ومن باب الروم طريق الجراف إلى قبل الظهر ، وتجهّزت عساكر آخره ، قيل لاحقه ، وقيل مطلوبه من عند الباشا أحمد فيضي من الطريق ، فوصلوا إلى بلاد همدان المعروفة بالرقة والتقوهم ، وقبيلة همدان وأرحب ، وعضدوهم أهل جدر ، فوقع بينهم يوم عكر ، وحرب عسر كاد كل أحد يطر[2] وتمنّى أن يفر وهربوا القبائل من قدامهم جميع ، وأحرقوا الحاوري بعد أن شرعوا في خرابه بالمدافع ، حتى أيقنوا بفرار العرب ، ودخلوه وأحرقوه ، وتوجه بالعساكر علي باشا من الرّقة جهة شبام وعمران ، ورجع الباشا أحمد فيضي نهار الأحد إلى صنعاء لعله لمفاوضة بينه وبين من في صنعاء من البوش ، ولحفظ صنعاء فهي أصل اليمن لولا هكمه[3] بالوصول إليها لما صحّ شيء .

وأما أهل دار سلم ، فقد ذكرنا أنهم نصبوا البيارق ، حق الطاعة ، وقبلوها الدولة ، فلما أرادوا الدولة الدخول صنعاء جعلوا عليها عساكراً غفراً لحفظ ما فيها وسخروا البهائم ورحّلوا ما كان فيها من الطعام ، لأن فيها طعام كثير لا يوجد في غيرها من القري ، وبعد كما شداده الله[4] أعلم هل تسلم أو تدمر[5] من الخراب، وهروب الناس من محلاتهم عذاب، وخراب بيوتهم عذاب العذاب ، نسأل الله أن يهدينا إلى الصّواب ، فلم بقي في هذا الحواز أحد ما ما نجّل ولا هرب ، حتى الذين كان يهربوا أهل الروضة وصنعاء إليهم هربوا ، المقصود[6] أنه الذي جعلوه مأوى كان يهرب معهم فالذين هربوا من الروضة إلى صرف ، وبعض قرى بني الحارث ، وبعض بني حشيش الغربية هربوا مع من هرب ، والذين هربوا من صنعاء إلى قرى سنحان القريبة ووادي الأجبار ، هربوا مع من هرب نحو خولان ، والذين هربوا من صنعاء إلى حزت بلاد البستان كسنع وحده وسبطان هربوا / بمن هرب

---

(١) ما بين النّهدين ونقم .

(٢) يطير .

(٣) تجرؤه .

(٤) كذا .

(٥) في الأصل تدرم .

(٦) خلاصة الكلام .

إليهم ، والذين هربوا أولاً قبل وصول الباشا أحمد فيضي من صنعاء نحو حضور والبستان ، هربوا عند وصول أحمد فيضي بعد قتلة الحيمة وفرار أرحب ، وهذا كله في صنعاء وحوازها ، وأما البلاد البعيدة فلم قد تبيَّن شيء لأن ما قد أحد وصل منها إلى يومنا الأحد ١٦ ربيع . وأما الذين في هذه الحواز نحو الروضة ووادي ظهر والقرية وسعوان وحدة فهم رجعوا الأولين من يوم الإثنين ٩ شهرنا ، لا سيما الأغنياء والمتهمين عند الدَّولة أنهم هاربين منهم ، والمتهمين بإعانة المقادمة في الروضة وغيرها ، والذي كان يدخلوا عند سيدي عبد الله وسيدي يوسف بن غالب في الروضة ، فما وسعهم إلَّا الدخول [إلى] صنعاء على الفور وهم من الخوف صرعى فسبحان المعز لمن يشاء القدير على ما يشاء .

وما أظن إلَّا أنها تغيرت نيَّاب العرب لأن الأعمال بالنيات وكل عبد وما نوى[1] فأول الأمر ظهر الصَّلاح منهم والفلاح ، فلما تمكنوا في العمل ظهرت[2] فيهم القبائح[3] فنعق فيهم ناعق الشتات وصاح قال الله تعالى : **يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ فإنهم لما تمكنوا استحلوا ما حرم الله وخالفوا أمر إمامهم ونهبوا الضعيف الهارب من الجوع وتكشفوا المحصنات وهتكوا أعراض من بساحتهم الذين لجؤا إليهم وتركوا أوطانهم فوقع بهم ما ذكر .

وسيدي محمد بن محسن نقل إلى غيمـان، ولعلها أركنته خولان ، والله أعلم ما يصح ، وصنوه عبد الله عزم بمن كان لديهم من الأسارى الأتراك الذين كانوا في المراكز العدنية وبما معهم من العفش والفلوس ، ومن كان لديهم من العرب كالقاضي أحمد الصديق ، والشيخ قاسم الحواني صاحب حدَّة ، والسيد محمد الحتري عزموا مع ابن المتوكل محمد وبعد تفرقوا .

وإسماعيل باشا الذي كان وكيل المشيرين في صنعاء عزم طريق الحديدة يريد تعز من تلك الجهة .

رجعنا إلى يوم حرب قاع الرقة يعني الحاوري ، وحوله وقع بينهم الحرب والقتل ، وثبتوا ثباتاً كلِّياً ورجع الباشا أحمد فيضي إلى صنعاء ، وعزم علي باشا قرمادان إلى تلك الجهات السَّابقة الذي عزم لها أولاً ، ولم يحصل على ما يريد ووصل شبام قبل الشّمس[4]

---

(١) تصحيح الحديث سبق قبل قليل .
(٢) خ طهرة .
(٣) خ القباح .
(٤) أي قبل بزوغ الشمس .

بغتة ، وقد كانوا العسكر الشاهانية في خمكة[1] لأن هَمْدان دخلوا شبام ، وكان يطلعوا إلى قاع الضّلاع ، وباب كوكبان ، قصدهم يأخذوا كوكبان ، كون الأتراك فيه شرذمة يسيرة ، فلم تسعدهم الأقدار بسبب إلحاح محسن الشرفي عاقل كوكبان ، بقي يحاجي على كوكبان ، ومن فيه من العرب والعجم ومرامه متى خلصت صنعاء من أيدي الدولة ، فلا بأس الأمر جميل ، وإن صنعاء باقية فقد تجمَّل معهم وبدا بالجميل ، وكان الترك الذين في كوكبان يحربوا بالمدافع إلى شبام ، وآخر يوم رموا إلى بيت القهالي بثمان ضربات إلى شبام ، وبعد وصول الباشا علي سكنت الأمور وخضعت / بعد تلك الواقعة رقاب الجمهور ، ودخلوا في الطّاعة ونسوا خير البضاعة ، ودخلوا صنعاء أكثر العقال المجاورين لصنعاء ، منهم قايد الأهجري ، وعياش ، ولا زالوا يتسابقون ، ما خلا أهل بني مطر والحيمة لأن أكثر ما تركب العمل عليهم، ما خلا الذين ذكرنا أنه وصل ناس من الحيمة بعقائرهم وهم من رأس الحيمة كبيت النش[2] وبني سوار وبوعان ، وأما وسط الحيمتين فعادهم في الغيبة الله يحسن مخرج الجميع ، ويلطف بالمؤمنين .

ونساء الأتراك المأسورين قائمين[3] المقامات ، وصلوا بهن وبرجالهن من الجهة العدنية إلى الضّبعات فما من[4] كان من الرجال ، فعزموا بهم كما ذكرنا آنفاً ، وما كان من الحريم[5] فهو نحو إثني عشر مرة[6] وجُهّالهن[7] بقين في الضبعات ، ودخلين صنعاء غاثيات[8] حازنات يوم الإثنين ١٦ ربيع أول، ودخلوا معهم ناس رفقة لا حول ولا قوة إلا بالله لأنهو[9] بلغ منهن أن القبائل تجاروا على رجالهن ، ما عاملوهم معاملة المأسورين ، فلهذا وذاك الذي جرى منهم إلى[10] أهل صنعاء ، صاروا جميع القبائل مكسورين ، لأنه تبين للنّاس خبث عقائدهم ، ولو تمكنوا لكان فعلهم أشوع ، وطوياتهم لعلها أشنع شعر[11].

إذا كنت تعلم بأنه حكيم فإن اعتراضك لحكمه جنون فهو بحال العوالم عليم

---

(١) كذا في الأصل .
(٢) قرية بجوار الزيلة .
(٣) أي نساء قائمين المقامات (الضباط) .
(٤) فأما ما كان .
(٥) النساء .
(٦) امرأة .
(٧) أطفالهن .
(٨) مستاآت .
(٩) لأنه .
(١٠) أي في أهل صنعاء .
(١١) من قصيدة السّكر المحلول عراض قصيدة البهلول للأديب علي بن إبراهيم الأمير .

وبعد رجوع الباشا أحمد فيضي من وادعة همدان والحرب في ذلك الميدان ، والطعن والضرب الذي شابت له الولدان ، وما كان من القتلى ، مما لست أذكره من قتله غبراً ، ولا تسأل عن العدد ، عزم علي باشا كبير أركان الحرب في العسكرية من نحو عمران على ما ذكرنا ، وزادهم رجالاً وذخيرة ، وطلع كوكبان ، ولعله كان مراده يمضي حجة يزيدهم قوة فلم يتأتى له المضي ، وتلقوه ناساً من بلاد المشارق نحو الجبل حق عيال سريح ، وأهل المصانع ، ومن المغرب ، قيل المقدمي السيد الجَنْدَبي ، ووقع بينهما قتلتان كبيرتان تميل بقلب الجبان إلى الجِنان[1] والزِّيغان ، أشد من حق همدان ولا يحصى خبرها إنسان ، سيما حال الرقم في الآن[2] أفهم ، وقد كان تقدَّم قبل ذلك قتلتان في باب كوكبان ، والمقدمي فيهم سيدي[3] ابن علي بن عباس صاحب كوكبان ، لأن قد كان[4] ساكن في شبام ، وتكاتب هو والإمام ، وطلع إلى باب كوكبان بناس من هَمْدان وبأهل شبام ، ووقع فيها قتلى من الفريقين ، ولم يتم شيء لأن الحاج محسن الشرفي ، لم أمكن يساعد ابن عباس مقدمي الإمام ، ولو هم من محل واحد ، فإنه بقي محاجي مع دولة الأتراك ومجاهد ، وكل أحد من كوكبان له مساعد ، وأجاب على سيدي محمد بن عباس ، متى خلصت صنعاء من أيدي الأتراك فلا بأس ، نسلم ما عندنا ، وكذلك الشيخ حزام الصعر صاحب عمران ، فهو احتجى على من في عمران ، وأجاب بما أجاب محسن الشرفي ، والعرب كان مرادهم الفتك بهم لأجل تخلص صنعاء وحجة ، فلا [ذا] تأتي ولا ذا حصل ، حتى وصلت البوش الكبار المذكورين ، أحمد فيضي ، وجماعته من بوش وعساكر ، وتفاقم الأمر ، ورجع علي باشا صنعاء ليلة الإثنين ٢٣ ربيع أول ، قيل أنه دخل الطويلة ومسور ، ورتَّبهن في تلك الخَطْرة ، وقيل ما ذكر لا غير ودخل صنعاء عشاء الأخرة ، وتلك الليلة / تجهزت العساكر الشاهانية والمدافع الكرخانية ، نحو بلاد بني بهلول إلى غيمان لأن إبن المتوكل باقي فيه وجماعة من خولان ، وما وقع الحرب إلا من فجر ، فإنها سمعت من تلك الوقت قيل ثمانية مدافع ، وقيل أكثر ، وسمعوها إلى كل ناحية إلى الروضة وإلى ضلاع ، وأما الحواز فأقرب ، وسمعوها إلى صنعاء ، قيل ما قد سمع [مثلها] من أول الحوزة ، والحرب بأعظم من ذلك اليوم ، كثرت ضرب المدافع ، واحتاجوا غواير من صنعاء متتابعة، وكل غارة تخرج بمدفع وعساكر ووقع يوم كيوم بدر ، ولم قد تبين ما وقع فيه إلَّا أن العساكر رجعت القهرا[5] إلى ريمة حميد ، وقيل إلى دار الحيد ، ولا بد يتحقَّق .

(١) الجنون .
(٢) خ الاان .
(٣) بياض .
(٤) خ كا .
(٥) كذا وصوابه القهقرا .

وأما خبر ذمار فإن الدولة أرسلوا لهم برايات الأمان ويرجعوا عما هم عليه ويصالوا ولا يعاقبوا فيما جرى ورجعت جواباتهم بعدم المساعدة ، وأنهم على ما هم عليه من طاعة الإمام ، ومن يريدهم وصل إليهم والسلام .

وأما خبر حفاش وملحان ، فإنهم فعلوا كما فعلوا ، والسّبب أنه وقع الأمر من الإمام لابن حبيش صاحب حاشد الساكن في بلاد المحويت في حصن نعمان من زمان ابن الذي قدم في سنة ١٢٨٦ علي حفاش وقتل إبراهيم أغاة عيب بعد أمنه وأطلعه إلى محله وقتله ، وأخذ حفاش ، وعند وصول الأتراك صنعاء وأخذهم سنة ١٢٨٩ جميع البلاد ، ونزلوا عليه ، وأخذوا حصنه ، وجميع ما معه فيه أخذة واحدة ، وهذا ولده وقع الأمر له من الإمام بالقدوم[1] فقدم علي حفاش في محرم سنة ١٣٠٨ ، وتلقاه الشيخ يحيى عبده زايد صاحب راود شيخ المشايخ ، وكتب من حفاش إلى ملحان ، وأجابوه لأنه لم عاد كان عندهم أتراك ، وأعلنوا بالطاعة للإمام ، وهرب بعض المشايخ المسمى زليل من حفاش إلى عند الأتراك إلى حجة ، ونهبوا بيته سبّب العرب هربته وحاصله أن قد كان أجابت جميع أرض اليمن حتى مدينة إب وجبلة حال هذه المقاتلة والحوزة ، وإب في أشد الحصار محاصرين لها أصحاب الإمام ، والله أعلم هل أخذت قبل هذه الفشلة والنفخة بوصول الباشا أحمد فيضي ، أو عاد كانت في الحصار ، لأن السّيد عبد الله بن غالب ناظر وقف ذمار طلع من ذمار بعد وصول الباشا فيضي ، وهي محاصرة ، ولم صح أخذها ، أخبرنا شفاها ، وبعد ذلك تحقق حرب غيمان ، ووقع القدوم على قرية جوب ، لأن أكثر القبائل فيها ، وحاصروها من كل الجهات ، وكان فيها الصُّوفي ، وأغارت عليه القبائل ، وخرج هو وأصحابه بعد أن فعل ما يذكر به عند ربه، ورجعوا على غيمان، وكان فيها أولاد الإمام المتوكل سيدي محمد، وصنوه عبدالله، وأخذوا أصحاب الدّولة القرى الذي تحت الحصن حصن غيمان، وأخربوا الذي في الحصن يومهم وليلتهم حتى غلب على جهدهم لقلتهم وشردوا جميع نصف الليل / إلى جبل اللوز وحطّوا هنالك بالقوز ، ولم تركّب[2] الحرب في تلك اليومين بلياليها[3] إلاّ على نحو أربع مئة نفر لا غير من خولان وبني بهلول ، ولم استقام أحد ، كل أحد فرّ إلى حقه البلد ، وعمت الفشلة تلك جميع عساكر العرب ، ولم زيد ظهر من تلك الآلاف فرد ، سوى تلك الأربع مئة أهل الهمم السامية ، الذين لا يريدوا المدينة المحمية[4]، ورجع الباشا أحمد فيضي من يومه إلى (سيان) وترك أهل تلك الجهات كالعميان لما شاهدوا من قتال

(١) خ بلقدوم .
(٢) تقوم .
(٣) خ بلاليها .
(٤) صنعاء .

حمر الكوافي[1] والأعيان ، والمدافع الذي تدع العمران خبوت[2] وقيعان[3] وهم نحو سبعين مئة ، والمدافع تقوم مقام سبعين مئة أخرى ، فلله در تلك الفئة القليلة الأربع مئة العرب الذين واجهت وقاتلت تلك الألوف العجمية ، والمدافع الرومية ، الذي انصدعت لها قلوب جميع العرب من الغرب إلى الشرق ، ومن الشام إلى اليمن ، ورجع كل أحد إلى بيته يتأهب لما يجيه[4] . ويأهِّب الطعام والنقد والجزاء للدولة ما ينجيه ، بعد أن كان كل أحد منهم يظن أن ما فوق يَدِه يَدْ ، وهم نحو ثلاثين أربعين ألف في كل الجهات ، كل أحد أعد نفسه لمئة فارس . ولا بأس أن قد فعلوا أو لا قتلات صعيبة[5] ومضارب عجيبة ، ولم كان يكترثوا من مدافع ، ولا من غيرها ، وكان الله لهم مدافع ، ولكنها تغيرت نيات أكثرهم سيما بعض « . . . . » الذين يدخلوا الحزم[6] الحطب إلى صنعاء ، فإنهم فعلوا فعال شنيعة ، وفظعوا في الضعفاء والمساكين والأرامل والأيتام ، والهاربين من الجوع ، فعلوا فيهم أفعال ما يرضاها الله ولا رسوله ، ولا أحد من المسلمين ، وصاروا يتمدحوا[7] بها ويفتخروا بما ورائها ، من أنهم يريدوا نهب المدينة المحمية ، وأخذ جميع ما فيها ، وتبين أن نيَّتهم جميع عليها ، وما قصدهم سواها ، ولكن أظهروا الجهاد على الأتراك لينالوا ما هناك ، ولا عملوا بقول إمام ولا بشرائع الإسلام ، بل أنها كانت يصالهم كتب الإمام بالتَّحري من مدينة سام ، وحفظ الضعفاء والأرامل والأيتام ، ويتحروهم جميع المقادمة في كل يوم ، وما خربت إلاَّ بيوتهم ، وما نهبت إلاَّ أداتهم[8] ولا تشردت في البلاد إلاَّ نسائهم وأولادهم ، وردَّ الله الذين كفروا بغيضهم ولكنها / وقعت بسببهم الفشلة[9] في جميع اليمن المشرق والمغرب ، وما سبب فتنة جميع أهل اليمن إلاَّ الحواز[10] حق صنعاء الذين تغيَّرت نياتهم ، وشاعت في جميع الأرض فشلتهم ومصيبتهم ، لأنهم أولاً جاهدوا جهاد من لا يرجى الحياة ، وقاتلوا قتال الأبطال الكماة وأقبلوا من كل فج عميق ، في كل محل آلاف لا تحصى ، ولا تعد ، وكان ينتصروا في كل معركة ووقع ما رقم[11] حتى كملت لهم البلاد ، وما بقي محل في كل

---

(1) كأنهم الترك أو جندهم من العرب الزبطية) .
(2) خ خبوة وهو جمع خبت سبق ذكره .
(3) جمع قاع معروف .
(4) يأتيه .
(5) صعبة .
(6) الحزم بضم الحا وفتح الزاي وتسكين الميم جمع حزمة العصبة الواحدة من الحطب .
(7) يمتدحوا أنفسهم .
(8) حاجاتهم .
(9) الهزيمة ويعني هزيمة أهل اليمن في مواجهة الأتراك .
(10) القرى المحيطة بصنعاء .
(11) أي ما سجله المؤلف في تاريخه .

بلاد إلاّ واجه بالطاعة وامتثل أمر الإمام ، وأمر من كان مفوّضاً من لديه ، وجاهدوا بأموالهم ، وأنفسهم ، وسلّموا أيضاً من واجباتهم ، فلما تمكنوا في العمل ، داخلهم الملل ، ومالوا إلى حب الدنيا بالنّهب والسلب للضعفاء ، فلما أكلوا الحرام ، طمس الله على قلوبهم ، وحدثوا أنفسهم بأخذ المدينة[1] وصَمَّموا على ذلك ، سيّما بعد وفاة السّيد الهمام أحمد الشرعي المباشر لكل صعوبة عند الإحجام ، الذي لا يخشى في الله لومة لائم ، فبعد وفاته ظهرت[2] تغير نيتهم وعلموا أن لم بقي معهم من يردعهم ، ولم زِدْ امتثلوا لأحد بعده لأنه كان مهاب ، وما فيهم مخلصين إلاّ المقادمة ، وأما القبائل فهم كلهم[3] (. . .) كيف ما تقرح منهم بندق ممن في الروضة جميع وجدر إلاّ بقي[4] قلب أحد يخفق وهربوا وهم كانوا هذه[5] الجهة القبلية نحو عشرة ألف أو يزيدون ولم زذ أوجه[6] وهم المذكورون أولاً أهل الفسالة دائماً « . . . . » الذين كانوا يعيقون[7] في المرانع[8] حال المسنى[9] أقماهم الله وأما الحيمة وبني مطر فثبتهم الله ، فلم افتشلوا إنما قاتلوا حتى غُلِبَ على جهدهم مدة ثلاثة أشهر ، لأن أول ما نشأ العمل من عندهم في شهر الحجة وهلم جرًّا إلى دواخل[10] في ربيع ، وفعلوا ثلاث قتلات يشيب لها الرضيع ، وراح فيها كم من رفيع ووضيع الأولة[11] في الحجرة ومفحق ، وفي الخميس ، وقملان ثلاثة أيام متوالية ليلاً ونهار ، ولا سكنوا فيها ساعة ، وأولهن التي تكوّن[12] فيها الأمير الكبير السيد أحمد[13] ولم فعلوا بأحد من المسافرين مثلا فعلوا المذكورين ، أعظم ما يكون إذ لِقْيوا[14] مع أحد بسْطه أو شيء قبضوه ، وأما الضعفاء والمساكين ، وجميع المسافرين داخلين أو خارجين فلا نَكُّوا[15] أحد ، بل أنهم يزدْ

---

(١) أي نهبها (مدينة صنعاء) .

(٢) كذا .

(٣) كلمة نابية لا يحق لنا إيرادها في حق القبائل وأهل البلاد .

(٤) بمعنى لا بقي .

(٥) خ هاذه .

(٦) واجه .

(٧) يصرخوا .

(٨) جمع مرنع وهو عبارة عن خندق يحفر في الأرض على شكل تدريجي وينزل فيه الفلاح وبهيمته لنزع الماء من البئر .

(٩) السنى معروف ، يريد أن يقول أن هاتين القبيلتين كانوا أهل زراعة وليس في هذا عيباً فالزراعة من أشرف المهن وأقربها إلى الحِل .

(١٠) الأيام الداخلة في هذا الشهر (أوائله) .

(١١) الأولى .

(١٢) تكون أصيب بجراح .

(١٣) أي الشرعي سبق ذكره .

(١٤) لقوه تلقوه .

(١٥) من نكى الجرح آلمه .

يمروا مع كل معروف ، حتى يبلغوه مأمنه أو وطنه . وإذا فعل أحدهم رأي [1] لأحد مضى آمن ، وكل من لقيه علَّم عليه [2] وزاد تقوية حيث ذمة الإسلام واحدة ، الله يحسن مخرجهم ، ويلطف بهم وبالمؤمنين ، وما سبب الفشلة أولها إلّا من « . . . . » الذين هربوا من الحيمة كما جاء في الحديث (من سن سنة حسنة فله[3] أجرها وأجر من عمل[4] بها) والعكس في العكس . فالسبب من « . . . . » تبغّوا ضَعِفوا ولكنه الحرام السابق / لأنهم أهل جدر كان كل واحد يعد نفسه لألف فارس طول الزمان ، وأكثر عسرتهم[5] ، على أهل صنعاء ، وكذلك أهل جِزْيَـر مثلهم سواء في العنترة والعسرة ، فلما حَصْحص الحق وجاءتهم الأتراك، وساقتهم لذلك الأقدار والأفلاك تمنوا الخلاص، ولات حين مناص، ولا زد قرح من لديهم بندق ، ولا طلع لهم ذخير[6] ولعل ما لصي[7] لهم فتيل ، أهل جَدِرْ بقيوا في البيوت طول النهار ، ويحيى بن يحيى دودة يعاذلهم أن يقاتلوا ، وقد كان عندهم بأصحابه ، فلم يسعدوا بل أجابوا إذا مرادك تقاتل وحدك فشأنك ، وهربوا الليل ، وأما أهل حزيز ، فما وصلوا الترك عندهم وعاد في القرية بشر ، كل أحد قد نفر كما يفر الثعل من إنسان البشر ، فحُمّي[8] لحاهم من الفيشرة[9] والبَرْطْ طول الزمان والعيسرة[10]فما أحقر من قافي[11]أسلوب القَبْيَلة يا « . . . . »[12] جدًّ بكم يا أهل الحيام والقيام بالدين ، الله سبحانه لكم نعم المعين ، بني مطر الله يدفع عنهم الشر ولا تزالوا في حمى خير البشر .

وبعد ذلك توجه الباشا أحمد فيضي بعساكره الجرارة ومدافعِه المختارة جهة العدن يريد ذمار ، ولم قد وصل منه إلى الآن خبر ، ويوم الجمعة ٢٧ صفر توجهت من صنعاء

---

(١) هو ما يسمى الآن بالترخيص أو التعريف .
(٢) أشّر عليه أو وقع .
(٣) خ فلهو .
(٤) الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» رواه أحمد بن حنبل والترمذي والنسائي وابن ماجة عن جرير (أنظر الفتح الكبير ج٣ ص٢٠٠) .
(٥) شدتهم يقال فلان عسر (شديد المراس) .
(٦) كذا ولعله ذخيرة .
(٧) ما أشعل لهم فتيل .
(٨) حمي كلمة عتاب أو لوم .
(٩) القشر .
(١٠) النخوة .
(١١) أدار لها قفاه .
(١٢) كلمات محذوفة لا يليق إيرادها هذا ولعل المؤلف كان صاحب نظرة سيئة تجاه القبائل القريبة من صنعاء لما يحدث بينهم من إحتكاك في ذلك الوقت وإلا فإن تلك القبل أجادت في مواجهة الأتراك وغيرهم .

المحمية بالله نحو طابورين جهة قبلي . الله أعلم أين المراد ، الأخبار بلاد كوكبان مربوشة لم قر فيها القرار ، وفي الروضة نحو طابور باقي رتبة قرار في البيوت الكبار ، وقد أطلقوا سيدي محمد بن إسماعيل حميد الدين بعد نحوٍ وعدين وولده ، وباقي[1] الحاجَ سعد الدين الزبيري ، الله يخارجه ، وزِدْ حسبوا الفقيه عبد الله الحضوري ، سرة أخرى وكَفِل[2] وخرج هو وإبن الجَحْدري .

ومنعوا في صنعاء المزلبين[3] الذين بيعلموا الزِّلابيا قيل أنه بيضر العساكر ، وأن الوقت وخيم[4] حتى قيل أن ثم فنا[5] فيهم ، وكذلك في الحديدة والزوار[6] وصل بعضهم في ٢٠ ربيع أول الذين ركبوا سواعي ، وأما أهل المراكب ، فلم قد بدا[7] منهم بادي إلى الآن[8] سلخ ربيع ، الله يبلغهم أوطانهم ، كما بلغهم أوطارهم ، ويشركنا في صالح دعائهم ، ووقع في هذا الوعدين قضيتين : الأولة في أول ربيع أول قبضوا القبائل أهل ثلا وحبابة وشبام على المشعبث[9] الذي كان يتكنى بأمير المؤمنين ويدّعي أنه خليفة المنتظر ، وهو رجل قبيلي ، كان يسكن في الغرزة من بلاد هَمْدان ، وقد فعل قضايا ، وهلكت على يده ممالك ، المرة الأولى خرجوا عليه الترك إلى حَجَر الزكاتين ، وهي حصن جنب كوكبان ، وراح ما فيها بسببه ، والثانية في حَضَران من بلاد ثلا بالقرب من العسم وبيت علمان ، وطلعوا له التُّرك من عَمْران ، وذهب ممالك من القرية بسببه ، والثالثة هذه في الرونة من بلاد ثلا فوق حبابة ، وخرجوا عليه أهل المحلات المذكورة ، وراحوا نحو ثمانية أنفار من تلك المحلاًت ، ومن القرية التي هو فيها والسَّبب أنه يصال المحل ويعمّي[10] عليهم بأمور ، ولكن مع جهل العوام جَزَعَتْ[11] على طغام الشام ، والحال أن القرى التي بيقعد / فيها متقاربة ولا حَذِرْ منه أهل القرية الأخرى مع ما فعل بأهل القرية السابقة ، ولكن الذنوب أعمت القلوب .

---

(١) أي باقي في السجن .
(٢) ضمن .
(٣) أي صناع الزلابيا وهو عجينة توضع على السليط الساخن حتى تنضج ثم توكل واللفظة فارسية .
(٤) موبوء .
(٥) وباء .
(٦) زوار قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (الحجاج) .
(٧) ظهر منهم ظاهر .
(٨) ح ألا الا ان .
(٩) المشعوذ (والشعوذة ضرب من السحر والجنون) .
(١٠) يطمس أبصارهم .
(١١) مرت

حنبّ الدنيا أهلك كم من عاصر نيبة[١]

وانظر من كان قبلك من شاب وشيبة .

وقبضوا عليه ، وأدخلوه شبام ، وكتبوا إلى الإمام في أمره ، فرجع الجواب بإيصاله إليه فوصلوا به وصار مغلغلاً في الحديد ومكبلاً .

والقصة الأخرى أن علي باشا لما خرج الخرجة الأخرى المذكورة صحبة[٢] الباشا أحمد فيضي بعد فتح الحواز ، ومر على بَيْت عذاقة ومسور ، وحط فيها رتبة ، فلما رجع وقع القبض على الذين في مسور وبيت عذاقة من القبائل بسلاحهم ، وجميع ما يؤول بهم ، ومضوا بهم إلى الإمام[٣] وهم نحو ثلاثين أو يزيدون .

والذين ذكرنا الطابورين الخارجة من صنعاء في نحو عشرين ربيع ، مضوا إلى بلاد كوكبان ، ويريدون بلاد المحويت ، قيل وصلوا ، وقيل بيحتربوا في بني حبيش والله أعلم .

وفي خرجة علي باشا الذي وقع الحرب فيها في قاع الضلاع ، والتقاهم السيد الجندبي كما ذكرناه ، وبعد جت[٤] طريقهم على بني الخياط وقعوا بقريتين وأخذوا ما فيها ، وهيه[٥] بيت شَذّان والثانية بجنبها ، وأما إبن المتوكل الذي كان في دار الحيد ، فصار الآن في سوق الحَضَارم طرف بلاد خولان من شرقي خلف بني شداد ، ولا زال يعاذل[٦] خولان بالبقاء على طاعة الإمام ، ولم زِدْ حصل منهم الإسعاد له ، وذكر لهم أن إذا ما عاد مرادهم في الجهَاد فعلوا له قاعدة[٧] بيده وطبعوا[٨] فيها ، فلم أمكنهم لما سبق منهم من النِّشطة[٩] للجهاد وشغلة[١٠] الإمام بالكتب والقواعد[١١] والرهائن ، خشية من الإمام ، وخشية من الأروام[١٢] إذا طبعوا له أن هم شا[١٣] يطيعوا الأتراك استضعفوهم ، وطلبوا منهم المغلبات

---

(١) أي نابه مقدَّم الأسنان وهو من شعر الأديب علي بن إبراهيم الأمير المتوفي سنة ١٢١٩ في عراضة لقصيلة البهلول .
(٢) خ صحبت .
(٣) خ إلى إمام .
(٤) جاءت .
(٥) وهي .
(٦) يلومهم .
(٧) كتاب بيده .
(٨) طبعوا فيها بأصابعهم ختموا .
(٩) النشاط .
(١٠) أشغال .
(١١) الأتفاقيات بينهم .
(١٢) الترك .
(١٣) سوف يطيعوا .

بعد أن كانوا هم القاسطين[١] وصاروا الهاربين من الأروام والناكبين لبيعة الإمام .

وصارت الحيرة في جميع أرض اليمن ، لا بقوا على الفساد ، ولا أطاعوا وتركوا العناد . إنما كل أحد زاقم نفسه في بلاده منهم قِل[٢] سطواً من الترك لما قد جرى . ومنهم مبطن الفساد ومترقب لما يصدر من العباد . ومنهم قصده يلف ثمرته ويرجع لعادته ، وصاروا يرهجوا[٣] وما دَخَل صنعاء إلا عشر أهل الحوازات ، والمراد أن صنعاء في ضلكة[٤] كبيرة كالبقرة المشبوجة[٥] بالقضب ، فقروا لها بَطْنها فتنخست ، وهذه صنعاء كالمحوزة إلا أنها تنخست ، والأخبار شغوف[٦] .

وبعد ما فعل الباشا أحمد فيضي في بني بهلول ما فعل من إحراق غيمان ، عزم سيَّان وتوجَّه ذمار ، وقد أهلها ميقنين[٧] بالدَّمار لما سبق منهم كما ذكرنا ، فوصلها وقد رحلوا أكثر أهلها منها ، ولم يبق إلَّا القليل الذي هو مرجِّي[٨] السَّلامة ، وهو على وجل في البقاء ، ولقيوه بالعقائر ، ودخلها ولم يوجد فيها باقيين[٩] إلَّا / الذميين فهم من بقاهم بالسَّلامة منهم على يقين ، وفعلوا فيها العساكر ما قدروا عليه من النهب سيما حين لم فيها إلَّا اليسير من أهلها ، وبقي فيها يومين لا غير ، وأرسل بعض العساكر وكبارهم من البوش واليوزباشا ، والشيخ علي البليلي إلى يريم ، وأظهر للجميع الأمان ، وأن لا يعاقبوا بما فعلوا مهما ذكر سابقاً ، وأنه قد عفى عمَّا مضى جميع ، فيما ذهب بسببهم من أوال الميري والشونة والخزنة والهزينة الفلوس والخزينة البنادق والمدافع ، وأخذ الرجال وما معهم من العفش والنفش[١٠] والأموال ، والذي كان فيها قائم مقام هو نسبه[١١] محمد علي ومحرق[١٢] لقلبه ، ولكن سياسته بالعفو والأمان خلَّت الرعايا ترجع إلى طاعة السُّلطان فلولا ذلك العفو وإظهار الأمان ما رجع إلى الطَّاعة إنسان ، بل يصيروا جميع في الفساد والحرب وإضرام النيران ، والظاهر أنها إلَّا سياسة إلى أن يرجعوا كلهم إلى أوطانهم ، والأتراك يتمكَّنوا منهم ، وإلا فما يفوت عليهم شيء ، وقد ظهرت منه نفثات بهذا المراد ، فإذا صح

---

(١) العادلين .
(٢) قل إقدام .
(٣) يثيروا الفتنة والشغب .
(٤) لعلها صنكة (ضنك) .
(٥) المتنفخة البطن .
(٦) كل يخبر على هواه
(٧) موقنين .
(٨) راجي .
(٩) باقين .
(١٠) المتفرق .
(١١) صهره .
(١٢) أي وقلبه حرق منهم .

وتمكنوا[1] فما هي إلاّ ذنوب على العباد ، لأنه قد وقع فيهم من العرب جميع فعل فظيع من رفيع ووضيع ، ولا سيما أخذت مفحق فإنه صار الباشا يتكلّم فيها ولا يذكر غيرها لكثرتها لأنها ملآن المطرح من كل شيء مدَّخرين لها ، فذهبت بأجمعها القبائل في مدة حياة السيد أحمد الشرعبي لأنه بعد وفاته تفاقَمت الأمور ، وفشل الجمهور ، وفشى النّهب في الطرق من القبائل في الضعيف والمسكين ، وظهر الخبر من الباشا أن عاد إب وجبلة باقية مع العرب ، والله أعلم كيف يكون آخر أخبارها متى صحَّت رقمناها .

ولا زال يحرض الباشا على القاضي أحمد بن يحيى الرَّدمي[2] في العزم إلا العر لأنه قد نصبَّه حاكماً فيها بعد القاضي عبد الرحمن المجاهد الذي لزموه وأرسلوه إلى الإمام وبقي في دار الحيد أيام عند المقدمي سيدي محمد بن المتوكل وبعد عزموا إلى الأمام وبقي[3] ، عنده نحو ثمان أيام وأطلقه[3] وقيل أنه أعطاه رأياً في حكومة الطويلة فوصل صنعاء ، ولما عزم الباشا أحمد فيضي ذمار ، تبعه المجاهد يشتكي بأهل الحيمة وبلاد البستان ، ويغريه بجميع العباد أنهم باقين على الفساد ، وأنه كان سيبين له جميع الناس المحبين والشيعة والمكاتبين ، ولكن الله لطيف .

ووصل وأحمد فيضي باشا مشغول بالتَّصليح للناس ، والعفو ، فلو سمع منه ما جاء به ما صلح له أحد ، وفروا جميع خشية من العقاب ، فنفر في وجهه ، ولم يلتفت إليه ولا أصغي لما جاء به ، وقيل أنه نفخ[4] في وجهه ، وذكر له أنك رجعت من القبلة[6] براي[7] حكومة ، وأنك منهم غير صادق عندنا ولا مصدق ، والله أعلم ، ولكنه رجع من عنده بخفي حنين ، ولا سيما كونه وجَّه الحكومة لغيره أحمد الردمي ، وعاد هيه غير صالحة الحيمة ، بل إلى التاريخ خامس ربيع آخر ، وهي باقية على الفساد ، وعزم الرَّدمي على غير أساس في البناء ، ولكن قصد الباشا أطفأ النار والتَّبريد[8] وتصليح البلاد ، ولو بغرامة ، وقد سبق إليهم القاضي يحيى زاهر ، وهو شيخ قرية القابل ينصحهم ويعظهم ويصلحهم ، وعزم من عند أدهم باشا من الرقة لذلك ، وهو

---

(١) أي الأتراك .

(٢) هو الفقيه القاضي العلامة أحمد بن يحيى الردمي الصنعاني ولد سنة ١٢٦٣ وتولى القضاء للأتراك في حراز ويريم وحجة والعدين وبلاد البستان وغيرها وكان أديباً ظريفاً لما أطلع على معجم في لسان الأتراك قال قصيدة أولها : هذا كتاب عجيب حوى فنون الرطانة .
توفي سنة ١٣٢٠ (أنظر المؤرخ زبارة : أئمة اليمن ص٢٨٦) .

(٣) أي بقي المجاهد .

(٤) وفي بهجة السرور للعرشي أنه فر هارباً إلى الأتراك وكانت وفاة العلامة عبد الرحمن بن أحمد المجاهد سنة ١٣١٦ .

(٥) غضب .

(٦) الجهة الشمالية مقر الإمام .

(٧) بتفويض أو تعيين .

(٨) خ التبريد .

أكبر الشيعة والمحبين ، ولكن غُلِب عليه كما غلب على غيره ، وفي ذهنه أن المشاحنين عليه والأعداء كثير سيما دغيش عاقل ضمان بني الحارث وفي ذهن يحيى / زاهر يمحي ما جرى منه ويغطي كما قال الله تعالى : ﴿ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ﴾[1]، ومدة خروج الباشا أحمد فيضي على بني بهلول وذمار ، ومدة رجعة[2] عشرة أيام لا غير ، ولكنه كان كالمجلي ، ورجع معارض ومستعجل ، وإلاَّ فكان الشهرين قليل ، لأن عاد اليمن باقي[3] وما أرسل إلى البليلي وغيره إلى يريم كأنه يريد الرجوع لما هو أعظم ، وهي جهة القبلة .

وطلع يصلي جمعة في الجامع رابع شهر ربيـع آخـر، الباشا أحمد فيضي ، وما وصل إلاَّ حال الأذان ، وقد في البقعة التي يقعدوا فيها الخلفاء والأمراء ناس آخرين من الفقهاء ومن أراذل الناس ، ولم يفسحوا له بينهم ، وهم إثنين هو وعلي باشا القمطار[4] كبير العساكر ، فقعدا تحت المنبر من غرب لاصقين بالمنبر ، حتى أنه يمكن أنفه يلمس المنبر حال السلام ، وبعد الصَّلاة أدّى[5] للخطيب ذهبية وإلى يد محمد الأكوع كبير المؤذنة[6] فالخطيب سار بذهبيته ، وقامت الفتنة بين السنيدار[7] والمؤذن كلاًّ يباها[8] وفعل السَّادن عرضْحال يعني شكيّة وهم أهل عهد[9] كثير لمن يكون ذلك ، فأجاب بِتَقْسِيمها على السوية، وحال الرقم بعد يومين ولم قد سكنت بينهم الشغلة[10].

وحين خرج من باب الجامع ، فتحوا له الباب القبلي ، وقد أمر حقّه الياور يقسم زلطا للمساكين ، فلم أمكن التَّفريق بينهم لكثرتهم ، فرمى بها من رأس الدكة القبلية ، فأقبل كل من له جَلَد وجَزْم[11] حتى بعض الأغنياء ، والعسكر النظام يتهافتوا عليها جميع ، وركبوا خيلهم ورجعوا بئر العزب .

وفي أوائل شهر ربيع آخرة ٦ ربيع عزم علي باشا على الحركة من عند الباشا أحمد فيضي ، إلى جبل مسور في بيت عذاقة لقتالهم ، لأنهم أخذوا الثلاثين النَّفر العسكر واليوزباشا

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٣ .
(٢) رجوعه .
(٣) أي باقي في الثورة .
(٤) لعلها رتبة من رتبهم العسكرية وأظنها محرَّفة عن القمندان .
(٥) أعطى .
(٦) المؤذنين .
(٧) هو القائم بأعمال المسجد من نظافة وإشراف وغيره .
(٨) يطلبها .
(٩) أهل وضائف متعهدون بها .
(١٠) المنازعة .
(١١) عدم حياء .

يعني كبارهم ، وأخذوهم بسلاحهم ، وأوصلوهم إلى الإمام فخرج متحرّج من فعالهم بقوم كبير، ومدافع ، ووصل شبام وعزم من شبام ، ومضى إلى بيت عذاقة ، ورتّبها وتبعه يوم الخميس ١٠ ربيع قوم ومدافع كبار ، وحطوا في جربان مرزمة وهاظم لجميع القبائل .

ويوم الخميس ظهر عندنا ما لا نعرفه ولا سوى الله يصرفه ، وهي الكرتنة التي كان يفعلوه في البحر يعني حبس المسافرين في المحل الذي خارج البندر لحتى ينظروا الصحيح من السقيم ، ويُحَيِّروا البَخْير[1] مع الأليم ، فوصلوا بقية الحجاج الزوارين ، وقد فعلوها معهم في البحر وفي جدة وفي المدينة ، وصح مدة[2] غيبتهم هذا السابع شهر في هذه التحيرات ، وما وسعهم إلّا زد حرجوا عليهم ومنعوهم من دخول صنعاء ، وهم بخيرين مستريحين صحاح فِصاح ولكن قالوا أنهم وصلوا من بلاد وخيمة وحَيروهم خارج صنعاء في بيت زهرة[3] وفي عصر ، ووصلوا مسافرين آخرين مختلفين من الحيمة وحراز وحضور وصنعاء ، ومعهم ترك من تهامة ، فحيروا الجميع من دخول باب القاع ، وشلوهم إلى باب الروم ، وبقوا هنالك لحتى جاء الطبيب ينظرهم ، وبقاهم في البيوت التي قبلي باب الروم وأمروا أهل البيوت بتفريغها للواصلين ، فقالوا لهم أهل صنعاء وأهل حضور فنحن بخيرين ما سبب بقانا في الكرتنة ، قال الطبيب لمسايرتهم للأمراض في الطريق ، وهذه من عظم الذنوب الله يغفرها لنا ويتجاوز عن الحوب آمين .

ومنعوا بيع المخضر[4] جميع ، والتمر ، والزبيب ، والبرعي[5] والزلابيا[6] / ووقع في هذا الوعد مطر في الشتاء والشّمس في القلب ، وبَرد عظيم أكثره في بلاد هَمْدان في أم سرجين وجربان عند العساكر الشاهانية ، ولعل فَعل فيهم ما فعل في جربان ، والموت باقي فيهم ، فعلوا الكرتنة المذكورة في صنعاء ، والمَرض فيهم ، وأخبرني الثقة الذي خرج من صنعاء طابور في عاشر ربيع وتوجّه ضلاع والرّجل المخبر دخل من لولوة[7] فرأى بعض العسكرية بيموتوا في الطريق من غير مرض ولا عرض ولا مضيق[8] وإنما سومة[9] ونومه . ورأى بعينه غير واحد في ذلك اليوم ، وغيره رأى مثله ، والذين في الرّوضة كذلك وفي صنعاء مثل ذلك ، وصار ذلك فيهم

---

(١) المتعافي .الصحيح .

(٢) خ مدت .

(٣) من الجهة الجنوبية وهو الآن داخل في صنعاء جنوبي باب البلقة .

(٤) الخضروات .

(٥) هو عتر يابس يغلي بالماء ويوكل مع خبز كالفول .

(٦) سبق ذكره .

(٧) قرية سيأتي ذكرها في البلدان .

(٨) ضيق .

(٩) دوار غيبوبة .

في كل محل ، وأما الحديدة وتهامة فأجل[1] الله يلطف .

ووصلت هذا الوعد كتب ومكاتبة أشراف من مكة ذكروا أنهم مرسلين من السُّلطان ، أحدهم السيد فلان الحريري[2] خرج من اسطنبول من عند ابن عمه شيخ الصوفية ومقري[3] أولاد السلطان[4] ، وآخر السيد أحمد المعافا كان مهاجراً في مكة وآخر معهم إلى اليمن والإمام لإصلاح الشأن وبقيوا في صنعاء وأرسلوا بالكتب من صنعاء إلى الإمام وقيل أنهم من عند البوش الكبار أحمد فيضي وأحسن أديب وأنهم فعلوا لهم مكتوب على لسن السلطان إلى[5] الإمام وقيل أنه حقيقة من طرف السلطان وأرسلوا بذلك مع سيدي أحسن بن عبد الله بن يحيى المنصور وسلموا له عشرين ريال حجر قُدْمه[6] لحتى يعود بجواب الإمام ويوفوه أجرته . فوصل إلى الإمام وبقّاه قيل أيام حتى جوب عليهم بما طابت به نفسه وشفا خاطره وقيل في الجواب قولين الأول أنه رَدَّ لهم جوابهم وذكر لهم أن جواب السلطان قد أرسل به من لديه فحار فكرهم في شطارته إذا صح أنهم زوَّروا وأنه قد ظهر له التزوير حتى قيل أنهم قد كتبوا من صنعاء إلى اسطنبول المتصدرين يِلْقفُوا لهم الجواب حق الإمام إذا وصل والله أعلم .

وأما جوابه لهم ولسلطان الإسلام فإنه عظم شأنه غاية التعظيم ورفع مكانه على سائر الخلق لما هو فيه من مثاغرة الكفار وللقيام بالذب منهم على الحرمين الشريفين ولمحتاجاتها وغرامته فيما يقوم بها وبأهلها وبعساكرها وما سأله[7] السلطان في كتابه إلّا ليحقق له ما سبب الفساد في اليمن وما سبب سفك الدماء من الجهتين وما سببين التكفير لمن في اليمن من المشيرين والبوش المختارين والعساكر المجاهدين فأجاب بالقرآن والسنة وما أوجب قيامه إلا لما ظهر من أجناده من البغي والفساد وظهور الفواحش والمنكرات أجمع شرب الخمور واللواط والزنا والربا والقمار والميري[8] والرسوم وأعظمها إبْطَال الشريعة وتعطيل الحدود فهذا كله من البوش والحكام في اليمن ومن لم يحكم بما أنزل الله (ثلاثاً) فلو يعلم سلطان الإسلام مولى الخاص والعام ، بما صار منهم لجاهدهم بنفسه فخشي كل أحد من البوش على نفسه من السلطان وإيصاله رمسه[9] .

---

(١) فأعظم .

(٢) هو محمد بن علي الحريري الرفاعي الحموي مفتي حماة (أنظر أئمة اليمن ج١ ص ٥٢) .

(٣) مدرس .

(٤) يعني به الشيخ محمد بن حسن المعروف بأبي الهدي الصَّيادي استمر في خدمة السلطان عبد الحميد نحو ثلاثين سنة توفي سنة ١٣٢٨هـ .

(٥) خ الإمام .

(٦) تقدمه .

(٧) خ سلة .

(٨) ضريبة الأرض (سبق) .

(٩) أنظر نص رسالة السلطان عبد الحميد إلى الإمام المنصور وجوابه عليها في بهجة السرور للعرشي وأئمة اليمن ج١ ص٥٢ - ٥٩ .

ولم سكنت الفتن والحرب والقتل في خلال ذلك فإن علي باشا لمّا رتب بيت عذاقة جاء له الخبر أن القبائل أحرقوا بيت في المحويت فيه عسكر كثير فعزم من حينه نحو المغرب ووصل مطرح بعرق الرُّجُم سوق ووقع حرب كبير ولما عزم من بيت عذاقة طلعوا القبائل أخذوا الأتراك الذين في بعض المعاقل في بيت عذاقة وهي المرة الثالثة أخذوا العسكر منها .

وأما خبر ذمار فلعل قد الخطاب عليهم كاين فيما ذهب عندهم من أموال السلطان وعساكره / وذخيرته ، ويريم أكثر أهلها هاربين سيما مع ما سمعوا به من خطاب أهل ذمار وأكبر من فيها شيخها عبد الله مثنى نجيم لم رضي يرجع ولا يصطلح الآن وباقي الجعفر[1] في جميع البلاد . وابن المطاع الذي كان في ذمار عامل للإمام وصل صنعاء على يد الذي خرطه للوصول فلما وصل سمع من الباشا أحمد فيضي نفثات ألم فبقي يوم وهرب فجر متغرر[2] .

وأما خبر أرحب وخولان فلعلهم ابتاعوا الآن قدهم في صنعاء جميع عقال أرحب وخولان وقيل أن البيعة شرعت من عند السيد يحيى الهجوة وأن سيدي محمد بن محسن المتوكل فيها شريك والله أعلم .

ووقع كسوف في شهرنا ربيع آخر ليلة رابع عشر نصف الليل حتى كادت تنطمس جميع وتجلت .

وأما خبر أحمد باشا رشدي فلعله نزل نحو تهامة وطلع حجة ووقع له محرب كبير حتى قيل ردوه إلى نجرة وباقية حجة محتازة من الكسوف الأول هي وقفل شمر في شوال سنة ١٣٠٨ إلى التاريخ .

ومن بعد ما استفاضوا الأتراك على هذه الأرض فتحوا بيتين في صنعاء بيت الإمام القاثم وبيت الرماح شيخ بني مطر وحطوا فيهن عسكر كثير وغفرات[3] في الأبواب وكان يُعَلّموا[4] العسكر في تلك البيوت والصريح[5] ورأينا تعليم العسكر في بيت الإمام وفي صرحة الخرّاز[6] وفي بيت الرماح وصرحة داود بيت أحسن لطف الثور وباب بيت غمضان القبلي وقد جت[7] للأتراك تلك البيوت وترتيبها على ما عندي مزاجاً فإنهم يريدوا المداخلة في صنعاء وسكون

(١) عدم الأستقرار .
(٢) متنكر .
(٣) جند وفي المحيط « من لحن العامة أنهم يبدلون الخاء غيناً في كل ما كان للإجارة والمحافظة من باب خفر فيقولون الغفر والغفارة يريدون الخفر والخفارة » .
(٤) يدربوا .
(٥) وهي الساحة .
(٦) حارة ومسجد سيأتي ذكرها مع ملحق الكتاب
(٧) جاءت .

العساكر بين البيوت للقلق[1] فيهم من صنعاء فقد كان جعلوا نحو طابورين في سماسر صنعاء من الذين وصلوا مع الباشا أحمد فيضي في الظاهر لكثرتهم والباطن لعدم القتهم[2] .

وبعد دخلوا تلك البيوت ولعل عاد مرادهم .

وفي يوم الخميس سادس عشر ربيع تجهز الباشا أحمد فيضي بنفسه للخروج من صنعاء بالعساكر والمدافع فلذا خرجوا معه ذلك اليوم ثلاثة آلاف ثُلُثَيْنَهم صحبته الصبح وثلثهم عصب[3] الظهر مع باقي الشداد ولم وقع سخرى لكون ما قد يريدوا تنفير القبائل كون لم قد طابت نفوسهم بالطاعة لهم ولا بدخول صنعاء بالبضاعة معهم فشدوا على جمالهم وبغالهم وسخروا بهائم القشامين وجَتْ طريق العسكر من باب شعوب والباشا والخيالة من باب الشقاديف وتوجهوا قبلي ولم تبين مرادهم ولا أين قصدهم لأن البلاد كلها باقية في العناد ، ناس يقول : أرحب ، وناس يقول : ريدة وناس يقول حجة وبلاد المغرب ، وناس يقول : المراد سيدي الإمام ، وكلها محتاجة وهي الباعثة للخروج ، جت لهم أخبار أنها وقعت في حجة قتلة كبيرة واشتد الحصار بمن فيها وبمن في عَفَّار حتى أن قد نفذ معهم الزاد وكان علي باشا أينما توجه لا يأت[4] لهم بخير ، محوّز في الرجم ، وبقية من في حصن مسور محتازين هناك ، وقد كان سبقه عساكر كثير إلى جربان من قبل بثمان يقاربوا بهم صلح أرحب / على ما كان عليه من المقطوعية السابقة ولا عليهم غيرها شيء لا جزاء ولا غيره وآخر ذلك اليوم وقع في الكولة في قاع جَدِرْ مكوّن من الأتراك ، وإثنين مقاتيل منهم ، وقيل أكثر ، وقيل أقل ، ودخل المكون إلى صنعاء محمول ، ولعل ذلك من أجل البنادق الذي فوقهم .

ويوم السبت وصلوا عسكر من الجهة الغربية من الذين كانوا باقيين في الحديدة بسبب المرض وقد وقع فيهم موت كثير من الطاعون الذي وقع فيهم وراح الأجل[5] منهم والواصلين نحو ثمان مئة ومعهم أربعة مدافع كبار وخيلهن قيل سبعين وقيل أكثر وقيل أقل ، أجلهن مخاصي لا فحول ، وكرتنوهم خارج بئر العزب في تلك البيوت المفرغة للكرتان في الغروس خارج باب الروم وفي بيت زِهْرة خارج باب البلقة ، وعاد اليوم الثالث حال الرقم وهم في الكرتنة ، حتى أن ناس معهم تكرتنوا وليس هم من تهامة واصلين . بل من صنعاء خارجين في منفعتهم وواصلين من الحيمة صحبتهم ، ولكن عندهم من سايرهم فعليه ما عليهم ، وهذا من قبح فعالهم خلافاً لما

---

(1) الخوف .
(2) العدم الثقة بهم .
(3) شد رحاله . وتقرأ : عقيب .
(4) لا يأتي .
(5) الأكثر .

جاء عن سيد الأنام لا عدوى ولا طيرة في الإسلام صلى الله عليه وعلى آله الكرام.

ولم انكف[1] الواصل من الأتراك من تهامة ولا الخارج من صنعاء بعد الباشا أحمد فيضي لأنه يريد الغدر بالإمام إلى المدان، وقد سبقه أحمد رشدي باشا من طريق تهامة ولعلهم قد تواعدوا يهجموا المدان محل الإمام كل أحد من جهة، وكل أحد قد جمع من العسكر آلاف لا تحصى، ومدافع وذخيرة لا تستقصى، ووصل رشدي من الزهرة[2] طلع جهة الأهنوم، وقد معه من العرب المنافقين البائعين للدين ومدللين[3] على المسلمين.

وفي هذا الوعد ارتبشت أحوال صنعاء في البيع والشراء وجميع المصرفات والسبب أن الدولة فعلوا المجيد[4] الذي كان صرفه ثمن ريال وبعد فعلوه ربع ثمن[5] ريال وبعد انقطعين منذ خمس ست سنين وإذا وجد نادر فهو قرش إلاً ثمن والآن خرجت هذه العساكر الذين من الشام مع أحمد فيض باشا ومعهم مجيديات كثير ففعلوهن قرش وثمن ونصف ومن ردهن فأدبه خمسة قروش حجر، فعدم كل شيء حتى اللحم، لأن كل من معه مجيدي جاء يجرْ[6] بثمن أو أزيد له مجيدي ويريد أنه يُرِدُّ له البقية عددي[7] والقبائل لم يعرفوا المجيدي فقل المجلوب وصارت[8] ربشة[9] كبيرة.

وفي خلال ذلك إنتهبت حملة واسعة في قاع الحقل في حدود آنس والحيمة، وفي حراز والفرش قيل مئتين وخمسين ظهر، وقيل أقل وقيل أكثر فيها كل شيء ولم يكن فيها للتجار شيء إنما هي للدولة جميع، وقيل أنها تبعتها نهبة آخرة في حدود مفحق والعجز، والسبب أن الحيمة باقية على الفساد على الدولة، والعامل حق الإمام باقي فيها، ومقادمة من طرفة وقطعوا السلك الذي عادهم أصلحوه بعد مشقة كبيرة حتى كمل صلاحه / فلما تمموا[10] عمله وقد يستعملوا به بعد انقطاعه نحو ثلاثة أشهر وكسور[11] قطعوه من بوعان إلى وسط الجبل حق الخميس.

---

(١) أي ولم يتوقَّف.
(٢) بلدة في تهامة اليمن.
(٣) أي دالّين عليهم كالجواسيس.
(٤) عملة تركية منسوب إلى السلطان عبد المجيد ١٨٣٩ ـ ١٨٦١م أنظر تاريخ النقود الإسلامية للعلامة المازندراني ص١٧١.
(٥) في الأصل مع.
(٦) بأخذ.
(٧) قطع قدية صغيرة. أو ما يعرف في بعض البلاد بـ « الفكة ».
(٨) خ مارت.
(٩) فوضى.
(١٠) أكملوا.
(١١) وأيام (بضع).

ووقع في هذا الأسبوع نهبتين في الأتراك أحدهن في الزوم تحت جبل حراز والناهبين أهل الحيمة نحو سبع بغال ومن معهن[1] .

والثانية[2] ليلة السبت ٢٦ ربيع آخر في قاع جدر [وهم] وَصَّالين من عمران عسكر وخياله فَمضوا وتحير بعدهم نحو خمسة عشر نفر وأربع بغال وقيل أكثر ، وخرجوا لهم من جدر أسروا نصفهم وقتل وتكون[3] النصف الآخر . وهربت ثنتين خيل إلى علمان وقبضوهن وردوهن وغاروا الأتراك الذين في الروضة بمدفع ، ورجعوا وخرج من صنعاء نحو طابور يدوروا لأهل حدر فلم يجدوا تلك الساع أحد ولو بقيوا في القرية حقهم إلى خروج الطابور لكان أجمل لهم ، ولكن فشلوا وبقي ذلك الطابور يدوروا من قاع جدر وما يحاذيها من جميع الجهات الأربع إلى الصبح وهربوا أهل جِدرْ بمن قبضوا من الترك إلى بلاد أرحب وبقيوا هناك أيام لأجل أو يقع لهم صلح لأن نياتهم غير صالحة للجهاد وإنما ذنوب سابقة ، فأرسلوا الدولة من يصلحهم ويردوا ما أخذوا وهو شيخهم حزام دغيش والقاضي يحيى زاهر شيخ القرية وكسوهم جيخان[4] حمر وعزموا إليهم وإلى حَدّ السَّاع ثالث جماد لم قد ظهر نفع المخرج الذي خرج [به] الباشا أحمد فيض بتلك العساكر ، والمدافع إنما وصل إلى كحلان وبيت عذاقة ، ولم طلع مسور بل هو باقي في يد أصحاب الإمام ، وتراجعت بعض العساكر الشاهانيّة إلى عمران ، ومن عمران إلى صنعاء ، وكثّروا الرتَبْ الذين في الروضة من الأتراك ، وصارت الروضة بهم روثة ، حتى أن أهل صنعاء كانوا يدوروا من يسكن في بيوتهم باجرة في كل شهر ، لأجل لا تدخلها الأتراك وبقوا على ذلك في مهمة كبيرة .

والرماح والرازقي أهل بني مطر أصلحوهم الدولة ، وابن ناجي صاحب بلاد البستان الذين قتلوا السيد عبد الكريم[5] دخلوا صنعاء الجميع ولكنهم يِنْسِحُوا من فوقهم من معرة الترك .

وانتهبت حملة هذا الوعد بعضها للدولة وبعضها للتجار طلعت من الحديدة والناهبين لها بين أسعد من مكتب آنس الذين نهبوا الحمـولة الأولـة وبين هذه الحمولة بضاعة للبخارين وقليل للدولة وبعد علموا أنها لتجار صنعاء فأطلقوها وقد كان وقع فيها قليل تفريط قبل علمهم لمن هي وتجار صنعاء أرسلوا أناس يخارجوها بقليل دراهم مع علمهم أن النـاهبين ما يريدوا إلا ما كان للدَّولة وأن الإمام لا يرضي بنهب أحد من العرب .

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) أي النهبة الثانية .

(٣) جرح .

(٤) جمع جوخ : معروف .

(٥) هو عبد الكريم بن يوسف بن يعقوب الكوكباني مدير ناحية بلاد البستان أنظر خبر قتلة في أئمة اليمن ج١ ص٤٢ .

وفي هذا الوعد رجع الموت كله والحرب في الحيمة لأن جميع العرب فشلوا ، وأهل الحيمة بقيوا على الفساد والسبب الشيخ[1] قطيع فإنه أكبر المجاهدين ، وأحسن من بـقي المخلصين الموحدين والمقادمة باقيين في الحيمة وقد عضدوهم عساكر كثير ولكن من بلاد بعيدة وصارت كفاياتهم عليهم وترازوا[2] القوم جميع نحو عشرة أيام وأكثر إلى تاريخ الرقم ١١ جماد أول الأتراك في المسجدين وبيت معدن وبيت المفَضّل وبيت . النش / والزيلة والسيد محمد الشويع مع الأتراك ولم قد آل شيء من أخذ بلاد الحيمة والعرب مسامتين لهم وزاقمين عليهم الطريق خشية من الدخول في البلاد وأما القتلات فقد وقعت بينهم كثير منها أربعة أيام ليلاً نهاراً لم سكن الحرب بينهم ساعة وما أظن إلا أن قد أخلصوا لله النيات وصلحت منهم الطويات وإلا فمن يقدر لمواجهة تلك المدافع والبنادق الشاشخان والمرت التي بَلّغْهَا[3] مثل أربع بنادق عربيات .

وهذا الوعد تواترت الأخبار بقبض الشيخ علي البليلي الذي طلعت رتبته عند الدولة وصار إسمه في الجرايد علي البليلي باشا مثل ما فعلوا للضلعي حين أطلعوا درجته من المشيخة إلى البشبشة[4] وكانت نقمته وأيضاً أخوه محمد البليلي أفندي . والذي قبضه[5] العمري صاحب بلاد يريم وقبض معه جماعة من الترك من الكبار والله أعلم بوش أو أفندية[6] .

ويوم الخميس ٩ جماد عزم المشير الجديد الذي وصل أحسن أديب إلى تهامة بعد أن أخبروا قبل عزمه أنه معزول والله أعلم هل صدق أو تغمير[7] وسيرته لأمور باطنة من دهاياتهم وحيلهم لأنه ما صفي[8] له شيء من عند خروجه من البحر في عرفة[9] بقي يتردد في تهامة كالهائم ما يدري أين يتوجه كون قد كانت اليمن مفسدة وطلع إلى حجة بعد قتلة كبيرة ، ورجع تهامة إلى خروج الباشا أحمد فيضي ، وطلعوا جميع ، وما وصلوا صنعاء إلا بعد قتلات تحير الأفكار ، ويسيب لها الأطفال الصغار . ووصل صنعاء لا أمْرَ ولا نَهْي كونها بعد حوزة وباقي

---

(١) بياض جعله المؤلف لإسم هذا الثائر ثم اتضح له فيما وهو يحيى قطيع كما سيأتي ذكره مما يدل على أن المؤلف توفي دون أن يراجع مسودة تاريخه هذا بدليل تركه للفراغات الكثيرة لعدم تأكده من بعض التفاصيل ثم عثوره على كثير منها ولم يكمل كتابتها .

(٢) أوقف بعضهم بعضاً .

(٣) مداها .

(٤) الباشوية .

(٥) يعني علي باشا البليلي .

(٦) في الأصل أفند والإصلاح من عندنا .

(٧) بمعنى تغرير (مخادعة) .

(٨) ما استقر .

(٩) أي بعد وقوف الحجاج في عرفة (شهر الحجة) .

الحواز لا مطيعة ولا مفسدة ، وأحمد فيض يداري[1] الناس بالعفو عما مضى ، فما صَفَتْ لا حسن أديب إلا كفواق[2] الناقة للحليب يومين ثلاث بعد وصوله ، وعاد الناس في الفشلة والذهول ، وعادت على الفساد كما كانت بقدرة الله تعالى .

وأما أحمد فيضي من حين عزم في أول ربيع آخر إلى عمران وقَصْده القدوم على الإمام ، فلم زِدْ ظهر له خير ، وأكثر الأخبار أنه يقولو :[3] هو بخير وانقطع خبره وأما أصحابه الذين عزم بهم فبعضهم رجع كما ذكرناه الروضة والحيمة وبعضهم بقوا في بيت عذاقة وكحلان والمعركة ومحط الرحا[4] ومسقط الروس في الشراقي عدني حجة كان يريد الطلوع إلى حجة فلم سبرت لهم المحجة وانسدت عليهم الطرقات وترتبت جميع الطرق والشرط من عند الإمام ولم بلغوا شيء من المرام الذي عزموا له والله أعلم بمصالح عباده وكانت في الشراقي قتلات كقتلات أيام الإمام القاسم[5] والله أعلم من يعود منهم سالم وسيف الله باقي مجرد على كل باغي وظالم وإمام الزمان باقي في التَّحشيد للأنام وشحذ هممهم[6] في التدارك للإسلام والقتلات متكاثرات في جميع الأقطار وإنما هي على قدر الأفعال وأكثرها في الفجار ، والأرض تمور بأهلها موج البحار ، لا صَفَتْ للترك ولا عصت جهاراً كما صار ، وإنما من خرجوا عليه التّرك أظهر الطاعة ، ومتى قفّوا[7] انعكست الصناعة وصار التخطّاف في جميع البلاد للعجم لا للعرب ، حتى أنه لم يمكن مضي الخمسين والثلاثين والعشرين في البلاد الطائعة وأما في المفسدة ولا مئة / ولا مئتين والقتلات المذكورة في بلاد مسور أعظمها واحدة كقتلة أُحُدْ الكبرى ، قيل في الرغيل وقيل في الشراقي لأن التُّرك يريدوا الطلوع إلى حجة والباشا أحمد فيضي معهم قد تجمَّعت العرب فوقع ما ذكر من القتلات مئات[8] .

وأما الحيمة فمنعوا على نفوسهم إلى نصف شهرنا جماد أول وأطاعت للدَّولة عزلة الأحبوب وبيت الشَّقَّاقي وقيل قدهم في الخربة الذي فوق العر والهجرة وقد وقع في تلك الحروب قتلات كبيرة نحو مئة وخمسين قتيل من الطرفين أكثرها[9] وأدخلوا في التاريخ مكاوين[10] ومصاويب إلى

---

(١) من المداراة معروف .

(٢) الفواق ما بين الحلبتين من الوقت وقيل ما بين فتح يدي الحالب وقبضها على الضرع .

(٣) هنا كلمة ضرب عليها تقرى هكذا :وأصيب ودفن وبعض أصحابه .

(٤) يقال حطت الحرب رحاها (إذا اشتدت المعركة) .

(٥) هو الإمام القاسم بن محمد الذي جاهد الأتراك في القرن الحادي عشر الهجري.

(٦) خ هممهم .

(٧) أدبروا .

(٨) بياض .

(٩) بياض .

(١٠) سبق شرحه وهم المجروحون .

صنعاء قريب المئة وقد قطعوا السلك قطعة كبيرة من[1] .

وفي هذه اليَوْمين رتبوا بعض قرى الحواز كالجراف والسنينة ومذبح وسعوان .

ويومنا يوم النصف طلعوا يطوفوا جبل نقم فلق[2] كثيرة من الترك قيل يريدوا يرتبوه وقيل يريدوا العمارة في الحصن حذراً مما ذكر آنفاً مما وقع في نقم في الحوزة السَّابقة حتى كان تصال الرِّصاص إلى المدينة وأمَّا القصر فما يمكن أحد يظهر فيه .

والإمام شد من المدان إلى قَفْلَةْ عِذَرْ طرف بلاد حاشد ، وشد أهله إلى هجرة عيان في بلاد سفيان محل الإمام القاسم العياني ، قبلي سوق الخرف بقدر ساعة ، والله أعلم ما المراد ، ولا زالوا الدولة في صنعاء يشتاطوا الطعام سيما الحنطة من السوق كل يوم من أول شهر ربيع كل يوم نحو مئتين قدح مقلل لأن المتقنطرين للحنطة ثلاثة محمد البليلي وسعد الربيدي ووسيم التركي الجمروك وكذلك الحطب والملح وكل شيء لا زالوا يدّخروه والله سبحانه يفرج ويرحم الضعفاء ومن لا ذنب له وحجّة[3] عليه .

ونرجع إلى ذكر الحرب في الحيمة ، فإنه طال بينهما اليوم نحو شهر زمان ، وبعد ما أخذوا الأتراك بيت معدن والمسجدين الذي كان السيد محمد بن علي الشويع فيها ، سهلت على الترك الحيمة كون المحلين المذكورين راكبين[4] على جميع الحيمة ، ونزلوا إلى بعضهما والتقوهم العرب في محل يقال له ظفار ووقعت فيه قتلة[5] كبيرة ما قد وقع مثلها في الحيمة ، لكنها في أصحاب الدولة ورجعوا العرب بعد العشاء إلى مراتبهم ، ولم أمكن أهل المدينة العر الفتح لهم يدخلوا يِمْسَوا حسب عادتهم السابقة وردوهم من باب المدينة والهجرة وأظهروا الطاعة للسلطان ، ونصبوا بيارق الأمان وطلبوا العفو والغفران ، ودخلوها الترك يوم الخميس ١٦ جماد ، وانتقلوا العرب ألى بني النِّمري لحرب أتراك آخرين قيل أنهم طلعوا من حراز، وقيل من عمران وشبام، فعلوها خداعة ومخاللة لأهل الحيمة لأجل يفشّلوهم بذلك ، وهم قد أخلصوا نياتهم وأصلحوا طوياتهم ، وأعظم من يكون بهذا الوصف الشيخ العماد المقدام يحيى[6] قطيع وبعض الرعايا والبعض بالعكس / كما أن كل محل لا يخلوا من محب وشاني ، وما قلت[7] هنا من إخلاصهم إلا إني سمعت أحدهم من ضعفائهم قد هرب إلى صنعاء وقد ذهب عليه جميع ما يملك في نهبة

---

(١) بياض .

(٢) جمع فيالق أو فرق من العسكر .

(٣) دافع عنه .

(٤) مسيطرين .

(٥) خ كتلة بالكاف كعادة بعض أهل اليمن في إستبدال القاف كاف .

(٦) هذا هو إسم الشخص الذي بيض المؤلف لاسمه فيما ما مضى .

(٧) كذا ولعله قلت .

المحلات السابق ذكرها في المخلاف مخلاف مذيور فإنهم امْتَحِنُوا إمتحانين . أوله أرحب حين فرّوا من الباشا أحمد فيضي نهبوا المحلات الذي كانوا فيها والذين مضوا منها ، والثانية عند طلوع الباشا المذكور فإنها هدرت تلك المحلات الذي في المخلاف المذيوري ونفخوا لهم بالبوري[١] ، فأحرقوا تلك الدّور جميع وإذا ذلك الرجل يذكر لنا في صنعاء أنه ذهب عليه جميع ما معه كسوة نسائهم سلبوهن القبائل « . . . . » من فوقهن ، فيا حياهم من رب العالمين حين هذا جهادهم ، وصار العرب الآن في بني النمري والله أعلم ما يكون .

وأما الباشا أحمد فيضي وعلي باشا فإنهم الآن في حجة وبعض البلاد هناك واجهوا لهم بالطاعة للضّرورة وبعض البلاد هربوا من قدامهم لأن قد كان أيسوا من الأتراك مع طول مدة الفسادة وفرحوا بقيام الإمام جميع أهل البلاد ، وخطبوا به وساقوا واجباتهم ، وقطع الميري في جميع تلك الأسواق ، وقاموا لحرب الترك بالأشواق واصطروا الآن لما جرى من الترك في بلادهم من النّهب والسلب والإحراق ، وما بقي الآن ما قد وصلوها الترك إلاّ آنس وحصنها ضوران وذمار ويريم من حين قبضوا على الشيخ علي البليلي باشا توقف الحرب ، وصاروا مناطرين[٢] لمن تكون الغلبة للإمام أو للأتراك .

وما بقي في مدة هذه القومة[٣] الذي قاموها العرب في جميع أرض اليمن إلاّ قاموا مع الإمام ، إلاّ جبل حراز فإنهم بقوا على طاعة السلطان ، ولم صدر منهم شيء ، وصنعاء المحمية ، وأما جميع أرض اليمن فإنها أظهرت الفساد وواجهت للإمام[٤] وقبلوا عماله وساقوا واجباتهم ، وخطبوا في منابرهم للإمام ، ونفذت المقادمة والعمّال إلى جميع جهة بلاد اليمن ، ودخلوا المدن جميع ذمار ويريم وضوران والعر وثلا وقعطبة والقاعدة عزم لها سيدي[٥] بن إسماعيل الشامي ، وغزتهم الأتراك من تعز ، وكان معه من ذي محمد عنده في مطرحه وناس آخرين فلما وصلت إليم الأتراك وفيهم سبعة وعشرين خَيَّال فنزلوا عن خيولهم وربطوها ومشوا على خُفْية من أصحاب الشامي ، وقد اصطحبوا سرات[٦] سَلَبْ يربطوا بها العرب والعرب قد زهدوا[٧] بمجيئهم وتجهزوا بآلة حربهم ، فما وصلوا إليهم إلاّ وهم قيام لهم ، فعشروا فيهم وجّردوا جنابيهم[٨] وتبعوهم فلم زِدْ التفتوا الترك على خيلهم المربوطة ، وأخذها العرب وأخذوا

---

(١) النفير .
(٢) منتظرين .
(٣) الحركة .
(٤) أي مع الإمام .
(٥) بياض .
(٦) حبال من الليف غليظة .
(٧) أدركوا الأمر .
(٨) خناجرهم .

سلاح نحو سبعين بندق واقتسموها بالسَّويَّة وردُّوا[1] الأتراك إلى محلهم ، وكذلك من كان في تلك المدن / المذكورة أخذوا من كان فيها من القائمين المقامات ، وأخذ ما في تلك المدن من جميع آلات الدولة ، وأما بلاد الحيمة فكملت بالطاعة للسُّلطان الآن بعد قتلات كبيرة ، وما هي إلاَّ طاعة لسان لا طاعة جَنَان وأركان ، ولم قد أحد سلم شيء من أهل اليمن إلى الدولة إلا الحوازات حق صنعاء يسوقوا بعض زكاة وقليل سياق زكاة في ذمار ويريم طعام لا فلوس ، ولكهم مبقين لما عندهم حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود . حتى أن أهل ثلا سلموا للذين جلسوا عندهم في الحصن رتبة من الترك محتاجات نحو شهر زمان وارتفعوا الترك ودخلوا أهل ثلا يطالبوا الدولة فيما سلموه للرتبة ، وعندهم حقوق كبيرة ما بيحسبوها ، ولكنه الباشا أحمد فيضي سامح جميع الناس ولم يأمرهم بتَسْليم شيء وما يريد منهم غير الطاعة ، فكان يطيعوا باللِّسان .

وهذا الوعد تحققت أخبار قدر القتلات ، وقدر القتلى فالذي راح في الحيمة في القتلتين القتلات الأوُلات عند طلوع أحمد فيضي في مخلاف مذيور وقملان والخميس ومفحق نحو خمس مئة .

وفي حجة شهرنا جماد أول والشارقي وبيت عذاقة نحو[2] وأعظمهن قتلت هذا الوعد حين قدموا الأتراك على الظفير ومبين[3] فإنهم بقوا ثلاثة أيام وقد اجتمعوا جميع الأتراك ومن معهم من العر نحو عشرة آلاف والعرب المقاتلين الذين هم المخلصين كإبن الأحمر[4] والسيد الوشلي وحاشد وناس من البلاد نحو ألفين وأخلاط محوشين[5] معاهم للتسويد مثلهم . وقتلة مشهورة في قرية الجزارين وذهبت فيها مئات .

ويوم الربوع[6] والخميس ٢٣ جماد أول قطعوا السفر في الطريق العدنية أهل الحدا وأظهروا الفساد في طريق زراجة ، والسبب أنهم رأوا قبائل من بني جبر وبني شداد وقليل من خولان مروا من لديهم وعزموا بلاد آنس بمكاتبة السيد[7] وحملهم في عسكره ومكون وشهيد .

ويوم الجمعة ٢٤ جمادي الأولى خرجوا جميع أصحاب الدولة من صنعاء يلقوا الباشا أحمد فيضي وخيموا في الحصبة وانتظروا إلى غروب الشمس فلم يصل أحد وقد كان منه اليأس كل أحد من العرب كما لمحناه آنفاً .

---

(١) أرغموهم على الرجوع .

(٢) بياض .

(٣) هو مبخوت بن ناصر بن الأحمر سبق ذكره .

(٤) مجتمعين .

(٥) أي للتكثير .

(٦) خ الربو أسقط العين مع الأستعجال والمتابعة في تقفيد الحوادث كل يوم بيومه فرحم الله المؤلف .

(٧) فراغ في الأصل .

ويوم الأحد أعادوا الخيام في الطريق جنب قرية الدّجاج في شعوب ، وخرج الخاص والعام للقياه ، فوصل عند غروب الشمس لعل سار من عمران ، ووصل وصله في الظّاهر كبير والباطن وعند الله صغيرة لأنه أقسم على نفسه أن يصل إلى محل الإمام ويضبطه ويصال به ويراه جميع الأنام ، فقصر الباع واشتط[1] الشراع وكَلّ الجهد والصراع ، وتحير في حجة وانقطعت الحجة وضاعت المحجة وبقي نحو أشهر كأنه في لجة وكلت من القتال العساكر وطلبت الفَسْح والتزاكر . وراح كل طمطام وماكر ، وصحا منهم كل ساكر مما رأى من قتال الطالبين لليوم الآخر / وبان النحوس وتساقطت الرؤوس ، وظهر فيهم عند وصولهم البوس ، ومنعوا العرب على نفوسهم المخلصين على أنفسهم في الظفير ، ولم يصله من العجم لا كبير ولا صغير ، ولا أثرت فيه المدافع قليلاً ولا كثير ، وكانت إثنا عشر مدفع على الظفير ، تضرب ضربة واحدة بصوت النفير ، ورجعوا منه خائبين وما أقسموا به صحوا[2] كاذبين ، وراح منهم نحو ألف أو يزيدون ، ووصلوا تاعبين جائعين باردين ، يتعثورون ، وهم على وجل بل غير راكنين على أنفسهم مما بهم من بؤسهم ، وخرجوا جميع الناس للقياهم والعلماء والمأمورين ، وخرجت من صنعاء ستة مدافع ألى شعوب ، وهم وصلوا بإثنين مدافع وخرج الشيخ علي باشا بليلي لقيهم لأن وصل ذلك اليوم من يريم ، وطلع بأربعة مشايخ ونحو ثلاثين ألف دراهم نقداً وخرجوا الترك الذي وصلوا معه يلقوا الباشا ولم قد عطفوا[3] لهم قدماً بل أنهم على ما تحملوا أداتهم على ظهورهم من وعلان ، فالتقى الجمعان أموات على أموات ، الذي من وعلان والذي من عمران : ومحملين كل أحد فوقه جميع زاده ودِفّاه[4] وبندقه وقدر ثمانية عشرة أرطال معابر[5]، ونزل الباشا في الخيمة وتحاولوا ، واستفتح مولانا وسيدنا العلامة أحمد بن محمد الكبسي بالدعاءوالسلامة وختم الدعاء بأن يجعلنا الله جميعاً في دار المقامة : ودخلوا عقيب المغرب بعد أن ضربت المدافع في الصباح ، في شعوب ودخلوا من باب شعوب ، ومع الظلام لم تبين المحب من المحبوب ، وتفرقوا شذراً مذراً ناس إلى العرضي سحوب ، وناس إلى بيته سكوب ، والكل منهم ملآن كروب في الباطن ، وظاهر الفرح بالسلامة لما شاهدوا من أهوال كالقيامة ، والفلوس الذي وصلت صحبة الشيخ علي بليلي هو الذي طلع صحبتها لأنّها وصلت من تعز ، ولكن لم ثم ألقه[6] على طلوعها بنحو بلك عسكر ما وقع إلّا بطابور يطلعها لكون الفساد باطن عند جميع

---

(١) اشتط الثوب انشق نصفين .

(٢) صح اتضح . بان .

(٣) أثنوا .

(٤) الأشياء التي يدفأ بها من البرد كالبطانيات وغيرها .

(٥) جمع معبر وهي ظرف الرصاص .

(٦) ثقة .

العباد ، وكان الشيخ محير في ذمار ويريم ، من عند نزول الباشا هنالك فلما رأى الطابور سيطلع مع الفلوس إشتاق إلى صنعاء مخزان الرؤس لما قد صادر في قبضه المذكور .

وتواترت الأخبار أنها تعقبت قتلة كبيرة تشبة الذي قبلها في ظفير حجة وقعت في حجة والحرب والقتل مستمراً دائماً ولكن هذه القتلات من قتلات أيام صفين . مع أمير المؤمنين الذي يقع فيها أعداد المئين .

وفي ذلك الوعد الذي وقعت فيه هو في آخر جماد أول وقعة قتلة يومين في الخيمة تقدموا أصحاب الدولة والسيد محمد الشويع على الشيخ يحيى قطيع إلى عزلته ووقع ما ذكر[1] وأدخلوا المصاويب إلى صنعاء .

ويوم الأحد ٣ جماد آخر تقدم من صنعاء طابور كبير ثمان مئة ومدفع كبير ولا بد صغار قيل خَرَجَيْنْ[2] من صنعاء وقيل سيلقوا بهن من ذمار وأمسوا في وعلان وآخرين عزموا بخزنه قبلي[3] نحو عمران والله يصلح الشأن / ويدفع الشنآن .

وتحققت الأخبار من حجة والظفير أن بعد عزم الباشا أحمد فيضي إلى صنعاء وقعت قتلة أكبر من الأولى حتى صاروا منحصرين في حجة وصارت القتلى من[4].

وفي ثالث شهر جماد أصبح الصُّبح وقد قطعوا السلك من (منذ) إلى قرب بيت عذران وخرج الميم باشا وجماعته الزبطية ينظروه ويصلحوه .

وليلة الثلوث ٥ جماد آخر وقع في الروضة حريق بيت المُتَرِّبْ الذي قبلي الروضة وفيه أتراك كثير قيل بلك وقيل أكثر في آخر الليل وهجم[5] البيت عليهم جميع وتغاور تلك الساع الأتراك الذين هناك في الروضة ويَسَّكوا[6] على الناس لايقرب أحد ودخل الخبر إلى صنعاء حمية[7] الشمس وأحرقت قلوبهم على مابهم من الأمس وهو السِّلك وقبل الأمس وهي قتلات حجة والظفير ، حتى كان صدق قول ابن مطحن[8] (وكل باشة يكاد قلبه يطير) .

---

(١) بياض .

(٢) خرجن .

(٣) أي عزموا بخزنة مال إلى جهة قبله نحو عمران (الجهة الشمالية) .

(٤) بياض قدر سطرين .

(٥) سقط .

(٦) منعوا تجولهم واللفظة تركية .

(٧) هي شدة الشمس أوان الظهر .

(٨) شاعر شعبي لعله يشبه الحميد بن منصور وعلي بن زايد وغيره من شعراء العامة المجهولين وانظر خبر هذه الوقعة في أئمة اليمن ج١ ص٧٣ .

ووقع الإرسال إلى أهل الروضة تلك الساع وما لهم وما لهم ذنب يوجب لهم الأفزاع ، وعُقْبْ خروج طابور وصحبته الشيخ علي بليلي ينظروا ذلك وصارت قلوبهم بالغِلِّ على العرب مشحونة وقلوب بيت المَترِّبْ على بيتهم محزونة لأنهم لا ذنب لهم ولا حجة عليهم وبسبب هذا الفساد صارت الروضة في الدبور والفساد والنحوس والكساد وبعد أن كانت انتهت غاية الإنتهاء :

وإذا نظرت إلى البقاع وجدتها تشقى كما يشقى الرجال وتسعد

ويوم ثاني حبسوا ناس من أهل السوق ومن الذميين وأدخلوا السيد أحمد الخيال بَيَّاع مشتري في حانوت في حمزة وفَتَّشُوا بيته في الروضة وحانوته وربطوه وأدخلوه صنعاء مربوط وقد ضربوه ضرباً شديداً قيل أنهم لقيوا في حانوته قليل باروت وما أظن إلاَّ أنه تَقَرَّب إليهم من لا يخشى من العقاب . حتى نال ذلك العذاب وأخرجوه يحبسوه في العرضي بعد أن بقي [في] باب الحكومة إلى عصر .

ويوم ثالث يوم الخميس أفزعوا الناس في الروضة جميع وقبضوا على من لقيوا في سوق أو بيت أو مسجد حتى دخلوا إلى جامع الروضة لقبض المصلين صلاة الظهر ففتحوا الباب الشرقي وهربوا منه ولعل المأمور معاهم من عند الباشا لذلك سيدي العلامة حسين بن علي غمضان الكبسي وحبسوا ناس في الروضة وأدخلوا ناس إلى صنعاء مع خَيَّالة منهم ومع المأمور المذكور وحاصله[1] إنها فتنة وشُغْلة كبيرة على جميع العرب نسأل الله اللطف بحوله وطوله .

ويوم الربوع أمس الماضي خرجوا جميع أصحاب الدولة يلقوا الفرمان السلطاني صحبة ياوار المذكور فيه أمر المشيرية وولاية اليمن للباشا أحمد فيضي لأن ما مضى[2] عاد كان مقدمي حرب / .

ويوم الجمعة ٨ جماد آخر خرج يوز باشا من صنعاء وصحبته بلك عسكر ترك وزبطية [إلى] قرية القابل على القرية يفتشوها لأجل يقبضوا على أهل جدر الهاربين فيها لأن الدولة متهمين أنهم الذين أحرقوا العسكر في الروضة وقبضوا على تسعة أنفار منهم حيث لم وجدوا أحد من جدر في القرية وقد كان قبضوا منهم ثلاثة اليوم الأول وأدخلوهم تحت الحفظ إلى صنعاء والأولين نحو خمسين نفر من بني الحارث وصاروا الجميع محبوسين في القصر مقيدين .

---

(١) خلاصة الأمر .

(٢) فيما مضى .

ويوم الإثنين ألزموا[1] جميع أهل صنعاء يحضروا ساعة خمس إلى ميدان البكيرية لسماع قراءة الفرمان السلطاني المخبر بتولية الباشا أحمد فيضي والمشيرية له فطلع جميع الناس من الخاص والعام وحضرت العساكر الشاهانية وجرت إلى هناك المدافع الكرخانية ستة من الكبار تجرها الخيل الصافنات الجياد وأربعة صغار فوق البغال الكبار وخرج المشير من بيت الحكومة وأصغت جميع العباد بين يديه وقرأه للأتراك بعض الرؤساء منهم بلغتهم وبعد قرأه بلسان العربية السيد الهمام عبد الله بن إبراهيم بن الإمام وقد أمر الباشا بتقريب أهل صنعاء للسماع بين يديه لأنهم كانوا متفرقين في الميدان فأقبلوا إليه كما أمر ولهم قرب . وبعد ذلك أنصتوا جميع للدعاء والأبتهال من السيد البحر الزاخر ذي اللسان الباهر والذهن الصافي الفاخر سيدي العلامة الصفي أحمد بن محمد الكبسي عافاه الله فلقد استحضر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وابتدأ بالحمد للملك العلام وبالصلاة على رسوله وآله الكرام وآتى[2] بصفة[3] الواقعة من إبتدأ أيام الحوزة وقال : ﴿ **وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة** ﴾[4] وأتى بما وقع من القبائل وما كان مرادهم في المدينة وأهلها وبعدم ما عدم في المدينة وبوصول المأمور المشير المفخم وزير السلطان المعظم وأنه قد عفى وجامل وأغضى وصفح عما مضى عن جميع الناس وأتى بكلام بَاهِر[5] مضمونة إن قد استحلفه بالوفاء عما عفى وإنه لا يعاقب بشيء وأطال الكلام في هذا الشأن وغيره وكل كلام يأتي عليه بشواهد من الآيات والأحاديث وبعد ختم الكلام بالدعاء والأبتهال إلى ذي الجلال وبالفاتحة وفي تلك الساع خربت إحدى الإسطوانتين التي في باب الحكومة في الدكة ولولا دفاع الله على كثرة الخلق لذهب تحتها جماعة ولكن دفع الله ، وضربت المدافع عند التمام وعند ختم الكلام والدعاء لسلطان الإسلام وصاحت بالتأمين جميع العساكر جهراً وأسر به العرب وتفرقوا بعد ذلك عند آذان الظهر .

وقبل الأمس خرج الأمر من الوالي المؤمي إليه بتولية محمد بليلي أفندي رئيساً لمجلس البلدية يعني عاملاً على مدينة صنعاء المحمية وصار فيها من يوم السبت ٩ جماد آخر وكملت العمالة له والقبال بيده / .

قبال القنطرة حق اللحم وكذلك الجمركة قد تقبلها سنين وصار هو وصنوه الشيخ الآن أحظى من في اليمن ولعل قد الشيخ علي سيطلع يقع من أهل مجلس الإدارة لأن قد ختموا

---

(١) خ اللزموا .
(٢) خ أتا .
(٣) خ بصفت .
(٤) سورة النحل الآية ١٢٢ .
(٥) جميل .

له في مضبطة أكثر أهل صنعاء خوفاً من شره الله يلَقِّي العباد خيره .

ويوم الخميس خرج العلامة صفي الإسلام أحمد بن محمد الكبسي والشيخ علي باشا البليلي والسيد محمد الشويع والتقوهم وأهل جَدِرْ وأدخلوهم صنعاء معاهم وفعلوا لهم رأي أمان من الدولة وردُّوا بعض البنادق الذي أخذوا والبغال والصناديق المعابر وانقطعت معاهم ونجِحَت[1] حَقَّهم المفاخر وما هي في الحقيقة إلا مخازي في زماننا وفي اليوم الآخر لأن جميع أفعالهم عندهم مصالح ولو انكشف الغطاء كما قد كان شرع أنها فضائح .

ويوم الجمعة ٢٢ جماد آخر طلع المشير والي اليمن أحمد فيضي باشا يصلي في الجامع من دون حزبه[2] عساكر ولما رأى الفقيه العلامة الجمالي علي ابن محمد وحيش خطيب جامع صنعاء استحسن زيادة في الخطبة الأولى ذكر سلطان الإسلام وذكر والي ولاية اليمن المشير الأفخم فلما انقضت الصلاة وعزم الباشا سلم للخطيب وللإمام خمسة ريال ولأهل العهد في الجامع ثمانية ريال ورجعوا يتهاولوا أهل العهد فيما بينهم كما فعلوا سابقاً .

وأما خبر بلاد آنس فإنها تفاشلت الأمور عليهم بعد أن قد كان تعاقد أمر الجمهور فيها فيما وصلوا الأتراك معبر باستعجال الشيخ غيلان صاحب الجبل لأنه لم رضي يسلم الحصن لأهل آنس ولا للعسكر الذين نزلوا من بني جبر وبني شداد وبعد دَخَّلهم الشيخ غيلان إلى مدينة ضوران فما وسع الناس إلا الإجابة والمقابلة بالعقاير فلما نزلت العساكر إلى جرف الطَّاهر تلقوهم إلى تلك المحلات بالحرب الظاهر ووقع ما وقع وتوجهوا أصحاب الدولة إلى مدينة العبيد وإلى سوق أسلع وحال الرقم وهم هنالك والخير للجميع في ذلك رضاء لحكم الله المالك[3] .

المقطوعية من زمان وبسط لهم الوالي وساجلهم / على منوالهم كما بسط وساجل جميع العرب من أشكالهم وقصده التسكين إلى حين ، ومتى لاحت الفرصة قرط ولو بعد حين وأما تحقيق الجهة اليمنية فإنه وصل القاضي العلامة الشرفي وأخبر بخروج المقدمي مصطفى[4] نافذ من يريم بمن عنده من العساكر الشاهانية متقدماً على عبد الله مثنى نجيم فوصل إلى مريس[5] والتفت له جميع العرب الذي في تلك البلاد إلى رؤوس الجبال

---

(١) إنتهت .

(٢) الحزبة تكرر ذكرها وهي التأهب بالملابس الزاهية وحمل السلاح والقدوم إلى الحاكم للقيام بالخدمة كحرس .

(٣) من هنا إلى نحو أربعة أسطر لم نستطع قراءتها في المخطوطة لتغطيتها بدرق طيور أو فئران .

(٤) في الأصل مستفي بالسين والتاء .

(٥) موضع سيأتي في الملحق .

والأنجاد ووقع بينهم حرب كبير حتى ردوهم إلى يريم وأخبرنا أيضاً بما فعله الشيخ[١] الدعيس صاحب جبل بعدان فإنه تقدم إلى قعطبة على الأتراك الذين هناك ووقع بينهم حروب مهولة وراح فيها خلق وقتل فيها الزبير شيخ العود ورجع إلى محله وقبض جماعة من أتباع الدولة من جملتهم الشيخ فلان الصنعاني صاحب أب وجماعة معه ووصف لنا بما صدر من ابن حجر المقدمي من لدى الإمام في من كان في تلك الجهات العدنية من الأمور الدَّنيَّة الذي لا ترضي الله ورسوله ولا إمام الزمان فيما فعل بالأساري والنسوان حقهم حتى من جملة ما وصفوا أن ابنة خالته بنت عواض مزوجة بتركي فسلبها جميع ما معها وغيرها مثلها بعد أن طلبوه الأمان في وصولهم بما معهم إلى الإمام وهو أولى بهم من أنفسهم فأبى وفعل ما قَضّاه له عقله ، وغيره فعل مثله كفعله هؤلاء الذين يركن[٢] عليهم فما بالك بمن لا يركن عليه من العوام فعلوا الآثام وانتهبوا الضعفاء والأيتام وقد حَرَّج[٣] عليهم الإمام أن لا يقربوا شيء من الحرام وإنما يفعلوا ما يقرب إلى دار السلام فكان ما كان بسبب فعل الطغام وانظر إلى المتوقفين على رأي الإمام في جميع جهات الشام كمن في الظفير ونحوه كيف لا قدر عليهم أحد ولا نهبوا فحفظهم الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولكن كادت الدنيا أن تكون دار جزاء والله سبحانه لا يضيع عمل عامل .

وفي نصف جماد آخر أرسل الوالي السيد يحيى الهجوة الكبسي يدَخِّل الشيخ الجابري صاحب مخلاف مذيور في الحيمة برأي أمان وعهود لأن قد كان هرب من الحيمة بعد ما واجهت بالطاعة للدولة إلى بني جبر فدخل وتوافق[٤] بالوالي أحمد باشا فيضي وعاتبه معاتبة كبيرة على فساده وأخذه قائم مقام مفحق وأخذه لخزنة الدولة والسلاح فأقر الجابري بكل ذلك الذي ذكر واعتذر لكل دعوى بعذر وأن كله الذي جرى من الرعايا والسبب المأمورين والجور الذي وقع منهم على الرعايا وعدم إمضاء الشريعة وأنه طالب الدخول عند السلطان وطالب عمارة بيته حيث قد خرب عليه مرتين الأولة أحرقوا عليه القبائل العام الماضي ولم أنصفوه الدولة بضبط غرماه والثانية أحرقوه الدولة عند وصول الباشا ولم وسع الوالي إلاَّ مسامحته عما مضى وامتثل له أن يجعل له مرحمة ولا عليه وعلى أصحاب عزلته إلاَّ العشر الحق ولا يسلم باطل شيء ولا يدخل فيما دخلوا به أهل الحيمة وامتثل له بذلك ويصير يصلح باقي الرعايا الذي عاد مفسدين لم قد وصلوا منهم أهل بني مطر فصار من حينه وجمع عقال بني مطر ودخلوا صنعاء الرمَّاح والرازقي ووقع معهم من الوالي ذلك العتاب وزِدْ

---

(١) بيض له المؤلف .
(٢) يوثق بهم .
(٣) أكد .
(٤) تقابل .

تحاكي الشيخ علي باشا البليلي / فاستوجع الرماح من كلام الشيخ علي وتهاوش[١] هو وهو حتى كادوا يفتتنوا عند الباشا وما وسع الباشا إلاَّ عَضْد الرماح وأظهر له السماح وعفا عما مضى حتى من السلاح وألزمه بتحصيل الواجب الحق ولا باطل يجزع عليه في شيء ولا صُبْرَه[٢] كما كان والله يصلح الشأن وهؤلاء آخر من بقي على الفساد إلى تاريخ أحد وعشرين جماد والله سبحانه يحلها على جميع العباد في جميع النواحي والأنجاد .

ويوم غرة رجب عزم الياور ابن الحسيني[٣] رجع إلى استنبول لأنه خرج عقيب خروج الحريري المذكور أولاً لأخذ حقائق أمر اليمن وأهله وأخْذ الحقيقة ورجع إلى السلطان بالوثيقة من الأخبار وفي مدة بقاه في صنعاء تكاتب هو والإمام ولعله أخذ من الإمام مكتوب مكتوم عن جميع الخاص والعام إلى السلطان وزِدْ اجتمع ببعض مشايخ الحواز وأصحبوه كتب ومضابط مختومة بختومهم جميع وسلموا لَهُ دراهم كبيرة لأجل إبلاغ ذلك وإرجاع الإفادة من هنالك ولعله لم حصل منه المساعدة للوالي أحمد فيضي باشا لأن الوالي كان مراده يطلع على مكتوب الإمام ومراده يهميه[٤] عنده لأنه يعلم أن الإمام بيكتب إلى السلطان بحقيقة أفعالهم وما هم عليه من الظُّلم والبغي وأخذ أموال الناس بغير حق وعدم إمضاء الشريعة والترخيص في الحدود حتى أنه تكابر[٥] البليل . والياور لأن البليلي كان يجري مجرى الباشا أحمد فيضي والياور مقصده إيصال ما جاء له السلطان . وماشا يتبين الحقيقة إلاَّ بعد مدة شهرين ثلاثة من بعد رجوع جوابات سلطان الإسلام .

وأما أمور اليمن فهي على حالها محلات[٦] صالحة ومحلات خراب .

ووصل هذا الوعد قائم مقام ضوران الذي كان أسيراً عند الإمام أطلقه قيل بفداء إفتدى به نفسه ووصل إلى صنعاء سالماً غارماً .

وأما خبر الذي في بلاد آنس فقد دخلوا في البلاد حتى انتهوا إلى جبل الشرق وفشلت قبيلة خولان وبني جبر ولم يوسعهم إلاَّ الهرب وهرب معهم المتولي من قبل الإمام الحاج سعد الشرقي وأخذ حصانه وما كان معه من السلاح فيما هو لهم وما استقام إلاَّ

---

(١) تهاتروا .

(٢) الصبرة هو قدر معين غير مميز .

(٣) هو علي مثني الحسيبي الرجامي الحشيشي من أهل اليمن دخل استنبول وخدم الأتراك حتى كان من الياورات (أنظر أئمة اليمن ج٢ ص٦٣) .

(٤) يخفيه أو يطمره .

(٥) من المكابرة المنازعة أو ما يشبهها .

(٦) جمع محل . أماكن .

الشيخ . . .[1] المقداد وبقي يحربهم ولعل قدهم راجعين لأنها وصلت إلى الباشا أحمد فيضي أخبار من القبلة مزعجة ووقعت في خارج الظفير قتلات يشيب منها الوليد وأحرقوا العرب بيت في ما بين حجة والظّفير قيل بيت سنان وفيه أتراك كثير وخزنة بمال كبير واشتهر محرب كانت[2] فيه الغلبة للعرب على العجم وكان فيه من قبيلة سنحان خلق كثير وراح فيهم ناس يسير منهم أحمد يحيى الشاوش صاحب جِزْيَز وجماعة من المحل حقه وآخرين من لتّخراف من سنحان ومن مقولة وشعسان ووصلت تعازيهم إلى أهلهم وقيل إن العرب قطعوا لطريق الذي إلى حجة أو القفل وغزوا على قافلة فيها خزنة وعساكر شاهانية من التهامة بميرة للعساكر السلطانية / فلما وصلت الكتب للباشا بذلك جهز بقية العساكر الذي في صنعاء والذي كانوا في الروضة جميع صبح يوم الخميس لست ليال مضت من رجب وفرج الله على أهل الروضة فرجاً عاماً عاجلاً ووصلت عساكر سلطانية من الجهة الغربية قيل من تهامة وقيل الذي كانوا في متنة والخميس ومفحق ولعل الوالي عازماً بنفسه غارة على من في حجة من الضِّيق الذي هم فيه مع بقاء الظفير بأيدي العرب هذه المدة وتفاد ما عندهم من الميرة والعدة .

وليلة الخميس الماضي عجوبة[3] نكيرة جاذبة[4] صغيرة تزوج رجل من بيت العرشي وزَوَّج أخته من بيت العمري وإذا هم يشتوا يسيروا يدُّوا له أولاً حَرِيْوَتّه[5] بنت السنيدار من الفليحي ويوصلُّوها إليه ويَسْرحوا يشلوا أخته من بيته فعزموا أولاً يدوا التي ستدخل فلما وصلوا عند الجامع تَلْقُوهم الدَّوْرِيَّة بلك نحو أربعين تركي ولم يكن بينهم عرب يعرِفوهم[6] بشأن أهل البلد لما قد فيهم من الفشل والفزع فقبضوهم جميع وهم ثمانية أنفار فلما رأوهم متسلحين بالجنابي والسيوف التي يدقونها خلف الحِرْيْوَة ومعاهم بغلة قالوا هؤلاء حرامية[7] ولم يقبلوا لهم كلام سِيما كون أكثرهم مقَبعِين[8] وما فيهم إلا رجلين أو رجل مَعَمَّمْ[9] وهو. الفقيه أحمد بن محسن الأكوع وأخذوهم جميع وأخرجوهم إلى العرضي وأدخلوهم مكان

---

(١) فراغ في الأصل وهو الشيخ علي المقداد بن راجح الآنسي أحد من ناهض الأتراك في اليمن وله معهم حروب طويلة استمرت حتى وفاته سنة ١٣٣٩ هـ (أنظر لأمية نبلاء اليمن ص٧٩) .

(٢) خ كان نت .

(٣) أعجوبة .

(٤) مستنكرة غريبة .

(٥) عروسة .

(٦) يدلونهم على عادات البلاد .

(٧) يَعْنون بهم ثوار من القبائل .

(٨) أي على عادة القبائل في لبس القبع وهو عبارة عن عصابة رأس مصبوغة بسواد .

(٩) العمامة هي علامة الفقهاء بخلاف القبائل .

وضَيَّقوا عليهم وأتى كبير العسكر يرقم عليهم يسموا الرقم (جلنار) مضمونة أنا وجدنا ثمانية أنفار مسلحين ، وبعد طلبوا الثمانية أن يكلموا قائم مقام العرضي ومن لطف الله بهم وقع قائم لَيْنْ ووقيع[1] ويفهم اللغة العربية فلما تحقق خوضهم وصحة خبرهم أطلقهم وقد هدموهم[2] وضاق الوقت عليهم ودخلوا على ما يريدوا وساروا أدّوا تلك العروس وقد هو[3] قريب الفجر وقد اسْتَبْطوهُـمْ[4] الذي عزموا من لديهم والذي سيصالوا إليهم ورجعوا يريدوا إخراج العروس الآخرة وقد هو فجر من دون أن زِدْ استقروا عند أحد فيا عجباه كيف يزِدْ يحتاج أحد إلى شيء من السوق وهو مفرد وحده ، بعد أن كان كل أحد يخرج لحاجته في أي وقت كان فلا كان هذا الزمان نسأل الله الأمان والفوز بالجنان والسلامة من النيران

وهذا الوعد أمرت الدولة أن من خرج الليل فهو مباح الدَّمْ وسَمُّوه (باليسك) على لغتهم ، وتلك الليلة سرقت حناويت منهن في السايلة حانوت أحمد البصير ، وخرج باقي العساكر الشاهانية من صنعاء يوم السبت ثامن رجب تبعاً للذي سبقوا يوم الخميس وهي البقية الأولين ثلاثة طوابير والآخرين ثلاث مائة أمسوا جربان وجروا الجميع جهة عمران .

وفي بلاد يريم تقدم ابن أحمد صلاح على قرية قرعد ولكن بعسكر عرب في الظاهر أنه من جناب الدولة وفي الباطن مكافأة للعرب أهل تلك الجهة .

وأهل آنس عاد الحرب باقي ولكن الدولة بيميلوا إلى الصلح والصلاح ، منها صالحوا أهل بني أسعد الذي نهبوا الحمولتين بجملة آلاف على مقطوعية في كل سنة ست مئة قرش وكان يجيء عليهم سابقاً نحو أربعين مئة في كل سنة وأما قيمة الحمائل فما ذكروها مَيْلاً إلى المهادنة وأطلق الإمام هذا الوعد قائم مقام يريم الذي قبضوه من هناك فيما سبق على تسليم دراهم أفدى بها نفسه وأطلق أيضاً القاضي أحمد أحسن الصديق الذي أسر من ذمار ولحقت عساكر خرجت من صنعاء كل ذلك إلى مدينة عمران وعزموا على القدم نحو الجبل وتوجهوا طريق الخدرة يريدوا اللومي فلما قاربوا طريق الخدرة أحسوا بالشر من العرب قد تجمعوا العرب في تلك المحلات فرجعوا القهقرى من حيث جاؤا ودخلوا عمران ، وفي هذه الثمان قل معهم الإطمئنان لأخبار أتتهم من قتلات حجة والظفير فإنها باقية العرب في الظفير والعجم في حجه ولكن تكررت[5] فيما بينهم القتلات وسرت العرب إلى الشغادرة وبني

---

(١) متوقع متأني .
(٢) أخافوهم .
(٣) أي الوقت .
(٤) استبطئوهم .
(٥) خ تكرت .

العوام والعريف وأخذوه ، وقيل أن تابعتهم بلاد لاعة جميع ورجعوا عما كانوا عليه من الطاعة والأنقياد للسلطان وتابعوا الإمام وأظهروا له الطاعة وأشعلوا النيران بالتناصير له والفنا[1] باقي فيمن في حجة من العساكر الشاهانية .

ويوم الإثنين ١٧ رجب عزموا نحو طابور وخزنة معهم كبيرة إلى الطويلة خشية من العرب لا يقبضوها حيث قدهم في بلاد لاعة وهي قريبة منها وتقوية لكوكبان ولا زالوا العرب في جميع الجهات يهموا بالفساد ولم اطمأنت قلوبهم بالأمان من الأتراك ، وقيل أنهم سمعوا تعشيرة بنادق من رأس نقم ليلة الربوع الماضي أخبار متواترة ولم سمعنا التعشيرة ، والسخري[2] رجع وأخذوا الجمال من صنعاء إلى عمران .

وقلوب الأتراك كبيراً وصغيراً مملوَّة إحن على جميع من في اليمن خصوصاً أهل صنعاء حتى أنها لا زالت تفيض من أفواههم فلما تيقنوا العرب ذلك نفرت قلوبهم ولا زالوا مترقبين الفرص جميع كل أحد يترقب للآخر والله يختار لعباده الخير ويدفع الشر .

ويوم الإثنين والثلوث كان يخرجوا بعض العساكر الشاهانية بحقِّهم الأهبة[3] والمزامير والطبول الصبح إلى عصر ويرجعوا النهار ، ما لهم يا ناس ؟ قالوا يلقوا العساكر الواصلة من أسطنبول عشرة آلاف وآخر يوم وصلوا قليل أمراض ومكاوين من بلاد آنس ولكنهم جت طريقهم من تهامة لأجل التهويل والتطويل وهم نحو مئتين أكثرهم وصلوا (إستخانة) محل الأمراض وبقيتهم باقيين في الجمعة في آنس وفي محل آخر يقال له (الهان) والطرق عندهم خوف ما يمكن أحد يسير وحده إلّا إذا كانوا مئة فما فوق ولكنهم خربوا حصن الشيخ فلان المقداد في جبل الشرق ولا زال يشغلهم بالمغازي[4] والنهب والقتل وقد ذهب منهم نحو مئتين .

وهذا الوعدين رجع فيهم المرض والموت الذريع في كل محل.نسأل الله اللطف .

وليلة الربوع تسع عشر رجب وقعت في الجبال تناصير ووقيد النار منها إثنتين في نقم وواحدة في جبل عيبان وواحدة في سنحان وواحدة في ضين وأصبحوا الأتراك في فزع عظيم وخرج الشيخ علي البليلي باشا والزبطية إلى بلاد سنحان يدوروا المنصَّرين وأدخلوا ناس من دار سلم ودار الحيد وأحمد يحيى الشاوش صاحب حزيز وناس من سعوان وحبسوا الجميع وحبسوا معاهم السيد يحيى الهجوة وشيخ عصر .

---

(١) الطاعون .

(٢) أي تسخير الجمال والبغال ونحوها للدولة .

(٣) المعدات .

(٤) سبق ذكره .

ويوم ثاني غيّروا على أهل بيت معياد السمراء[١] وهجموا كظايم[٢] الغيل عليهم حتى انقطع وهم كانوا لاهيين[٣] معهم عرس كبير ستة حراوة[٤] في ليلة ومئتين متعرس[٥] / .

وفي نصف رجب مرض الوالي أحمد فيضي باشا ووقع في مرضه إطلاق الحاج سعد الدين الزبيري بعد أن بقي في الحبس أربعة أشهر ولعله اعتبر في مرضه لظلمه .

وفي ١٨ رجب ظهر آية سماوية في بلاد خولان في بني شداد قيل أنها ظهرت نار وقامت من بين الدور حتى علت إلى العرش وتقارحت كالصواعق أو كالرعود وزعزعت أهل تلك المحلات حتى أزعجتهم ووصل إزعاجها إلى بني بهلول ونزلت منها حجرة وقيل ثلاث حجار ووقعت في جبل منها حتى أنزلت من الجبل صخرات كبار وفعلت في بعض البيوت في محل قريب .

وفي هذا الوعد عزلوا الدولة سيدي حمود بن غالب من إدارة بني بهلول وأرسلوه مديراً على بلاد الحداء فوصل إلى زراجة هو وأصحابه الزبطية ووصلوا إليه أهل الحداء وكانوا سينهبوه هو وأصحابه إلّا إذا هو مرسل من عند إلمام فلا بأس بقي فأجاب عليهم ما يمكنه الرجوع إلى الدولة إلّا بوجه في يده أنهم مفسدين فرقموا له وردوه صنعاء .

وفي يوم تاسع وعشرين رجب أرسلوا الدولة الخيّالة على أهل الروضة أنهم مفسدين وأنهم ساروا ناس عند الإمام يحاربوا في الظفير وضبطوهم إلى الحبس نحو أربعين ولعلهم استضعفوهم وإلّا فقد عزموا إلى الإمام خلق كثير من كل جهة لحرب حجة ومن فيها سيما من أرحب وهمدان وسنحان ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

واشتد الموت والفناء هذا الشهر في الأتراك في كل ناحية سيما في صنعاء ونسأل الله اللطف فيما قضاه ولا زال المشير الأفخم لجميع العرب يلم ويفحم وإن قال : عفا عما مضى فما هو إلّا مترقب لهم في القضاء وفي الوعد السابق . كسى أهل رداع جيخان حمر كونهم قبضوا قائم مقام عندهم بما معه من الخزنة والسلاح وفي ذهنهم أن تمت للسلطان نالوا بذلك الأمان وإن تمت للإمام فقد هو وما معه لهم والسلام .

ويوم رابع شهر شعبان وصلوا بعض مشايخ الحيمة وكساهم المشير جيخان جزاء لما

---

(١) نوع من الحنطة .

(٢) منبع الماء أحجار تكون على المنبع وهجموا سبق شرحه وهو بمعنى أخربوا هدموا .

(٣) لاهين مشغولين .

(٤) زواج عرس .

(٥) أي ضيوف مع الحراوة .

فعلوا سابقاً من القتلات المذكورة وإشعال النيران ودخلوا لهم الآن في الطاعة وإيصال بعض من البنادق الذاهبة شيء يسير ما يقوم بعشر العشر من العشيرة .

ويوم الخميس رابع شعبان طلب الوالي من أهل صنعاء خلقاً كثيراً إلى مجلس الإدارة ولا يزال يعاتبهم معاتبة كبيرة إنا قد عفونا عما مضى جميع ولم أحد امتثل بل أن المدعي[1] حميد الدين منكم ومذهبه مذهبكم زيود جميعاً والمؤنة تخرج إليه منكم والبنادق تبتاعوها له والكسوة من لديكم والزكاة من عندكم تنساق وقد أعييتونا لا زقمنا منكم أحد ونحن نعلم أن ذلك كله كائن منكم فقد أنتم تنهوا بعضكم البعض عن ذلك لأنّا لو نظفر بأحد ما نغفر بل نعاقب العقاب الشديد الذي ما عليه من مزيد / فأجاب عليه بيت الردمي عيال القاضي يحيى بما قال الله سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[3] فإن قد ظهر لكم بذلك أحد من أهل صنعاء عاقبتموه وأسلمتم الباقين وسلمتم ظلم من لا ذنب له ولا حجة عليه ، أجاب الشيخ علي باشا البليلي إن أحنا[4] والدولة عارفين بالويسة جميع في صنعاء .

ويوم ثالث أرسلوا نحو مِئَتين نفر ومدفع يتخلصوا فلوس من بلاد همدان وجت طريقهم ضلاع ووقعوا في قرية القابل والشويع معاهم وقد كانوا سلّموا إلى دغيش عاقلهم وإلى المدير خمس مئة قرش حجر قبل خروج الترك بيومين ولكنها أهويات منهم على القرية وأهلها كون الإمام له ملك فيها وهم يودّوه ويسير ويجوا إليه وفتحوا بيت الإمام الذي في القرية وبيتين جنبه[5] بيت المحتسب الذي قد هو لسيدي محمد الحمزي وبيت القاضي محمد الورد صاحب ثلا وجلسوا بعض العساكر فيه ولا زالوا يراسلوا همدان وهي من السيد محمد الشويع عاقل همدان كناية[6] لأهل القرية لأنهم لا زالوا يواعدوه بالهمدنة وقد أدخل لهم بكل ما يصلح شأنهم ويجيرهم من كل باطل ولا عليهم سوى العشر وإنهم هجرة همدان ويبطل أسواق همدان جميع ويحيى لهم القرية فأبوا وقالوا : « قبح الجد معار » ففعل لهم هذه الخديعة وطرح فوقهم البروصي[7] المذكور ولا زال الخطاب على جميع المشايخ الآن في تسليم ما عندهم من سابق ولاحق ومن سلّم سَلِم ومن لم أودع الحبس

---

(١) يعني الإمام .
(٢) سورة الحجرات الآية ٦ .
(٣) سورة الأنعام الآية ١٦٤ .
(٤) نحن .
(٥) جانبه .
(٦) خديعة . ولعله يرمي : نكاية .
(٧) هو ثقالة السفينة .

والقيد وقد هو سبب وإلّا فقد مرادهم بإخلاء العرب لما في القلوب مما سبق وقد في الحبس الشيخ السماط[1] والكبوس وقائد الأهجري وحبوس مغلظة في الويزة[2] وناس آخرين ما عندهم لهم شيء إنما مكافأة لما ذكر ولا زالوا يدأبوا في تفريغ بيوت وسماسر في صنعاء قيل لعسكر واصلين من تهامة وقيل لأمراض يغيروا فيهن الهواء ، وقد فرغوا سمسرة سوق النحاس[3] وسط السوق سمسرة هائلة كبيرة منيعة حصن مستقل وقد المقاصصة[4] فيها والله أعلم ما مرادهم بذلك وقد اجتمع شورهم في ثلاثة أنفار الشيخ علي باشا البليلي ومرزاح ميم باشا والمشير أحمد فيضي باشا وباقي الناس كلهم تراب وفوق كل ذي علم عليم .

ويوم ثالث عشر شعبان وصلت الأخبار من بلاد آنس أنهم لقيوا الزبطية عسكر الدولة العرب ونهبوهم وقد كان مرادهم في قتلهم جميع وهم نحو العشرون وانحازوا إلى قرية . . .[5] بعد أن قد وقع بعض قتلى من الطرفين وأسلمهم بعض أهل البلاد في تلك القرية على أن يخرجوا في سلامة رؤسهم ويطرحوا ما معهم من السلاح وغيره حتى الثياب ورفقوهم[6] إلى مطرح الدولة إلى أسلع .

ويوم رابع عشر مضت قافلة كبيرة من الجهة العدنية تريد تمر إلى جهة القبلة ، من أرحب وبني شداد وغيرهم الساكنين في عيال سريح وطرف حاشد والجبل حق عيال يزيد فخرجوا من صنعاء أدخلوها وأهلها جمال كثير نحو خمسين وبهائم مثلها وأدخلوهم إلى صنعاء ، وطلع الشيخ محمد البليلي يريد يخارجهم فما وقع الجواب من الباشا / إلّا بأخذهم جميع ، وأطلعوا ذلك الطعام إلى الشونة محل طعام الدولة فقيل في ذلك قولين قيل أن عندهم بواقي حسابات للدولة وهذا يقطعوا من ذلك الذي عندهم وقيل أنه جاء خبر للباشا أنها زكاة اشتدت[7] من الجهة العدنية للإمام وأنه ما أخذها إلّا كونها للإمام والله أعلم .

ويوم سادس عشر وقع التنبيه لجميع الناس يطلعوا إلى ميدان البكيرية يتفرجوا على الفنطسية ونشرت البيارق وجرت المدافع من العرضي صبح ذلك اليوم وحزبت جميع العساكر الشاهانية وطلعوا جميع المأمورين من القضاة والكتاب والمامين[8] والعمال والمديرين

(١) خ الصماط .
(٢) الزنزانة .
(٣) داخل صنعاء وسط السوق كما ذكر المؤلف .
(٤) جمع مقصص وهو الذي يطلي الحيطان بالجص معروف .
(٥) بياض قدر كلمة .
(٦) رافقوهم .
(٧) شدت .
(٨) كذا لعله جمع إمام وهم أئمة المساجد أو المقامين جمع قائم مقام من العسكر على لغة أهل الشام في نطق القاف همزة .

وكل من له تعلق غير أهل الأسواق وسمعوا الوعظ من السيد العلامة الصفي أحمد بن محمد الكبسي مستهلة قوله : ﴿ قل أللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ﴾[1] إلى آخر الآية الكريمة وآيت أخرة ضمنها بل صرح بها أن السلطان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامه الحق ومناغرة[2] الكفار وما هو عليه من الذب عن الإسلام والمسلمين وكيف نية القبائل من العرب الذي كان يقتلوا النفس ويقطعوا الطريق ويقطعوا الخضراوات ويستبيحوا المحرمات وكيف سيرة هذا المشير الأفخم في الناس بعد تلك الحوزة والإبلاس ، وما جرى من هؤلاء حتى كاد الإياس فنحمد الله على هذه النعم ونسأله المزيد من الفضل والكرم » وضربت المدافع بالبشارة حق ذلك اليوم المشهود وهو يوم طلع[3] سلطان الإسلام على كرسي المملكة فصار ذاك سنّة في كل عام إظهار البشائر في جميع بلاد الإسلام وبعد بقيت العساكر الشاهانية بأمر كبرائها يخربوا كل يوم ويطلعوا وينزلوا من الأسواق والأزقة بالمزيقة لأمور أخرى يعني إظهار القوة والتجلد على المشار إليهم لأن أخبارهم مقوية .

ويوم الجمعة ١٩ شعبان خرجوا جميع الذي في المراتب في صنعاء والأبواب والإدراك والعرضي نحو ست مئة أو يزيد وتلقوا العساكر الواصلة الذي لهم بيوصلوها شهر وفرغوا لها الخانات والبيوت ولقيوهم إلى عصر وإذا هم مثلهم في العدد ودونهم في الجلد لأن الأولين من الرديف الذي خرجوا مع الوالي وهذا الرديف رجال وافية وفي القتال محكية[4] لأن قد لاقوا في أيام عسكرتهم ملاقاة شديدة من قتال الكفار وغيرهم ووقف عسكرتهم وأخرجوهم للحاجة وكالمستعينين لهم مع ما قد عندهم من المعرفة بتعليم العسكرة وأما الواصلين فلعلهم أغبياء[5] عادهم يشتوا تعليم بدْع[6] ، ولكن كل من وصل من عند وصول الباشا أحمد فيضي في الحوزة ما يصالوا إلّا متسلحين بالبنادق بخلاف ما سبق قبل الحوزة فكل من وصل لا يصالوا بشيء من السلاح والحال أن قد معاهم في اليمن وأكثره في صنعاء سلاح فارغ[4] ما يكفي عشرة آلاف ولكن في ذهنهم لا يمضوا من محل إلّا متسلحين لأنهم غير آلقين[5] على العرب ووُجِد سلاح عندهم ما أحد يملكه من الدول ولولا تلك القوة ما

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

(٢) ناهضهم في الثغور (الموانى) .

(٣) طلوع .

(٤) مشهورة .

(٥) غير محتنكين بالحرب .

(٦) من البداية .

(٧) أي معهم سلاح إحتياطي يسد حاجة عشرة آلاف .

(٨) غير مطمئنين إلى العرب .

اسْتروا[1] في أرض اليمن بعد أن وقع الإياس المذكور أولاً ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وكما ذكر سيدي الصفي[2] في آخر الوعظ أعلا والآيات الموافقات لما قال ولله عاقبة الأمور ختم بها والله أعلم بمراده / .

ويوم السبت عشرين شعبان عاد الأمر كما كان من الذنوب حق العرب خرجوا من الأتراك نحو طابور إلى الروضة ويوم ثاني مثله ورجعوا في البيوت الذي سكنوها أولاً بعد أن كان فرج الله عليهم برفعهم من لديهم ويم الأحد طلع المشير أحمد فيضي إلى جبل نقم هو وجماعة من كبارهم والشيخ علي باشا بليلي وطابور صغير عسكر وبقوا فيه إلى غروب الشمس وقيل في ذلك ثلاثة أخبار قيل يتأملوا الجبل لا يفعلوا[3] فيه رتبة عسكر خشية أن تقبضه العرب . وقيل ينظروا منه بالنواظير إذا ثم جماعة ماضين وقيل يريدوا يعمروا فيه الحصن ويطلّعوا فيه مدافع كبار يرموا بها إلى جميع الحواز .

ويوم الإثنين ٢٣ شعبان عزموا طابور ومدافع صغار والشيخ علي البليلي قيل إلى الشرفة طرف بلاد نهم لأنها وصلت لهم كتب بالأمس من ابن راجح عاقل نهم وقيل من المدير حق نهم ابن السيد أحمد الأهجري أنها وصلت مقادمة وقوم من عند الإمام يريدوا المضي إلى جهة اليمن فخرجوا لعلهم يريدوا القبض عليهم وقد سبقوا رتبوا الروضة والجراف وسعوان فيه جماعة من قبل يتخلصوا وقد هم فيه والله يصلح شأن أمة محمد بحوله وطوله . وبقي الشيخ علي باشا يخلص في بني حشيش والأتراك بقيوا يعاودوا طلعت[4] نقم مراراً حتى صار يصلحوا طرقة بالعمارة من عند المسجد إلى حال الرقم وقد هم في سلّام[5] المنظر محل معروف عند أهل صنعاء وتواترت الأخبار هذا الوعد أنها وقعت في ظفير حجة قتلة كبيرة وقيل ثنتين لكن لم قد وقع مثلهن في سالف ما مضى إلّا إذا هو في أيام صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وتوجهوا حكماهم المدينتين العدنيات ذمار ويريم وصار للقاضي حسين بن محمد العمراني ويريم للقاضي أحمد بن أحسن الصديق الذي قبضوه سابقاً في ذمار وعزموا به إلى الإمام فما رجع إلا بقي إلّا في صنعاء ، قيل وعزم لتلك النيابة والقاضي حسين عزم في آخر شعبان لحصر تركة الإمام الذي في القرية وغيرها ولكن إلى حال الرقم ما قد حصر إلّا مال القرية والبروية والله أعلم هل يتم ذلك العمل أو يعزم في لنيابة في ذمار والعمل . وأخبرني من أثق بخبرهما أنهما رأيا ناراً أضرمت أمس العشي في نقم في قبلي

---

(١) استطاعوا .

(٢) العلامة أحمد بن محمد الكبسي السابق الذكر .

(٣) لأجل يفعلوا (يصنعوا) .

(٤) طلوع .

(٥) سلم (درج) .

الحصن الذي يريدوا الدولة يعمروا فيه وذلك ليلة ٢٩ شعبان . ورجع الظلم والمظالمة كما كان صار فرز العنب في الروضة شيء معلوم فلما أنجلا الفساد ودخلوا في الطاعة ووقع القبض للفرز صار مثليه فلما تمكن الأمر في شعبان صار عطفاً[١] عليهم مثل ذلك أخبرني الثقة أنهم فرزوا عنده ربع قرش ووقت القبض غصبوه يسلّم ربع قرش والآن الخطاب عليه في زيادة نصف ولم معه ما يقوم بذلك الفز الأول وغيره بقدر ما معه من عشرين من عشرة وهم محوزين في صنعاء لم صح معهم من العنب ولا ببقشة واحدة وعلى هذا فقس .

ورابع شهر رمضان طلع خيال من عند الشيخ علي البليلي من السر يتخلص في الشرفة وبقي يشغل القبيلي الذي أمسى عنده فقتله وأخذ حصانه وسلاحه ولعله زبطي من بيت الضلعي . ووصلت أخبار للدولة مقلقة من الجهة العدنية فلما رأوا ذلك التربش أطلقوا جميع المحابيس الذين من الروضة والقرية وسرحوا طابور ومدفع جهة القبلة وطابور ومدفع جهة العدن وسخروا الجمال وعزموا إلى كل جهة / .

وهذا الوعد تحقق خبر قتلة وقعت في الظفير حق حجة كبيرة يوم الإثنين سلخ شعبان لم قد وقع مثلها وهن متتابعات[٢] القتلات لكن ما نذكر إلّا المشهورات الذي لم قد وقع مثلهن في سابق الدهور الذي يصير فيهن من القتلى مئات وأما قتلات الآحاد والأعشار فمن حين قام هذا الإمام وهلم جرا لا قد صار شهر[٣] إلّا وفيه عجائب وهذا القتلة صمموا الأتراك على هجوم الظفير ولو لم يبقى منهم باقية إذا قد أخذوه لأنه قد أتعبهم ولهم طارحين عليه ومحاصرين لمن فيه من العام الماضي كما ذكرناه آنفاً فهجموا[٤] من جميع الجهات حتى اتصلوا بالدائر وقيل دخلوا بعضهم إلى المسجد ولم يسكن الحرب والقتل من صبح ذلك اليوم إلى الليل وراحت مئات النفوس ووقع أسلاب كبيرة ولم أخذوه ورجعوا بالناقص .

ويومنا عاشر رمضان وصلت عساكر من تهامة كبيرة نحو خمسة عشر مئة وقيل أقل وقيل أكثر بسلاحهم إلى صنعاء والوعد الأول رجعوا عساكر من عمران وحطّوا في جربان همدان ولعلهم بيروموا[٥] القدوم على قبيلة أرحب ولم هكموا[٦] والسبب تشتيت العساكر ومفاتحة الحرب في كل محل لأن جميع اليمن مفسدة في الباطن مطيعة في الظاهر ولكن قد المراكز كلها مقبوضة والعساكر الشاهانية فيها باقية والمخلص ما بيقع إلّا في المراكز وحولها ما قرب

(١) ضعفاً .
(٢) أي أنهن كل يوم .
(٣) أي لم يمر شهر دون أن تحدث فيه العجائب . إلخ .
(٤) في الأصل فهجومو .
(٥) يروموا . يريدوا .
(٦) جرأوا سبق .

والمبعدين سالمين ومتأخرين ومتوقعين لما يؤول الخوض والمقدمي سيدي محمد[1] بن عباس صاحب كوكبان قد مضى من أرحب وخولان ودعاهم للجهاد وفتح البلاد ولعلهم تكاسلوا من الإجابة خشية من الدولة العثمانية وبالحال أنه احتمل[2] لهم عسكره وجوامك في كل شهر ولم يسعدوه وصار الآن في الحداء في بني فلاح ولا زال يكاتب أهل ذمار بالفتح له ولمن معه من الأجناد الإمامية ومرامه لقبض ذمار وبلادها كون قد عبد الله مثنى نجيم صاحب يريم مذ حلّ ببلاد يريم لأنها في قوله وهو صالح إلى جناب الإمام ومكاتب ، ولم زد أمكنه مواجهة الدولة بل قد عاهد نفسه بعدم المواجهة لهم وعدم دخوله يريم ما داموا فيها والذي في آنس ارتفعوا جميع إلى معبر والذي عزموا من صنعاء في معبر باقيين ووعلان وكل أحد مترقب للآخر والله يحق الحق بحوله وطوله .

وفي نصف رمضان رجع الشيخ علي باشا البليلي من السر وبقي يومين وردوه يتخلص ويمضي يتخلص خولان يجي طريقه من رأس حق خولان وفي ذهنهم هو من هنالك / والذي في سوق الربوع تحت حصن الظبيتين كذلك ويغشوهم من فوقهم ومن تحتهم حيث قد رأوهم مفشولين منهم وقد واجهوهم بالطاعة ونجح عليهم البَرط[3] والهرج فلما رأوا المدافع الكرخانية والعساكر الشاهانية تخربت عليهم النية الذي قد كان أظهروها للإمام وفي خلال ذلك وصل المقدمي حق الإمام سيدي محمد عباس صاحب كوكبان إلى بلاد خبان بسبب الشيخ عبد الله مثنى نجيم المذكور وأخذ حصن كحلان في تلك الجهة وخرجوا عليه الأتراك الذي في يريم ولكنهم نحو ست مئة فلم يؤثر بل أنهم ما قدروا على من في الحصن ولا اتصلوا به لقتهم عساكر المقدمي إلى قرية قرعد ووصل ابن أحمد صلاح شيخ بلاد خبان مغور[4] إلى صنعاء ليلة عشرين رمضان لأنه رأس الفساد بسبب ظلمه لجميع الرعية طول مدة هذه الدولة من إبتداء التشكيل ولا انتبهوا الدولة وصاروا الرعية يشتكوا به على كل قائم مقام في يريم ويصال يسلّم لقائم مقام نحو مئة قرش ويحبسهم له ويسلموا لابن أحمد صلاح قوله معشور ما هو عليهم حتى طلعوا منهم جماعة يشتكوا إلى صنعاء في مدة إسماعيل باشا وغرموا غرامة كبيرة في عشا[5] ورشا فجلبوا غريمهم ابن أحمد صلاح تنزيلة لما أخذوه منهم رشوة وردوهم إلى القضاء عند قائم مقام وسلم ابن أحمد صلاح في صنعاء بغلة فرانصي في

---

(١) بياض .

(٢) تحمل .

(٣) التشدق بالكلام ونحوه .

(٤) مغير .

(٥) هدايا ورشوات .

ضبطهم وضبطوهم مزنجرين[1] تجاه[2] حصانه وعزم بهم بين يديه إلى يريم وحبسهم نحو ستة أشهر أخبرني بهذا حاكم يريم فذلك سبب الفساد حقهم هذا خبرهم .

وبعد رجوع تلك الست المية المتقدمة على كحلان ووصول ابن أحمد صلاح وجهوا معه نحو طابورين من صنعاء يوم عشرين رمضان وقد كتبوا إلى إسماعيل باشا الذي في تعز يطلع بمن معه من العساكر إلى كحلان والله أعلم ما يصح ، وبعد هذا اليوم حبسوا الحاج علي المحفدي ومحمد العنسي وطلبوا فلوس وهدوهم بالطلابات وغيرها مما لا يذكر ووقع منهم دراهم .

وليلة الجمعة ليلة خامس وعشرين رمضان وقعت آية عظيمة سماوية ظهر نجم من السماء تسبيحة الثانية[3] له نور ء ظيم وذنب عظيم فيه حمرة وخضرة وأضاءت له الأرض حتى غلب نوره نور القمر وخرَّ إلى جهة غرب بعدن جهة حدة وبعد أن غرب وغاب نوره قرح قارح عظيم واستطال كالرعد القاصف المخوف جهة القبلة نسأل الله اللطف حتى ظن السامعين أنها تعاشير بنادق خلق كثير حتى صارت تلك القوارح المخوفة جهة القبلة وفزعوا لها خلق كثير وسمعوها ورأوها في جميع الحوازات التي حول صنعاء فتلك آيات من الله ..

وهذا الوعد وصل خبر موت عبد الله بن أحمد الضلعي باشا في عكة كمدا وخلف بنحو مئة ألف من كل شيء ومات فقيراً غريباً ولم قد أحد صنع لهذه الدولة مثله استفتح لهم القبلة مراراً وأخرب مدن مثل الظفير سابقاً والسورة وثم أئمة حق ووقف بعمله / .

وقبل[4] هذه الآية بنحو ثلاث وقع حريق في بندر الحديدة في داخل البندر حتى حرقت بيوت كثير وخانات ومقاهي[5] ومخازين وذهبت أموال عظيمة بما لا يحصى وتلك عبرة لأولي الأبصار والتي قبلها آية لأولي الألباب الله سبحانه يلطف بما فيما قضاه علينا ، وتوجهت عساكر أخرى ومقدمي من صنعاء ومدافع والذي كانوا في الروضة عزموا الجميع إلى بلاد أرحب وما وسع قبيلة أرحب إلا المواجهة بالسمع والطاعة للدولة خشية من صوت

---

(١) أي مقيدين بالزنجير وهو سلسلة حديد يقيد بها .

(٢) أمام .

(٣) يقول شيخنا العلامة الحسين بن أحمد السياغي في تعاليقه على صفحات مجهولة « جرى العرف في صنعاء بثلاث تسبيحات ثلث الليل الأولى أول الثلث الأخير والثانية بعده بنحو ساعة أو أكثر والثالثة قبيل أذان الفجر بثلث ساعة للتأهب لصلاة الفجر (أنظر صفحات مجهولة ص٣٧) .

(٤) عطف على ما قبل هذا الخبر لأن المؤلف استدرك خبرت موت الضلعي فيما بعد بدليل إختلاف نوع القلم الذي كتب به الخبرين فالأول كبير والآخر بخط دقيق .

(٥) جمع مقهاية : مقهى .

إم نفير[١] لأن أرحب بعد وقعة أخذ العذري في ابتـداء الدولة العثمانية في أيام أول باشا وهو أحمد مختار لما أخذ بيت العذري بغتة بعد أن سمع وسمعنا أنهم كان يهمُّوا[٢] بالغزو على الأتراك إلى صنعاء بعد وصولهم بثمان عشرة أيام فهجم عليهم إلى محلهم ليلاً فلم يشعروا إلاّ بالمدافع والنفير والعير فبقوا أيام كما نوق عبر قالوا هذا نفير وبعد صاروا من جملة الرعايا وسلموا ما عليهم وما رجع هذا المقدمي من عندهم إلاّ وقد سلموا ما طلب حتى طلب رهائن ووصل بهم رابع عيد الفطر سنة ٩ وبقوهم في سمسرة سوق النحاس وبعد نقلوهم إلى بيت سيدي أحمد ابن قاسم حميد الدين الذي في داود كونه باقي عند الإمام ولولا صادف قلّ الماء في أرحب لبقي المطرح عندهم قرار حتى يسلكوا مسلك الرعايا والله أعلم بما هو يصلح العباد فأول ما كسروا عد العرب أرحب وأول من اكتسر صاحب أرحب فأتوه إلى بيته وهو لا يشاء .

وأما حصن كحلان فباقي مع العرب وقد تشتت العرب في تلك الجهات إلى السدة وإلى العذارب وإلى محل الأشول . ولكن ما اعترضوا الطرق أبداً والمسافرين بيطلعوا وينزلوا حسب عادتهم كون ما فيهم القبيلتين خوقان وأرحب فما وقع النهب والسلم في الطرقات في الحوازات فيما مضى في الحوزة إلاّ من هذه القبيلتين وما وقع التخليص والمطارح إلاّ عليهم بذنوبهم ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، وكذلك في الظفير تتابعت القتلات كما في حصن كحلان سيما في خواتم رمضان وغرة شوال ولله عاقبة الأمور وتعقبت في العيد قتلتين في الحصنين المذكورين وثم في كحلان أخرى أوجبت الخروج من صنعاء غارة نحو طابورين يوم نصف شوال .

وتلك الليلة الماضية وقع كسوف في القمر واستطال من ساعة خمس ونصف في الليل إلى أن مضت تسع ساعات وبيد الله جميع الحالات .

ويوم ثالث عشر خرجت كسوة جيخان حمر من الدولة لعقال أرحب .

ويوم ثاني وصل مرزاح آغا والشيخ الجمالي علي بليلي باشا من خولان وصلة كبيرة ولقيوهم من صنعاء الأتراك والمزيقة يعني المزامير المعروفة وخرجت جميع الخيالة للملقى ووصل وصلة عظيمة ما قد وقع مثلها لعربي في صنعاء ووصلوا معهم نحو ثمانية أنفار عقال من خولان ورهائن نحو خمسة عشر رهينة وحوّل لهم الوالي بمئة ريال عشاهم وقد صارت

---

(١) كتبها هكذا على قاعدة بعض أهل اليمن في إستبدال أداة التعريف بأم اليمنية وهي عربية يمنية عرفت عند أهل اللّغة بالطمطمانية لا تزال شائعة بين سائر قبائل اليمن شماله وجنوبه (ويعني هنا النفير) .

(٢) ينووا .

الجمالة[1] عند الدولة للجمالي بأنه أكبر مصلح في اليمن ولما قد لاقى في هذه المدة وألزموه أيضاً بالعزم مع الغارة المذكورة الذي عزموا حصن كحلان في بلاد خبان فوقع منه الترجي لمهلة يومين كون عاده وصل ومراده ييسر أهله فقبل منه المشير الترجي وأمهله يومين لا غير ، وعزمت يومنا الطابورين وهو عقيبهن بعد غد وصارت عساكر أخره عزمت قبلي طريق عمران في ليلتنا ولله عاقبة الأمور . ولا زالوا الدولة يراسلوا العساكر جيلاً بعد جيل إلى مدينة عمران وكذلك الزانة من الباروت والرصاص وجميع المحتاجات ويراسلوا إلى أسطنبول باستعجالات لجميع المحتاجات ويكتبوا أن اليمن باقي على الفساد وهم يرسلوا بكل ما طلبوه حتى العساكر تكرر خروجهم حتى أن الذي قد في اليمن من حين خرج الباشا أحمد فيضي في أول سنة ١٣٠٩ نحو ثمانين طابور إلاّ إنهم قد تنهولوا[2] من الطاعون والأسر والقتل قدر الربع .

ويوم السبت ٢٤ شوال ١٣٠٩ هـ عزم الباشا بنفسه ومن بقي من العساكر الشاهانية غير ما لا بد منه لحفظ المركز الكبير صنعاء اليمن وتوجه إلى عمران قاصداً للإمام إلى محله في بلاد حاشد في قفلة عذر وعزم من صنعاء في ذلك اليوم الشيخ علي باشا بليلي إلى جهة العدن مفوضاً من الباشا أحمد فيضي في جميع القطر اليماني لإصلاحات تلك الجهات وقبض الحقوق لا سيما وقد أصلح بلاد خولان وأدخلهم صنعاء حين دخل .

نعم وأما خبر حصن كحلان بلاد يريم الذي قبضه سيدي محمد بن حسين ابن عباس شريف كوكبان مقدمي الإمام فإنه بقي فيه إلى نصف شوال وفلته[3] وخرج هو ومن كان لديه جميع والسبب أنها تكاثرت غواثر أصحاب الدولة بإرسال العساكر الشاهانية إلى ذلك المحل نحو سبعة طوابير وحاصروا الحصن حصاراً شديداً وأحاطوا به من كل جهة كإحاطة العصابة بالرأس حتى قلّت عليهم المحتاجات من كل شيء ولم أمكن أحد يأتيهم بشيء وإلاّ فالبلاد حولهم جميع مواجهة لهم بالطاعة وعقيدهم[4] عبد الله مثنى نجيم أكبر المحبين والمتشيعين في الإمام ولكن حال بينهم الموج وهي العساكر السلطانية فأصلحوا نفوسهم من كبير العساكر الباشا مصطفى نافذ[5] بعد أن أعرض الصلح على المشير الباشا أحمد فيضي لأن قاعدة الأتراك جميع لا يفعل أحد شيء إلاّ بأمر من فوقه فوقع الصلح المرضي بشيء من النقد معلوم بينهم اختلفوا فيه المختبرين حتى أنهم زد أعطوهم جمال يشدّوا ما معهم في

(١) حسن الصنيع .
(٢) تناقصوا .
(٣) تركه .
(٤) أي مقدّمهم « عقيد » .
(٥) كلمة غير واضحة أصلحناها من كتاب أئمة اليمن ج١ ص٨٣ .

الحصن جميع من ذخيرة وغيرها وخرجوا بالزامل وهو المغرب[1] ومرافعهم تضرب بين أيديهم فما كان[2] من بعض العرب فرحلوا محلاتهم وما كان من المخلّصين فعزموا صحبة أميرهم سيدي محمد بن عباس إلى جهة أخرى في اليمن وقبضوا حصناً آخر.

وأما خبر المشير الذي عزم صنعاء إلى جهة القبلة فوصل عمران ونهض إلى ريدة يريد المضي إلى خَمِرْ وكتب لأهل تلك الجهات يلقوه فلقيه النزر اليسير وقليل من حاشد الذي يريدوا حطام الدنيا وهم الخارجين يقال لهم البيضان المحاددين عيال سريح وقيل أن قد وقعت بينهما قتلة في حدود حمدة[3] وريدة والله أعلم ولكن يؤيد[4] هذا الخبر أن صبح الخميس عظم السخري في صنعاء حتى البهائم حق جميع العرب من المدينة والحواز القشامين والمتاربة[5] وتلك الليلة وقعت مناير في الجبال وفي أرحب وفي نقم وبالحال أن ثم عساكر سلطانية في نقم في المنظر محل معروف والمنارة في الحصن فوق المنظر قيل أنها إمارات بين القبائل وسخروا البهائم حق القشامين وجميع الداخلات صنعاء بالبرقوق[6] وحق أهل الوادي وكان يطرحوا حماثلهن في البر ويدخلوها بأجرة وأكثر ما كان يخرجوا لها الجمال حق المعاصر[7] من صنعاء ويرجعوهن وصارت ثلاثة أيام حسوماً على أهل الحواز وكان الزبطية يقبض أحدهم حما ر القبيلي ويقبض منه رشوة ويفلّته ويلتقيه زبطي آخر يقبضه وبعد صاحوا للناس بالأمان الصبح فلما أمِنوا وظهرت البهائم قبضوها ظهر ذلك اليوم الذي أمنوا الناس فيه وهذه البهائم والبغال المسخورة أرادوا يحملوا عليها الأمراض والمكاوين الذي في استخانة لأن قد كثروا ويشدوا عليها ناس آخرين الذي سيدخلوا عند السلطان[8] يقعوا كتّاب وأفندوهم[9] الذي تعلّموا القراية في الرشدية[10] وقد أكملوا تعليمهم ويريد رفع درجاتهم وهم نحو أربعين نفر أكثرهم عرب منهم السيد محمد بن عبد الكريم الكوكباني [إبن] الذي كان مدير بلاد البستان وقتل في البروية أول الحوزة.

وفي ذلك الأسبوع وصل عسكر من عمران قدر ستين سبعين نفر فلما وصلوا إلى حول

---

(١) حداء ونشيد.
(٢) فأما ما كان.
(٣) قرية أنظرها في ملحق الكتاب.
(٤) يود.
(٥) الذين يأتون بالتراب للبناء.
(٦) هو المشمش.
(٧) جمع معصرة وهي التي يعصر بها السمسم ويستخرج منه زيت.
(٨) أي الآستانة للدراسة.
(٩) أي أفندية.
(١٠) كأنها مدرسة كبيرة في تركيا.

الأزرقين قاموا لهم ناس ما أحد يدري من هم وفعلوا في كل واحد فعلين وسلبوهم البندقين والسيفين وما وصلوا إلَّا مسلوبين .

وفي نصف شهر القعدة وقع القدوم من العساكر السلطانية على قبيلة بني عبد ما بين السودة وعمران وهي قبيلة يسيرة نحو خمس ستة مئة نفر قدموا من المطرح حقهم وهو المسمى باللومي . فاحتربوا طول ذلك اليوم وما فرق بينهم إلَّا الليل فلما أصبح الفجر قدموا بجميع المدافع على تلك القرى وأهلها سكتوا فيها ولم يظهر منهم أحد فرموها إلى نصف الصبح فلم يسمعوا فيها لاغية فهجموا إلى ذلك المحل فلما دخلوه ظَهَر أهله وخرجوا اقتتلوا وسط القرية قتلة ما قد وقع مثلها لا في الجردا ولا غيرها حتى سالت الدماء كالماء طعن من اليد كل أحد منهم ذكر الجد حتى لم يتبين القتلى بالعد وتركوا تلك القرى وهربوا ودخلتها بقية الأتراك فلما رأوا ما صار في أصحابهم من الهلاك أحرقوا تلك القرى بالنار ورجعوا إلى مطرحهم اللومي ولكن قامت همة القبائل للقتال لما رأوا فعل تلك الرجال في ذلك القتال ودخلت المكاوين إلى عمران الليل كالسيل وسكن القتال نحو ثمان من هول تلك الوقعة التي تذكر إلى آخر الزمان / ولم قد وقعت قتلة مثلها يصير فيها الجم الغفير إلَّا في الظفير فرجال الظفير مشهورة وعند الله مشكورة بالقتلات المذكورة وحفظ مركزهم هذه المدة اليوم سنة فما هي إلَّا حسن نياتهم وصلاح طوياتهم ولم يخونوا الله حتى يخونهم ولم يتعدوا محظور حتى يسلط عليهم.عدوهم بل صابرين ولله محتسبين وقد نزلت لهم من الله آية وعبرة كما كان ينزل في الصحابة قرآن وهو أنه قلَّ عليهم الماء في المحل ونَجِحْ[1] ما في البرك فحارت عقولهم وكتبوا إلى الإمام فعرفهم بالصبر وأن لا يضيع عمل عامل ولا بد ما يحدث الله لهم ما يحتاجوا فتراكمت عليهم سحاب الغمام ومطروا خاصة من بين الأنام حتى مليت بركهم في تلك الأيام وأكثر الأرض يابسة لا نزل فيها قطرة سيما من بأزائهم فأي عبرة مثل هذه وأين من له نية مثل نية هؤلاء المجاهدين المخلصين ورئيسهم مبخوت الأحمر القاهر لبني الأصفر[2] .

وبعد وقعة اللومي وبني عبد عزم المشير بجميع الأجناد السلطانية والمدافع الكرخانية إلى محل يقال له السنتين وهو ما بين حصن الغولة وبين خمر وهو أول قرية في حاشد مما يلي خَمِرْ وبعد عزم بتلك العساكر والمدافع إلى خمر ودخلها وقد أجلوا عنها أهلها جميع وأما ما يحدث فلا بد إن شاء الله نذكره .

وأحوال اليمن الأسفل مرتبشة لم صلحت بل القتال باقي وقد وصلت ممن هو متولي

---

(١) نفد .

(٢) الأتراك .

فيه كتب يقال لها عندهم بسطات يريدوا عساكر من صنعاء وأرسلوا بالبسطة إلى الوالي إلى خمر وهو يريد مثلهم زيادة وقد عنده وفي جهته في المراتب الذي رتب نحو عشرة ألف نفر وهل من مزيد .

ويوم الجمعة إجتمعوا الأتراك الذين في صنعاء وحتى الذين في نقم نزلوا لذلك المجمع إلى العرضي وخرجوا الكبارات من العرب والعجم والعلماء ورئيسهم سيدي أحمد بن محمد الكبسي وقرأوا لهم كتاب من السلطان واختلفت فيه الأخبار بين العرب والعجم فشاعت أخبار العجم بأنه يقري العساكر السلام ويبشرهم بأن فسحهم[1] قريب وأنه سيرسل بعساكر آخره فلقتين أو أكثر لأن العساكر هذه الذي في اليمن خرجوا مع الباشا أحمد فيضي يسموا رديف يعني ليسوا بنظام وقد تعسكروا سابقاً في النظام ولكنهم مستعارين مدة يسيرة استعان بهم السلطان يصلحوا اليمن ويرجعوا عاجلاً مدة شهرين ثلاثة واليوم لهم نحو تسعة أشهر فإذا صح الخبر فما هي إلّا تسلية لهم وإن كان الخبر غيره فلا بد من ظهوره وقد تتابعت بعدهم عساكر أخرى وكلما يرسلوا بعساكر يطلبوا وصول هذا الرديف وقد استغرقهم[2] اليمن والسبب في صلاباتهم[3] أن الباشا بعد وصوله صنعاء ودخولها عنوة وتشريدة لمن كان محاصراً لها كتب إلى السلطنة أن اليمن قد صلح جميع يريد بذلك رفع درجته في السلطنة وعلو مرتبته لما وعدوه من المشيرية إذا أصلح اليمن فإنه يكون فيها مشيراً ويرفعوا أحسن أديب باشا فوقع منهم ذلك كما ذكرناه هنالك ولكن لعل النية الباطنية غير صالحة في الناس فَتربشت الأحوال وقل الرأي والإحتيال وكان ما ذكر (كلما شبره[4] قصر) الله يصلحنا ويصلح لنا بحوله وطوله آمين / .

وحال الرقم وله في خمر خمسة وعشرين يوماً ولم أمكن القدوم على الإمام حسبما خرج له ولكن مخاشره[5] ومراشاه[6] .

ويوم الإثنين تاسع عشر القعدة وصلت المدافع الذي لها أربعة أشهر يوصلوها وصارت أشد على الرعايا من جميع المطالب لأنهم كلفوهم بجرها من دون عجيل بل على صُرِفْ في القاع فصعب عليهم جرها وما قصدهم بذلك إلّا تعذيب القبائل ولزيادة الإرهاب لأن ما كان تسير في اليوم إلا نحو ميل بمشقة كبيرة فلما وصلت بوعان أرسلوا لبلاد البستان يجروها فأبوا

---

(١) سماحهم عن الخدمة في اليمن .

(٢) استغرق الشيء صرفه أو أفناه .

(٣) كذا ولعله طلاباتهم .

(٤) قاسه باليد وهذا المثل أنظره في الأمثال اليمنية٢/٨٧٧ .

(٥) مخاذلة ويقال خشر العصبة فك رباطها .

(٦) راشاه ترجاه وتوسل إليه .

أن يجروها على تلك الأصراف وكادت الفتنة تثور بين الأتراك والبستان فأطلعوها على العجيل فما باتوا بها إلاَّ منذ .

ويوم ثاني وصلت صنعاء أذان الظهر بزجلة[1] كبيرة وخرجوا لقيوها بالمدافع السابقة والعساكر الذي في صنعاء والمتولين للأمر بعد الباشا أحمد فيضي وطلعوا جميع الناس ينظروها ودخلوا بها من بئر العزب والنهرين والفليحي والقصر وطلع السيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي يهنيهم بذلك ويسرد لهم فيها أدلة قرآنية وأحاديث نبوية فأول ما نطق به بعد أن مدَّ كفه نحو السماء قال الله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوَّ الله وعدوكم** ﴾[2] وقال صلى الله عليه وسلم : « **ألا أن القوة الرمي** » ثلاثاً[3] وبعد رجع يدعو لسلطان الإسلام بالتأييد والنصر على الطغام وبتنفيذ شريعة الإسلام وبالقيام على الكتاب والسنة وبعد ثنًّا بالدعا لوزرائه وعماله وحكامه ورجع ثلَّث بالدعاء له خاصة وختم بالفاتحة وجميع الحاضرين من العرب والعجم يأمِّنوا على دعائه وعقروا رأسين غنم تحت كل مدفع رأساً لعلها من رئيس البلدية يعني عامل صنعاء محمد بليلي أفندي لأنه كان يدور حولها حال الذبح والجزارين يكلِّموه ويكلِّمهم وأدخلوها القصر وصفتهن صِفْر في سعة بطونهن لعلهن أوسع من الأولات قليل بنحو زيادة رطل في الرصاصة ولكنهن أجْسَر[4] سيما من أوساطهن إلى جهة الخزانة والعين فإنهن أجسر جداً مثني مثلوث .

وأما البغمة[5] والمعنقة[6] وجهة فمه فما فيها زيادة إلاَّ يسير والله يفك عنَّا كل عسير ولا زالت الشحنا بين البوش الكبار كاينة أعظمها بين المشير أحمد فيضي باشا وبين كبير العساكر الذي خرجوا معه المسمايين بالرديف فإنه كل حين يطلب الرجوع بهم إسطنبول لأنهم مستعين بهم مدة يسيرة نحو شهرين ثلاثة واليوم لهم نحو سنة والباشا أحمد فيضي يريد بقاهم حتى يصلح اليمن ومن ها هنا صارت الشحنا وكل ساع يزعل[7] ويغضب ويخرج السيد أحمد الكبسي يعظه ويعظ العساكر ويصبرهم ويوعدهم بالرجوع وبالسلامة والشهادة لمن مات في القيامة حتى أنه خرج لذلك مرتين يوم جمعتين ثامن شهرنا بعد الصلاة وخامس عشر شهرنا الصبح والله سبحانه يحق الحق .

---

(١) بضجيج .

(٢) سورة الأنفال الآية ٦١ .

(٣) أنظر الحديث في صحيح مسلم ١٦١/٢ عن عقبة بن عامر مرفوعاً .

(٤) أصلب .

(٥) فتحة المدفع رأسه .

(٦) عنق المدفع .

(٧) يذهب حانقاً وأصله الملل والغيظ (أنظر المعجم) .

وحول نصف شهرنا القعدة وقعت قتلتين قرت فيها كل عين الأولة في الظفير أمر المشير العساكر الذي في حجة بالهجوم على الظفير ولا يرجعوا ولا يتأسوا من كثر القتلى لو يريحوا النصف بل يدخلوها عنوة ولو بفلوس أو في سهوة[1] لأن اليوم لهم سنة ما قدروا وهذا عيب عند السلطان وعند العرب وأنه قد خرج / من صنعاء إلى بلاد حاشد من أجل أنه يشغل العرب بقدومه أعانة لمن في حجة يأخذوا الظفير والله على كل شيء قدير فقدموا بأجمعهم صغيراً وكبيراً صحيحاً وسقيم فوقع الدخول من بعض الشرط نحو مئتين والذي داخل جمود كأنهم غائبين أو رقود وقيل أنها بيعة من بعض العرب وخديعة وقاموا قومة رجل واحد صحح نيته أنه لله مجاهد فبعضهم اعتنى بمن دخل وبعضهم بمن خارج وذهب الداخل ونحوه من الخارج ورجع من بقي القهقرا وحمد القوم السرى يعني الداخلين .

والقتلة الأخرى عند الباشا في بني صريم حاشد فإنهم نزلوا من خمر يريدوا جهة الإمام فقيل أنهم اقتتلوا حال القدوم وقيل أنهم غزوهم العرب الليل بالهجوم ولكنها أكبر من أختها بزيادة الثلث ووصلت الروس جميع إلى عند الإمام .

وبني عبد في ذلك الوعد أخذوا حملوة من عمران طلعت جهة خمر فالتقوها إلى ما بين الغولة وخمر وأخذوها قيل عفش الوالي وقيل زانه وقيل فلوس ومعها قليل شعير حسيك لأن كل ما كان يحتاجوا من خمر منساق من عمران وأما أنهم يجدوا محتاجاتهم في خمر فلا وما يمكن يمضوا من عمران إلى خمر . ولا من خمر إلى عمران إلا إذا ثم وهو طابور أو نصف وأما المئة فما دون فيما يتصور يكون لو متسلحين لأن بني عبد حائلين بين المحلين .

وليلة الجمعة ليلة ثاني وعشرين القعدة وقعت منارتين في نقم وفي الجانب الغربي قيل أنها قد هيه إمارات بين العرب في القتل والنصر وبلوغ المآرب .

وفي آخر شهر القعدة خرجوا العرب بفلوس كبيرة أظهروا للأتراك أنهم سيبيعوا ويخدعوا الإمام للأروام[2] فصدقوهم وسلموا ما شرطوا لهم من المال ولعل أنهم تحيَّلوا في أخذ ما أخذوه من النقد وإلاّ فقد هو برضاء الإمام رأى في ذلك مصلحة ، وقيل أن الأتراك من شدة الفرح وعدم ما يأول إليه الأمر من الترح زد أعطوا العرب قراش يشدوا أدوانهم وأثقالهم وسلم الله ونزلوا أصحاب الإمام عند الإمام وأصحاب الباشا الأتراك عند الباشا ، وتزاحم وتضايق الأمر فيما بينهما من خمر وما إليها من تلك الجهات إلى أن وصلوا الأتراك إلى قفلة عذر محل الإمام والإمام صادف تلك الليلة في محل آخر ولم يتصلوا بمرادهم ولا

---

(١) سهو غفلة .
(٢) خ للأوروام .

بلغوا آمالهم واشتد القتال وكثرت الأخبار بالقيل والقال وتزاحم الفريقان والتقى الجمعان والتقت الساق بالساق وضاق الخناق وغار الإمام من حيث ما كان لأنه كان يدور في جميع مطارحه ويبيت كل يوم أو يومين في محل خشية من غدر العرب والعجم وحفظه الله .

وفي سابع شهر الحجة وصل خبر الشيخ علي باشا بليلي أنه قتل في بلاد آنس قتلوه ذو محمد الذي عزموا من لدى الإمام إلى جهة العدن ومقدّميهم قيل سيدي محمد بن حسين عباس وقيل سيدي أحمد بن يحيى وقعت طريقهم من وسط جهران حتى وصلوا الجمعة سوق معروف لأهل آنس وعلي بليلي باشا قد كان رجع من بلاد الشعر وبلاد خبان بعد أن أصلحهما وأخذ رهائنها / وأدخلهم معه إلى ذمار فلما وصل ذمار علم بمسراح بكيل ودخولهم آنس فبنى من نفسه حيث قد سبرت[1] له أنه سيغزيهم ليلاً ويأخذهم عنوة وتمدح بذلك يومه وأمسه وما علم أنه يكون في رمسه فصابحهم واهترى وشهر نفسه ، فلما علموا أنه هو تهافتوا عليه تهافت السباع ورموه وأخذ سلبه بمقدار ألف ريال ورأسه وأرسلوه إلى الإمام[2] .

وأما خبر الباشا أحمد فيضي فإنه لما وصل إلى محل الإمام ولم يبلغ المرام خرب ذلك المحل ورجع على الفور إلى وادعة محل بين خمر وقفلة عذر ولكنه كثر على الباشا الغرام في هذا المخرج لأنه ما دخل بلاد حاشد عنوة ولكن بالكساء لهم والرشوة حتى أنه اشترى عِسْوَبْ[3] من صنعاء والجيخان الحمر وحاشد تراخوا في حق الإمام طلباً للحطام وإلا فلو كانوا قاتلوا ما وصل إلى ذلك المحل ولكن الله يفعل ما يشاء ويري عباده آياته فلو كانت الغلبة لهم لكانت على الإمام الشوكة لهم كما سبق فيمن كان حول صنعاء حيث علم الله ضعف نياتهم وأنهم خاسرين في تجارتهم خيّب آمالهم لأجل لا تكون الشوكة لهم وما بقي إلّا الله سبحانه تولى الأمور وأرى الإمام ما في الصدور وحفظه بعد أن خلا بينهم ليريهم سوء أعمالهم .

ويوم عيد الأضحى أضربت العجم عن الأهبة والحزبة صفحاً ولم قد وقع مثل هذا اليوم حزناً عندهم قطعاً منذ عشرين سنة في صنعاء وما صلّوا العيد إلّا القليل فرادي من دون حزبة ولا دعاء ولا معاش ولا شَروا أعيادا[4] ، ووقعت القتلة الكبيرة في بلاد حاشد بين العرب والعجم في أيام التشريق والتقى الجمعان وفرّ الجبان وتصادمت الشجعان والتقت

---

(١) صلحت .
(٢) أنظر خبر مقتل علي باشا بليلي في أئمة اليمن ج١ ق٢ ص٨٤ وكان قتله في ٦ شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٩ .
(٣) جمع عسيب سبق شرحه .
(٤) اضاحي .

الساق بالساق وقال كل أحد منهم أين المفر والفراق وأجاد أهل الحواز من أزال وما إليها بالمال والرجال واشتهروا جميع وأصدقوا الوضع في القتال وتزاحمت بعض قبائل حاشد الذي أخذوا من العجم المال وتلاحقت الأتراك من كل جهة والذي كانوا محاصرين لحصن الظفير أقبلوا إلى عند الباشا أحمد فيضي وكثرت المدافع عندهم والله الدافع لهم قيل نحو عشرين مدفع ورمايتهن من البنادق أسرع لأنهن جميع ينفتحين من أسفلهن وكل جبان من تلك المضارب فر وكل بطل وشجاع بما هنالك ألقي عصاه وقر وما أفضًل أحد من الفريقين على أحد في الضرب والطعن في عمل الدنيا فهم عندي على السواء وما الفضل عندي إلاَّ لمن يريد الله ورسوله والدار الآخرة فإن تنظر إلى الأتراك فلله درهم بامتثالهم لإمرائهم وبذل نفوسهم في سلامتهم وسلامة ما في أيديهم من السلاح والخزائن والعد والعديد فلو تراخوا فواق ناقة لذهب ما بأيديهم وذهبوا عن آخرهم وإن نظرت إلى العرب فلله درهم فلو تراخوا فواق ناقة لذهبوا شذراً مذراً وصارت تلك البلاد هدراً وما يقفوا إلاَّ وقد وصلوا تلك البلاد بصعدة والحجاز فهنيئاً لمن شاهد تلك المعارك وهو يطلب رضى المالك مشتاقاً إلى رضوان الجنان فاراً من نار خازنها مالك ، وإني أظنها أشد من أيام صِفِّين معظم أيام صفين كثرة الرجال ، وهذه أيام ما سكن فيها قارح البنادق ولا المدافع ساعة واحدة وهؤلئك[1] السابقين لا مدفع ولا بندق فهنيئاً لمن صلحت نيته وخلصت سريرته وطابت علانيته حياً أو ميتاً والحمد لله على ما قضاه ربنا بين الفريقين وأمضاه / .

ويوم السبت رابع عشر الحجة وصلوا أتراك من آنس ومعهم مكاوين منهم كثير .

ويوم الإثنين سادس عشر الحجة وصلوا من عمران كذلك عساكر وصحبتهم مكاوين منهم وأمراض ومدافع وعجيل مكسرة ويهود مع البهائم المسخورة من عمران الذي ركبوها أهل المرض والأكوان[2] .

وليلة سبعة عشر عزموا بطابور عسكر ورئيسهم إلى بلاد آنس لأنه صار الآن الفساد والقبائل العرب فيها ورئيسهم سيدي محمد بن حسين عباس صاحب كوكبان وقد كان أخبروا بجبل عانز أخذوه وهو جبل عظيم متوسط بين حراز وآنس والحيمة هو منها ولعل قد أخذوا حمولة طالعة من تهامة كبيرة وصار كل قائم مقام يعذب من في تحت أمره بأنواع العذاب حتى أن بعض مشايخ الحيمة أخذوا أقباعهم ولبسهم كوافي حمر وربطهم في مذاود[3] الحمير وحط لهم علف من طعام الحمير وما سلم من ذلك إلاَّ الشقاقي وآخر معه وفي بلاد

---

(١) كذا في الأصل

(٢) جمع كون الجراح من الرصاص .

(٣) جمع مذود وهو كالإصطبل للخيول .

المغرّب كذلك حمدي قائم مقام يفعل أشد من ذلك بالرعايا .

ويوم تاسع عشر وصل الباشا إسلام ومعه طابور من بلاد القبلة من عند الباشا أحمد فيضي ومعه طابور عسكر ومكاوين وأمراض ولعل قد كف حرب بلاد القبلة ورجع الباشا الكبير ولكن لم قد وصل بل صار يترحل في الطريق ويأخذ رهائن من القبائل ويترقب الفرصة للمشار والله سبحانه له قد أجار وفي هذه المدة رجعوا العسكر الشاهانية وكبيرهم مصطفى[1] نافذ باشا الذي كانوا مع الشيخ علي بليلي باشا من جمعة[2] آنس إلى قرية أحلال قرية بيت الحلالي الهجرة وطلبوا منهم الفتح للعسكر والإقامة فأبوا فاحتربوا هم وهم وأرسلوا للزيادة من صنعاء ومدفع كبير فعزموا وأتوها من جهتين وأخذوها عنوة بعدما احتربوا وراح قتلى من الجهتين وأخذوا ما فيها وهي الرابعة قرية هلكت في آنس في هذه السنة سنة ١٣٠٩ هي وكبة ومحل المقداد .

ويوم الربوع خرجوا جميع الأتراك والمدافع للحزبة وللإرهاب فعلوا تمشية إلى جهة الروضة ورجعوا ونزلوا من السوق .

ويوم الخميس تفرقوا ناس عزموا آنس وناس عمران وناس الروضة وحدة لأمور في قلوبهم .

وهذه السنة وقع موسم في الحج عظيم وعافية كثير ولا مرض ولا عرض ولا كرتنة لا في بر ولا في بحر مع حصول العافية ولا قد وقع موسم مثله وصلوا الحجاج صنعاء في آخر شهر الحجة وقد زاروا بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت لهم الزيارة قبل الحج وحاصله أنهم غابوا شهرين ونصف ولا قد وقع مثله منذ إحدى وعشرين سنة فالحمد لله رب العالمين على هذه التيسيرات .

ويوم الجمعة وصل من عمران بعض العساكر الشاهانية ومدفعين كرخانية وصحبتهم إثنا عشر نفر من ذو حسين وعاقلهم معهم حسين بن يحيى الشايف مضبوطين تحت الحفظ عشرة مزنجرين وعاقلهم المذكور وولده مقيدين / في أيديهم بصرف[3] على قانون الأتراك وسبب ذلك أنهم كانوا في بلادهم من قبل الحوزة فلما رأوا تفاقم الأمور ولوائح الفساد من الجمهور افتسحوا بعضهم وبعضهم هربوا في بدء الحوزة بسلاحهم حق الدولة فلما انجلت الحوزة ودخل المشير إلى بلاد حاشد وبقي فيها وعمّر في وسطها عمارة وخرب قفلة عذر

---

(١) في الأصل مصتفى .
(٢) بلده في آنس .
(٣) ألواح من الخشب .

التي كان فيها الإمام ترجح لهم أن ما ثم للفساد مرام ولاحقهم الطمع في طلب الحطام ولا سيما حين عاد كان لهم معاشات منكسرة عند الدولة من أيام سابقة فوصلوا إلى عند الباشا أحمد فيضي إلى الجراف حق بلاد حاشد وقيل أنهم وصلوا أولاً إلى عند سيدي وتعهدوا له فلما رأوا قوة الباشا وزحمته إلى بلاد حاشد وبقاه فيها وأنه غير فار منها ورأوا ضعف العرب والفرار من زوا المشار وصلوا يطلبوا العسكرة والباقي لهم من سابق فصرفهم إلى عمران لقبض ما هو لهم وصرف آخرين منهم إلى حجة وكتب لهم كتب في ذلك وألحقها بكتب أخرى بعكس ما هنالك لقبضهم ونهبهم وحبسهم فوقع بهم ما ذكر ودخلوا بهم إلى صنعاء ولقيتهم العساكر التي في صنعاء وأربعة مدافع كبار وخرجوا للقاهم وخلق من أهل صنعاء ينظروا فعل الله ودخلوا بزجلة كبيرة وما ذلك إلاّ ذنوب على العرب سابقة ولاحقة وأدخلوهم الحبس وقيدوهم جميع وما هو إلا الطمع ونكث العهود حتى صاروا جميعاً في القيود .

ويوم السبت سادس محرم سنة ١٣١٠ وصلوا عساكر كثير أمراض[١] . . مركبين على الجمال والبغال وبنادق أحمال من الجهة العدنية وليلة النصف أظهروا صائح للنّاس أن قد أخذ المشير بربط والعنان وأسر السادة المشار إليهم حتى قيل سيدي بنفسه[٢] وأخذوهم أسرى مع ما أخذوا من أسراهم الذي أخذوهم القبائل في الحوزة وأنهم يفعلوا تلك الليلة تنصيرة ووقع تنصيرة كبيرة وهيؤوا لها أهل الحوازات لما قد فعلوا سابقاً وأخرجوا مظلتين كبار من حق بيت القاسم إلى الميدان وأظهروا أنهن حق السادة الذين أسروا في القبلة وبقي الناس ينظروهن .

ويوم عشرين وصلوا بعض الأساري الذين كانوا مقبوضين عند سيدي نحو ثلاثين أو يزيدون منهم زبطية وعسكر نظام وفيهم قليل خيالة وأفند ووقعت بشائر كبيرة عند أهلهم واحجرين[٣] النسوان من باب شعوب إلى الميدان لأن أكثر تلك الخارجة أتراك وحفدتهم ، وقد كانوا في العنان وهو سوق برط ومجمع المشارق ، وسبب ذلك أن الإمام فرق جميع الأسرى في جميع البلدان حين حان خروج الباشا أحمد فيضي على بلاد القبلة لما رأى سيدي من فشلت القبائل حاشد وغيرها ولكن الباشا خرج خرجة ما قد وقع مثلها إلاّ خرجة مصطفى عاصم السابقة في أيام المتوكل خَرْجَة بأهبة أكبر من هذه ولكن عاد كان حاشد معظم من كان فيهم يميل إلى الدنيا أبو فارع بنفسه وجمع قبائله مع / الإمام المتوكل وما جلس إلاّ نحو ثلاثة أو عاد[٤] أو شهر وأما هذا المشير فله اليوم ستة أشهر في القبلة وبعد

---

(١) بياض في الأصل .
(٢) يعني الإمام .
(٣) زعردن .
(٤) أسابيع .

رجوعه من برط وأخذ أسراهم رجع إلى الحرف وخرجت قبائل من الشام من صعدة وسحار غارة على الإمام ومَقْدَمِيّهم سيدي محمد بن الهادي شرف الدين وقعدوا في العمشية والباشا رجع من الحرف إلى بلاد حاشد وطلع إلى السودة وكتب إلى علي باشا إلى حجة يقدم على الشرف فقدم ولعلها وقعت بينهم وقائع غير مفصلة ونزل الباشا أحمد فيضي إلى بني حكم وفي جهاتنا قبضوا على الحاج . . .[1] الروحاني صاحب بني حبش وأطلعوه تحت الحفظ إلى حبس صنعاء وفي يريم قبضوا على الشيخ عبد الله مثنى نجيم وفي ذمار قبضوا على عشرين نفر وفي آنس قبضوا جماعة كبيرة[1] . . . وفي صنعاء حبسوا خلق كثير كل من له أدنى قرابة بأحد عند الإمام أو نسبة أو أحد منهم أن له صديق قريب أو نسب وهم عند الإمام وأما من لم يكن فيه من هذه الشناشن[2] المذكورة فما تَعَدَّوا أحد أنما يحده السُّميّات[3] لجميع العرب .

وفي آخر صفر وصل المشير من السفر وتلك الخرجة الكبيرة على الإمام من شهر شوال إلى يوم الأحد سادس وعشرين صفر بعد أن مضى جميع بلاد حاشد ودخل برط أخرج الملازيم[4] الذي شَرَّحهم[5] سيدي عند إبن أبو رأس فلما وصل إلى تلك الجهة نجح البرط على أهل برط وتعلقت بهم الفجيعة وأطلقوا من لديهم مجرد رؤية العساكر الشاهانية والمدافع الكرخانية من غير لا ضربة ولا طعنة وهذه آية من آيات الله لأنهم كانوا هم وحاشد مدعين العسرة على جميع الأنام ، سيما على كل إمام فلما وصل إليهم المشير أحمد فيضي رأوا الحمام وسلموا ما ذكرناه سلاماً بسلام ليتبين أنهم قدريين[6] .

وبعد رجوع المشير من برط رجع إلى الحرف ودخل طرف بلاد حاشد وخرج إلى سوق الدومة وتكاتب هو وعلي باشا إلى حجة أنهم يتوجهوا جميع إلى بلاد الشرف وأحاطوا بها من كل جهة ووقع بينهم قتلتين أو ثلاث حتى اتصلوا في القتلات بعضهم ببعض طعناً من اليد وفروا العرب من العجم وطلع الوالي إلى الشاهل وحصل البلاء النازل من السماء بحدوث الرحمة حتى راحوا خلق كثير وتركوا العجم البلاد طوعاً وفروا منها كرهاً لما رأوا من آيات الله بالطاعون المفجع وتوجه الوالي إلى تهامة جهة الحديدة وباجل ودخل صنعاء بعد

---

(١) بياض .
(٢) الأخبار المقلقة والشناشن في اللغة جمع شنشنة : العادة والطبيعة .
(٣) يحده شرحناها فيما سبق والسميات جمع سم وهي كناية عن الأحقاد .
(٤) الملزومين .
(٥) أودعهم .
(٦) كذا ولعله قادرين .

أن أيقن بالموت قطعاً ورأى العساكر وتركهم في تهامة صرعى لأنهم وفت[1] مدتهم في اليمن وافتسحوا جميع العساكر الرديف والأحتياطي الذي وصلوا معه غارة قدر عشرين ألف أو يزيدون وخرجوا عسكر آخرين نظام عجم ما قد تعسكروا فلما وصلوا بها وظهر الطاعون بقوا فيها مكرتنين على قوانينهم أن لا يدخل أحد بلد وبقت الكرتنة في تهامة وما وصل الوالي إلّا بنفسه وإلّا نحو خمسين نفر عسكر معه وهو خرج من صنعاء وتقدم القبلة بقدر عشرين ألف مقاتل ولقيوا الخيالة من صنعاء إلى حراز والزبطية إلى الحيمة والترك العسكر إلى قاع سهمان ووقعت لقية كبيرة ووصل أذان الظهر واجتمعوا في شرارة للدعاء والتبرك وتدعى بهم سيدي أحمد الكبسي حسب العادة وهنأه بالسلامة وتدعا بعده رجل أعور فقيه تركي يقال له خوجه ووقعت تلك الليلة تنصيرة في المدينة كبيرة والله يصلح الشأن / .

وأما خبر سيدي فإنه بقي في تلك المدة مدة خروج الباشا من صنعاء وتردده في بلاد القبلة من حاشد إلى برط إلى الشرف كما ذكرناه آنفاً إلى أن نزل تهامة وطلع صنعاء والإمام باقي في البطنة هيجه غربي سوق الحرف متصلة بالعمشية أرض قفرة لا يسكنها إلّا البدوان قيل أن فيها جرف[2] منحوتة في الجبل وقد صارت في هذه المدة مفر للأئمة كلما نابت نائبة لجؤا إليها في أول من وصلها في هذا الزمان الإمام المتوكل سيدي محسن أحمد لما خرج عليه المشير الكبير مصطفى عاصم باشا في سنة ١٢٩٤ .

وبعد أيام خرج الباشا الآخر عزة باشا وقبله إسماعيل حافظ باشا الذي توفيا[3] في صنعاء خرجا على الهادي سيدي شرف الدين وفر إليها ، وهذا المشير لما خرج وداس تلك البلدان حتى وصل برط ولم قد وصله قبله أحد وصادف[4] في خروجه أمور صعبة لولا أنه صاحب سطوة وتدبير وهندسة لما وصل إلى هنالك ولكنه بَغَضَ المال وأعطاه الرجال حتى ملأ قلوبهم حباً للمال وصيانة لأغراضهم وبيوتهم فخلوا سبيله وأطلقوا له العنان حتى صاروا في العنان وأخذ الملازيم من الرجال بلكوك من الأموال .

ويوم ثامن وصوله طلب التجار من أهل صنعاء وواجه لهم ذلك اليوم ٤ شهر ربيع وتكلم بما في نفسه وأرضاهم بما نفوسهم من إطلاق محابيسهم . مستهل كلامه : أن أرض اليمن المسماة بالزيدية كلها مفسدة حتى أهل مجلسه ولكن عفو السلطان عما كان وسع الحاضر والباد ولا أحد يواخذ بما فعل وإنهم كانوا في ضيق قبل التشكيل وحوزات وعدم

---

(١) إنتهت مدتهم .
(٢) الجرف هو مغارة يشبه الغار .
(٣) كذا في الأصل يريد أن يقول اللذان توفيا فخانه التعبير .
(٤) خ صادر .

بضائع فلما صاروا تحت ظل السلطان أمنت السبل وكثرت البضائع وأتجروا جميع الناس بعد الأياس منها والإفلاس وأنه كان القميص بريال وأكثر والآن[١] صار بالنصف من ذلك كلما هنالك بسعادة سلطان الإسلام وإن لولا شفقته على أهل اليمن لأقطعها الإفرنج وصارت مصيبة عميا كما صارت أرض مصر ، فيجب على كل أحد مراجعة نفسه ومكاتبة كل من يقرب له وهو الآن شارد عند الإمام ويرجعوا بالأمان ولا حاجة للفساد وأطلق جميع المحابيس المذكورين من صنعاء وطلب منهم الكفال كل من كفل خرج وصار ذلك اليوم يوم الفرج على من كان في الضيق والحرج فلله دره ما أسمحه ، فلو كان باشا غيره لفعل بعد رجوعه أضر مما كان كما فعل مصطفى عاصم لما رجع من القبلة بخفي حنين رجع بسميات مفجعة وحبس العلماء وأرسلهم الحديدة فلو كان هذا الباشا حمق حيث لم يبلغ المراد لصار ضره علي جميع العباد ولكن مع سماحته وسياسته وعفوه وحسن سيرته عفا عما مضى وصار عفوه عاماً وبالحال أن بعض القبائل ومن تولى لسيدي[٢] في الأعمال فعلوا فعل من لا يخشى . . .[٣] وبقي القبائل الآن في الحبس مثل عبد الله مثنى نجيم صاحب يريم وناس من الحيمة وآنس وذمار قد بيسعوا في مخارجتهم وناس من الحواز والله أعلم ما يكون منهم[٤] .

وفي يوم الخميس ٨ ربيع أول أمروا كبار الناس والأعيان وأهل المجالس والتجار وعقال الأسواق يخرجوا إلى العرضي يسمعوا ما يخبرهم الباشا المفخم الحاج أحمد فيضي باشا فخرجوا حسب الأمر وكلمهم بإحسان وليان وعرفهم بما مَنَّ عليهم جميع من العفو والامتنان وحرضهم على الطاعة للسلطان ورجع نحو العساكر يسليهم عما صاروا فيه من التعب والسفر والقتل وأخبر الجميع بما صار في تهامة وجهاتها من أمر الله سبحانه من الطاعون والكرتان الذي استمر من صفر إلى حال الرقم عشرين ربيع أول وكل أحد من العساكر الخارجة باقية مكرتنة في مطرحها في حراز مطرحين . وفي تهامة كذلك وأعظم الأمر في الحديدة حتى انقطع المسافرون وقلت البضائع في صنعاء من قِلّ الجمال ، وبعد ذلك الجمع دعوا للسلطان ورجعوا كل أحد يخبر مما سمع بما يريد ووقع المدح والتهاني للمشير بما فعل في سفره وعفوه وقيلت فيه القصائد والأشعار من كل أحد وسنذكر قصيدة لسيدي الفخري الهمام النبيل الذي ما لدماغه وعقله من مثيل ولا يقدر أحد يقوم بما هو فيه فما في

---

(١) خ والا .
(٢) يعني الإمام المنصور .
(٣) بياض في الأصل .
(٤) هنا أقحم المؤلف صور مكاتبات لا صلة لها بما سبق .

فعله عديل سيدي عبد الله بن إبراهيم[١] وآخر بيت منها تاريخ السنة إسم المشير المفخم الحاج أحمد فيضي بعد رجوعه من حاشد وبرط والشرف وحجه :

يا أيها الناس أشكروا نعما من — شمل البرية عدله في ذا الزمن
من أرسل الأجناد والأمجاد وال — أعداد والعدد الجزيلة والمنن
وعفا بحلم عن إساءة من أسا — عفوا يعم جميع أنحاء اليمن
وأجاد بالرتب الرفيعة والنيا — شين الثمينة والعطايا فاسمعهن
هذا أمير المؤمنين وخاتم[٢] ال — حرم الشريف ومن به دفع المحن
هذا هو الملك الذي في عصرنا — أحيا المعالم للفرائض والسنن
هذا هو الملك الذي فاق الألى — عدلاً وحلماً صاحب الرأي الحسن
هو من كرامات الإله لخلقه — وخليفة الطهر الأمين المؤتمن
سلطاننا عبد الحميد له البقا — فوق الأريكة مثل رأس في بدن
أهدا لأشراف الولاية والمشا — يخ كلهم ولكل أعيان الوطن
صحفاً مطهرة أتت لنبينا — فيها الهدى وسدّ أبواب الفتن
هلا نقوم بشكره ونطيعه — في السر ندعوا بالبقاء وفي العلن
ونطيع أمر الله جل جلاله — في طاعة الأمراء فأفهم واعلمن
فالأمر أضحى للوجوب وما عسى — من حجه بعد الكتاب ومن أحن
هذا ونشكر فعل والينا الذي — حاز المناقب والمفاخر والفطن
الفاتك المشهور والشهم الهمام — الليث والمقدام أشجع من طعن
مولى السياسة والمكارم كلها — من ليس عن بخل بمال قط ضن
من يوم جاء مفرجاً لهمومنا — كشف الغموم من الحجاز إلى عدن
فأسأل منازل بالخميس وبيت عذ — ران وسَل جدراً وبالجردا تغن
ملك العنان وحط فيه ركابه — بعد الجراف وحرف سفيان سكن
هذا لعمري ما سواه يناله — كلا ولا أحداً سواه بها قطن
برط بها سكن المخيم جنده — وغدا به الأحداق من طيب الوسن
وأزال عن جسد الزمان فساده — بصوارم مصقولة لذوي الغون
وفوارس وبنادق ومدافع — سهم المنية في مقادمها كمن

---

(١) تكرر ذكره وهو عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ولد سنة ١٢٨٣ ونشأ في طلب العلم وتولى القضاء بالطويلة أيام الأتراك ودخل الأستانة مع القاضي سعد الشرقي سنة ١٣٢٦ فصادف خلع السلطان عبد الحميد ولم يتم أمرهم الذي وصلوا لأجله وفي سنة ١٣٤٥ دخل روما عاصمة إيطاليا ثم عاد وتوفي سنة ١٣٤٧ (انظر تحفة الإخوان ص ٧٧).

(٢) كذا ولعله خادم .

أنقاه واستبقا بياض أطاعه ... قد زال عنها كل أجناس الدرن
واستخلص الأحباب من شبكات من ... أربى الفساد فلم ينل غير الوهن
في مدحه أهل الفصاحة قصروا ... فاستسمحوا من في المقالة قد لحن
وسعوا بكل جهودهم في نظمها ... يوم الإقامة في الديار وفي الظعن
فغدوا وما نالوا العشير فحسبهم ... باقرارهم بالعجز عن كلٍ وعن
فالله يحفظه ويبقى ذاته ... للمسلمين مفرجاً كل الحزن
مستجلب الدعوات من كل الورا ... ما دامت الشمس المنيرة تطلعن
لخليفة العصر الذي ما زال مذ ... ولي الخلافة بالمكارم يسمحن
والعام قد وافى فقل تاريخه ... دام المشير يزيل أسباب الفتن

٤٥ ٥٨١ ٥٧ ٦٦ ٥٦١
سنة ١٣١٠ هـ

وقد قيلت فيه قصائد أخرى لم نذكرها .

ويوم الخميس ٢٢ ربيع أول بعد إستقرار المشير في مدينة صنعاء المحمية بالله طلع يطوف القلعة الذي عمروها في منظر نقم بعد كمال العمارة من بعد الفساد ، أحدثوها[1] لما جرى في نقم في تلك المدة من القبائل ودرجوا الطريق لها من المسجد إلى رأس نقم مدرج هائل تطلع فيه القراش محملة بسهولة وقصصوا القلعة المذكورة وأطلعوا الغدا من صنعاء له ولأصحابه من بيت الشيخ محمد البليلي أفندي عامل صنعاء وبعد ذلك تحققت الأخبار إن الإمام وصل إلى مدينة حوث وبقي فيها . . .[2] وواجهوه جميع القبائل حاشد وغيرها من تلك البلدان النائية بالسمع والطاعة وفعلوا له تنصيرة كبيرة في جميع الجهات المذكورة إلى حدود جبل عيال يزيد وأظهروا له الندم على ما فعلوا من فتح البلاد للباشا والعساكر الشاهانية وفي خلال ذلك الأيام أطلقوا الدولة عبد الله مثنى نجيم شيخ يريم ولعل الله أطلقه لما يصفوا من فعله للخير في جميع البلاد وكُثْر صدقاته وشهرة حسناته وعدم سيئاته ، وأنهم صاروا جميع الناس في كل بلاد يدعوا له بحسن المخرج ويدرسوا له دائماً ليلاً ونهاراً ولم سمعنا ولا غيرنا أحد يتكلم فيه إلا بالخيرية والصلاح ، فما ذلك الإطلاق إلاّ من الله سبحانه وإلا فقد فعل مع الدولة فعل من لا يخشى العقوبة وبذل ماله ونفسه في القيام مع الإمام مرتين أوله في يريم مع جميع الفساد في كل البلاد والثانية حق حصن كحلان ولكن الله متولي السراير وسماحة هذا المشير ما قد ظهرت من أحد من الأتراك / .

(١) خ أحدوثها .
(٢) بياض .

وفي نصف شهرنا ربيع آخر أكسفت القمر ليلة السبت من عند طلوعها ما طلعت إلا مكسفة واستدام كسوفها إلى نحو ثلاث ساعات في الليل وما بقي منها إلا مثل الظفر نسأل الله اللطف والآية الثانية ظهرت الجراد في التاريخ وفعلت في بعض البلدان من اليمن إلى الشام واخضرت الثمار بعضهم صَرَبُوا خضْراء وبعضهم تأنوا ولكن الذي صرب والذي ما صرب صار النقص عليهما جميع بفعلها في الثمار وفعلهم بالأخضار.

وفي عيال سريح قرية غمد فرقوا للإمام ثلاثين ريالاً وبعد مدة استرجعوها من القباض لها كونه عندهم ومنهم قالوا يقرضهم إلى حصول الخير ومن حولهم من القرى لم استرجعوا من القباض ما سلموا فجاءت الجراد فأخذت ثمرة غمد جميع ما تركت إلّا اليسير وتركت ما حولهم من القرى الذي لم استرجعوا ما سلموا وهذه آيتين من آيات الله .

وفي صنعاء ربيعين[1] ما قد اتفقين والسبب عُدُم[2] جميع المصرفات لا سمن ولا حب وقد حصد جميع النضايا اليوم شهر ولا حطب ولا لحم مع أن الصراب موسم وجود اللحم وسعر اللحم من ثمن قرش الرطل غير موجود ولا موجود في صنعاء بسهل من المحتاجات المستعملات سوى القشر والتتن صار سعره في هذه الشهرين من رطلين وما بقي مع أهل صنعاء إلّا اللطف ، الله يلطف بنا .

ويوم الربوع تاسع عشر ربيع آخر أرسلوا الدولة لسيدي أحمد الكبسي يعزم إلى سيدي الإمام لأخذ الصلح بينهما قيل أنه لم أسعد خشية على نفسه وأجمع رأيهم على إرسال الفقيه عبد الله الحضوري العامل فَعَزَمْ وسلموا له مئتين ريال مصروف وبغلة مركوب ويصير يأخذ صلح على أي وجهة كان أما يسلموا للإمام معاش كبير في كل شهر أو يأخذ له مركز يبقى فيه ولا أحد يعترض أحد أو يريد يرجع حكم الشريعة إليه أو يأتوه بجنود لا قبل لها بها وعزم والله أعلم ما يرجع به .

وفي هذا الشهر خرج كاشف[3] من عند السلطان يكشف له حقيقة اليمن وأرعبت منه قلوب المأمورين في اليمن كبير وصغير الله أعلم ما سبب [ذلك] ووقعت طريقه من الحديدة إلى تعز .

ويومنا خرجوا من صنعاء جميع أصحاب الدولة للقياه يوم السبت ٢٢ ربيع ووصلوا به إلى بئر العزب إلى بيت هايل مهول جنب الكراكون محل العسكر واليوم نحو شهر ما قد بدا

---

(١) أي ربيع أول وربيع ثاني .

(٢) فقد .

(٣) هو الكاشف نامق باشا وصل صنعاء سنة ١٣١٠ وكان إرسال الفقيه عبد الله بن علي الحضوري بإشارته أنظر أئمة اليمن ج١ ق٢ ص١٠٣ .

منه شيء إنما يظهر من أعمالهم أنه متعيش وهو متأني لشيء في نفسه فلا بد يظهر[1] .

وفي أوائل جماد أول وقع في جمعة آنس حريق بجماعة في بيت زبطية عرب نحو ستة أنفار وشيخ من آنس العوبلي كانوا في سفل البيت راحوا والترك كانوا في جبا[2] البيت سلموا وصارت الأمور مضطربة بالجميع عرب وعجم أنهم العرب فلم زِدْ ركنوا[3] على نفوسهم بدخولهم صنعاء خوفاً من الدولة وأن هم الدولة فيظهر من حالهم أنهم مترقبين للكبار من المشايخ وغيرهم ممن وقع منهم المغايرة والفساد ولو قد اجتمعوا لهم جميع ما فلت منهم أحد وكلما أرسلوا لأحد بذل ما عليه وأرسله وهو في بيته وأن أرسلوا لجماعة وصل منهم من لا يعول على قبضه ويحتاجوا يفلتوه .

والفقيه عبد الله الحضوري رجع بالجوابات من عند الإمام ولم ظهر شيء يصلح أمور الناس إنما متفاقمة كل الأمور وأما الزكاة حق الحواز فمنساقة إلى صنعاء ستة وستين ألف قدح ولكن ما بيصالوا بها إلا الضعفاء من الرعايا والمشايخ والعقال في بيوتهم بيرسلوهم بها والخطاب الآن كائن على الرعايا في كل شيء حقوق زكاة وفرقة ومنكسر من العام الماضي السنة الذي وقع فيها الفساد ووقع المسامحة من المشير عما مضى إنما هو في النفوس وأما الحقوق فلا سماحة فيها وصار يقبضوا حقوق السنتين الماضية والمستقبلة وقد بدعوا في المطالبة بما ذهب من العساكر السلطانية وسلاحهم في الروضة على بني الحارث يريدوا ديات العساكر الشاهانية وقيمة السلاحات السلطانية والجزاء على الرعايا فلوس وفتحوا على أهل الحيمة بذلك المطالب وأرسلوا لأهل بني بهلول وصار التخليص في بني الحارث في كل قرية مخالصة والمطرح حق كبير المخالصة في الروضة ترك وكبيرهم من الضابطة يقال له مرزاح يرفعوا إليه والضبط عليه وصار يضرب من راجعه ويربط في السيال[4]: الوعد الأول ربط ثلاثة قبائل من بيت حنظل ومن الروضة وواحد من صنعاء غالب بن محمد بعثر ، والسبب أن قد معه حانوت في سوق الروضة وفعلوا عليه جزء من هذه المطالب فاعتذر أنه من صنعاء فوقع فيه ما لا يذكر من الضرب والربط في السوق. والوعد الثاني علي بن محمد بن حسين الحرازي صار الطلب من أهل القرية على كل ساكن فيها من الهجر[5] يسلم معهم

(١) يقول المؤرخ زبارة أن سبب قدومه إلى اليمن هو لكشف أحوال اليمن وعن سبب ثورته وكان بيد الكاشف من ساري عسكر السلطان كتاب يقول فيه يفتقد حال الشريف القائم في اليمن هل معه مادة من الأجانب أم لا . وفي الرسالة التي بعثها أحمد فيض مع الحضوري السابق الذكر يقول فيه للإمام أنه قد صار في ذمتك ستة آلاف قتيل من العساكر الشاهانية .

(٢) اطمأنوا .

(٣) سطح البيت .

(٤) شجر سبق ذكره . وفي معجم أسماء النبات ٣ قال هو شجر الطلح .

(٥) المهاجرين طلبة العلم والهجر القرى القريبة .

فصاروا هاربين في صنعاء يفعلوا عروض حال يعني شكايا إلى المشير وهو يرجعهم إلى مرزاح الذي بيربط ويضرب كما هي عاداتهم يرجعوا الثور إلى الجزار ، فصادفوا المشار علي بن محمد الحرازي فصار فيه ما ذكر حتى قيل أنه رجم به البرك وقيل كان يرشه في كل وقت في الليل بالماء البارد ، وهي هذه الأيام في برد الوقوف والشمس في النعائم أيام شدة البرد ، ونسأل الله اللطف لجميع العباد والتغطية على المؤمنين في البلاد .

وصادف يوم الخميس تركي وصال من الجهة العدنية وقع فيه أفعال قاتلة ووصل مجني[1] وصار في استخانة وأخذوا بندقه وهي السبب فيما وقع ، والذي عزموا الحيمة في حالهم يتحققوا أين صارت خزنة مفحق ومن أخذها وما المقصود إلاّ كفلة[2] رؤوس الناس أن سبرت وإلا رجعت فلوس كبيرة لأن هذه الحيمة فلعلها لكوك وقد كان مطرحهم في الخميس وانتقلوا إلى مفحق محط الرحا وقد النية معهم منطوية على إجراء ذلك العمل في اليمن ولكن على الدلا[3] كما هي أصولهم يلحقوا الحظبي بالجمل[4] ووقعت على سنحان وحزيز ألف ريال قيمة البندق وحق بني الحارث العشرين الألف سلموا ثلث ذلك والثلثان نجمتان[5] ودخلوا بيت الحرازي القضاة من القرية يشتكوا على الوالي وعلى المفتش وفعلوا عرض حال وأفادوهم بالجواب للإنصاف إلى يوم السبت خامس جماد آخر إلى ديوان الحرب للعرضي ينصفوهم مما فعل بهم ما ذكر كونهم غير أهل لذلك العمل الذي وقع في ولد القاضي محمد بن حسين من الرباط والرجم في البرك حق الماء والضرب الباقي أثره في الرجل والتعلوق[6] في ساورة[7] البئر من المتخلص الأغاه مرزاح في الروضة .

ويوم السبت طلبوهم للحضور مع غريمهم فلما وصلوا الحكومة قبل ديوان الحرب أمر بهم الحبس جميع / وأرسلوا لناس آخرين في ذلك اليوم من أهل صنعاء وحبسوهم جميع وأرسلوا الآخرين من الروضة نهار ذلك اليوم ووصلوا بهم الليل وقد كان في الحبس من قبل ذلك اليوم كثير باقين قبائل وصناعِنه[8] ناس له أربع خمسة أيام وناس شهر وناس أشهر وطلبوا الجميع في ساعة أربع وقيدوهم وعند كمال آخر مقيد وصل الأمر إلى السجانون بأن

---

(١) أي مجني عليه ، اصابته جروح .
(٢) قبض .
(٣) المشي بتمهل وهو من العامي الفصيح .
(٤) مثل معناه أن يدركور السهل بالعسير .
(٥) قسطان في مدة معينة يعطي لهم .
(٦) التعليق .
(٧) الساورة خشبة المسنى التي يعلق عليها العجلة .
(٨) جمع صنعاني أي من صنعاء .

يزنجروهم[1] ويرسلوهم في تلك الساع وإلى تهامة فحلوا قيدهم جميع وألبسوهم الزناخير وأخرجوهم تلك الساع والناس نيام لا يعلم أحد ما كان إلاّ صبح يوم الأحد فلما علموا الناس وأعلموا أهلهم ما جرى عليهم وسقط في أيديهم أشفاقاً عليهم كونه[2] في غفلة لم أحد مستعد لذلك أدناه[3] يصحبوهم محتاجاتهم من كفاية ودفا وفراش ودراهم ومركوبات [وما] فلّت[4] عليهم الشمس إلاّ في بوعان وصحبتهم أربعين خيال وبلقين[5] عسكر نحو مئة أو يزيدون وقدر المذكورين من الثلاثين إلى الأربعين وصار ذلك اليوم يوم حزن عظيم عند جميع العالمين سيما أهلهم وأقاربهم وهم الفقيه[6] محمد دلال وسيدي محمد بن عبد الله الظفري وأربعة أو خمسة من بيت الحرازي[7] الذي طلبوا الإنصاف والحاج سعد الدين الزبيري[8] وولد ولده وأما ولده حسين الذي حبس معه أولاً فهو توفي في ذلك الأسبوع وعلى النجار سادن الفليحي وواحد من بيت المحني ويحيى زاهر[9] وصنوه عبد الرحمن وقايد الأهجري صاحب بني حشيش وعبد الرب الجبري كبير بني بهلول وولده والهمام صاحب زراجه والسيد علي بن أحمد هاشم من جحانة والسيد عبد الله بني يحيى من ضوران والغشم من آنس وأخلاط آخرين السيد محمد مزيقر من المغرب كان مقدمي والشاوش صاحب حزيز ، والشيخ قايد الأهجري ، وإبن النقيب محسن النيني صاحب خولان ، والشيخ يحيى عبده زايد صاحب حفاش وأولاده وناس من حراز نحو أربعة أنفار ومن كل محل بقدره . . .[10].

ونهار ذلك اليوم ألزموا جميع الناس يخرجوا غداً صبح الإثنين إلى العرضي وبعد

---

(١) الزنجير سبق شرحه وهو سلسلة يقيد بها الرجل .
(٢) أي حيث أن هذا العمل في غفلة إلخ .
(٣) أقل شيء .
(٤) بزغت .
(٥) بلكين مثنى بلك وهي الفرقة من العسكر .
(٦) هو الفقيه بن حسن دلال ولد بالروضة سنة ١٢٨١ وأخذ علومه عن جماعة من العلماء وتولى إمامة جامع صنعاء سنة ١٣٠٤ وسار إلى المنصور ولزم مقامه وعند عودته إلى صنعاء اعتقل مع المعتقلين ١٣١٠ وأرسل إلى جزيرة رودس منفياً مع جماعته المشار إليهم هنا وفي رودس اتقن اللغة التركية والفارسية وبعثه السلطان عبد الحميد سنة ١٣٢٣ إلى الإمام ثم عاد إلى رودس وأخرج أهله منها وعاد اليمن سنة ١٣٣١ بعد أن أطلق هو وجماعته وتوفي رحمة الله سنة ١٣٥٢ بصنعاء (أنظر تحفة الأخوان ص ١١٠) .
(٧) يؤكد المؤرخ زبارة على أنهم أربعة فقط (أنظر أئمة اليمن ج١ ف٢ ص١٠٢) .
(٨) هو سعد الدين بن إسماعيل الزبيري الصنعاني وسبب إعتقاله أن الإمام مزوج بابنته (أنظر أئمة اليمن ج ١ ق ٢ ص ١٠٢) وكانت وفاة الزبيري المذكور في منفاه في رودس.
(٩) هو شيخ قرية القابل سبق ذكره .
(١٠) فراغ قدر أربعة أسطر .

الألزام صاح المصيح بذلك ومن لم يخرج صار عليه العقاب أو من بقي في البلد أو من فتح دكان فلا يلوم إلاَّ نفسه فأستعفوا أكثر الناس وبقيوا في بيوتهم وفي المساجد وناس خرجوا فلما خرجوا حيروهم[1] من ساعة ثنتين إلى ساعة خمس / وهم متوقعين ما يكون ما عند أحد علم إلاَّ قيل ، وقال بأخبار شتى لم صح منها شيء ولم بقي في صنعاء حانوت مفتوح أو خاطي[2] في جميع الأزقة إلا متسيرين في البيوت قدر ثلاث ساعات ما يلقي أحد لا في شارع ولا في سوق إلاَّ النساء في أجبي[3] البيوت المشرفة على العرضي منتظرين للغارة من المولى تعالى فلما رأوا أن ما به إلاَّ من حصل أشرف عليهم سيدي العلامة أحمد بن محمد الكبسي ووعظهم بالوعظ المعتاد من الطاعة والأمتثال للدولة والدعاء للسلطان وعدم المخالفة وعرضت الخيل والمدافع وفسحوا للناس وفعلوا في البيارق حقهم نيشانات محرفات وعلقوهن فيهن بالدخول الله أعلم ما كان المراد هل ذلك أو غير ذلك والله سبحانه يلطف بالمؤمنين .

ويوم الربوع تاسع جماد وصلوا من خولان بالسيد يحيى الهجوه وإبن النقيب محسن النيني من كبارهم ودهاق من هناك وقبضوا ذلك اليوم على سيدي عبد الله بن يحيى المتوكل في صنعاء وصبح الخميس شاع الخبر أنهم عزموا بهم الليل مثل الأولين ساعة أربع وزادوا معهم القاضي محمد بن حسين الحرازي الذي بقوه أولاً لضعفه ولم حصل منه ما يفيد وجملتهم سبعة أنفار والأولين نحو أربعين خمسين وزادوا من حراز خمسة أنفار ثلاثة من بني الخطاب من قبلي مناخه وإثنين من بني مرح من تحت مناخه من شرقي وعزموا بالجميع الحديدة الله أعلم ما يكون ولا زالوا يراسلوا إلى القضوات للناس والناس قد نكزوا ووجلوا منهم وجلاً عظيماً وصاروا في حيص بيص بين قائلين قائل ندخل وآخر يقول نغفل وهكذا وقع في جميع جهات اليمن لكن وقع الأمر في يوم وليلة ما شعروا إلاَّ وهم جميع في البوطا[4] ولو أنه وقع في كل أسبوع أو في كل شهر ناس لحذر الآخر ولكنها سياسة من الدولة الله يلطف بالمؤمنين وبنا صارت صنعاء قفار[5] من القبائل أهل الحواز لا جالب ولا متصرف ولكن الأعمال بالنيات .

لـــو أنصفـــوا أنصفـــوا لكن بـغـــوا فبغى عليهم الدهر بالآفات والمحن

---

(١) أخروهم .
(٢) مار .
(٣) جميع جبا سبق شرحه .
(٤) هي البوطة التي يستعملها صائغ الذهب .
(٥) قفر خالية .

لما استووا في الحوزة نهبوا وسلبوا « . . . . » فلما وصل المشير أحمد فيضي فروا كالجراد المنتشر وأتاهم الجواب وهم لا يشعرون ، كيف ما تدين تدان . وإن هم المأخوذين من صنعاء فأكثرهم فعلوا أشياء عجيبة ، فلما لم يتم المراد رجعوا يطلبوا الأمان ورجعوا صنعاء يتحمموا ويترفهوا ونسوا ما قدموا وعلى من قدموا فيدل ذلك أن العمل غير صالح أن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا رجعوا إلى ما صاروا فيه وأما من هو خالص[1] فما له عذر في الرجوع والأمان نسأل الله الأمان .

وأما قبائل أرحب فكانوا غائبين في بلادهم وأرسلوا لهم فلم يصل منهم أحد . وقبائل بعد أخذ الهجوة والنيني فروا من المطرح ورجع الباشا الذي هناك كسا ابن الصوفي وأدّى له بندق مرت وفعله مدير على خولان حيث قد تفاقم الأمر ، وأما بني مطر فلم يصل منهم أحد فطلع الباشا إسلام بأتراك إلى بوعان وطلب الرماح / يصل وإن لم يصل فسيصال إليه ويخربوا بني مطر فوصل إليهم الرازقي من تحت الرماح وأجاب أن ما يمكن الوصول لو يكلف للفساد إنما هم باذلين ما عندهم من الزكاة والفرق والمعونة لأن ما عاد ثم ألقه بعد الأمان لجميع الناس وما صح منه شيء ولما رأوا الناس أهل بني مطر تراجعوا فيما بينهم وبنوا على متابعة بني مطر وتقاعدوا على ذلك فلما رأوا الدولة ذلك وظهر لهم ما هنالك لعلهم ندموا على ما سبق من حبس من ذكر أولاً وبقوهم في الحديدة وقد أضمروا على إدخالهم الشام .

ورجعوا ألزموا العلماء في صنعاء يطلعوا إلى قبة البكيرية يوم الجمعة ساعة ست ثامن عشر جماد آخر وطلعوا إلى هنالك وصلُّوا جمعة وقرأوا المولد وأفاضوا عليهم بالسكّر في الصحون حتى وصل عند كل أحد صغير وكبير وبعد وقع الأبتهال من جميع العباد ومدوا الأكف وقام سيدي الصفي أحمد الكبسي دعا بما يليق بالمقام ودعا لسلطان الإسلام ، وقام بعده الخوجة فلان فقيه تركي فدعا كذلك وبعد ذلك أعطوا كل أحد من العلماء المرقومين لديهم ساعات وهم الفقيه أحمد السياغي ، والفقيه عبد الرزاق الرقيحي ، والفقيه علي وحيش[2] هؤلاء من الجامع المقدس طلعوا وقد صلُّوا على عجل وخصروا[3] الخطبة لأجل لا يتحيروا والباقي صلُّوا في البكيرية أكثر الناس ، وأما أهل الساعات الذي لم يكونوا من أهل الجامع فهم سيدي أحمد بن محمد كوكبان وسيدي حمود بن محمد كوكبان ، وأهل

---

(١) مسلم لهم أو مخلص .

(٢) هو علي بن محمد وحيش خطيب جامع صنعاء عرف بالخطابة والخط الحسن وتوفي سنة ١٣٢٣ هـ (أنظر أئمة اليمن ج٢ ص٤٥) .

(٣) إختصروا .

مجلس الإدارة ، وأهل مجلس المحكمة وسيدي محمد بن يحيى من بئر العزب والقاضي علي بن حسين المغربي وأهل الإدارة سيدي زيد بن أحمد الكبسي وسيدي حسين بن علي غمضان والفخري الجرافي وسيدي محمد بن أحمد هاشم ، وسيدي عبد الله بن إبراهيم من المحكمة وسيدي أحمد الكبسي رئيس العلماء وابن القاضي محمد العراسي أعطوهم شيلان[1] بدل الساعات تجليلاً للعلم .

وبعد خروجهم من القبة استقاموا جميع في وسط الميدان غربي باب القبة وقد المصور الذي بيصور النفوس متأهب لهم يصورهم جميع ويصف[2] مقامهم ذلك وقد نصبوا له مجلس من صرف[3] بركائز[4] ودعائم وحبال نجيء على سقف مرتفعاً في الهوى لأجل يعلوا عليهم ويثبتهم كلها وشاهدنا ذلك عياناً كان من أول جالساً فوق الصرف وقد جميع محتاجاته عنده من الآلات والمرايا وغيرها فلما خرجوا من القبة قام وبقي يفتح تلك الآلة مثل الخزانة ويقايس الهوى ويركب المرآة فأثبتهم جميع في نحو نصف عشر ساعة « ثلاث دقائق » وقلع المرآة ورد السلام إشارة عليهم بيده يعني قضي الأمر فمضوا من ساعتهم وقد رسمت صورهم جميع بما هم عليه من الأهبة ، ودخلوا المشير وجميع الأكابر معه بيت المفتشر وهو بيت السياني سابقاً ، والله سبحانه أعلم بما في نفوسهم وما طلبهم وأما في الظاهر فما فعلوا إلاّ محاسن / لا سيما بالمصاحف القرآنية الذي وهبوها للمساجد حال تقسيم الساعات فإنهم أجروها لأكثر المساجد في صنعاء ، سيما المساجد الكبار مثل الجامع الكبير فإنهم أرسلوا بعشر ختم ، وللفليحي بست ختم ، ولمسجد داود بست وصلاح الدين بست ، ولقبة المهدي عباس بست كلهن طابع[5] وبعد أرسلوا إلى الحوازات حق صنعاء بناس يرصدوا المعاليم[6] والدرسة في البوادي لأجل يرسلوا لهم بختم[7] فحصل مع القبائل حاصل عظيم وقالوا في نفوسهم أنهم يريدوا ينظموهم والله أعلم ما المراد من الأمرين . ولما فرغوا من تلك الأعمال رجعوا [إلى جمع] الأموال ونفذت الأوامر إلى جميع الجهات لقبض الزكاة والمعونات والأدابات جزاء الفساد وفعلوا على كل قضاء من القضوات أموال لا

---

(١) جمع شال سبق شرحه وهو رداء يوضع على المنكبين من الصوف غالباً .

(٢) خ بصو .

(٣) ألواح من الخشب .

(٤) أعمدة .

(٥) أي مطبوعة وليست منسوخة بالقلم كما هي العادة عند أكثر أهل اليمن في ذلك الوقت ولعل الأتراك هم أول من أدخل مصاحف القرآن الكريم مطبوعة.

(٦) جمع معلامة كتاب وطلبة يدرسوا فيها .

(٧) مصاحف القرآن الكريم جمع ختمة .

تحصى ولا تعد بألوف والمئين والكراديس ، وطلابات للمشايخ بالوصول فهان على القبائل تسليم الفلوس والحبوب والمنقول ولا الوصول وكل ناحية بذات المطلوب ومثليه وسلموا إلى يد المديرين والقائمين مقامات وكل أحد من المشايخ كان يجيب على الدولة إنا باذلين ما قلتوه وأكثر وأما الوصول فلا أمنه لنا ولا يمكن، وصار في ذلك محصول عظيم كل أحد يتشبث بأحد أصحاب الدولة ويسلم له رشوة ويعتذر له عند الباشا لا سيما المأمورين في صنعاء وفي القضوات النائية فإنهم أخذوا رشوة وعشاء ورشا[1] مثل ما تعين إلى الصندوق ولما رأى الباشا الأفخم والمشير المفخم عدم الألقة من الرعايا وأنه إذا لم يقبل ذلك أدى إلى إعادة الفساد قبل منهم وعذرهم عن الوصول ، وكتبوا لهم مكتوبات إلى جميع الجهات بالأمان وإن ما يحصل عليهم سوء من قد وقع من بعد من قد سار يعني المحابيس الذي دخلوهم أسطنبول ولعلهم نحو سبعين لأنه زاد وقع غير الذي من صنعاء وحوازها من كل قضاء من اليمن وبلاد حجة وجميع من لطم من أي محل كان وبقي في الحبس ناس آخرين كثير منهم من آنس نحو أربعة عشر وصلوا بهم في رجب ومضت الكاوية[2] على جميع من في اليمن .

وثامن عشر رجب حرضوا على أهل صنعاء جميع أن يخرجوا يعمروا الطرق ويصلحوها من الأربع الجهات شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً حتى يخرجوا من حد صنعاء ويستقيموا أهل كل ناحية تصلح طرق حدودها إصلاحاً تاماً حتى تمضي فيها الدواب والمدافع ولا مانع فيها ، وكتبوا على المشايخ والمديرين يأهبوا أهل كل ناحية فتأهبوا جميع الحوازات ويدعوا بالجهة القبلية يوم الأحد تاسع عشر رجب وخرجوا المشير وأصحابه وأهل صنعاء والعلماء وأهل الإدارة وقد وصل دغيش وبني الحارث نحو مئتين نفر بآلات التصليح مثل المفارس / والمقاحف[3] والمسبات[4] الحديد ، وقعد هناك نحو ساعة وقاموا بسطوا أكف الأيدي نحو الملك العلام جاهرين بالدعاء للسلطان بالنصر والظفر والفتح العام ، وأمنوا جميع الحاضرين برفع أصواتهم بعد أن مدوا أيديهم في العمل أهل الحل والعقد للتبرك والطاعة للسلطان وإغضاباً للشيطان عملاً بقول الرحمن أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم ، فلما رأى المشير الأفخم ذلك الأمتثال من جميع العرب والعجم تجمل من أهل صنعاء وأفرم[5] وقال أين الذين سيعلموا من أهل صنعاء ، قيل ها هم أولاتي فلم ينظر معهم

---

(١) سبق شرحه .

(٢) الشدة .

(٣) جرافة صغيرة تستعمل بالأيدي .

(٤) مجرفة كبيرة من حديد يجرها إثنان أو ثلاثة بعد غرزها في الأرض .

(٥) كأنها لفظة تركية بمعنى أشكركم .

من آلات العمل شيئاً واستوى على كبارهم مثل العلماء ورئيس البلدية محمد بليلي أفندي وقال كيف يعملوا ولم معهم بما يعملوا فأجاب سيدي الصفي العلامة أحمد بن محمد الكبسي بأنهم ضعفاء لا يستطيعون العمل ولا معهم من آلاته وإنما إذا تفضلتوا عليهم بالمسامحة كونهم غير أهلاً لذلك ويصير عليهم أجرة من يعمل ما أوجبتموه من العمل وزاد بمثله رئيس البلدية وقد كان عقروا ثنتين عقائر من البلدية في قبول ذلك فقبل منهم عفا عنهم والله يحب المحسنين . ولما سمع الشيخ حزام دغيش ذلك غضب وقال لا بد أن يعملوا أهل صنعاء مثلما يعملوا بني الحارث فتفاتحت عليه الأفواه من الكبار مثل العلماء والسيد محمد بن علي الشويع بأن لا مراجعة في أمر المشير يعفوا عمن يشاء ويوجب على من يشاء وإن أمر أهل صنعاء راجع إلى البلدية ورأي المشير ، فسكنت الضَّوارب ورضى بذلك الحاضر والغائب، وفتحوال أول العمل من باب الشقاديف وعَلَّموا الطرق للشقاة فصار العلم والعمل بِفَضٍّ طريق سمحة لا عِوَجاً فيها ولا عصره[1] ولو كان فيها ضرراً على أهل الأموال بل فَضُوها[2] من مال وجدار واثل وقضب وغيره لأجل لا يصير فيها عَصَاوِرْ[3] على المدافع كما فعلوا سابقاً في بلاد البستان والحيمة وغيرها والطريق هذه جَرّت باب المنجل ، وأما طريق القبلة التي من باب شعوب والقبلة والطريق العدنية فلم قد علمت ، وأما الغربية التي من عصر فَتَعَيَّنَتْ على أهل الحزة مثل حدة وسناع وما يليهن ولهم فيهن نحو ٢٠ يوم قبل اليوم كل يوم خَمْسِينْ شاقي[4] ما ينقص أحد والله أعلم أين الحَدّ هل مسير يوم أو أقل أو أكثر لا إذا لم زِدْ أمكن المراجعة في شيء بعد حبس من ذكر سابقاً وإنما قبول ما قالوا وقد لهم فيها مآرب أخرى كما قال جَلاً[5] والله سبحانه يصلح أحوال العباد ويقمع أهل البغي والشقاق والفساد والعناد / وفتحوا الأعمال في جميع الطرق الأربع من كل جهة وحَرَّضُوا على كل قبيلة في جهتها ، بني الحارث في الجهة القبلية من باب شعوب الأزرقين وقد هم الآن لعله سادس شعبان في الجراف وصار بينهم دُوْل[6] كل محل يوم حتى إلى جهة قرية القابل وبني حشيش وما يلي كل جهة في تلك الطريق ، وسنحان قد هم في بيت معياد[7] حال الرقم من كل قرية من سنحان .

---

(١) التوى .

(٢) شقوها . مهدوها .

(٣) جمع عصره سبق .

(٤) جمع شاقي وهو العامل الأجير .

(٥) أي إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ولي فيها مآرب أخرى ﴾ .

(٦) تناوب .

(٧) سيأتي في الملحق بالبلدان .

وخرج الوالي في بعض الأيام يطوف ولم أعجبه العمل وصار عليهم تعب أعظم مما كان ، وبعدهم يصير على بلاد الروس والغربية على قبائل البستان جميع من كل جهة ، وعادهم الآن في عصر ، والآخرة من باب الشقاديف جهة باب المنجل وقد كان قالوا للمشير تقع الطريق من باب الروم لأجل أنها جهة سَمِحَة لم فيها عوجاً ولا أمتا وفيها مصالح عامة لم تكن معوجة مثل باب الشقاديف تحتاج إلى فرض[1] أموال وسواقي فلم يسعدهم بل أوجبها عليهم ما هنالك وصار أكثرها في أملاك الناس وجرب[2] وغروس وقضب وقدهم اليوم في ٦ شعبان في بئر الشايف في بلغ[3] البندق نحو نصف شهر من شدة إحباط[4] العمل وكاودته ، لأنهم أولاً يرصوا بالأحجار جميع حتى ترتفع شِبراً من الأرض وبعد يدفنوها بالتراب ترحله البقر إلى فوق الأحجار وصارت مرتفعة وحولها ساقيتين لممر الماء والسيل وصيانة الطريق المعمولة وقد شرعوا في غرس أشجار حول الطريق ووَتَّد فيها إثل حول الطريق / .

ويوم الإثنين ٤ شعبان خرج الوالي أحمد فيضي باشا إلى ضلاع يتغدى عند الشريف محمد بن علي الشويع ويعَلِّم[5] له الطريق الذي من باب المنجل وضلاع التي هي إلى كوكبان وأخرجوا نحو جملين أوتاد يوتدوها في الأرض معالم للطريق المذكورة من هنالك وخرج معه نحو خمس مئة نفر عساكر وخيالة وزبطية يتغدوا عند الشريف ولقيهم الشريف إلى بعض الطريق بالعقائر ونحرت وتحولت[6] وأيضاً لقيهم بعض قبائل همدان والمرافع والطيسان وعشروا تعشيرة الطاعة وعلموا لهم الطريق كذلك على ما يريدوا من بين الأموال وحرمت[7] عليهم أموال كبيرة مزارع غيول وأعقار وقد كانوا عَمَّلوا[8] في المَغَدَّى[9] من اليوم السابق ووقع مقام كبير حتى أن السمن والعسل والحنيذ[10] والفواكه الهائلة بقت هناك بعد مضي هذه الأمم المتكاثرة وبقيوا يخرجوا إلى السفرة رَدَّة بعد ردة[11] الأول في الأول الذي

---

(١) شق أراضي الناس أموالهم .
(٢) جمع جربه وهي قطعة زراعية .
(٣) قدر مسافة مدى البندق .
(٤) تأخره .
(٥) يأشر له الطريق إلخ يحدد الطريق .
(٦) بمعنى أخذت .
(٧) حرم الشيء بطل لم يعد صالحاً .
(٨) كلفوا من يعمل له .
(٩) الغداء .
(١٠) أي اللحم المحنوذ معروف .
(١١) أي مجموعة بعد مجموعة .

دخلوا أولاً على نحو ثمانين مقلا[1]/ صعدي وأغطيهن زرق حديد سواء والصحون والخوافق[2] والطيسان من صنعاء ولا زالوا يجددوا لكل ردة، فسبحان المذل لمن يشاء والمعز لمن يشاء، وما ذلك إلا تقوة وخوف، ودقوا الأتاد وفوتحوا عليهن كما في العادة ودعوا لسلطان الإسلام بالبقاء والدوام ورجعوا صنعاء.

وأما أهل صنعاء فصارت عليهم فلوساً مُدَرْهَمَة[3] أجرة حدهم في العمل وحررت في ذلك جرائد[4] مطبوعة أن حد أهل صنعاء من باب اليمن إلى داع الخير في الجهة العدنية والقبلية إلى الجراف ، وعلى اليهود في الغربية وصارت كل جهة يشقوا فيها جميع كل يوم مثاة لا تعد من كل ناحية في كل جهة ، وذلك بقدر عمل العرب في معاملتهم لله ولبعضهم بعض كما جاء في الأثر : ﴿ كيف ما تكونوا يولى عليكم أعمالكم عما لكم ﴾ فإن القبائل حين لاحت لهم الفرصة في أيام الحوزة نهبوا الضعيف والمسكين واستحلوا ما حرم الله من النهب وغيره حتى أن الضعفاء الهاربين من صنعاء من الجوع كانوا يلتقوهم إلى الطرق ويخلسوهم ولا عاد كان في قلوبهم إلّا دخول المدينة المحمية يأخذوا جميع ما فيها ، حتى أنهم كانوا ينادوا في الليل من جبل نقم بذلك فانعكست آمالهم وخيب الله أعمالهم ورد كيدهم في نحورهم لو أنصفوا أنصفوا إلخ والله لا يصلح عمل المفسدين ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ﴾[5]﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ والله سبحانه أعلم بمصالح عباده .

ولا زالوا على ذلك العمل عاكفين ولأمر الدولة ممتثلين على سبار الطرق في جميع النواحي حتى في عمران وجهة ذمار والمغرب وجميع الجهات وإخراب الأموال وملاقات الأهوال في ذلك والدعاء والابتهال إلى الله في دبر الصلوات ولكن بنيات غير صالحات والله أعلم بمصالح عباده .

ولم ثم ما يوجب رقمه في شعبان غير ذلك .

إلّا شيء يسير عبرة لكل بصير وهو الموجب[6] العجيب الذي فعله الشيخ الهمام محمد بن محمد البليلي باشا / فإنه صنع لولده حمود عرس ما قد فعله أحد من العرب في

---

(١) هو وعاء من خزف توضع فيه الحلبة أو الخبز أو غيره .
(٢) غضارة كبيرة مفردها خافقية وهي من المولَّد .
(٣) أي بالدراهم .
(٤) صحف وكانت هناك صحفية تسمى صنعاء تصدر باللغتين العربية والتركية .
(٥) سورة الأنفال من الآية ٢٣ .
(٦) الحفل للزواج وغيره .

هذه البلد وحلف[1] على أكثر البوش من الأتراك وعلى كل صاحب قضية عند الدولة من العرب والعجم وعلى أكبر التجار والجيران الكبار وجمع خلقاً كثيراً وحتى عزم على السيد أحمد الشراعي من الحديد ولم قد وصل إنما أرسل بما يجب وكذلك رفدوه[2] الكبار من البوادي والحضار[3] واجتمعوا نحو ثلاث مئة عرب وعجم وفتح لهم جميع الأماكن في بيت الفقيه علي الآنسي حيث قد هوله وحتى زُفُّوا العروس بالمزيقة حق السلطان نحو خمسين نفر وضرب لهم خيمة في المقشامة[4] وبقيوا يومين من نهار الخميس إلى ليلة السبت ١٥ شعبان وبقيوا العَشيين[5] الذين يصنعوا الفواكه ثلاثة أيام يصنعوا طعام ألوان وطبيخ أفنان هذا من شُغل[6] الترك والذين بيصنعوا طعام وطبيخ من حق العرب على حالهم[7] وبقي كل شيء ماله قدر حتى أن قِرَش[8] البصل وريش الدجاج ما أخرجوه في البر إلا في القراري[9] الذي تخرج الكناسة من كثرها ، والقات كان يصال أحمال[10]جمال بعضه هدايا ، ورِفِدْ من أعل عافش[2] ومن البخاري[11]طري[12]من عند الشيخ عبد الله مثنى نجيم تَلاَفَقُوه حَمَّالينْ لأجل يصال طري حي والشراء على حاله والنشادين[13]والنشادات والعسولي[14]المزَمِّر حق سيدي أحمد بن محمد صاحب كوكبان .

والليلة الثالثة ليلة الإثنين ١٨ شعبان أمر الدولة بالزينة في المدينة حق جلوس السلطان على التخت ووقعت زينة عجيبة ووقع فيها مقتولين من الترك قتلوهم خُبْرتهم[15]على ما معهم من الذهب ، وقيل غير ذلك والله أعلم ووقعت دهشة كبيرة على العرب الذين كانوا خرجوا الليلة يتفرجوا ولاحقوهم الترك وحبسوا نحو عشرين نفراً اتهموهم ولطف الله بعباده بسبب

---

(١) استصافهم .
(٢) من الرفد وهو إرسال المساعدات المالية والعينية .
(٣) أهل الحضر .
(٤) هو البستان .
(٥) الطهاة .
(٦) صنع .
(٧) على جانب .
(٨) جمع قرشه قشور البصل وغيره .
(٩) جمع قاري عربة .
(١٠) خ أحما .
(١١) موضعان يمنيان شهيران بألقات الجيد .
(١٢) غصن لين (طازج) .
(١٣) الوشاحين (المغنون) واللفظة من القاموس .
(١٤) إسم رجل .
(١٥) أصحابهم .

التركي المفعول[1] غير المقتول والثاني المفعول مات رحمه الله ، ولكن بعد أن ثبته الله نطق بالصواب أن العرب لم في ذمتهم شيء وإنهم برأى من التهمة وإن القاتل تركي ، وبعد لم طابت نفس القاتل يقسم الذهب بينه وبين المفعول هذا الذي نطقه الله بالصواب رجع طعن هذا المفعول ويريد أن يكون الذهب له فأبقى الله هذا المفعول لحتى نطق بذلك وتوفاه الله هنالك بعد المصادقة وأطلقوا العرب المتهمين .

وصار العمل الآن مستطيل في سبار الطرق في كل جهة حتى أن اليوم شهرين وهم باقين في باب صنعاء لم قد سبرت على ما في نفوسهم والقبائل بيصاحوا جهاتهم في كل ناحية حتى بني بهلول مع بعدهم من الطريق العدنية أوجبوا عليهم ينزلوا يصلحوا فيها وصاروا مواظبين ومحافظين على سبّارهالا يتَخلّف[2] أحد من القبائل الذين شغلوا المدينة سابقاً ولاحقاً في كل طريق نحو مئتين نفر من كل قبيلة كل يوم في كل جهة والبقر تحر[3] ما عسر عليهم وهم صاغرون وأما الفلوس الذي قد سلموا فما قد وقعت أكثر منها الجزاء حق الفساد الآن وبعد ما هو عليهم فمثني وكل من اتهموه أنه / اتجهد في الفساد طلبوهم وحبسوهم وقيدوهم وإذا عينوا الدولة عليهم أدب مَدْرَهم فلهم الفضل ولو آلاف ولا بقوا في الحبس أو يرسِّلوهم[4] إلى أسطنبول وصار عند القبائل فرح كبير بتعيين الفلوس وإن كثرت حتى أن الشيخ قاسم الحُواني توفي بعد الحوزة وذكروا الدولة أن عنده فلوس وطلبوا القبيلة كلها يختموا فيما عنده فأجابوا أن إذا عنده سلّموا من كيسهم ورثته وأنهم منتظرين منه بالوفاء فحبسوهم جميع وقيدوهم حتى إمتثلوا بتسليم ما قالوا .

ولا زالوا الدولة يجدوا في شياطة الطعام كل يوم ما وصل إلى المدينة حتى في آخر السنة فيما سبق ما يشتاطوا إلاّ في الضّراب .

وهذه السنة لم كفوا وكذلك في العمارة في كل ناحية في صنعاء وحوازها فعلوا في نقم قلعة كبيرة فوق المنظر وحفروا لها برك للماء كبيرة وقضّضوها[5] تتكلف في آلاف . وفي باب شعوب قلعوا الباب وفرضوا[6] في الدوائر فرضتين[7] وبقيوا الناس يسلكوا من تلك الفريض

---

(1) كذا ولعله الفاعل .
(2) يختلف .
(3) تمهيد الطريق بالمحر وهو حديد يربط وراء الثور .
(4) خ يسلوهم .
(5) سبق شرحه .
(6) فتحوا .
(7) فتحتين .

ويخرج منها السيول والباب مقلوع ، ولم أمكن القبائل يهموا بالدخول مع أنهم كان فيما سبق يدخلوا من فوق الدائر ولكن الصميل حق الدولة خلاهم يسلكوا ما أحد يهمّ[1] بشيء السعد كل السعد من يشقى[2] في الطريق بلا شيء وتَرَوَّح[3] يرقد في بيته مريض فلله درها هذه الدولة كما قيل (غبر الشميل[4] إذا لم يظلموا ظلموا) فصاروا مع الظلم سالكين ساكنين والله سبحانه تفضّل على عباده هذه السنة بأمطار متكاثرة لا يعتادوها في هذه المدة الماضية بقي المطر نحو شهر من أول شباط إلى آخره وهو مطر سعوداه ردُّوا عليهم دِثًا[5] في كل أرض بل هو قد هو يغني عن الصيف[6] ولكن الله يأتي في الصيف بأكثر منه فله الحمد عدد خلقه وزنة عرشه ومداد كلماته ولولا ذلك أن العباد في أضيق مما ذكر لأن مع عدم الضبط على من يستحقه لاحت الفرصة لأولاد السوق في المفاودة[7] في كل شيء قد كان بيشيطوا عيال السوق من نقص الربع في السعر وما أحد يلقي حاجته إلا منهم ولا عليهم ضبط فخيَّب الله آمالهم وأنهم على جميع عباده من عنده بغير ما يحتاجوا من يضبطهم وهو المنصف وإليه المرجه والمصير .

وعمروا باب شعوب فعلوه متوجَّه[8] قبلي لأنه كان متوجه غربي وكان عليه نوبتين لأجل يكون فيه معصر[9] للداخل والخارج يحمي علي الباب وكان مكانه الأول أحكم[10] وأوثق في العمل ولكن الله أعلم ما مرامهم[11].

وفي أول شوال بقيوا يذرعوا[12] الشوارع ويهندسوا[13] فيها من باب شعوب إلى باب اليمن / ومن باب السبح إلى السايلة إلى الفليحي إلى الزمر وتحققوا الذرع بالذرع وأشبار

---

(١) بهم يستضحمه .
(٢) يعمل .
(٣) يروح يذهب .
(٤) رداء خشن أسود خاص بالقبائل . وهذا من أمثال العامة (انظر الأمثال اليمانية ج٢ / ٧٤٥) .
(٥) الدثا بالتخفيف ثمرة زائدة تأتي في الربيع في غير وقت المحصول .
(٦) وقت الحصاد .
(٧) الكسب الكبير .
(٨) مواجه .
(٩) ملف منعطف .
(١٠) أوثق .
(١١) قصدهم .
(١٢) يقيسوا .
(١٣) من الهندسة يخططوا .

وميزان الهوى وسيبة[١] ينصبوها وأشياء غامضة ما يعلم أحد ما هي وفي أجل[٢] المدينة هكذا بل في جميعها .

ويوم السبت ١٣ شوال عزم الوالي مشير أرض اليمن أحمد فيضي باشا جهة عصر مقصده[٣] وأخبار الناس يريد الحديدة وصحبته الخيالة المسمايين بالسوارية نحو مئة غير الذين رجعوا واضطربت الأخبار في عزمه بين قال وقيل وقد ظهر التنافر فيما بين أصحاب الدولة الكبار وأعظم ما ظهر بين المشير أحمد فيضي وبين المفتش والدفتردار ، وصارت الأهوى النفسانية بينهم والله أعلم هل هو الصحيح أو هو دهاية رومية ودبارة[٤] هيناموية[٥] على الجهات الأهنومية ، وقد كان كتب إلى بلاد البستان وبني مطر يلقوه إلى الطريق لأجل[٦] الرماح فلم يصح ملقى وأمروا الدولة في صنعاء باليسك علي لغتهم يعني من ظهر في الليل من بعد ساعتين قبضوه إلى الصبح ولو كان معه فانوس أو كانوا جماعة حتى أنهم قبضوا حراوة[٧] قَشّلمين[٨] بعد إنقضاء بعض الليل .

وفي هذا الشهر عدم السِّمن وغلا سعره حتى وصل رطل ونصف بريال غير موجود وبقيوا الحجاج يدوِّروا في تلك المدة حتى عزم أكثرهم والباقين متحيِّرين[٤] من أجل السمن .

وعزموا في هذه السنة من صنعاء خلق كثير لم قد وقع أكثر منهم في ما مضى الله يعينهم ويَحْمِلهم على جناح السلامة .

ونهار السبت[٩] شوال صاح الصائح في أن من بقي في السوق من مغرب أو فتح حانوت أو ظهر سراج أو ظهر إنسان في سوق أو في شارع فجزاه خمسة ريال ويخرجوه العرضي يحبسوه فطلع رئيس البلدية الشيخ محمد باشا البليلي يراجع في ذلك فلم أمكن قبول المراجعة إنما أخروا للناس ساعة الذين يصلوا في المساجد مغرب وعشاء على الفور

---

(١) سبق شرحه .
(٢) أكثر .
(٣) قصده .
(٤) خدعه وتدبير .
(٥) همايونية . وهي لفظة فارسية هي في الأصل إسم طائر كانوا يزعمون أن من وقع عليه أو أظله وصل إلى أعلى المراتب . أطلق على العزيز والملك وباب همايون باب السلطان (أنظر المنجد في اللغة) .
(٦) بياض في الأصل .
(٧) أعراس .
(٨) مزارعين في البساتين المدنية .
(٩) متأخرين من غير حاجة .

ويتروحوا[1] بيوتهم ، وأما في السوق فلا تفتح حانوت من مغرب فلو رأى أحد تلك الأسواق جميع لم يجد فيها أحد للحقته[2] الوحشة وأفزعته الدهشة وبقيوا الناس في حال عظيمة مثل الحجاج أهل البر[3] كانوا في صنعاء ومثل أهل المِهَر[4] الذين لم سمعوا الصائح كالحوك وغيرهم الذين ما يطلعوا السوق إلّا مغرب بيتصرفوا[5] ويتشقوا[6] ولم زد لقيوا أحد ولا شقا[7] ولا مصروف والذين في المساجد ما أذنوا إلّا وقد كان بيتروحوا وبالحال أنهم أذنوا أبْحَن من العادة خشية من الدولة والله أعلم / ما سبب ذلك ولم أمكن الناس يِغَدِّروا[8] في المساجد إلى آذان العشاء والصلاة إلّا بعد أن سمعوا الصائح الثاني في الأسواق والصائح الثالث آخر النهار بعزم الحجاج صبح الإثنين وخرجوا أصحاب الدولة حسب العادة ونصبت الخيام واصطفت العساكر الشاهانية وضربت لهم المزامير الكرخانية ودارت لهم الشربات[9] والقهاوي[10] وبعد قاموا أصْطَفُّوا وابتهلوا بالدعاء إلى الله سبحانه والدعاء للسلطان . أولاً دعا بالناس الفقيه العلامة الوجيه عبد الرازق الرقيحي ، وبعد ذلك سيدي الصفي علامة اليمن أحمد بن محمد الكبسي ودعا حسب عاداته وبعده أمير الحج السيد محمد غمضان الذي ياخذ المصروف من الدولة ، ولكن قيل أنهم أسقطوا هذه السنة شطر المئتين الريال حيث كان الباشا غائب في تهامة ، وفعل الوالي في تهامة ما شاء الله ومر على بيت الفقيه وزبيد وطلع تعز وطلع يريم وذمار ومعبر والتفقه[11] القاضي علي بن أحمد المجاهد بالبقر والغنم والسمن والدقيق والشعير والحسيك وجميع ما يحتاج .

ووصل صنعاء بين الخمسين يوم الإثنين بين الصلاتين ونزل صلّى الجمعة يوم الوقفة في الجامع وصَرَّف[12] أهل العهد مثل الخطيب والإمام والمآذنة والساذنين حسب عادته كلما يجيء الجامع يفعل ذلك والخير فيما هنالك والأعمال بالنيات .

---

(١) يذهبوا .
(٢) أدركته .
(٣) الذين هم من خارج صنعاء .
(٤) الأعمال .
(٥) يشتروا حاجاتهم .
(٦) يتفقوا على أعمال في الصباح (أي يتأجروا) .
(٧) أجرة .
(٨) أي تدركهم الغدراء وهي الظلمة (ظلمة الليل) .
(٩) المشروبات .
(١٠) جمع قهوة معروف .
(١١) اي أدركه .
(١٢) صرف لهم .

وصبح يوم النحر ما أصبحوا الناس إلاّ وبِه[1] حفرة في سوق الأبيض حارقة رماد دَكِن[2] وقد مكانها خشن في بقعة صلبة ما يدخل فيها المسمار إلاّ بدق شديد وهذه الحفرة كُان يدخلوا فيها العصي وغيرها فتدخل قدر القامة ولا تخرج إلاّ حارقة من دون حر ولا نار إلاّ حرقة نكيرة كِذّرة[3] ما تزول من تلك العصا أشبه شيء بالقبور التي يظهر حريقها في بعض الحالات الله أعلم ما ذلك ودهشوا بها خلق كثير نسأل الله السلامة من كل منكر ونكير أنه على ما شاء قدير وبإجابته جدير .

وطلعوا يشاهدوها أهل المدينة جميع متعجبين وصاروا يدوروا في كل مرمادة[4] في أزقة المدينة ويحفروا فيها ويجدوا مثل ذلك فناس أيقس[5] وناس هَجّن وأما المذكورة هذه الأولة فنزل أمير العلايا[6] وكبير الضابطية يشاهدوها ورئيس البلدية الشيخ محمد بن محمد البليلي .

ويوم العيد لم وقع عند الدولة مثل الأعياد السابقة من العراضة والسلام على كل أحد إلى بيته بل خرجوا من القبة البكيرية وكل أحد وَجِه[7] بيته ولا خرجوا إلى العرضي يسلموا على العساكر ولا وقع ما مما يعتاد شيء الله أعلم ما لهم وما بينهم وما معهم لأنهم شدوا من صنعاء في شوال والقعدة بنادق كثيرة ومؤنة بارود ورصاص ومعابر أحمال لا تحصى نحو الألف الجمل بل أزيد ونزلت الحديدة ودخلت البحر ، ولم قد اتفق مثل هذا بل أنهم يرحلوا إلى صنعاء من كل بندر ومن أسطنبول وهذا العكس/ .

ويوم الخميس ١٥ الحجة سنة ١٣١٠ عزموا بمدفعين كبار من أكبر المدافع وسافروا بها جهة الحديدة وصحبتها عسكر وقيل أن المطلوب من صنعاء ستة مدافع كبار الله أعلم ما سبب ذلك استرجاعهن .

ويوم الجمعة ١٦ ألزموا المأمورين وأهل الأمر بالخروج إلى العرضي وخرجوا جميع أهل الحل والعقد وإذا معاهم نشانين[8] ركبوهن في البيارق حق الخيالة الطبجية[9] ويكثروا

---

(١) بمعنى وبه الفصحى .
(٢) دسم .
(٣) نتن .
(٤) موضع الرُّماد .
(٥) خاف .
(٦) هو الآلاي . أمير اللوي يبدل الألف عيناً .
(٧) توجه بيته .
(٨) نيشانين .
(٩) الطبشية (المدفعية) .

بالخير ودعوا للسلطان ورجعوا وسمعوا من المشير كلاماً يدل على حمق عظيم على الفقهاء والمبيضين[1] جميع ووعظهم سيدي العلامة الصفي بجمع الكلمة وعدم والتفاشل فيما بينهم لما قد ظهر بينهم من الإحن وقال : قال الله تعالى : تنازعوافتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾[2] وعزموا بمدفعين أخرات كبار جهة الحديدة في اليوم ولعلهن صحين[3] ستة الذي قد سارين .

ويوم السبت وصلت كتب من المحابيس الذين أدخلوا من أرض اليمن وحقق بالسلامة والعافية وأنهم باقين الآن في مدينة أردوس[4] بعد أن جلسوا شهر ونصف في كمران[5] مكرتنين وسافروا بهم إلى مدينة أزمير ووصلوها في شعبان وسافروا بهم إلى أردوس وصلوها في رمضان سنة ١٣١٠ والآن فيها وصلت كتبهم وختومهم وأنهم باق بيتين فيها وكفاياتهم من السلطان كفاية[6] فاضلة ما خلى الحاج سعد الدين الزبيري وحده فإنهما في إسطنبول في حضرة سلطان الإسلام .

وفي عشرين الحجة إشتد الأمر من النصراني المسمى بالطلياني على المبرد والمتتنين[8] أن لا يبيعوا شيء وغلقوا الحوانيت أربعة أيام وأجبر عليهم أن لا يقع للسراة[9] والتنباق إلاّ منه وخَرَّج على المجلوب في جميع قضاء اليمن وأكثر المجلو عدن حرج عليه في قعطبة والسدة لا ينفد صنعاء شيء وامتنع المجلوب ولم أحد أنك من المشيرين والبُوَش وأجابوا أنه متقبل لذلك من السلطان وصار الأمر فيه منه وإليه على الإسلام والمسلمين كيف شاء وطلب كبار التجار الجلابين وطلعوا إلى عنده وطبع له أنهم في قوله وأنهم أعوانه يأمرهم كيف شاء وهم يخدموا ضميره فيما شاء وهم أنفار من صنعاء همج رعاع[11] تجار آخر الزمان لا يعرفون أمور الشريعة ولا سي المعاملات ولا يعرفون إلاّ جمع المال من أي طريق حَلّ أو حَرُم وهم بيت الخميسي و

---

(١) الذين يلبسون البياض وهم العلماء والفقهاء .
(٢) سورة الأنفال الآية ٤٧ .
(٣) تحققن .
(٤) هي رودس وهي جزيرة في تركيا . كانت من أملاكها ثم تحولت إلى اليونان بعد الحرب العالمية ا
(٥) من الجزر اليمنية على البحر الأحمر .
(٦) كافية .
(٧) سبق ذكره وهو نشوق أصفر يصنع من التبغ مع أخلاط أخرى ويخزن في الفم .
(٨) بائعوا التتن وهو التبغ .
(٩) نوع من التبغ .
(١٠) أي وقعوا له .
(١١) خ رعا .

عجروز الغريري وشامي الكلابي هؤلاء الذين أضروا جميع المسلمين / .

ويوم السبت ٢٤ الحجة اشتدت[١] من صنعاء مونة كثير من مؤنة المدافع الذي نزلت الحديدة والبنادق نحو مئتين ظهر ويوم الأحد وصلوا أربعة أنفار من اسطنبول المسمايين بالهيّة [٢] وهم مفتشين ولهم منتظرين لهم شهر من حين وصل خبرهم في البسطة والسلك وبقيوا مترقبين وصولهم كل وعد والباعث لوصولهم المفتش السابق الذي له نحو خمسة أشهر لأنه بقي يكتب إلى أسطنبول يتربش اليمن ولم توافق[٣] هو والوالي الباشا أحمد فيضي فبقي كل أحد يكتب بالآخر سيما من حين وقع حبس المحابيس الذين أدخلوا فإن بعض المحابيس فزع إلى المفتش السابق وهم بيت الحرازي فوقع حبسهم مع المتهمين فدخلت الشحناء فيما بين المشير والمفتش . هذا على ما ظهر بعقول أهل اليمن . وأما بعض الناس فعندهم إنها إلَّا تمويهات يُغطوا بها على أهل اليمن والله أعلم فوصلوا يوم الأحد وصرفوهم [إلى] بيت الصعر في بئرالعزب والله أعلم ما ينتج .

ويوم الثلوث . الحجة اشتد الحر[٤] واليباس وتغيَّرت أحوال الناس من قل المطر قد هو آخر الصيف وقد زلّ[٥] وقت الذرة بل قد دخلت نجوم الخريف أول عَلّبْ[٦] فضاق الحال وقل الأحتيال فتجمعوا شرذمة قليل وخرجوا يتْسَقُّوا[٧] وقصدوا باب الملك الجليل بعد صلاة العصر . وفيما سبق كان في السنين الماضية يخرجوا بعد الظهر ويرجعوا عند الغروب فلما رأوهم السفهاء والشامتين ترامزوا[٨] من أجلهم استخفافاً لهم وإستحقاراً لهم ووقع فيهم القيل والقال ولما كان ذلك ممن ذكر هنالك أجابهم الرب المالك وأغاثهم بما سألوه هنالك فلم يكن بعد صلاة العشاء إلَّا وقد تراكمت السحاب والبروق والرعود من كل جهة ولم يمسوا[٩] إلَّا وقد مطرت أكثر هذه الأرض سيما جهة المشرق والقبلة الذي بدع المطر منها ويوم ثاني نهار الربوع مطر عام على كافة أهل الإسلام والليل كذلك فله الحمد كثيراً ما أقربه ممن استغاث به فلا نحصي ثناء عليه بحيث لو زاد تأخر المطر لكانت تشبه سنة الإحدى عشر

---

(١) شدت .
(٢) كأنها الهيئة .
(٣) أتفق (قابله) .
(٤) القيض .
(٥) زله تعداه في المشي أو مر عليه .
(٦) من النجوم الزراعية عند أهل اليمن .
(٧) يستسقوا .
(٨) تحدثوا فيما بينهم بالرمز .
(٩) يبيتوا .

في المئة الماضية كما قد كان الناس يتذاكروا منها لأنها سنة ضريرة جداً وقعت فيما سبق في دولة المنصور على سنة ١٢١١ ما قد وقع أضر منها وصار يضرب بها المثل حتى قيل أنها هذه السنة الداخلة ١١ ستكون منها وأشد منها بما قد عندنا من كثر الأجناد السلطانية وسعت ما في أيديهم من المال ما جَهْدِ الضعيف / والمسكين فالحمد لله رب العالمين مجيب السائلين وغياث المستغيثين .

ودخلت سنة ١٣١١ يوم الجمعة

ويوم السبت طلع كبير الضابطية مرزاح آغا إلى نقم بين الصلاتين أنزل المتعربين[١] وخلاهم شريد وفزعوا فزعة كبيرة كونه طلع لهم بجماعة من أصحابه الزبطية وهربوا إلى صنعاء ومنهم من هرب جهة شعوب ودخلوا من باب شعوب شركهم في البريم[٢] في نصف طبيخها ولم زِد أمهلهم ساعة ووصلوا فالهم : شل برمتك لف آلتك .

ويوم الأحد حضروا المتنتين والمبردقين والنصراني المسمى بالطلياني المتقبل للتنباق عند الشيخ محمد البليلي رئيس البلدية وضيق النصراني على رئيس البلدية في الجزم بالحكم على ما بيده في تسمير الحوانيت وقنوع المتنتين . وكونه متقبل فحكموا له وطلعوا الأسواق جمع نَجُّلوا[٣] ما عاد في الحوانيت من تنباق إلى المخازين وسمروا المخازين ولولا عاد معاهم القشر[٤] لسمَّروا الحوانيت وبقيوا في حالة عجيبة كون النصراني يصيرله هذا العمل وضرّجميع السادة والمسلمين لأجل نصراني وغلقوا المبردقين وقد وقع مثل هذا التغليق في آخر الحجة في الشهر الماضي نحو أربعة أيام فهذه مصيبة المذكورين الذين طبعوا للنصراني وهم الحاج محمد الخميسي وحسين الخميسي وشامي الكلابي وأحمد عجوز العزيري والحاج أحمد المقعرل[٥] وبعد استعفى تجار آخر زمان وأما الكلابي فحال تغليق الحوانيت وتسمير المخازين وهو في حانوته يبيع التنباق وَيُقلْ للناس لا تقلقوا[٦] أنا جالس فاتح دكاني والتتن معي كثير وقد معي تذكرة وإذن من النصراني في البيع من يشتي جاء إلى عندي وأبسروا[٧] الورقة في حانوته بخط النصراني آمنًا بالله قال الله تعالى : ﴿ ومن

(١) كذا . ولعله المتغزّيين (الغزاة) .
(٢) جمع برمه وعاء من خزف يطبخ عليه اللحم . والشراء جمع شركة (سبق) .
(٣) نقلوا .
(٤) قشر البن .
(٥) كلمة مبهمة .
(٦) لا يصيبكم القلق (معروف) .
(٧) أبصروا .

يتولهم منكم فإنه منهم﴾[1] فهؤلاء التجار هم الفجار وهم الأغمار لا يعرفون الحلال من الحرام بل لا يعرفون ما فروض الإسلام ولا ما شروط الصلاة ولا ما يحلها ولا ما يحرمها لو تسأل أحدهم وما التهافت على الحطام فكما رقم الله يلهمنا رشدنا ويبصرنا عيوبنا ويحفظ علينا دين الإسلام هؤلاء أصحابنا وتجارنا تهافتوا على حب الدنيا الفانية حتى أعموا جميع الناس وضلوا وأضلُّوا لأجل تكون الكلمة لهم والبيع والشراء .

ويوم الثلوث ٥ محرم تجمعوا الناس إلى الجامع وتسَقُّوا وطلعوا يشتكوا على أحمد فيضي بالتسقية والمعاليم[2] وفعلوا لهم مهلة نصف شهر يرجعوا يبتاعوا ويشتروا وهم يكتبوا إلى السلطنة وبقوا المتسقين يترددوا على الطلياني إلى باب السمسرة حقه بالتسقية وينهوا المنكر وبعضهم يرجموا بالحجارة إلى السمسرة لأنهم رأوا اليهوديات داخل السمسرة بيتفرجين عليهم في ذهنهم نهي منكر وفجَّاع[3] له / حتى أقلقوه وما تم[4] إلا قوله رجع يبيع منهم من قوله[5] والذين عاد كان معهم تتن فعل عليهم على كل كيس ثلاثة ريال حجر بالمشاهدة والذي ما عاد معهم شيء باع منهم بسعر غالي وفعل في كلٍ كيس علامات طابع وجدايل فيهن صبر[6] لأجل يظهر إذا وجد شيء بغير علامته أخذه قهراً وفعل لنفسه معاونين كالخدم أو كالعسكر وفعلهم مصايف كبيرة في كل شهر من عشرين ريال وأقل وأكثر وبقي عنده منهم جماعة يشهدوا له بما يريد وسرَّح الآخرين إلى جميع المدن يفتشوا على الناس ويفعلوا مثلما فعل في صنعاء وفعل في كل باب في صنعاء نفرين يفتشوا على من خرج من المدينة ومعه تتن ولو نصف رطل أو ربع رطل ويقبة ره إلى عنده يسأله من أين أخذه فإن كان من بضاعته أدَّى[7] له ورقة يخرج بها من الباب وإن كان من غير بضاعته أمضى حكمه فيمن باعه منه نسأل الله الحماية من هذه المصيبة التي أصابت المسلمين وما ذلك إلَّا بسبب الذنوب على جميع الناس من العرب وهذا العمل صار في كل بندر حتى في مكة المشرفة وجدة والسبب أنه تقبل ذلك من السلطان فلم أحد قدر على دفع تلك المصيبة الله يفرج على عباده ويحفظ علينا دين الإسلام حتى يتوفانا الله عليه[8].

---

(١) سورة المائدة ٥٤ .

(٢) هم طلاب المدارس .

(٣) إخافة فجيعة .

(٤) إنتهى إليه الأمر .

(٥) اي بالسعر الذي يريده .

(٦) مادة سوداء تستعمل في الأدوية وغيرها .

(٧) أعطى له .

(٨) قلت هذا الطلياني المذكور هو يوسف قابورتي ذكر المؤرخ زبارة أنه عاش في صنعاء إلى سنة ١٣٢٢ هـ أنظر أئمة اليمن ٣٦٦ .

وأما خبر موسم الحج هذه السنة سلخ سنة ١٣١٠ فوقع فيها رحمة عظيمة في مكة وجدة كان يقع في كل يوم أربعين خمسين جنازة فلما كان يوم الجمعة يوم الوقوف في عرفات وقع أكثر من ذلك وأما يوم العيد فوقع طاعون كبير في جميع أهل الموسم من كل جهة نحو الربع الثلث ممن وقف ورمى الجمار حتى أن بعض البداوة أهل تجد ومن لم يعرف الشرعيات هربوا من منى قبل تمام المناسك وكان يقع لهم دفع[١] ومخروج[٢] قدر ساعة ساعتين وقد مات . وما زِدْ إلاَّ في المعافد[٣] ووصل قيمة القبر إلى سبعة ريال وإلى تسعة وكان يرصوهم مثل القصب حتى أنه مات ناس من الفجيعة[٤] وبقي الموت في المسافرين نحو نصف شهر إنما هو دون ما ذكر ، والذين رجعوا من طريق الحجاز كان يلقوا الذين سبقوهم أموات في الطرق وفي الجبال والجرف[٥] ومنهم من عاد فيه رمق ومنهم من قضى نحبه والذين رجعوا من طريق البحر كرتنوهم في كمران وخلسوهم أداتهم وأحرقوها جميع ما كان ملبوس أو فراش أو بضاعة وكان يِصَفُّوا[٦] الحجاج بماء حار ويبخروهم[٧] بشيء ويبقوهم مدة الكرتنة وما وقع وصولهم إلاَّ في آخر محرم سنة ١٣١١ / وأخذوا منهم دراهم كبيرة مدة بقاهم كل يوم ربع وثمن حجر[٨] غير الذي عند العزم من ريال كل واحد ومن ريالين وغير ما يلحقهم من غرامة وصرفة[٩] وقطيعة بسبب الكرتنة وإلاَّ فما كان يقع أول محرم إلاَّ وهم في صنعاء وعاد كان ركوبهم في سواعي[١٠] يجلسوا فيها نصف شهر وعشرة أيام وعشرين يوم على التيسير فلما كانت هذه المراكب يركبوها يومين ويخرجوا جلسوا هذه المدة والمقصود تعذيبهم وخلاسهم[١١] كان يسلّموا نول الساعية نصف ريال ولما فعلوا المراكب صار النول خمسة ريال ستة ريال وبعد ذلك ما ذكرنا هذا وقد جرى عليهم ما ذكر من الموت والمرض والهدم[١٢]والغربة ولما قد قارب محله بَقُوْه[١٣]وعذبوه بهذا العذاب وقد

---

(١) تقيؤ .
(٢) إسهال .
(٣) حفرة كبيرة تحفر للأموات جماعة .
(٤) شدة الخوف .
(٥) سبق شرحه وهو خندق أو مغارة في الجبل .
(٦) ينظفونهم .
(٧) يدخنونهم بالبخور .
(٨) ريال حجر قرش فرانصي .
(٩) نفقة .
(١٠) جمع ساعية .
(١١) سلبهم .
(١٢) الفجيعة .
(١٣) أبقوه .

أخبرني الثقات أنهم شاهدوا عند نزولهم من منى للطواف الأموات من منى إلى مكة في الطريق ممددين كالحزم[1] القصب ومن منى إلى طرف الحجاز مزاحمين في الطرق بعضهم له يوم وبعضهم له ثمان وأقل وأكثر أمراض وأموات حتى جافت[2] الطريق ولما قارب بلاده وهرب من تلك الفجايع فعلوا به ذلك وأخذوا ما كان معه من الفلوس لهم والكسوة والبضاعة والفراش وجميع المتاع للحريق أحرقوها في كمران حسبنا الله ونعم الوكيل .

وفي أول شهر صفر أحرقوا لهم بيت الحكومة في مدينة العر في الحيمة بمن فيه وكان فيه قدر إثنا عشر ويزيدون ونصفهم من كبار الأتراك قائم مقام حراز وغيره مفتش خرج من صنعاء يكشف بين المدير والقائمقام أو أمين الصندوق ونصفهم عسكر عرب زبطية وسلم الله عسكر السلطان الضعفاء المغصوبين الغرباء المقهورين وذهب البيت بمن فيه وبما فيه من عفش وسلاح وخزنة وفلوس وهن هؤلاء المذكورات سهل جنب النفوس .

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

وأما خبر الذين خرجوا المسمايين بالمفتشين . اليوم شهرين زمان ما أحد لقي منهم فائدة إنما مثل الأول نامق بيه حرِشه[3] بين العرب والعجم يوهموا هذا بمراد ويوهموا هذا بإفادة ولم صح واحدة وفعلوا مجلس سموه قالوا قمسيون[4] لكشف المظالم وجعلوا فيه أهل الإدارة كما يقال (داوني بالتي كانت هي الداء) وأضافوا إليهم السيد العلامة أحمد بن الكبسي والفقيه أحمد السياني[5] وناس من السوقة التجار لم ساعد وبيت السنيدار ومحمد بن عبد الله الثور واليوم للمجلس شهر زمان لم قد رأينا ولا سمعنا فايدة لا للسلطان ولا للعرب إلّا تقوية شوكة الكافر الطلياني بيعذِّب المسلمين الحاضر منهم والباد الحاضر بيغصبوه للشِّراء مما قال وإلّا حُبِس وقد في الحبس ناس بهذا السبب وأهل البوادي كلمن خرج ومعه تِبْن ولو ربع رطل رَدّوه من الباب وهتكوه وقطعوه وغرموه آمناً بالله / وحسبنا الله .

ولا زالت[6] شوكة[7] الكفر تتقوى وأخرجوا الزوار من المدينة النبوية كرهاً ما خلوهم إلّا يوم واحد في المدينة غير يوم وصلوهم وقد تغربوا ليالي والأيام والأشهر وأعوام وصلوا ساحة سيد الأنام بقوهم خارج المدينة ودخلوا زاروا .

---

(١) جمع حزمة ربطة .
(٢) أنتنت .
(٣) محارشة دس ونميمة بين الناس .
(٤) مكتب .
(٥) فراغ قدر سطر .
(٦) خ زلت .
(٧) خ شكوكت .

ويوم ثاني ساروا ناس إلى قبا وناس إلى الحمزة[1] لإنشاء الزيارات ويوم ثالث أزالوهم كرهاً يسافروا وإلّا صار فيهم ما يكرهون فصاروا وعيونهم باكية وقلوبهم على الرسول ضامية فيا ويلهم من الهاوية .

ووقع في الطريق حق المدينة بين ينبع والحمرا في المغاربة قتلة كبيرة ونهبة من البدو وتعرضوا لهم ينهبوهم ولم أحد نصرهم ولا أعانهم المغاربة لا من أهل تلك البلاد ولا من عساكر الدولة المترتبين في تلك البنادر والأنجاد لعل قد الشق حاصل لما يريدوه من قطع الحاج والزيارة وأخبرونا المشاهدين أنهم وجدوا القتلى في تلك الطريق على وجه الأرض مغاربة ذكور وإناث وأطفال وصبيان وبعض الأداة حقهم الثقال الذي لا تحمل مثل الشقاديف والقعايد مراجمه على وجه الأرض . ولكن قد البدو أخذوا مناهم من الذهب والفضة وما خف حمله فيا حياهم من الله ومن رسوله ﷺ .

وصار عمل الكفر في كل بندر حتى في الصليف ما بين الحديدة واللحية مقابل كمران قد النصارى فيه بيعمروا وقد العرب معاهم شقاه أَجَرَاً لما يأمروهم به وهكذا في [كل] جهة .

والبوش والمشيرين والكشافين الواصلين لم ينتج[2] من أحد نتيجة شيء إنما هم في أمرين أما كما قال الله تعالى : ﴿ سكارى وما هم بسكارى ﴾ وأما وهم عالمين بما بمراد السلطان وكاتمين لم أمكن يبينوش للعرب وأما هم فعلاً شوروا ودوروا ودبّروا تدبير في تدمير ولا بقي إنتباه على شيء ولا حكم في شيء إنما بلده[3] ومعمل واحد في كل مجلس في صنعاء لا أمر ولا ضابط ولا تنبيه بيء أما هربهم فأسرع من جَرَّة المنشار . إن دخل أكل وإن خرج أكل وأما ما بين العرب ولو في كلمة واحدة أو أي دعوى فلا تلقى ضابط فيه ولا لشهر ولا لسنة ولا لدهر ولكن إذا طلعت أَدِّيتْ فلوس وإن نزلت أَدِّيْت فلوس والمفرتشين[4] في كل باب في صنعاء على من خرج ومعه تِبْن ولو ربع رطل لا بد من قطيعه[5] حتى يفتشوا شِداذَة جَمَلٍ أو حمار . فإن لم يوجد معه شيء اقتطع[6] واقتهر[7] وإن وجد معه شيء ردوه وحبس وهتك وغرموه وضرب فسبحان الحليم على عباده العليم بمراده ونسأله اللطف بجوله وقوته .

---

(١) ضريح حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ .
(٢) خ ينج .
(٣) مجلس بلدي .
(٤) المفتشين .
(٥) تأخير .
(٦) تأخر عن عمله .
(٧) قهر .

وفي شهر صفر ذاد التحروج على البُرْدَقان مع التِّتِنْ وغلقوا المبردقين الحوانيت نحو نصف شهر لم زِد وجه للبرقان أثر عندهم ولم زِد ظهروا خوفاً من الطلياني وفتشوا عليهم بيوتهم عبد الله الحيمي أصغر المبردقين نزلوا فتشوا بيته وشلّوا عليه قليل سِرّاة[1] وفعلوا عليه ريالين ونصف حجر وبالحال أنه أصغر مبردق وأما النعماني وعشيش فطلبوا تفتيش بيوتهم وبعد هربوا الروضة كون معاهم بضاعة كثيراً ولا زالت الوسايط تتوسط فيما يقع عليهم من تسليم الفلوس على معاهم من بضاعة سابقة وأما من الآن فَلَوْ يزِد يوجد مع جلابٍ لا يصير عليه جزاء أكثر من ثمن البضاعة وامتنعوا جميع الجلابيـن من جلب التنباك والسرات وصار الجلب والأمر والحل والعقد للطلياني وقد معه ناس مُرَصِّدين عنده للخدمة وللحمول من النفخ[2] عليه كل واحد بعشرين ريال حجر وبأكثر ومنهم تُرُك بفرود[3] وبنادق ومنهم زبطية ومنهم دلّالين ومنهم غير ذلك / والتتن لم عدم مثل البردقان لأن بعض المتنتين أخذوا له إذن من الطلياني قبل الناس وبقية الناس الآن لم أمكن يجروا لهم إذن ولا زال الطلياني يفتش حناويتهم[4] في كل حين حتى أن بعض الحالات كان يفتش في اليوم مرتين وأما أبواب المدينة على ما ذكرناه في كل باب إثنين ثلاثة للتفتيش أما بردقان أو تتن إن كان قد معه فك[5] ورقة من الطلياني فخرج وإلاّ رَدّوه وعاقبوه أشد عقاب وجَرّوا منه جزاء لأن من وجد معه شيء عاقبوه فإن علي بن علي ساعد كان قد معه إذن وبعد باعه[6] أحد العرب ونزلوا فتشوا بيته قيل أنهم لقيوا عليه تِتِن غير المشتري من الطلياني فحبسوه وجَرّوا منه جزءاً كثيراً وقيل أنهـم مدوا أيـديهم إليه في الفليحي قبل حبسه وحاصله الله يحسن المخرج ويعجل بالفرج.

وفي شهر صفر بدع الشيخ محمد بن محمد البليلي عمارة سوق الحب قيل أنها مِحْسِبِنْهْ منه وجمع العمّارين أكثرهم واشترى أحجار كثيرة وخربه كله وبناه جديد على إثنين وعشرين عقد .

وفي ٨ ربيع أول ولم قد وصلوا بقية الحجاج من التعذيب المذكور أولاً وتعسير الأمور على الحجاج أو يتركوه والله غالب على أمره وناصر دينه ووصلوا الآخرين وحققوا لما وقع من ذلك فوق ما قد وقع معهم من أمر الله تعالى فلا قوة إلاّ بالله .

وكملت عمارة سوق الحب في آخر ربيع أول سنة ١٣١١ .

---

(١) نوع من التبغ .
(٢) أي لكي يخفف عليه من تحامل الناس وضغينتهم عليه .
(٣) جمع فرد وهو المسدس وهو من كلام العامة .
(٤) حوانيتهم .
(٥) تصريح بالخروج .
(٦) باعه لأحد العرب .

ويوم الخميس ٢٥ ربيع أول عزموا الدولة سبعة مدافع وقيل ثمانية إلى الحديدة بعد السابقات وصحبتهن مؤنتهن حمولة كبيرة وعسكر وكل أحد يخبر بما بدى له وعلى قدر عقله وما تم إلاّ قول الطلياني واستبدَّت كلمته وظهرت مكوكته[1] ووصل التتن المجلوب له ولا لأحد شيء من التتن إلاّ من الجلابين السابقين بل استبد وحده وسَرَّح إلى جميع القضوات من عنده يفعلوا مثل ما بيفعل في صنعاء وأخبرنا المشاهد لذلك في حجة وغيرها وهو بيرصد عند عسكر عرب وترك والذين عزموا من عنده بِيرصُوّا مثله البيانات مفتوحة وكلمة الحق مطروحة وعدالة المؤمن التقي مجروحة وسِيَرّ أهل النفاق والفسق ممدوحة .

وفي هذه السنة صلحت ثمرة الكرم وهي العنب صلاح ما قد عرفناه في هذه السنين الماضية منذ أربعين سنة من سنة ١٢٧٠ إلى سنة ١٣١٠ وصلح في آخرها وأوائل سنة ١٣١١ حتى أنه خرج السابع ودخل فصل الشتاء والعنبْ باقي في الأرض جميع ومجلوب إلى صنعاء وإلى كل محل من المحلات التي ليست محلات عنب كل المغارب والتهايم وسعره في آخر الخريف مثل سعره في أوله الطَّيِّب ستة وعشرين رطل بريال يصح من أرطال صنعاء القديمة ٣٢ رطل واتصل[2] به كل فقير وصعلوك لأن قد كان أيس منه الفقراء والمساكين وما يصل عنده إلاّ الأغنياء والمالكين بل أن في أول ما صارت فيه العاهة من سنة ١٢٧٠ إلى سنة ٨٠ أيس منه الخاص والعام ومن سنة ١٢٩٠ لا زال ينمو أكل سنة أحسن ولكن ثمرة يسيرة وأما هذه السَّنة فلِلّه الحمد لم قد صح مثلها فيما مضى حتى أن الخطيب خطب وذكر بوجوده هذه النعمة بعد أياس فالحمد لله عدد خلقه وزنة عرشه ورضى نفسه ومداد كلماته / آمين .

وقد ذكرنا صلاحه في مواضع كثيرة من قبل تمام المئة الثالثة عشر ولكن بالنظر إلى ما مضى حين انقص فكل ما تجيء سنة وفيها صلح نذكر صلحها . وأما هذه السنة فما بعد ذلك الصلح إلاّ في سنة سبعين وإحدى وسبعين فلا يقال أن أحنا أكثرنا ذكره في كل مكان والله يصلح الشأن فمن الصلح أنه كان من أول الخريف سعره الرطل بِثِنْتَيْنْ زلط تصح ثلاث بقش والفاتر[3] ببقشتين ونصف وفي خامس ربيع آخر بعد أن دخلوا أهل الخريف من المخارف جميع وقد هو في أثناء الشتاء قد صربوا النظايا[4] ما عاد إلاّ الذرة في شَهْرين[5] أول سَعَّروا العنب الرطل ببقشتين وثلث بدون ما كان في وسط الخريف فهذا من كُثْرِهِ وما

---

(١) هو المكوك بالتشديد هو موضع طوي الفتلة عجلة يطوي عليها الفتلة .
(٢) كلمة غامضة .
(٣) الضعيف الردي .
(٤) النظايا سبق شرحه وهو محصول من البر والشعير يأتي في الصيف .
(٥) خ تشهر بن محقق .

ظهر لهم إلَّا ببقاه إلى هذا التاريخ ولو علموا الصلح[1] من أول الخريف أنه ابتاع[2] الرطل ببقشة فنسأل الله يديم تلك النعمة على عباده ويرفع النقمة .

وفي خامس ربيع آخر أمر الطلياني أن يأخذوا الزبانية حقَّة البردقان من حانوت ابن عشيش قهراً ويأتوا به إليه ووقع ذلك وقيل أنه وصل بنفسه ينهبه والله أعلم وتغيرت نعمة الوِلْعة[3] حق البردقان لأن أهل صنعاء ما تُوَلِّعوا إلَّا بحق عشيش وقد كان أبوه إمتنع من بيعه وجلس في الروضة وغلَّق الحانوتين الذي كان فيها هو وابن الحكيم والذي فيها سيدي يحيى المسوري وبقي هذا المذكور الله أعلم ما يكون وبعد وعدين جاء النصراني لإبنه ونهبه من حانوته البردقان وكان مراده يحبسه وغلّق وعدين .

وفي ذلك اليوم أمروا الدولة بأخذ ما وصل من طعام وحنطة لهم لا أحد يشل من أهل صنعاء شيء وزاد أخذوا حق الملاك الذي وصل لهم من مالهم وبقوا طول يومهم يطلعوا إلى باب الدولة فلم أمكن يفكوا عن أخذ حق الملاك وأما المجلوب فبالأولى والأحرى ومن جملة المأخوذ حق الحاج عبد الله بن محمد الثور وحق الفقيه محمد عامر هذا بالمشاهدة ، وما خفي كان أعظم والله بعباده أشفق وأرحم كيف بالضعيف واستمر الأخذ لما وصل ملك[4] أو وقف أو نُذُر أو مجلوب وأي طعام كان حنطة أو شعير أو ذرة . وبقي ناظر الوقف الفقيه حسين العمري[5] يطلع إلى الوالي وإلى السمسرة ولم أمكن يرحموا أحد[6] أو يشفقوا على أحد وأخذوا على كل ما سلم من أهل صنعاء بشر حتى الوقف وحال الصِّراب ولم يوجد في سوق الحب نَفَر[7] حب وكل ما وصل إلى السمسرة ما زِد خرج بل يأخذوه قهراً حتى نَشَّاد من الذين يخرجوا البوادي ينشد في الأجران[8] بالطِّيران[9] دخل وقد معه نصف قدح فأخذ في السمسرة والجمال تنزل تَشَدُّه للدولة وبالحال أن قد بيصال لهم زكاة مئات في كل يوم وهذا

---

(١) أي صلاح العنب .

(٢) ابتيع .

(٣) التولع .

(٤) أي مملوك لأشخاص من أراضيهم أو وقف للدولة والأوقاف أو نذر وهو المال الذي نذر به أصحابه لحماعة من الفقهاء والمساكين وغيرهم .

(٥) هو علامة اليمن ومسندها العلامة : الحسين بن علي العمري ولد سنة ١٢٦٥ وتلقى علومه على جل مشايخ اليمن وكان تولى نظارة الأوقاف مدة من الزمن ثم عزل بعلي بن محمد المطاع سنة ١٣١١ أنظر أئمة اليمن ج١ ق٢ ص١٤٣ . توفي سنة ١٣٦١ . وقد أفرده بالترجمة المؤرخ عبد الله الجرافي في كتابه تحفة الأخوان بحلية علامة الزمان المطبوع في مصر سنة ١٣٦٥ .

(٦) خ أيشفقوا .

(٧) مكيال صغير .

(٨) جمع جرن سبق شرحه .

(٩) جمع طار معروف .

المأخوذ قهراً في حاله وبعد كتبوا الملاك إلى البوادي ببقاء الحب عند الشركاء وهم محتاجين خوفاً من ذهابه وتعطلت المدينة من الطعام الله يلطف بالأنام ويفرج على كافة أهل الإسلام .

وفي شهر ربيع أول قتلوا الشيخ أحمد البنوري صاحب حراز في بلاد الثلث قتلوه أهل عزلته أهل قريته .

وفي ربيع آخر قتل واحد من بيت الحسيني صاحب رجام في خارج الروضة قتلة خَيَّالة في الطريق قيل أنه قضاء وقيل كان مراده ينهبه .

ويوم الخميس ١٦ ربيع آخر عزم من صنعاء الكاشف الذي وصل في جماد في العام الماضي ووصل صنعاء أوهم أن بيده الحل والعقد وتهافتوا إليه جميع العرب بالمشاكي والمضابط وأوهم[١] أن الوالي أحمد فيضي باشا معزول وأن من له عنده مظلمة فهو ينصفه فلما سمعوا منه ذلك أفشوا أسرارهم إليه وتهافتوا عليه بأجمعهم الحاضر والباد وبقي يواعدهم واحترشوا[٢] جميع فيما بينهم وكل أحد أبدى ضميره إليه وأفشى سره عليه وعزم ولم نتج منه شيء وتركهم في عمياء بعد أن كانوا في ضياء لما قد كان الباشا غضب على من في اليمن وبعد مدة رضي عليهم وسكن فلما كان ما ذكر رجع عليه / منهم الحزن وخرجوا يزلّجوه[٣] إلى عصر خلق كثير والباشا معهم وقد أخذ أسرار جميع أهل اليمن وما كان يتخاصموا لديه إلّا بالمصائب الكبار الذي لا يفعلها الأخيار والمسلمين الأبرار ولا تقع إلّا للفجار في بعضهم البعض وكل أحد يدعي على أخيه وصاحبه وجاره أن هذا كان يكاتب الإمام وهذا يقول هو كان يسير عند الإمام وهذا يقول هذا حارب الدولة في أيام الحوزة وهذا يقول هذا عنده بنادق الدولة وهذا يقول هذا نظر حميد الدين بإسم هذا كان يزكي ماله إليه وهذا يقول هذا جلس لديه وهو هذا الكاشف المسمّى نامق يسمع من الجميع كل أحد وحده ويخلي كل أحد يفعل مضبطة في ذلك ويختمها بختمة وشيء يختموا عليها الغريمين وكل أحد انتظر هلاك أخيه وبقي يواعدهم نحو عشرة أشهر وعزم من عندهم بما ذكر ولم فعل بأحد شيء إنما لحقهم الغرامات ببقاهم في صنعاء تلك المدة وحق العروضات والبولات[٤] والصّرفات[٥] وكان بعض الأحيان يوهموا هو والوالي أنهما أعداء وإن كل أحد يريد هلاك

(١) خ ورواهم .
(٢) اختلفوا .
(٣) يشيعوه .
(٤) جمع بولة سبق ذكره وهو طابع البريد بلغة الترك .
(٥) النفقات.

الآخر ورَفْعِه[١] وأحيان وهم مجتمعين بل ومتجابرين[٢] في المأكولات والمشروبات وأحيان كل واحد يلزم أصحابه لا يسير عند الثاني شا يصير عليه جنحة بل ويحبس كل واحد بعض أصحاب الآخر وجملة ما أحد دري بما في طيهم ولكنهم أخذوا ما في بطون العرب جميع خصوصاً أهل ثلا والحاج حزام الصعر شيخ عمران فأكثر ما نتجت هذه الدعاوي الشنيعة منهما على بعضهم[٣] البعض وعزم صنعاء بهذه المشاهد والختوم وما كان في طيه مما جاء له فقد أحرزه لأن ما درينا ما هو الموجب الذي جاء له وأما الظاهر على العرب فهو ما ذكرنا ولكن ما أظن قصده إلاَّ شيء آخر وكذلك ناس من حراز الذي ذكرنا قتلة في ربيع أول قالوا أهل العزلة ما يريدوا يشيخوا بدل المقتول البنوري إلاَّ القانص وأهل مجلس حراز والوالي يريدوا يشيخوا ابن المقتول كونه غشوم ظلوم جهول وادعى[٤] ابن المقتول على وكيل العزلة الحاج علي البشاوي أنه بيسوق زكاته وجميع واجباته إلى الإمام القائم وقد ذكرنا آنفاً أن كل من في قلبه أدنى شيء على أخيه ادعاه بما يرديه فكيف هؤلاء العرب الذين لا عقول لهم وكيف المستمعين لهم ما قصدهم إلاَّ هلاكهم بل أنهم يزِد يقووا الأشرار على الأخيار ليفاشلوهم ويفرقوا جمعهم ويأخذوا ما في أيديهم أين هؤلاء من قول الصادق المصدوق (إدرأوا الحدود بالشبهات) وكان كلما أتى إليه أحد يقر على نفسه بحد يحول وجهه دونه يفعلها مراراً وهؤلاء يشتروا لهم المحن ويثيروا فيما بينهم الفتن .

وبعد عزم الكاشف لاحت الفرصة للمتربص وتجارى وفتك المتلصص وخرجت الطوابير والمدافع إلى النواحي الممباشا[٥] مرزاح خرج سعوان وأوجب عليهم تسليم ألف ريال حجر وألف قدح طعام وفتح المدافن واستخلص ذلك غير محتاج المطرح كل يوم دقيق وسمن وبقر وغنم وحطب وحسيك وفي غيمان علي بني بهلول مثل ذلك وفي كل ناحية ما ذكر هنالك / ورأيت بعيني غضبة مما تدل على الفظاظة علينا من الدولة فمع ما رقمناه من عدم الطعام في السوق وأخذهم لما وصل ولو بَذر خرج جاهل[٦] يتيم قد مات أبيه وعاد أمه عمياء ولها أولاد أيتام غير الذي سنذكره فلم تجد لهم عونة[٧] غدا ليومهم فأرسلت الكبير فيهم عمره في نحو سبع سنين بربع قرش حجر إلى البر[٨] واستعارت له مكيال ومَسب

(١) عزله .
(٢) المجابرة هنا المحادثة .
(٣) ح بعوضهم .
(٤) خ والدعا .
(٥) هو الأمباشي من الألقاب العسكرية .
(٦) صبي .
(٧) وجبة غذائية .
(٨) خارج صنعاء .

يخرج يشتري من البر حب كون الدولة تأخذ ما ورد فلما اشترى ما ذكر ربع قدح شعير فقبضوه في البر هو والذي شاط[1] منه وأدخلوهم إلى عند خليل الجمروك الذي لا يخاف الله ولا يصلي فلو كان يصلّي لنهته صلاته فقبض عليه والحب والمسب والمكيال فبقي يبكي ويستغيث فاجتمعوا الناس ودخلوا إليه يتشفعوا له ويرد ما أخذه عليه فلم يسعد فرجعوا على البائع إليه أخذوا الربع منه وردوه إليه وحنبوا[2] الجميع لديه الشايط والمشتاط فلم يسعد يرد شيء كلما دخلوا عليه ناس بالولد وهو يبكي إهترا عليه بالضرب بالعصا ويقول قربوه والعصا في يده فيرتاع الجاهل ويفتجع ويهرب ويصال إلى أمه فتفعل به أشد كون لا حب ولا مسب ولا مكيال فيرجع إلى باب السمسرة يبكي ويستغيث فيجيء ناس آخرين فيدخلوا على الجمروك فيفعل مثل ما فعل أول وعلى ذلك من الصبح إلى غروب الشمس ونحن نشاهد ذلك والله سبحانه مطلع على ما هنالك فكيف بهذا الذي لا يخاف الله وكيف بمن قبّضه أولاً وتقرب به إليه غضب الله عليه ولعنه .

وأخبرني السيد حسين الناشري أن قبيلي شاط ثُماني[3] بر وشعير بأربع زلط وزقمه[4] البواب وأخذ جَنْبِّيته وأطلعه إلى الجمروك وطلب منه عشر زلط وإلاّ فَلَّت[5] الجنبية ولعله هرب والأول ترك الحب فكيف يزِدْ أحد يسطى[6] يجلب ، أللهم بجاهك حل هذه الشدة وفرج على عبادك يا حي يا قيوم يا أرحم الراحمين حسبنا الله ونعم الوكيل .

وبعد عَزْم الكاشف على ما ذكرنا أمر الوالي كبار الأتراك ينفذوا للتخليص في جميع الحوازات ووقع قبض فلوس ما قد أحد عرف هذا المخلص منذ وصوله الأتراك اليوم ٢٢ سنة ولا سيما الحواز المقاربين قدر نصف يوم مثل سنحان وبني بهلول وبلاد الروس وسعوان والسر وبني الحارث وأما الحزة حق البستان فأشد وأعظم من كل جهة مثل حدة وسنع وبيت سبطان وأرتل وحمل وبيت بوس فهذا أشد وأعظم والسبب أنها لاحت فيهم الفرصة أدعت الدولة عليهم أن الحواني قاسم مات وعنده للدّولة فلوس فدخلوا الرعايا يشتكوا وأبرزوا نظر. غلاق[7] بأيديهم فلم يقبل منهم شيء بل فعلوا عليهم أضعافاً مضاعفة[8] حتى أن أكثر

---

(١) سبق شرحه . وهي بمعنى إشتراه أو أخذه . والثماني مكيال عند أهل صنعاء .
(٢) وقعوا في مشكلة .
(٣) قدر معين من المكاييل لأهل صنعاء وغيرهم من أهل اليمن .
(٤) أمسكه .
(٥) ترك .
(٦) يجسر .
(٧) سداد .
(٨) خ (مطاعة) .

القبائل باعوا أثاثهم وصح عند أهل حدة من ذلك خمسة آلاف وسنع نحو ألف وبيت بوس إثني عشر مئة وأرتل ثمان وحمل أربع وإذا صح عند الحواني شيء فهو قدر عشر ذلك وهو عليه كون الأهالي منتظرين منه / ولكن قد لهم في ذلك رغبة في خلس[1] العرب بسبب الفساد السابق ووقع البقا[2] والربط والضرب حتى سلَّم كل أحد ما خصه من ذلك كله ونقل هذا المتخلص مصطفى[3] فخري إلى حضور ومتنه ومرادهم في بني مطر والرماح فلقيهم الرماح[4] إلى رأس بني مطر ولكن ما طلع إلاّ وعقبه[5] قوم كبيرة فلم يتمكنوا منه وبذل ما خص بلادهم وهو العشر ولا زيادة ولو كان على ما مراد الدولة لكان أضعاف ذلك ولكن مع حزمة أهل البلاد وتفويضهم للرماح وما يخرجوا من ما فعله لم دخلت إليه بل أنه رجع يخارج أهل حضور ويلتزم عليهم ورفع المخالصة[6] وأما مرازح فإنه تخلص سعوان ورجع على السر وبني حشيش وقد كان تمادي نحو طرف بلادنهم وقد كان مرادهم في وصوله فظهر له العيب فرجع وتركهم ورجع على الرحبة وخرج إلى بلاد همدان السفلي الجاهلية والمعمر ومعه قبائل مربطين من بني الحارث قدر عشرين ثلاثين ولما رأوهم أهل همدان وقد كان مراده يِشَرِّع[7] فيهم فهربوا ونَجَّلوا من القرى ومنعوا على نفوسهم بالهربة ولكن الهربة ضرها على الدولة أكثر فأرسلوا السيد محمد الشويع من صنعاء إلى همدان يخارجهم ويصلح بينهم ويردهم وقد تعين عليهم عشر آلاف فصح بعد ذلك ألف والذي عزموا خولان قد كانوا في سوق الربوع في الأعروش فلما تحققوا خبث النيات من العرب رجعوا إلى جحانة وعنوا[8] المشايخ بقبض المقطوعية وهي شيء يسير قدر[9] عشر العشير مما يلزمهم وأما بلاد ثلا فسلموا دراهم لم قد سلموا مثلها من حين عرفوا الدولة والسبب أنهم تبروا من مشيخة الصعر وهو من المحبين للوالي والمُودِّين[10] فبقي يسبب[11] عليهم فبقي المخالصة عندهم في ثلا نحو شهرين وسلموا الآلاف مضاعفة وأما أهل الأهجر فمزد تسببوا لقتل الشامي صاحب

---

(١) سلب

(٢) أي إبقاء العسكر .

(٣) خ مصتفا .

(٤) خ الرما .

(٥) أثره .

(٦) جمع مخلص وهو الجابي للزكاة وغيرها .

(٧) يبتدي .

(٨) كلفوه .

(٩) خ قد .

(١٠) أي من المتوددين إليه .

(١١) أي يسبب المشاكل .

كوكبان وقد كان سبق منهم أفعال شنيعة مثل تحريق البيت بالباروت[١] فبقي المخالصة عندهم والسيد محمد الشويع نحو أربعة أشهر وتضاعف المسلّمات والتعيونات[٢] قسطوها تقاسيط كل قسط أربعة خمسة آلاف حتى باعوا في أملاكهم وكل ذلك جزاء الفساد وخرجوا[٣] أسماء أخرى[٤] وحاسبوا جميع القبائل حسبا سبع سنين وما أَكَلَهُ المشايخ ردوه على / الرعايا وكله هذا التعذيب عوضاً عن الفساد[٥] السابق ولم قد أظهروا لهم إنما نفثات وجوابات تدل على ذلك والذي قد كثر عليهم التسليم ولم زِدْ لقيوا ما يسموا لهم المسلم قالوا جزاء نقدي وإلا فلهم في ذلك المطالب أسماء لا تعد (منكسر بواقي) محضر (أغنام وركي)[٦] (معونة) (عطف) سقنطة ووقع العطف في بعض البلدان مثل الأصل والسقنطة علوه وكل ذلك الذنوب على العرب سيما في مكافآتهم لبعضهم بعض كما ذكرناه سابقاً حتى أن ناس من الرعايا في هذا الوعد في جماد آخر سنة ١٣١١ من بيت حنبص وحله وبيت رجال ودارراً القاضي زاد عليهم المحسب من المشايخ بنوا من نفوسهم سيصالوا يستنصفوا من هذا المتخلص قائم مقام[٥] وهو في بيت ردم فتوالوا ووصلوا إليه متظلمين مشتكين طالبين الأنصاف وأجري الحساب ويسلموا ما عينه عليهم ولكنهم وصلوا متسلحين بالبنادق وقد معاهم حاجاتهم من الدقيق والسمن فلما رآهم الشيخ مجدين في أجراء الحساب فذكر[٧] أنهم ما وصلوا بتلك الأهبة متسلحين ألا يريدوا قتلك أنت أنت وأصحابك ولكن أحذرهم فأمر[٧] تلك الساع بأخذ سلاحهم وحبسهم وربطهم وصاروا مغلغلين وفي الرباط مكبلين فهذه ذنوب العرب يدللوا على بعضهم البعض .

وفي هذا التاريخ نصف جماد آخر أرادوا الدولة إبطال القرش[٨] الحجر وفتحوا على الناس بذلك إن قد جاء أمر من السلطان بأن يهينوا الريال ويجعلوه ريال إلا ربع إهانة له ولصاحبه الفرنصيص[٩] فلما سمعوا ذلك العرب نكزوا[١٠] من البيع والشراء خوفاً من النقص فغلقوا وبقيوا في حيص بيص فاجتمعوا وطلعوا على المشير ورجحوا ترجيح آخر بأن الزلط

---

(١) بياض .
(٢) المقررات .
(٣) أخرجوا لها مصطلحات جديدة القصد منها سلب الرعايا .
(٤) خ أخره .
(٥) يتكرر هنا ذكر الفساد وهو إسم يطلقه الأتراك وغيرهم على الثورات القبلية التي يقوم بها أهل اليمن .
(٦) لفظة تركية بمعنى ضريبة الأغنام .
(٧) بياض .
(٨) هو الريال الفرانصي عملة تمساوية يعود زمنها إلى الملكة مريا تريزا .
(٩) الفرنسيين .
(١٠) استوفزوا أو بمعنى آخر صاح في وجهه على غرة فخاف أو اندهش .

البيضاء يكون صرف أربعة عشر زلطة الصحاح السالمات من الجانبين والأخرى الذي فيهن بعض طابع والطاحسات[1] ستة عشر وصَيَّحوا الناس وبقيوا في طحس[1] ثلاثة أيام فوق الثلاث السابقة فلم ينعمل شيء ولم يوجد شيء فاجتمعوا وفعلوا الذي فيهن بعض طابع والطاحسات عشرين وصَيَّحوا وكتبوا أوراق مدة ثلاثة أيام فلم ينعمل ولم يوجد شيء فصَيحوا أن الطاحسات باطلات والحمرا خمسة وأربعين بعد أن كانت ٥٢ فلم ينعمل لهم شيء ولا وجد شيء من المصرفات إلا بقيوا في عذاب وعدم كل شيء وأما / الحب والسمن واللحم فانقص وحال الرقم بعد عشرة أيام والهوك[2] والعدم والمظالمة باقية وبقيت الشغلة بين الناس نحو عشرين وردوا البيضاء جميع ستة عشر ولم تنقطع الشغلة بين العرب فيها .

وفي خلال ذلك إشترى الوالي أحمد فيضي باشا نصف غيل مصطفى الذي يسقي في الروضة بوكالة علي باشا البليلي وصار العمل فيه بعلاج مساقيه .

وفي خلال ذلك والترقب للشيخ أحمد الرماح كائن في كل جهة يريدوا قبضه وقد كان وقعت البيعة فيه وعلم وهرب من المحل وهو[3] في الجدب وقد كان نشاء الفساد ولعل أنها وصلت عنده قوم وقطعوا السلك في جميع قاع سهمان بأخشابه وخرجوا العساكر ومرزاح أغاة ومدفع ، والمطرح الأول باقي في الجاملي وبعد خرج السيد محمد بن علي الشويع وتوسط بينهم وبسعى وبالصلح المرضي أن الرماح يبقى على عادته من دون مواجهة للباشا ويسلم ما عليه بالحقانية من دون زيادات لا في صرف يعني المسمى بالسقنطية ولا غيره .

ويوم السبت ٢١ رجب عزم الوالي إلى عمران وخرجت الخيام من نهار الجمعة ونصبت في شعوب وخرجوا صبح اليوم الثاني جميع المأمورين وأعيان أهل صنعاء للزلاجة ، وقعدوا في الخيام نصف ساعة للأستراحة وبعد قاموا الجميع ابتهلوا بالدعاء والتامين وتدعي للحاضرين رئيس العلماء سيدي العلامة أحمد بن محمد الكبسي ودعا للوالي بالبقاء التام[4] والتأييد لكونه من المصلين والمزكين والمتصدقين والمبتهلين وممن يريد الصلاح للخاص والعام وقد ظهرت محاسنه على وش[5] الأشهاد بسبار[6] الطرق وتأمين العباد ودمار من يريد الفساد ومن أعظم المصالح إحياء الأرض الموات بغرس الأشجار وإخراج الأنهار لصلاح

---

(١) الطاحسة التي ذهب طابعها وطحس هي دحس بمعنى مطالبه وإلحاح .
(٢) الهرج .
(٣) بياض .
(٤) خ الدام .
(٥) كذا والصواب على وجه الإشهاد .
(٦) إصلاح .

الثمار وصارت الأرض ومن عليها ببركته وبسعادته حية وعامرة وقد كانت ميتة دائرة وغير[1] ذلك وبعد أخرج الوالي ورقة وقريها بالقراءة التركية لمن يحفظها وبعد قبض الكاتب علي بن محمد الجرافي قريها وفسَّرها بالعربي لمن يحفظها وعزم تلك الساع عمران قيل يختط لهم مكاناً يعمروا فيه قشلة يعني قطعة ولم عزم معه من العساكر الشاهانية أحد إنما نحو ثلاثين خيال وهو في العربية تجرها الخيل مع أن قد ثبتت الطرق في جميع الجهات حتى أنه لم يبق بها من الكاودة[2] شيء في كل جهة وبقي في عمران يوم الأحد لا غير .

ويوم الإثنين وصل من عمران أذان العصر وبقي أربعة أيام وعزم يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ١٣١١ إلى ذمار عقيب الصلاة وسبقته عساكر صبح ذلك /اليوم .

ويوم الربع الماضي ٢٥ رجب ألزموا جميع الرعايا من بئر العزب وشعوب والصافية العدنية يخرجوا يسحبوا المكينة وقدهيه في عصر وقد سحبها قبلهم أهل بلاد البستان والحيمة وحراز كل أحد يسحب حده من حين خرجت من الحديدة وقيل أنهم راحوا ناس في كل حد لأنها كبيرة أثقل من خمسة مدافع كبار وآلتها أكثر منها شدوها على جمال وبعضها على قواري[3] وهي في نفسها على قاري كبير بثمان عجيل أربع صغار قدامها وأربع كبار تحتها وقيل هي حق الخبز بمثابة الفرن توقد على فحم من حق المراكب وقيل أنهم يطرحوا فيها الطعام حب بغير نقاه[4] وهي تنقيه وتطحنه وتخبزه وتعجنه بدواليب فيها وما يخرج إلا طعام حاصل وما قد رأينا ذلك إلاَّ إنا نسمع أنها من إختراق[5] أدمغة الفرنج نسأل الله السلامة كما قيل شعراً[6] .

---

(١) كان أحمد فيضي من كبار ولاة الأتراك في اليمن وكان وصوله إلى اليمن سنة ١٢٩٠ برتبة يوزباشي وتردد في جهات منه حتى كان قومندان ومتصرفاً ببلاد عسير ثم تعين في سنة ١٣٠٢ وهو بها والياً وقومنداناً لعموم اليمن فوصل صنعاء وجد في ضبط الرعية لتسليم جميع البواقي وغيرها من الأموال الأميرية ثم عزل عن ولاية اليمن سنة ١٣٠٤ وتعين ثانياً وهو بمكة قومنداناً ثم والياً سنة ١٣٠٩ ففك بمن معه من الجنود حصار صنعاء ودامت ولايته الثانية سبع سنين حتى كان عزله سنة ١٣١٦ بالوالي حسين حلمي ، ثم تعين ثالثاً على اليمن سنة ١٣٢٣ وسار نحو حاشد وشهارة فكانت له فيها الضربات الكبيرة من القبائل التي أخضعته وقضت على ما كان له من هيبة وتعقبها في سنة ١٣٢٤ وسنة ١٣٢٥ وكان الأختلال الإداري بعد ذلك في تعز واليمن الأسفل وعزل أخيراً سنة ١٣٢٥ وسار إلى الآستانة وقد جمع في الثلاث عشرة سنة التي تولاها الثروة الطائلة يقول المؤرخ زبارة أخبرني القاضي محمد راغب أنه عمر أحمد فيضي في جهة مشهورة بالآستانة نحو خمسمائة دكان أجرتها من الساكنين فيها نحو خمسة آلاف جنيه عثماني ذهباً في كل شهر ثم أن الحكومة التركية أرادت أن تعينه مرة أخرى على اليمن سنة ١٣٢٩ فاعتذر عن ذلك لضعفه وتوفي في آخر السنة المذكورة (أنظر أئمة اليمن ج٢ ص ١٢٧) .

(٢) العقبة . الأرتفاع من الأرض .

(٣) جمع قاري عربة تجرها البغال .

(٤) أي بغير تنقية من الحجار وغيره .

(٥) إختراع .

(٦) من شعر لأبي العلاء المعري (أصلحناه من عندنا) .

وأنـي وأن كنـت الأخيـر زمـانـه   لآت بمـا لم تـستـطعـه الأوائـل

فهذا شيء لم قد سمعنا به في الإسلام ووصلوا بها إلى باب السَّبَحْ وحطت هنالك بين البابين باب السبحة وباب شرارة والله أعلم ما في ذلك من النوادر والعجائب .

ويوم الجمعة ٢٧ رجب عزم الوالي أحمد فيضي باشا إلى ذمار للطيافة قيل ينتخب مكاناً لعمارة قشلة يعني قلعة في ذمار بعد الصلاة عزم من صنعاء ساعة سبع في العربية حيث قد سَبّرت[1] الطريق في كل جهة لم بقي فيها من الكؤودة شيء .

ويوم الثلوث سلخ رجب خرجوا يلقوه جميع أصحاب الدولة الصبح وانتظروا إلى عقيب الظهر في داع الخير ولم وصل ووقع الغدا ذلك اليوم في داع الخير ضيفه من أهلها لجميع من خرج يلقي من أصحاب الدولة واجتمعوا للغداء عند بيت معياد نحو مئة وستين وقيل أكثر وذبحوا لهم أربع رؤوس غنم كبار وبقي السمن والعسل مثل الغيل[2] ولم فيها غرامة على أحد إنما منهم ضيفة إكرامية للدولة ورجعوا ولم وصل الباشا .

ويوم ثاني يوم الربوع خرجوا من الصبح يلقوه ووقع الغداء عند بيت معياد مثل اليوم السابق ولكن وصل الباشا ظُهْر ومدة مسيرة ومجيئه أربعة أيام كوامل ونصف يوم الجمعة ونصف يوم الربوع ووصل جلس في بيت السلك يدق فيه / طول يومه ما أحد يعلم ما في وهمه .

وفي أول شعبان سنة ١٣١١ حدث أمرين لطيفين الأول أن ابن زليل صاحب حفاش فعلوه الدولة شيخ مشايخ علي حفاش وملحان بدلاً عن يحيى عبده زايد حيث قد شلوه أزمير مع المحابيس وبعذه هذا أطلعوه مدير عام وعزم ولده الذي قد هو مدير يتخلص في ملحان ومعه جماعة عسكر منهم ناس من بيت وهاس من أرتل فقتلوا ابن زليل في ملحان وسلبوه ومن أصحابه وقتلوا معه نحو نفرين ثلاثة معه وسلبوهم والثانية قرحوا بالقشلة حق كوكبان وراحوا فيها ثلاثة عسكر وذهب الرز[3] حق العسكر لأنه كان قريب الباروت ولولا دفاع الله كان شاء يروح أكثر من مئة نفر ولكنه قرح الباروت مخرج[4] وما قرح مدخل[5] إلاَّ زِق[6] واحد أخرب جانب من القلعة ولو قرح كله داخل لكان شاء يخرب القشلة كلها ولكن الله يفعل ما يريد .

---

(١) صلحت .
(٢) النهر .
(٣) الأرز .
(٤) خـارج.
(٥) داخل .
(٦) الزق هو عبارة عن ظرف صغير يحشى بالبارود ثم يفجر .

وليلة ٢٢ شعبان سنة ١٣١١ وقعت تنصيرة في رأس نقم وتعشيرة إلى القلعة التي في نقم من فوقهم وفي جبل عيبان .

ويوم ثاني أرسل الباشا أحمد فيضي لأهل سعوان وأهل دار سالم وحبسهم من أجل ذلك ولعل الفاعل غيرهم وكثر الهرج في ذلك والله يصلح كل شأن وطلب المشير أحمد فيضي من القبائل تقديم البنادق في (البشعة)[١] لأجل يظهر من الذي نصر .

وأما خبر المكينة في شعبان فوصلوا بها إلى بستان نعمان وعملت في الطحين لا غير لأن الخبر السابق أنها تخبز وتعجن فما صَحَّ إلاَّ الطحين ولكن شيء كثير ونظرنا ذلك عياناً وقدر ما تطحن في اليوم قريب المائتين القدح بالمشاهدة والوقيد[٢] لها كباً[٣] وعصارة[٤] .

وفي سلخ شعبان منع الإمام وصول الأغنام إلى صنعاء من بلاد صعدة وكل ما خرج أحد من سحار بغنم أو سمن أخذوه أجناده وانقطع السمن والغنم حتى عُدِمْن في صنعاء ووصل سعر السمن رطل ونصف ريال ووصل سعر اللحم خمسة أرطال بريال وكان يقع في ميزان اللحم سَرْق وانتهى سعره بعد / السرق أربعة أرطال جربت ذلك مراراً وتقضي شهر شعبان ودَخَل شهر رمضان كله على تلك الحال والحنطة نصف قدح بريال غير موجود والشعير قدح إلا ربع غير موجود وفوق ذلك عدمت الزلط لم بقي لها أثر حتى أن صاحب القرش يستاقه[٥] وعد ووعدين من المصترف[٦] وحتى أنه ما يلقاه إلا نادراً إذا كان شاء يأخذ منه بقدر ثلاثة أرباعه أو يحده ثلثين صرفه ويسترجع الثلث وأما أنه يلقي صرف ريال موجود فباب مغلق ودخلت على جميع العباد المعاملة في الربا من ذلك الباب حتى ما سلم منه أحد والسَّبَبْ في ذلك أن الباشا جمَع الناس وفتح[٧] عليهم أن الفرنجي صاحب الريال مخالف ويريد يهينوا حقه الضربة مكافأة له فأجابوا عليه أن أرضنا ما عرفت إلا بالريال وأنه ما قد اغتش طول الزمان واهتانت[٨] الزلط حق السلطان حتى باعوا العرب الطاحسات الريال بنصف ريال ولَفُّوها بعض الأتراك ورئيس البلدية قضات[٩] حاجة للناس وبعد لفوا الترك الزلط المطبوعات وكان

---

(١) هي طريقة تستعمل في ذلك الوقت لمعرفة المذنب .
(٢) الوقود .
(٣) سبق شرحه وهي عبارة عن روث من مخلفات الأغنام يعجن ويجفف على شكل أقراص كبيرة ثم يستعمل للوقود .
(٤) هي مخلفات السمسم بعد عصره .
(٥) يتصرف منه .
(٦) المصطرف .
(٧) فتح عليهم فاتحهم بالموضوع .
(٨) أهينت . ضعفت قيمتها الشرائية .
(٩) قضاء حاجة .

يأخذوهن من ستة عشر بقرش فيما بين العرب وعندهم من إثني عشر وأكثرها لفها الجمروك وأهل البُوَلْ[1] والسلك حتى نجحت[2] ورجعوا يأخذوا من العرب الريال الحجر ويحسبوه ريال إلاَّ ربع ويسلموا فوقه ربع حتى يصير ريال وإن سلموا زلط فلا يأخذوها إلا من ستة عشر السالمات من الطحاسة وهذه على الجميع غاية النحاسة بدخول الربا حسبنا الله ونعم الوكيل ولكن الله أراهم آياته وسرت عليهم اللطافة الخفية مع أن ما كان أحد يلقى الزلط إلاَّ يطرح ريال في شركة[3] حتى يستوفي وريال في السمن حتى يستوفي وريال في العلف حتى يستوفي وريال في الحطب حتى يستوفي أما مما أخذ أو زلط بصبر[4] سياقه / .

وفي رمضان جاءت أخبار أنها وقعت فتنة في عسير[5] بين الرعايا وعساكر الدولة حتى أن الوالي في صنعاء أخبر الناس أن الموسم من الحجاز مقطوع ما شاء تقع طريقهم إلا البحر قيل ولعل ما وقع من عسير ذلك بمشاورة الإمام ومفاوضته في ذلك .

وأما السلك في شعبان ورمضان فلم ثبت[6] ثمان بل مقطع في أكثر الأحيان وتقطيع كبير مسير ساعة ساعتين في حين أن الشاوش ومن عنده في المرتب حق يازل نزلوا إلى المدير أخبروه أن ثم جماعة من بلاد البستان بيسروا عند الإمام ولهم إختبار بمن يقطع السلك فأرسل معهم جماعة لضبط المذكورين فشردوا إثنين وقبضوا ثلاثة وأدخلوهم الحبس فما مضت ثمان إلا وقد دقَّعوا[7] ببيت العساكر حق السلك الذي في يازل بمن فيه بالباروت وسلم الباغي وراح الذي لم يبغ .

ويوم الوقفة حق عيد الفطر طلع الوالي صلى في الجامع وسلم لأهل الجامع فلوس حسب العادة .

وعصر طلب جماعة منهم الشيخ حزام الصَّغْر ومشايخ من اليمن[8] ومعياد وداع الخير وأحمد بن صالح من عصر والعدلة من شعوب وزهرة من بئر العزب وكساهم جيخان حمر وسمايط[9] يغطوا الكوافي بهن .

---

(١) جمع بولة . وهم أهل الطوابع من أصحاب البريد والدمغات .
(٢) نفذت .
(٣) لحمه .
(٤) أي يصبر عليه حتى يأتي ماله من طعام .
(٥) ذكر هذه الحادثة بتفصيل المؤرخ زبارة في أئمة اليمن ج١ ق٢ ص١٣٩ .
(٦) استقر .
(٧) دقّعوا : فجّروا .
(٨) فراغ قدر نصف سطر .
(٩) جمع سماطة وهو عبارة عن رداء يلف به حول الرأس .

ويوم العيد صَلُّوا في البكيرية حسب العادة ولبسوا الكسوة السلطانية وحزبوا جميع العساكر الشاهانية ولم أعرضوا المدافع الكرخانية حسب العادة والله أعلم بمراده في ذلك وفي الوفقين أذاقوا أهل صنعاء الإهانة بسبب الفرقة يريدوا تسليمها في يومين وبقيوا الترك والزبطية يهينوا الناس ومن طلع يشتكي إلى مرزاح ضَرْبَه وسلموها في ليلتين ليلة الجمعة لَيْلَي الموفقين[1] وصار الدعاء / عليهم من الضعفاء الذين باعوا في ذلك أمتعتهم في ليلة القدر والتي تليها وثالث العيد وعدوا الناس يخرجوا العرض للعراضة الخيل والمدافع كلها وحتى الأصفرين[2] التي آخر ما وصل كبارجدا الواحد تجره تسع خيل والسود تجر كل واحد ست خيل والصغار على حالهن وحزبوا جميع العساكر وحضر في ذلك اليوم كل حاضر وباد إلى أذان الظهر وصوروا جميع من حضر في أوراق يدخلوها إلى السلطان وبعد كمال التصوير وقع الأبتهال والدعاء للسلطان ووزيره وأميره المشير الأفخم الحاج أحمد فيضي .

وبعد ذلك اليوم[3] وصل الخبر الصحيح من بلاد عسير أنها قامت أهلها قومة رجل واحد على عساكر السلطان ووقعت قتلات كبيرة يسيب لها الولدان قيل والسبب أنهم طلبوا منهم السلاح والنظام[4] وقيل غير ذلك ولعل سيدي الإمام مفاوض في ذلك ووقع بتدبيره ما هنالك وذهب في تلك القتلات من العساكر السلطانية خلق كثير وسلاح وفلوس وعفش ونفش وخيل ولا بد من أهل عسير مثلهم كما يقال في المثل ما حسيك الحرب إلا رجال وبعد ذلك قد كان أخذ الإمام على السلطان حصن حب في اليمن الأسفل فوق بعدان ومدينة أب وبقت القوم تنساق من المشرق إلى اليمن .

وفي خلال ذلك فشلوا أهل حصن حب أصحاب الإمام ووقعت نهبة نحو ثلاثين حمل ميرة للعساكر السلطانية طلعت من الحديدة فلما وصلت حدود بين سعد بين حراز وآنس وأخذتها قوم مشارقة وقيل أهل تلك الجهة ولك ذلك في شوال سنة ١٣١١ .

وأهل صنعاء في تلك الأيام من رجب في أضيق حال من عدم الزلط بحيث إن لا زِدْ وجِدَت أبداً ويستاق[5] الصارف القرش ثمان عشرة أيام إذا وجد صرف وإلاّ ما يستقيم إلا بالريال كله أو يطرحه عنده من أخذ منه بعض حاجة أو يشتري بأكثر ويسترجع أقله ومن دخل صنعاء حنب إلاّ المأكولات فانطق من كل شيء وفوق ذلك عدم كل شيء حتى أن السمن

(١) أهل التوفيق والصلاح .
(٢) يعني المدفعين الأصفرين .
(٣) أنظر خبر هذه الوقعة في أئمة اليمن ج١ ف٢ ص ١٣٩ .
(٤) الدخول في النظام أي الأنتظام في الجيش .
(٥) ينصرف .

وصل رطل ونصف بريال والشركة خمسة أربعة ونصف بريال بالمسارقة[1] وأما السعر فسته بريال إسم بلا جسم[2] / وحصل موسم الحجاج في تلك الشدة وخرجوا يوم ٢٢ لتشييعهم جميع الناس ونصبت الخيام في شعوب من اليوم الأول وخرجوا المأمورين والباشا وبعض الأجناد واستودعوهم ووقع الدعاء مستهلة للسلطان ثم لوزيره وأميره وعضده الباشا الحاج أحمد فيضي ثم للحجاج والزوار وأمنوا جميع الحاضرين من الأجناد والمتفرجين ولكن في خلال رمضان كان يقع تقطيع في السلك .

وأما في شوال فأكثر وأعظم وأشد وكان يقع أكثر التقطيع في قاع سهمان وبعد خرج كبير الضبطية مرزاح آغا وأصحابه وجلسوا يومين في المساجد ومتنه ورتبوا بعض القرى المجاورة[3] لتلك الطريق ونزلوا المقطعين تلك الليلة يقطعوه من عصر إلى باب قاع اليهود فلما رجع الآغا صنعاء رجعوا المقطعين إلى قاع سهمان تلك الليلة وليلة الثلوث ليلة ٢٥ شوال قيل وقعت رماية بنادق إلى القلعة .

وليلة الربوع تعشيرة ثانية سمعها الخاص والعام .

وصبح الربوع خرج الوالي والخيالة والعساكر السلطانية جميع الصبح من باب شعوب إلى قاع المروان حدود سعوان إلى الحشيشة والروضة كل أحد في نجد يدور المعشرين إلى وقت الغداء ورجعوا جميع وناس منهم يدوروا في نقم ولم وجدوا واحد .

وتلك الليلة قتل الدشيلة شيخ مشايخ المخلاف قتلوه أهل رهم وهو شيخهم وقتل معه آخر .

وفي شهر القعدة وقع حريق بيت في عمران كان قاعد فيه القومندان وما كان المقصود إلاّ هو وهو بيت ذمي فصادف تلك الليلة كان في غير البيت ذلك وحرق من فيه نحو ستة يهود بالباروت .

وفي أول الحجة وقع حريق في بيت بئر العزب وسلم من كان فيه وكانوا في جانب آخر والبيت متسع فوقع في قلوب الأتراك وجل عظيم من تلك الوقعتين وقبضوا على جميع قبائل بئر العزب ومن كان مسافراً وأما[4] فيها في تلك الليلة وحبسوهم / جميع إلى أخر اليوم وأطلقوا أكثرهم وبقيوا آخرين وبقيوا في وجل عظيم ليلاً ونهاراً حتى أنهم كان يبقوا يدوروا

---

(١) بالخفاء .

(٢) خبر من غير حقيقة .

(٣) خ المحادة .

(٤) كذا .

طول الليل بالخيل خارج صنعاء وفيها إلى الصبح .

وليلة رابع عيد الأضحى وقعت تناصير في حصن نقم ورماية نصف الليل فزاد فشل المذكورين والقلق حتى أنهم لم يرقدوا وأهل صنعاء في أيام القعدة في أعظم شدة من عدم الحب والسمن والعلف وجميع المحتاجات وعدم الأسباب[1] من قِل الدخل إلى المدينة والسبب مما نعت[2] القبائل من دخول صنعاء لما بيقع فيهم ولما قد أنصفوهم الدولة لأنه زاد وقع مخرج الآغا مرزاح إلى الحواز بَدّع بحضور ورجع الحزة جميع ونقل [إلى] سنحان وتخلص القبائل مخلص أعظم من السابق لأن السابق لما عندهم من البواقي ولما ادعوهم الدولة بتسليم ما عند قاسم الحواني وعشرة أمثاله وأما هذه الخرجة فلم بقي عندهم شيء ولحقهم فلوس كبيرة وطعامات كثيرة آلاف وكل ما برزوا من نظير[3] شيخ أو سند شونه لعنهم وباشرهم بالضرب بيده وأكثر مما اشتهر الضرب في[4] الصماد شيخ أرتل والنجار عاقل حده و[1] عاقل بيت بوس فنكفت قلوب القبائل وقلقوا من دخول صنعاء وضعفت أسباب أهل صنعاء ولا سيما حيث قد كل شيء بيوجد عند القبائل في أسواقهم وبيوتهم وكل من وصل يشتكي إلى الباشا رده إلى حيث هرب منه وحاصله أن قُدِ الأمور متفاشلة[5] لم بقي لها ضابط ولا سمعوا نصيحة ناصح فتركوهم العرب أهل الحل والعقد يخبطوا خبط عشواء .

وأما أخبار القائم فلا زال يكاتب جميع الناس ويراسل بالعساكر من القبلة إلى العدن ومدة شهر القعدة وصار الفساد في بلاد آنس في جبل الشرق ولعل عندهم قوم مشارقة من تلك القوم المذكورة والله أعلم ما يؤول .

وفي ذلك الوقت وقعت فَرْقة[6] على صنعاء كبيرة باعوا الضعفاء فيها ما يجدوه من ملبوس وغيره وقد كان الدولة أمروا أهل صنعاء بعمارة دوائر وأوجبوا ذلك / عليهم حتماً مقضياً حتى عَيَّنوا من كل سوق شقاة معدودين في كل يوم وبعد فعلوها فرقة كبيرة غير الفرق المعتادة .

وفي العشر الأواخر من الحجة ١٣١١ يوم الخميس قرحوا[7] بيت الحكومة بالباروت

---

(١) أسباب المعيشة .

(٢) إمتناع .

(٣) سند الإستلام .

(٤) بياض .

(٥) فوضى .

(٦) ضريبة مالية .

(٧) فجروا .

أوان الظهر وكان فيها خلق كثير مشارعين ومأمورين فسلموا جميع لم أحد جرى فيه شيء إلا الهديمة[١] والسبب في ذلك الظلم وحبسوا جميع من كان في المحكمة من مشارعين ووكلاء وخدامين وغيرهم إلاّ القاضي وباش[٢] كاتب السيد عبد الله وتخلخل البيت وتقارح الزجاج وتساقط وبعد مدة كان يخرجوا المحابيس إرسالاً منهم من جلس ثمان ومنهم من جلس شهور وأيام ومنهم من جلس سنين وأعوام . ودخلت سنة ١٣١٤ وهم باقين في الحبس، وهم المندي خدام المحكمة وقشام الموجمة [٣] وقبيلي من سعوان فهو إلى التاريخ وهم في الحبس .

ويوم ثاني لقيوا آخر قد كان مراده يحرق الكاوش محل الضبطية فأسره ابن الخباش الذي قد هو من كبار الأتراك فخرج يدور من يُعينه على قبضه وأفشى الخبر قبل القبض على المحرق فهرب المحرق وحبسوا الخباش حيث لم يقبضه ولا عرفه .

وفي ٢٧ أمر الوالي بحبس القبائل الذين في صنعاء والسماسرة وأوجب عليهم يُوَجِّدُوا الذي بيحرق وإلا فهم الغرماء صنعاني وقبيلي وزعل فوقهم يعني ـ ناخرهم ـ[٤] تكلم فلم أحد قدر يرد جواب بل استوعد[٥] .

وإلى يوم ثالث يوم السبت آخر الشهر وأمر الطباشية يوجهوا المدافع نحو المدينة وقد كان متأبط شراً وصاروا في حيرة عظيمة والله سبحانه أقرب من حبل الوريد له فُرْجه كحل العقال فلقيوا صبح السبت ابن مرح قبل الوعد بساعتين ثلاث ولقيوا معه باروت في أكياس في أزغانه[٦] ولعله باعه بعض أصحابه لسوء عمله وبغيه وفساده فكتفوه رباط في باب السبح وأطلعوه مربوطاً مضروباً والمتفرجين عليه من كل جهة فما[٧] وصل إلاّ الحبس وقيدوه قيد كبير وفك الله ذلك الشدة والضيق على أهل صنعاء وغيرهم .

وبقي في الحبس إلى سلخ ١٣١٣ نحو سنتين كوامل وأخرجوه وأعطوه عمل لهم /

---

(١) الفجيعة الخوف .
(٢) خ بش .
(٣) قشام بستاني والموجمة لا نعرفها .
(٤) ناخره شاجره .
(٥) أوعد .
(٦) الزغن الأبط .
(٧) كذا ولعله فلما وصل إلى الحبس .

وصار مأموراً لهم كما صار حسين بن يحيى الشايف .

وفي التاريخ سلخ سنة ١٣١١ عزلوا الفقيه حسين بن علي العمري من نيابة الوقف ونصبوا سيدي علي بن محمد المطاع[١] ناظر للأوقاف .

وفي محرم غرة سنة ١٣١٣ وصلوا الحجاج سالمين غانمين متعافيين وقد زاروا قبل الحج جميع ما بقي من الزيارة إلى بعد الحج إلا اليسير منهم القاضي العلامة محمد بن عبد الملك الآنسي[٢] وجماعته ووقع موسم عظيم وخير كبير وعافية كثير الحمد لله على ذلك ، واستدام تقطيع السلك وقبضوا على نفرين ثلاثة أحدهم من أرحب وآخرين من ذرحان همدان وضربوهم ضرباً مبرحاً حتى صادقوا وحبسوهم وسكن تقطيع السلك أيام وقد كانت الدولة سيخرجوا على ذرخان وهربوا أهل ذرحان من القرية خشية الدولة .

وفي آخر صفر تحققت أخبار وكتبوا فيها جرائد أنه وقع في اسطنبول خسف وغرق وهلكت فيها أمم لا يحصى عددها إلا الله وهذه آيات من الله سبحانه تخويفاً لعباده عسى يرجعوا عن غيبهم ويتوبوا من بغيهم .

وأخبار الإمام بقي يكاتب جميع العباد ويراسل إلى كل بلاد .

وفي خلال ذلك أرسل السيد علي بن صلاح مقدمي إلى بلاد الحدا وبقي عندهم أيام ووقع بينه وبين الأتراك الذين في ذمار مناوشة حروب وبعد عزم إلى عتمة والذين جرهم المقداد صاحب بلاد آنس ووقعت بينهما وقعتين الأولة بين المقدمي وأهل البلاد وذلك سبب الخراب والفساد والثانية بينه وبين الأتراك النازلين[٣] من صنعاء وقع فيهن نهب وقتل وغير ذلك ورجع المقدمي من حيث أتى وتفاشلت القوم .

وآخر صفر خرج الميم باشا مرزاح يتخلص في بني حشيش وبني الحارث البواقي وعطف حتى أنه لحق القدح أربعة أقداح والريالين أربعة ريال غير الهتك والضرب والشنق واشتد الغلا أعظم مما ذكر وبلغ سعر القدح الشعير (٤ـ١ مسه) والحنطة قدح ٣ ريال والذرة

---

(١) أنظر أئمة اليمن ج١ ص ق ١٤٣/٢ أولا ندري ما هو المصدر الذي رجع إليه فهو لم يطلع على كتابنا هذا .

(٢) هو الفقيه العلامة محمد بن عبد الملك بن حسين الآنسي ولد بصنعاء سنة ١٢٧٤ وبرع في علوم الحديث وغيره له مؤلفات توفي سنة ١٣١٦ (أنظر كتابي مصادر الفكر الإسلامي ص٧٥) .

(٣) خ النالين .

قدح ٣٢٤ مسه وكان أهل صنعاء يخرجوا يدوروا الحب من البر ويأخذ كلا بقدره[١] رُبَاعي ثُماني ربع ثُمَاني ربع الرباعي ويتلقوهم[٢] المأمورين في الأبواب ويأخذوه عليهم قهراً أنا ممن شاهد ذلك يتيم ابن العمياء النشادة وفوق ذلك زِدْ أخذ الجمروك عليه المسب والحب جميع وبقي يبكي باب السمسرة طول يومه الله يفرج على عباده وبلاده برحمته آمين .

وبعده مضت قوم كبيرة من شرقي صنعاء وغربيها أما الذي من شرقي فبقوا في ظهر الحمار يرموا ويحبوا[٣] وهي حيلة من العرب لأن النصف الآخر الذين مضوا من غربي بقيوا إلى الصبح عند السلك لأنهم قطعوا الخشب وأخذوا القفيش الذي في رأسهن من عصر إلى قاع سهمان وقدهم آمنين بالذي مضوا من شرقي يشدفوا[٤] من في صنعاء / .

وفي شهر ربيع ختموا أهل الإدارة على القدم[٥] على أرحب وخرجت يسيرة وحطوا في الجاهلية وخربوا بيت يحيى دودة وتخلصوا همدان مخلص ما يعرفوه ولا قد سلموه ويحيى دودة هرب من البيت لأنه من المناصرين لسيدي بقلبه وقالبه وغاصوا الأتراك في بلاد همدان جميع وسلموا همدان جميع المطالب ودودة ومن معه من المناصرين له جلسوا في جبل الأحربي من البلاد المحروقة الكؤدة الذي لا يقدر أحد يجلس فيها ولا يقدم عليها لصعابتها[٦] وكان يحربوا منه ويتغزوا على أصحاب الدولة ويرجعوا إليه وصار الوالي ملزماً لهمدان والشويع بقبض دوده وهو منهم فصعب ذلك عليهما فأجمع رأي همدان أنهم يعزموا بعقائر إلى عند الإمام أربعة عقال منهم ليحسن مخرجهم مما هم فيه من الضيق فعزموا وعقروا خمسة أثوار وبقاهم ولم يأذن لهم بشيء وبقي الحرب مستمر نحو شهرين على رضاء الإمام ما أذن لدوده يصطلح وحده أو يصلحوا شأن همدان جميع وبعد أيام رجعوا وفعلوا صلح مكفوف[٧] أن دوده يرجع بيته والمطارح حق الترك ترتفع ويسكن الحرب وتطفىء نار الفتنة بعد أن كان القاضية علي الشريف محمد الشويع عشّروا فيه وسلم ولكنه فشل وذهل لأنها مضت الرصاص من فوق رأسه وعن يمنه وعن شماله من جنب أذنه ما فرقين[٨] إلاّ بنحو البنان .

---

(١) حاجته .
(٢) خ يلتوقوهم .
(٣) يزحفوا .
(٤) شدفه . الهاه عن عمله بغية تضليله .
(٥) القدوم .
(٦) لصعوبتها .
(٧) هو أن يكتف كل إنسان عن الآخر .
(٨) أما حدن .

وفي خلال ذلك في جماد سنة ١٣١٣ طلبوا الدولة أهل صنعاء وأمروهم يقسموا صنعاء أرباع وكل ربع يحصروه حارات ولكل حارة عاقل وفعلوا ذلك والشدة باقية من الغلا والعدم لكل شيء لأن ذلك قبل حصول ثمرة الصراب وارتفعت المطارح من همدان ودخلت شرذمة يسيرة إلى قرية القابل لشيء في نفس الوالي عليهم فتخلصوهم الحق والباطل وفتحوا عليهم في خراب بيت الإمام سيدي محمد بن يحيى لأجل ينظروا ما جوابهم فما وقع جوابهم إلا أنكم الدولة وما أردتوا فعلتوا ولو وقع منهم جواب آخر أو مراجعة أو يُحسِنْ نشتري منكم ما يملكه سيدي عندنا لكان يقع لهم أعظم نكال فشرعوا في الخراب حتى أكملوا الدار وشَدُّوا ما فيه من نجارة وخشب وأصابيع[1] وحبش[2] حتى أنهم شدوا من الحجار البيض حق القرية وما لهن حاجة مثل حاجة الحبش ولكن للإرهاب وبعد قطعوا جميع ما يملكه من إثاله[3] وطلح وشرعة[4] الأعناب وأشجارها وكان يخرج لذا القواري بالخيل والبغال .

وفي سلخ جماد دَفَّعوا[5] بيت في حافة موسى كانوا فيه ناس من يام قيل ثلاثين وقيل أكثر وقيل أقل وكان كبيرهم بينهم عبد الله بن علي المكرمي قيل أنهم كانوا يتفاوضوا والمشير في أمر سيدي ووقع الباروت في جانب البيت الجانب الذي لم فيه أماكن وسلموا جميع وتقافزوا من الطيقان ويم ثاني طاروا شذر مذر .

وفي أول شهر رجب عزم الوالي إلى الحديدة ورجع في آخر شعبان ما حد درى ما سبب ذلك .

وفي تلك المدة دفعوا بيت في يريم وراحوا فيه أربعة أنفار .

وفي خلال ذلك نزلوا عسكر بيتخلصوا في بلاد آنس ووصلوا إلى الهجرة / ووقعت فتنة بين العرب والمخالصة وقتلوا المخالصة ونزلوا أصحاب الدولة عساكر ومدافع من ضوران أخذوا القرية وما فيها وخربوا فيها دور .

وفي شهر القعدة حرقوا بيت في بئر العزب حسب ما مضى من الحريق اللطيف وسلم من في البيت وقد خرب جانبه .

---

(١) جمع إصبه وهي أخشاب رقيقة توضع فوق أخشاب السقف لمنع تسرب الماء
(٢) حجارة سوداء قاسية شبهت بالحبشة لسوادها .
(٣) جمع إثل شجر معروف .
(٤) أعواد تنصب لرفع الأعناب .
(٥) فجروا

وفي ذلك الشهر أرسل سيدي القائم بقوم من لديه إلى بلاد خولان والحدا مدافعه على الشيخ أحمد الرماح صاحب بني مطر لأن العين عليه من جهة الوالي أحمد باشا فيضي لأن الوالي أرسل الميم باشا مرزاح كبير الضابطية على الرماح كان مراد في ضبطه والذين وصلوا خولان من عند سيدي هم من أجل الرماح إن فتح الحرب عليهم فهم غارة عليه وإلاَّ فهم هنالك من أجل مفاقمة الأمور فرجع مرزاح ولم يتم شيء لأنه كان يوفي بما عنده من حقوق وفي ذهنه ذلك ما يجب عليه وأما وصوله فمعتذر وكان كذلك ودخلوا لنا في عيد الأضحى كل أحد فيما هو فيه .

وفي شهر محرم مفتتح سنة ١٣١٣ وصلوا الحجاج وأخبر بموسم عظيم وعافية كثير وخير كبير فلله الحمد على ذلك ولكنها كانت ستحدث حوادث من النصارى لعنهم الله ورد كيدهم في نحورهم أحدثوا عما يرى في جدة ومكة في المَعْلا قبالة بيت الشريف قيل أنهم كانوا يريدوا يفعلوا مراكب برية وقيل إنهم كانوا يريدوا يدخلوا الحجاج جميع إرسالات ناس بعد ناس ويبخروهم ببخور ويرشوهم بماء وقد سبق مثل ذلك منهم في التبخير لهم كمران وغيره ولكن السابقات أسلم من هذه لأن هذه المرة فيها أشياء في العمارة والداب[1] فحصل الوجه في قلوب جميع العرب من حجاج وغيرهم من البدو المجاورين لما رأوا من العناية والغرامة والحيل والمكايد فأما الذين في جدة فدخلوا لهم بدو كثير من حرب وهذيل وقتلوا منهم أربعة نصارى وخربوا ذلك البناء وأما الذين في مكة المشرفة فأقبلوا لهم ناس من جهة الشروق من النجدية ورئيسهم العبد حق بن رشيد صاحب النجود ودخلوا على ذلك النصراني اللعين وقتلوه وخربوا ما بناه ووجدوا دِماً كثيراً في أواني كثير في ذلك المحل وكان متزين لهم أنه طبيب ماهر بما يصلح العباد جميع من التداوي للمرضى في جميع العلل وما مقصوده إلا الخدع والمكر للإسلام والمسلمين جميع وكان مراده في حِيَل تضر جميع المسلمين لأجل قطع الحاج بأصله إلى آخر الدهر والله غالب على أمره وحافظ بيته الحرام وحامي أهل الإسلام فرد الله كيده في نحره وأهلك بغيضه لعنة الله وذلك عند طلوعهم منى يوم التروية فكفى الله الناس شره وحجوا حج عظيم ولم أحد قدر يعينه بشيء من الذين شاهدوا بدع عمله وصبروا وهم عالمين فقيض الله ناس لا يصبروا على الضر فوقع ذلك وعيونهم تنظر ولو أنهم أرادوا بأدنى شيء لكانت القاضية عليهما ولكن دفع الله سبحانه .

---

(١) كأنها الدواب.

وأما خبر القوم الذين ذكرنا آنفاً في بلاد خولان في سلخ سنة ١٣١٣ فزادهم الإمام بقوم آخرين ومقدمي معهم سيدي أحمد بن قاسم حميد الدين ووصلوا إلى بني ضبيان وقعدوا في راعد في بيت الحميدي فلما وصلوا جهز عليهم المشير أحمد فيضي بعساكر جرارة ومدافع مختارة وزاد وزناد وخيام فخرجوا من صنعاء في أول شهر محرم مفتتح سنة ١٣١٣ وطرحوا في خولان الخارجية اليمانية وغيرها وفي بيت الصوفي /وتخلصوا ما عند خولان جميع من المقطوعية المتقدمة والحادثة وفوقها مثلها كفايات وأغنام وحطب وتبن وبقر وذلك كله على الضعفاء من الرعايا وأما النقباء والمشايخ فأكلوا مع من أكل وما وقع المقرر إلاّ فوق خولان الخارجية التي تحت الحافور[1]. وبعد أجمع رأي الدولة على القدوم على المقدمي حق سيدي وهو السيد أحمد بن قاسم حميد الدين إلى راعد بيت الحميدي فقدموا حتى وصلوا بني شداد وأخذوها وأخذوا ما فيها ولا سيما قرية الشعبان فإنهم أهلكوها وخربوا أكثرها وأحرقوا باقيها وباعوا جميع الطعام حتى أنه وصل سعر العدس قدحين بريال وهو في صنعاء في ذلك الوقت سعر القدح ثلاثة ريال فتاقت نفوسهم من الشوق إلى القدوم راعد وجاؤا من طريق أخرى من طرف بلاد الحدا من محل يقال له غليل فاجتمعوا العرب وجاؤا إلى غليل ووقت قتلة كبيرة والثانية قتلة في وادي العلب كذلك مثلها والمساق للأتراك من صنعاء طعام وغيره واجتمعت قبائل شتى ووصلوا قوم أخرى من جهة الإمام وبينوا نفوسهم في نقم برماية وتعاشير من الدعكري الذي فوق المنظر في شهر صفر. وتعقبت[2] قتلة ثالثة في الأعروش وبعد رجعت أصحاب الدولة إلى السهمان وقعدوا نحو ثمان وتجهزوا للسير على يديده[3] التي فيها أصحاب الإمام ووقعت طريقهم الأخرى بمعرفة القاضي يحيى الجبري.

وفي خلال تلك الأيام وقع الأمر على الباشا الكبير الحاج فيضي إلى الأمير مرزاح كبير الضابطية بأنه يسوس لجميع الضبطية المرصدين من صنعاء ومن القبائل بأنهم يلبسوا كسوة السلطان ويتركوا العصيان وإلاّ خرجوا من البيان فحارت في ذلك أفكارهم إن خرجوا عدموا المعاشات التي بتقع لهم والتي قد عند الدولة لهم سابقة لأنهم أمطلوهم في معاشات كثير حتى تراكمت لهم في الصندوق فبقوا في

---

(١) كناية عن الضغط (والحافور معروف).
(٢) عقبت.
(٣) كذا.

حيص بيص وهرج ومرج مع عدم التوكل وما قدهم فيه من المحقة[1] بالدندنة والهنهنة والذرب[2] وبلوغ الإرب في المسح فلم يجدوا من ذلك بداً فاحتكموا للأمر وحلقوا القعاش[3] وخلسوا[4] العسوب[5] وتركوا تلك العسوجة في المشية والغنوجة ولبسوا الزنين والكوافي واللبسان[6] والقناطر[7] ومنهم من كان يختفي في أول الكلام ومنهم من بلغ في عدوه المرام وهم الأنذال اللئام وكل أحد ما كان يمضي من السوق إلاَّ وبعده ناس يتحققوا فيه ومنهم من كان يشتكي بمن حاكاه ويتذرب على من ناواه ولما أكملوهم رجعوا على من كان صاحب معاش من كتاب وخيالة وهم فقهاء وسادة ومن كبار حاشد وبكيل وألبسوهم مثلهم حتى بيت أبو فارع وأشراف ذو حسين ومن نهم ومن بيت الأعوج وحزام بن صالح دغيش وغيرهم[8] .

وبعد ذلك القتلات في خولان رجعوا وأخذوا رهائن من كبار القبائل وصغارهم بعضهم من عند العقال وبعضهم سعف[9] من الطرق وأما الرهائن التي هي من أوجاه[10] الناس فيما وقعت إلا بحيلة فعلوا ملقى إلى بيت القاضي يحيى الجبري وأخذوهم عيب وغدر .

وبعد ثمان وقع في قلعة عصر قتل أحد الزبطية وأخذوا أربع بنادق وهربوا .

وفي خلال ذلك أمر الوالي بعمارة قلعة في ظهر الحمار وعمروها في نحو شهرين زمان كان يشقوا[11] فيها الأتراك نحو مئتين عسكري كل يوم حتى كملت .

وفي شهر جماد شاعت الأخبار بحركة من الإمام وصار الوالي يستعجل الأتراك من جميع القضوات إلى صنعاء وكان يصال عساكر عجم من أسطنبول ويفرقهم في القضوات

---

(١) عدم البركة .
(٢) التحرش .
(٣) جمع قعشة الجمة من الشعر على الرأس بدون عناية .
(٤) خلعوا .
(٥) جمع عسيب هو جهاز الحنجر .
(٦) السراويلات الخاصة بالعسكر .
(٧) أصلها كندرة نوع من الأحذية واللفظة ليست عربية (انظر محيط المحيط ٧٩٣).
(٨) أي من وجده في الطريق .
(٩) وجوه .
(١٠) أنظر هذه الحادثة في أئمة اليمن ٣٦١ .
(١١) يعملوا .

بدل الواصلين ويحرضهم على القدوم على القبلة لأن قد كان أول جند الإمام في خمر بقيوا نصف شهر وتفاشلت الأمور / وتفاقمت بالفلوس لحاشد وجاء بعض البغاة إلى المشير يبغي له بالعرب لأجل الطمع وبالبغي يتقرب لا رحمه الله أن ما سبب حركة الإمام ألّا أهل صنعاء وحوازاتها لا زالوا يكاتبوه ويراسلوه بالمال وجميع المحتاجات ففتح الوالي على كبار الناس وتهددهم وخرجوا من عنده وتقرب الآخرين إليه أن ما يردع الناس ويسكنهم من الوقزة[١] والتشياع[٢] إلّا الأدب بالفلوس ومقصده أن الغرم في المال أهون من أخذ الرجال لما نظر من تفوه الوالي من الحبس والتغريب فجاءت على ما عنده مزاجاً فوقع في صنعاء فرقة كبيرة لم قد بلغت الفرق السابقة مبلغها سمعت من بعض القبّاضين لها أنها خمسة آلاف بلبلاً[٣] منزلة[٤] ويريدوها دفعة واحدة فشق ذلك على العباد فقسموها دفعتين قيل في شهرين بشرط تسليم الدفعة الأولى في يومين فتسلمت ويوم ثالث طلبوا الدفعة الأخرى ونزل تركي من كبارهم إلى السوق بالضبطية والأتراك وقعد في سوق الحب وكان يرسل للناس إليه ويصالوا بهم فمن سَلّم سَلِمْ ومن تظلم ظُلِم وضرب وإلى الحبس سحب وتسلمت في يومين وفي الحوازات أعظم من ذلك وأطَمْ الفرقة في حالها التي إسمها معونة والمخلص للبواقي المتقدمة في حاله وزيادة على المدينة بالكفايات من جميع المحتاجات وخروج العرضيات[٥] عرضي في متنه وكفاياته على بلاد البستان وعرضي في جربان وكفاياته على همدان وعرضي باقي في جحانه وكفاياته على خولان فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي شهر ربيع الماضي تحققت الأخبار من ريمة أنها وقعت آيات من الله باهرة مفجعة نازلة على العباد مفزعة في سوق الحدية سقط الجبل الذي فوق السوق على المتسوقين لأن سقوطه يوم سوق الحدية والناس جميع تحته ولم يسلم منهم إلّا اليسير لأن أكثر أهل السوق في تلك البقعة وهي معظم السوق والجبل وقع فوقهم بأنعامهم من جميع الدواب أكثرها البقر والغنم والحمير وهم من بلدان شتى لأنه مجتمع يجتمع فيه أهل ريمة ووصاب وحيس وزبيد وبيت الفقيه كونه في حزّت الجبل ويتسوقوه أهل تهامة نستغفر الله ونتوب إليه ولا ملجأ منه إلّا إليه ولا نعول إلا عليه .

وفي شهر جماد بدع الوالي بعمارات باب اليمن في المدينة المحمية وتفسيحه[٦] جهة

---

(١) سبق شرحه .
(٢) التشيع .
(٣) كذا في المخطوطة . ولعلها بالبلاد فسقط الدال .
(٤) المعسكرات (أو الجند) .
(٥) توسيعه .

عدن نحو عشرة أذرع من الباب الأصلي وهو محاذي له ووقع له مؤثر[1] كبير وأساس هائل وعمارة على رصاص وجص وحبش جديد وبناية لم قد رأينا مثلها في العناية على ما ترى / .

وفي التاريخ أمر الوالي بخراب بيت المقدمي حق راعد[2] سيدي أحمد بن قاسم حميد الدين في حافة داود وبعده أمر بخراب بيت الإمام القائم الذي في الأبهر وأخذوا مؤنتهن جميع .

وفي خلال ذلك أرسل الوالي السيد علي بن محمد المطاع إلى عند المقدمي إلى راعد يصلحه ولعله أصحبه بدراهم يفرقها لعقال خولان وما تبعها إلاّ شد المقدمي ورجع القبلة عند الإمام وبعد ذلك ما بقي في خاطر الباشا إلاّ الرعايا في جميع البلدان حيث قد تمت له ووشى إليه الواشي بأهل صنعاء وحوازها فأعمل فيهم فكرة ولم زد راقب الله فيهم تتابعت صنعاء الفرق حتى أنها وقعت في ثلاثة أشهر ثلاث فرق في جماد ورجب وشعبان في سنة ١٣١٣ وانفتح بذلك الظلم باب آنس وبقي المقداد صاحب جبل الشرق مشرداً وخربوا الدولة بيته فتفرغ وسعه وبقي في طرف البلاد ما يلي الغرب هو وشرذمة معه يسيرة وكان يبقى يتغزى إلى بعض القرى ويدور له قنص فسبر معه المجال ولا زال يتقوى فعله ويتابعوه أفراد من القبائل فوقعت له غزوتين ثلاث ووقع له فيهن سلب ولمن معه فاشتهر أمره وشاع ذكره فشمّر ساقه وكثر من الخلق لحاقه والذي أخذه أولاً حمولة في طرف سهام أرزاق للدولة دقيق ورز وأخره مثلها[3] في حدود حزت حراز والثالثة من بيت القابلي بنادق وأسر وكسر مع ما مع الناس فيه من الغلا والشدة في جميع البلاد وشح الأمطار وقل الثمار حتى أنه انتهب سوق وادي حار نهبوه أهل تهامة والسبب الجراف[4] عم البلدان وسوق آخر في حزة ملحان نهبوه أهل تلك الجهات نسأل الله اللطف فلما اشتهر أمر المقداد في جميع البلاد لحقه كل من يريد الفساد وترادف له الإمداد من عند الإمام بما يبلغ به المرام من باروت ورصاص وخزنة وفلوس ومال ورجال فاشتهر ذكره وكثر على الدولة ضُرّه فأرسل الوالي إلى بلاد آنس بالعساكر الشاهانية والمدافع الكرخانية مراراً أولاً وثانية فصعد في مدينة العبيد ورأوا هولاً شديداً فطلبوا [من] المشير المزيد / فاغتم لذلك وتحقق له الشر فيما هنالك فعزم على الخروج فرأى النحس في البروج وانفتح الحرب فيما بين المقداد والأتراك فكان بينهما سجالاً وحالاً

---

(١) أساس .

(٢) بلدة من بني ضبيان من خولان العالية .

(٣) خ مثهلها .

(٤) الفقر الجوع .

فَحالاً ومن كثر عليه الظلم من الدولة استدعى المقداد مثل بني فضل فإنهم طلبوا منهم دفعة أربعة عشر مئة فتظلموا فلم يرحموا فطلبوا المقداد فوصل ونزل العرضي الشاهاني ووقع بينهما من الحرب ما وقع وآل الأمر إلى الصلح بأن يرفعوا عنهم مطلب الفلوس وهم يرفعوا المقداد فتسامعت أهل البلاد فكانوا يفعلون ذلك وشق على الدولة ما هنالك فخرج الأمر من المشير بالقتال فجردوا الأتراك نفوسهم الذي في مدينة العبيد وقدموا على القرى بالمدافع والخراب ففعلوا وصاح المقدد في أصحابه فعيقوا[1] وشمروا ووصلوا والتقى الجمعان وتصادم الشجعان ولصقت السيوف والنصال بالبنان وفر الجبان وثبت كل بطل همام وبقوا على ذلك قدر شهر زمان ولا زالت الأتراك تنزل من صنعاء أرسالاً بعد أن كتب المشير إلى من في ذمار ويريم ومن اليمن الأسفل من إب وغيره بالعزم إلى آنس عاجلاً والإمام لا زال في تعبئة العساكر العربية وإرسالهم إلى آنس بما يحتاجوه ونزلت قبائل من خولان واجتمعت لتلك القتلات العرب أفراداً من كل مكان ووقعت قتلات يشيب منها الولدان والسبب الطمع في العرب وإلّا فهم من الجهاد بمعزل ولكن لما رأوا ما وقع للسابقين من الفَيْد[2] والطمع والبنادق أقبلوا كالغربان ووقع القتل في الجميع حتى أن الواشين كان يحققوا للباشا بمن قتل من الطرفين ويسموا له القتلى من العرب ويسموا له قراهم فكان يخبر بذلك كأنه حاضر أو مشاهد وأما الذي تحقق وظهر فالكسر في المدر[3] أفهم وبعد ارتفعوا إلى ضوران جميع الأتراك والمقداد دخل وسط البلاد إلى جرف الطاهر وبني سلمة وقر فيها هو وأصحابه وغزا على[4] .

وأخذ جميع ما معهم من طعام وسلاح وأثاث وقراش وغنى فيها الفليس من أصحاب المقداد قيل أن الدراهم النقد صندوقين كبار نحو ثلاثة أقداح والسبب أنه كان مجد أو مجتهد مع الأتراك[5] .

ودخلت سنة ١٣١٤ وكملت عمارة باب اليمن وفتح المشير عمارة قلعة في حصن نقم وقلعة في السواد الغربي بالقرب من باب المنجل ولا زالوا يدأبوا فيها الشقاة عرب وعجم وزد

---

(١) صرخوا .
(٢) الكسب .
(٣) من الأمثال والمدر الفخار .
(٤) بياض في الأصل .
(٥) بياض إلى آخر الصفحة قدر خمسة أسطر لعله تركه لتحقيق أخبار تلك الحروب في آنس .

أدخلوا في تفسيح باب اليمن المجزرة ودكيكها[1] ومخازين الجزارين من شرقي الباب ومن غربي نحو بيتين ثلاثة صغار .

وفي نصف ربيع على قيلهم[2] فَنْطَسيَّة واجتمعوا جميع الناس من عرب وعجم وأهل الحل والعقد وجميع أهل المجالس والمأمورين جميع إلى باب اليمن وجرت المدافع إلى هنالك وحضرت العسكر حزبه لما هنالك واستقامت الخيل بركابها وخيل المدافع بأصحابها واجتمعوا خارج الباب وأغلقوه لأجل الدعاء ونيل الثواب وحضر المصور وهو ابن المشير وصور تلك العمارة ومن حضر في ذلك الوقت بزيهم والإمارة حتى أكملهم وهم خاضعون لذلك وسامعون لما يحصل من الدعاء والبركة هنالك وافتتح بالدعاء حسب العادة سيدي العلامة الصفي أحمد بن الكبسي وقد استعد لذلك اليوم ونظر ما يصلح فيه للقوم من المجانسة للمقام وأتى بالشواهد من القرآن ومن سنة سيد الأنام صلى الله عليه وآله وسلم .

ووقع في تلك الليلة زينة كبيرة في المدينة والقصر وبئر العزب والقليع[3] الذي في نقم والحصن وظهر الحمار وأضاف الوالي تلك الليلة العلماء وأهل الإدارة وإمام الجامع وخطيبه وفعلوا في بيته ما يكفي من الدعاء والمكافأة والإحسان .

وفي خلال ذلك التاريخ والناس في أعظم جال وأسوا بال من الشدة وقل الأمطار وغلا الأسعار من شهر رمضان سنة ١٣١٣ إلى آخر ربيع سنة ١٣١٤ فإنها عزَّت الأمطار وغلت الأسعار حتى وصل السمن في آخر سنة ١٣١٣ من رمضان إلى محرم سنة ١٣١٤ رطل وربع بريال وانتهى سعر الطعام في شهر ربيع سنة ١٣١٤ الشعير من المفاودين ربع قدح وثمن والذرة ربع قدح وربع الثمن بريال والحنطة ربع قدح يعجز بريال [كله من المفاودين لأنه رَخَّص لهم رئيس البلدية] والحِلبة ثمن قدح بريال وبقي ذلك مدة عديدة والناس في أهوال شديدة ولا زالوا يتسقوا ويخرجوا إلى الجبانة[4] من أول شوال ومضى الصيف ولم يقع مطر وإلاَّ في محلات يسيرة ولم يتبعه مطر وهم على ذلك يخرجوا للتسقية في كل جمعة بل في بعض الحالات مرتين في كل أسبوع .

---

(١) جمع دكة : وهو ما ارتفع من البناء للجلوس .
(٢) كلامهم .
(٣) جمع قلعة .
(٤) هي مصلى العيدين أنظر أخبارها في تاريخ صنعاء للرازي .

وأما العبر من الله فكائنة من شوال إلى آخر صفر والسحاب والرعود والبروق والطشاش فكان يقع في كل يوم ثمان عشر مرات ترعد وتبرق وآثار زنانين[١] وتنكشف وتطلع الشمس وهلم جرى إلى آخر يوم في صفر وطلعت رياح وجعافير[٢] حمرى أظلمت منها الأرض وأيقنوا الناس بنزول العذاب ومضى الفقيه العلامة عبد الرازق الرقيحي عافاه الله من الأسواق يدعو الناس إلى الجامع يجأروا إلى الله ويستغفروا الله ويتقربوا إلى الله مما رأى ودخلوا الجامع لذلك وأظلمت تلك السحاب وظهر منها البرق والرعد وزال الخوف وأيقنوا بالمطر والفرج ورفع التخويف والحرج وانكشفت وطلعت الشمس وهم في الجامع وكان يقع ذلك كذلك في تلك المدة العديدة فلا قوة إلا بالله ونستغفر الله ونتوب إليه ونسأله التوفيق والرضا وحسن / الختام بحوله وطوله . وكلما جَلَبَهُ الجلاب من طعام وسمن وحطب وعلف أخذوه الدولة غَصباً على العرب على أيدي المتقنطرين يعني المتقبلين لكل شيء متقبل ولاحت الفرصة لأولاد السوق كان يأخذ كل ما جلب للدولة ولم يصح إلاَّ النصف للدولة والنصف يفادوا فيه أهل صنعاء بزيادة ولم يستأصل[٣] صاحب صنعاء مما جلب بشيء .

وفي يوم واحد وعشرين جهز المشير أحمد فيضي السرايا على الرعايا فخرجت السرية الأولة على خولان بعساكر ومدافع وخيام وغيرها والسرية الآخرة على أرحب فأما سرية خولان فحطوا في قرية (أسناف) في الظاهر يتخلصوا ما عند خولان من المقطوعية التي عليهم كل سنة وفي الباطن يريدوا القبض على علي مهدي شديق صاحب بني ظبيان ولكن قد هو محادد لخولان الخارجية بأهله وبيته من زمان لكن باقي على عهده مع الإمام وهو من الذين نزلوا أعانوا المقداد في بلاد آنس وتفود هو وأصحابه بنادق وغيرها ومراد الدولة في قبضه أو قتله أو صلحه ويسكن من المشاغلة لهم لأنه السبب في حق خولان هو والحميدي صاحب راعد وتجارت[٤] حتى وصلوا إلى بني شداد واحتربوا هم وبني جبر ووقع الصلح بينهم على تسليم المقطوعية من الرعايا والدولة يرفعوا من فوقهم المطارح وسَلَّموا الرعايا ذلك وربحوا المشايخ والعقال فيما هنالك وكانت الفائدة معهم لا مع الدولة واستلموا المشايخ ما ذكر ورفعت المطارح من بني شداد .

وأما سرية أرحب فحطوا في بيت دغيش في الظاهر المخلص وفي الباطن يريدوا

---

(١) جمع زينته : مطر ورزاد .
(٢) زوابع .
(٣) يحصل على شيء .
(٤) تلاحقوا .

تسكين أرحب الداخلية إلا أنه وصل إليهم من عند الإمام وبعض قوم ومراد الدولة في التسكين بالبيعة[١] والفلوس كون الزمان غير محتمل لما الناس فيه من الشدة والبياس ولم وقع إلاّ وصول مقدمي من عند الإمام بفلوس وزانه وكلما يحتاجوه فمالوا أهل الدنيا من أرحب إلى الدراهم من الدولة من صنعاء وتبروا من المقدمي وطلبوه الرفعة[٢] فارتفع وأدخلوا الأتراك إلى بعض البلاد بعناية المشايخ والعقال أهل الدنيا وبقي أهل الدنيا يسعوا فيما بين الدولة والرعوي[٣] ولم ينظروا مصلحة[٤] الضعفاء والمساكين كون عملهم للدنيا .

وفي يوم الإثنين آخر شهر ربيع آخر سنة ١٣١٤ وقعت غضبة من الوالي على أهل الإدارة جلسائه وما يريد بها إلا الكباسية[٥] وتوجهت الغضبة على السيد زيد بن أحمد وهزره[٦] من كرسيه ودهفه[٧] وتكلم عليه ومقصوده[٨] قد هيه لهم الجميع من الكباسية وأما بقية أهل الإدارة كعبد الكريم الجرافي ومحسن الشرفي فليس هيه عليه وإنما دق سعيد[٩] إلخ وعذره من الإدارة وبقي في نفسه على الوقف الداخلي وبقي الكلام في حيص بيص بين كبير الكباسية سيدي أحمد بن محمد وبين الوالي أحمد فيضي باشا والمراسلة والتجماع والمتوسطين بينهم ناظر الوقف الداخلي السيد علي بن محمد المطاع ومحمد بن محمد جغمان المفتي على مذهب الحنفية إلى يوم الإثنين رابع جماد أول ومضى الوالي في العربية ومعه أربعة خيالة والياورات حسب العادة من الفليحي فنظر ناس باب السيد أحمد الكبسي فتشوش في باله من ذلك / فدعا بالياور الأول محمد بن هاشم وهو المقرب لديه وصاحب أسراره فأرسله يدخل إلى بيت السيد أحمد الكبسي في الظّاهر يحاكيه[١٠] بشيء مما ذكر مما بينه وبينهم من الغضبة والوقف وفي الباطن يجس من عنده في البيت لما قد في نفسه تتبعاً للرخص فوجد عنده السيد علي المطاع والمفتي محمد جغمان فأخرجهم وخرجوا جميع وأخذوا الذي في الباب وأطلعوهم إلى الحكومة يستنطقونهم ما معهم في بابه وأرسل ياورا

---

(١) خ بلبيعة .
(٢) الأرتفاع .
(٣) المواطن .
(٤) خ مصلحت .
(٥) آل الكبسي .
(٦) جذبه بشدة .
(٧) دفعه على وجهه .
(٨) قصده .
(٩) يقال في المثل الشعبي دق سعيد يعرفك .
(١٠) يكلمه .

آخر يستدعي الياور الأول وقد كان خرج وإنما هيه حكمة[1] وتهداد وأرسل ياوراً آخر كذلك وآخر مثله .

وقد ذكرنا ما حدث في ربيع آخر وهن ثلاث شعب ذكرت جمل وإلاَّ ذلك مغزى آخر غزاه مرزاح كبير الضابطية إلى بيت يحيى دودة في همدان وسلم يحيى دوده وهرب من بينهم ونهبوا بيته وأدى[2] نساء من بيت دوده إلى صنعاء نحو ثمان حريم وبعضهن بأطفالهن ووقع على همدان عشرة ألف ريال جزاء للفساد حق دوده وسلموها جميع همدان حتى أنه خَصٌّ[3] وادي ظهر منها خمس مئة ريال وسلموا الجميع حالاً ونهبوا ما قد كان نَجلوه أهل الربع الأسفل من الجاهلية إلى الجرف الذي فوق قاع الرقة وأخذوه أصحاب الدولة كله وهذا كله قضي فيما مضى « . . . . » وأما الثلاث الشعب مفرده وما آل إليه أمورها فأرحب دخلوا لهم العساكر الشاهانية إلى طرق البلاد القبلية واستولوا عليها جميع وهربوا أرحب جميع ووقع منهم أساري وأدخلوهم مرابيط نحو مئتين نفر في السليب[4] إلى صنعاء وحبسوهم وكانوا يخلوهم يكنسوا في شوارع صنعاء وقد كان هرَّبوا أرحب العفش والنفش والغنم والبقر إلى وادي بني علي وإلى القرى القبلية في طرف بلاد أرحب وظفرت بها العساكر جميع وأخذوها وأخذوا رابية وما صح من أرحب شيء أخذتهم ذنوبهم الأعمال سَوَّاقة يَجِدُّهْ أنهم دَفَّعوا بدار كان فيها عسكر[5] وليست بأول واقعة عليهم فإنها قد هي الثانية الواقعة عليهم الأولة في سنة ١٣٠٣ في دولة أحمد فيضي باشا السابقة .

وأما خولان فإن العساكر الشاهانية انتهبت في خولان قرى كثيرة منها حصروا النَّوبة الحين هذه أخذتها الأتراك جميع ما فيها من طعام وعلف وغنم وبقر وعفش وسلاح حتى أن الذي هربوا دَفَنوا سلاحهم ومطيهم وقراشهم في بعض الوديان وابتاعين للأتراك وأخذوهن باردات مبردات بلا ضربة ولا طعنة غير ما كان يأخذوه من الفيوش[6] والجبال من القراش التي ترتعي حتى أن بعض الزباط[7] حقهم وهو من صنعاء أخبرني أبوه أنها وقعت له خمس مئة رأس غنم وكان يرعاها الرعيان في صنعاء بالأجرة .

---

(١) كأنها من الحكمة .
(٢) أحضر .
(٣) نصيبه من الضريبة .
(٤) جمع سلبة ، حبال يربط بها .
(٥) بياض .
(٦) البراري الزراعية أو الأحراش .
(٧) الضباط ينطق بها على قاعدة الأتراك والمصريين في نطقها يبدلون الظاء زاياً .

وأما خبر سبدي زيد بن أحمد الكبسي فصحٌ[1] عزله وبقي الكلام نحو شهر في حيص بيص وآل أمر الوقف إلى كل قضاء يرجع إلى قضاة وإلى قائمين المقامات قضاء اليمن إلى اليمن ووقف ذمار إلى قائم مقام ذمار ووقف بلاد كوكبان إلى قائم مقام الطويلة / ووقف الحيمة وحراز إلى قائم مقام حراز ووقف ثلا وبلادها إلى قائم مقام عمران وآمنًا بالله . وكل محل يبتاع بثمن جاز[2] حَدّ المغالاة أولاً في صنعاء علي يد الدلّال[3] وبعد يرسلوه إلى قائم مقام ويسلم نصف ما سلّم في أزال وحتى القرى الصغار بأثمان كبار وحسبنا الله ونعم الوكيل . وهذا كله في تلك الثلاثة الأشهر ربيع آخر وجمادين . وثم آية سماوية وهو إشتداد الجدري يعني النفط في الأطفال كان يموتوا منه ولا يسلم إلاّ النادر بحيث أنه كان يحصروا جملة الأموات من الأطفال في كل يوم أقلها خمسة عشر جنازة وأكثرها إلى ثلاثين جنازة في كل يوم حتى أن الخطيب كان يذكر الناس بهذه الموعظة في المنبر مراراً والواعظ كان يعظ الناس ويذكر لهم ذلك وهو الفقيه العلامة الوجيه عبد الرزاق بن محسن الرقيحي عافاه الله .

وفي خلال ذلك الثلاثة الأشهر والشدة على العباد كائنة أعظمها شهرين ربيع آخر وجماد أول . والسعر الحنطة لم عد كان يقع ربع قدح بل دون والشعير ربع قدح وثمن والذرة ربع قدح ونصف الثمن بريال .

وشهر جماد آخر تراخى السعر قليل شهر واحد ورجع العدم والدُّوَّار لكنه دون ما مضى .

وفي آخر جماد آخر وقع شداد بيت عثمان أهل السر بجميع ما يملكوه مما يشد وما هو على الأرض تركوه ورحلوا إلى المشرق ووقع لذلك في قلوب العباد موقع عظيم وكذلك بيت الحسيني أهل رجام شدوا منه وكذلك الفقيه[4] جغمان شد من خولان ومن أول رجب كف موت الأطفال وبقي النفط[5] لكنّه مُسَلِّم[6] .

وفي سابع شهر رجب طلع الوالي إلى مجلس البلدية ودعوا جميع أهل صنعاء إلى عنده وبقي يحدثهم بأشياء عجيبة من الروم والنصارى والفرنج وإعانة السلطان على الكفر وأن المتعين على أرض اليمن خمسة وسبعين ألف ذهبية كل ذهبية ٨ قروش ريال يصح

---

(١) تحقق .

(٢) تجاوز .

(٣) السمسار .

(٤) بياض في الأصل ولعله الفقيه الحسن بن إسماعيل جغمان

(٥) يعني الجدري .

(٦) غير مؤدي إلى الموت .

الجميع ست مئة وألف ريال حجر وصلت إلى كل إنسان بقدر ما خمّنوه المخامِنة الذي لا يخير فيهم حتى وصلت عند المزاينة[1] والحماميين والضعفاء جميع كان يبيعوا فيها أداتهم بعدما كان سلموا فرقتين في ثمانية أيام في جماد في كل أربعة أيام فرقة وهذه المُخَتَّمة[2] والتجار صحّ على الكبار من مئة ريال وبعده ودونه حتى وصلوا عند الضعفاء الذي ما بيلقي له نفقة ولا لعائلته سَلَّم نصف ريال ربع وثمن وأهل المعاشات الذي لهم من الدولة قطعوا عليهم معاش شهرين على كل أحد بقدر معاشهم من عند الوالي إلى عند الكاتب معاشين على كل أحد صح على الشيخ محمد البليلي من الريالات مثات ١٣٥٠ وعلى هذا فقس وتوجهوا الأتراك والمقدمي راشد باشة نحو بلاد حاشد انتهبوا قرية ناعظ وفيها من الأموال ما لا يحصر حتى أنهم لقيوا شخوص ذهب عين من حق بيت القاسم وسلاح وبقر وغنم وفراش المقلل يقول بخمسين ألف والمكثر بمئة ألف ووقعت بينهم قتلة أو إثنتين كبار ورجعوا صنعاء آخر شهر رجب والله يلطف فيما بقي / .

وفي شعبان نتجت نتيجة وصل منهم بعض أجناد ملفوفين[3] غير مكترثين ولا مختبرين بالقتال إلى جبل اللوز وزقموا الجبل وليس فعلهم بأمر إمامهم إنما ترجيحاً من أنفسهم وأما الإمام فما أمرهم إلاّ بالمسير إلى راعد يبقوا هناك لحتى يظهر من صنعاء البوارق والرواعد فخالفوا فوقع بهم ما وقع وخرجت من صنعاء العساكر والمقدمي وقد كان سبقهم مأمور تصليحات الياور حق الوالي محمد هاشم وقعد في تنعم وبقي يخوض بالصلح والصلاح وما فيه للدولة الفلاح فلم يسعدوا الذين في الجبل فقبضوا على الشيخ دهاق ومضى بهم من طرق غابرة لا يعرفها إلاّ أهل النفاق فلم يشعر من في الجبل إلا بالحرب من فوقهم وهم كانوا خارج الحصن في قرى مشتتين ومحافضين على العسكر الشاهانية الذي في شاحك فلما رأى تلك الغازية فقالوا هل من باقية فأخذتهم الغازية أخذة رابية وقتل السيد علي عثمان وناس معه من بيت الحسيني وغيرهم وما بقي إلاّ من فرو ولا ملجأ ولا مفر لمن يخالف ما أمر وكأن لم يكن ورجعوا بيت عثمان إلى الغَيْل جهة الخارد .

وفي رمضان وقع في الروضة باروت في بيت سيدي إبراهيم بن أحمد المعروف ببيت العنبسة وسَلَّم الله سبحانه من كان في البيت جميع بحيث أن الباروت والخراب وصل إلى رأس البيت إلى المكان الذي فيه سيدي أحمد وأولاده وحجب الله وبيت آخر في تلك الليلة في ذهبان .

---

(١) جمع مزين معروف .
(٢) الخاتمة الأخيرة .
(٣) أي مأخوذين من كل بلد .

وفي شوال كذلك بالبارود في الروضة بيت الحاج صالح السنيدار وخرب جميعه ولم يكن في البيت أحد . وفي بيت آخر لم قرح البارود إنما طفي الفتيل ولقيوا البارود .

وفي شهر القعدة أرجع المشير الوقف الخارجي الذي قد كان ذكر سابقاً إلى نائب الوصايا والوقف الكبير السيد علي بن محمد المطاع .

وعزم المشير بالخروج للطيافة إلى رأس الحيمة وبني مطر يريد يجعل قلبع لحفظ البلاد من الفساد ورجع بعد يومين .

وفي شهر الحجة قتل ابن قنبع صاحب سناع في صنعاء ما بين النظارة وباب اليمن وسببه أنه أخذ بندق وخبيره ابن الحسين بندق وهن من حق سيدي كانين من العسكر الذي خرجوا مع بيت عثمان إلى جبل اللوز ووصلوا بالبندقين أمير العلايا[1] إلى الضابطية لأنهم هربوا من عنده إلى عند سيدي ولم طاب لهم المقام فما رأوا ما يتقربوا به ويأمنوا إلا بذلك ولكن كان هذا قنبع المقتول يشغل أكثر الناس كل من رأى من الحواز عند الإمام صار يمسكه ويتهدده بالقبض إلى عُلايا بيه ويعطوه فلوس من كل أحد حتى صارت له عادة فوقع في عمله ومراده .

وقد أحرقوا بالنار بيت القاضي محمد الحيمي في صنعاء في حافة معاذ لأنه كان مستكري دهاق شيخ تنعم . وبعد إحراقه وقتل قنبع اشتدت على أهل صنعاء لأن الوالي صار يخاطبهم فيما وقع في المدينة حتى أمرهم بالمحاريس والدورية الليل مع شيخ الشرطة وصارت الشغلة على أهل الأسواق والغني يسلم دراهم والفقير يدور الليل إلى الصبح .

وسعر الطعام رجع كما كان الشعير نصف قدح والحنطة ربع ونصف الثمن والذرة مثله والصيف قليل والشحة[2] كائنة والبحار[3] نزت في بعض المحلات نسأل الله اللطف بحوله وطوله آمين / .

وانقضت سنة ١٤ ودخلت سنة ١٥ والأمور باقية على ما هي عليه من الفتن والحروب والشدة على العباد في جميع البلاد وغلاء الأسعار الحنطة سعر ثُمن قدح ونصف وربع الثُمن والشعير ربع قدح وثمن والذرة ربع قدح في صنعاء وحوازاتها وريمة وحراز وحفاش وملحان ما خلا اليمن الأسفل فهو أهون قليل وما زد اعتاشوا الناس إلاّ بالجَلَب من اليمن مدة سنة ١٣١٥ من أولها إلى آخرها حتى جميع البلاد أرحب وهمدان وسنحان وعيال سريح وبلاد

---

(١) بالضم والتفخيم (اللوى) (الألاي) .

(٢) قلة الأمطار .

(٣) الآبار والغيول .

البستان وخولان شياطتهم من اليمن وكان المسافرين في طريق اليمن كل يوم مقلّل ألف ظهر يطلع ومثلها تنزل مدة السنة واشتدت الحروب والقتلات في بلاد آنس بين المقداد والأتراك وهلكت نفوس كثيرة وخربت قرى بالمدافع وغيرها من الخراب والحريق كلما استولوا عليه الترك خربوه ولكنها حصلت العصمة لأهل بلاد آنس لم زد بالوا[1] بشيء من ذلك لما رأوا من جور الظلم عليهم من الدولة العثمانية حتى في بعض كان كل أحد من الفريقين يشبع من صاحبه ويبقوا كل أحد في محطته بدون قتال بل متواتين[2] ولك من تعصًا على المقداد غزاه إلى محله وأخذ قريته مثل صاحب قرية المعزية الشيخ أخذه المقداد وقتله هو وأهله وليس ذلك من نفسه ولا لنفسه بل من جهة الإمام وأمر الإمام ولكنه ممتثل لا يخالف ولا يطمع إنما قصده الطاعة للأمام وتسليم الواجبات وكان الوالي أحمد فيضي يتعيًّا للمقداد بكل العياء في أخذه أو قتله حتى أنها وقعت عليه البيعات مراراً عتيدة وسلم منها ولا شك أن ذلك بحسن نيته وإلاّ فقد هلك من هو أعظم منه حالاً ومالاً ولكن الأعمال بالنيات كما قال الصادق الأمين ﷺ وآله الطاهرين .

وفي آخر شهر صفر وصل يحيى دوده صاحب همدان وناس معه إلى عند قطيع إلى الحيمة وغزوا قرية قرامش تحت العرّ وجلسوا فيها وأطاعت ووقع القدوم عليهم من العساكر الشاهانية ووقعت قتلة كبيرة ورجعوا أهل المحل خافوا سطوة الباشا أحمد فيضي فطلعوا عقروا عنده في صنعاء وتَبرُّوا ممن لديهم ونكثوا عهودهم وتفاشلوا فيما بينهم ونزلوا أصحاب الدولة وربطوا منهم جماعة وأطلعوهم إلى صنعاء مرابيط وذاقوا وبال أمرهم والذي كانوا لديهم من العرب أصحاب الإمام لما تيقنوا نكثهم نهبوهم وجميع ما كان في قريتهم حتى أنه ذهب الصافي[3] حق تجار صنعاء وانجلت المعركة حق الحيمة وبقي المقداد يغزي إلى كل محل إلى عتمة وسفل ريمة وإلى طرف الحيمة . حتى أنه أخذ فيها قرية النمير بالقرب من مفحق في جماد تلك السنة وقطيع غزا إلى السخنة تحت العرّ وقبض على أولاد حسين أحسن شيخ مدينة العرّ وهو المتصدر للأتراك وأكبر الأعوان وساقهم إلى بيته وقبض منهم الفداء .

وفي جماد خطر لبعض الناس السفر إلى بلاد الشرفين فوجد أهلها متسلحين سلاح الفرنصيص المسمى بأبو سلك لأنه رأس الفتنة أن الدولة أرادوا كسر الريال الفرنصاوي وتفوّهوا بذلك وشافهوا التجار بما هنالك أنهم يريدون / إهانة الريال وإهانة صاحبه ولكنها

---

(١) أكثرثوا .
(٢) متفقين .
(٣) البن

أدت إلى مصائب كبيرة ومفاسد كثيرة منها إن الريال ما كان يزد يتعاملوا به في البنادر إلاَّ بدون نصفه وأغلوا البضائع جميع في كل بندر وحتى صار ذلك في عدن لأنهم في عدن تحت طاعة السلطان في الظاهر لأجل بقاهم فيه وكانت الرُّبِّيَّة[١] حقهم نصف ريال يعجز نصف الثمن طول الأزمان المية الرُّبِّية تقوم بأربعة وأربعين ريال وصارت الآن فوق المية الريال وكذلك في الحديدة وجده وغيرهن والمجيدي ضربة السلطان كان المجيدي ريال إلاَّ ربع ونصف الثمن وصار الآن نحو ريالين إلاَّ ربع وهو هو وعلى هذا فقس . فقام الفرنصيص عمل هذا السلاح المسمى بأبو سك وأخرجه إلى بندر ميدي بالقرب من جازان وحوله بني مروان متغلبين على جميع البلاد ولعله كاتب الإمام الذي هو الفرنصاوي كونه هو والأتراك متعاونين ومتحاربين وأخرج هذا السلاح والإمام التقفة أولاً لنفسه ولبيت المال وبعد حرض أهل تلك الجهات على شراه وكانت البندق من أبو سك تفرط[٢] على الشاشخاني السلطاني ولعلها تتكلف على صاحبها في مال كبير ولكن مع ما أراد به من المكافأة للأتراك ومع ضعف أهل اليمن أرخص ثمنها حتى أنها كانت تبتاع بخمسة عشر ريال وَوَجُد لها المعابر[٣] حتى كانت تبتاع بستة عشر بريال والناس شغفوا بهن حين أبسروا[٤] فعلهن وبُلَغْهِن[٥] ورخصهن تهافتوا عليهن حتى أن الذي خَطَرت له الخطرة[٦] بالسفر إلى الشرف يذكر أن لم عاد أحد في تلك البلاد ما قد هو متسلح لأبو سك من تهامة إلى حد حجة والشرفين والآن صارت في جهات صنعاء أكثر أرحب وعيال سريح وهمدان والبستان وبني مطر وآنس وبذلك قامت شوكة الإمام والعرب وكثر الهرج والذرب[٧] وهم الدولة الذي أرادوا ذلك ببطلان الريال ومع ما نال الضعيف والمسكين من الفقر والفاقة بقيوا يدعوا ويستغيثوا فصارت هذه الفتن والقتل وغير ذلك والله سبحانه يسري لطفه ويفرج على عباده عاجلاً .

وأما خبر بلاد الشرف فإنه عزم إليها الباشا راشد بيه وهو من كبار المأمورين ووصل طلب منهم المغلبات منها تسليم السلاح مع ما قد هم فيه من الظلم والجور فقامت معاهم الحمية حمية الجاهلية فقاموا قومة رجل واحد على الذي خرجوا يتخلصوا وهم قيل طابور وقيل دون ولعلها الوقعة في بني جِل قبلي حصن قفل شمر ، وبعد قدم عليهم راشد بيه

---

(١) عمحة هندية كانت تستعمل عدن .
(٢) تفوق .
(٣) الرصاص .
(٤) أبصروا .
(٥) مداهن .
(٦) المرة .
(٧) الفتنة والتحرش .

بجميع العساكر الشاهانية وهدر القرية وأباح ما فيها من النفوس صغير وكبير حتى الأطفال والنساء فقامت حفيظة جميع بلاد الشرف ووقعت بينهم قتلات ثلاث يشيب لها الطفل الصغير ويفزع منها الكبير وأخذت العرب القشلات[1] التي في محل الشاهل وهي من عمائر الباشا أحمد فيضي حين وصل إلى تلك الجهات بعد رجوعه بالعساكر المسماة بالرديف التي خرج بها في سنة ١٣٠٩ ووصل بها إلى برط وأسس جميع القليع في أرض اليمن في كل محل وبقي في الشرف قفل شمر محاصر الله أعلم ما يكون منه لأن حال الرقم انقطع السائر والجاي مع سنذكره مما وقع في صنعاء وحوازها .

ودخل شهر الحجة سلخ سنة ١٥ والشدة إلى زيادة وقلة / المطر حتى أن أهل صنعاء بقيوا يتسقوا من شهر شوال إلى سلخ محرم سنة ١٣١٦ والعلماء يحرضوا على ذلك وبقيوا يوعظوا ويذكروا في كل مسجد من بعد صلاة المغرب إلى عشاء والأسعار زد تعالت إلى ما ذكر حتى وصل سعر الحنطة ثمن قدح وربع الثمن بريال والشعير إلّا ربع ونصف الثمن والذرة إلّا ثمن قدح ونصف اليمن والقلّا والبلسن والعتر إلى ثمن قدح ونصف الثمن والسمن إلى رطل وثمن والسليط إلى رطلين واللحم إلى خمسة أرطال بريال وعشرة أرطال بقري من أضعفها وكان تبتاع الشيات[2] من ثمن قرش ونصف الثمن والقوازي[3] أولادهن ما كان يولد إلّا وهو يابس وباعوهن من ثمن قرش لأن ما عاد كان أكلها إلّا تراب فذهبت من الجوع وباعوهن جميع بأبخس ثمن هذا ما إنتهى إليه السعر في آخر سنة ١٥ ، وأول سنة ١٦ وشهر محرم والله أعلم ما يؤول إليه الأمر من المولى جلّ وعلا نسأله الطف فيما قضى بحوله وطوله ونسأله الفرج العام على كافة أهل الإسلام .

وفي شهر شوال سنة ١٥ توفي القاضي العلامة الوجيه[4] عبد الملك بن حسين الآنسي رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار فلقد كان من الإبدال في آخر الزمان سيما من عند وصول الدولة العثمانية فإنه انقطع إلى الله واشتغل بالقرآن وتدريس العلم في قبة المهدي عباس رحمه الله واشتغل بالعبادة سيما الليل ولا فتر عن ذلك ولا عرف باب دولة مع أنهم كانوا يريدون توظيفه ودخوله في سلك من دخل وخطب الخطيب وذكر فاقرة موت العلماء وبعد الصلاة وعظ الفقيه عبد الرزاق بن محسن الرقحي وذلك في المنبر وحرض وذكر وخوّف وأنذر .

---

(١) جمع قشلة القلعة .
(٢) جمع شاة .
(٣) جمع قوزي الكبش الصغير .
(٤) أنظر ترجمته ومؤلفاته ومصادره في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص٤٦٠ .

وفي غرة شهر محرم سنة ١٦ استدعى المشير أحمد فيضي العلماء والتجار والمأمورين وعرفهم أنه قد ثم مشير آخر سيصال وأنه سيبقى في اليمن قومندان[١] في العسكرية مقدمي حرب على القبلة وبقيوا الناس متوقعين وصول الباشا الجديد واشتدت الأمور على جميع الجمهور من قل المطر وتقطع الأسباب وعدم المسافرين بسبب قطع الطرقات من تهامة مع الحراف والشدة بقيوا بدو تهامة يقطعوا الطرق وينهبوا الحمايل[٢] الخارجة من الحديدة ونهبوا الصافي حق التجار وبضاعة خارجة أخرى وأما الأرزاق حق العساكر فنهبوها مرار عديدة مه أنها طعام حاصل دقيق ورز وذخيرة وانقطع الخارج من الحديدة والنازل إليها مدة شهرين والله أعلم ما يؤل من بعد .

ومن أول الشهر المذكور محرم تحرك سيدي القائم وأرسل بعساكر عرب لا تحصى ولا تعد وناس بعد ناس ومقادمة سادة وعرب وكل أحد منهم له قصد ومأرب وهم سيدي محمد بن محسن وفي بيانه عشرة آلاف بكفاية وجوامك غير من لحقهم من الطرق من كل محل ليسوا في بيان ولا لهم إقامة إنما أظهروا نذر نفوسهم للجهاد وقصدهم النهب والفساد وسيدي أحمد قاسم حميد الدين في عسكر مثله وعنوته[٣] الجهة الغربية حتى أنه وصل إلى جبل النبي شعيب وسيدي محمد بن محسن كان عنوته الجهة العدنية والله أعلم كيف النية . ووصل إلى وادعة همدان وبقي نحو يومين ثلاث ونقل إلى رجام وبقي يكتب تعاريف إلى أهل الروضة يلقوه منهم أربعة نفر للمشافهة فلم يمتثلوا وبقي يكرر إليهم الكتب أعذاراً وإنذاراً وهم يتصاغون[٤] وكلما وصل إليهم مكتوب منه / أوصلوه إلى الشيخ مقبل دغيش وهو يأمرهم بالتصاغي والأعراض ويدخل المكتوب إلى الوالي أحمد فيضي باشا والوالي بين طرفين في الظاهر أن قد هو معزول ما له أن يقدم ولا يؤخر ولا يحرك ساكن وفي الباطن يريد الربش[٥] والتشويش كما جرت به عادته فلما لم يجيبوا أهل الروضة مقدمي الإمام بنا من نفسه قد استحقوا الجهاد فدخل إلى الروضة عنوة في شمس بيضاء عصر يوم الأحد سادس عشر محرم وقد كان مقبل دغيش يطلب من الباشا عساكر من الأتراك ومدافع يترتبوا عنده فلم يسعده الباشا ودخل ابن مقبل دغيش يطلبه الإعانة ويستغيث به في الغارة على والده إلى الروضة فأمر به الحبس وحُبس وطلب الوالي في خلال ذلك أهل صنعاء وحبس منهم نحو عشرين نفر من كبارهم بعد المغرب وبقيوا يوم وليلتين في الحبس وآل الأمر على أنه يشتي

(١) خ قومادان .
(٢) جمع أحمال .
(٣) عرضه قصده .
(٤) يتساهون .
(٥) أي الفوضى والأقلاق.

منهم رهائن في الطاعة خشية من أن تقوم الفتنة من المدينة فسلموا أولادهم رهائن وبعد دخول المقدمي الروضة عصر بقي يراسل إلى عند دغيش إلى نوبة سيدي أحمد شوع الليل لأنها نوبة كبيرة ولا أزبن[1] منها ولا أحصن وفيها بئر وما جلس فيها دغيش إلا مقصوده أن ما أحد يقدر عليه لو جلسوا سنة ولا سيما وليس معاهم مدافع مثل حق الدولة وإنهم عرب هو أكبرهم وكل شيء عنده من الطعام وجميع المحتاجات والباشا سيمده بالعساكر الشاهانية والمدافع الكرخانية وبقت الوسائط تسعى من عند إبن المتوكل إلى عند دغيش طول النهار فلم يسعد بل تجبر وتعتا ونفر وبعد المغرب كبَّروا عليه وهلَّلوا كالذئاب على القذرة[2] وأحاطوا به كإحاطة العصابة بالرأس وأتوه من كل جانب ومكان بالمفارس[3] والفيسان[4] والباروت والنيران وحطوا عليه الرصاص من الجهات الأربع كالبرد فتمنى الفرار ولا فرار وأحاطت به ذنوبه الكبار وتيقن على نفسه غضب الجبار ولم ينفعه تحصنه ولا من لديه من العشير ولا نفعه كثر خزنته والذخيرة فاستسلم للأمر طوعاً وكرهاً وخرج مذموماً هو ومن لديه نحو عشرة أنفار قد علاهم الذلة والصغار وغطاهم الباروت والغبار وساقوهم إلى بيت الشيخ محمد البليلي إلى عند المقدمي خايبين خاسرين وبقاهم إلى نهار الإثنين وجعل صحبتهم نحو أربع مية مجتهد من المخلصين وأمسوا بهم ضين[5] وتوجهوا بهم إلى الإمام هذا خبر دغيش .

وأما خبر الروضة فإنه حصل فيها ما حصل من النهب من الذي ذكرناهم إن ما قصدهم إلا الفيد والفساد فإنهم نهبوا بيوت كثيرة وأخذوا أموال كبيرة في تلك الليلة لا غير كل من لم يفتح بيته أخذوه عنوة وشلُّوه هفوة[6] وكل أحد جرى معه بما هو أهله إن خيراً فخير وإن شراً فشر وأخذوا سوق الروضة وما فيه مرة واحدة حتى أبواب الدكاكين جميع وجميع ما فيها من الباضئع والطعام والفلوس والرهون وغني فيها الفليس[7] وفقر الغني فيها / وكذلك وقع في الجراف دون هذا . هذا خبر ليلة الإثنين ليلة سابع عشر محرم ويوم الإثنين أمر المقدمي بتأمين الناس ومن ذهب عليه شيء أرصده وجاء إليه ولكنها نكزت[8] العباد من ذلك النهب لغير المستحقين ولا سيما الضعفاء والمساكين .

---

(١) أمنع .
(٢) كذا في الأصل .
(٣) جمع مفرس وهو المعول .
(٤) جمع فاس معروف .
(٥) جبل معروف باليمن .
(٦) سرعة .
(٧) المفلس .
(٨) نفرت قلوب الناس (توجست خيفة).

ويوم الثلوث رتبوا الجراف وبيت الطوقي في شعوب ونصَّروا في الروضة والجراف وأما المقدمي الذي جاءت طريقه غربي وهو سيدي أحمد بن قاسم فإنه طلع من الرقة إلى (قراتل[1]) والدمم[3] وفتحوا لهم وسروا إلى الجبل وإلى مسيب وخرابة سنف[1] وتركب الحرب على متنه من القذف[1] والقرى المحيطة ووقع حرب نحو ثلاثة أربعة أيام لا أكبر منه ولا أعظم لأن الأتراك تراكموا إلى متنة والقشيل التي فيها نحو أربعة طوابير أو يزيدون وألحقوهم طابور آخر وألحقوا نصف طابور وحفظوا الطريق من صنعاء إلى متنة برتب وبقيوا يرموا بالمدافع أكثر ما يكون على القذف .

وليلة الربوع طلع الباشا أحمد فيضي أول الليل وصحبته طابور عسكر ومدفع إلى متنة وقد كتب إلى الوالي الجديد الوصَّال من أسطنبول أنه يلقاه نهار الربوع من الخميس إلى متنه لأنه كان محيَّر[2] في الخميس خميس مذيور نحو ثلاث أيام مدة الحرب في متنة وقد عرَّف[3] الشيخ الرازقي يلقاه إلى متنه بمعية الحاج أحمد الرماح وشوره وتدبيره لأن في قلبه مرض وما قصده إلاَّ مصلحة نفسه ولو فيها غرض من جميع الفلوس والأراضي والعرض فلقيوا المشير الأفخم حسن باشا وأوصلوه عند أحمد باشا فيضي متنه وعند الغروب جعلوا من يناطش[4] العرب بالحرب من جهة وعزموا من جهة أخرى الباشين[5] وطابور من العساكر ليلة الخميس ووصلوا صنعاء آخر الليل وكان عملهم كله عمل ليل وما رجعوا من متنه إلاَّ وقد اضمحلت الفتنة وسكن الحرب .

ويوم ثاني وصل صنعاء طابوران من متنة وسكنت المحنة هناك .

ويوم الخميس وما يوم الخميس به من حرب ثائر وكان الموت هو فيه خرجت الأتراك من صنعاء وتقدمها الباشا أحمد فيضي على ما كان قد ذكر سابقاً أنه سيقع مقدمي حرب عوضاً عن المشيرية فبدع الحرب في شعوب والعرب أصحاب المقدمي سيدي محمد بن محسن في نوبة الطوقي وطرف شعوب والسواد الغربي فجرت إليهم المدافع الكبار منها الأصفر الذي ما يرموا به إلاَّ الكفار نعوذ بالله منهم .

وممن جاء به فحطوا عليها وما حولها من ظهر إلى عصر وأجلوهم منها وتقدموا الجراف فعلوا إلى آخر يوم ورجع الباشا وأمست العساكر في شعوب ويوم الجمعة من آذان الفجر

---

(١) مواضع .
(٢) كتب إليه .
(٣) متأخر .
(٤) يناجر .
(٥) مثنى باشا .

والمدفع تخور[١] نحو الجراف وخرج أحمد فيضي وقد دبّروا الحيلة والحيل وعملوا ما يفجع العرب ويزيدهم ملل مما ترتجف به قلوبهم ويداخلهم الفشل وترتب الحرب من أقصى جهة الشرق إلى نهاية الغرب ورتب أحمد فيضي العسكر كذلك والعرب ترتبت في الجهة الشرقية نهم وأرحب في شرهان وخشم البكرة وشرقي الروضة والقوم المخلصة في وسط الروضة في حمزة ، وبيت البليلي والصومعة وحولهن الخُوّص[٢] الذي باعوا نفوسهم من الله في الجراف والمدافع على كل جهة وهي نحو عشرة مدافع والله مُدَافع فلو كان الفعل على ظاهرهن ما بقي عربي وعلى / إقدام الباشا وسطوته وجرأته على العساكر الشاهانية وجفوته وبمنٍّ !الله وحوله وقوته دفع الشر وحقن الدماء على قدر ما رأيناه وأما لا بد منه فقد وقع من الفريقين ما يتعقل لأحد كما يقال (ما حسيك الحرب إلاَّ الرجال)[٣] وما لاقا ذلك الأبطال وفرّوا مما هنالك أرحب ونهم الذين ترتبوا في الشرقي قيل بيعات بفلوس وقيل رجفات بالمحسوس والله أعلم وبقي الحرب من فجر الجمعة إلى عشاء في الجراف والروضة من حمزة وبيت الشيخ محمد البليلي إلى عصر وأما الباشا أحمد فيضي فإنه زحف من الجهة الشرقية وما تغدا إلاَّ في الروضة في بيت الرداعي باب الحديد وأقبلت له الأغذية من كل بيوت الكبارات في الروضة وبقيت الفواكه واللحم والسمن والبقش[٤] من كل جانب ومكان وبعض العساكر الشاهانية دخلوا من بئر زيد إلى بيوت المغاربة وبقيوا فيها وفعلوا مثلما فعلوا القبائل في الليلة السابقة ليلة أخذت دغيش والذي ما قدروا لأخذه أحرموه[٥] مكانه كسر وحريق وعصر[٦] قدم الباشا من (شارع) المخالف[٧] إلى بيت مرح وركبوا المدفع منه إلى بيت البليلي كون المقدمي فيه سيدي محمد بن محسن ووقع فيه ما لا بد منه الذي زحزح من فيه وبقي المقدمي إلى آخر الليل وأصحابه بلا غداء ولا عشاء ولا زد أحد التفت إليهم من أهل الروضة وخرجوا جميع والباشا رتب الروضة ورجع آخر نهار الجمعة بعد المغرب .

ويوم السبت خرجوا جميع أهل صنعاء ينظروا بيوتهم وما قد صار فيها من الفريقين . ولولا خديعة أرحب ونهم ما وقع ذلك ولكن كان منهما عسكر عنداً الأتراك من أرحب ونهم هم الذين سبقوا إلى أصحابهم وما ذكرناه من الذي ذهب في الروضة فهو كذلك وأما فعل

(١) تصيح (بمعنى تضرب) .
(٢) الخاصة .
(٣) من الأمثال الدارجة شبه الحرب تجيل علقها رجال أبطال .
(٤) جمع بقشة وهي قطعة قماش يلف داخلها ما يحتاج إليه من زاد وغيره .
(٥) أتلفوه .
(٦) أي في وقت صلاة العصر .
(٧) شارع في الروضة سبق ذكره .

الجراف فهو أشد كون أهله حراف وشلُّوا لهم النجارة وأكثر فعل المدافع فيه لأنه أركب[1] للحرب أكثر .

وانجلت المعركة وغني الفليس وأفلس الغني فلا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

ونرجع إلى ما كنا بصدده من وصول المشير الأفخم الأغن[2] والباشا الهمام حسن حلمي فإنه وصل ليلة الخميس وأصبح في البيت الذي مقابل بيت الميري الذي فيه أحمد فيضي وواجه للناس وخرجوا إليه جميع الأكابر والمأمورين معهم وتلقاهم أحسن تلقي وعرفهم أن السلطان عرفه شفاها وجعل له فرمان بيده وأنه ينتبه على أحوال اليمن ويعرفه ما سبب الفتن ويكون للضعفاء عوناً ويتفقد المأمورين ويرفع المظالم ويزيل المآثم ويمضي الحدود ويحل العقود ففرحوا بذلك فرحاً عظيماً حيث هو من أجلهم وبهم رحيماً فكل أحد أقبل بما في قلبه وبثه لديه المكتوبات مكتوبات والمشافهة والمسموعات فأصغي لكل فرد وأكمل ما لديهم عدّاً وسرد .

ويوم الجمعة طلع يصلي في الجامع المقدس هو وأصحابه وهم نحو خمسة ستة أنفار وكلهم متوجهين بالعمائم وحركات وأفعال كلها تلائم ونمَّق الخطيب الخطبة وبيَّن فيها المحبة والرغبة أو عسى يحظي بقربة وبعد الصلاة وعظ الفقيه (عبد الرزاق واستهل الوعظ بقول الله : ﴿الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة﴾ إلى آخره) .

ويوم السبت طلع الناس لسماع الفرمان السلطاني والغالب العثماني وجُرَّت لسماعه المدافع وحضر كل قريب وشاسع وبعده واجه للخلق في الحكومة وهو وأصحابه كالأرومة واستوفى/جميع من عند الكبير والصغير وتحقق منهم للنقير والقطمير حتى القشامين أطلعوا القراشش والسرات[3] حق المساني[4] وكلًا منهم لعزل المطاع[5] باني[6] ولا سيماحباجة صاحب حدة فإنه لقيه بالمشكا إلى الحيمة بالمطاع وعرفوه شفاهاً أنه قطع عليهم المواساة والمقررات وأخذ الكلية والسعر رباعي ونصف وحاسبهم بفلوس من قدح قرش وأحصى ما لديهم عدداً وبعد ثلاثة أربعة أيام أمر جميع المأمورين الذي قد لبسوا الزنين والكوافي بأمر أحمد فيضي غصباً أن

---

(١) أكثر تصدي .

(٢) كذا .

(٣) جمع سره الحبل الغليظ .

(٤) جمع مسنى معروف .

(٥) هو علي بن محمد المطاع والى الأوقاف .

(٦) واثق من نفسه .

يتعمموا ويتزينوا بزيهم السابق فرجعوا إلى عاداتهم من الملبوس وأزال عنهم جميع البؤس لأنهم فعلوا ذلك خوفاً من سطوة فيضي وما لهم بها من رضاء ولكنه ساقهم القدر والقضاء «والقضاء قضا فيما مضا»[1] ويوم ثاني أدخلوا بيت عرهب من الجراف مرابيط بعمائمهم وحبسوهم وتهددوهم وأخذوا منهم فلوس فوق ما سلّموه اليوم الأول لبعض الأتراك في سلامة بيوتهم وجرا عليهم من الامتحان ما لا يوصف وانجلت المعركة وقررت القبائل مقدار أربعة خمسة أيام إلى غرة شهر صفر المظفر وأرجعوهم المقادمة سيدي محمد بن محسن وسيدي أحمد ابن قاسم وبقيوا يومين في الجاهلية ونفذوا حظور وأخذوا رهائن من بلاد البستان وأمسوا عند عيّاش خارج القرية وسلّم لهم محتاجاتهم ودخل صنعاء يستغيث كذلك الأسد سلّم ما طلبوه من كفاية وغيرها وتوجهوا إلى بيت الرماح على حين غفلة سيدي بن قاسم وسيدي محمد بن محسن توجه الحيمة ودخل بيت الشقاقي وطلع إلى رأس الحيمة وطلب محمد محسن الأحمر فأبى عن الطاعة ونفر ودخل حصنه استقر فأحاطوا به المخلصين وقدموا عليه الموحدين فأخذوه أخذة رابية ولم يبقوا له باقية وقد كان له يجمع الأموال والحبوب والسلاح من أيام سابقة وكان من أصحاب الداعي قبل وصول هذه الدولة وبعد أخذ المشيخة على بعض بلاد الحيمة الأحبوب وبني السياغ وغيره وبقي يجمع ذلك وجاء له ابن من خادعه استنصف لله ولوالده وبقي سيدي محمد في الحيمة يحوم حول العر وسيدي أحمد بن قاسم قبض على الحاج أحمد الرماح وطلب منه ما يجب من الوفاء بالمناصرة وعدم المخالفة والمساجلة[2] للأتراك فبذل له مطلوبه وسلم ما يجب من الإعانة والرهانة وتوجه إلى المراحضة.

وأما جبل ضوران فإنه صار محاصر بجميع أهل البلاد لأن البلاد كملت للمقداد مقدم الإمام وما بقي غير الجبل وابن غيلان ووقعت قتلة كبيرة لأن (أهل) البلاد قدموا إلى جنب المدينة وأخذوا القرى المحيطة بالمدينة وغيلان وعساكر الدولة بقيوا يرموهم وبعد نزلوا عليهم إلى خارج المدينة وكانت القتلة الكبيرة.

وأما الباشتين فبقيا في صنعاء/مطّنين[3] ورتبوا العساكر الشاهانية والطريق الغربية من صنعاء إلى مناخة مطرح جنب مطرح ومحطة تلي محطة حتى أن الطريق

---

(١) من الأمثلة الدارجة.

(٢) المناقشة.

(٣) حائرين واجمين.

ذرور[1] في كل مطرح قوم كبيرة حتى أنها وصلت إليهم يوم الجمعة قوم خارجة من داخل نحو أربع مائة ووصلوا صنعاء وما أحد اعترضهم من ما ذكر من حفظ الدولة لتلك الطريق وأما الباشا السابق أحمد فيضي فإنه كان يراسل بالفلوس من صنعاء إلى الحديدة وأكثرها نزلت مع محمد هاشم حقه الياور حين نزل يلقى الباشا الآخر في الظاهر نزل يلقاه والباطن أنزل له ما يهواه والنزلة الثانية شد كل ظنين[2] وأرسل به مع الحريم نساءه عَزَمَيْن بعد وصول الباشا أحسن حلمي ومشد كبير وعزم بنفسه ليلة الإثنين ٢٢ صفر وشد ما ينفعه داخل من فلوس وذخائر وباع ما يثقله من جملتها سمن وعسل بنحو ألفين ريال واليوم الذي قبل عزمه يوم الأحد ليلة إحدى وعشرين وصل باشا كبير في درجة المشيرية اسمه عبد الله باشا لكنه على العسكرية ودرجته أكبر من حسن حلمي الذي على الملوكية الذي عدم المأمورين. ولا زال الحرب ثائر في شهر صفر من أوله وكل من وصل أو خرج من بين فرث ودم ولكن كون الطريق ثابتة معهم مرتبة منهم كانوا يمضوا ولكن الليل ولعل الحاج أحمد الرماح والرازقي بيلعبوا بالدولتين كما يقال: «إن جاد مولانا قلنا يا إمام القبلتين وإن جادوا أصحابي فأنا ابن حصن الظبيتين».

ويوم الجمعة ١٩ صفر توفي القاضي العلامة مفتي الزيدية القاضي محمد ابن أحمد العراسي[3] رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار فإنها فاقرة في الدين كبيرة لأنه متصدر للفتوى لمذهب آل محمد ﷺ ولا يخشى في الله لومة لائم مدة عمره سيما في أيام الدولة العثمانية فإنه بقي على الفتوى سبعة وعشرين سنة وآخر عمره بقي في الروضة نحو سنتين وكان موته في وادي ظهر لأنه رحل من الروضة في شهر محرم مع ما ذكر من الخوف في الروضة والحرب وكانت حفرته هنالك.

ويوم سبعة وعشرين أخذ القوم الذي في الحيمة مدينة العر وبقيت المنصورة في يد أصحاب الدولة التي هي معقل العر وما زالت العساكر الشاهانية تغير من صنعاء وما زال سيدي يراسل بالعساكر من العرب في كل فج عميق وأكثر ما ألجاهم إلى إجابة سيدي للجهاد ما نالهم من الشدة والجوع وما زالت الشدة تتزايد على العرب في

---

(١) ملآن.

(٢) ثمين تظن به نفسه.

(٣) هو مفتي صنعاء مولده سنة ١٢٤١ وعكف على الجموع الكبيرة من الشيوخ وتخرج عليه جمع غفير وانتقل آخر عمره إلى قرية الروضة ولما دخل جند الإمام الروضة كما سبق ذكره رحل إلى القابل وقد أصابه مرض في الباطن فتوفي في ٢٥ صفر سنة ١٣١٦ (انظر أئمة اليمن ج ١ ق ٢ ص ٢٦٦).

اليمن حتى انتهى السعر في صفر إلى أن صار القدح الحنطة بتسعة ريال والذرة بثمانية والشعير بأربعة حسبنا الله ونعم الوكيل/.

وفي آخر شهر صفر أخذ المقدمي سيدي سيدي محمد بن محسن العر مطرح الحيمة وبعد ثلاثة أيام أخذوا المنصورة حصن العر إلى رابع شهر ربيع ووقع الحرب بين الفريقين في رأس الحيمة لأن قوم الإمام قد كانوا في بيت معدن والمساجد وقوم الباشا حسن حلمي في القليس فوقع حرب عظيم طول اليوم وتقدم الأتراك من القليس ومتنه ومن صنعاء خرجت أتراك كبيرة وطلعوا على الذي في بيت معدن وراحت نفوس لا تحصى من الفريقين والمكارين أكثر وأخذ الأتراك بيت معدن قهراً وفرت العرب شذر مذر لخسارة نياتهم زد أخذوا من أداة العرب ما قدروا له حمله.

وصبح الأحد سادس ربيع تقدم قوم السلطان بالمدافع والعدد العديد على مدينة العر ودخلوها عنوة «. . .» وقد كان بعض القوم من العرب في قرى سامك طرف بلاد الروس لهم نحو نصف شهر فخرجت العساكر الشاهانية يريدوا يلقوا الميرة الطالعة من ذمار طعام وفلوس من اليمن فلعلهم ناوشوهم بالحرب فقدموا عليهم واحتربوا يومين وأخذوا سامك وما فيه أخذة واحدة ونزلت الجمال والبهائم تشد ما في سامك من الطعام ووصل صنعاء قبل وصول الميرة المستعدين لها فهذه أفعال العرب وخسارة نياتهم فلو صلحت بواطنهم لصلحت ظواهرهم «وكيف ما تدين تدان» ولاحت الفرصة للقبائل في كل جهة سيما الطريق العدنية فإنه استمر النهب من نقيل سمارة إلى المحاقرة لا أحداً زد عذر أحد وذلك بغيتهم ومرادهم، وأما الحداء وعنس فأنهم أفرطوا في الطرق وكل من كان جاوع والإسم أنهم أصحاب الإمام وليس كذلك فيا خسارة نفس في تجارتها لم تشترِ الدين بالدنيا؟ ولم نسم فيستغفروا الله من الذنوب التي لا تعد ولا تحصر نسأله أن يفرج عنا وعن كل مضطر بحقه عليه وجاهه لديه فأن الناس في هذه السنة ١٥ الخارجة وأوائل هذه الداخلة ١٦ في شدة عظيمة وغلا عظيم واستمرت الشدة والغلاء وهذا السعر من الطائف إلى عدن وخرجت المشارق بنسائها وأطفالها وحطوا في صنعاء بعضهم ونزلوا اليمن وآنس حتى ملؤا الأرض وفي صعدة والمغارب كان السعر بدون ما ذكر في صنعاء ينقص الثلث والنصف/.

وفي رابع شهر ربيع أول سنة ١٣١٦ فرج الله على العباد والبلاد وفتحت الإجابة

بالأمطار وعمت جميع الأقطار ولم قد وقع مثل هذه الأمطار في هذه المدة نحو أربع خمس سنين ولكن قد كان زلت[1] أيام الصيف ومذرى الذرة لأن قد كان خريف بدع المطر في نصف نجم علب وتكاثر في سهيل وعدمت على الناس الأصياب[2] مع السنين المتتابعة في الشدة والخُلف وقلة الأمطار وقد السعر قبل المطر القدح الحنطة بتسعة والذرة بثمانية ومع وجود الرحمة زاد الغلاء في الأسعار حتى صار في ربيع الحنطة من ثمن قدح الأربع يصح القدح ٤/١٠ مسه والشعير رباعي وربع يصح القدح بستة وربع وثمن والذرة اليمنية ٩ ولكن لله الحمد على كل حال ولم زد نفقت الأموال في جميع البلاد مع الركّة الضعفاء يشتوا يقيموا أنفسهم ويذروا أموالهم والمتمكنين قد سطع[3] فيهم البلاء والجوع مع ما قد ربحوا في الطعام من قد حين كنزوه واحتكروه ومن قدح ونصف وآخر ما قبضوه من سعر قدح حتى صار مع كل واحد عشرة أضعاف ولم زد راقبوا الله ولا زد أيقنوا بحدوث الرحمة فله الحمد حين أخزاهم.

وأما خبر الحيمة ففرت أرحب وثبت المخلصون من كل قبيلة ولم يفارقوا المقدمي سيدي محمد المتوكل وبقيت القتلات تتكرر بين الفريقين والحرب باقي مستطيل ووقعت قتلات عظيمة قتلة في نصف ربيع وقتلة رابع وعشرين ربيع في تحت العرّ في بيت محمود وغيرهم يشيب لها الطفل وما زالوا على تلك الحال إلى آخر بيع أول والله أعلم ما يؤول وضوران باقي محاصر وآنس في يد المقداد جميع وأصحاب الدولة جميع انحصروا إلى الجبل عند غيلان، وحصل قفل شمر في بلاد الشرف باقي محاصر ولكن الكفاية معهم سابر الماء من كثر الأمطار امتلت البرك والطعام من الحديدة مع أن القفل مشرف على تهامة من جهة قبلة بغرب ومع أن البوني البدوي صاحب تهامة معتني مع الدول بيصال إليهم عبيدة وعساكر من الحديدة بجميع المحتاجات خلا أن البلاد باقية على الفساد، والحرب ثائر قيل أن في هذا شهر ربيع خرجت عساكر كبيرة من الحديدة (رديف) وطلعت على بلاد الشرف وتلقوهم أهل البلاد بالحرب والقتل ووقع قتلات لم قد وقع مثلها إلا في أيام صفين مع أمير المؤمنين.

وفي صنعاء حماها الله بقي الباشا الجديد يصلح أمورها/بإظهار العدالة السلطانية وعزل ناس ممن قد ظلموا وأمر بتقسيم دارهم صدقة للضعفاء والمساكين

---

(١) مضت.

(٢) جمع صيب بذور الحبوب.

(٣) صدوع أثر.

وشرعوا في تقسيمها لكل نفس ريال وأمر الرعايا الضعفاء العاجزين عن إقامة أموالهم بالمذرا [١] من عُدْم الصيب أن يصلوا يستلموا قرضه منه في صيب حتى تحصل ثمارهم وأمر الذين أخذ الظلمة أموالهم سابقاً أن كل أحد يرصد ما أخذوا منه وأنه غير راض بالظلم وإن كان متقدم، ووقع تقسيم الفلوس بأهويات العرب قد كان رصدوا جميع المساكين في كل حارة وبعد كأن الفلوس قليل لقطوا من البيان نحو الخمس وعند التسليم وقع الخطأ والصواب ضعفاء وأيتام لم اتصلوا بشيء وناس منظرين[٢] وصلوا عند شيء بالنصيب والنصيب يخطىء ويصيب وبعض من قد ظلم وتعدّى صار المقرب والمَبدًا وبعض كما ذكر السيد أحمد[٣] (خبط عشو).

وفي آخر ربيع ارتفعت العساكر الشاهانية من الحيمة إلى صنعاء من قل الطعام ووصلوا صنعاء بحشرة[٤] عظيمة وحشروا جميع ما في صنعاء من حبوب وخبز وخريف وكل مأكول حتى أخذوا ما استكاله[٥] الضعفاء من سوق الحب وحطوه[٦] طوعاً وكرهاً وبقيت الأمور تمور انقطعت السبل وعدمت المجلوبات إلى صنعاء حتى أن السليط[٧] وصل سعره رطل ونصف والسمن رطل وثمن والطعام كما ذكر سابقاً وكلما ستمتد الطرق وقع السخري لجميع الدواب حتى بهائم القشامين وأهل البوادي وينقطع الدخل وهلم جرا وأما طريق الحديدة وعدن فانقطعت وبقي الطعام والرز والدقيق حق الدولة محير في الحديدة حتى إن قد ذهب شطرها من المطر وسبخة البحر والسبب عدم الجمال وجوع البهائم وكلما أخذوا من جمال ماتت حتى أن الشراعي كبير بندر الحديدة تقرب لله بشراً ثلاث مئة ظهر جمل للدولة تشد أرزاق العساكر وقائم مقام ريمه خمسين ظهر وذهبت قبل وصولها ونهبت، والجمال المعتادة لشداد انقطع أهلها من السفر من جوعها وخوف جوع أهل تهامة البدو والآن أخبروا أن قد شرعوا في أعمال عربيات[٨] في الشام ويخرجوها اليمن تسحب أرزاق العساكر.

---

(١) هو آلة يدري فيها تشبه القمع.

(٢) منتظرين.

(٣) يعني به الأديب أحمد شرف الدين القارة الكوكباني المتوفي سنة ١٢٩٣ يقول:

ضاعت الصعبة على الخلفا　　خبط عشوى والسراج طفا

(٤) بأفواج.

(٥) ما كالوه.

(٦) تركوه - أي أهل صنعاء -

(٧) هو الزيت عند غير أهل اليمن.

(٨) لعله يعني بها القاطرات الحديد وقد فكرت الدولة العثمانية في مده ولكن لم يتم.

وفي غـرة ربيع آخـرخـرج الشيخ محـمد بليلي بـاشا يفتح مـدافن أهـل حـظور ويجرٌ منهـم ألف قـدح قرضـه إلى خـير ويقطعوا مما يستقبلوا من الصـراب ومـا زال يرسـل بالطعام من عنـد الطغام الـذين لم يـكن لله فيهـم سـلط الله من لا يرحـمهم لسبب نياتهـم وفسادهـم ووقع فتح مـدافن كـثير في كـل محـل ممن لم يمتثل ومن امتثـل سـلم من يـده برضـاه واخـتياره [لا] مجبراً مكرهـاً وقد كـان الضعـفاء يـصلوا إليهـم يـشيطوا منهـم فـلم/يسعـدوا وبعض الضعـفاء من قـراهم رهـنوا عندهـم أموالهـم وبـذلوهـا لهـم بيعاً بأبخـس الأثمـان في طعـام من قـدح ثمانـية ريـال فـلم يرضوا إلاّ القـليل الـذي أخـذوا الأمـوال بأبخـس أثمانهـا فسلّط الله عليهـم من ذكـر كـما قـال صلى الله عليه وآله وسـلم: «أعمالكـم عمالكـم كيـف تكونوا يولّى عليكم».

وفي ربيع الآخـر من سنـة ست عشرة ارتفع القـوم العرب ومقـدميهم من حـراز ورجعـوا نحـو القـبلة لأن قد كـان خـرجت طوابـير كـبيرة رديف من الـروم من عند السلطان غـارة لليـمن ومن فيه من العجـم قيل عشرين ألف وقيل أكثر وخـرج بعضهـا من القنفذة وبعضهـا من الحـديدة وخـرجت الأرزاق المذكورة من طعـام وحـنطة ودقيق ورز شعير حـسيك وتحـيرت في الحـديدة وتوجهـت أكثر العساكر الشاهـانية إلى بـلاد الشرف وكـان مرادهـم بعد أخـذ الشرف التوجـه عـلى الإمام وقـطع الشواغل عليهـم فوقع في الشرف قـتلات عظيمة لا توصـف ولا تحـصى عـددا وبعد وقـع فنـاء الطاعـون فيهـم حتى قل عددهـم ونفذ عليهـم من الميـرة مددهـم وألجأتهـم الحـاجة والضـرورة إلى الرجـوع إلى الحـديدة وأجـمعت آرائهـم على ذلـك وتواتـرت الأخـبار بـما هـنالك والله المـدبر والمسير والقادر والقاهـر والناصر.

وفي شهـرر جـماد أول رجعـت القوم إلى الحيـمة ودخـلوا بعض القرى وغزوا إلى سوق الربوع تحت العرّ ووقع من السـلب والنهب والقـبض على نـفوس.

وحـال الرقم في جـماد أول ولم قد استدت الطـرق من شدة القـل والجوع في الأوادم[٢] والقـراش حـتى أن البضائع المجلوبة صـارت غير المستعملة كـل يـوم من الهندية والشامية أثمانهـا مثنيّة[٣] وأما المستعمـلة كـل يوم مثل الطعـام والسـمن والسليط والقـاز[٤] فباقيـة بمربوع أثمانهـا على ثـمن الغلاء في السنـة الماضية سنة ١٥ لأن من حين دخـلت

---

(١) يتأتى ذلك.
(٢) جـمع آدمي معـروف.
(٣) مضاعـفة.
(٤) يحـقق إذا كـان القـاز معروفاً في ذلك الوقـت.

سنة ستة عشرة لم زد رجع شيء بل بقي على ما ذكر الحنطة سعر القدح × مم الشعير قدح الذرة قدح السمن ١,٢ السليط ـ ١ وأرجو الله برحمته أن يفرج على عباده فرجاً عاماً عاجلاً وأما أمور صنعاء فيما بين العباد فبقيت على السابق المعتاد شرع وشريعة وقوانين للخراب ذريعة لم صح مما ذكر أولاً وذكره الناس إلاّ حبس محمد هاشم ياور أحمد فيضي وحبس السيد حسن الثلاثي خلاصة مرزاح والمخاربة[1] أكثر من العمارين وكل أحد مقصوده مصلحة نفسه لا غير ولم يبلغ أحد المراد ولم تصلح البلاد ولا زال الفساد لشيء يعلمه الله نسأل الله اللطف بعباده.

وآخر جماد أول وأول جماد آخر وصلت العساكر الشاهانية بقية الرديف الخارجين غارة على اليمن إلى صنعاء نحو خمسة عشر ألف دفعات متفرقة وكان يستقروا في صنعاء أيام قلائل ويرسلوهم إلى القبلة أكثرهم من طرف شبام وبيت عذاقة وحجه لأن قوم الإمام وصل إلى الدومة وقيل إلى نيسا تحت حجه فعزموا نحوهم.

وفي أول جماد آخر/رجعوا الذين كانوا في الحيمة إلى القبلة مرة ثانية حيث لم زد بقي لهم مجال مع سعة عساكر السلطان ومواجهة أكثر البلدان وكانت طريقهم من بلاد كوكبان. وغزوا قرية في بلاد الشاحذية وقتلوا المدبر ابن الشرفي من كوكبان وجماعة معه وأسروا آخرين وعزموا.

وفي ذلك الشهر طلبت الدولة أهل هجرة العر ستة عشر نفس مسمايين وأطلعوهم صنعاء تحت الحفظ في الليل وأخذ سلاحهم جميع أبوسك وهو المطلوب وصحبتهم ناس آخرين من الحيمة من بيت الشقاقي وغيره وصاروا في حبس صنعاء.

ويوم السبت إحدى وعشرين جماد آخر سنة ١٣١٦ عزم المشير عبد الله باشا القبلة من صنعاء بأجناد كبيرة وكانت طريقة شبام وكوكبان وبيت عذاقة وحجة وبقي هنالك واستمر السخري في صنعاء لم زيد انقطع بسبب محتاجات الدولة للعساكر حتى أنه عدم كل شيء في صنعاء وما عاد كان يدخلها شيء إلا إذا شيء بهائم خاسرة ما تمشي للسخرى وأما الجمال فانقطعت بالكلية خصوصاً من الجهة العدنية التي هي روح صنعاء وحصل الصراب وروجوه في جميع البلاد ولم يوجد في صنعاء الطعام بالبتة وأما خارج فموجود في القرى وفي أسواق القبائل والسبب السخري لأن من

---

(١) المخربون.

قبضوا جملة ما زد فلّتوه أبداً مراحل بعد أخرى أو أراضي بعيدة حتى كانت تذهب الجمال من الجوع والجور وما راح منها ما يقع لصاحبها عوض شيء بل أنه يخسر الجمال توافي لنفسه وقراشه من طرفه فانقطع دخل الجمال صنعاء بالكلية وما عاد كان يقع لأهل صنعاء الضعفاء والمساكين شراء شيء إلاّ من البراري نحو ميل غرباً وشرقاً يمناً وشاماً وأما المتمكنين فما ضرهم شيء ولا انتبهوا على المساكين وإنما كل أحد نفسي نفسي وحتى أنها عدمت الأكفان في صنعاء عدم لم يعهد مثله نسأل الله اللطف فيما قضاه وذلك من كثر الموت وقل الجلب[1].

وفي أول رجب توفى سيد زيد بن أحمد زيد الكبسي[2] وفي آخره توفى الصفي العلامة أحمد بن محمد الجرافي[3] وفي أول شعبان أرصد الوالي عسكر خيالة وجندرمة من أبناء الناس والسادات وكسوهم كسوة سلطانية الله أعلم ما مراده بذلك.
وأما أخبار بلاد الشرف فلا زالت القتلات متكررة وقتلات لم يعهد مثلها إلا في أيام صفين حتى أن الأخبار تواترت أن القتلات مئات وألوف ولم سمعنا بأقل وصنعاء في ضيق عظيم من قل الأسباب وعدم الدخل وعدم الطعام فأن كل صرب أو قياض[4] يوجد الطعام شهرين وأما صراب سنة ١٣١٦ فلم يوجد في السوق شيء وهذا في شعبان بعد الصراب بشهرين/، وآخر خبر القبلة بعد القتلات المفجعة وكثر المدافع المفزعة التي اجتمعت مع عبد الله باشه في وادعة نحو أربعين مدفع وقدموا بها جميع إلى جهة القفلة وكان لا تسكن ساعة ودخلت العساكر القفلة وأمسوا ليلة ورجعوا وبعد يومين رجع سيدي القفلة وعاد عبد الله باشة في وادعه وسكنت الضوارب.

وفي شهر رمضان طلع لبعض الفقهاء التقرب بِقَلْبت[5] وقت عشاء صنعاء المعتاد إلى مثل عشاء الدولة ومكة وجدة والحديدة بعد مضي ساعة وقد مضت أمم وأئمة لم تعرضوا لذلك ولكن المتعرض من النشأة[6] الأخيرة.

وفي شوال خرجت قوم من جهة سيدي عاثت في الحيمة وحراز ونهبوا الرعايا وأفقروا كم من غني؟ ولم يتم لهم مأرب وكل ذلك المخرج والفساد ما وقع إلا سبب

---

(١) الحبوب القمح.
(٢) هو العلامة الكبير أحمد بن محمد الجرافي وله بصنعاء سنة ١٢٨٠ وبرع في علم الفقه وله فيه.
(٣) مؤلفات كثيرة توفي سنة ١٣١٦ (انظر عبد الله الحبشي في مصادر الفكر الإسلامي ص ٢٤٩).
(٤) سبق ذكره وهو موسم الثمرة.
(٥) بتغيير استبدال.
(٦) أي الشباب الجديد الذي لا يعجبه سلوك المتقدمين.

لهلاك دغيش وأخذ معه وأخذوا أسيراً إلى شهرنا شوال سنة ١٣١٦ وطلع في باله أنه يكاتب لقبائل سحار وغيرهم لأنه محبوس في السنارة في صعدة وكاتب سيدي أنه يفتدى نفسه بما كان من المال النقد ويريد الإطلاق والوصول إلى موقف سيدي وقبل سيدي ذلك وأطلقه وهو قد عرف القبائل يلقوه إلى العمشية يفكوه من أيدي الرسم السجانين وهو مضمر الغدر والمكر فوصل القوم إلى العمشية عشروا بالبنادق في السجانين كونهم محيطين بدغيش قصدهم يفشلوهم لا غير ومع وفا مناياته[1] خرج من الديمة ينظر ما قد هم فيه فأصابته رصاصة من تلك التعشيرة ولما تيقنوا الرسم. فعله وغدره قطعوا رأسه وشلوه إلى عند سيدي.

وفي رابع القعدة سنة ١٣١٦ توفي الولد العلامة العزي القاضي محمد عبد الملك[2] وعمره نحو ستة وثلاثين يزيد سنتين لا ينقص وفي ذلك الشهر في ٢٥ توفي السيد العلامة الكبير الشهير أحمد بن محمد الكبسي[3] وفي ١٦ شهر الحجة توفي القاضي عبد الرحمن بن أحمد المجاهد[4] (وطلب الوالي المشايخ جميع وحبسهم وطلب منهم رهاين وسلموها).

ودخلت سنة ١٣١٧ في شهر صفر بدعت الدولة عمارة باب شرارة وبعده عمارة الحكومة مكان بيت الشايف الذي كان حكومة من عند وصولهم ونبشوا موثر[5] عميق وكبسوا فيه فضة وذهباً وعقروا البقر والغنم وغرم الوالي للدورية إلى اليمن ورجع بعد شهرين وبقي الواحي يحبس من أراد ولم يخرج حتى أن أكثرهم مدينين مثل البخيتي وأبو هادي وغيرهم حتى امتلأ الحبس وأمر بهم الحديدة وعزموا في رجب دفعتين مع كل طابور نحو/أربعين نفر وكلهم مستحقين لذلك وإلا فهم نحو ثلاثة أربعة أنفار الذي دخلوا في نفوس الناس، وقد أحدث الوالي هذا ثلاثة مجالس الأول استخانة[6] للعرب الضعفاء والغرباء وهي شرقي مسجد توفيق وثبتت ورأيت الأمراض فيها وأكلهم وشربهم مقرر من الدولة. والثانيات مجلسين وسماها مجلس المعارف[7] ومجلس الصنايع أما المعارف فلتعليم الصبيان العلم والقرآن وفعلوا محمد حميد معلم للعلم

---

(١) كأنها منيته.
(٢) سبق ذكره.
(٣) سبق ذكره.
(٤) سبق ذكره.
(٥) أساس.
(٦) مستشفى.
(٧) كأنها وزارة للتربية والتعليم.

وأحمد بن محسن الأكوع لسماع تجويد القرآن وفعلوا لهم معاشات في كل شهر خمسة عشر ريالاً وهو في بيت في صلاح الدين وأما مجلس الصنايع فلتعليم كل حرفة شامية يفعلوا في صنعاء وأرسل للمعلمين من الشام وعمروا المجلس في باب النزيلي في شرارة وجعلوا معاشاتهم عطفاً على الزكاة على كل عشرين قدح زكاة قدح حصة المعارف يصبح على المية القدح خمسة أقدام وهكذا قل أو كثر وتسلمت في صراب سنة ١٧ [1].

---

(١) إلى هنا انقطع كلام المؤلف وبقي في الصفحة نحو نصفها بياض فارغ فلعل المنية داهمته في هذه السنة التي توفي فيها جميع كبير من الناس.





حوليات يمانية

يظل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) المنطلق الحقيقي لتكوين اليمن الحديث في صورته المعاصرة فقد دخل اليمن عالماً جديداً لم يكن له عهد به من قبل حيث فرض واقع العصر ـ عصر سيادات الدول القوية ـ منطقه على سائر البلاد العربية. وكان اليمن آخر البلاد العربية تأثراً، وأقلها تأثراً بذلك أيضاً ومع ذلك فقد ترك آثاره على المجتمع ونفسيته ولا أدل على ذلك من تلك الدهشة التي صورها لنا مؤلف هذا الكتاب.

ففي هذا العصر أصيب المجتمع اليمني بادواء الحضارة الأوربية المعاصرة ولعل أسوأ ما فيها هذا الاستعمار البغيض الذي حاول أن يكرس جهوده ليس في امتصاص خيرات البلاد واخضاعها له فقط بل وأيضاً على تغيير القيم والأخلاق والموروثات المميزة للشعوب المستعبدة.

ومع ذلك فإن اليمن أقل الأقطار المستعمَرة تأثراً به كما قلنا بل لم يستطع أن يطوق قبضته على البلاد إلا على رقعة صغيرة مطلة على البحر الأحمر هي عدن وما عدا هذه البلدة فإن اليمن يموج بالبطولات الثائرة المتأججة التي لم يستطع الاستعمار اخضاعها حتى بالتفكير باحتلالها.

وفي التاريخ اليمني ـ في كل عصوره ـ صفحات نادرة من البطولات التي قد لا توجد إلا في الأساطير ولولا أن كتابة التاريخ هي في ذاتها أمانة علمية عند كل من كتبة لقلنا أنهم يصوغون قصصاً لا تمت إلى الحقيقة بشيء.

فأي بطولة تعادل تلك التي صورها مؤلف كتابنا هذا وهي أن يأتي الأتراك بأهبة كاملة من الأسلحة الفتاكة فيتصدى لهم أهل اليمن العزل من أي سلاح سوى الجنابي ـ الخناجر ـ والمفارس (الفؤوس) ويجلون الأتراك عن آخرهم من مدينة صنعاء بعد ثلاثة أيام من وصولهم.

وحدث عن ذلك الأقدام والشجاعة ولا حرج وقد أثبت الشعب اليمني بأفراده العاديين أنهم حماة الوطن الحقيقيين.



دار الحكمة اليمانية
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان